تعريف الخلف
برجال السلف

القسم الثاني

تأليف

أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي بن سيدي ابراهيم الغول

عامله الله بلطفه آمين

تحقيق

محمد أبو الأجفان

مدرس الفقه بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين

عثمان بطيخ

مجاز في الشريعة ومجاز في الحقوق من الجامعة التونسية

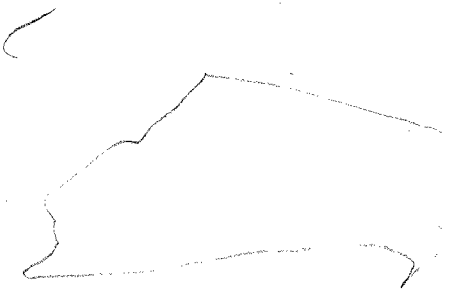
مؤسسة الرسالة

المكتبة العتيقة

تعريف الخلف

برجال السلف

القسم الثاني



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوثمران

المكتبة العتيقة ٦١ نهج جامع الزيتونة - تونس - هاتف ٢٤٠٦٧٩



الحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد .

فلما كان القسم الأول من كتاب « تعريف الخلف برجال السلف » الخاص بالمقيدين من علماء البر الجزائري في المدرسة الثعالبية قد التزمت فيه تحت أسمائهم بذكر التآليف التي نقلت منها تراجمهم ، رأيت أن أشير هنا إلى أن هذا القسم الثاني العام مقتطف منها ومن غيرها كـ « وفيات الأعيان » و« فوات الوفيات » و« الجبرتي » و« عقد الجمان النفيس » و« الملالي » و« الصباغ » و« مختصر النجم الثاقب » و« روضة النسرين » و« مغناطيس الدر النفيس » و« الرحلة الورتيلانية » و« الياقوتة الوهاجة في نسب سيدي محمد بن علي مولى مجاجة » ، ونقول أخرى جمعتها من أجوبة المحبين كما سيأتي أثناء الكتاب ، غير أني التزمت في هذا القسم أن لا أذكر بعض الكتب المنقولة منها تراجم أهله استغناء بذكرها في القسم الأول ، فمن شاء مراجعتها فعليه بها ، يجد ما هنا مسطورا فيها إلا ما استفدته من المعاصرين الذين أجابوا النداء بما في استطاعتهم قياماً بوظيفة القلم الذي علم الله به الإنسان ما لم يعلم ، ولم ينخدعوا لخناس الجِنَّة والناس ، فأذكره منسوباً إليهم .

القسم الثاني

[٢] من تعريف الخلف برجال السلف

إبراهيم بنُ أحمد الفجيجي

الشريف الرحالة المحدث الناظم الناثر .

أخذ بمدينة فاس عن الأستاذ الصغير ، وعن الشيخ ابن غازي ، وأبي العباس أحمد الونشريسي ، ولقي بتلمسان شيوخاً جِلَّة كالإمام السنوسي أبي عبد الله محمد بن يوسف ، وابن مرزوق ، والعقباني وغيرهم كالتنسي ، وأخذ بمصر عن الإمام السيوطي جلال الدين ، والبساطي ، وابن النجار الحنفي ، وبالمدينة المشرفة عن السّخاوي ، والأشموني ، وله عن الجميع إجازات ومناولات وسلسلات ، وله قصيدة صيدية مطلعها [١] :

يلومونني في الصَّيدِ والصَّيدُ جامِعٌ * لأشياءَ للإنسان فيها منافِعُ
فأوّلُها كسبُ الحلالِ أتَتْ بِهِ * نصوصُ كتابِ اللهِ وهي قواطِعُ

وهي طويلة جداً عليها شرح للراوية أبي القاسم الفجيجي ، وذكر أبو القاسم هذا أنّ من نظمه هذين البيتين في نسب المصطفى ﷺ وهما :

(١) أطلعني عليها بشرحها محب العلم والعلماء ، ذو الطبع الطاهر والنفس الزكية الأخ المرحوم عبد القادر ابن محمد المبارك ، قائد أولاد سيدي عيسى بن محمد ، توفي رحمه الله صيف هذه السنة ١٣٢٤ ، عن أولاد أكبرهم أحمد ، وفيه نجابة ، وكأنه نسخة من أبيه ، أطال الله عمره ووفقه لما يرضيه آمين .

عِلقْتُ شفيعـاً هالَ عقلي قرائنُـهُ * كتابٌ مبينٌ كسبُ لُبِّي غرائِبُهْ
فِـدًا معشرٍ نفسي كرامٍ خُـلاصتي * مِّني إليهـم مذ نيلَ مجدٌ عواقِبُهْ

ضمَّن أوائل الكلم حرفاً من اسم أب من آبائه الكرام ﷺ ، فالعين من علقت لوالده عبد الله ، والشين لشيبة وهو عبد المطلب ، والهاء لهاشم ، والعين لعبد مناف ، والقاف لقصي ، والكاف لكلاب ، والميم لمرة ، والكاف أيضاً لكعب ، واللام للؤي ، والغين لغالب ، والفاء لفهر ، والميم أيضاً لمالك ، والنون للنضر ، والكاف لكنانة ، والخاء لخزيمة ، والميم لمدركة ، والألف لإلياس ، والميم لمضر ، والنون لنزار ، والميم لمعدّ ، والعين لعدنان ، الجد المتفق في النسبة إليه المختلف فيما فوقه إلى آدم عليه الصلاة والسلام ، وقيل : إن البيتين للونشريسي أو الزقاق . ولإبراهيم المذكور من قصيدة يرثي بها عبد الحق السكوني الشريف الفجيجي :

تغيَّـرتِ البلـدانُ واحلولَـكَ الليـلُ * وشبَّ ضِـرامُ الشرِّ وانهمرَ السَّيلُ
ودانَ الرحيلُ من بـلادٍ تأمَّـرتْ * بها المفسدونَ واستمرَّ بها الهَـولُ
[٣] فلا فتكةٌ إلَّا وتُنسيـكَ فتكـةً * ولا فتنـةٌ إلَّا ويدخلُهـا العَولُ
ولا صلحَ إلا إثـرَهُ ألـفُ غَـدرةٍ * ولا قولَ إلَّا غيرُه القَولُ والفِعلُ
سلامٌ عليها لا تجـاور جِيـرةً * من الجَورِ عُتباهُم إذا عاتبوا القَتْلُ
أتسكنُ أرضاً ليسَ يُنهى سفيهُهَـا * ولا يُتَّقى فيهـا قِصاصٌ ولا عَقْلُ
ولا يأمـنُ الأخيـارُ شـرَّ شرارِهَـا * على خطرٍ يبقى بها من له الفَضْلُ

وله كتاب منظوم في الديانات سماه بـ « المفيد » ضمنه عيون الفقه ونوادر المسائل ، توفي ببلد السودان بعد التسع مئة .

إبراهيمُ بنُ عبد الرَّحمنِ التلمساني

إبراهيمُ بنُ عبد الرحمن بن محمد بن الإمام التلمساني .

الفقيه الحافظ الحجة المشارك المتفنن ، له علوم جمة ، توفي بمدينة فاس ، ودفن بباب الجيزمين سنة ٧٩٧ .

إبراهيمُ بنُ فائدٍ القسنطيني

إبراهيمُ بنُ فائد بن موسى بن هلال الزواوي القسنطيني شارح « مختصر خليل » .

قال السخاوي : ولد في جبل جرجر سنة ست وتسعين وسبع مئة (٧٩٦) ، وأخذ الفقه عن أبي الحسن علي بن عثمان يعني المنجلاتي فقيه بجاية ، قال : ثم رحل لتونس فأخذ الفقه أيضاً والمنطق عن الأبي ، والفقه والتفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشاني ، والفقه وحده عن يعقوب الزغبي ، والأصول عن عبد الواحد الغرياني ، ثم رحل لجبال بجاية فأخذ العربية عن عبد العالي بن فراج ، ثم دخل قسنطينة فقطنها ، وأخذ الأصلين والمنطق عن حافظ المذهب أبي زيد عبد الرحمن الملقب بالباز ، والمعاني والبيان عن أبي عبد الله القيسي ، والأصلين والمنطق والمعاني والبيان مع الفقه وغالب العلوم المتداولة عن أبي عبد الله بن مرزوق عالم المغرب ، لما قدم عليهم قسنطينة فأقام بها ثمانية أشهر ، ولم ينفك عن الاشتغال والاشغال حتى برع في جميع الفنون ، لا سيما الفقه .

وعمل تفسيراً و« شرح ألفيه ابن مالك » و« تلخيص المفتاح » في مجلد وشرح « مختصر خليل » في ثمان مجلدات وسماه « تسهيل السبيل لمقتطف أزهار

روض خليل » وشرحاً آخر كمل في مجلدين سماه « فيض النيل » . وحجَّ مراراً وجاور وتوفي سنة سبع وخمسين وثمان مئة (٨٥٧) اهـ .

قلت : وقد وقفت على السفر الثالث من شرحه المسمى « تسهيل السبيل » من القسمة حسن من جهة النقول يستوفيها ، يعتمد فيها على ابن عبد السلام
[٤] والتوضيح وابن عرفة وغيرهم ، وفي آخره جامع كبير محتو على فوائد لخصها من « البيان » لابن رشد وغيره ، ورأيت في خزانة جامع الشرفاء بمراكش السفر الأول من شرح آخر له على خليل ، قدر الثلث إلى الجهاد سماه « تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق » مجلد ضخم .

ابراهيمُ بنُ قاسم التلمساني

إبراهيمُ بنُ قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني قاضي الجماعة بها أبو سالم الإمام العلامة الحافظ ابن شيخ الإسلام مفتي الأمة أبي الفضل قاسم .

أخذ رحمه الله عن والده وغيره من علماء تلمسان ، وحصّل وبرع وألف وأفتى ، وتولَّى القضاء بعد عزل ابن أخيه العلامة محمد بن أحمد بن قاسم الآتي . قال الشيخ أحمد زروق : وكان أبو سالم هذا فقيهاً تولَّى قضاء تلمسان وكان شكوراً اهـ .

ونقل عنه المازوني في « نوازله » : وممن أخذ عنه العلامة أحمد الونشريسي وأثنى عليه ، ونقل عنه في كتبه ، وذكر عنه في تعليقه على ابن الحاجب أنه كان هو وأبوه الإمام قاسم يشددان النكير على ابن العربي في قوله بجواز إرسال الريح في المسجد ، توفي سنة ثمانين وثمان مئة (٨٨٠) ، ذكره الونشريسي في « وفياته » وغيره ، مولده سنة ثمان وثمان مئة (٨٠٨) ، والله أعلم .

إبراهيمُ بنُ محمدٍ التَّازي

إبراهيمُ بنُ محمد بن علي اللنتي التازي نزيل وهران ، الشيخ أبو سالم وأبو اسحاق الإمام العالم العلامة الناظم البليغ الورع الزاهد الوليّ الصالح العارف القطب ، صاحب الكرامات والأحوال البديعة ، والقصائد الرائقة الأنيقة .

قال أبو عبد الله بن صعد في « النجم الثاقب » : كان سيدي إبراهيم من الأولياء الزاهدين وعباده الصالحين ، إماماً في علوم القرآن ، مقدماً في علم اللسان ، حافظاً للحديث ، بصيراً بالفقه وأصوله ، من أهل المعرفة التامة بأصول الدين ، إماماً من أئمة المسلمين ، وقفت على كثير من تقاييده في الفقه والأُصُول وعلم الحديث بخطه الرائق ، من أهل الحفظ العَظيم معروفاً بجودة النظر والفهم الثاقب ، جامعاً لمحاسن العلماء ، ممتعاً بآداب الأولياء ، فلا نظير له في كمال العقل ، ومتانة الحلم ، والتمكن في المعارف ، وبلوغ الدرجة [٥] العليا في حسن الخلق ، وجميل العِشرة ، والمعرفة بأقدار الناس ، والقيام بحقوقهم ، وحسبك من جلالته وسعادته أن المثل ضرب بعقله وحلمه ، واشتهر في الآفاق ذكر فضله وعلمه حتى الآن ، إذا بالغ أحد في وصف رجل قال : كأنه سيدي إبراهيم التازي ، وإذا امتلأ أحدهم غيظاً قال : لو كنت في منزلة سيدي إبراهيم التازي ما صبرت لهذا ، لما كان يتحمله من أذاية الخلق ، والصبر على المكاره ، واصطناع المعروف للناس ، والمداراة فهو أحد من أظهره الله لهداية خلقه ، وأقامه داعياً لبسط كراماته ، مجللاً برداء المحبة والمهابة ، مع ما له من القبول في قلوب الخاصة والعامة ، فدعاهم إلى الله ببصيرة ، وأرشدهم لعبوديته بعقائد التوحيد ووظائف الأذكار .

كان أحسن الناس صوتاً وأنداهم قراءة ، آية في فصاحة اللسان والتجويد ،

ذكر أنه أيام مجاورته إذا قرأ البخاري أو غيره انحشر الناس إليه لحسن قراءته وجودته ، وصلّى الأشفاع هناك في رمضان بالناس لحسن تلاوته وطلاوة حلاوته ، وأصله من بني لنت قبيلة من بربرتازا ، وشُهر بالتازي لولادته بها . وقرأ بها القرآن على العالم الصالح الولي العارف أبي زكرياء يحيى الوازعي . وكان هذا الشيخ يعتني به على صغر سنه ويقول لأقرانه : هذا سيدكم وصالحكم . وما زال على حاله الحسنة ، ونشأته الصالحة وهديه القويم إلى أن رحل للشرق . وعلماؤه على ساق ، وعُرفت صدّيقيته هناك ، واشتهر ذكره ، وكان رفيقه في وجهته للبلاد المشرقية نظيره في العلم والدين الوليّ الصالح الزاهد الناصح أحمد الماجري اهـ . كلام ابن صعد ملخصاً .

قلت : ولما حج لبس الخرقة من شرف الدين الداعي ، ولبسها من الشيخ صالح بن محمد الزواوي بسنده إلى أبي مدين ، وأخذ عنه حديث المشابكة ، وتبرك بالشيخ الولي الصالح أبي عبد الله محمد بن عمر الهواري ، وتلمذ له فنال بركته ، وكان عالماً زاهداً متصرفاً له كرامات ومكاشفات كثيرة ، وقصائد في مدحه ﷺ ، أخذ عنه جماعة من الأئمة كالحافظ التنسي ، والإمام السنوسي ، وأخيه سيدي علي التالوتي ، والإمام أحمد زروق ، وغيرهم .

قال **القلصادي** في « فهرسته » : أقمت بوهران مع الشيخ المبارك سيدي إبراهيم التازي خليفة الهواري في وقته ، كان له اعتناء بكلام شيخه ، ومن حكمه : العالم لا تعاديه ، والجاهل لا تصافيه ، والأحمق لا تواخيه اهـ .

قال ابن صعد : وأخذ بمكة عن علامة علمائها ، وكبير محدثيها ، قاضي القضاة المالكية سيدي الشريف تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي ، قرأ عليه كثيراً من الحديث والرقائق ، وأجازه ، وبالمدينة على جماعة كإمام

الأئمة أبي الفتح ابن أبي بكر القرشي وغيره . وكان كلامه في طريق التصوف ، ومقام العرفان لا يقوم بمعناه إلا من تمكنت معرفته . وقويت عارضته ، وذاق من طعم الحب ما توفرت به مادته . وأخذ بتونس عن شيخ الإسلام الحافظ العلّامة عبد الله العبدوسي . وبتلمسان عن علّامة وقته خاتمة العلماء محمد بن مرزوق . وأجازاه معاً . وزار بوهران شيخ المشايخ جنيد أقرانه وحكيم زمانه الهواري اهـ . [٦]

قلت : قوله عبد الله العبدوسي لعل صوابه أبي القاسم عبد العزيز العبدوسي ، فهو نزيل تونس في ذلك الوقت . وأما عبد الله العبدوسي ، فهو ولد أخيه ، لم أعرف له رحلة لتونس ، ولا ذكره أحد ، وإنما كان بفاس وبها توفي ، والله أعلم . وتوفي سيدي إبراهيم تاسع شعبان سنة ست وستين وثمان مئة (٨٦٦) رحمه الله تعالى . ونفعنا به ، هكذا ذكره غير واحد ، ومن شعره رضي الله عنه :

أما آن ارعواؤكَ عَنْ شنارِ ... كفى بالشَّيبِ زجراً عن عُوارِ
أبعدَ الأربعينَ تروم هزلاً ... وهَلْ بعدَ العَشيَّةِ من عَرَارِ
فخلِّ حُظوظَ نفسِكَ والهُ عنها ... وعَنْ ذِكرِ المَنازلِ والدِّيارِ
وعَدِّ عن الرَّبابِ وعَنْ سُعادٍ ... وزينبَ والمعازفِ والعُقارِ
فما الدُّنيا وزخرُفُها بشيءٍ ... وما أيَّامُها إلاَّ عواري
وليسَ بعاقلٍ مَنْ يَصطفِيها ... أتشري الفوزَ وَيحْكَ بالتَّبارِ
فتُبْ واخلَعْ عِذارَكَ في هوى مَنْ ... لهُ دارُ النَّعيمِ ودارُ نارِ
جمالُ اللهِ أكملُ كلِّ حُسْنٍ ... فللَّهِ الكمالُ ولا مُمارِي
وحبُّ اللهِ أشرفُ كلِّ انسٍ ... فلا تنسَ التَّخلُّقَ بالوقارِ
وذكرُ اللهِ مَرْهَمُ كلِّ جُرحٍ ... وأنفعُ مِنْ زُلالِ للأُوارِ
ولا موجودَ إلَّا اللهُ حقّاً ... فدَعْ عَنْكَ التَّعلُّقَ بالشَّنارِ

وله من قصيدة :

يا صاحِ من رزقَ التُّقى وقلَى الدُّنـــا * نالَ الكرامةَ والسَّعادةَ والغِنـــى
فاصرِفْ هوى دُنياكَ واصرِمْ حبلَهـا * دارَ البلايـا والرَّزايا والعَنَـــا
ووِدادُهـا رأسُ الخطايـا كلِّهـا * ملعونةٌ طُوبى لِمَنْ عنها انثَـى
لا تَغترِرْ بغُرُورِها فمتاعُهـــا * عَرَضٌ مُعَـدٌّ للزَّوالِ وللفَنَـا
لَعِبٌ . ولَهْوٌ . زينَةٌ ، وتفاخُـرٌ * لا تخدعَنْـكَ جنانها مُـرُّ الجَنَـا
خدَّاعـةٌ ، غـدَّارةٌ ، نكَّـارةٌ * مـا بلَّغَتْ لخليلِها قـطُّ المُنَى
اليومَ عندَكَ جاهُهَـا وحُطامُهَـا * وغداً تراهُ بكـفِّ غيرِكَ مُقتَنى
فاقبَلْ نصيحةَ مُخلصٍ واعمَلْ بهـا * تُدنيكَ من رِضوانِ ربِّـكَ ذي الغنى
يدخِلْـكَ جنَّاتِ النَّعيـمِ بفضلِـهِ * دارَ المُقَامَـةِ والمسرَّةِ والهَنَـا

وله أيضاً من قصيدة أخرى :

وغُنْمُ مريدٍ في انقيـادٍ لكامـلٍ * لهُ خِبرةٌ بالوقتِ والعلمِ والحـالِ
[٧] هو السرُّ والإكسير والكيميا لِمَـنْ * أرادَ وصولاً أو بغى نيلَ آمـالِ
وقد عَدِمَ النَّاسُ الشيوخَ بقُطـرِنـا * وآخرُهـم شيخي وموضع إجلالي
وقد قال لي : لم يبقَ شيخٌ بغربِنـا * وذا منذُ أعوامٍ خلونَ وأحوالِ
يُشير إلى أهل الكمالِ كمثلِـهِ * عليه مِنَ اللهِ الرضى ما تلا تالي

وله أيضاً من أخرى :

حُسامي ومنهاجي القويـمُ وشِرْعتـي * ومنجاي في الدَّارينِ مِنْ كلِّ فتنةِ
محبَّـةُ ربِّ العالمينَ وذكـرُهُ * على كلِّ أحياني بقلبي ولهجتـي
وأفضلُ أعمالِ الفتى ذكرُ ربِّـهِ * فكُنْ ذاكراً يذكُرْكَ باري البريَّةِ
وما مِنْ حُسامٍ للمريديـنَ غيـرُهُ * وكَمْ حسموا ظهراً لزارٍ وباهتِ
وكم بدَّدوا شملاً لذي جُرأةٍ وكَـمْ * أبادوا عـدوّاً مسَّهُـمْ بمضـرَّةِ

وكَمْ دافعَ اللهُ الكريمُ بذكرِهِـــــم ... عَنْ الخلقِ من مكروهـةٍ ومُبيرةِ
وأفضلُ ذِكْرٍ دعوةُ الحيِّ فلتَكُـــنْ ... بها لَهِجاً في كلِّ وقتٍ وحالـةِ
فكثرةُ ذِكْرِ الشَّيءِ آيـةُ حبِّـــــهِ ... وحسبُ الفتى تشريفُـهُ بالمحبَّـةِ

وله أيضاً من أخرى رحمه الله :

وخيرةُ الخَلْقِ مَنْ مِنْ أجلهِ خُلقـوا ... محمدٌ خيرُ محمودٍ ومَنْ حَمِـدَا
مَنْ خصَّه بلواءِ الحمدِ حامِـــــدُه ... وبالمقامِ القيامِّي الـذي حُمِـدا
ويومَ حَشْرِ الورى للفضلِ يُرشِـــدُهُ ... إلى محامدَ لم يُرشد لها أحـــدا
وكثرةُ الحمدِ مِنْ أوصافِ أمَّتِـــهِ ... في اليُسرِ والعُسرِ في الكُتْبِ العُلا وجدَا
صلَّى الحميدُ على المحمودِ أحمـدَ مـا ... بالحمـدِ أفصحَ حمَّادٌ وما سَجَدا
للهِ عبدٌ شكـورٌ حامـدٌ وعـــــلى ... قُرباه والصَّحبِ أعلا الأمَّةِ الحَمْدَا

وله أيضاً قدَّس الله سره من أخرى :

أبَتْ مُهجتي إلَّا الولوعَ بمَنْ تَهـوى ... فدَعْ عنكَ لومي والنفوس وما تَقوى
هوانُ الهوى عزٌّ ، وعذبٌ أُجاجُـهُ ... وعلقَـمُه أحلا من المَنِّ والسَّلوى
وتعذيبُهُ للصَّبِّ عينُ نعيمِـــــهِ ... وسعيُ اللواحي في السَّلِيِّ مِنَ العدوى
ومَنْ لم يَجُدْ بالنَّفسِ في حُبِّ حِبِّـهِ ... فلوعَتُهُ إفْـكٌ وصَبْوتُهُ دَعْوى
وليسَ بحرٍّ مَنْ تعبَّدَهُ الهـــــوى ... للهو الدُّنا ، فاختَرْ لنفسِكَ ما تَهْوى
فما الحُبُّ إلَّا حُبُّ ذي الطَّوْلِ والغِنى ... وأملاكـه والأنبيا وأولي التَّقوى
وخيرَةِ رُسْلِ اللهِ أفضل خَلْقِـــــهِ ... مُحمدٍ الهادي إلى جَنَّةِ المَأْوَى

وله أيضاً قدَّس الله روحه من أخرى :

روحي وراحةُ رُوحي ثـم رَيحانـي ... وجنَّتي مِنْ سرور الإنسِ والجانِ
ومَأْمَني وأماني مِنْ سعيرِ لَظَـــى ... ذكرُ المهَيْمِنِ في سرٍّ وإعـلانِ
ومَدْحُ أحمدَ أحمى العالمينَ حِمَـــى ... وذُو المقامِ الذي ما قامَـهُ ثانـي

[٨] إلى أن قال :

هذا السِّراجُ هو المُنجي لِمُعتصـــم ٭ هذا المَعاذُ ومَلْجَا الخائِفِ الجاني
يا رحمةَ اللهِ إنِّي خائِـفٌ وجِـــلٌ ٭ يا نعمةَ اللهِ إنِّي مُفلِسٌ عانـــي

إلى غيرها من قصائده الكثيرة ، وقد ذكرت كثيراً من أحواله في غير هذا الموضع ، بل عرَّف به الشيخ ابن صعد في نحو كراسين من « النجم الثاقب » .

إبراهيمُ بنُ موسى المصمودي التلمساني

الشيخ العالم الصالح الوليّ الزاهد أبو إسحاق ، أحد شيوخ الإمام ابن مرزوق الحفيد ، أفرد ترجمته بتأليف .

قال الشيخ أبو عبدالله بن صعد التلمساني في كتابه « النجم الثاقب » : كان هذا الوليّ أحد من أوتي الولاية صبياً ، وحل من رئاسة العلم والزهد مكاناً علياً ، عرَّف به شيخ شيوخنا الإمام ابن مرزوق في جزء قال فيه : ومن شيوخي الذين انتفعت بهم الإمام العالم العلامة المحقق المدرس ، رئيس الصالحين والزاهدين في وقته ، ذو الكرامات المأثورة والديانة المشهورة ، الولي بإجماع المجاب الدعوة إبراهيم المصمودي من صنهاجة المغرب ، قرب مكناسة ، بها ولد ونشأ ، ثم طلب العلم ، وأخذ بفاس عن جماعة من الأكابر ، كالإمام حامل راية الفقهاء في وقته موسى العبدوسي ، والإمام الشهير محمد الإبلي ، وقرأ كثيراً على الإمام شريف العلماء أبي عبد الله الشريف التلمساني ، ثم انتقل بعد وفاته للمدرسة التاشفينية ، فقرأ بها على العلامة خاتمة قضاة العدل بتلمسان سعيد العقباني ، ثم لبُويْته المعروفة ، وما زال مقبلاً على العلم والعبادة والاجتهاد في المجاهدة آخذاً بالغاية القصوى ، ورعاً وزُهداً وإيثاراً ، مثابراً

على البِرّ ، متبعاً طريق السلف ، أحب الناس مذاكرة للعلم ، لا يسمع بكبير في علم أو منفرد بفن إلّا اجتمع به وذاكره ، أعلم أهل وقته بالسير وأخبار السلف والصالحين والعلماء كافة من متقدمين ومتأخرين ، كفاه الله ما أهمَّه كما ضمن لمن انقطع لخدمته . وله كرامات كثيرة ، وحدثني كبير أصحابه الشيخ أبو عبد الله بن جميل أنه عرض له شيء منعه من اتباع المشهور في مسألة ، واضطر لفعله فبحث حتى وجد جوازه لابن حبيب وأصبغ فقلدهما ، قال : ثم مضيت لزيارة أمي وسقط علي حجر آلمني شديداً ، واعتقدت أنه عقوبتي لمخالفة المشهور وتقليد غيره ، وما علم بذلك أحد ، ثم زرت الشيخ وأنا متألم ، فقال لي : مالك يا فلان ؟ قلت له : ذنوبي ، فقال لي فوراً : أما من قلّد أصبغ وابن حبيب فلا ذنوب عليه ، وهذا من أكبر الكرامات . وحدثني
[٩] بعض صالحي أصحابه قال : كنت جالساً معه في بيته ليس معنا أحد ، وهو يقرأ القرآن ويشير بقضيب في يده إلى محل الوقف ، ضارباً على عادة أشياخ التجويد ، فقلت في نفسي : لِمَ يفعلُ هذا أتراه يقرأ عليه أحد من الجن ، فما تم الخاطر حتى قال لي : يا محمد كان بعض الشيوخ يجود عليه الجن القرآن ، وذكر لي عن غير واحد ممن يهدي طعاماً من لبن أو غيره وربما رده عليهم ، فيتفقدون أنفسهم ، فيجدون موجب الرد من شبهة من ضجر أهل البيت أو غيره ، وحدثني غير واحد أنه كان خارج البلد في وقت لا يدرك الباب عادة إلا وقد غلقت ، ثم يرونه في البلد اه .

قال ابن صعد عن حده **أبي الفضل** : إن الشيخ أبيض اللون طويل ، لا يلبس سوى **الكُسا الجيدة** ، يعري رأسه أكثر الأوقات ، وذكر جماعة من الفضلاء أنه في ملازمته للجبل إذا وجد نوار الربيع أمعن النظر في أنواعه وألوانه وصنعته ، فيغلبه الحال ويتواجد ويتبختر ويقرأ حينئذ ﴿ هذا خلْقُ اللهِ فَأَرُوني ماذا خَلَقَ الَّذينَ مِنْ دُونِهِ﴾ . وقال عن جده عنه : توفي عام خمس وثمان

مئة (٨٠٥) ، وحضر جنازته السلطان ماشياً على قدميه اهـ .

وذكر الونشريسي في « وفياته » أن وفاته سنة أربع وثمان مئة (٨٠٤) .

إبراهيمُ بن ميمونٍ الزّواوي

الشيخ الفقيه الصالح الأديب المبارك الفاضل أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون ابن بهلول الزواوي ، رحل إلى المشرق ، ولقي أكابر العلماء وأخيار الفضلاء ، كالرشيد بن عوف ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وغيرهم .

كان منقطعاً عن الدنيا متعبداً متزهداً ، وكف بصره في آخر عمره ، وكان حسن الحديث ، مستطرف الرواية ، بديع الحكاية ، وله نظم حسن ، وكلام في النثر مستحسن ، ولقد رأيته نظم شعراً تفرس فيه معاني ، ودرس فيه على وقوع أمر فيه تواني ، واستكتم من نظمه أن لا يظهره إلا بعد ظهور ما فيه ، فكان علم الله كما نظم ، وعلى نحو ما توسّم ورسم ، ويحتمل عندي والله أعلم أن يكون ذلك من جملة المكاشفات ، ومما شاهده في مرآته الصقيلة كما يشاهد في المرآة ، فإنه كان أهلاً لذلك لسلوكه من سبيل الخير والبر أقفل المسالك .

توفي رحمه الله ببجاية يوم الاثنين الرابع من شعبان المكرم عام ستة وثمانين وست مئة (٦٨٦) اهـ .

إبراهيمُ بنُ يَخْلُفَ المطماطي التنسي

إبراهيمُ بنُ يخلفَ بن عبد السلام التنسي المطماطي ، انتهت إليه رئاسة التدريس
[١٠] والفتوى في أقطار المغرب كلها ، ترد عليه أسئلة من تلمسان وبلاد افريقية كلها .

شرح « التلقين » لعبد الوهاب في عشرة أسفار ، فضاع الشرح في حصار تلمسان . وما زال السلطان يغمراسن يخطبه للورود على تلمسان فيمتنع ، يَرِدُ زائراً ويُقيم أشهراً وينصرف إلى تنس ، ثم لما كان شأن مغراوة رحل لتلمسان فطلب منه الفقهاء والسلطان القيام بها فأجابهم ، فاستوطنها ودرَّس بها ، وانتفع به خلق لا يحصون ، وإليه الرحلة شرقاً وغرباً ، وكان من أَولياء الله الجامعين بين علم الباطن والظاهر ، ومن تلاميذه الشيخ أبي عبدالله ابن الحاج صاحب « المدخل » ، وله كرامات كثيرة ، منها ما حدث به ابن القطان عنه أنه قال : لما دخلت إلى مكة وطفت بالبيت ذكرت قوله تعالى ﴿ ومَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمناً﴾[1] فقلت في نفسي : تعارضت الأقوال واختلفوا في معنى الأمن ، فصرت أكرر وأقول آمناً آمناً مماذا ؟ فسمعت صوتاً خلف ظهري : آمناً من النار يا إبراهيم ثلاث مرات أو مرتين . قال ابن الحاج : ورحم الله شيخنا أبا إسحاق التنسي من ورعه أنا مضينا معه في قرى مصر ، فأصابنا عطش شديد ، فأدركنا بعض تلاميذه بلبن مشوب بسكر ، فامتنع من شربه ، فقلت له : كيف يا سيدي تتركه وأنت في غاية الحاجة إليه ؟ فقال : خفت أن يكون فعله جزاء القراءة علي ، فتركته لذلك خوفاً أن ينقص من أجري ، ورد له الإناء اهـ .

لقي في رحلته أعلاماً بمصر والشام ، وروى عن ابن كحيلا ، وناصر الدين المَشدَّالي ، وقرأ بتونس على جماعة ، وبالقاهرة « المحصول » على الشمس الأصبهاني ، والمنطق والجدول على القرافي ، وحضر على السيف الحنفي « الإرشاد » للعميري حتى ختمه ، ولم يتكلم بكلمة ، فلما أعادوا قراءته ، فأول ما قرر به السيف الحنفي كلام المصنف قال الشيخ أبو إسحاق : عندي تقريركم لهذا الموضع بغير هذا ، فطلب منه تقريره ، فقرّره ثم أحضر لهم غداً تقييداً قيَّده

(١) سورة آل عمران : الآية ٥٧ .

على الشيخ في المرة الأولى ، فأمر الشيخ بقراءته ، فقرىء عليه حتى ختم ، واستحسنه كل من حضر ، وهو الشرح الموجود الآن بيد الناس ، ينسبه بعضهم للسيف .

وتوفي رحمه الله بتلمسان ، كذا وجدت هذه الترجمة في بعض المجاميع ، وذكره الشيخ أبو عبدالله العبدري الحاجي في « رحلته » فقال : كان الشيخ أبو إسحاق التنسي وأخوه أبو الحسن فقيهين مشاركين في العلم ، مع مروءة تامة ودين متين ، وأبو إسحاق أسنُّهما وأسناهما ، وهو ذو صلاح وخير ، وكان
[١١] شيخنا الزين بن المنير حفظه الله يثني عليه خيراً كثيراً ، وسألني عن الغرب فذكرت له قلة رغبة أهله في العلم ، فقال لي : بلاد فيها مثل أبي إسحاق التنسي ما خلت من العلم ، ولقيتهما بمصر وكان أبو الحسن لم يحجَّ فحجَّ معنا ، فلقيت منه خيراً فاضلاً ، لازم شيخنا أبا الفتح ابن دقيق العيد بمصر مدة ، وأخذ عنه كثيراً .

إبراهيمُ بنُ يوسفَ الوهراني

إبراهيمُ بنُ يوسف بن إبراهيم بن إبراهيم بن عبد الله بن إدريس بن القايدي الوهراني شهر بالحمزي ، لأن أصله من حمزة موضع بناحية المسيلة من عمل بجاية ، يكنى أبا إسحاق ، ويعرف بابن قرقول من أهل المرية ، وبها ولد ونشأ .

سمع من جده لأمه أبي القاسم بن ورد ، ومن أبي الحسن بن نافع ، وروى عن أبي عبد الله بن زغبية ، وأبي الحسن بن معدان ، ويعرف بابن اللوان ، وعن أبي الحجاج القضاعي ، وأبي الحسن بن موهب ، وأبي العباس بن العريف ، وأبي محمد الرشاطي ، وأبي عبد الله بن وضاح ، وأبي محمد بن عطية ، وأبي الحجاج بن يسعدن ، وأبي الفضل بن شرف ، وأبي عبد الله بن الحاج

الشهير ، وأبي الحسن بن مغيث ، وأبي عبد الله بن مكي ، وأبي بكر بن زيدان ، وأبي جعفر بن العزيز ، وأبي بكر بن العربي ، وأبي إسحاق بن حبيش ، وأبي الحسن بن بادش ، وممن كتب له بالإجازة أبو محمد بن عتاب ، وأبو بكر الأسدي ، وأبو الطاهر السِّلَفي ، وأبو عبد الله المازري ، وله رواية عن طارق بن يعيش ، وأبي الحسن بن هذيل ، وأبي الوليد بن الدباغ ، وأبي الفضل عياض بن موسى ، وأبي الحسن علي بن عبد الله بن النعمة ، ولقي بجزيرة شقر أبا إسحاق الخفاجي ، فحمل عنه ديوان شعره ، وبمكناسة أبا القاسم بن الأبرش ، وكان رحالاً في طلب العلم ، حريصاً على لقاء الشيوخ ، وله معرفة بالأدب والحديث ورجاله .

ولد بالمرية في صفر سنة ٥٠٥ ، وخرج من اشبيلية إلى تلمسان ، وبها أخذ عن ابن غزلون صاحب أبي الوليد الباجي ، ثم عاد إلى الأندلس ، ولم يزل بمالقة إلى أن انتقل منها إلى سبتة سنة ٥٦٤ ، ثم إلى سلا ، وتوفي بمدينة فاس عند العصر من يوم الجمعة السادس لشعبان سنة ٥٦٩ ، ودفن قريباً من برج الكوكب الذي يقال له اليوم : سيدي علي المزالي ، وقد تكلم فيه بعضهم من جهة كتاب « المطالع » ، وهو ولا بد كتاب « مشارق القاضي أبي الفضل عياض» ، كان القاضي قد تركه في مبيضته فاستعارها ، وجرد منها ما أمكن نقله لاستعمائها وصعوبتها ، ثم نقل الناس من كتابه . قال ابن خاتمة : ولم يتصل بنا أنه نسب الكتاب إلى نفسه ، ذكره ابن الأبّار ، وابن خاتمة ، وابن مؤمن في « مزينه » .

سيدي إبراهيمُ الحنيفي

الوليّ عند الناس بلا شك ، وهو والله أعلم كذلك ، وقلوبنا تشهد بذلك
[١٢] الشيخ سيدي إبراهيم الساكن في ناحية احنيف ، مشهور معلوم أحواله مرضية ،

وأنفاسه زكية ، ولطائفه وهبية ، وأولاده مشهورون بالصلاح إلى الآن ، وقد أدركت منهم فضلاء كالفقيه سيدي أبي القاسم ، محبٌّ ذُو وُدٍّ وصدق اهـ . ورتيلاني .

سيدي إبراهيمُ بنُ عمارٍ

الوليّ الصالح والفاضل الناصح ذو البركة البينة ، والأحوال المزينة ، والأمور المستحسنة ، المجاهد نفسه حق الجهاد ، سيدي إبراهيم بن عمار وقد قيل : إنه في محله المعلوم ما فاتته صلاة الصبح مع شيخه سيدي يحيى العيدلي صيفاً وشتاءً وغيرهما ، اغتناماً لبركة الشيخ ، وإن ذلك خارق للعادة ، إذ لا يمكن ذلك في النهار دائماً فضلاً عن الليل ، وقد قيل : إن الشيطان يصنع النار له لعله يعوقه عن اللحوق به ، فيشعر به ولا يلتفت له أصلاً ، ويلعنه ويستعيذ من شره . نفعنا الله به آمين ، وأولاده أهل بركة وخير ، وفق الله الكل إلى صالح القول والعمل ، وحفظ جميعنا من الزيغ والزلل اهـ . ورتيلاني

سيدي إبراهيمُ الغول
ابن سيدي إبراهيم السّلامي

قال القطب سيدي علي بن عمر صاحب زاوية طولقة : إنما سُمِّي سيدي إبراهيم الغول لأنه تغوَّل في الولاية ، ووصفه بحر الحقيقة سيدي الحاج عيسى الأغواطي بمخ الشرفاء في قصيدة قالها عند ضريحه يستغيث به ، لما أهمله أهل أبي سعادة ولم يكرموا مثواه ، وهي من الشعر الملحون كسائر قصائده ، ويحفظها كثير من الناس في الناحية ، ولكن شرفه من قبل أمه لا يختلف فيه

اثنان ، لأنها بنت شريف أبي سعادة ، وثبوت الشرف من قبل الأم قال به المحققون ، والحقيقة تشهد بثبوته لأن ثبوت البنوة للأم ، أقوى من ثبوتها للأب ، ولا يعارض هذه القوة إلا المتمسكون بالظواهر، والحاكم بها يحتاج
[١٣] إلى قوة من العلم والفهم ، يدرك بها مقتضيات الأحوال ، ويعتمد عليها في استخراج أدلة الأقوال ، مثل عالم الأولياء وسيد العلماء الجامع بين الشريعة والحقيقة سيدي الحفيد بن مرزوق التلمساني مؤلف رسالة « إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم » ولا شك أن المسألة ذات وجهين : أحدهما يرى في مرآة الحقيقة والآخر في مرآة الشريعة ، وتلازمهما معلوم ، والمقتصر على إحداهما ملوم ، وقد سئل سيدي إبراهيم الغول عند موته عن شرفه الأبوي فأجاب بأن الشريف يظهر غداً أي : في الآخرة ، ولهذا تجد بنيه لا يعتمدون على الشرف ، فلا ينحدرون في ما انحدر فيه غيرهم من الخصال المنافية له .

تواتر أن سيدي إبراهيم الغول تركه أبوه في بطن أمه وأوصاها بتسميته باسمه إن لم يرجع إليها قبل سنة ، وسافر يريد حج بيت الله الحرام ، وزيارة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ولما وصل إلى الجزائر ذاهباً أو آيباً استشهد في مرساها ، وأقبر في موضعه ، وضريحه مقصود للزيارة والتبرك ، وكانت لخير الدين معرفة به في الديار المشرقية ، فبنى عليه قبة فخيمة ، ورتب لها قيِّماً ونفقات ، ووجد بخط يد سيدي محمد بن علي الخروبي خطيب الجزائر في وقته أن سيدي إبراهيم هذا جاء من الصحراء ، قاصداً حج البيت واستشهد في الجزائر اهـ . وهو مطابق لما كان يحكيه لنا أسلافنا الصالحون ، رحمهم الله تعالى ورضي عنهم ، وكاتبني به الوالد قدس الله سره ، وذكر لي بعض الأصدقاء في الجزائر عفى الله عنه أن عنده كراريس من كتاب ألفه بسكرى في رجال الصحراء ، وتعرض فيه لذكر أبي سعادة وسيدي إبراهيم وللحكاية السابقة نفسها ، ويقال : إنه ساح في الصحراء ودخل توات ،

وزاد في السياحة إلى تنبكتو ، ورجع إلى المغرب الأوسط ، ونزل في أبي سعادة ، وكانت وقتئذ قصراً صغيراً فيه دويرات وعين ومسجد ، يُسمى اليوم جامع النخلة ، وهو العتيق ، ولما استقرَّ زوَّجه سيدي سليمانُ بن ربيعة منهم ، وحملت منه زوجته ، وذهب إلى الحج كما تقدم ، ولما وضعت حملها سمته باسمه إبراهيم السلامي نسبة إلى دار السلام ، مقام سلطان الصالحين سيدي عبد القادر الجيلاني ، رضي الله عنه ونفعنا ببركاته ، وكان والياً عليها ، ومنها جاء أبوه في البحر على طريق ازمير مع سيدي محمود بوفاله دفين المسيلة ، قيل : وسيدي والي دادة دفين الجزائر ، والثلاثة أتراك ، ولعل سيدي والي دادة كان صغيراً وطال عمره بعدهما ، حتى ظن من ظن أنه متأخر عنهما بكثير ، والله أعلم ، ولما تُوفيت أمه رحمها الله تعالى تركته في كفالة أخيها ، وربته أم سيدي عيسى بن محمد (بالفتح) القطب الشهير ، وكانا يقرآن معاً على سيدي محمد بن دحيمين الرجل الصالح المتبرك بتربته إلى الآن في أبي سعادة ، فحفظا القرآن ، وكَبِرا أخوين في الله إلى أن سارا إلى رحمة الله تعالى ، وكان سيدي إبراهيم رضي الله عنه ذهب إلى دار السلام ، واستبطأه سيدي عيسى ،

[١٤] وقد كبرت أخته وخطبها بنو قبيلتها أولاد سيدي سعيد ، فناداه وجاءه ، وقال لهم : هذا زوجها قد حضر فبنى بها ، وبعد مدة مات سيدي إبراهيم عن ثلاثة بنين ، سيدي محمد (بالفتح) ، وسيدي التواتي ، وسيدي رابح ، وكثر بنوهم وصاروا قبيلة ، ومثلهم أولاد سيدي عيسى بن محمد ، وفي القبيلتين رجال اشتهروا بالعلم والولاية .

فمن أولاد سيدي محمد سيدي أبو القاسم ، وسيدي محمد بن مرزوق ، وسيدي الزيتوني ، وسيدي أحمد بن عروس ، وأولاد سيدي أبي القاسم سيدي محمد المبارك ، وسيدي عبد القادر ، وسيدي الزروق ، وسيدي عبد الله ، وسيدي محمد ، وسيدي رحمون ، وأولاد سيدي محمد هم أهل قرية الديس

ونواحيها ، وتسميهم الدولة أولاد سيدي بلقاسم . وأولاد سيدي التواتي هم أولاد سيدي اللعوبي ، وهم أهل أبي الزرازيع والتريبة . وأولاد سيدي رابح هم أهل قرية أبي النزوة ونواحيها ، فالفرق ثلاثة . وفي كل منها رجال علم وولاية .

فمن أولاد سيدي محمد الشيخ سيدي أبو القاسم ، وقبته متبرك بها في الديس ، وسيدي مُحمد المبارك ، وقبته في الجبانة الكبرى المعمورة بالصالحين والصالحات ، ومن أولاد سيدي مُحمد المبارك القطب الأكبر مراد الله المجذوب إليه المجرد عن الدنيا سيدي البشير بن السعيد ، وله كرامات كثيرة ، ومكاشفات لا تحصى ، ولم يزل في قيد الحياة ، أطال الله عمره ، ونفعنا ببركاته وجمعنا به مؤمنين آمنين آمين ، ومن أولاد سيدي رحمون سيدي أحمد بن سليمان ، من تلاميذ الشيخ ابن عزوز البرجي ، ومثله ولده شيخنا سيدي محمد الصديق ، وولد ولده حفيدي الشيخ محمد بن الصديق (حي) ، وأخوه التَّقي سيدي عبد الله (حي) ، ومن أولاد سيدي عبد القادر ، سيدي محمد الشلالي ، شاعر الحضرة النبوية ، وعاشقها ، نفعنا الله ببركته ، وسيدي دحمان بن الشريف ، وسيدي دحمان بن الفيصل (حي) ، وسيدي محمد بن عبد الرحمن الأول ، وولده سيدي محمد السنوسي ، وولد ولده شيخنا سيدي محمد بن عبد الرحمن الثاني ، وابن أخيه الشيخ الحاج ابن السنوسي (حي) ، وسيدي إبراهيم بن المسعود (حي) ، ومن أولاد سيدي عبد الله سيدي عبد الله بن مرزوق ، وسيدي محمد بن يطو بن فرار ، دفين المدينة المنورة ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وسيدي عبد الحق بن محمد المحراك ، حامل كتاب الله تعالى (حي) ، ومن أولاد سيدي الزيتوني سيدي البشير بن عبد الملك ، ومن أولاد سيدي ابن عروس سيدي محمد بن
[١٥] أبي العباس ، وسيدي الطَّيِّب بن الخرشي . وسيدي مُحمد بن الصالح ، ومن

أولاد سيدي ابن مرزوق العلامة سيدي محمد السنوسي ، شاعر الحضرة النبوية ، والمقام الجيلاني . وجدي المازري بن يطو شيخ الجماعة وإمامها في وقته ، وهو من مشايخ أستاذ الطريقة والحقيقة وحافظ الشريعة شيخنا سيدي محمد ابن أبي القاسم الهاملي ، وشيخنا سيدي محمد الصديق ، ومنهم والدي سيدي الشيخ ابن أبي القاسم رضي الله عنه . وهو جد الشيخ المكي بن عزوز لأمه (حي) ، وستأتي ترجمته ، ومن أولاد سيدي التواتي سيدي اللعوبي ، وقبته ظاهرة في بسيط الحضنة الغربية ، ومن أولاده سيدي محمد بن عبد الله ، وابنه سيدي النذير ، وابنا ابنه سيدي الشيخ ابن النذير ، وسيدي محمد الطَّيِّب ، ومن أولاد سيدي الزروق سيدي أحمد ابن أبي خروبة ، ومن أولاد سيدي رابح سيدي محمد المبارك بن أحمد بن الطَّيِّب ، والأربعة الأخيرون أحياء الآن ، فهؤلاء هم المشاهير في علمي من عهد سيدي إبراهيم إلى اليوم ، وأما غيرهم من أهل الخمول ، فكثيرون ذكوراً وإناثاً ، وقصصهم متواترة في الحي أباً عن جد ، ولأولاد سيدي إبراهيم شهرة زائدة بالعلم والعمل ، ولأهل الديس منهم أنظار دقيقة ، يتنبهون بها لما يتنبه له أهل التدقيق والتحقيق ، ومن طبعهم التنزه عن التظاهر بزي الواصلين ، ولكن لا يصبرون على تبجح المتفيقهين ، ولا يقيلون عِثار المخطئين ، وقريتهم في سفح جبل يسمى أبا العرعار ، من فروع جبل سالات المذكور غير ما مرة في تاريخ العلامة ابن خلدون ، وهو جبل شامخ كثير السواعد ، وفيه آثار للأولين ، وأقربهم إلينا في التاريخ بنو برزال المنتقلون إلى الأندلس ، كما ذكره ابن خلدون ، ومن فروعه جبل القليعة ، وهو جبل رفيع ، قمته مربعة ، وفي سطحها ديار ، كانت لأحد رؤساء زناتة ، ثم صارت إلى بعض رؤساء العرب ، ومنهم قتيل ذئاب في محل الرمل واليراع ، ويعني بذلك كدية بانيو التي اكتشف فيها اليوم عنصر عجيب من صنع قدماء المهندسين ، وسيكون له لهذه الناحية

شأن عظيم الاعتبار في باب الاستعمار ، ولا يبعد أن ستكون فيها مدينة غاصة بالسكان ، والسكة الحديدية مارة بها من المسيلة إلى أبي سعادة .

سيِّدي ابنُ الأمينِ التواتي

الوليّ المجذوب سيدي ابن الأمين بن أحمد التواتي . كان من أهل التلوين والحال العجيب ، وكان كثيراً ما يجري على لسانه : الله يسامح بالشيء وبلا شيء ، ومن عادته أنه يسأل بالأسواق كثيراً ، وكان يتبعه من يأخذ منه كل ما يعطيه الناس .

[١٦] توفي رحمه الله عام ثمانية وستين ومئتين وألف (١٢٦٨) في شهر الله صفر ، ودفن أسفل ضريح سيدي الدراس ، وشهد جنازته خلق كثير بعد النداء عليها ، وجهَّزه سيدي محمد ابن أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن العلوي اه . « نشر المثاني » .

أبو إسحاق ابن العرافةِ البجائي

الشيخ الفقيه الخطيب العارف المحصّل ، كان له منصب وحظ ووجاهة وتخصص ، وولي صلاة الفريضة والخطابة بالجامع الأعظم من بجاية ، وكان معتكفاً على ما هو بسبيله منزوياً عن الناس ، ولقي من أفاضل أهل العلم ببلده من أخذ عنه واستفاد منه ، وكان له مجلس للتدريس بالجامع الأعظم يدرس الرِّواية والدّراية .

أبو البركات التلمساني

أبو البركات ابن أبي يحيى الملالي التلمساني شارح « خطبة خليل » .

أخذ عن الإمام ابن مرزوق الحفيد ، والحجة قاسم العقباني ، والفقيه المحقق سليمان البوزيدي الشريف ، وغيرهم ، رحل للشرق ودرَّس هناك « مختصر خليل » ، واعتنى به أي بـ « الشرح الكبير » لبهرام وتصحيحه ، ولقي جماعة كالشيخ أبي الجود الفرضي ، وأبي القاسم النويري وغيرهما . ألَّف شرحاً على « الرجز » للضرير المراكشي في علم البيان ، ولم أقف على وفاته ، وأنجب محمداً ولده اهـ . « نيل الابتهاج » .

أبو بكرٍ بنُ أحمدَ التنبكتي

قال في « نيل الابتهاج » : أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد اقيت التنبكتي الأصل ، نزيل المدينة الشريفة ، عمي الرجل الصالح الزاهد الورع التقي الأوَّاه الولي المبارك . نشا رحمه الله ونفعنا به خيِّراً صيِّناً ورعاً متواضعاً معروف الصلاح متين الدين مبرزاً فيه ، لم يَزُلْ عن حاله ، ولا مال عن الاستقامة ، بل استمر على حالته المرضية من نشأته إلى وفاته .

ارتحل للشرق وحجَّ وجاور ، ثم رجع لبلاده فبقي نحو أربعة أشهر ، ثم رحل بأولاده وعياله للمدينة الشريفة ، فجاور هناك حتى مات فاتح إحدى [١٧] وتسعين وتسع مئة (٩٩١) ، مولده عام اثنين وثلاثين (٩٣٢) ، وهو أول من قرأت عليه علم العربية ، فنلت بركته ، ففتح لي فيه في مدة قريبة بلا عناء ، وكانت له أحوال جليلة ، كثير الخوف والمراقبة لله والنصح لعباده ، يردف

الزفرات بعضها بعضاً ، رطب اللسان بالتهليل على الدوام ، من خيار عباد الله الصالحين ذوي المقامات العليَّة ، إلى زهد ورفض للدنيا والرغبة عن زهرتها مع ماأوتي أهل بيته حينئذ من الرئاسة والدولة ، ما رأيت قط مثله ولا من يقرب منه في معناه .

له تآليف صغار في التصوف وغيره ، منها « معين الضعفاء في القناعة » وغيره اهـ .

أبو تمَّامٍ الواعظُ الوهرانيّ

الشيخ الفقيه العابد الصالح المبارك المتعفف المذكور ، من أهل وهران ، سكن بجاية ، واشتغل بها يعلم التذكير واستدعاء الخلق لباب الله تعالى ، وكان له مجلس يروق الحاضرين ويسر الناظرين ، وكان جلوسه في المسجد بالجامع الأعظم شرفه الله بذكره ، ولكلامه في النفس أثر ، وكان الغالب عليه الخوف ، وكذلك كان أكثر مجلسه إنما هو التخويف ، وكان له أتباع من الجمهور ، وكان له تبتُّل وكدٌّ في العبادة ، ورأيت من أصحابه المتعبدين من كاشفني بالكرامات ، ورأيتها منه غير ما مرة ، رحم الله جميعهم اهـ . « عنوان » .

أبو الحجَّاجِ الجزائريّ

الشيخ أبو الحجاج بن سعيد بن يخلف الجزائري .

قال في « عنوان الدراية » : شيخنا الفقيه الأستاذ الأديب النحوي اللغوي ، له علم بعلم العربية اللغة والنحو والأدب ، وكان يقرأ عليه الفقه ، وكانت بضاعته فيه مزجاة ، وأما علم اللغة والنحو والأدب فكان فيه خبيراً ، وكان

له مجلس واسع الحضور ، ويحضره كثير من الطلبة ، ويقرأ كل واحد منهم باختياره . يقرأ فيه « الإيضاح » و« الجمل » و« المفصل » و« قانون أبي موسى الجزولي » و« مقدمة ابن بابشاد » و« إصلاح المنطق » ، ويعرف فيه شعر حبيب والمتنبي والأشعار الستة والمقَّري والحماسة لغير واحد ، ويقرأ فيه من الأدب المقامات والأمالي وغير ذلك من الكتب الأدبية والنحوية واللغوية . ويطيل مجلسه لكثرة الطلبة وكثرة تفننهم فيما يقرؤون ، وكان حسن الإيراد مبارك الإقراء ، انتفع عنه خلق كثير ، كلٌّ على قدره ، ولقد حضرت مجلسه يوماً فذكر القارئين عليه من الطلبة واستكثرهم ، وأخذ يعد من علا منهم ممن له نبل وقدر ، فعد منهم نحو الثمانين ما منهم إلا قد تخطط أقلها الكتابة خلاف الغائبين ، ومن لم يحضر ذكره وهو من غير تخطط .

[١٨] قرأت عليه ، وسمعت منه ، وأخذت عنه ، ولم يكن له رحمه الله عمل إلا الاشتغال بالإقراء ، وكان يلي قضاء بعض النواحي بتولية قضاة البلد ، وكانت له نفس طيبة وأخلاق حسنة ، وله فكاهة مستعذبة مستملحة ، رحمه الله اهـ .

أبو العباسِ الجزائريّ

أبو العباس المغربي الجزائري نسبة إلى بر الجزائر .

قال الجبرتي : ومات (أي في سنة ١٢٠٢) الشيخ العلامة المتفنن البحَّاث المتقن أبو العباس المغربي ، أصله من صحراء عمالة الجزائر ، دخل مصر صغيراً فحضر دروس الشيخ علي الصعيدي ، فتفقه عليه ولازمه ، ومهر في الآلات (العلوم العربية) والفنون ، وأذن له في التدريس ، فصار يقرىء الطلبة في رواقهم ، وراج أمره لفصاحته وجودة حفظه ، وتميز في الفضائل وحج

سنة ١١٨٢ ، وجاور بالحرمين سنة ، واجتمع بالشيخ أبي الحسن السندي ، ولازمه في دروسه وباحثه ، وعاد إلى مصر ، وكان يحسن الثناء على المشار إليه ، واشتهر أمره ، وصارت له في الرواق كلمة ، واحترمه علماء مذهبه لفضله وسلاطة لسانه ، وبعد موت شيخه عظم أمره حتى أشير له بالمشيخة في الرُّواق ، وتعصَّب له جماعة فلم يتم له الأمر ، ونزل له السيد عمر أفندي الأسيوطي عن نظر الجوهرية ، فقطع معاليم المستحقين (يعني مرتباتهم) ، وكان محجاجاً عظيم المراس ، يُتَّقى شره ، توفي ليلة الأربعاء حادي عشري شعبان غفر الله لنا وله اهـ .

سيِّدي أبو عزي التلمساني

قال العلَّامة الكتاني في « سلوة الأنفاس » : الشيخ النزيه المعظَّم المحترم الوجيه الشريف الأصيل البركة النبيل العارف بالله تعالى أبو عبد الله سيدي أبو عزي التلمساني المهاجي من مهاجة ، وهي قبيلة من بني عامر بقرب تلمسان ، له زاوية بوجدة ، وأخرى بتلمسان ، وله فيهما أصحاب وأتباع ، وكان هو من أصحاب الشيخ العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي ، وإليه ينتسب ، وكان من أهل الحقائق والعرفان وجلالة القدر ، وعِظَم الشأن ، يتكلم بما يبهر العقول
[١٩] وبما لا يقدر عليه إلَّا الفحول ، ويقول : لو نزل إلينا الملائكة من السماء لتذاكرنا معهم ، وكان مهما جالس العلماء أفحمهم ، ولا يقدر أحد منهم أن يجادله في شيء ، ويقال : إنه كان في أول أمره ممن يغلب عليه الصمت حتى قال له شيخه المذكور يوماً من الأيام : تكلَّم ، فانطلق حينئذ لسانه ، وتنسب له تصرفات عديدة وأحوال صادقة ، وخصال حميدة .

توفي رحمه الله يوم الجمعة ، وكان موافقاً للخامس عشر من شهر شتنبر عام سبعة وسبعين ومئتين وألف (١٢٧٧) ، ودفن بمسجد سيدي أبي مدين

الغوث المعروف بأقصى حومة الرميلة من عدوة فاس الأندلس ، بقوس منه عن يمين المحراب ، وهو مزار متبرك به .

تنبيه : هذا المسجد من المساجد المباركة ، وهو من مزارات هذه الحومة ، وبه كان الشيخ سيدي أبو مدين المذكور لما كان قاطناً بفاس ، وبهذه الحومة منها كان يدرس العلم ويُرقّي المريدين اه .

سيِّدي أبو عليّ المجاجي
ابن سيِّدي علي ابهلول

الشيخ الفقيه وارث علوم أخيه سيدي محمد بن علي . له حاشية على الشيخ خليل اختصرها جداً رأيتها عند بعض علماء شرشال ، وزمانه الذي كان فيه هو زمن أخيه المتقدم . ومن ذريته سيِّدي هنى صاحب زاوية كبيرة القدر كثيرة البذر ، يقصدها المتعلمون والمضطرون ، وشهرتها تُغني عن التعريف ، ثم صار أمرها إلى ولده السيد محمد قاضي الناحية ، وهو رجل صموت ، وله جاه معتبر وهمة هامتها في الثريا ، وثروة لا تطاول ، ولم يزل في قيد الحياة ، وكان مدرِّسَها قريبُه علَّامتها الفقيهُ الشيخ محمد بن عشيط ، وفارقها لعلة لا محل لها من الإعراب هنا .

أبو القاسمِ بنُ مُحمدٍ البجائي

أبو القاسم بن محمد بن عبد الصمد الزواوي المَشَدَّالي البجائي .

ولد العلامة محمد بن أبي القاسم صاحب « تكملة حاشية المدونة » للوانوغي الآتي . أخذ صاحب الترجمة عن العالِمَيْنِ أحمد بن عيسى ، وعبد الرحمن

الوغليسي وغيرهما ، وأخذ عنه الإمام أبو زيد الثعالبي وغيره ، وكان موصوفاً بحفظ المذهب ، وهو في بجاية كالبرزلي بتونس ، انتفع به جماعة منهم ولده الإمام العلامة محمد بن أبي القاسم الآتي ، وأبو القاسم بن محمد الزواوي من أكابر أصحاب الإمام السنوسي وقدمائهم ، وأخذ عنه محمد بن عمر الملالي .

[٢٠] أبو القاسم الفجيجي

الفقيه أبو القاسم بن عبد الجبار الفجيجي. له شرح على قصيدة إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي « الصيدية » التي مطلعها :

يلومونني في الصَّيدِ والصَّيدُ جامـــعٌ * لأشياءَ للإنسانِ فيها منافِـــعُ

أبو القاسمِ الكناشي البجائي

ذكر الملالي : أنه كان إماماً عالماً صالحاً ورعاً ، قرأ عليه الإمام السنوسي ، وأخوه أبو الحسن التالوتي « إرشاد أبي المعالي » وعنه أخذ السنوسي التوحيد اه .

أبو القاسمِ المجاجي

الفقيه الشيخ أبو القاسم اليزاغني ، ولد في أول القرن الثالث عشر ، ومات عام أربعة وثمانين منه ، ودفن بمجاجة ، وتفقه بأم عسكر وتلمسان ، وتضلع بالمنقول والمعقول ، وصارت الفتوى إليه من كل ناحية ، وتقلَّد قضاء القضاة بمدينة الأصنام أوائل الاستيلاء الفرنسوي ، وله شرح على « كشف الأستار عن علم الغبار » في علم الحساب للقلصادي الذي اختصره من كتابه « كشف

الجلباب عن علم الحساب » وله أيضاً شرح « ملحة الإعراب » للحريري وشرح « نظم مقدمة ابن آجروم » لابن الفخار ، أجاد فيها .

أبو القاسمِ بنُ محَمّدِ بنِ عيسى

الشيخ العلَّامة ، كان أُعجوبة الزمان في الحفظ والاطلاع ، وقوة الفهم والإدراك ، ارتحل مغرباً ، ودخل الجزائر ومازونة وملیانة ووهران ، ثم رجع إلى زواوه ، فأخذ بها عن علامة وقته الشيخ محمد أبي داود ، ثم رجع واشتغل بالتدريس ، وتولَّى الكتابة للحاج أحمد باي . توفي رحمه الله في قسنطينة سنة ١٢٣٤ .

[٢١] أحمدُ بنُ أحمدَ التلمساني

أحمدُ بن أحمد بن محمد المصمودي الماجري التلمساني ، الشيخ الفقيه الحاج الرحلة أبو العباس ، روى بالمدينة على الجمال الكازروني المدني الشافعي ، وعن أبي الفرج ابن الإمام أبي بكر العثماني ، هكذا وقع في « فهرسة » ابن غازي ، وذكر أن شيخه أبا عبد الله محمد بن يحيى بن جابر الغساني أخذ عنه .

أحمدُ بن إدريسَ البجائي

الإمام العلامة الصالح المحقق كبير علماء بجاية في وقته ، كان وَرِعاً زاهِداً جليلاً إماماً علَّامة بارعاً .

أخذ عنه أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي وأضرابه ، ذكره ابن فرحون

في الأصل وأثنى عليه كثيراً ، وذكر أنه توفي بعد الستين وسبع مئة (٧٦٠) ، وأن له تعليقاً على البيوع من « مختصر ابن الحاجب » اهـ .

وله شرح على ابن الحاجب نقل عنه الناس كالشيخ أبي العباس القلشاني في شرحه ، والإمام محمد بن أبي القاسم المَشدَّالي في اختصاره لمختصر ابن عرفة ، والعلامة أحمد ابن زاغو التلمساني وغيرهم ، وأخذ عنه يحيى الرهوني ، وابن خلدون ، ونقل عنه ابن عرفة ، وسماه الفقيه الصالح ، وذكر الشيخ عيسى بن سلامة البسكري في منافعه أن ثقة حدثه أن الشيخ الإمام العالم الورع أحمد بن إدريس مرَّ بمصاب ومعه بعض الطلبة ، فقرأ في أذنه فأفاق ، فقال له الطالب : يا سيدي وما قرأت في أذنه ؟ فقال : الفاتحة ، ففي يوم آخر مر الطالب على مصاب ، فقرأ الفاتحة في أذنه ، فتكلم الجان ، وقصد الطالب وقال له : هذه الفاتحة وأين قلب ابن إدريس . ويشهد لهذا ما قاله الصفاقسي الشهير بابن التين في « شرح البخاري » قال : الرقي بالمعُوِّذات وغيرها من أسماء الله هو الطب الروحاني ، وإذا كان على لسان الأبرار حصل الشفاء بإذن الله ، فلِعزَّة هذا النوع فزع الناس للطب الجسماني . قال الشيخ السيوطي ويشير إليه حديثُ « لو أنَّ رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال »[1] اهـ .

ومن فوائد صاحب الترجمة ما ذكره المسيلي وغيره عنه من نظر إلى جدي بنات نعش ، وقال : أيها النجم الثاقب [(إنْ كُلُّ نفسٍ لَمَّا عليها حافِظٌ)[2]

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » ٣١٣/١٢ ، من طريق عفيف بن سالم الموصلي ، عن ابن لهيعة ، عن عبد الله بن هبيرة ، عن حنش الصنعاني قال : مر عبد الله بن مسعود بمصاب ، فقرأ عليه في أذنه : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ قال : فبرأ ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال » ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » ١٧/٥ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، وابن السني ، والحكيم الترمذي ، وأبي يعلى ، وابن مردويه (ش) .

(٢) سورة الطارق : الآية ٤ .

(فمنَّ اللهُ علينا ووقانا عَذَابَ السَّمُومِ)[1] (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ)[2] (وَلَهُ ما سَكَنَ في اللَّيلِ والنَّهارِ وهُوَ السَّمِيعُ العليمُ)][3] لم تلدغه عقرب ما بقي من عمره ، وإن لدغته لم تضره وذكر أنه جرّب فصحّ .

[٢٢] أحمدُ ابن الأستاذ الندرومي

أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الأستاذ الندرومي . أخذ عن الحفيد ابن مرزوق ، وارتحل إلى القاهرة ، وتصدَّر فيها للإقراء ، وله تآليف منها « اختصار شرح شيخه الحفيد علي جمل الخونجي » اختصاراً حسناً ، وكان حياً بعد سنة ٨٣٠ .

أحمدُ اقيت التنبكتي

أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن علي بن يحيى ، قال سيدي أحمد بن بابا والدي الفقيه العالم ابن الفقيه العالم بن أحمد ابن الفقيه أبي حفص : كان رحمه الله علامة فهامة ذكياً دراكاً محصّلاً مفنناً محدِّثاً أُصولياً بيانياً منطقياً مشاركاً .

أخذ عن إمام بلده وبركة عصره عمه محمود بن عمر وغيره ، ورحل سنة ست وخمسين للمشرق ، فحج وزار ، ولقي هناك جماعة كالناصر اللقاني ، والشريف يوسف الأرميوني تلميذ السيوطي ، وجمال الدين ابن الشيخ زكرياء ،

---

(١) سورة الطور : الآية ٢٧ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٣٧ .
(٣) سورة الأنعام : الآية ١٣ .

والشيخ التاجوري ، والأجهوري وتلك الطبقة واستفاد منهم . ولقي بمكة وطيبة خلقاً كأمين الدين الميموني ، وابن حجر المكِّي والعلائي ، وبركات الحطاب ، وعبد العزيز اللمطي ، وعبد المعطي السَّخاوي ، وعبد القادر الفاكهاني ، وغيرهم وأجازه بعضُهم ، ولازم أبا المكارم محمد البكري ، وتبرك به ، وقيَّد عنه فوائد ، ثم رجع .

سيِّدي أحمدُ التارفي اللَّمتوني

الشيخ الوليُّ الجليل الشهير القدوة العالم العارف بالله الكبير أبو العباس أحمد المدعو بالصادق ، ولقباً له ، ابن الشيخ الولي الكبير أويس بن عبد القادر التارفي اللمتوني القاطن بأفزر ، بالقاف المعقودة والزاي بعدها ، مدينة بصرف بلاد السودان ، زاويته هناك شهيرة وهو وأولاده بها مزارة كبيرة .

وممن أخذ عنه الشيخ الفقيه العارف أبو العباس اليمني ، كان كثيراً ما يعظم صاحب الترجمة ، ويُثني عليه التعظيم البالغ والثناء الكثير ، ويذكر مآثره ومفاخره ، سمعه عمُّ والدنا يقول : إن طريقته ـ أي صاحب الترجمةَ ـ سهروردية ، رأيت ذلك بخطه قال سيدنا الجد في « نزهة الفكر » : وأخبرني بعض الفضلاء والثقات الضابطين الأثبات ممن دخل بلاد السودان ، ومرَّ بأرض التوارق ، ولقي أولاد الشيخ الصادق عنه أنه كان يقول : إن بالمغرب الأقصى داراً [٢٣] شهيرة ، هم منا ، وهم أولاد الشيخ أبي بكر الدلائي ، وناهيك به صدقاً وبصيرة ، هو العمدة فيما يقول وإليه منتهى صدق هذا المنقول ، فقوله رضي الله عنه : هم منا ، يحتمل من عشيرته وبني عمه الأقربين ، وإن بين الدارين نسباً قريباً ، وأما أن يكون نسبهما لقرابة العلم إذ كل من الدارين دار علم وولاية ، ويحتمل أنه من جملة لمتونة ، جماع جميعهم ، والتوارق

بالقاف المعقودة ، كلهم من لمتونة بلا ريب ، حسبما ذكره المؤرخون ، وهو معلوم أيضاً عند جميعهم ، وهم ذوو عدد وشوكة وجرأة اهـ .

سيِّدي أحمدُ التجاني

الشيخ الواصل القدوة الكامل الطود الشامخ العارف الراسخ ، جبل السنة والدين ، وعلم المتقين والمهتدين ، العلامة الدراكة المشارك الفهَّامة ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، الفائض النور والبركات على سائر الخليقة ، الواضح الآيات والأسرار ، مَعْدِن الجود والافتخار ، البحر الزاخر الطام ، المعترِف بخصوصيته الخاص والعام ، نادرة الزمان ومصباح الأوان ، القطب الجامع الغوث النافع ، أبو العباس مولانا أحمد بن الوليِّ الكبير والعالم الخبير أبي عبد الله محمد فتحا ابن المختار بن أحمد بن محمد فتحا ابن سالم الشريف الحسني الكاملي التجاني ، يُرفع نسبه إلى الإمام محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل .

كان رحمه الله من العلماء العاملين ، والأئمة المجتهدين ، ممن جمع بين شرف الجرثومة والدين ، وشرف العلم والعمل واليقين والأحوال الربانية الشريفة والمقامات العلية المنيفة والخوارق العظام والكرامات الجسام ، قوي الظاهر والباطن ، كامل الأنوار والمحاسن ، عالي المقام راسخ التمكين والمرام ، بهيّ المنظر جميل المظهر ، منور الشيبة عظيم الهيبة ، جليل القدر شهير الذكر ، ذا صيت بعيد وعلم وحال مفيد ، وكلمة نافذة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عائدة .

ولد سنة ١١٥٠ بقرية عين ماضي ونشأ بها في عفاف وأمانة وحفظ وصيانة ، مقبلاً على الجد والاجتهاد ، مائلاً إلى العزلة والانفراد ، مشتغلاً بالقراءة معتاداً للتلاوة ، فحفظ القرآن وهو ابن سبعة أعوام ، ثم اشتغل بطلب العلوم حتى

رأس فيها ، وحصّل معانيها ، ومن شيوخه فيها العلامة العارف سيدي المبروك ابن بوعافية المضاوي التجاني ثم ارتحل إلى ناحية المغرب لفاس وأحوازها سنة ١١٧١ ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وسمع فيها شيئاً من الحديث ، وبقي يجول بقصد الزيارة والبحث عن أهل الخير ، وأول من لقي حينئذ
[٢٤] من المشايخ الكُمَّل القطب مولاي الطَّيِّب الوزاني بِوَزَّان ، وتبرك به ، وأخذ عنه ، وأذِنَ له في تلقين الأوراد إلا أنه امتنع من التلقين لاشتغاله بنفسه ، ولقي أيضاً القطب مولاي أحمد الصقلّي إلا أنه لم يأخذ عنه شيئاً ، بل لم يكلمه بشيء أصلاً ، ولقي الوليّ الصالح سيدي محمد بن الحسن الوانجلي من بني وانجل ، من جبال الزبيب بمحله ، وتبرك به ، ولم يأخذ عنه ، ولقي بفاس العارف بالله سيدي العربي ابن عبد الله معن الأندلسي ، وتبرك به ودعا له بخير ، وأخذ بها الطريقة القادرية على يد من كان يُلقِّنها في ذلك الوقت ، ثم تركها بعد حين ، ثم أخذ الطريقة الناصرية عن الوليّ الصالح سيدي محمد ابن عبد الله التزاني الشهير بالريف ، ثم تركها بعد حين أيضاً ، ثم أخذ طريق القطب سيدي أحمد الحبيب السجلماسي الصديقي عن بعض من له الإذن فيها ، ثم تركها بعد مدة ، ثم أخذ عن أبي العباس سيدي أحمد الطواش نزيل تازة ودفينها ، ثم انتقل من المغرب قاصداً بلد الأبيض في ناحية الصحراء ، حيث ضريح سيدي الشيخ ، ومكث هناك خمسة أعوام مشتغلاً بالقراءة والعبادة والتدريس والتلاوة ، وزار في خلالها بلده عين ماضي دار آبائه ، ثم ارتحل منها إلى تلمسان ، وأقام بها مدة يدرس فيها التفسير والحديث وغيرهما ، ويعبد ربه تبارك وتعالى ، إلى أن لاحت عليه بوارق الفتح ومباديه ، وظهر عليه من الخوارق ، وما دان له به شانيه ومعاديه ، وذلك أوائل سنة ١١٨١ ، ثم انتقل من تلمسان قاصداً الحج سنة ست وثمانين (١١٨٦) فمر بتونس فحبسته الأقدار هناك سنة كاملة ، ثم بعدها حج وزار سنة سبع وثمانين ، ولم يزل

يبحث في طريقه عن العلماء والأخيار ، ويتبرك بهم في سائر النواحي والأقطار حتى تبرَّك بعدد كثير منهم ، فلقي بزواوة الشيخ أبا عبد الله سيدي محمد
[٢٥] ابن عبد الرحمن الأزهري (دفين الجزائر) . وأخذ عنه الطريقة الخلوتية . وهو أخذها عن الشيخ الحفناوي ، وبتونس الشيخ عبد الصمد الرحوي . وبمصر الشيخ محمود الكردي المصري العراقي ، وأخذ عنه . وأخذ أيضاً بمكة عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الله الهندي المكِّي من غير ملاقاة له ، إنما كان الشيخ المذكور يراسله مع خادمه ، قال في « جواهر المعاني » : وهو معتمده في العلوم والأسرار والخواص والأنوار . ثم لما كان بالمدينة لقي بها القطب الشهير والعالم الكبير أبا عبد الله سيدي محمد بن عبد الكريم الشهير بالسَّمَّان أحد تلاميذ سيدي مصطفى البكري الصديقي . فأخذ عنه وتبرك به ، ثم لما رجع من حجِّه ووصل تلمسان سنة ثمان وثمانين أقام بها مجتهداً في العبادة والدلالة على الله تعالى ، ثم سافر منها إلى مدينة فاس بقصد
[٢٥] زيارة قطبها وقطب المغرب بأسره مولانا إدريس رضي الله عنه ، وذلك سنة إحدى وتسعين ، فوصل إليها وزاره ، وبقي بها يتردد لزيارته مدة ، ثم رجع لتلمسان ، وأقام بها مدة ، ثم ارتحل منها لناحية الصحراء سنة ست وتسعين ، ونزل بقرية القطب الكبير سيدي أبي سمغون بالسين ، ويقال بالصاد ، ثم سافر منها إلى بلاد توات ، فلقي بعض الأولياء بها منهم سيدي محمد الفُضَيل بالتصغير ، وأخذ عنهم بعض الأمور الخاصة ، واستفادوا منه علوماً وأسراراً في الطريق ، ثم رجع إلى قرية أبي سمغون ، وأقام بها واستوطنها ، وفيها وقع له الفتح الكبير ، وأذن له ﷺ في تلقين الخلق بعد أن كان فاراً من ملاقاتهم ، وذلك في السنة المذكورة ، وهي سنة ست وتسعين ومئة وألف ، ثم لما كان رأس المئة الثانية عشرة وهو بأبي سمغون وقع له الفتح الأكبر والمدد الأغزر على يده عليه الصلاة والسلام ، ومن هذا الوقت والأسرار والأنوار

تترادف عليه ، والوفود من جميع النواحي تقصده وتأتي إليه ، ثم انتقل من بلاد الصحراء من قرية أبي سمغون سابع عشر ربيع النبوي عام ثلاثة عشر ومئتين وألف قاصداً استيطان مدينة فاس ، وكان دخوله لها سادس ربيع الثاني من العام المذكور ، وفي محرم الحرام من السنة التي بعدها وهي سنة أربع عشرة حلَّ رضي الله عنه مقام القطبانية الغوثية ، فنال بذلك من مطلوبه كل أمنية ، وقد كان رضي الله عنه يقول : أخذنا عن مشايخ عِدَّة ، فلم يقض الله عز وجل منهم بتحصيل المقصود ، وسندنا وأستاذنا في هذا الطريق هو سيد الوجود ﷺ ، وقال أيضاً : سندنا في الورد المعلوم النبي ﷺ ، وأما المسبّعات العشر فأخذناها مشافهة عن شيخنا الشيخ محمود الكردي المصري ، وهو أخذها عن الخضر مشافهة ، وأما أحزاب الشاذلي ، ووظيفة زروق ، ودلائل الخيرات ، والدور الأعلى ، فكلها أخذناها بالإجازة فيها عن شيخنا القطب سيدي محمد بن عبد الكريم السَّمّان قاطن المدينة المنورة ، وكان رضي الله عنه يذكر أن النبي ﷺ ضمن له أن من رآه يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب ، وأن الله تعالى أعطاه الشفاعة في أهل عصره من حين ولادته إلى حين وفاته ، وزيادة عشرين سنة بعد وفاته .

وذكر في الأشراف أن والده العلامة الأكبر الصوفي المحدث الأشهر أبا الفيض سيدي حمدون بن الحاج كان يُثني عليه في العلم والمعرفة بالله ويقول : إنه من الكُمَّل ، ومدحه بقصيدة حين كان متوجهاً للحج سنة ١٢٠٥ ، مطلعها :

إنْ شِئْتَ تُصبِح في رياضِ أمـــــانِ ٭ وأردْتَ تَغْدُو في مُنىً وأمَـانِ
فعليكَ بالبَدرِ المُنيرِ سَنَـا أبي العَـــبَّـــاسِ أعـني أحمـــد التجـاني
شمسُ السِّيادةِ قُطبُ دائـرةِ الهُـــدى ٭ بَـدرُ السَّعادةِ كوكبُ الإحسَـانِ
بحرُ النَّـدى مُبدٍ لنا حِكَـماً سَمَـــتْ ٭ كَفَرائِـدٍ في العِقْدِ والتِّيجـــانِ

حَبْـــرٌ إمـــامٌ قد سَمَـــا بمعارِجٍ ... في الصَّالحاتِ ولَمْ يَكُنْ مُتَوَانِ

[٢٦] ومناقبه رضي الله عنه وأحواله كثيرة ، ومن أراد بسطها فعليه بكتب أصحابه .

توفي رحمه الله صبيحة يوم الخميس سابع عشر شوال الأبرك سنة ١٢٣٠ ، وحضر جنازته من لا يحصى من علماء فاس وصلحائها وأعيانها وفضلائها وأمرائها ، وصلى عليه إماماً الفقيه العلَّامة أبو عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم الدكالي ، وازدحم الناس على حمل نعشه ، وكسروا أعواده تبركاً ، ودفن بزاويته المشهورة من حومة البليدة ، وضريحه بها مشهور معظم محترم مزار متبرك به اهـ . من « سلوة الأنفاس » .

سيِّدي أَحمدُ بنُ جيدة المديوني

سيّدي أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن يحيى المعروف بابن جيدة المديوني الجيزري الوهراني ، الشيخ الفقيه الموحِّد المُسِنّ الصالح البركة أبو العباس .

كان رحمه الله يدرس علم الكلام بفاس ، وكان من أهل الفضل والدين والعلم المتين ، أخذ عن فقهاء وهران وتلمسان كالشيخ أبي عبد الله السنوسي ، سمع منه « مقدمته الصغرى » في العقائد لما قدم الشيخ على وهران لزيارة سيدي إبراهيم التازي ، وكتلميذ السنوسي أبي عبد الله محمد بن أبي مدين ، والكفيف ابن مرزوق ، وهو الذي كان يطالع له ، وأبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الوهراني ، وأخذ التصوف عن ابن تاغزوت ، عن أبي إسحاق إبراهيم التازي ، عن الهواري ، وحضر كثيراً عند من أدرك من فقهاء فاس ، وكان يدرِّس « العمدة » و« الرسالة » بكرسي ابن غازي ، وليه بعد موت أبي عبد الله

الغزال تلميذ ابن غازي المذكور ، وأخذ عنه الشيخ أبو العباس المنجور . والشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الخباز القصري وغيرهما .

قال في كتاب « الدوحة » : توفي رحمه الله في العشرة الرابعة بفاس اهـ . وقال في « الجذوة والنيل » توفي سنة ٩٥١ اهـ . زاد في « الجذوة » بمدينة فاس ، وأورده أيضاً في « لقط الفرائد » فيمن توفي في السنة المذكورة في رجب منها ، ويؤيده ما ذكره المنجور في « فهرسته » من أنه توفي قريباً من وفاة شيخه أبي محمد عبد الواحد الونشريسي قبلها ، عن سن عالية تزيد على السبعين بحسب الظن ، ووفاة أبي محمد هذا كما تقدم سنة ٩٥٥ ، وبه يَرِد ما ذكره في « ابتهاج القلوب » من أن صاحب الترجمة توفي وعمره يزيد على التسعين سنة خمس وخمسين أو ست وخمسين وتسع مئة ، والله أعلم .

[٢٧] أحمدُ بنُ الحاجِّ البيدري

أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد البيدري الورنيدي ، عرف بابن الحاج .

أخذ عن سيدي أحمد بن محمد بن زكري التلمساني الأصولَ والمنطقَ والمعاني والبيانَ والعربيةَ والحسابَ ، وكان شاعراً ماهراً ومعاصراً للإمام محمد بن غازي ، وكل منهما يُلغِز لصاحبه بالمسائل نظماً ، ويجيبه نظماً ، فمما بعث به إليه ابن غازي قوله :

ومَيْتُ قَبْرٍ طَعْمُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ * إذا ذاقَ مِنْ ذاكَ الطَّعام تَكلَّمَا
يَقُومُ فيمشي صامِتاً متكلِّماً * ويأوي إلى القَبْرِ الذي مِنْهُ قُوِّما
فلا هُوَ حَيٌّ يَسْتَحِقُّ زِيَارَةً * ولا هُوَ مَيْتٌ يَسْتَحِقُّ تَرحُّمَا

فأجابه سيدي أحمد بن الحاج :

بِحَمْدِ الإلـهِ أبتـدي ثُـمَّ بَعْـــدَهُ * أُصـلِّي على خَيْرِ الأنـــامِ مُسَلِّمَا
هُوَ القَلَمُ القَبْرُ الدَّواةُ وطَعْمُـــهُ * مِدادُ كلامِهِ الكِتابَةُ فَافْهَمَـا
وكاتِبُ هذا أحمدُ بنُ مُحمَّـــــدِ * عفا اللهُ عنهُ كـلَّ ما كانَ أجْـرَمَا

وتخرَّج عليه جماعة كسيدي الحاج بن سعيد ، ولد أخته ، وسيدي محمد ابن جلال المديوني ، أخذ عنه القراءات السبع والعربية والتصوف ، وسيدي **عبد الرحمن اليعقوبي ، وشرح** « سينية ابن باديس » وشرح « البردة » **ولم يكمله ، فقيل له** : في ذلك ، فقال : انتقلت من رتبة إلى رتبة أعلى منها ، جمع فيه بين شرح الحفيد ابن مرزوق وشرح العقباني ، وشرح سيدي علي بن ثابت رضي الله عن الجميع ، وزاد فيه معنى وإعراباً رضي الله عنه وأرضاه عنا ، وكان يخدم نفسه بنفسه ، والمعاصرون له يسمونه سيدي أحمد الجبلي لأنه من جبل بني ورنيد .

توفي في حدود سنة ٩٣٠ ودفن في روضة فيها أبوه سيدي الحاج في بلد بني إسماعيل من جبل بيدر ، وله يطلب الإجازة من سيدي أحمد بن زكري :

إجازةٌ تعمُّـــــه ونسلـــــــه * حاويـــةٌ معنـى الـذي سِيقَتْ لَهُ
تَقضـــي لَهُ بالمَجْـدِ والتَّعـــزُّزِ * وتَبْسُطُ البَذْلَ بوعدٍ مُنْجَـزِ
وتقتضي رِضَـــى بِغَيْـرِ سُخْـطِ * تُغْنِيْـهِ عَنْ نَوالِ كُلِّ مُعْـطِ
مطْلَقَةً في الفقهِ والنَّحوِ ومـــــا * سِوَاهُمَا والقَيْـدُ لَنْ يُلتزمَـا
لأنَّها كـلَّ العُلومِ شَمِلَـــــتْ * إنْ تَكُ مِمَّا قُيِّدَتْ بِهِ حَلَتْ
ولا تُخَصِّص نَوْعَ ما قد يَحْسُـــنُ * لأنَّ قَصْدَ الجِنْسِ فيـهِ بيِّـنُ
وما يكونُ منهُ منقوصاً ففـــــي * صُحبتِهِ إيَّاكَ ما بِهِ يفـــي
وانقُـلْ بها للثَّـــاني حُكْـمَ الأوَّلِ * مِمَّا روى عَنِ الشُّيُـوخِ الأُوَّلِ
حتَّـى يَرى إذا بهـــا يَنْفَصِـــلُ * كَحَالِـهِ إذا بها يتَّصِـــلُ

[٢٨] عَجِّلْ بها فإنَّني بها كَلِفْ * وأوْلها ما كانَ قَبْلُ قَدْ أُلِفْ
وما يُرى مِنْ نَسْلِهِ قَد تَبِعَهْ * كالأَوَّلِ اجْعَلْهُ بلا مُنَازَعَهْ
وما يكُونُ للذي قَدْ سَبَقَا * للثَّاني والثَّالثِ أيضاً حُقِّقَا
جوازُ ذا عَنِ المشَايخِ اتَّضَحْ * فما أُبيحَ افْعَلْ ودَعْ ما لم يُبَحْ
وقَدْ مَضَى بالشَّرطِ ذِكْرُ ما اتَّفَقْ * والغَرَضُ الآن بَيَانُ ما سَبَقْ
والله ثُمَّ الله في الإمضَاءِ * ولو تَوالَتْ زُمَرُ الأعْدَاءِ
ورغبةٌ في الخيرِ خيرٍ وعَمَلْ * برٌّ يزينُ مَنْ يَثِقْ بِهِ اشتَمَلْ
فأنْتَ إذ بلَّغتني السَّبيلا * مُستوجِبٌ ثنائيَ الجميلا
واللهُ يقضي بهباتٍ وافِرة * لي ولكُمْ في هذهِ والآخِرهْ
وما بجمعِهِ عُنيتُ قَدْ كَمَلْ * فالحمدُ للهِ الذي أعطى الأمَلْ
يا مَنْ يُنادي طالباً لَنْ يُقْصَدَا * ما للندا يَصْلُحُ نَحْوُ أحمدا
اقصِدْ أبا العباس بيتَ العُرْفِ * فذاكَ ذُو تصرُّفٍ في العُرْفِ
وسيدي يُدني القَصِيَّ إن دَنَا * ورَجُلٌ مِنَ الكرامِ عِنْدَنَا
ولُبْسُ ثوبٍ للمعالي والهُدى * ولا يُصلي إلَّا اختياراً أبدا
وتابِعٌ هَدْيَ النَّبيِّ المقدَّسَا * فهوَ بِهِ في كلِّ حُكْمٍ ذو اقتِبَاسَا
ما إنْ ترى عيناكَ من كُتْبِ المَلَا * ما ليسَ معناهُ لَهُ مُحَصَّلا
حَبْرُ العُلومِ في ليالٍ تذكُرُ * وذاكَ في ظَرْفِ الزَّمانِ يَكْثُرُ
وَهْوَ لِكُلِّ مُعْضِلٍ شريفِ * مبدي تأوُّلٍ بلا تَكْليفِ
وحائدٌ عَنِ القياسِ كُلَّمَا * وَجَدَ ذاكَ ثابتاً مُسَلَّمَا
وصادعٌ أربى على الأكابرِ * ثُبوتَ قَصْرٍ بقياسٍ ظاهِرِ
أُقْسِمُ باللهِ الذي هَدَى لذا * لَقَدْ سَمَا على العِدَا مُستَحْوِذَا
وما لنا غَيْرُهُ نرجُو أَبَدَا * فمالنا إلَّا اتِّباعُ أحمدَا
وما سِوَاهُ ناقِصٌ والنَّقصُ في * متَّبعِيهم ظاهِرٌ غَيْرُ خَفِي

فلا تَقِسْ حَبْراً بِهِ ولَوْ نَفَذْ * وعَنْ سَبيلِ القَصْدِ مَنْ قاسَ انتَبَذْ
وزكِّهِ تزكيةً وأجْمِلَا * في وَصْفِهِ إجمالَ ما قَدْ فصَّلا
يا مَنْ على كلِّ الورى لَهُ أتى * زيدٌ منيرٌ وجهُهُ نِعْمَ الفتى
كلُّ امتنانٍ مِنْ لَدُنْكَ قَدْ حَصَلْ * مِنْ صِلَةٍ أو غَيرِها نِلْت الأمَلْ
فَرِّجْ دُعاءً مُسْتغيثٍ وَجِلِ * مُرَوَّعَ القَلْبِ قليلَ الحِيَلِ
وَجَوِّزَنْهُ مُطْلَقاً في كلِّ ما * يُجيزُ فيه مَنْ لِذَاكَ كُلِّمَا
أحصَى مِنَ الكافيةِ الخُلاصَهْ * كما اقتضى غِنىً بلا خَصَاصَهْ
ثُمَّ الصلاةُ والسَّلامُ قُلْ على * مُحمَّدٍ خير نبيءٍ أُرسِلَا
وآلِهِ والتَّابِعِيْنَ إثْرَهْ * وصَحْبِهِ المُنْتَخَبِينَ الخِيَرَهْ

[٢٩] أحمدُ بنُ أبي حجلة التلمساني

هو كما في كتابه « مغناطيس الدُّرِّ النفيس » : **شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد المغربي مولداً الدمشقي منشأً ، نزيل القاهرة ، الشهير بابن أبي حجلة** ، مولده بالمغرب سنة خمس وعشرين وسبع مئة **(٧٢٥)** بزاوية جده الشيخ الصالح الزاهد أبي حجلة عبد الواحد ، قدَّس الله روحه ونور ضريحه ، وكني جده بذلك لصلاح حاله ، وتعلق الحجل والوحوش بأذياله . وزاوية جدّه بالمغرب مشهورة ، وأحاديث بركته مأثورة ، يؤخذ منها التراب لطلب الدواء والتماس الشفاء ، وقَدِم من المغرب مع أبويه وإخوته فبلغوا السول بزيارة الرسول ﷺ ، ثم تنقلت به بعد موتهم الأحوال ، وشاهد بمصر بعد رؤية أبي الهول الأهوال ، فصنف كتابه « غرائب العجائب وعجائب الغرائب » وفيه يقول :

هذا الكتابُ ذكرتُ فيه عجائِبَاً * تُغني النَّديمَ عنِ المُدَامةِ والطَّرَبْ

يَهْتَزُّ سامِعُهَا لطِيْبِ حَدِيثِهَا إلَّا حسوداً ليسَ يُعجِبُهُ العَجَبْ

وله أكثر من ثمانين مصنفاً في الحديث والفقه والنحو والأدب . وله شعر ونثر في كتابه « ديوان الصبابة » . انتهى ما كتبه سيدي مصطفى عبد الله التفهناوي على ظهر كتاب « تزيين الأسواق في تفصيل أحوال العشاق » للشيخ داوود الأنطاكي المهمش « بديوان الصبابة » للمترجم . وهو مطبوع بالمطبعة البهية العامرة الأزهرية بمصر المحروسة المحمية . إدارة درة الفضل والامتنان السيد محمد رمضان آخر شهر الحجة سنة ١٣٠٨ هجرية . على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحية آمين .

أقول ومن نظم ابن أبي حجلة ونثره في « ديوان الصبابة » ما يأتي ذكره :

الحمد لله الذي جعل للعاشقين بأحكام الغرام رضىً ، وحبب إليهم الموت في حب مَنْ يَهْوَوْنه ، فلا تكن يا فتى بالعذل معترضاً ، فكم فيهم من عاشق ، ومحب صادق :

رأى فحَبَّ فرامَ الوَصْلَ فامتنعُوا * فسَامَ صَبْراً فأعيا نيلَهُ فَقَضَا

(أحمده) حمد مَنْ خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، وشبَّب بذكر محبوبه إن كان تهامياً في حجاز أو شامياً في نوى :

طوراً يمانٍ إذا لاقيتَ ذا يَمَنٍ * وإنْ لَقِيْتَ مَعَدِّيّاً فَعَدْنانِي

وأشهد أن لا إله إلَّا اللهُ ، وحده لا شريكَ له الحميد المجيد ، شهادة مَنْ أصبح موته لبعده أقرب من حبل الوريد ، وقال لعاذله : لقد علمت ما لنا في بناتك من حقّ وإنَّك لتعلم ما نزيد :

ولو أنَّ ما بي مِنْ حبيبٍ مُقَنَّعٍ * عَذَرْتُ ولَكِنْ مِنْ حبيبٍ مُعَمَّمِ

[٣٠] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، شهادة من أخلص في موالاته ، وتبرّأ من

الإثم حين تولّى عنه محبوبه بخاتم ربه وبراءته ، ﷺ وعلى آله وأصحابه الذين يحبهم ويحبونه ، ويقفون عندما أمرهم ولا يتعدونه ، ماذر شارق ، وهام عاشق ، (أما بعد) : فإن كتابنا هذا كما قيل :

كتابٌ حوى أخبار مَنْ قَتَلَ الهـوَى * وسارَ بِهِم في الحُبِّ في كلِّ مَذْهَبِ
مقاطيعُهُ مِثْلُ المواصيلِ لم تَـــزَلْ * تُشَبِّبُ فيهِ بالرَّبـابِ وزَيْنَـبِ

فهم ماهم ، تعرفهم بسيماهم ، قد تركهم الهوى كهشيم **محتظر** ، وأصبحوا من علة الجوى على قسمين : فمنهم مَنْ قضى نحبه ، ومنهم مَنْ ينتظر ، فهم ما بين قتيل وشهيد ، وشقي وسعيد ، على اختلاف طبقاتهم وأشكالهم ، وتباين مراتبهم وأحوالهم ، وغير ذلك مما تصبح به أوراقه يانعة الثمر ، وتمسي به صفحاته في كل ناحية من وجهها قمر :

فإذا نظرتَ إلى الوُجُودِ بأســـرِهِ * شاهَدْتَ كُلَّ الكائناتِ مِلَاحَـا

على أن جماعة من العصريين غلبوا من تقدم بالتأليف في هذا الباب ، ولم يفرق غالبهم في التشبيب بين زينب والرباب :

وكُلٌّ يـدَّعي وَصْـلاً بليلـــى * وليلى لا تُقِرُّ لَهُـم بِـذَاكـا

فريع كتابنا هذا بذكر العامرية معمور ، وهو بالنسبة إلى ما ألفه الشهاب محمود مشكور ، ومن وقف عليه علم صحة هذا الكلام ، وأنشد في تصديق هذه الدعوى إذا قالت حذام ، مؤلف « طوق الحمامة » بالنسبة إلى حجلته يخجل ، وصاحب « منازل الأحباب » ممن عرف المحل فبات دون المنزل :

وعذَرْتَ طيفَكَ في الجفاءِ لأنـــه * يسري فَيُصبحُ دوننا بمراحِـلِ

(آخر)

فيا دارها بالخَيْـفِ إنَّ مزارَهَـــا * قريبٌ ولكِنْ دُوْنَ ذَلِكَ أهوالُ

فإن قلت : الفضل للمتقدم ، وهل غادر الشعراء من متردم ، قلت : نعم في الخمر معنى ليس في العنب ، وأحسن ما في الطاووس الذنب :

فَدَعْ كُلَّ صوتٍ بَعْدَ صوتي فإنني * أنا الصَّائِحُ المَحْكِيُّ والآخَرُ الصَّدَا

فكم ترك الأول للآخر ولا اعتبار بقول الشاعر :

نَقِّلْ فُؤادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى * ما الحُبُّ إلَّا للحبيبِ الأوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ في الأرْضِ يألفُهُ الفَتَى * وحَنينُهُ أبداً لأوَّلِ مَنْزِلِ

فقد سُقط في يديه ، وقيل في الرد عليه :

افخَرْ بآخِرِ مَنْ كَلِفْتَ بحُبِّهِ * لا خَيْرَ في حُبِّ الحبيبِ الأوَّلِ
أَتَشُكُّ في أنَّ النَّبيَّ مُحمَّداً * سادَ البريَّةَ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلِ

[٣١] وقال ديك الجن الحمصي يرد على حبيب قوله المتقدم :

كَذَبَ الذينَ تحدَّثوا إنَّ الهوى * لا شَكَّ فيه للحبيبِ الأوَّلِ
ما لي أحِنُّ إلى خَرَابٍ مُقْفِرٍ * دَرَسَتْ مَعَالِمُهُ كَأَنْ لَمْ يُؤهَلِ

فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن المذكور :

كَذَبَ الذينَ تَخَرَّصُوا في قولِهِم * ما الحُبُّ إلَّا للحبيبِ المُقْبِلِ
أَفَطَيِّبٌ في الطَّعْمِ ما قَدْ ذُقْتَهُ * مِنْ مَأْكَلٍ أو طَعْمِ ما لم يُؤكَلِ

فقال ديك الجن أيضاً حين بلغه قول حبيب هذا :

ارغَبْ عَنِ الحُبِّ القديمِ الأوَّلِ * وعَلَيْكَ بالمُسْتَأْنَفِ المُسْتَقْبَلِ
نَقِّلْ فُؤادَكَ حَيْثُ شِئْتَ فَلَنْ تَرَى * كَهَوَىً جديدٍ أو كَوَصْلٍ مُقْبِلِ

وقال أبو البرق وسلك بينهما جادة **الإنصاف** ، وبقوله يجب الاعتراف ، لأنه أحسن في المقال ، حيث قال :

زادُوا على المعنى فَكُلٌّ مُحسِنٌ * والحَقُّ فيهِ مقالةٌ لم تُجْهَلِ
الحُبُّ للمحبوبِ ساعةَ وَصْلِهِ * ما الحُبُّ فيهِ لآخِرٍ ولأوَّلِ

على أني لم أجحد ما في «منازل الأحباب» من ذكرى حبيب ومنزل، ولا تحملت على منصبه فواعجبا من قلبي المتحمل، ولكن قصدت التنبيه على أن حسن التأليف مواهب، وأن للناس فيما يعشقون مذاهب، ومعلوم أن الجنون فنون، وكل حزب بما لديهم فرحون، ولم يزل كتابنا هذا في مسوداته منذ حجج، وبيوته من بحورها في لجج، لا أبيح ما فيه من منازل الأحباب لساكن، ولا أمكِّن عاشقاً من المرور بتلك الأماكن:

أغارُ إذا آنست في الحيّ نارَه * حَذَارِ وَخَوفاً أنْ تَكُونَ لحبه

حتى برز لطلبه المرسوم الشريف الملكي الناصري أدام الله نشر أعلامه ولا أخلى كنانه من سهامه، ما نفذت مراسيم سهام المقل، وتثنى قوام الحبيب الذي طاب به الزمان واعتدل، فبادرت إلى تجهيزه، وسبك **إبريزه حسب** المرسوم الشريف، من غير تسويف ولا تكليف، ولم أبح زهر منثوره لغير حضرته الشريفة من الأنام، لأنه كان يقال: كل ما يصلح للمولى على العبد حرام، لا جرم أنه جاء بنظره السعيد نزهة النظر، وقال الواقف على عتبة بابه: إن السعادة لتلحظ الحجر، فهو للسلطان بستان، وللعاشق سلوان، وللمحب الصادق حبيب موافق، وللمهجور نجوة، وللنديم قهوة، وللناسي تذكرة، وللأعمى تبصرة، وللشاعر المجيد بيت القصيد، وللأديب الماهر مثل سائر، وللمحدث قصص، وللحاسد غصص، وللفقيه تنبيه، وللحبيب بالقمر تشبيه:

[٣٢] تُبَادِرُهُ بالبَدْرِ مِنْهُ بَوَادِرُهُ * وتَحْلُو لَهُ عِنْدَ المرورِ نَوَادِرُهْ
فَقِيهٌ لَهُ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ * حبيبٌ مُلِمٌّ أو نديمٌ يُسَامِرُهْ

ولي فيهِ نظمٌ إنْ تضوَّعَ نَشْـــرُهُ * ففي طَيِّهِ حُـرُّ الكلامِ ونـادِرُهُ
ولي فيهِ منثورٌ غَـدَا في مقامِـــهِ * وعُرْفِ سَنَاهُ مُشْرِقَ الروْضِ عاطِرُهْ
ولي فيهِ من سِحْرِ البَيَـانِ رسائِـلٌ * إذا ما جفاني أحورُ الطَّرْفِ ساحِرُهْ
ولي فيهِ أسرار الحروفِ لأنَّـــهُ * يُنَقِّطُهُ دَمعي فَتبدُو سَرائِـرُهْ
فمنثورُ دَمعي مِثْلُ نَظْمِ سُطُـــورِهِ * خُدودي إذا ما خُطَّ فيها دفاتِرُهْ
تمدُّ مدادَ الدَّمعِ أقلامُ هُـدْبِـــهِ * فدمعي حِبْـري والسَّوادُ محابِرُهْ
خَدمْتُ بديوان الصَّبابـةِ عامِـلاً * فباشَرَ قتلي مَنْ سبانِـيَ ناظِـرُهْ
فلولا الهَوَى ما ماتَ مثليَ عاشِـقٌ * ولا عَـمَرَتْ بالعامِـرِيِّ مقابِرُهْ
وفي غزلي ذِكْرُ الغزالِ ومرْبَـعٌ * تطارحني فيهِ الحديث جآذِرُهْ
أنَزِّهُـهُ عن وَصْفِ خِدْرِ عُنيـزةٍ * ومَنْزِلِ قَفْرٍ سرن عنهُ أباعِرُهْ
تجرُّ قوافيهِ مَعَانٍ غدَا بهـــا * جريرٌ كعبدٍ أوثقَتْـهُ جـرائِرُهْ
يَشيبُ بها فَوْدُ الوليدِ لأنَّـــهُ * يسيرُ وجُنْحُ اللَّيلِ سودٌ ضفائِرُهْ
ولستُ أرى يوماً بـدارةِ جُلْجُـلٍ * سوى شاعرٍ دارَتْ عليهِ دوائِرُهْ
إذا ما نسي ذكرى حبيبٍ ومنـــزلٍ * فإنِّي لِمَنْ أهواه ما عِشْتُ ذاكِرُهْ
أُجَاوِرُ في سَفْحِ المُقَطَّمِ جيـرةً * فيا حبَّذا المحبوبُ حينَ تُجَاوِرُهْ
فيا طيفَ مَنْ أهواهُ طَرْفي إنْ غَفَـا * أتهجُرُهُ باللهِ أمْ أنتَ زائِـرُهْ
وحقِّكَ لو سايَرْتَهُ بعضَ ليلـــةٍ * لسايَرْتَ صبّاً ماتَ في الحُبِّ سائِرُهْ
يُـمَثِّلُكَ الشَّوقُ الشَّديدُ لطَرْفِـــهِ * فتجري بهِ كالحاجـريِّ مَحَاجِرُهْ
ويأتيه طَيْفٌ مِنْ خيالِكَ طـــارِقٌ * فيُطْرِقُ إجلالاً كأنَّكَ حاضِـرُهْ
وبي مَنْ يحُجُّ الغُصنَ رمحُ قوامِهَـــا * إذا باتَ في الرَّوضِ النَّضير يُناظِرُهْ
إذا أقبلَتْ في الحلي والطِّيبِ قيل لـي : * حبيبُكَ بستانٌ تَضُوعُ أزاهِـــرُهْ
فإن رُمْتَ منها وهي غَضَبى التفاتـــةً * ثَنَتْ عِطْفَهَا نحوَ الغزالِ تُشَاوِرُهْ
أُبَرِّدُ مـا ألقاه مِنْ حرِّ هَجْرِهـــا * وقد حَمِيَتْ يوماً عليَّ هواجِـــرُهْ

تحصَّنتْ في حِصْنِ الهوى مِنْ عواذلي * وباتَ لقلبي جيشُ هَمٍّ يُحَاصِرُهْ
ولو لم يَكُنْ أعمى البصيرةِ عاذلي * لما عَمِيَتْ عَمَّنْ هويتُ نواظِرُهْ
يُشَبِّهُهَا بالغُصْنِ والغُصْنُ عِنْدَهَا * يُشاهِدُها يُغضي ويُطْرِقُ ناظِرُهْ
وللغُصْنِ خَدٌّ كالشَّقيقِ إذا بَدَا * وشَعْرٌ كجُنْحِ الليلِ سُودٌ غدائِرُهْ
لَئِنْ طابَ ذُلِّي في هواها فإنَّني * وحقِّكَ مِمَّنْ عَزَّ في مِصْرَ ناصِرُهْ
مليكٌ يهُزُّ الرُّمحَ أعطافُ قَدِّهِ * كما اهتزَّ غُصْنٌ طارَ في الحُبِّ طائِرُهْ
مليكٌ تُريهِ قَبْلَ ما هُوَ كائِنٌ * بصيرتُهُ أضعافَ ما هُوَ ناظِرُهْ
مليكٌ إذا ما جِئْتَهُ حَسَنُ اللِّقَا * جميلُ المُحيَّا بارعُ الحُسْنِ باهِرُهْ
[٣٣] مليكٌ إذا ما سارَ كالبَدْرِ في الدُّجَا * فأولادُهُ مثلُ النُّجومِ تُسايرُهْ
مليكٌ أرى مِن حولهِ كلَّ عالِمٍ * يُذكِّرُهُ في العِلْمِ ما هُوَ ذاكِرُهْ
مليكٌ لهُ في كلِّ يومٍ وليلةٍ * بشيرٌ توالَتْ بالهَنَاءِ بشائِرُهْ
مليكٌ أُسودُ الغابِ تحذَرُ بأسَهُ * لأنَّ ملوكَ الأرضِ طُرًّا تُحاذِرُهْ
تَروعُهُمُ شُهْبُ السَّمَا وبُروقُهُ * وما هي إلَّا سُمْرُهُ وبَواتِرُهْ
إذا اقترعَتْ أشكالُ حالَ اجتماعِهِم * فأيُّ ضميرٍ لَمْ يُدَسْ فيهِ ضَامِرُهْ
وأيُّ كُماةٍ لم يَرُعْهُم نِزالُهُ * وأيُّ مَكَانٍ ما عَلَتْهُ منابِرُهْ
وأيُّ قَصيدٍ بحرُها لَمْ يَرُقْ لَهُ * وغائِصُ فِكْري ناظِمُ الدُّرِّ ناثِرُهْ
ولي فيهِ مِن غُرِّ التصانيفِ خَمْسَةٌ * وهذا الذي طَوْقُ الحمامةِ عاشِرُهْ
يَضُوعُ به المنثورُ كالزَّهرِ عندما * تُراوِحُهُ رِيْحُ الصَّبَا وتباكِرُهْ
فَكَمْ فيه لي من مرقصٍ حَوْلَ مُطْرِبٍ * بتشبيبِهِ في الحيِّ يُطرِبُ زامِرُهْ
ولو لَمْ يَكُنْ مِثْلَ السَّكَرْدانِ ما غَدا * بحَضْرَتِهِ يوماً تطيبُ حواضِرُهْ

نعم اللفتة باسم مولانا السلطان على الوجه المشروح . وتوليت لأجله عمله بنفسي فجاء كما قيل عمل الروح للروح :

أهيمُ بِمَنْ هامَ الحبيبُ بحُبِّـــــــهِ * ألا فاعْجَبُوا مَنْ ذا الغَرَام المُسَلْسَلِ

وسلكت في تأليفه الاختصار على النوادر القصار لأنه كان يقال : الوضع وضعان ، وضع له افتخار ، ووضع له نجار ، وقال يحيى بن خالد لولده : اكتبوا أحسن ما تسمعون ، واحفظوا أحسن ما تكتبون ، وحدثوا بأحسن ما تحفظون ، وخذوا من كل شيء طرفاً ، فإنه من جهل شيئاً عاداه ، (وسميته) « ديوان الصبابة » ليصبح الواقف عليه مولهاً ، ويعلم أنه إن لم أكن أنا للصبابة من لها :

ما يَعْلَمُ الشَّوقَ إلَّا مَنْ يُكابِـــــدُهُ * ولا الصَّبابةَ إلَّا مَـنْ يُعانيهَـا

وفي آخر « ديوان الصبابة » ما نصه : (ومنهم قتيل) وهو مما رأته عيناي وسمعته أذناي ووعاه قلبي ، وذلك أني لما كنت في دمشق سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة اتفق أن شاباً من أبناء دمشق جميل الصورة ، عدا على إنسان كان يحبه فقتله ، فحمل إلى الوالي ، فلما سأله أنكر ، فعراه ليضربه بالسياط فتقدم إنسان كان يعشق ذلك الشاب ، وقال للوالي : لا تضربه فإنه ما قتله ، وإنما قتلتُه أنا ، فأحضر الوالي الشهود ، وكتب عليه محضراً بإقراره بالقتل ، وأطلق الشاب ، وكان ايتمش نائب دمشق يومئذ ، فلما حكيت له هذه القصة ، وأطلع على باطنها توقف في قتله ، وأمر بحبسه فلم تمض إلا أيام قلائل حتى حضر أرعون الكاملي من حلب عوضاً عن ايتمش في نيابته بدمشق ، فكان أول شيء حكم فيه من الدماء ، فشنق ذلك العاشق المسكين بمقتضى المحضر المكتتب عليه . ولقد رأيته تحت القلعة وهو مشنوق ، والناس حوله يتأسفون عليه ويذكرون حكايته . ويتعجبون منها ، وحكيت هذه الحكاية للقاضي كمال
[٣٤] الدين بن النحاس . فتعجب منها . وأخبرني عن القاضي زين الدين بن السفاح وأخيه القاضي شمس الدين وجماعة من أهل حلب الموجودين الآن أنهم أخبروا

أن ناصر الدين محمد بن يكتوب ، أحد كتاب المنسوب المعروف بالقلندري ، كان يهوى مغنية لا تزال زرموزتها معه ، في كيس حرير أطلس معلق في رقبته تحت ثيابه ، فإذا حضر في مجلس ولم يتفق حضورهافيه أخرج الزرموزة من الكيس ووضعها قدامه ، وجعل يبكي فإن لم يتفق له بكاء شديد أنشد :

لا مُتِّعَتْ عَيْنُ مُحِبٍّ بمـــــــا * يَسُرُّهـا إنْ هـيَ لَـمْ تُسْجِـمِ

ثم إنه يأمر من حضر بربط رجليه وضربه عليهما حتى يبكي . انتهى ما أخبرني به القاضي كمال الدين .

قلت : ولهذا البيت المتقدم حكاية غريبة وهي ما حكاه المسترد عن النميري أن رجلاً قدم على الملك كسرى أنوشروان ، وكان عالماً بجميع الفلسفة وعلم الموسيقى ، فعجب الملك من كمال أخلاقه المحمودة ، فحبسه عن وطنه مدة من دهره ، فشكا إليه غلبة الوجد وطول الكمد ، **بالفو** فارقه في بلدة ، فطله كسرى بالإذن ، وحمله على التسويف ، فبينما هو على هذه الحالة إذ قدم عليه رجل من بلده ، ونعى إليه حبيبه ودفع إليه خاتمه ، فإذا فيه كتابة بالهندية ، فترجمت لكسرى فإذا هي كلام موزون بالموسيقى ، يشاكل من الشعر العربي :

لا مُتِّعَتْ عينُ محبٍّ بمـــــــا * يسُـــرُّها إنْ هيَ لم تُسْـجِمِ
على حبيبٍ تَلِفَتْ نفسُـــــــهُ * مـن التَّبـاريحِ ولم يَضْـــرمِ

فلما قرأها لم يملك نفسه خوفاً وجزعاً ، فأسعدته عينه اليسرى ولم تسعده اليمنى ، فأقسم أن لا ينظر بها ما عاش في الدنيا إن لم تسعده بالبكاء على حبيبه ، وهي أقوى حاسة من اليسرى ، فكان يسمى الصابر .

(قلت) : ومن غريب ما يحكى أن ناصر الدين القلندري المتقدم ذكره كان يضع المحبرة في يده الشمال ، والمجلد من الكتاب على زنده ، ويكتب

منه وهو يغني ويضرب برجله الأرض . ويكتب في هذه الحالة ما شاء ولا يغلط ، ولا يلحن ، وأخبرني بعض من كتب عليه أن من غريب ما شاهد من حاله ، أنه كان يهوى شاباً من أولاد الجند بطرابلس ، كان يكتب عليه وكان آخر ما تمثل به ، ومات عقبه سنة خمس وثلاثين وسبع مئة (٧٣٥) قول الصاحب ابن عباد :

يا مَنْ وَهَبْتُ لهُ نفسي فعذَّبَهـــا * ورُمْتُ تَخْلِيصَها منهُ فَلَمْ أُطِقِ
أدْرِكْ بقيَّةَ نفسٍ فيكَ قَدْ تَلِفَـــتْ * قبلَ الممات فهذا آخِـرُ الرَّمَـقِ

[٣٥] إلى أن قال : وليكن هذا ما وقع عليه الاختيار وطابت به لابن أبي حجلة حين سقط بمصر أوطار ، وكيف لا وقد سقطت منه على الخبير ، وأتيت من أخبار من غفر الله لنا ولهم بالجم الغفير ، فشهداؤه من أعيان المشاهد ، وقتلاه وإن اختلفت أسباب موتهم داؤهم واحد ، ففي ذلك والحمد لله كفاية ، وإن كان التقصير قصراً غير مقصود عن الغاية ، على أن في رحلتي نشر العلمين في زيارة الحرمين ما هو كفص الخاتم لهذه الخاتمة ، والأمواج العظيمة لهذه الأبحر المتلاطمة ، لا جرم أني لم أذكر من أخبار أهل الحجاز إلا ما أشار إليه هذا الكتاب ببيان بيانه ، وبدا من ورقه وقلمه على صفحات وجهه وفلتات لسانه ، فكم في الرحلة المذكورة في ذكر من مات على هذه الصورة من أخبار متيم امتنع من هجوعه ، وأصبح غريقاً بسحاب دموعه .

وقال بعد ذلك :

لدى سَمُراتِ الحيِّ برقٌ يُسامِـــرُهْ * يُذكِّرُهُ بالثَّغرِ ما هو ذاكِـــرُهْ
يذكِّـرُهُ عهدَ العُذيبِ وما حَـــوَى * على حاجرٍ سالت عليه محاجِـرُهْ
إذا مابدا البرقُ اليمانِـي لعينـــــهِ * فما هوَ إلَّا وشيُـهُ وحبائِـرُهْ
سقى السَّفحَ مِن ذيلِ المُقَطَّمِ عارضٌ * تُعارِضُـهُ مِن دمعِ عيني مواطِرُهْ

فكَمْ فيه مِن صبٍّ قضى ، وغرامُه * أوائِلُهُ لا تنقضي وأواخِرُهْ
تطاولَ ليلي في هواهُ ولو يَشَا * لقَصَّرَهُ مَنْ حجَّبَتْهُ مقاصِرُهْ
فيا لَلَهْوَى العذري ما العذر عندما * تُغادرُ يومي مِثْل ليلى غدائِرُهْ
صحا ما صحا مَنْ نالَ في الحبِّ عقلُه * بسكرةِ حُبٍّ لا تزالُ تُخامِرُهْ
أيَبْرُدُ ما ألقاهُ يا جارتي وقد * سباني ظَبيٌ فاتِنُ الطَّرْفِ فاتِرُهْ
أُحاولُ منهُ وصْلَهُ كُلَّ ساعةٍ * فتمنَعُني أستارُه وستائِرُهْ
ولو لم يكُنْ سلطانُ حُسْنٍ لما سَرَى * بمصرَ وكُلُّ العاشِقينَ عساكِرُهْ
يجودُ عليهم حينَ يَسْري جوادُه * فيحضُرُ في قلبِ المتيَّمِ حافِرُهْ
فلولاهُ ما أمضى أميرُ ذوي الهَوَى * ولا نفذَتْ في العاشِقينَ أَوامِرُهْ
ولولا سَطَا السُّلطانِ في مصر ما مَشَى * مع الذئب ظبيٌ كانَ قبلُ يُحاذِرُهْ
هو النصرُ والمنصورُ والعادلُ الذي * بباطنهِ ما جارَ في المُلْكِ ظاهِرُهْ
لهُ في سبيلِ اللهِ خيرُ ذخيرةٍ * وحُسْنُ الثنا بينَ الملوكِ ذخائِرُهْ
ودرياقُهُ في الثَّغرِ أقربُ نَيْلِهِ * وسُمْرُ عواليهِ بمصرَ نواشِرُهْ
جزى اللهُ عنهُ مصرَ ما هوَ أهلُهُ * فكَمْ أمِنَتْ في قطْرِها مَنْ يُجاوِرُهْ
جوادٌ غدَتْ نُعماهُ منَّا قريبةً * وإنْ بَعُدَتْ في السَّبقِ عنَّا ضوامِرُهْ
فما عابَهُ أنَّ الجنودَ جنائِبٌ * وما ضَرَّهُ أنَّ البُروقَ ضرائِرُهْ
لهُ مِن بياضِ الصُّبحِ واللَّيلِ أدهمٌ * وأشْهَبُ كالبازيِّ ينقَضُّ كاسِرُهْ
فلا جابِرٌ يوماً لما هو كاسِرٌ * ولا كاسِرٌ يوماً لما هو جابِرُهْ

[٣٦] وللهِ سِرٌّ في عُلاه لأجْلِ ذا * تُباهي بهِ فوقَ السُّرورِ سرائِرُهْ
وتستقبلُ الآمالَ كعبةُ جُودِهِ * كما استقبلَ البيتَ المعظَّمَ زائِرُهْ
فأيُّ نوالٍ ما أضاعَتْ شُموسُهُ * وما هي إنْ حقَّقْتَ إلّا دنانِرُهْ
هوَ البحرُ إلّا أنَّ مَنْهَلَ جُودِهِ * مواردُهُ راقَتْ بهِ ومَصادِرُهْ
ولو لم يَكُنْ يجري ونظمي دُرّهُ * لما عُرِضَتْ يوماً عليهِ جواهِرُهْ

أُجَوِّدُ فيهِ المَدْحَ كلَّ عشيَّـــــةٍ * وأذكارُ فكري بالثَّناءِ تُباكِـرُهْ
إذا تاهَ مدحي في دُجى ليلِ نفسِـــهِ * عَنِ القصدِ دلَّتْهُ عليهِ مآثِـرُهْ
عبرتُ على الشِّعْرى العبورَ فأومـأتْ * إليَّ وقالَتْ : أنـتَ واللهِ شاعِـرُهْ
فمدحي لهُ مدحُ المُحِبِّ حبيبَـــهُ * إذا زارهُ واللَّيـلُ قد نامَ ساهِـرُهْ
وحُبِّي لهُ ما إنْ يُقاسُ بغـــيرِهِ * لأنَّيَ قَيْسُ الحُبِّ فيهِ وعامِرُهْ
وقد ماتَ قلبي أولَ الحُبِّ وانقضـى * ولو ماتَ أمسى الحُبُّ قد مات آخِرُه

وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

أحمدُ بنُ الحسنِ بنِ سعيد المديوني

جد الحفيد الإمام ابن مرزوق لأمه ، قال هو : جدي هذا قاضي تلمسان ، كان فقيهاً محدثاً صالحاً قاضياً عدلاً . أجازه أبو جعفر بن الزبير ، ولقي أبا حيان ، والجلال القزويني ، وغير واحد من الأكابر ، وكان معمّراً توفي سنة ثمان وستين وسبع مئة (٧٦٨) اهـ .

وقال غيره : نشأ بتلمسان ، وأخذ عن ابني الإمام ، واستعمله أبو الحسن المريني في الزكوات وسماع الشكاة إلى أن ولي قضاء تلمسان في زمن أبي عنان ، واستمر عليه إلى أن توفي .

أحمد بن الحسن الغماري التلمساني

أبو العباس أحمد بن الحسن الغماري التلمساني . الولي الكبير الشأن . ذو الكرامات الظاهرة ، والآيات الباهرة .

بقي بندرومة زمناً طويلاً ملازماً للتهجد في المساجد ليلاً . شاهد له أهل

عصره كراماتٍ كثيرةً ظاهرة ، وآيات باهرة .

وتوفي بتلمسان ثاني عشر شوال سنة أربع وسبعين وثمانمائة (٨٧٤) ، ودفن بخلوته شرقي الجامع الأعظم منها .

أخذ عنه الإمام أحمد زروق .

[٣٧] أحمد بن سعيد التنبكتي

أحمد بن سعيد التنبكتي ، سبط البركة سيدي محمود بن عمر .

كان رحمه الله عالماً بالفقه ، مطلعاً عليه ، حافظاً ، مدرساً ، حضر على جده لأمه في « الرسالة » وخليل مرة ، ثم أخذ عن غيره « المختصر » و« المدونة » وقعد وجلس للتدريس من عام ستين إلى وفاته في المحرم فاتح ست وسبعين وتسعمائة (٩٧٦) ، وتزاحم عليه الناس وانتفعوا به .

أخذ عنه الأخوان الشقيقان الفقيهان شيخنا العلامة محمد وأخوه أحمد قرءا عليه « الموطأ » و« المدونة » و« مختصر خليل » وغيرها .

وله استدراكات في الفقه ، وحاشية لطيفة على خليل اعتنى فيها بالنقل ، واعتمد على نقل البيان والتحصيل .

مولده عام إحدى وثلاثين أدركتُه وحضرتُ درسه وأنا صغير رحمه الله .

سيّدي أحمدُ بنُ سعيدٍ العفيفي

سيدي أحمد بن سعيد ، وليّ معظَّم ، عند بني عفيف ، ضريحه مشهور يُزار ، وأولاده أفاضل على الخير والطاعة ، وهو من أولاد سيدي علي حمانة ، محب النبي ﷺ وأصحابه ، الذي أشغف القوى من أجله حتى ظهر ذلك

للعامة والخاصة ، بحيث لا يشك أحد في ولايته .

أخذ من قرننا هذا ومن القرن الحادي عشر ، نعم الزوارُ وفقراءُ زمانه انتفعوا به أيَّ انتفاع ، وسمعت من بعضهم أنه قال : كان الشيخ علي يجتمع مع رجال الغيب ، ويحضر ديوانهم ، والله أعلم .

وكان كريماً إذا لم تأته الضيوف يبعث إليهم ، ومهما أبطؤوا عليه ضاق وحزن ، وإن أتوا إليه سُرّ وفرح ، وقد سمعت حكاية عنه إن صحت ، وهي مشهورة لدى العامة ونصها : أن الشيخ علي المهاجري كان زماراً في الأعراس ، بأن بلغ الغاية في صنعته بحيث يشترطه أهل الأعراس دائماً ، حيث فاق أهل صنعته ، وهي صنعةٌ محرمة لأن مثل زمارته تُلهي كلَّ اللهو على ما حكوا عنه ، ولو على قول ابن كنانة الذي يقول بجوازها إن لم تُلهِ كل اللهو ، لا سيما مع انضمام مفاسد إليها ، كحضور النساء والشبان والرقص وذكر الخدود والقدود ، فإن كان ذلك كذلك فحرام لا يقول أحد بحليِّته أبداً ، قد أتى إلى هذا الشيخ في حاجة عرس أو غيرهـا ، فقضى حاجة الشيخ على أحسن ما يريد ، فعطفه الله عليه وقال له : إن مررت بمحل كذا في طريقك تمرَّغ بالموضعِ الفلاني ، فلما وصل إليه تمرغ فيه ، وكان قبله مجتمع الأولياء ديواناً هنالك ، فأثَّر فيه الحب لله بأن صبغ حينئذ قال : وبعد ذلك لا أحضر إلَّا عند العروس لزوجها ، وأذهب بعد إلى المسجد فأشتغل بالصلاة والعبادة إلى أن يطلع الفجر أو ما شاء [٣٨] الله ، والناس يظنون أنه هو الذي يرقص ويشطح ويغني ، وليس كذلك ، وإنما خُلقت صورةٌ شيطانية مثل صورته مع أنه لا إثم عليه ، كما يخلق الله الملائكة على صورة الإنسان تفعل الطاعة ، ويكون الثواب للإنسان ، فقد قال ﷺ : « إن الإنسان إذا اغتسلَ مِن حلال يَخلُقُ اللهُ مِن كُلِّ قطرةٍ منه ملكاً يعبُد الله تعالى ، وثوابُ ذلكَ للمغتسِل » أو كما قال ﷺ أي تفعل ما

يفعل ، وهذا إن صح عنه غير بعيد ، غير أنه واقع والله أعلم ، ويدلُّك عليه أني صغير في بني عيدل ، فذهب كلب إلى قبره فاستخرجه منه كما دفن ، ولم يتغير منه شيء ، والمدة التي بين إخراجه وإقباره سبعون أو ثمانون سنة ، فالغالب من ذلك أنه من الذين يحبون الله ، ومن أحبه فلا سبيل للأرض عليه ، وأحوال الشيخ كثيرة ، نفعنا الله به آمين .

وولداه على الطاعة والخير والحمد لله ، وقد أدركتُهما ، أحدهما سيدي إبراهيم وهو كبير السن ، والناس يعتقدونه ويعظمونه ، والآخر قد مات ، وكانت طريقته كأبيه سيدي محمد السعيد ، نفعنا الله بهم اهـ . ورتلاني .

ثم ذكر بعض من لقيهم بقوله : ومنهم الولي الصالح ذو الكشف الواضح سيدي محمد أمشالي أو أمشاي ، ومثله في ذلك مع زيادة في العبادة سيدي محمد بن علي ، ومثلهما في ذلك أو أعظم سيدي يخلف إذ كلهم في القرن الحادي عشر ، متعاصرون نفعنا الله بهم ، غير أن طريقهم مختلفة ، أما الشيخ سيدي محمد ابن علي فتبع لسان العلم ، وكثرت عليه المجاهدة حتى أثرت فيه تأثيراً قوياً ، إذ غلب عليه حال الخوف ، وأما سيدي محمد أمشالي فقد غلب عليه الجمال ، وأما سيدي يخلف فقد كثرت عليه الخلوة والاعتزال ، بحيث إذا بقي في موضع مرئي للناس جازوا عليه ولا يرونه أصلاً ، وهو صاحب كشف عظيم لا يكاد يخفى عليه أمر ، كما أخبرني من رآه وصحبه وهو أميٌّ لا يقرأ ، وهو من المغرب ، ومثله ولده سيدي الطاهر في الخلوة والاعتزال . ورؤية رجال الغيب ، وقوة الكشف ، وأما أمشالي فإنه من بني يعدل ، أي بني جعفر . وأما سيدي محمد بن علي فمن بني يعلى . وأولاد الجميع على الخير والطاعة والحمد لله تعالى . تتمة .

أما سيدي محمد صالح الدكالي فمعلوم . وأما سيدي أحمد بن سعيد

ابن سعيد وأولاده فمن أولاد دراج ، لأن طائفة من بني عفيف منهم ، وأما سيدي السعيد ابن الحبيب فمن وانوغة ، وأما سيدي علي الصافي فلا أدري من أين هو ، والله أعلم ا هـ .

[٣٩] سيِّدي أحمدُ الشريف الورتيلاني

قال العلامة الورتيلاني ما نصه : الولي الصالح جدّنا سيدي أحمد الشريف نسباً إذا ثبت ذلك ، وهو الشريف الحسني والذي سمعناه من أعالي أسلافنا أنه من شرفاء تافيلالت ، وأما مقره ومقر أوائله ففي بجاية ، وجدنا هذا نجل الشيخ سيدي علي البكاي ، وكان له زاوية عظيمة ، وقد سمعنا أنه قدم بخمس مئة طالب إن صح ، وقد ثبت عن بعض الثقات من بني يعلى أن طلبة الشيخ في محله إذا قرؤوا الحزب سمعوهم من بني يعلى ، يعني من مدشرة الخميس ، وهو الكدية ، ومدشر الزراع .

وكان رحمه الله يجتمع مع النبي ﷺ ، والمحل الذي يجتمع فيه إلى الآن معروف بعلامة ظاهرة ، وقبره يُزار ، وقد سمعت من العدل الصالح بلا شك سيدي محمد الحاج حين بتنا معه ليلة الجمعة في روضته ، لما أخذنا النوم واستوى علينا ، وجاء مع جماعة من الطلبة ، وقد ذهب نصف الليل فاستيقظنا من النوم ، وأتينا إلى محل الاقتراء ، وسأله بعض الطلبة عن الحكمة في إتياننا نصف الليل وثلث الليل الأخير أولى ، فقال : أُعلِّمُكم غير أنكم لا تخبروا أحداً إلا بعد موتي ، فعاهدناه على ذلك ، فقال : لما نِمتُم امتلأ الموضع برجال الغيب ، ثم أتى النبي ﷺ وسيدي عبد القادر الجيلاني فأيقظتُكم والحمد لله على ذلك .

وقد سمعنا أن الديوان يكون ليلة الاثنين والجمعة غير أن ليلة الاثنين للشيخ

سيدي عبد القادر ، وليلة الجمعة للنبي ﷺ ، ولما بنى داره قال لبانيها : أرسل نفسك من غير سلم ، فأبى فقال له : والله لو أرسلت نفسك لوقعت في الكعبة ، وقد سمعنا أيضاً أنه من بات عنده في روضته سبع جمعات متواليات قُضيت حاجته أيّ حاجة كانت دينية أو دنيوية .

ومن كراماته أيضاً أن سيدي محمد أعني الذي كان في صدوق المشهورة ولايته . الجوادي أخذ عنه ، وكان شيخاً له ، فلما قربت وفاته قال له : إذا مِتُّ فمن أشاوره بعد ذلك ، فقال له : أنا قبل وبعد ، فلما مات كان الأمر كذلك ، فصار يكلمه من قبره إلَّا مرة واحدة أتى إليه يُشاوره في أمر فنادى الشيخ على عادته ، فلم يستجب له ، أي لم يجبه ، فبكى من ذلك ، وظن أن المانع منه ، فمكث غير بعيد وناداه مرة أخرى فأجابه فقال له : أين كنت ؟ قال : كنت عند الشيخ سيدي يحيى كان غائباً ، فلما رجع ذهب الأولياء إليه ، وكان ولده سيدي يحيى في مجانة بأهله ، مكث فيها عشرين سنة ، وكان يركب معه من مماليكه ثمانون عبداً ، فأرادوا غدره ، فقال له الشيخ : قل لولدي يحيى أنت ناثم ، وأرادوا قتلك ، فأنا الذي أيقظتك حتى ركبت فرسك ونجوت منهم ، ثم بعد ذلك رجع إلى وطنه إلى أن قضى الله أمراً كان
[٤٠] مفعولاً ، وكان جدنا سيدي يحيى في مجانة ، وعنده بنتان كل واحدة منهما نسخت التوضيح ، وقد سمعت سيدي الطاهر الشريف يقول : إحدى النسختين في إملال إلى الآن ، وكانت عنده خزانة عظيمة بحيث لا توجد عند غيره ، ولما سُلِّط عليهم الوباء ولم يبق إلا ولدان صغيران ، ضاعت الكتب والأملاك الربانية التي في بني عبد الجبار .

ومن أولاده الفاضل الكامل الفقيه الورع سيدي الحسين جدي كان مدرساً دائماً يحفظ الشيخ سالم ، ينسخ منه كل ليلة نصف كراس في القالب الكبير ، أخبرتني بذلك زوجته والدة أبي ، وهو يدرس إلى أن مات ، وكان يُفتي ولا يقبل

الهدية من أحد ، وكان النبي ﷺ هو الذي أمره بالفتيا على لسان بعض من يراه يقظة من المحبين له ، وكذا والدي في غاية الاتباع أكثر من أبيه . تؤخذ السنة من كلامه ومن أفعاله بالمدخل ، والشيخ عبد الله بن أبي جمرة ، وابن عطاء الله ، والشيخ زروق إمامه ، وقد علمت أن من جعل واحداً منهم قدوة كفاه ، فكيف بالجميع .

قلت : وقد أخبرني أنه قال : رأيت جدي هذا فقلت له : أعطني سرَّك ، فقال : سرِّي مقسوم بين أولادي ، ولا أدري هل قال له : وأنت لك الحظ الوافر أم لا ، نفعنا الله به آمين اهـ .

أبو العبَّاس أحمدُ العبَّاسي

الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد العباسي :

أخذ عن الشيخ أبي محمد سيدي حسين الشريف خطيب جامع الزيتونة ، وعن غيره . ورجع لقسنطينة فكان آية زمنه حفظاً وإتقاناً وتبياناً في علم البلاغة والبيان ، عارفاً برجال الحديث وعلله ، له اليد الطُّولى في فن المنطق والكلام والعلوم الإلهية ، عالماً بقراءة السبعة ، متمكناً من أدب المناظرة ، ولي النظر على الأوقاف ثم القضاء مرتين ، والخطابة بسيدي علي بن مخلوف ، ثم بمسجد رحبة الصوف .

له تقاييد على « صحيح مسلم » وعدة مؤلفات .

توفي في ٢ جمادى الثانية سنة ١٢٥١ .

[٤١] أبو العباس أحمدُ بن عثمان التلمساني

قال الجبرتي : الأستاذ العارف الشيخ أبو العباس أحمد بن عثمان بن علي ابن محمد بن علي بن أحمد التلمساني الأزهري المالكي .

أخذ الحديث عن الإمام أبي سالم البصري المكي ، وأبي العباس أحمد ابن محمد النخلي المكي الشافعيين ، وغيرهما من علماء الحرمين ، ومصر ، والمغرب .

وأخذ عنه الشيخ أبو سالم الحفني ، والسيد علي بن موسى المقدسي الحسيني ، وغيرهما من علماء الحرمين ، ومصر ، والمغرب ، توفي سنة ١١٥١ .

أحمدُ بنُ عبد الرَّحمنِ العباسي
جد أولاد مقران

الوليُّ الصالح والبدر الواضح ، ترياق وطنه ، وأمين بلده سيدي أحمد بن عبد الرحمن جد أولاد مقران ، وهو ـ والله أعلم ـ تلميذ الشيخ سيدي يحيى ، وقد سمعت أنه قال للشيخ سيدي يحيى : إني رأيت في النوم النار تخرج من بولي . فعبر ها له الشيخ بأن قال يصير منهم أي من أولاده من هو من أهل الظلم والجور ، وكان الأمر كذلك ، ولعل بركة جدهم تعمهم ، وكذا الشرف ، وقد رأيت ابن فرحون نصّ في « طبقاته » على شرفهم والله أعلم اه من الورتيلاني.

أحمدُ بنُ عبد الرَّحمنِ بنِ جلالِ التلمساني

الشيخ الفقيه العلامة أبو العباس أَحمد بن عبد الرحمن بن محمد المرابط بن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني الأصل الفاسي الدار والمولد .

قال صاحب المطمح في « فهرسته » : كان رحمه الله من العلماء الأعلام خيِّراً ديِّناً غارفاً بالنحو والفقه أتمَّ معرفة ، مشاركاً في غيرهما .

توفي رحمه الله فجأة سنة تسع وسبعين وألف (١٠٧٩) .

وأخذ عن جماعة من الأعلام كالشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي ، وعمه أبي عبد الله محمد العربي الفاسي ، وعن عمه أيضاً الفقيه المفتي الخطيب أَبي العباس أحمد بن الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال المتوفى سنة ثمان وأربعين وألف (١٠٤٨) .

[٤٢] أحمدُ بنُ عبد السَّلام المسيلي

أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغافقي الشهير بالمسيلي .

رحل حاجًّا وقفل إلى بلده .

وحدث عنه أبو بكر ابن خير بوفاة القاضي ابن أبي حبيب .

وروى عن ابن أبي محمد ابن أبي السعادات المرورُّوذي الخراساني ، وأنه أنشده بثغر الاسكندرية عند وداعه إياه . قال : أنشدني أبو تراب جندل عند الوداع لبعضهم :

السُّمُّ مِن ألسُنِ الأفاعـــــي * أعـذبُ من قُبلـةِ الـــوَداعِ
ودَّعتُهُـم والدُّموعُ تجـــري * لمَّا دعـــا للـــــوداعِ داعِ

« نفح الطيب »

أحمدُ بنُ عبد الصَّمدِ البجائي

أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة بن عبد الحق الخزرجي ، أبو جعفر القرطبي نزيل بجاية .

روى عن ابن العربي .

له تأليف سماه « آفاق الشموس وأعلاق النفوس » .

وروى عنه أبو القاسم ابن بقي وأبو سليمان ابن حوط الله .

توفي بفاس عام ٥٨٢ وولد عام ٥١٩ ، ذكره ابن الأبَّار .

أبو العبَّاس أحمد العلمي

العلامة الشيخ أبو العباس أحمد العلمي كان فقيهاً محققاً عارفاً بالأحكام ، تقلد فتوى المالكية ، ثم القضاء ، ومات مقتولاً سنة ١٢٢٩ .

أحمدُ بنُ عليّ البسكري

الشيخ أحمد بن علي بن أحمد البسكري بضم الموحَّدة وسكون السين المهملة ، الصوفي رحَلة الهند في زمانه .

ذكره الشلي وأثنى عليه ثناء جميلاً ، ثم قال : أخذ عن والده ، وعن الشيخ عبد القادر بن الشيخ العيدروس ، وغيرهما. وكان لطيف الذات كامل الصفات ، أكثر همِّه الاستعداد ليوم المعاد .

[٤٣] قال في « النور السافر » : كان صاحبنا أحمد المذكور من أهل العلم والصلاح ، متبعاً للكتاب والسنة سالكاً على نهج السلف الصالح ، متصفاً بالعفاف قائماً بالكفاف ، ولا يرى في أكثر الأوقات إلا مشغولاً بمطالعة أو كتابة ، مظهراً للجمالة .

له جملة مصنفات ، وكان كُفَّ بصره قبل وفاته بقليل ، وللناس فيه مدائح ، فمن ذلك ما قاله فيه أديب الزمان الشيخ عبد اللطيف بن محمد الزبير من قصيدة :

أعني بهِ أحمدَ المختارَ سيرتُـــــهُ * خُلْقاً وخَلْقاً سواهُ لا يُساويـهِ
شهابُ نَجْلِ عليٍّ البسكريْ بلـــداً * المالكيْ مذهباً مَنْ ذا يُضاهيـهِ
قَدْ خصَّهُ بجميلِ الفضلِ خالقُـــهُ * بسرٍّ طيٍّ معانٍ في معاليـــــهِ
لهُ بديعُ بيانٍ في الخطابِ يـــــرى * وغير انظر وقـد جلـــت معانيـهِ
أخبارُه قد أتَتْ في الحال تُخبرُ عَـنْ * أبياتِ أفكارِهِ المخصوصِ مِنْ فيهِ
حديثُهُ الحَسَنُ العالي روايتُـــــهُ * أعلَتْ لسامِعِهِ شأناً وراويـــــهِ

وكانت وفاته ليلة السبت الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة تسع بعد الألف بمدينة أحمد آباد ، ودفن بها رحمه الله تعالى اهـ . من « خلاصة الأثر » .

أبو العباسِ أحمد بن عليّ المليانِي

قال لسان الدين (ابن الخطيب) في « الإكليل » في ترجمة الكاتب صاحب العلَّامة أبي العباس أحمد بن علي المليانِي ما نصه : الصارم الفاتك والكاتب الباتك أيَّ اضطراب . في وقار ونجهم ، تحته أنس العقار ، اتخذه ملك المغرب صاحب علامته . وتوَّجه تاج كرامته ، وكان يطالب جملة من أشياخ مراكش بثأر عمه ، ويطوقهم دمه بزعمه ، ويقصر على الاستنصار منهم بنات همه إذ سعوا فيه ، حتى اعتقل ، ثم جدوا في أمره حتى قتل ، فترصد كتاباً إلى مراكش يتضمن أمراً جزماً ، ويشمل من أمور الملك عزماً ، جعل فيه الأمر بضرب رقابهم ، وسبي أسبابهم ، ولما أكد على حامله في العجل ، وضايقه في تقدير الأجل ، تأنى حتى علم أنه قد وصل ، وأن غرضه قد حصل ، فرَّ إلى تلمسان وهي بحال حصارها ، فاتصل بأنصارها حالاً بين أنوفها وأبصارها ، وتعجب من فراره وسوء اغتراره ، ورجمت الظنون في آثاره ، ثم وصلت الأخبار بتمام الحيلة ، واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة ، فتركها شنيعة على الأيام ، وعاراً في الأقاليم على حملة الأقلام ، وأقام بتلمسان إلى أن حل مخنق حصرها ، وأزيل همیان الضيقة عن خصرها ، فلحِق بالأندلس ولم يعدم بَرّاً ورعياً مستمراً ، حتى أتاه حِمامه وانصرمت أيامه ، توفي بغرناطة يوم السبت ٩ ربيع الآخر عام ٧١٥ ، ودفن بجبانة باب البيرة .

ومن نظمه :

[٤٤] العزُّ ما ضُرِبَتْ عليهِ قِبَـــــابي * والفضلُ ما اشتملَتْ عليهِ ثيابي
والزهرُ ما أهداه غُصْنُ يراعتـــــي * والمسكُ ما أبداهُ نقشُ كتابي
فالمجدُ يمنَعُ أن يُزاحَمَ مـــــوردي * والعَزْمُ يأبى أن يُسَامَ جنابـــي

فـإذا بلـوتُ صنيعـــةً جازيتُهـــا * بجزيلِ شكري أو جزيلِ ثوابي
وإذا عقدتُ مودَّةً أجريتُـــهـــــا * مجرى طعامي مِنْ دمي وشرابي
وإذا طلبتُ من الفراقدِ والنُّهـــــى * ثأراً فأوشـكُ أنْ أنالَ طِـلابي

توفي يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر وسبع مئة ، ودفن بجبانة باب البيرة ، ذكره ابن الخطيب في « الإحاطة » .

أحمدُ بنُ عمر الدلسي

الولي الصالح سيدي أحمد بن عمر الدلسي ، سمعت به في صباي أنه من أهل التصريف ، وقد أخبرني بذلك البعض من أهل الخير ممن يوثق بهم .

وكان رضي الله عنه يعرف أهل عصرنا ، ويطالع أحوالهم ، ويعلم من كان من أهل التصريف منهم في المشرق والمغرب ، وأنه أخبرني بأن سيدي أحمد الزروق ابن مصباح وسيدي الحسين بن أعراب من بني يراتن ، وسيدي أحمد ابن إياس الفليسي ، وسيدي أحمد بن عمر الدلسي ، كلهم من أهل الوقت ، وهو غير بعيد ، بل هو الحق إن شاء الله تعالى ، نعم هؤلاء فقهاء مدرِّسون متَّبِعون للسنة ، وقد ظهر عليهم آثار الفضل ، وأنوار الحق مشرقة عليهم ، وقد صحبتهم وأحببتهم وشهدت من جميعهم ما يدل على ذلك ، على أن سيدي ابن أعراب كان يُحدثني عن رجال الغيب ، ويقول : إنهم قالوا : ذا ، ويكون ذا ، ولولا الإطالة لذكرتُ عن كلٍّ واحد ما فيه العجب من اطلاعه على بعض المغيبات ، نعم أحوال الكشف فيه ظاهرة ، وقد روينا من بحره رضي الله عنه ، وكذا من الجميع في محالهم ، وقد زرتهم مراراً مع اطلاعي على بعض أسرارهم والحمد لله تعالى .

انفصلنا من مقامنا بنية زيارة سيدي أحمد ، وقضاء الحوائج لبعض المسلمين ،

من إصلاح ذات البين ، إذ القتال بين المسلمين في وطننا كثير ، والفتنة بينهم قلَّ أن ترتفع ، والهرج بينهم يزيد ، أزال الله ذلك بمنه وكرمه ، فيجب على من يقبل منه أن يذهب إليهم ، ويصلح حالهم ، ليرتفع ما فيهم من المعصية ، وهي قوله ﷺ : « القاتلُ والمقتولُ في النَّارِ »[1] الحديث .

[٤٥] وقد نص علماء بجاية على أنه يجب على أهل الخير والصلاح ممن يقبل منه أن يصلح بين هؤلاء المسلمين ، وإلا عصى الله تعالى ، وقد نص أيضاً على أنه لا يجوز حال قتالهم النظر إليهم ولا التفرج فيهم ، لأنها معصية ، فلا تجوز مشاهدتها ، وهو شريك بالنظر ، انظره في الأسئلة تره بالعيان .

وبالجملة فذهبنا لبعض القرى ، وقد خربت من أجل ذلك ، وكان ذلك في يد متولي أمرهم سلطان منجانة – بتخفيف الجيم ، كما سمعته من بعض من يعرف ضبطه من الحذاق ، ويوثق به في اللغات – وهو المعظَّم الأجلُّ محبُّ الصالحين الشريف المبارك محمد بن أحمد القندوز المقراني ثم العباسي ، زرته مع عمنا العلامة المحقق الفهامة سيدي محمد الصغير بن رقية ، والفاضل الكامل سيدي محمد السعيد بن الطالب ، والمحب للخير وأهله سيدي أحمد ابن علي نجل الشيخ سيدي يحيى العيدلي ، وسيدي أحمد الطَّيِّب نجل الشيخ الفاضل سيدي مهنا ، وخديم الصالحين الحاج علي التبروني وغيرهم ، وتلميذي سيدي محمد الكسلاوي الجزائري ، إذ كان يقرأ عليَّ كُبرى الشيخ السنوسي بالشيخ اليوسي ، قراءة تحقيق في أيام الزيارة وغيرها ، وشاورنا سيدي أحمد

---

(١) أخرجه البخاري ٨١/١ ، في الإيمان : باب (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) ومسلم (٢٨٨٨) في الفتن وأشراط الساعة : باب إذا تواجه المسلمان بسيفهما من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قلت : يا رسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » . هذا لفظ البخاري (ش) .

ابن عمر على الحج فقال : توكلوا على الله ، ثم رجعنا وأخذنا على بني أفراوسن بلاد الشيخ ابن معطي ، صاحب ألفية النحو ، الذي قال فيه ابن مالك : فائقةً ألفيَّةَ ابنِ مُعْطِي ، وسيدي محمد الزواوي صاحب المراثي المعلومة صديق سيدي سعيد الصفراوي القسنطيني وصاحبه ، فنزلنا قرية الجمعة أعني الصهريج ، وهي قرية عظيمة ذات بساتين وعيون ، في وسط العمارة نحو مئة عين كما قيل ، ونزلنا عند المعظّم سيدي محمد بن القاضي الشريف سلطان زواوة ، وعاهدنا على الحج ، ومشى معنا ، ثم مات رحمة الله عليه بعد خروجنا
[٤٦] من المدينة المشرفة ، ودفن بين الينبع ونقب علي في شهر المحرم عام ١١٨٠ ، ثم أتينا بني بوشعايب ، وزرنا جُملتهم ، ثم مررنا على بني يحيى وزُرنا جُملتهم أيضاً ، وتلاقينا مع بعض فضلائهم أولاد الفقيه من قرية تن ، وزرنا سيدي علي بن الطالب ، ولي مشهور كان صبغة في عصره ، وكان يأتيه الرجل فيبلغ لله تعالى في ساعتين ، وزرت قبره مراراً ، وأدركت من أصحابه جملة منهم سيدي أحمد بن عمر ، وسيدي أحمد بن أم رزق الصغير ، قد تجرَّد للعبادة ، وخدمة طلب العلم ، وله كرامات كثيرة ، وورع شديد ، صاحب انقباض ، والمرابط سعيد بن تقترين ، أدركت منه المُنى وأنا صغير ، والوالي الصالح سيدي يحيى بن حمودي ، وكلهم أصحاب وقت في عصرهم اهـ من الورتيلاني .

[٤٧] أحمدُ بن عمر التنبكتي

أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التكروري التنبكتي ، عرف بالحاج أحمد ، أكبر الإخوة الثلاثة المعروفين في قطرهم بالعلم والدين ، والد والدي رحمه الله .

كان خيراً فاضلاً صالحاً متورعاً محافظاً على السنة والمروءة والصيانة والتحري ، حباً في النبي ﷺ وصحبه ، ملازماً لقراءة قصائد مدحه ، متبعاً لذلك ، ولقراءة « الشفا » لعياض على الدوام ، معتنياً به ، فقيهاً نحوياً لغوياً عروضياً محصلاً بارعاً حافظاً معتنياً بتحصيل العلم ، ونسخ كتبه بخطه عدة دواوين كثيرة ، وجمع كثيراً من الفوائد والتعاليق .

أخذ العلم عن جده لأمه ، وكان قاضي تنبكتو ، وعلى أهل ولاتن ، والنحو عن خاله الفقيه مختار ، ثم ارتحل للمشرق ، فحج عام تسعين وثمان مئة لبلاده ، فقعد للتدريس والإفادة قليلاً .

وألف « شرح تخميسات العشرينيات » الفازازية لابن مهيب في مدحه ﷺ ، ولم يكمُل و« شرح منظومة المغيلي » في المنطق شرحاً جامعاً حسناً ، وكتب حاشية على شرح التتائي على خليل ، نبَّه فيه على مواضع السهو منه . وقِطَعاً على مواضع من خليل ، وشرحاً يسيراً جداً على « جمل الخونجي » ، وفي الأصول وغيرها ، وعلى « صغرى السنوسي » و« القرطبية » ، وجلس لإسماع البخاري في رجب وتالييه نحو خمسة وعشرين سنة ، ثم مسلم كذلك ، حتى توفي في شعبان عام إحدى وتسعين وتسع مئة (٩٩١) ، ثقُل عليه لسانُه وهو يقرأ « صحيح مسلم » في الجامع يوم الخميس ثالث عشر منه ، فأشار عليه شيخنا العلامة محمد بغيع ، فقطع القراءة ، وكان جالساً بحذائه ، ثم توفي ليلة الاثنين بعده سابع عشر من الشهر .

أخذ عنه جماعة منهم العلَّامتان الصالحان الفقيهان الأَخوان شيخنا محمد وأخوه أحمد ابنا الفقيه محمود بغيع قرآ عليه الأصول والبيان والمنطق وغيرها ، والفقيهان الأخوان القرينان عبد الله وعبد الرحمن ابنا الفقيه محمود بن عمرت ، وحضرت أنا عليه أشياء عدة ، وأجازني جميع ما يجوز له وعنه ، وكتب لي بخطه ، وسمعت بقراءته « الصحيحين » و« الموطأ » و« الشفا » .

مولده في المحرم فاتح تسعة وعشرين وتسع مئة (٩٢٩) ، ورأيت بعد وفاته بمدة بعض معارفي ممن مات بعده في عالم النوم ، وسألته عن حال جماعة ماتوا من أهل بيتنا وغيرهم ، فأخبرني بحالهم وقلت : ما حال والدي ؟ فقال: أُعطي والدُك أفضل مما أُعطي الفقيه أحمد بن سعيد حفيد الفقيه محمود فرآني كأني أتعجب من ذلك ، فقال لي : كذلك كان اه . ثم بعد ذلك أخبرني بعض الناس أنه رأى تلك الرؤية قالها لي ابتداء من غير أن أُخبره برؤيتي ، فقوي ظني بذلك ، والمواهب بيد الله سبحانه اه « نيل الابتهاج » .

[٤٨] أحمدُ بنُ عيسى أبركان الورنيدي

سيدي أحمد بن عيسى الورنيدي الزكوطي ، عرف بأبركان .

كان يقرىء « رسالة » ابن أبي زيد القيرواني ، و« مختصر ابن الحاجب الفرعي » و« عقائد السنوسي » و« ألفية ابن مالك » و« نظم أبي مقرع » و« السُّلَّم المرونق » للشيخ عبد الرحمن الأخضري ، و« حكم ابن عطاء الله » .

أخذ عن سيدي علي بن يحيى ، وأخذ عنه سيدي محمد البطحي ، ووفاته مقيدة في شاهد قبره .

أحمدُ بنُ عيسى البجائي

علَّامتُها وفقيهها وصالحها ، في طبقة ابن إدريس .

أخذ عنه الوغليسي ، وأبو القاسم المَشدَّالي ، وأبو الحسن المنجلاتي وغيرهم ، وله فتاوى .

أحمدُ بنُ عيسى البطيوي

الفقيهُ العدل الموثَّق أبو العباس التلمساني .

كان حياً سنة ثلاث وأربعين وثمان مئة (٨٤٣) ، هكذا وقع في « المعيار » للونشريسي ، وليس ولد أبي مهدي عيسى المواسي المفتي ، فذلك أحمد بن مـاواس البطيـوي الشيخ الفقيه الصالح أبو العباس ، توفي بفاس عام اثنين وثمان مئة (٨٠٢) .

أحمدُ بنُ عيسى الغماري البجائي

الفقيهُ القاضي الجليل النبيل أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري .

رحل إلى المشرق ، وقرأ هناك ، وجد واجتهد وحصَّل وأتقن ، لقي جملة مشايخ منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وغيره ، له علم بأصول الفقه ، وحظ من أصول الدين ، ومشاركة في علم الأدب ، وكان ممن يستفاد بالنظر عليه والمثول بين يديه ، وكانت دروسه منقَّحة الإيراد ، عذبة المورد بغريب ما يستفاد ، كان يبدأ بين يديه رحمه الله بقراءة الدقائق أولاً ، وبعد ذلك بالفقه وأصول الفقه ، وكان يقرأ « التهذيب » عليه ويقرأ « الجلاب » فيكثر البحث ، ويشحذ القرائح ، ويجيء بالمسألة الخلافية ، فيرتقي أحد وجهيها فيبحث عليه إلى أن يظهر الرجحان ويقع التسليم ، ثم يأخذ الطرف [٤٩] الآخر ويلزم أصحابه ما كان هو يناظر عليه فلا يزال إلى أن يظهر الرجحان

في ذلك الطرف ويقع التسليم ، وهذا من حِدَّة فكره وجودة نظره . وكان له لسان يستنزل به الهمم .

وكان جادّاً طالباً مقاصياً للأمراء ، ومناصفاً لهم . وسيوساً مع ذلك لهم . وولي المنصب مع ذلك في بلاده ، وفي بجاية كرتين ، وتوجه رسولاً إلى ملك المغرب مراراً من المستنصر بالله ، وما زال ناجح السعي سديد الرأي . وكان سريع البديهة بالجواب ، يُطبِّق المَفْصِلَ بمطابقة الصواب ، ومن مُلَح جوابه أنه لما كان ببجاية في ولايته الثانية ، ونزل أمير المؤمنين المستنصر على قسنطينة . وجاءه واعتنى به رسولاً عن بجاية وأهلها ، فأجاب بما يليق به الجواب . ثم قال له الملك : يا فقيه سمعنا أن والي بجاية لو أراد أن يبنيها لبنةً فضة ولبنةً ذهباً لفعل ، فقال له مبادراً : يا مولانا يكون ذلك بالتفاتكم إليها وعطفكم عليها . فسكت ، وهذا جواب حسن مانع لمقصد الملك بسهولة ، فقال له : سمعنا أنه مسرف ، فقال مجاوباً : إنما رأيته إذا وقع الحضور معه في النهار لا يزال ناعساً ونائماً ، فأشار له بذلك إلى سهره بالليل فيما يعرف ، وأجوبته كلها مستحسنة مستعذبة ملخصة مهذبة .

ولقي من أصحاب فخر الدين جملة من فضلائهم ، واستفاد بهم ، وكان رحمه الله يحكي عن بعضهم أنه كان يقول له ، لما رأى من نبله وفضله : والله لو رآك مولانا الفخر لأحبَّكَ ، وكان رحمه الله يُثني على الفخر كثيراً ، ولا يرى له نظيراً ، وكان يؤثر قراءة كتبه على غيرها من كتب المتقدمين والمتأخرين ، وتوفي بتونس على ما قيل عام اثنين وثمانين وست مئة (٦٨٢) .

أبو القاسمِ أحمدُ الغبريني

أبو القاسم أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني فقيه تونس ومفتيها .

أخذ عن ابن عبد السلام وطبقته ، وتولىَّ الفتيا بتونس .

قال البرزلي : هو شيخنا الفقيه الراوية المفتي الصالح المسِنُّ أبو القاسم .

قال تلميذه أبو الطيب ابن علوان : شيخنا الإمام العلامة المشاور الثبت الراوية المدرِّس المفتي الخطيب ذو الخطط الشرعية والعلوم النقلية اهـ .

وأخذ عنه جماعة من علماء تونس كالقاضي أبي مهدي عيسى الغبريني ، وأبي عبد الله القلشاني ، وصاحب الترجمة ولد أبي العباس الغبريني صاحب « عنوان الدراية » وقاضي بجاية .

[٥٠] توفي بعد السبعين وسبع مئة .

وأخوه شقيقه أبو سعيد أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني . قال ابن علوان : هو شيخنا الفقيه الإمام الخطيب الموقَّر المشاور الرئيس المسند المحدِّث بقية المشايخ اهـ . ولم يذكر وفاته .

مولاي أحمد الفجيجي

الشريف الأنور البركة الصالح الأذكر أبو العباس مولاي أحمد الفجيجي الملقب بالبركة المعينة .

كان رحمه الله ذا كشف وصلاح ، منسوباً إلى الخير والبركة والفلاح .

توفي في شهر ذي الحجة الحرام متمّ عام خمسة وتسعين ومئتين وألف (١٢٩٥) ، ودفن في فاس .

أبو العباس أحمدُ بنُ أبي قاسمِ البجائي

أبو العباس أحمد بن أبي قاسم عبد الرحمن بن عثمان التميمي الخطيب ، الشيخ الفقيه القاضي الجليل الفاضل الوجيه . هو أول بيت ابن الخطيب ببجاية ، ولي قضاءها من مراكش .

كان له صلابة في الأحكام ، وقلة مبالاة بأحدٍ من الحكام ، وكان إذا حكم أمضى ، وإذا وصل أرضى ، وإذا خشي كَشْفَ العورة أغضى ، وربما كان يتفرس في الأحكام أحياناً فراسة لا تخرجه عن قانون الشريعة ، ولا تستهويه أن يكون حُكمه كسراب بقيعة ، واستمرت مدته وطالت ولايته ، وكان أكثر الناس حظوة عند بني عبد المؤمن ، ولقد أسهموه ما لم يسهموا به أحداً من صنف الطلبة . وما زال ظِلُّ شرفه ضافياً على عقبه ، ومسبلاً أثواب النعمةعلى ذوي نسبه .

أحمدُ بنُ قاسم العقباني

أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني ، قاضي تلمسان ، والد الحفيد العقباني ، وولد شيخ الإسلام قاسم ، توفي سنة أربعين وثمان مئة (٨٤٠) بتلمسان .

مولاي أحمدُ بنُ القاضي المعسكري

الفقيه الأجلُّ العلامة الأفضل الشريف الأمجد أبو العباس مولاي أحمد بن أحمد ، شُهر بابن القاضي المعسكري داراً ومنشأً ، وهو من ذرية مولاي علي الشريف .

توفي رحمه الله بهذه الحضرة عام أربعة وستين ومئتين وألف (١٢٦٤) .

[٥١] أحمدُ بنُ محمد بن ذافال الجزائري

أحمد بن محمد بن ذافال الجزائري ، من أهل المئة التاسعة ، ومن طبقة قاسم العقباني . نقل عنه في « المازونية » و« المعيار » .

أحمدُ بنُ محمدٍ المبارك القسنطيني

العلَّامة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المبارك .

كان وقاد القريحة ، بديه الإدراك ، واسع الفكر ، عريض الفهم ، والإدراك ، أسنِدت لعُهدته رئاسة الطريقة الشاذلية ، فساسها على متون الشريعة ، وهذَّبها بنصائحه المفيدة .

درَّس وألَّف مؤلفات في شمائل الرسول ومعجزاته ، وله حاشية على شرح الأخضري لـ « جوهرِهِ المكنون » مفيدة في بابها ، وعارض عدة قصائد في مدح خير البرية .

أخذ عن العباسي وغيره والأول عمدته ، وولي مفتياً للمالكية والخطابة بالجامع الكبير . مات رحمه الله عقب سنة ١٢٦٥ .

أحمدُ بنُ محمد بن المسيلي

الشيخ العالم المفسِّر . أخذ عن الإمام ابن عرفة ، وأبي الحسن البطرني ، والولي ابن خلدون ، وأبي مهدي عيسى الغبريني وغيرهم ، له تقييد جليل

في التفسير قيده عن ابن عرفة ، فيه فوائد وزوائد ونكت ، ووقع له فيه قصة . وذلك أنه لما ألفه سمع بذلك الأمير الفقيه الحسن ابن السلطان أبي العباس الحفصي ، فراسله فيه وطلبه منه ، فامتنع وماطله أياماً ، ثم أرسل إليه وأمر رسله أن لا يفارقوه حتى يسلمه لهم ، فلما رأى الشيخ صاحب الترجمة الجد في الأمر أخذ منه من سورة الرعد إلى الكهف ودفع لهم الباقي ، فمشوا به ، ثم مات ومات الأمير أيضاً ، وبيع التقييد في تركته فسافر به مشتريه إلى بلاد السودان ، فبقي أهل تونس لا شعور لهم به ، فلذلك كان أصل نسخه من نسخة السودان ، ومن هناك انتشر ، وقد كان الشيخ لما طُولب به اختصر منه تقييداً صغيراً جداً ، وهو موجود ببلد فاس ومراكش بيد الناس ، وذكر في التقييد المذكور أنه أول ما حضر عند ابن عرفة عام ٧٨٥ .

[٥٢] أحمدُ بنُ محمد العبادي

أحمدُ بنُ محمد بن يعقوب العجيسي ، شُهر بالعبادي ، يُكنى أبا العباس . توفي بتلمسان سنة ٨٦٨ .

أحمدُ بنُ محمد العقباني

سيدي أحمد بن محمد بن قاسم العقباني أبو العباس الفقيه .

قال في « الدوحة » : كانت له حصة مباركة من الفقه ، قدم مع الشيخ أبي العباس أحمد العبادي ، والشيخ أبي عبد الله محمد شقرون ، وتصدر للتدريس بالقرويين ، وكان دونهما في إدراك العلوم ، وتوفي في آخر العشرة

الثامنة ، يعني من القرن العاشر (٩٨٠) بفاس ، وسلسلة سلفه سلسلة العلم والفضل .

أحمدُ بنُ محمد المعافري القلعي

أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الشيخ الفقيه المقرىء المتقن الأستاذ النحوي اللغوي المحصّل المقدم أبو عمرو ، وقوته في علم القراءات .

قرأ على أبيه بالقلعة الحمادية بجامعها الأعظم في عشر التسعين وخمس مئة ، وارتحل إلى بجاية ، ولقي بها أفاضل منهم والده أبو عبدالله بن عبدالله ، ومنهم الشيخ أبو زكرياء الزواوي رضي الله عنه ، كان ملازماً له وعاكفاً عليه ، والقارىء بين يديه ، ولقي أبا عبد الله بن حماد وغيره .

وكان أستاذ الأساتذة في وقته ، كان جلوسه للقراءة والرواية بالجامع الأعظم ببجاية ، شرفها الله بذكره ، وقرأ عليه عالَم ، واستفاد منه خلق كثير ، وكل من أخذ عنه يصفه بالإتقان والدراية وجودة الرواية ، وكان لا يتسامح في الإجازة بوجه ، ولا يمكِّن منها إلا بعد التحصيل ، ومن ظفر من الطلبة بإجازته فقد ظفر بالغاية القصوى ، ووصل إلى المرتبة العليا ، وما أدركت من أدركتُ من الطلبة إلَّا وهم يفخرون بلقائه والقراءة عليه .

واختصر كتاب « التفسير » لأبي عمرو الداني اختصاراً بليغاً وجيزاً ، يدل على علمه وجودة فهمه . وتوفي رحمه الله ببجاية عن جملة تلاميذ وفضلاء أساتيذ .

أحمدُ بن محمد الوهراني

أحمد بن محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن حرة المديوني الوهراني .

[٥٣] أخذ عن الإمام السنوسي « مقدمته الصغرى » ، وعن الكفيف ابن مرزوق ، وهو الذي كان يطالع له ، وأخذ التصوف عن ابن تازغدوت ، وهو أحد تلاميذ سيدي إبراهيم التازي ، وأخذ أيضاً عن الشيخ محمد بن موسى تلميذ السنوسي ، وتوفي سنة إحدى وخمسين وتسع مئة (٩٥١) ، وأخذ عنه الشيخ المنجور ، وذكره في « فهرسته » .

أحمدُ بن البشير المختاري

الفتى الشاب سيد من جاوز الكهولة وشاب ، من أغناه الفهم والحفظ عن كل عبارة من الكلام المفيد المركّب في اللفظ ، دعته النجابة فكان لها خير عشير ، الفقيه النجيب السيد أحمد بن البشير المختاري .

أخذ الفقه عن حفيد السيد أحمد بن هني ، وولد ابنه أبي راس المازوني حفيد الشيخ أبي راس الناصري ثم المعسكري ، وابن بنته ، والنحو عن ابن عمه ، مستطرف الزمان ، وعلامة همدان ، أبي علي السيد حسن الملقب بالشريفي بالقاف المعقودة المختاري ، وهذا الولد عريق في السيادة ، وتابع لأسلافه في علو الفخر والمجادة ، كما قيل : إذا طابَ أصلُ المرءِ طابَتْ فروعُه .

وجده الفقيه الهمام كان فارساً في نوازل الأحكام ، متصدياً للفتوى بإذن من قضاة الأنام ، كم من خلاف رفعه بفتواه ، وروض المذهب ممره

ومرعاه ، فلا يقتطف من زهر أقواله إلا المشهور ، وما اتفق عليه أئمة الجمهور ، ويقول الحق ولا يبالي ، ومع ذلك إذا أعضلت الدعوى وتكررت بها في مجالس القضاة والحكام الشكوى ، تنهى إليه ويقول : أنا لها إذا نالت الناس قضية ولا أبا حسن لها ، فابن المختار المختاري إذا بلغت فتواه للقاضي يتلقاها بالقبول ، ويقول : كل قاض اختياره فوق اختياري اهـ من رحلة المشرفي .

أحمدُ بن مزيان الورجي

الشيخ الفاضل ذو التصانيف الجيدة الوليّ الكبير والعالم الشهير صاحب وقته ، محبّ النبي ﷺ وخليله ، سيدي أحمد بن مزيان في قرية ورجة ، وهي قرية طيبة فيها بساتين ، ووسط داره عين جارية ، وله حلاوة بحيث لا تُفرِّق بين كلامه والكلام الأصيلي ، وألف كتاباً في الصلاة على النبي ﷺ ، لم يوجد له نظير ، لأنه ذكر تصاريف اللغة ، وحاز قصب السَّبق فيها . وله سِرٌّ عظيم وانفعال جسيم ، فأينما توجَّه رأيت الناس حافين به .

[٥٤] وقد تمكن في علم الأوفاق تمكُّناً كلِّياً مع الكشف التام . وقد أخبر عنه أنه لا يفعل شيئاً حتى يستأذن النبي ﷺ . وله كرامات مشهورة منها أنه أتاه فقيره في أيام الحج فقال له : والله إنْ أحُجُّ في هذه الأيام . فلما ألحَّ على الشيخ . وذلك في زمان الخريف . أعطى له عنقوداً فأتمَّ أكله في مكة المشرفة ، ثم لما أكمل حجه وجد نفسه في داره ، نفعنا الله به .

وولده حي أخ لنا . وصديق لدينا . وهو لا يشبهه لكثرة أحوال الدنيا اهـ من الورتيلاني .

أحمدُ بنُ مسعود القسنطيني

أحمد بن مسعود القسنطيني أبو العباس الشهير بابن الحاجة الإمام المقرىء المتبتِّل المتعبد النحوي المجيد صاحب الأوقات ، وإمام الحضرة .

أخذ عن ابن برال ، وأبي العباس الزواوي وغيرهما .

وأخذ عنه البرزلي ، وأبو الطَّيِّب ابن علوان وغيرهما .

أحمدُ المسبّح أبو العباسِ القسنطيني

في « منشور الهداية في كشف حال من ادَّعى العلم والولاية » لسيدي عبد الكريم الفكون ما نصه : الفقيه المدرس أبو العباس أحمد المدعو حميدة المسبح .

كان من المفتين بقسنطينة ومن ذوي فتياها ، وممن له معرفة ونباهة وصدق ، وممن له الشورى في النوازل ، ويقال : إن اعتماد أخيه أبي محمد عليه في بعض المهمات إلاَّ أن أخاه أبا محمد أشهر ذكراً لأجل مخالطته الأمراء .

توفي رحمه الله تعالى عام ٩٨١ اهـ ، من خط الشيخ حمدان الونيسي .

أحمدُ بنُ معمر البجائي

الشيخ سيدي أحمد بن معمر ، الولي الكامل ، والليث الفاضل ، من زار بجاية ولم يزره لم يذهب بشيء منها ، والعياذ بالله تعالى ، وإن لم يكن كذلك في نفس الأمر غير أن أسباب الحرمان كثيرة ، فالحذر الحذر والأدب الأدب ، توجهت لزيارة رجال النخلة المدفونين في مسجد الخميس أعني السوق ،

وكذا من في مقبرة السوق ، نفعنا الله بهم .

فقد سمعت ممن يُوثق به أن بعض الناس من بجاية وصل إلى عمراوة ، فصار يستغيث بالصالحين فيما أصابه ، فأتاه بعض الأولياء فقال له : ألا رجعت إلى بجاية فاستغثت برجال النخلة ، فمن استغاث بهم يُغَث بإذن الله تعالى .

وبعد توجهتُ بوجهي إلى المدفونين في جبل خليفة بعد ما زرت سيدي الصدّيق ، وسيدي عبد الحق **الفجيجي** ، ولم يثبت عندي شيء في حقهما ، نعم أهل بجاية يعظمونهما غاية التعظيم ، إلا ما سمعت عن بعض طلبة بجاية
[٥٥] من أن الشيخ عبد الحق هذا هو الذي قتله السلطان ظلماً وعدواناً ، وسبب ذلك أن بعض الزنادقة كان يتعبد في الظاهر في الموضع المسمى بمضيق ، فلما اشتهر أمره صار الناس يأتونه أفواجاً ، فمكر به والعياذ بالله تعالى ، فكان من أمره أن كل امرأة لا تلد في بجاية تأتيه ويختلي بها فتلد طفلاً فعلا صيته بهذا الأمر ، وذهبت زوجة سيدي عبد الحق هذا إليه ، وهو معها ، فلما وصلت طلبها للخلوة على عادته ليطأها فتلد ولداً ، فامتنع الشيخ من ذلك ، وقال : هذا ممنوع شرعاً ، فرجع هو وزوجته ، وكانت امرأة السلطان قد فعل بها ما فعل قبل في النساء ، ولما رجع الشيخ عبد الحق نادى بالويل على الرجل ، وقال : إنه زنديق ونبه على فعله الخسيس ، وافتضح أمر الرجل ، وأصابت السلطان المعرَّة العظيمة ، فطلب سيدي عبد الحق على مقالته فقتله ، وجعل رأسه عند باب المدينة ، وإنما فعل ذلك امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام « إذا رأى العالِمُ مُنْكَراً ولم يُغيِّرهُ فعليهِ لعنةُ الله » نعم بقي رأس الشيخ هناك مدة ، غير أنه إذا جاء البواب عند الغروب ويقول الباب : ليدخل من كان خارجاً ، يقول الرأس : لم يبق إلَّا عبد الحق الذي مات على الحق ، بلسان فصيح سمعه الناس كلهم . فعند ذلك رأوا الشيء عياناً ، وظهر الحق وزهق

الباطل ، ورفعوه وعظّموه وجعلوا روضة على قبره ، وقد قيل فيه : إنه ولد الشيخ سيدي علي المظلوم المدفون عند الحلق ، قيل : إنه مظلوم في قتل ولده هذا .

وبعده توجهتُ لزيارة مَنْ في الجبل وقد قيل : إن فيه اثني عشر ألف قطب ، وإنه يُنيخ بالحلة في الجنة كما يُنيخ البعير بحمله ، وكان توجُّهي على القنطرة التي عند الباب ، إذ سمعت أيضاً من بعض الصالحين أنه يقول : من وقف على تلك القنطرة ، وتوجه للجبل فسأل الله شيئاً أعطاه إياه .

وبعد ذلك دخلتُ بجاية وزرتُ الشيخ سيدي الصوفي ، ولم أحفظ من أمره شيئاً إلا أن أهل بجاية يعظّمونه غاية التعظيم ، وأنه من أهل التصريف في بجاية ، نفعنا الله به آمين .

وبعده زرتُ خلوة الشيخ سيدي أبي مدين الغوث ، وقد زرتُ قبره والحمد لله في العباد في تلمسان أرض الجدار ، وزرتُ معه الشيخ السنوسي ، والإمام ابن زكري ، والعقبانيين ، والإمام ابن مرزوق ، وولدي الإمام ، وهؤلاء كلهم مؤلفون ، نفعنا الله بجميعهم . وأبو مدين كان في القرن السادس [٥٦] في بجاية حتى سعى به بعض الشياطين من الحسَّاد إلى أمير مراكش ، فبعث إليه فلما سمع أهل بجاية عزَّ أمره عليهم ، وأرادوا الخروج عن طاعته ، وقال خليفة بجاية : لا تذهب فإني أخرج عن طاعته من أجلك ، فقال : أذهب والله غير أن الناس لا يرونني ولا أراهم ، وذهب ، فلما قرب تلمسان أشار بموته فقال : احملوني على بغلة ، فالموضع الذي تبرك فيه فذلك قبري فبركت في العباد ، ودفن فيه ، فصار رحمة لأهل تلمسان ومزارة ، نفعنا الله به ، وكان أصحابه كثيرين منهم الشيخ أبو محمد صالح الدكالي ، فإنه ذات يوم أتى الشيخ أبا مدين فقال له : أردت الفقر إلى الله ، أما ترى واحداً يُبلغني ، فقال : لم أرَ

لك مثل الشيخ عبد القادر في بغداد ، فذهب إليه فلما وصله ، قال : أردت الفقر إلى الله ، فأدخله الخلوة ، فمكث أربعة وعشرين يوماً ، فدخل عليه الشيخ عبد القادر ، فقال : ما أردت ؟ فقال : أردت الفقر إلى الله ، فقال : عليك بكذا وكذا ، فقال له هو : هذا كله أعرفه من الكتاب والسنة ، فقال : ما تريد ؟ فقال : أريد أن تُدخل يد قلبك لقلبي ، قال : فنظر فيَّ نظرة فامتحق قلبي من حينه ، ثم قال : انظر الكعبة فنظرت الطائفين بها ، ثم قال لي : انظر إلى المغرب ، فنظرت شيخي في المغرب ، ثم إنه قال لي : أتريد مكة أم المغرب ؟ فقلت : شيخي في المغرب ، فقال لي : في خطوة أو كما جئت ؟ قلت : كما جئت ، فأغناني بتلك النظرة دنيا وأخرى ، أنفق فيهما ، ثم إن أبا محمد قيل إنه قَدِمَ بلادنا ، واستقر عند أمير وادي أقبو ، وهو وادي بجاية ، فرغب فيه السلطان فزوجه بنته ، فولد معها ولداً فمكث غير بعيد ، وقال : دعني أرفع ولدي فإنه ستظهر شمس في القرن التاسع في بني عيدل تغيب النجوم كلها معها ، فمنعه السلطان منه ، وذهب وتركه ، نعم قيل : إن أولاده هم أولاد سيدي محمد صالح الآن عندنا والله أعلم .

وقد قيل : إنه هو الذي طلع بدابته عمودَ السَّواري في الإسكندرية حيث قال لهم : أين يبيت الغريب ؟ فقال البواب له استهزاء به : في عمود السَّواري ، فبات فيه ، وهو لا يمكن عادة المبيت فيه ، نفعنا الله به . وأما الشيخ عبد القادر فكان في القرن الخامس ، أخذ منه خمسين سنة ، وأخذ من السادس تسعة وأربعين سنة .

ثم بعد زيارة خلوته توجَّهتُ لزيارة خلوة الشيخ أبي محمد المرجاني المعلوم الذي ينقل كلامه صاحب « المدخل » ويعتمد عليه ، ولا يشكُّ أحد في ولايته ، وقال ابن عرفة قادحاً : أثقل شيء عليَّ قولهم : قيل لي أو عليَّ ، قال : فلا أقبله ولو من المرجاني المقطوع بولايته اهـ . فقد جزم بولايته .

قلت : نقل كلامه هذا الشيخ زروق ورده بقوله : الثقل ليس بحجة ، وقوله أيضاً المرجاني المقطوع بولايته فإن أراد القطع بحسب الكرامات ، فثمَّ مَنْ هو أظهر منه كرامة ، وإن أراد ذلك بحسب نفس الأمر فلم يقطع لأحد الآن بذلك إلا بعد دخول أهل الجنة الجنة .

[٥٧] ثم توجهتُ لزيارة خلوة الشيخ عبد القادر ، وخلوة سيدي أبي العباس السبتي الكائنتين في برج اللؤلؤة ، وقبر سيدي أبي العباس في مدينة مراكش . وأما قبر الشيخ سيدي عبد القادر فمعلوم في بغداد أفاض الله علينا من بحر أنوارهما ، وزرت الجامع الأعظم القديم القريب من تلك الخلوة ، ومن البرج المذكور الذي كان فيه تسعون مفتياً ، أي في الجامع الأعظم ، وكان كل واحد لا يعرف أبا علي المسيلي أي ناحية كان .

ثم بعد ذلك توجَّهتُ إلى الشيخ عبد الحق الإشبيلي ، ويقال له : اليماني ، ويقال له : البجائي أيضاً ، وهو الذي ألَّف العقبة ، وقبره خارج باب المرسى القديم طريق أبي زكرياء الزواوي ، وكان رضي الله تعالى عنه لوذعياً فاضلاً كريماً لا نظير له ، وكانت تأتيه أمتُه مراراً في يوم واحد لمجلس درسه تطلبه دراهم فلم يخيبها قط ، ثم قال بعض تلامذته : هذا شيء كثير يا شيخ ، فقال له : أستحي أن تجتمع في ثلاثة شينات : شيخ وشحيح وإشبيلي اهـ . وأيضاً كانت رخامة عند قبره ، فيها تاريخ موته ، فأتى بعض النصارى فرفعها ، فلما وصل بها إلى بلده تشاءم بها ، وردها بنفسه إلى قبره ، نفعنا الله به آمين .

ثم زرتُ مَنْ دُفن في تلك المقبرة ، وقد دفن فيها أيضاً قرب السور الشيخ عبد الحق بن ربيعة ، ذكره صاحب « عنوان الدراية » بما يحرك قلب الناظر إليه ، وقد قيل : إن في تلك المقبرة الغافقي .

ثم توجَّهتُ لزيارة الشيخ أبي زكرياء يحيى الزواوي ، وقد كان في

القرن السادس ، وقبره مشهور . قال صاحب « عنوان الدراية » ما نصه : أربعة قبور يُستحاب الدعاء عندها ، قبر معروف ببغداد ، وقبر أبي مروان في بونة ، أي عنابة ، وقبر أبي زكرياء يحيى الزواوي الذي هو هذا ، وقبر أبي مدين في تلمسان ، وقد زرتُ والحمد لله الثلاثة ، بلّغني الله إلى الرابعة ، وهو قبر معروف بجاه من ذكرته من الأربعة آمين .

ومن أوصافه رضي الله عنه أنه كان لا يأكل إلا السمك ، فيصطاد بنفسه طلباً للحلال ، وكان كثير التردد على المساجد ، يتعبد فيها بنواحي بجاية ، وكان رحمه الله له مجلسان في العلم : مجلس في الحديث ، ومجلس في التفسير ، إلا أن التفسير يُقرئه بعد صلاة الجمعة على المنبر ، لكثرة الناس وازدحامهم عليه إلى يوم موته ، وكان يكرر قوله تعالى : ﴿ عفا اللهُ عَمَّا سَلَفَ ومَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ ﴾[1] ففهم أكثر الحاضرين أن الشيخ يموت ، وكان رحمه الله
[٥٨] سخي الدمعة يبكي ويبكي أكثر الحاضرين معه إلى أن قربت صلاة العصر ، وذهب لزاويته. قرب الجامع ، فسمع له من في المسجد حركة اغتيال ، ثم رجع إلى صلاة العصر ، فلما فرغ منها رجع إلى زاويته ، فمات بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ، ودفن صبيحة يوم السبت ، وخرج الناس لدفنه ، وخرج أمير بجاية ، وقد انكسر كذا وكذا نعشاً تحته رحمة ورغبة فيه ، وهو حسناوي من بني عيسى . وبلدهم معلومة بقربْ الجزائر ، ودفن معه الولي الكبير ابن عربي غير الحاتمي وغير الحافظ ، وإنما هو رجل على صورة البله يلعب بقصبة .

وأما الشيخ سيدي المليع فلم أحفظ من أمره شيئاً إلا أن أهل بجاية يعظّمونه غاية التعظيم . ويَعُدُّونه من أهل التصريف ، وكذا سيدي عيسى ، وجده سيدي علي البكائي إلا أن جده والله أعلم قد ذكر صاحب « عنوان الدراية » في طبقاته

---

(١) سورة المائدة : الآية ٩٥ .

أن له زاوية عظيمة الخ ما ذكره ، والله أعلم .

وأما الشيخ سيدي علي المسيلي فقد كان حجة في بجاية ، وتولى القضاء فيها ، والدعاء مستجاب عند قبره ، ويسمى أبا حامد الصغير .

ومن تآليفه « التذكرة والنبراس في الرد على مُنكر القياس » ، وقد رأيت الشيخ عبد الباقي يقول : « قال صاحب النبراس » ، وهو من أواخر القرن السادس .

ومن أهل القرن التاسع أيضاً الشيخ سيدي التواتي ، وهو ولي صالح كبير الشأن ، عالم على الإطلاق ، وله مؤلفات كما كنا نسمع ، وهو عند أهل بجاية من أهل التصريف ، وقد سمعنا أن فتواه لا ترد إلى توزر ، وهو المعاصر للشيخ سيدي يحيى العيدلي ، وله زاوية وطلبة إلى الآن ، وخدام في الجبل وغيره ، نفعنا الله تعالى به اه ورتيلاني .

سيِّدي أحمدُ بنُ عمَّار الجزائري

هو العلامة المحقق والفهامة المدقق أبو العباس سيدي أحمد بن عمار مفتي مالكية الجزائر ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

كان من نوابغ عصره وأفاضل مصره ، وهبه الله حظاً من سيلان القلم وطلاقة اللسان ، لحق به شأو لسان الدين والفتح بن خاقان ، وبديهة في البيان والمعاني ، زاحم بها الحريري والهمذاني ، وذُكر في المشارق والمغارب ، أغنى أهله عن الإطراء وتلفيق المناقب ، وكفى به تعريفاً ما طبعته الحكومة من كتابه « نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب » ، إذ فيه من زواهر منظومة ، ما يهدي ناظره إلى شموس علومه وأنوار فهومه ، فمن نثره في ديباجة رحلته :

قوله : اعلم وفقني الله وإياك لمرضاته ، وعصم كلامنا من الخطأ والخطل والزلل في حركاته وسكناته ولحظاته ، إني عزمت على الرحلة إلى الحجاز ، عزماً نسخت حقيقته المجاز ، أوائل سنة ١١٦٦ ست وستين ومئة وألف .

[٥٩] هذا وقد جرت عادة أهل بلادنا الجزائر ، حرسها الله من الفتن وحاطها من الدوائر ، أنه إذا دخل شهر ربيع الأول ، انبرى من أدبائها وشعرائها مَنْ إليه الإشارة وعليه المعوَّل إلى نظم القصائد المديحيات والموشحات النبويات ، ويلحنونها على طريق الموسيقى بالألحان المعجبة ، ويقرؤونها بالأصوات المطربة ، ويصدعون بها في المحافل العظيمة ، والمجامع المحفوفة بالفضلاء والرؤساء النظيمة ، من المساجد والمكاتب والمزارات ، وهم في أكمل زينة وأجمل زيّ وأحسن شارات ، تعظيماً لهذا الموسم الذي شرف به الإسلام ، واحتفالاً بمولده عليه الصلاة والسلام ، فلما استهل هذا الشهر الشريف من هذه السنة ، ولاح هلاله المسبي المنيف لعَيْنٍ لم تكتحل بسنة ، أنشأت هذه القصيدة الموشحة ، جعلها الله لمنصب القبول مرشَّحة ، وهي قولي ـ مستعيناً بحول الله وقوته ، منتصِّلاً من قوتي وحولي ـ :

يا نسيماً باتَ من زهر الرُّبا ... يقتفي الرُّكبانْ
احملَنْ منِّي سلاماً طَيِّباً ... لأُهَيْلِ البانْ

اقرَأَنْ منِّي سلاماً عَبِقَا * إنْ بَدَتْ نَجْدُ
إنَّ لي قلباً إليها شَيِّقَا * شفَّهُ وَجْدُ
وفُؤادي يَجتنيها حُرَقَاً * وضَنَىً يَعْدُو

ودموعُ العينِ تَهمي سُحُباً ... قطرُها هتَّانْ
والكرى عَنْ مُقلتي قد غَضِبَا ... وجَفَا الأجفَانْ

يا رعى اللهُ فـؤادي كَـمْ لَـــهُ * للحِمَـــى تَـــوْقُ
كلَّما حـثَّ الرِّكابَ بَـزْلُـــهُ * هـــــزَّهُ شَـــوْقُ
وحنيناً يتقضَّـــى ليلُـــــهُ * إنْ سَـرَى بَـــــرْقُ

إلخ :

ثم قال : ولي من هذا النمط وغيره من التوشيح والقريض قصائد شتَّى في مدحه ﷺ ضمنتها بطن ديوان ، وكننتها من أوراقه بصوان ، يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى إذا بلغ القلب الكئيب السول ، وأقرَّتِ العين المشوقة بالمثول بين يدي السيد الرسول ، وضمت الحضرة النبوية والمثابة أشلاء الجسد إلى الروح ، وأقدمت المسرات وأحجمت التُّروح ، وأنشدتها على صاحبها صفوة الوجود ، الذي ضربنا لأجله الأغوار والنجود ، خيرة ولد آدم وأكرمهم على ربه ، المحبب إلى القلوب في حالي بعده وقربه ، لا زالت الأنفس بدنُوِّه مرتاحة ، وصِعاب الأماني بحنُوِّه مُتَاحة ، وبدور السعود ملتاحة ، وشموس الرسالة مشرقة للعيون في آفاق تلك الساحة ، ودامت في حماه الأرواح ممتَّعة بوصله ، محدودة بجنسه وفصله ، راجعة فروعها إلى أصله ، حائزة برعيه ﷺ قصب السبق مع خصله ، محروسة برمح بطشه وسهمه ونصله ، إن شاء الله تعالى . [٦٠]

وهذه الطريقة التي مدحنا بها النبي ﷺ عليها جرى أهل بلادنا ، وأرباب طارفنا من البلاغة وتلادنا ، والشعر القريض عندنا في هذا الغرض ما أنزره وأقلَّه ، في هذا العصر والذي قبله ، ومُجَلِّي هذه الحلبة ، ومقدَّم الجماعة ، وناقل الجعبة ، وإمام الصناعة ، وركَّاب صِعَابها ، ومذلِّلها ، ومسبِّل شِعابها ، ومسهِّلها ، عاشق الجناب المحمدي ومادحه بلا معارض ، ومُثَلِّثُ طريقَتَي البوصيري وابن الفارض ، الشيخ أبو العباس سيدي أحمد المانجلاتي ، أتحفه

الله بمنفهق رضوانه ، وألحفه مطارف التكريم في أعالي جنانه ، وقد أثبتُّ هذا من مَوْلِدياته ما يُطرب ويروق ، ويُبهر الشمس عند الشروق ، فمن ذلك قوله :

* نلت المرام *

باللهِ حـادي القِطَـــارْ * قِفْ لي بتلكَ الدِّيـــارْ * واقرَ السَّلامْ
سلِّم على عُـرْبِ نَجْـــدِ * واذكُرْ صبابةَ وَجْـــدي * كَيْفَ يُـلامْ
من بادرَتْـهُ الدُّمـــوعْ * شوقاً لتلكَ الرُّبـــوعْ * مَعَ المَقَـامْ

إلخ :

قال : وهذا الرجل الصالح من عشَّاق الشمائل المحمدية ، المشرقة العاطرة النَّديَّة ، وله ديوان قصائد مولدية ، تزرى بالأزهار الندية ، ثم جاء مُصْلِياً خلفه علم الأعلام ، اللاعب لسانه بأطراف الكلام ، سَحْبَانُ البلاغة وقُسُّ البراعة ، ومالك أزمَّة المعاني ومصرِّف اليراعة ، فارس الأدب المفرد ، وحامي ذماره ، وحارس روضه الأُنُف ، ومطلع شمسه وأقماره ، شيخنا أبو عبد الله محمد بن محمد الشهير بابن علي ، أمطر الله ثراه من الرحمة والرضوان بكل وسْميّ وولي ، وقد أثبتُّ له هنا ما يُرشف رحيقاً ، ويُنشق مسكاً سحيقاً ، ويُسَرْوَح نسيماً ، ويُستلمح مُحَيّاً وسيماً ، ويُسترق عذباً زلالاً ، ويُستنطق سحراً حلالاً ، فمن ذلك قوله :

* هاج الغرام *

باللهِ طاوي القِفَـــارْ * عَرِّجْ بـذاكَ المَـــزَارْ * حيثُ الكِرامْ
عـرِّجْ بربَـعِ المَـعَـــالْ * وابردْ بـذاكَ الوِصَـــالْ * حَـرَّ الغَرَامْ

حسبُ المشوقِ الكئيـــبْ * أنْ شَمْلُهُ بالحبيـــبْ * لَـهُ التِئَامْ
نأَتْ علينـــا الدِّيـــارْ * وفـي الفُـؤادِ جِمَـــارْ * لها انضِـرَامْ

إلخ :

قال : وهذا الإمام هو خاتمة الشعراء العظام بهذا الصقع ، ليس لغليل الأدب بعده نقع ، وكثيراً ما كنت أرتاح إليه رحمه الله تعالى كما يرتاح إليّ ، [٦١] ويا طال ما كان يفرغ من سجال آدابه عليّ ، ومضت لي معه مجالس كقِطَع الرياض ، تُكسي النفسَ والطَّبعَ منها مطارف ارتياح وارتياض ، وشعره كثير ، وهو على كثرته يفوق الدر النظيم والزهر النثير ، ونثره على جودته قليل ، وسيفه فيه غير كَليل ، وله ديوانُ أشعار ، تغلو في عكاظ الأدب إذا رخصت الأسعار ، وكان رحمه الله تعالى في نظمه متين الجد لطيف الهزل ، محكم النسج رقيق الغزل ، وقد ترجمته في تأليفي « لواء النصر في فضلاء العصر » وباسمه صدرت في الكتاب وافتتحت ، وبطَلِّ أدبه رقرقتُ زهره وفتحت اهـ . منه .

وفيه كفاية للتعريف بمبلغه من العلوم الأدبية ، وهي حياة اللغة العربية ، ومن تمكن منها بالفعل ، تمكَّن بالقوة من سائر الفنون ، ولم أقف على وفاته .

أبو طالبٍ أحمدُ بنُ محمد الاغريسي

أبو طالب أحمد بن محمد بن عبد القادر بن علي أبي طالب الراشدي الحسني .

ولد في وادي الحمام قرب معسكر سنة ١٢٥٢ ، وانتقل أبوه إلى فاس ، ومكث بها أعواماً ، ثم إلى طنجة ، وبها قرأ المترجَم القرآن على سيدي سليمان

الوهراني ، وأخذ مبادىء العلوم العربية عن العلامة محمد الدكالي في طنجة . ومبادىء الفقه عن عمه أحمد بن علي أبي طالب ، وعن الفقيه محمد بن علال التلمساني صهر أبي عبد الله محمد بن محمد المجاوي الجليلي ، ثم تولّى عمه أحمد المذكور خطّة القضاء بسطيف ، وانتقل هو مع أبيه محمد أبي طالب إلى تونس ، وحضر دروس الشيخ العفيف ، والشيخ بيرم الكبير ، وغيرهما من علماء جامع الزيتونة ، ولما توفيت أمه بنت محمد السعيد بن محيي الدين ابن مصطفى بن المختار ، ذهب مع جده هذا لدمشق الشام ، وبها أخذ عنه وعن خاله العلّامة الشيخ محمد المرتضى ، والأمير الحاج عبد القادر بن محيي الدين ، ورجع إلى أبيه في مدينة سطيف ، فتولى قضاءها وتولّى أبوه قضاء دائرة قسنطينة ، وفي سطيف اشتهر أمره وظهر علمه ، وقيد التقاييد العجيبة ، وأنشأ القصائد الطنانة ، وانتقل إلى قضاء الأربعاء من دائرة الجزائر ، وهناك اجتمع بالعلامة على الحقيقة الشيخ حميدة العمالي مفتي السادة المالكية في الجزائر ، وحضر دروسه فأعجبه ترتيب إقرائه ، وتقريب العلم إلى الأفهام مع التحقيق
[٦٢] التام ، ولما ولي العلامة علي بن الحفاف الإفتاء بعد موت الشيخ العمالي صار يجتمع به أيضاً ، وقرأ عليه التجويد والتصوف ، ومدحه هو وسيدي علي مبارك صاحب القليعة ، وسيدي أحمد الكبير صاحب البليدة بعدة قصائد ، وانتقل إلى قضاء مستغانم ، وبعد ذلك حدث شقاق بين العلامة السيد محمد المصطفى المشرفي والشيخ علي بن الحفاف ، أداهما إلى إشهار القلم في مسألة من مسائل رمضان ، وقابل كل منهما الآخر بما يعلمه ، وأساء الأول الأدب على الثاني ، فانتصر المترجم لابن الحفاف ، وجعل رسالة عظيمة الشأن سماها « الانصاف في رد اعتراضات السفساف ونصر ابن الحفاف » فرد عليه المشرفي برسالة سماها « السهام الصائبة في رد الدعاوى الكاذبة » فأجابه المترجم برسالة سماها « الحسام في تكسير السهام » والحاصل أنه رجل مشهود له بطول الباع

في القريض والتوثيق ومعرفة النوازل .

بقي في القضاء نحو ٣٠ سنة لم يزل فيها مطالعاً للكتب مقرراً على هوامشها ، مستعيناً بصهره العلامة الشيخ عبد القادر المجاوي الموصوف هنا في ترجمة والده الشيخ محمد بن عبد الكريم المجاوي ، لأنه كان لا يفارقه .

توفي رحمه الله في سطيف سنة ١٣٠٧ ، ودفن بمقبرتها قرب ضريح الولي الصالح سيدي سعيد الزواوي ، وأعقب أولاداً نجباء أحسن تربيتهم وحثَّهم على التعلم عليه وقت فراغه ، وعلى صهره الشيخ عبد القادر المذكور ، فنبغ منهم الأديب الأريب السيد محيي الدين القاضي الآن في عمالة قسنطينة ، والفقيه السيد أبو بكر قاضي البليدة ، والشاب السيد محمد المأمون الباش عدل في وهران .

ومن نظمه رحْمه الله مادحاً أحمد فارس الشدياق صاحب جريدة الجوائب المشهورة وأثبت الممدوح ذلك في كتابه « كنز الرغائب في منتخبات الجوائب » شكراً للمادح وللعلم .

قوله :

سنا سرُّ الليالي[1] أضاء ليلا * فأنساني مُسامرتي لليلى
وذكَّرني المثاني لا المباني * وأذهلني فروَّاني وعلَّا
ففي أدراجهِ عينُ المعاني * مَعيناً مِن حديثِ البحر نَيلا
فما رشفُ الغواني بالأغاني * بأشهى مِنْ مذاقتِهِ وأحْلَا
مسائِلُهُ تحاكي في انسجامٍ * لمى لَعْسَا بتولٍ حينَ تُتْلَى
فما خطَرتْ على فِكْرٍ ولكِنْ * بفكرةِ فارسِ الآدابِ تُحْلَى
وحيدٌ في الفصاحةِ لا يُجارى * فريدٌ في البلاغةِ لا يُجَلَّى
أصابَ بفهمِهِ غَرَضَ المعالي * وحازَ بحَزْمِهِ القِدْحَ المُعَلَّى
وكَمْ جابَتْ جوائِبُهُ بلاداً * وجابَ بيانُها حَزْناً وسَهْلا

(١) إشارة إلى كتاب « سر الليال في القلب والإبدال » لأحمد فارس رحمه الله تعالى .

بنيتُ لكَ الوِدادَ أبا سليـــــــــمٍ * عـــلى عَهْدٍ يدومُ لهُ مَحَـــلَّا
فدُمْ بَدْرَ السعادةِ في البرايَـــــــا * ومَنْ يَشْنَاكَ يلقَ أسىً وذُلَّا

[٦٣] وله أيضاً رحمه الله في الولي الصالح سيدي علي مبارك ، دفين القليعة :

أَيَا زَائِـرًا فُـكَّ المطي بالمَبَـارَكِ * وسَلِّمْ على المولى عليّ المُبَـارَكِ
وقَبِّلْ تُراباً طالماً فاحَ نَشْـــرُهُ * بأخمصِـهِ كالمِسْكِ يا خيرَ ناسِكِ
ولُذْ بالجنابِ واحتـمِ بجـــوارِهِ * فلا تخشَ ضيماً لا ولاهتكَ هاتِكِ
وقُـلْ يا وليَّ اللهِ غوثاً فإنـــنـــي * بما مسَّني قد صرتُ بينَ المهالِكِ
فأنتَ ملاذُ الخائفينَ وكَهْفُهِـــم * كبدرِ الدُّجا بينَ النُّجومِ الشوابِكِ
أيجتمعُ الضُرّان فقرٌ وفُـرقـــةٌ * وانِّي بمرأىً منكَ بينَ الشَّبابِكِ
وأولادي في عشِّ الضَّنى تَستفزُّهُـم * غرابيبُ ضَنْكِ العيشِ بالخيرِ دارِكِ
إلهي أنِلْني من رِضَـى كلِّ عـــارفٍ * وكلِّ تقيٍّ قد جذبْـتَ وسالِـكِ
بجاهِ شفيعِ الخلقِ والصَّحْبِ كُلِّهِم * وأتباعِهِم كالشافعـــي ومالِـكِ

وله أيضاً رحمه الله في الوليِّ البركة سيدي أحمد الكبير ، دفين فحص البليدة :

أَوْرِدْ فـاحَ في اليومِ المطيـــــرِ * وسِرٌّ لاحَ بالقُطبِ الكبـــيرِ
ببلدتـــهِ البليـــدةِ قـد تَسامى * على الأقرانِ كالبـــدرِ المُنيـرِ
تدفَّقَ سِرُّه كالنيلِ يَـــــروي * بقُرقُفِـهِ اللهيفِ مـــن النَّميرِ
فسقياً أيُّهـــا المـولى بكـــأسٍ * ودرها بالكبيـــرِ وبالصغيـرِ

وله أيضاً رحمه الله تعالى في الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف دفين مليانة :

مليانـة يـا طالـبَ الأربـــاحِ * مُلِئَتْ بسرٍّ لاحَ كالمِصْبَـــاحِ

وتتوَّجَتْ بلَطافةٍ قُدسيّةٍ * ومِنَ المحاسنِ وشِّحَتْ بوشاحِ
باكِرْ صباحاً في الصباحِ ورَوِّضَنْ * برياضِها متكاسِلَ الأرواحِ
واستَنْشِقِ النَّسماتِ من أزهارِها * واستَنْطِقِ الأطيارَ في الأدواحِ
وَردِ الزُّلالَ مِنَ المَعينِ تَعِلَّةً * تُغنيكَ عَنْ بنتِ الكُروم صاحِ
فإذَا تجلَّى الهَمُّ عنكَ فابتهِجْ * واحمَدْ إلهكَ فالِقَ الإصباحِ
أو لا فلُذْ بأحمدَ القلعيِّ مَنْ * يُعزى ليُوسُفَ في بَهَا وصلاحِ
أُسُّ التُّقى مَنْ أشرقَتْ أنوارُهُ * في الغربِ مثلَ الكوكبِ الوضَّاحِ
لا زالَ يُعطي الوافدينَ منالَهُم * ويجودُ مثلَ العارضِ السَّيَّاحِ
كَمْ مِنْ أسيرٍ فكَّهُ ومُكَسَّرٍ * أضحى صحيحاً في هنأ وفلاحِ
يا سيِّداً إني ببابكَ واقِفٌ * أبغي رضاكَ فَرُدَّني بنجاحِ
متوسِّلاً بكَ للذي رفعَ السَّما * وأفاضَ سِرَّ الروحِ في الأشباحِ
ولأحمدَ العدنان أهدي تحيَّةً * تغشاهُ بالآصالِ والإصباحِ
[٦٤] صلَّى عليهِ اللهُ ما انتعشَتْ لنا * أرواحُنَا بأريجِهِ الفيَّاحِ
وعَلَى القَرابَةِ والصَّحابَةِ ثُمَّ مَنْ * أهدى الأنامَ لمُنتهى الأرباحِ

ومما قاله أيضاً في الشيخ سيدي الحاج علي بن الحفاف :

خَتْمُ الحديثِ لهُ الأكوانُ تنفتِحُ * لا سيَّما ما ببدأ الوحي مُفتَتَحُ
والخيرُ والنَّفعُ والإقبالُ فيما روى * عن نافعٍ مالكٌ والصدرُ ينشَرِحُ
والحُسْنُ كُلُّه فيما قالَ حدَّثنا * أو قال أنبانا لا فرقَ يتَّضِحُ
فشنِّفِ الأُذنَ من أسماعِ نازِلِهِ * ورد مسلسلهُ تعلُو وتسترِحُ (١)
لا تترُكِ النَّقلَ عن أشياخِهِ أبداً * ولو لُمْبهَمِهِ فالقومُ قد ربِحُوا
همُ الكرامُ فمَنْ يُلمِمْ بساحَتِهِم * يَجِدْ مديحاً بعزّ فضلَهُ رَجَحُوا

(١) كما هو في الأصل .

قَدْ نقحُوهُ بأربعٍ ففـازوا بهـا * فسِرْ بنا نستَمِعْ أسرارَ ما نَقَحُوا
بطِيْبِهِ نَهْتَدي بِهِ لطَيِّبِهِ * ونورُهُ نقتدي بـه ونَتَّشِحُ
فمَنْ قلاهُ فهذا الـواقـديُّ روى * لابن شهاب بحَرِّ النَّارِ يُفْتَضَحُ
فكيفَ نبغي بقولِ المصطفى بَـدَلاً * أمْ كيفَ لا نَفْرَحُوا[1] به ونَسْتَمِحُوا[2]
وهذِه روضةُ التَّحديثِ قد فَتَحَتْ * عن زهري الخَتْمَ فيه الفَتْحُ مُنْشَرِحُ
اسمَعْ سماعَ قبولٍ عَنْ تفهُّمِهِ * في فتيةٍ بعلي الحفاف قد مُنِحُوا
شَهْمٌ لهُ السَّنَدُ الأعلى تحمَّلَهُ * عَنْ سادةٍ في بحارِ المجدِ قد سَبَحُوا

أحمدُ بنُ محيي الدين الاغريسي

السيد أحمد بن السيد محي الدين بن السيد مصطفى الحسني إمام لا يُدرك شأوه ، ولا يُجارى في حلبة اللطائف خطوه ، طلع في جبهة عصره غُرَّه ، وأضحى غنياً عن الوصف بالشُّهرة .

ولد رحمه الله تعالى في شعبان سنة ١٢٤٩ في القيطنة من ضواحي وهران ، وتربَّى في حجر أخيه العلامة السيد محمد السعيد لوفاة والده قبل فطامه ، ولما بلغ سِنَّ التمييز شرع في حفظ القرآن الكريم حتى حفظه عن ظهر قلب ، وهو دون البلوغ ، ثم اشتغل بطلب العلم ، فقرأ على أخيه المنوَّه به طرفاً من مبادىء الفقه وغيره ، وقرأ على ابنه السيد مرتضى جانباً من النحو والوضع ، وحضر في علم الكلام على أخيه العارف الجليل الأمير الشهير السيد عبد القادر قُدّس سِرُّه ، وفي الفقه أيضاً على الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي ، ولما قدم الأمير إلى فرنسا سار المترجَم مع إخوته إلى عنابة من أعمال الجزائر ، وأقام هو وإخوته بها نحواً من خمس سنين ، ثم قَدِمُوا دمشق سنة ١٢٧٣ ، وأخذ

(١) (٢) كذلك في الأصل ، وغالب علماء القطر الجزائري في غفلة عن هذا الفعل مع تبحرهم في النحو.

المترجَم في تكميل تحصيل العلوم والفنون ، فحضر في فن النحو والكلام
[٦٥] والبيان والمنطق والوضع والأصول عند العلامة المحقق الشيخ محمد الطندتائي الأزهري ، ثم الدمشقي ، ولازمه سنين ، وقرأ في النحو أيضاً على ابن عمته العلامة السيد مصطفى ابن التهامي إمام المالكية بالجامع الأموي ، وحضر في التجويد وغيره على العلامة الشيخ يوسف المغربي مدرس دار الحديث الأشرفية ، وحضر في التفسير على أخيه العلامة السيد محمد السعيد المتقدم ، وتلقى الحديث عن العلامة الشهير الشيخ قاسم الحلاق ، وسمع منه « صحيح البخاري » بطرقيه بعد العصر في جامع السنانية في شهر رمضان ، وحضره في أوائل تفسير البيضاوي في حجرته بجامع حسان ، وسمع على أخيه الأمير « صحيحي البخاري ومسلم » في مدرسة دار الحديث الأشرفية ، وحضره في مواقفه الشهيرة وفي « الفتوحات المكية » في داره لما قُرئت بحضوره بعد تصحيحها على نسخة مؤلفها ، وولع المترجم بفن التصوف ، وانكب على النظر فيه ، وتلقن ذكر الطريقة القادرية من السيد محمد علي أفندي الكيلاني ، ومن أخيه الأمير أيضاً ، واشتهر فضله وصلاحه ونبله ، وأقرأ في داره في فنون متنوعة ، وكذا في جامع العناية في جواره من قسم باب السَّريجة ، درساً عامّاً بين العشائين مدة .

وكان محافظاً على أوقاته ، قسمها على الذكر والتلاوة ومطالعة العلم والتأليف وزيارة الإخوان وصلة الأرحام والرياضة ، وكان له ميعاد بين العشائين ليلتي الاثنين والجمعة في داره ، يجتمع عنده فيهما بعض مريديه ، يذكرون الله تعالى قعوداً إلى العشاء ، وكان شديد المحافظة على الجماعة أول الوقت ، قلَّ أن تفوته إلا أن يغلب عليها لأمر مهم ، وكان شديد المحافظة على قيام الليل سفراً وحضراً ، يطيل القيام والركوع والسجود في ابتهال وتضرع زائد .

وكان مجللاً عند الخاصة والعامة ، محبباً للكافة ، مقصوداً لحل المشكلات ، سمحاً بجاهه ، فيه دعابة تشِفُّ عن رقة حاشية ، وله ذوق عربي يقدر قدر

البليغ من الكلام ، ويقضي بما هو من رقة وانسجام ، مشربه الحديث الصحيح ، والعمل به والدعوة إلى التمسك به والحث عليه ، ألوفاً ودوداً متواضعاً ، حسن المحاضرة غزير النادرة ، وكان لا يجيب دعوة من يعلم أن مكسبه حرام ، وإن اضطر إلى الحضور فلا يأكل بل يجلس على المائدة ، ويعتذر بأنه اضطر إلى طعام قبل حضوره ، وإن أكل في بعض الأحيان فيتقلل منه ثم يتصدق بقيمة ما أكل ، هكذا عادته ، يتأثر بها بعض الصوفية عليهم الرحمة والرضوان .

وله كتابات حسنة في مسائل فقهية وغيرها ، كما أن له رسائل لطيفة يتخلل مباحثها شذرات من أصول الصوفية ، وجمع أخيراً تاريخاً في سيرة أخيه الأمير ، ولم يزل على طريقته المثلى إلى أن ألمَّ بمزاجه مرض أعيا نَطْسَ[1] الأطباء ، وأسلم معه الروح الطاهرة صباح الأربعاء ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ ، [٦٦] وصُلي عليه في الجامع الأموي في مشهد حافل ، ثم واروه جدث الرحمة في تربة الباب الصغير قريباً من المرقد المنسوب لبلال الحبشي الصحابي الجليل رضي الله عنه وأرضاه اهـ . ما وجد بصدر رسالته المسماة « نشر الدُّرِّ وبسطه في بيان كون العلم نقطة » التي طبعت بنفقة نجله السيد محمد بدر الدين الحسني الجزائري حفظه الله في المطبعة الأهلية ببيروت سنة ١٣٢٤ ، وقد استعرتها من قريبه السيد أبي بكر بن أحمد المجاهد قاضي البليدة في التاريخ ، ووجدتها غريبة في بابها لم يسبقه إليها سابق من أهل فنها ، فشكراً لمن نشرها وأفاد بها ، ورحم الله مؤلفها وطابعها آمين .

ومن عجيب الاتفاق أنها اتصلت بي قبل الفراغ من باب الألف والحاء بقليل فكأنَّ العناية الإلهية ساقتها إلي لأنقل منها ترجمة السيد في هذا الكتاب الخاص بعلماء قطر الجزائر ، إشارة إلى جمع شمله بهم وعدم بقاء ذكره

---

(١) رجل نَطسٌ : عالم بالأمور حاذق في الطب .

غريباً عن ذكرهم. ذكر مُقيِّدُها أنها ملخَّصة من كتاب «تعطير المشام في مآثر دمشق الشام» في ذكر طبقات مشاهير القرن الرابع عشر.

أحمدُ بنُ مقداش

العلامة الشيخ أبو العباس أحمد بن مقداش.

كان آية زمانه في علم القراءة برواية السبع، متضلعاً من الحديث، أخذ عن الحفصي وتولَّى الإمامة بمسجد سيدي مفرج، مات رحمه الله سنة ١٢٤٧.

أحمدُ بنُ موسى الإدريسي[١]

سيدي أحمد بن موسى الإدريسي تلميذ سيدي أحمد بن الحاج من أكابر العلماء والأولياء.

وكان صاحب أوراد ووظائف، ودار سكناه في مدشر إدريس[٢] من جبل بني ورنيد، وكان يدرس «الرسالة» والعقائد و«ابن الحاجب الفرعي»، ويقرىء الطلبة القرآن والخراز وابن برِّي، وتوفي بعد ٩٥٠.

أحمدُ بنُ نصر الداودي التلمساني

قال ابن فرحون في «الديباج»: ومن أهل افريقية من الطبقة السابعة أحمد بن نصر الداودي الأسدي أبو جعفر من أئمة المالكية بالمغرب.

---

(١) وفي نسخة الاريسي.

(٢) في نسخة أريس.

كان فقيهاً فاضلاً متقناً مؤلفاً مجيداً ، له حظ من اللسان والحديث والنظر ، ألف كتابه « النامي في شرح الموطأ » و« الواعي في الفقه والنصيحة في شرح البخاري » و« الإيضاح في الرد على القدرية » وغير ذلك . وكان دَرسه وحده لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور ، وإنما وصل بإدراكه .

حمل عنه أبو عبد الملك البوني (العنابي) ، وأبو بكر ابن محمد بن أبي زيد ، توفي بتلمسان سنة ٤٠٢ ، وقبره عند باب العقبة .

[٦٧] العلاَّمةُ أحمدُ النقاوسي البجائي

قال تلميذه أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي : شيخنا الإمام المحقق الجامع بين علم المنقول والمعقول ، ذو الأخلاق المرضية والأحوال الصالحة السنيَّة .

أحمدُ بنُ يعقوبَ العبادي

أحمد بن محمد بن يعقوب العجيسي الشهير بالعبادي ، يكنى أبا العباس ، توفي في تلمسان سنة ٨٦٨ .

أحمدُ بنُ أبي يحيى التلمساني

العالم العلامة قاضي الجماعة بغرناطة أبو جعفر بن الإمام العلامة المحقق المفسر أبي يحيى بن الإمام الأوحد العلامة الشريف التلمساني .

أخذ عن الإمام الحفيد ابن مرزوق ، وله مراجعة وبحث في مسألة

المتيمم يدخل في الصلاة ، ثم يطلع عليه رجل بالماء ، كما نقل ذلك في « المعيار » .

وفي « وفيات الونشريسي » ما نصه : وفي سنة خمس وتسعين وثمان مئة (٨٩٥) توفي بتلمسان الفقيه الإمام أبو العباس أحمد بن أبي يحيى الشريف .

أحمدُ بنُ يوسفَ الملياني

قال في « سلوة الأنفاس » : هو الشيخ الولي الصالح القطب الغوث الزاهد العارف العالم المحصِّل السالك الناسك المقرىء بالقراءة السبعية المحقق الحُجَّة أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي نسباً وداراً الملياني .

كان رحمه الله من أعيان مشايخ المغرب وعظماء العارفين ، أحد أوتاد المغرب ، وأركان هذا الشأن ، جمع الله له بين علم الحقيقة والشريعة ، وانتهت
[٦٨] إليه رئاسة السالكين وتربية المريدين بالبلاد الراشدية والمغرب بأسره ، واجتمع عنده جماعة من كبار المشايخ من العلماء والصالحين من تلامذته ، واشتهر ذكره في الآفاق شرقاً وغرباً ، وأوقع الله له القبول العظيم والعطف الجسيم في قلوب الخلق ، وقصده الزوار من كل حدب ، وتتابعت كراماته عليهم ، وظهرت أنواره لديهم ، وكان متواضعاً ورعاً زاهداً ، يُحبِّب الخلق في الطاعة ويحرِّضهم على الذكر ، ويرشدهم إلى الصراط المستقيم ، حتى تاب على يديه خلق كبير ، وهداهم الله تعالى بسببه .

وهو من تلاميذ الشيخ زروق ، ولما حج شيخ شيخه المذكور وهو الشيخ الأوحد العلامة الصالح أبو عبد الله الزيتوني نزل بموضع قريب من قلعته ، فأتى إليه فقبَّل الزيتوني رجليه ، وقال له : قد أعطاك الله من قاف إلى قاف ، فقال له الملياني : هذا قليل بل أعطاني أكثر ، وحكي أن بعض أصحابه قال

له : إن سيدي عبد الرحمن الثعالبي قال : من رأى من رآني لا تأكله النار إلى سبعة ، فقال المليانى : كذلك من رأى من رآني لا تأكله النار إلى عشرة ، وحلق له مرة حلاق رأسه ، فقال له : لولا خِفْتُ عليك من الناس لقلت : جميع من يجلس في حجرك لا تعدو عليه النار ، وقال رضي الله عنه : دعوتُ الله في ثلاث فأعطانيها في ليلة واحدة ، طلبته أن يرزقني العلم بلا مشقة فأعطاني علم الظاهر والباطن ، وطلبته أن يبلغني مبلغ الرجال فبلغني فوقهم ، وطلبته أن يُريني المصطفى ﷺ في النوم ، فرأيته في اليقظة ، وفتح الله علي في علوم ببركته لم يُطلع عليها غيري يعني من أهل عصره .

وعنه أيضاً قال علمني رسول الله ﷺ سبعين باباً من العلم ، لم يعلِّم ذلك لأحد غيري أي في عصره ، وقال أيضاً : جميع من أكل معي أو شرب أو جالسني أو نظر في لا أسلم فيه غداً يوم القيامة ، وسئل رضي الله عنه عن السُّبحة هل يجوز أخذها باليمين؟ فقال : نعم يجوز ذلك ، وهي كالمهامز للفرس ، ومن كلامه رضي الله عنه : والله وثُـمَّ والله مَـنْ عرفني حتى يندم ، ومَنْ لم يعرفني حتى يندم ، وقال أيضاً : إنما ألمح بعض أصحابي لمحة فيبلغ بها مقام الأولياء .

وكلامه رضي الله عنه وأخباره ومناقبه كثيرة جداً ، وقد استوفى بعضها الشيخ الفقيه العلامة أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي النسب في تأليف له جمعه فيه بالخصوص سماه « بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار » وقد أكرمني الله تعالى بالوقوف عليه ، وهو في مجلد ضخم غاية اهـ .

ومن أصحابه أبو حفص سيدي عمر الشريف الحسيني بالتصغير الشريف الجليل الولي الصالح الحفيل ، وسيدي أحمد بن يوسف توفي سنة ٩٢٧ فيكون سيدي عمر الشريف من أهل القرن العاشر، وفي « نشر المثاني » سيدي عمر

من صالحي فاس ، وروضته بها في ربوة عدوة فاس الأندلس ، متصلة بروضة سيدي غالب ، يفصل بينهما المحجة .

[٦٩] وفي كتاب « الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى » تأليف الشيخ أحمد ابن خالد الناصري السلاوي ما نصه :

قال في « الدوحة » : كان الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي نزيل مليانة ، تظهر على يده الكرامات وأنواع الانفعالات ، فبعدُ صيته وكثرت أتباعه ، فغلوا في محبته وأفرطوا فيها ، حتى نسبه بعضهم إلى النبوة ،قال وفشا ذلك الغلو على يد رجل ممن صحب أصحابه ، يقال له : ابن عبد الله ، فإنه تزندق وذهب مذهباً باطلاً على ماحكي عنه ، واعتقد هذا المذهب الخسيس كثير من الغوغاء وأجلاف العرب ، وأهل الأهواء من الحواضر ، وتعرف هذه الطائفة باليوسفية ، قال : ولم يكن اليوم بالمغرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة ، وسمعت بعض الفضلاء يقول : إنه قد ظهر ذلك في حياة الشيخ أبي العباس المذكور ، فلما بلغه ذلك قال : من قال عنا ما لم نقله يبتليه الله بالعلة والقلة والموت على غير ملة .

قال صاحب الدوحة : ولقد أشار الفقهاء على السلطان الغالب بالله بالاعتناء بحسم مادة فساد هذه الطائفة ، فسجن جماعة منهم ، وقتل آخرين ، وهؤلاء المبتدعة ليسوا من أحوال الشيخ في شيء ، وإنما فعلوا كفعل الروافض والشيعة في أئمتهم ، وإنما أصحاب الشيخ كأبي محمد الخياط والشيخ الشطيبي وأبي الحسن علي بن عبدالله دفين تافلالت وأنظارهم ، كلهم من أهل الفضل والدين والأئمة المقتدى بهم ، كلهم يعظم الشيخ ويعترف له بالولاية والعلم والمعرفة اهـ .

وقال في « المرآة » ما نصه : والشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي

الملياني من كبار المشايخ ، أهل العلم والولاية وعموم البركات والهداية ، وكان كثير التلقين ، فقال له الشيخ أبو عبدالله الخروبي : أهنت الحكمة في تلقينك الأسماء للعامة حتى النساء ، فقال له : قد دعونا الخلق إلى الله ، فأبوا فقنعنا منهم بأن نشغل جارحة من جوارحهم بالذكر ، قال الشيخ الخروبي : فوجدته أوسع مني دائرة .

قال صاحب « المرآة » : وانتسبَتْ إليه الطائفة المعروفة بالشرَّاقة بتشديد الراء ، وهو بريء من بدعتهم ، فما كان إلا إمام سنة وهدى مقتدى به في العلم والدين ، قد نزهه الله وطهر جانبه ، وقد أظهروا شيئاً من ذلك في حياته ، فتبرأ منهم وقاتلهم ، وبلغ المجهود في تشريدهم .

قال : وحدثني شيخنا أبو عبدالله النيجي أن الشيخ أبا البقاء عبد الوارث اليالصوتي لما ظهرت بدعة الشرَّاقة وانتسابهم إليه ، وقع في نفسه من ذلك
[٧٠] شيء ، فقيل له : إن الشيخ أبا محمد الخياط من أصحابه ، فقال : أنا تائب إلى الله ، كفى في طهارة جانبه أن يكون الخياط من أصحابه .

وكانت وفاة الشيخ الملياني سنة سبع وعشرين وسبع مئة (٧٢٧) ، لكن ما كان عنفوان تلك البدعة المدسوسة عليه إلا في دولة السلطان الغالب بالله كما مر ، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء .

أحمدُ بنُ يونسَ القسنطيني

أحمد بن يونس بن سعيد القسنطيني ، عرف بأبيه .

تفقه بمحمد بن محمد بن عيسى الزيلدوي أو الزيندوي ، وأبي القاسم البرزلي ، وابن غلام الله القسنطيني ، وقاسم الهزميري . أخذ عن الأول الحديث

والعربية والأصلين والبيان والمنطق والطب ، وأخذ شرح البردة وغيرها من مؤلفها أبي عبد الله ابن مرزوق الحفيد لما قدم عليهم ، وأخذ عن البساطي شيئاً من العقليات .

وله من المؤلفات رسالة في ترجيح ذكر السيادة في الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة وغيرها ، وله أجوبة عن أسئلة وردت من صنعاء سماها « رد المغالطات الصنعائية » وقصيدة في مدحه ﷺ مطلعها :

يا أعظمَ الخَلْقِ عندَ اللهِ منزلـــــــــة ٭ ومَنْ عليهِ الثَّنا في سائرِ الكُتُبِ

ولد سنة ثلاث عشرة وثمانة مئة (٨١٣) ، وتوفي في شوال سنة ثمان وسبعين وثمان مئة (٨٧٨) ، صح من « الضوء اللامع » للسخاوي ، وهو أخذ عنه السيد الشريف نور الدين السمهودي الشافعي ، والإمام أحمد زروق ، والشمس التتائي .

سيِّدي إسماعيلُ الفلاي

الولي المعلوم ذو البركة العظيمة والخيرات الجسيمة سيدي إسماعيل الفلاي ، وأولاده على الخير والبركة والعلم والفضل والرحمة ، نفعنا الله بجميعهم .

ولا أعلم تاريخ وفاته ، وقد سألت البعض عنه فقال : من أهل القرن السابع ، غير أني لم أثق به اهـ ورتيلاني .

بركاتُ الباروني الجزائري

يُكنى أبا الخير شارح ابن الحاجب .

[٧١] قال الونشريسي : سمعت شيخنا الحاج القاضي أبا عبدالله العقباني يحكي

أن الشيخ أبا الخير بركات الباروني الجزائري كان من العلماء الجلة الأعلام ، وممن وضع على فروع ابن الجاجب شرحاً في سبعة أسفار ، وأنه كان يأخذ الأجرة على الفتوى بتلمسان حين نقله سلطانها أبو حمو موسى بن يوسف من بلده لتلمسان . ثم غفل عنه اه .

ونقل عنه المازوني في « المعيار » فتاوى ، وزعم بعض من اختصر « الديباج » أنه هو محمد اليحصبي الباروني التلمساني المذكور في آخر المحمدين من « الديباج » . وعندي أنهما رجلان شرحا ابن الحاجب ، فأبو عبد الله اليحصبي التلمساني استقرَّ آخراً بالجزائر ، وصاحب الترجمة أبو الخير جزائري نقل منها لتلمسان . هذا ما يظهر لي والله أعلم .

أبو محمدٍ بركاتُ القسنطيني

الفقيه النجيب المشارك أبو محمد بركات ، ذو معرفة ودراية ، كان مشتغلاً بالقراءة والإقراء والعكوف على الدرس والتدريس ، حريصاً على الانتفاع .

يقال : إنه لا يكتفي بما يقرأ في الدرس حتى يأتي إلى الجد عبد الكريم ابن يحيى فيقرأ عليه ، ويمسكه في أي موطن جاء ، وربما كان بدكانة سقيفته ، رحمهم الله وغفر لهم ، وكان وإخوته الثلاثة ممن لهم محبة خالصة في الجد عبد الكريم بن يحيى ، يقفون عند أقواله معتقدين في آرائه ، لا يخرجون عن فتواه في نازلة ما .

توفي رحمه الله في زمن الطاعون عام ٩٨٢ اه من « منشور الهداية » .

فائدة : الشيخ عبد الكريم بن يحيى هو المعروف في عائلة بني الفقون بسيدي عبد الكريم الشارف ، دفين زاوية بني الفقون برأس الخرازين من

بلد قسنطينة ، يقال : إنه يُستحاب الدعاء عند ضريحه ، وتوفي عام ٩٨٨ كما هو مرقوم برخامة عند رأس ضريحه ، نفعنا الله ببركاته ، وأعاد علينا وعلى وعلى المسلمين من صالح دعواته آمين .

وأما الشيخ البركة سيدي عبد الكريم الفقون فهو من علماء القرن الحادي ، ترجمته أشهر من شمس على علم ، ذكرها صاحب « نفح الطيب » وصاحب « نزهة الحادي والعياشي في الرحلة » وخلائق لا يُحصون ، نفعنا الله وإياكم بعلومه آمين اهـ . من كتاب « الفائدة » اهـ . من خط العلامة حمدان الونيسي القسنطيني .

[٧٢] الفقيهُ البغداديُّ المستغانمي

العلم المفرد والجهبذ الأوحد ملجأ الراثح والغادي الفقيه العلامة السيد البغدادي .

قرأ على أشياخ تلمسان ، منهم الفقيه ابن حمزة ، ومنهم الحاج محمد ابن ابي سيف الفقيه ابن طالب ، والعلامة السيد ابن عبد الله بن العيدوني ، الفحلي ، ثم الغساني القبيلة الحافلة المنسوبة للعرب العرباء ، المعروفة بغسان التي كان جبلة بن الأيهم رئيسها اللاحق بقيصر ، عند إرادة الاقتصاص منه باللطمة التي لطم الأعرابي بها حال طوافه ، والقضية معلومة حيث تنصَّر بعده غسان ، وجاء لقتال الصحابة وقاتلهم في ستين ألفاً من قومه ، وهم أولو قوة وأولو بأس شديد ، وهو القائل في قضيته مسنداً الأنفة إلى قومه :

تنصَّرتِ الأشرافُ من أجل لطمـــةٍ * وما كانَ فيها لو صبرْتَ لها ضَرَرْ

وصاحب الترجمة من آل سيدي عبد الله بن الخطاب المجاهدي القبيلة الحافلة بساحة مستغانم ، جدها زغبة صنو عامر وصبيح ، فعامر جد لبني عامر ، و صبيح جد لقبيلة صبيح التي هي بشاطىء واد شلف اهـ . رحلة العلامة

المشرفي .

سيدي بُهلولُ بنُ عاصِم

الوليّ الصالح والشريف الواضح سيدي بهلول بن عاصم ، نفعنا الله به وبذريته .

اشتهر أنه تلميذ الشيخ سيدي يحيى ، والله أعلم ، وأنه تزوج بنت الشيخ المذكور ، وكرامته كثيرة ، وحال أولاده مع الناس كذلك ، وقد بدأت بزيارة الذاكر لله كثيراً الفاضل الصالح الفقيه المحلى بحلية القبول سيدي محمد ابن سعيد الشريف البابوري ، وقد اجتمعت معه حياً ، وزرته مرتين ، وقد سمعت أنه تلميذ الشيخ سيدي أحمد بن عبد العظيم ، وسيدي أحمد هذا كان من المحققين في كل علم ، وشهد بولايته كل من رآه من أهل عصره ، وقد سمعت ممن سمع سيدي إبراهيم الحاج البجائي أنه سمع الحيتان في البحر تقول سبحان الله ، أحمد بن عبد العظيم وليُّ الله .

وسيدي إبراهيم هذا كان صاحب الوقت في زمانه ، وإني سمعت ممن يوثق بخبره أن السيد أبا القاسم الحاج صاحب قوراية في بجاية رأى السيد إبراهيم في السماء الرابعة بحذاء الشمس مع الملائكة ، وكفى به ، وإني سمعت العدل الكامل الصالح سيدي علي بن عبد الرحمن البجائي يقول : إنه سمع الفقيه الصالح سيدي يحيى الصنهاجي يقول : سمعت سيدي إبراهيم هذا يقول : لا يقف على قبري شقي ، وتواتر عنه هذا الخبر ، وقبره معلوم ، وذلك داخل السور عند باب ميسور قرب الشيخ أبي حامد الصغير أبي علي المسيلي ، وسيدي
[٧٣] علي بن عبد الرحمن هذا سمعت منه أنه رأى فاطمة الزهراء في النوم رضي الله عنها فقالت له : أنت من جيراننا ، ثم إنه ذهب إلى الحج ومات في المدينة المشرفة ، ودفن في البقيع بلغنا الله ومن تعلق بنا ببركة جميعهم .

وصلنا قرية أولاد الشيخ سيدي بهلول بن عاصم ، وفعلوا ما أمرناهم به من الصلح مع أعدائهم ، وردهم إلى محلهم لأنهم أحرقوهم بالنار ، وأخذوهم وقتلوا منهم ثلاثين ، وأولاد الشيخ كثيرون ، غير أن فيهم من يقرأ القرآن ، ومن يفهم العلم ، وكثير منهم على طبع العامة من تقليدهم سيف الفتنة وإحكام العوائد ، نعم غلب عليهم الكرم ، ثم بعد زيارتهم وقضاء الحوائج منهم ذهبنا لزواوة ، فزرنا أهلها الحيَّ والميت والظاهر والخفي على الجملة ، إلى أن بلغنا بيت الفاضل الأخ سيدي أحمد الطيب ، واجتمعنا فيها بفضلاء من الناس اهـ . ورتيلاني .

سيدي الجودي بنُ الحاج

المحاسب نفسه على كل نفس الشيخُ على الحقيقة ، شيخ الطريقة ، ولايته ظاهرة ، وأحواله فاخرة ، وأسراره سنية ، وأنواره قدسية ، كراماته وأحواله مشهورة ، وعلومه منشورة ، وقد بلغ رحمة الله عليه حالة التربية ، إذ سمعنا أن طالباً كان يتعلم عليه ، وذات يوم غلبتهنفسه فأتعبها في غير شيء ، بأن شُغف بامرأة أجنبية وتعلق بها للمعصية ، بحيث أراد مباشرتها ، فوجد الشيخ بينه وبينها ، فاستحى وأصابته حشمة عظيمة ، ولم يرجع له بعد ذلك نحو خمسة عشر يوماً ، حتى بعث إليه رضي الله عنه .

وقد سمعت من المبرز العدل الصالح من أهل الفضل المرابط سعيد بن تقرين يحكي عن أبيه وجده عن الشيخ سيدي الجودي أنه سرقت لبعض أحبابه

سرقة ، ولم يعلم بها إلا الله تعالى ، فوقعت الشكوى من أربابها له ، فبعث لكل من اتهم بها ، وكنت في جملتهم ، ولما وصلنا إليه أمرنا بردها ، ووعدنا بالخير العظيم والفضل الجسيم على ذلك ، فأبى الكل ، وكنت السارق فلما انفصل الجميع عنه مسكني وقال : أنت الذي سرقت ، رُدَّها بما تريده ، فأنا متكَفِّل به ، فقلت له : نعم أنا على ما تريده فرددتُها ، ثم قال لي : كلما وقعت بدشرة فاشتغِثْ بي فأنا أُغيثُك أينما كنت ، وبعد ذلك ذهبت إلى

[٧٤] الجزائر أريد المعيشة وتحصيل أسبابها ، فركبت سفينة حرب فأُسر جميعنا ، ووقعت عند من لا حلم له ولا شفقة أصلاً ، وصار يعذبني تعذيباً شديداً ، فلما كان ذات ليلة خرجت هارباً إلى شاطىء البحر ، مختفياً في الشجر ، فلما علموا بأمري صار الصياح والنداء من ورائي إلى أن وصل الجميع إلى محلي ، غير أني حجبني الله عنهم بعد أن وصل كلبهم إلي يبصبص بي ، ثم يرجع إليهم ، وأنا معتمد على الشيخ ومستغيث به فرجعوا خائبين ، وبقيت أنا ثم ملتجئاً إلى الله ثم إلى الشيخ ، فمرَّت علي سِنَة (بكسر السين) ، وإذا بالشيخ يقول : مد يدك إلي فمددت يدي إليه ، فمسكها ورفعني ، فاستيقظت فوجدت نفسي في الجزائر ، وغير ذلك من الكرامات ، رضي الله عنه ونفعنا بعلومه وأحواله وأنواره بمنه وكرمه .

وأولاده إلى الآن على الخير والفضل والعلم ، والحمد لله تعالى ، وهو من أهل القرن الحادي عشر ، أعني أوله . ولم أدر هل أخذ من العاشر أم لا ، وقد حشَّى على الصغرى حاشية لطيفة ، وكلامه رأيته لا بأس به ، لأنه محقق في عصره اهـ ورتيلاني .

سيدي الجودي العلمي

ذو الفضل العظيم والخير العميم الولي المشهور ، ذو السِّرِّ المأثور سيدي الجودي العلمي من آخر القرن العاشر .

وأولاده أهل جِد واجتهاد وصلاح ، سيما سيدي علي تلميذ الشيخ سلطان العارفين سيدي علي بن مبارك ذو السر القوي والنور السني ، فإني رأيت بعض مرائيه من أعجب العجاب ، تكاد أن تكون كمرائي الثعالبي أو ابن أبي جمرة نفعنا الله بهما ، وقد رأيت سيدي الجودي نوماً فيما مضى ، وصورته لم تزُل عني إلى الآن ، وأمسكني من يدي وقال لي : جدك سيدي أحمد الشريف ، ما دام يبقى يزيد حرارة كالسمن العتيق ، أو كلاماً هذا معناه ، نفعنا الله به آمين . وأولاده ولا شك أنهم أحياء عند ربهم ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اهـ ورتيلاني . انظر هل هو السابق أو غيره .

سيدي الحاج الداودي التلمساني

شيخ شيوخنا الشيخ الفقيه العلامة المشارك النبيه الدراكة المتقن النحوي اللغوي البياني الأصولي المتفنن الشريف الصالح البركة الناصح أبو محمد سيدي الحاج الداودي التلمساني ، قدم على فاس من حضرة تلمسان ، وأقرأ بها علوماً جمة ، وانتفع على يده فيها خلائق .

أخذ عن عدة أشياخ ببلده تلمسان ، وكانت له قبل استيطانه بفاس رحلة إليها ، وقراءة بها على أشياخها ، ثم إلى مصر ، وأخذ بها عن جماعة ، وحج واعتمر وولي القضاء بتلمسان ، وكان متفنناً في علوم شتى من فقه وحديث

ونحو ومنطق وبيان وعروض وغير ذلك .

[٧٥] وألف تآليف عديدة منها « شرح همزية البوصيري » و« شرح البردة » و« حاشية على السعد » و« شرح على البخاري » لم يكمُل ، إلى غير ذلك .

وكان له إذن في الطريقة الناصرية وخدمة لها ، أخذها عن بعض مشايخها ، وكان من أهل الخير والدين والصلاح ، وممن ظهرت عليهم آثار الفلاح .

توفي رحمه الله ليلة السبت رابع عشرمحرم الحرام فاتح عام واحد وسبعين ومئتين وألف (١٢٧١) ، ودفن بالزاوية الناصرية من هذه الحومة بالمراح المتصل بقبتها بركنه الذي عن يمين الداخل ، بالقبر الثاني من القبور التي به متصلة بحائط القبة ، وذلك بأمر مولوي ، وحضر جنازته جم غفير من الناس ، وكسر العامة أعواد نعشه ، وقطعوا الحصيرة التي كان عليها تبركاً اه « سلوة الأنفاس » .

سيدي الحاج عاشور الفجيجي

الوليّ الصالح الذاكر الصائم القائم الصابر القانت الخاشع الشريف البركة الخاضع سيدي الحاج عاشور الفجيجي الحسني الإدريسي .

كان رحمه الله قاطناً بزاوية سيدي محمد بن إبراهيم الخياطي التي بدرب الحرة من طالعة فاس ، وكان يصوم الدهر ، ويقوم الليل كثير الذكر والقراءة لدلايل الخيرات والتلاوة في المصحف ، وله كرامات عجيبة وأحوال غريبة .

توفي في التاسع من شهر ربيع الأول عام أربعة وستين ومئتين وألف (١٢٦٤) ، وشهد جنازته خلق كثير ، ودفن بعد الصلاة عليه بالقرويين بالروضة المذكورة .

[٧٦] سيدي الحاج قاسم التواتي

الوليّ الصالح والمسك الفائح أبو البركات سيدي الحاج قاسم التواتي ، رأيت بعضهم أثنى عليه ، وذكر أنه ظهرت له على يديه كرامات ، ووفاته ـ والله أعلم ـ أواسط القرن الثالث بعد الألف .

سيدي الحاج محمد التواتي

بكهف كان يأوي إليه حال حياته بالوجلة ، ووفاته أواخر القرن الثالث أو أوائل الرابع بعد الألف ، وفي لسان غير واحد من الناس عنه كرامات عديدة .

سيدي الحاج محمد التواتي

الولي الصالح أبو عبد الله سيدي الحاج محمد التواتي به عرف . كان رحمه الله قاطناً بالقصبة القديمة ، وكان ذا أحوال ربانية وأسرار عرفانية ، وكان خاملاً متقشفاً جامعاً بين الجذب والسلوك ، والجذب أغلب عليه ، وكان في بعض الأحيان يخرس لسانه ولا ينطق قط ، وتارة يُشير بإشارات تدل على أنه وليّ وقته ، ويخبر بأخبار سماوية ، وأخرى أرضية ، وكان يطوف بحرم مولانا إدريس رضي الله عنه سبع مرات صباحاً ومثلها مساء ، وإذا فرغ من الطواف جلس مع السائلين الذين يكونون هناك ، هذا دأبه وعادته إلى أن توفي .

أخذ رحمه الله عن الشيخ مولاي الطيب الوزّاني وكان يعتمده. توفي عام ثلاثة وثمانين ومئة وألف (١١٨٣)، ودفن (في فاس) بقرب سيدي أبي بكر ابن العربي. وكانت له جنازة عظيمة، وكانت له زوجة طيبة العشرة دينة صالحة كريمة الأخلاق. كان هو يدعي أنها السبب في ربحه، وكانت هي تدعي في حياته وبعد مماته أنه السبب في ربحها، توفيت بعده بأيام ودفنت بإزائه. ترجمه في «سلوك الطريق الوارية».

سيدي الحاج محمد الرَّامي التّواتي

الشيخ الجليل المشهود له بالولاية والتفضيل البهلول المتبرك به أبو عبد الله سيدي الحاج محمد الرامي التواتي.

قال في «الابتهاج» لما تكلم على بعض من كان يذعن لبركة الشيخ أبي المحاسن، وينقاد لسطوته، ويشهد له بالشيخوخة ما نصه: ومنهم الولي الجليل السيد الحاج محمد التواتي، دفين خارج باب الجيسة من فاس، أخذ عنه الولي الشهير سيدي جلول العيساوي، دفين داره داخل باب الجيسة، وإليه ينسب فيقال: سيدي جلول بن الحاج لأنه كثيراً ما كان يقول: بابا الحاج، كان سيدي الحاج يعني صاحب الترجمة صاحب التصريف بفاس، وكانت في يده فمر به سيدي إبراهيم الصيَّاد، فقال له: أنت من أصحاب
[٧٧] سيدي يوسف، ثم قال: احملوني وكان لا يقوم على رجليه، فحمل في ظهر رجل وصار يطوف على الشهود، ويقول: اكتبوا إنا ملكنا فاساً لسيدي يوسف، وضمنا له كل شيء حتى ملح العجين، فكتب رسماً تضمن ذلك، وطاف به على الشهود كلهم، وبعث به للشيخ أبي المحاسن، وسمعت من شيخنا الوالد رضي الله عنه لما دخل الشيخ أبو المحاسن فاساً رحل هو إلى فاس

الجديد ، وأسلم له المدينة ، ولم يدخلها الا مرة احتاج لأمر ، فدخل في حمى بعض أصحابه ، وهو سيدي علي البيطار لائذاً به متأدباً ، وكان قوي الحال جليل القدر من أهل التولية والعزل ، نفعنا الله به .

قال الشيخ الوالد رضي الله عنه : ولعله كان في البلاد على حسب النيابة عنه ، لأنه كان بهلولاً ، فلما جاء من هو أكمل منه وأكبر دفع له أمانته ، وإنما كان نائباً في التصريف لا في التربية والظهور للخلق ، فخروجه من الإشارة الحسية لأمر خفي ، وقد كان يُنوه به من قبل ويُشير إليه ، وأنه صاحب الوقت ، وكان يبعث إليه صاحبه الحاج محمد البريهي ، فلما كان آخر مرة قال له : حسبُك ما أدفعك وترجع إلي ، فاختص بعد بخدمة الشيخ أبي المحاسن نفعنا الله تعالى بهم أجمعين اه .

وقال في « الممتع » في ترجمة سيدي يوسف ما نصه : فانتقل إلى فاس بعد أن بعث تلميذه سيدي إبراهيم الصياد إليها ، فالتقى مع البهلول الذي كان بها ، وهو سيدي الحاج محمد الرامي دفين خارج باب الجيسة ، شيخ سيدي جلول دفين داخله ، فذهب به إلى الشهود ، فأشهد على نفسه بتمكين الشيخ أبي المحاسن من فاس بجميع منافعها ومرافقها ، ثم احتملوه ، وكان مقعداً فأخرجوه من فاس ، فكان يأوي تارة بناحية سبو ، وتارة بفاس الجديد إلى أن توفي ، وعرضَتْ له يوماً حاجةٌ أكيدة بقصبة فاس ، فما دخلها إلا متمسكاً برجل من أصحاب الشيخ أبي المحاسن ولائذاً به ، فقضى حاجته وخرج سريعاً اه .

وكان رضي الله عنه قبل خروجه من فاس قاطناً بباب النقبة من عدوة فاس القرويين ، وكان صاحب الوقت بفاس قبل ورود الشيخ أبي المحاسن إليها فلما ورد فاساً أسلمها إليه وخرج منها كما سبق ، ولا يعرف له شيخ

كما قاله في « المقصد » .

ووفاته أواخر القرن العاشر وأوائل الحادي ، وضريحه قال في « المقصد » : خارج باب الجيسة بإزائها عن يمين الخارج منها ، وقال في « الروض » : هو دفين خارج باب الجيسة عن يمين الخارج منها إزاء السور بقرب ضريح الشيخ الأديب مالك بن المرحل ، فإذا دخلت ضريح ابن المرحل المذكور يبقى سيدي الحاج محمد الرامي المذكور في الفضاء عن يمينك ، وليس هو في الروضة الكائنة أمامها هنالك ، بل هو في الموضع إزاء السور .

[٧٨] سيدي حبيبي التواتي

السيد البركة المتوجه القلب إلى مولاه في السكون والحركة سيدي حبيبي المدعو بـ التواتي .

كان رحمه الله يركب على حمار يدور به في الأزقة والأسواق ، وكان منسوباً إلى الخير متبرَّكاً به من الخاصة والعامة ، وينتسب في الطريق لسيدي الحاج العربي الوزّاني .

توفي رابع صفر الخير عام تسعة وستين ومئتين وألف (١٢٦٩) ، ودفن (في فاس) بروضة السادات أهل وزّان ، نفعنا الله بهم ، وهي الكائنة أسفل الجرف بطرف حافة الكدارين التي بها ضريح سيدي عبد الرحمن الشريف .

سيدي الحبيبُ الحمياني

الوليّ الصالح المجذوب السائح أبو البركات سيدي الحبيب الحمياني .

توفي رحمه الله ثامن عشر ذي الحجة سنة ثلاث عشرة ومئتين وألف (١٢١٣) .

حسنُ بنُ إبراهيمَ التلمساني

الشيخ حسن بن إبراهيم بن عبد الله ابن أبي زكون التلمساني يُكنى أبا عليّ ، ويعرف بابن زكون ، أصله من تلمسان ، ونزل مدينة فاس ، وكتب بها عن أبي موسى عيسى بن يوسف بن الملجوم ، ودخل الأندلس فسمع بقرطبة من أبي محمد بن مكتاب ، وبمرسية من أبي علي بن سكرة ، وأبي محمد بن أبي جعفر. وله تآليف في الرأي .

مولده في شعبان سنة ٤٨٤ ، وتوفي ليلة عيد الفطر سنة ٥٥٣ ، قال ابن الأبّار : استفدتُه من عبد الرحمن بن الملجوم .

حسن بريهمات الجزائري

الصدر العالم العامل إمام المحافل والجحافل ، حاز الأدب مذ طر شاربه وصفت في المكرمات موارده ومشاربه ، وفاز بالخلق والخلق الحسن . وأَلِف السُّهاد لبناء المحاسن ، وجفاه جفن الكرى والوسن ، السيد حسن بن إبراهيم المدعو بريهمات ، كانت له اليد الطولى في الآداب العربية والعلوم الدينية .

[٧٩] كان رحمه الله لطيف الطبع ، سليم الذوق ، جميل الصورة ، فاخر الهيأة ، عذب المنطق ، متواضعاً للمتصاغرين ، متطاولاً على المتكبرين ، محسناً للفقراء ، محباً للعلماء ، قامعاً لذوي الزعم ، مذِلّاً لأهل الرياء ، له خبرة بماجريات الأحوال ، وعلم عجيب بالتاريخ وطبقات الأدباء ، وتفرُّس مصيب ينفذ به في البواطن ، فيستخرج مكنونها بألمعيته مع دهاء ، يقود العدو إلى الحتف ، ويسوق الحسود إلى رغم الأنف ، وكان بين معاصريه في الجزائر أحبهم إلى

النزيل والزائر ، لما خص به من كرم السجايا وإسداء المزايا . وحلاوة اللسان وطلاوة المحيا ، والإقبال على الخَلْق بما يسرُّ القلوب ويزيل القطوب . فهو من أعيانها الرجل الوحيد الذي يمثل لك في الجزائر أديبها المترف . وعالمها الحكيم ، وموظفها الصالح ، وكريمها البشوش .

لما ساقتني الأقدار إلى الجزائر كان المرحوم أول من ضمني إليه وأطلعني على غثها وسمينها ، وقد جئتُها طالب علم علمائها وزيارة أهلها ، فأغناني عن أحيائها بما عنده في المدرسة الدولية ، وكان رئيس إدارتها إلى أن توفي رحمه الله يوم ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٠١ مأسوفاً عليه ، داخل الجزائر وخارجها . عن ولدين أكبرهما بديع زمانه السيد أحمد الترجمان العسكري سابقاً وأصغرهما السيد عمر المدرس الآن في المدرسة الثعالبية ، وكلاهما نسخة من أبيه ، وفائق العصر على بنيه ، وثالثهما حفيدهما الحكيم السيد الزروق بن محمد بن المترجم الشيخ حسن بريهمات .

وقد تخرج على الشيخ جم غفير من تلامذة مدرسته ، وكلهم تولى الوظائف الشرعية ، منهم من قضى نحبه ، ومنهم من لم يزل في قيد الحياة ، كالعلامة النحرير السيد يحيى بن محمد الجرومي قاضي تيزي وزو ، وهذا الرجل كان كأحد أبنائه ملازماًله ممتثلاً لأمره ونهيه ، فنال من بركته علوماً جمة ، مع تمكن في اللغة الفرنسوية فهماً وكتابة وتكلماً بشهادة أهلها ، مثل أبناء شيخه السيد محمد والسيد أحمد والسيد عمر والسيد الزروق ، وكان الشيخ نفسه يحسن التكلم بها خطاباً وجواباً ، وله نظم رقيق المعنى نبيل المبنى ، منه قوله في تقريظ كتاب « أقوم المسالك في أحوال الممالك » للمرحوم خير الدين باشا سنة ١٢٨٤ :

للهِ دُرُّكَ خيرَ الدينِ مِنْ عَلَـــــمٍ * أبدى منارَ الهُدى للنَّاسِ في القِنَنِ

نهجتَ نهجاً قويماً قلَّ سالكُـــــهُ * إلى السِّياسةِ كي ينجو منَ الفِتـنِ
بَيَّنْتَ طُرْقَ السَّدادِ بَلْ وأقومَهـا * وقُمتَ منتصراً للدِّينِ والوَطَـنِ
نصيحةٌ منـكَ حَـقٌّ شُكْـر قائلِهـا * ومِنَّةٌ مُنحَتْ مِنْ أعظمِ المِنَـنِ
ما شرَّعَتْ مِنْ ضلالٍ لا ولا ابتدعَتْ * بل أبدعَتْ سُنناً ناهيكَ مِنْ سُنَنِ
[٨٠] نَعَمْ على الشَّرْع قد بيّنتَ ضابطَهـا * مراعِياً فيهِ حالَ النَّاسِ والزَّمنِ
للهِ شرحٌ لهُ أبـانَ غامِضَـــــهُ * وسُنَّةٌ بيَّنتْ مقاصِـدَ السُّنَـنِ
أهدى لأهلِ النُّهى محاسناً حدثَـتْ * وكفَّ أهلَ الهوى بالقيدِ والرَّسَنِ
ومذهباً واضحاً تُبدي دلائِلَـــــهُ * عَنْ سَبْقِ تجربَةٍ لقصْدِهِ الحَسَنِ
مِن المصالِحِ والأخفِّ مِن ضـــررٍ * ومِن ضرورية جنيتَ حينَ جني
أطلقتَ طائفةً كانَتْ مقيَّـــــدةً * من حيثُ قيَّدتَ أُخرى فهي في قَرَنِ
أفادَ تاريخُـكَ الميمونُ مَطْلَعُـــهُ * شهادةً بافتخارٍ جَلَّ عَنْ وَهَنِ
حَقٌّ على أمَّةِ الإسلامِ شُكْـرُكُـمُ * ورَعْيُ تأليفِكُم بالقلبِ والأُذنِ
عليكَ منِّي ســلامُ اللهِ ما طلعَـــتْ * شَمْسٌ وما غرَّدَ القمريُّ في فَنَنِ

وله إجازة من جد أولاده العلامة السيد مصطفى بن الحاج أحمد الحرار في العلوم كلها وفي دوائر من سند المصافحة حررها له سنة ١٢٧٢ ونصها :

ولدنا السيد حسن بن السيد إبراهيم المدعو بريهمات أحسن الله عقباه وزيَّن أخراه ، مع الحياة الطيبة والعافية الدائمة على ممر الأوقات بأبرك رغيد النعم المتهاطلة ، ولذائذ الأوقات ، كان حفظ الله مهجته وخلد عافيته ، قد لزم دروسنا سنين ، فحمل عنا من العلوم العقلية والنقلية ما فاق فيه كثيراً من معاصريه ، وجالت فيه فرسان بنيه ، ولما كان الإسناد حبل الشريعة الممدود وبابه لطالبيه غير مسدود ، إذ هو من خصائص هذه الأمة ، ولم تزل الإجازة عادة الأجِلَّة من الأئمة ، أوصلته بما أوصلني به مشايخي ، وأجزته بما أجازوني

به في سائر العلوم العقلية والنقلية ، وأذنته أن يروي عني جميع مروياتي ومسموعاتي على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها ، إجازة مطلقة عامة ، بشرطها المعروف وسننها المألوف ، حسبما تلقيت ذلك .

وأخذته عن مشايخي الأعلام مفاخر الزمان منهم الشيخ الهمام بدر الأعلام ومفتي الأنام ، علامة زمانه ، ووحيد عصره وأوانه ، الشيخ علي المنجلاتي رحمه الله تعالى ورضي عنه ، ومنهم الشيخ الإمام الصالح البركة الغائص في بحر العلوم ، والمستخرج منه دره ، شيخ الإسلام سيدي محمد بن إبراهيم ابن موسى رحمه الله تعالى ورضي عنه ، ومنهم الشيخ الهمام الإمام شيخ الإسلام ومفتي الأنام سيدي علي بن الأمين رحمه الله تعالى ورضي عنه ، ومنهم الشيخ الإمام الولي الصالح القارىء الخاشع البركة سيدي أحمد بن الكاهية ، صاحب الأخلاق العلية والمقامات العرفانية ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، ومنهم الشيخ الإمام المتقن المحرر المدقق سيدي محمد واعزيز أدام الله حياته ، وأبقاه للعباد رحمة ، ومنهم الشيخ الإمام الأسد الضرغام قطب الأعلام ، خاتمة المحققين وبقية الأعلام المجتهدين ، ينبوع العلوم الشرعية والفنون العقلية ، والمعارف اللدنية سيدنا ووسيلتنا إلى الله الباري مولاي الشيخ سيدي محمد صالح البخاري الرضوي بن خير الله نسبة إلى سيدي علي الرضى بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن سيدنا محمد الباقر ابن سيدنا زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم ، ونفعنا بهم وأمدنا بمددهم ، ومنهم الطود الشامخ والهيكل الراسخ العلامة سيدي الحاج حمودة الجزائري المنشأ والدار والوفاة ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، فهؤلاء مشايخي الأعلام الذين تحملت عنهم العلوم العقلية والنقلية ، وأجازوني بالإجازة المطلقة والمقيدة ، رحم الله تعالى جميعهم وضاعف أجورهم ونفعنا ببركاتهم .

وأول من أخذت عنه الأستاذ خاتمة العباد سيدي الشيخ أحمد بن الكاهية به عرف ، الجزائري منشأ وموطناً ووفاة ، فقد أخذت عنه « كتاب البخاري » رحمه الله تعالى ورضي عنه ، عرضاً لجميعه وسماعاً لبعضه ، وإجازة فيه بالإجازة العامة والمطلقة ، كما أخذته بالإجازة العامة عن شيخنا أبي المحاسن والوفاء مولاي السيد مصطفى مفتي المالكية ومحرر القضايا الدينية ، أبقى الله وجوده وأعلا مناره وأفاض جوده ، الجزائري الأصل سماعاً لجميعه وعرضاً ، وأجازني في تأديته رواية ودراية ، كما أخذته بالإجازة العامة بل في جميع العلوم عن الشيخ علي المنجلاتي المذكور الجزائري المنشأ والدار والوفاة .

وقد أخذ مشايخنا هؤلاء الثلاثة « كتاب البخاري » عن الأستاذ البركة شيخنا وشيخ مشايخنا الشيخ أبو الحسن سيدي علي بن عبد القادر بن الأمين ، به شهر ، الجزائري منشأ وموطناً ووفاة ، برَّد الله ضريحه وأسكنه من الجنان فسيحه ، إلى أن قال : وقد جمعت في إجازتي هذه لولدي الفاضل المذكور بين الأمرين تتميماً لشرف المطلبين وظفراً بالسِّرَّين ، ضاعف الله لنا وله الأجور ، ووهبنا وإياه محاسن الأمور وعواقب الدهور ، وقد اشتمل السند المذكور من طريق السيد شمهورش الصحابي الجليل رضي الله عنه ، على جملة لطائف منها : قرب اتصاله بالنبي ﷺ ، فباعتبار ثلاثيات البخاري يكون بيننا وبين النبي ﷺ سبعة ، وبيننا وبين البخاري ثلاثة ، ومنها أن رجاله كلهم رجال أئمة ما بين مكي وبخاري وجني عن إنسي ، ومنها أن فيه رواية صحابي هو السيد شمهورش قاضي الجن رضي الله عنه ، عن تابع تابع التابعين ، وقد قال وكيع : لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عمن هو فوقه ومثله ودونه .

وسمعت من أستاذنا الشيخ محمد صالح البخاري قدس الله سره أن المحدث لا يبلغ الدرجة الكاملة في الحديث حتى يأذن له السيد شمهورش رضي الله عنه ،

ويجيزه فيه لفوزه بصحبة النبي ﷺ وسماعه منه ، قال : وقد كتب لي بخطه الإجازة في الحديث رضي الله عنه ، وأما بقية مشايخي ممن ذكرت فقد اقتطفت من أزهار بساتين علومهم ، ورتعت في رياض حدائق فنونهم ، واتصلت [٨٢] بأسانيدهم ، وتشرفت بمسموعاتهم ، خصوصاً خاتمتهم عماد قلبي ووسيلتي إلى ربي صاحب الفيض الإلهي والمدد الرباني الشيخ الإمام الجهبيذ الهمام حسنة الدهر المرقومة على صفحات الأيام ، الجامع بين المعقول والمنقول ، والمستخرج من روح مجراها ما تعجز عنه الفحول ، الذي أشرقت علينا بطالعه السعيد شمس العز التي لا يعتريها أفول ، وسطعت علينا ببرق سناه نيرات الفضل التي لا يعقبها أفول ولا نحول ، حبر الوقت عظيم الصيت ، من جرى لنا بحر جوده الفياض فأرعد بالأنوار ، وأبرق وأشرق نور بدر سماه فما غرب بعدما أشرق حجة الإسلام الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة تعلقاً وتخلقاً مولاي الشيخ محمد صالح البخاري المذكور المتوفى بالمدينة المنورة ، على صاحبها أشرف صلاة وأعطر تحية ، سنة ١٢٦٥ في جمادى الثانية عن اثنتين وستين سنة أو ثلاث وستين ، فإنه لما قَدِمَ الجزائر التي هي نعيم القاطن وسلوان الزائر سنة ١٢٦١ يوم التاسع والعشرين من رمضان أجازني إجازة مطلقة عامة ، بما صحَّت له فيه روايته وثبتت عنده درايته ، كما أجازه بذلك شيخنا قطب وقته بمكة المشرفة ، سيدي عمر بن عبد الكريم المكي أفاض الله تعالى من بركاته ، وأمدنا بمدده ، قال : فمن يوم قال لي تينك الكلمتين حين دخلت مكة المشرفة من بخاري أطلب الحديث والتفسير ، واجتمعت به إلى اليوم اثنان وثلاثون سنة لم أطالع كتاباً ولا ورقة ، وقد مزقت القرطاس وكسرت القلم ، وحفظت القرآن في عشرين يوماً وقد فوض إلي دروسه ، وأقامني مقامه ، وانقطع لتربية المريدين وتوصيل السالكين ، وقد أوصلني مولاي الأستاذ المذكور شيخنا العلامة سيدي محمد صالح البخاري بمروياته ومسموعاته التي أخذت عليها

فهرسة الشيخ الإمام عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم البصري المسماة بـ « الإمداد في علو الإسناد » وكذا فهرسة الشيخ العلامة الإمام بدر الأعلام الشيخ صالح ابن محمد الفلاني العمري المسماة بـ « قطف الثمر في رفع أسانيد مصنفات في الفنون والأثر » ، وكذا فهرسة الشيخ الإمام سيدي إبراهيم الكوراني المسماة بـ « الإسم لإيقاظ الهمم » اهـ .

قال كاتبها : وكتبت عن إذن الأستاذ الأعظم والطود الأفخم مولانا وشيخنا أبي المحاسن والوفا السيد مصطفى بن الحاج أحمد الحرار الواضع اسمه بخط يده المباركة في آخر دائرة من دوائر سند المصافحة ، أعاد الله تعالى من بركاته ، ووهبنا والمسلمين صالح دعواته ، ونفعنا بآثاره وحسناته آمين اهـ .

حسنُ بنُ أبي القاسمِ بن باديس القسنطيني

قال ابن الخطيب القسنطيني : شيخنا الفقيه القاضي الشهير المحدث أبو علي .

[٨٣] روى عن ناصر الدين المَشدَّالي ، وابن غريون البجائي ، وابن عبد الرفيع القاضي وغيرهم ، وفي الأخير عن صلاح الدين العلائي ، وخليل المكِّي ، وابن هشام النحوي ، وأخبرني عن ابن هشام هذا أنه ختمت عليه « ألفية ابن مالك » ألف مرة على ما أخبره .

كانت ولادته سنة إحدى وسبع مئة (٧٠١) ، وله تقاييد منها شرح مختصر ابن فارس في السيرة ، وأدرك في حداثته من المعارف العلمية ما لم يدركه غيره في سنِّه ، ولغلبة الانقباض عليه قلّ النفع به لمن أدرك حياته ، توفي سنة سبع وثمانين وسبع مئة (٧٨٧) .

حسنُ بنُ أبي القاسم بن باديس أبو علي

ذكره العبدري في « رحلته » ، وقال : شيخ من أهل العلم يذكر فقهاً ومسائل ، ذو سمت وهيئة ووقار بقسنطينة .

سمعته يقول : وقع الكلام بين يدي الإمام أبي الحسن اللخمي في حكم السفر إلى الحج مع فساد الطريق ، هل الأولى تركه احتياطاً على النفس ، أو الاستسلام في التوجه إليه ، ومال اللخمي إلى ترجيح الترك ، قال : وفي المجلس رجل واعظ فقال : يا فقيه تسمع ما أقول ؟ فقال : نعم ، فأنشده :

إنْ كانَ سفكَ دمـي أقصـى مرادِكُمُ * فما غَلَتْ نظرةٌ مِنْـكُم بسفكِ دمي

فاستحسن كل من حضر منزعه ، وانفصل المجلس على أن الأولى تحمّل الخطر في التوجه والإعراض عن العوائق اهـ .

وكانت ملاقاة العبدري لصاحب الترجمة في أواخر السابع اهـ . وبهذا يُعلم أنه غير سابقه .

الحسنُ بنُ حجّاجٍ الهواري البجائي

الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري . أصله من ناحية بجاية ، وأهل بيته ينتمون في تجيب ، وسكن مراكش ، يُكنى أبا علي .

روي عن أبيه وغيره ، وتفقه بالقاضي أبي موسى بن عمران ، ودخل الأندلس مراراً ، وولي الخطبة باشبيلية بعد أبي الحسن المالقي في سنة ٥٨٠ ، وكان بليغاً فصيحاً سماه أبو الربيع بن سالم في مشيخته .

توفي بمدينة فاس سنة ٥٩٨ ، واحتمل بعد أشهر لمراكش ، فدفن بها .

[٨٤] حسنُ بنُ حسينٍ البجائي

حسن بن حسين البجائي أبو علي الإمام المشهور .

قال ابن الخطيب القسنطيني : الفقيه العلم المحصل المحقق الشهير شارح المعالم الدينية اهـ .

أخذ عن الإمام ناصر الدين المَشدَّالي ، ولما وردت فتوى ابن عبد الرفيع في مسألة ثبوت الشرف من جهة الأم ، أمره الإمام ناصر الدين بالجواب عنه ، فألف رسالة ردَّ فيها على ابن عبد الرفيع . توفي سنة أربع وخمسين وسبع مئة (٧٥٤)

حسنُ بنُ خلفِ الله القسنطيني

حسن بن خلف الله بن حسن بن أبي القاسم بن ميمون بن باديس القيسي القسنطيني .

قال ابن الخطيب القسنطيني : هو ابن عم السابق ، وابن خالته شيخنا الفقيه القاضي العدل الخطيب الحاج المرحوم أبو علي ، روينا عنه الحديث وغيره . ولد في حدود سبعة وسبع مئة (٧٠٧) .

روى عن ابن غريون وغيره ، وأخذ عن ابن عبد السلام وغيره ، وتوفي وهو قاضي قسنطينة عام أربعة وثمانين وسبع مئة (٧٨٤) اهـ . من « رحلته » و« وفياته » .

وقال أبو زكرياء في « فهرسته » : شيخنا الفقيه الخطيب المدرس الراوية

الحاج الفاضل ابن الشيخ الأجلّ خلف الله ، كان ذا سمت حسن وحال مستحسن ، له اعتناء بالعلوم ومشاركة ، لقي في رحلته للحجاز أعلاماً كثيرين ، وأخذ عنهم وأجازوه كأثير الدين أبي حيان ، والراوية الرحلة ابن جابر القيسي الوادي آشي ، وابن غريون ، ومن المغاربة القاضي الخطيب ابن عبد الرزاق الجزولي ، والخطيب البليغ المحدث محمد بن أحمد بن مرزوق ، والخطيب القاضي الأعدل الراوية أبو البركات ابن الحاج البلقيني ، والفقيه الحاج الصالح أبو عبد الله ابن سعيد الرعيني ، والفقيه الحاج الخطيب أبو علي عمر بن محمد ، عرف بابن البحر . توفي ببلده قسنطينة اه ملخصاً .

الحسنُ بنُ ستِّ الآفاق البسكري

الفقيه الصالح ، كان من أهل الفضل والعبادة والاجتهاد ، كثير الصدقة ، وكان له مال أنفقه على أهل الفضل والدين في بناء القناطر وعمارة المساجد ، وكان صاحب ورع ، أصله من بسكرة ، واستوطن مدينة فاس ، حتى توفي بها رحمه الله تعالى . ذكره الكتاني في « المستفاد » ولم يذكر وفاته .

[٨٥] الحسنُ بنُ عثمان الونشريسي

أبو علي الحسن بن عثمان بن عطية الونشريسي ، قال ابن الخطيب السلماني في « نفاضة الجراب » : كان فقيهاً عدلاً من أهل الحساب والقيام على الفرائض ، والعناية بفروع الفقه ، من ذوي السذاجة والفضل ، يقرض الشعر ، وله أرجوزة في الفرائض مبسوطة العبارة مستوفية المعنى اه .

قال ابن الأحمر : شيخنا الفقيه المفتي المدرس القاضي الفرضي الأديب

الحاج أبو علي ابن الفقيه الصالح أبي سعيد عثمان التجاني المنعوت بالونشريسي أجازني عامة ، أخذ عن الفقيه المفتي الخطيب المعمّر القاضي المحدث الراوية ، خاتمة محدّثي المغرب أبي البركات ابن الحاج البلفيقي ، ومولده في حدود ٧٢٤ ، وكان حياً قرب التسعين وسبع مئة (٧٩٠) .

ذكر الونشريسي في « المعيار » جملة من فتاويه وفتاوى عمه ، وقال في وثائقه : القاضي العلامة ـ يعني صاحب الترجمة ـ وقعت له قضية مع عدول مكناسة ، وذلك أن السلطان أبا عنان فارس أمر بالاقتصار على عشرة من الشهود بمدينة مكناسة ، وكتب فيهم اسم الشيخ أبي علي هذا ، فشق ذلك على بعض شيوخ العدول المؤخَّرين لحداثة سن أبي علي ، فلما علم تشنيعهم صنع رجزاً ورفعه إلى مقام السلطان المتوكل على الله أبي عنان ونصه :

نبـــدأُ أوَّلاً بحمـدِ اللّـــــــهِ * ونستعينُـــهُ عـــلى الـدَّواهـي
ثـــم نُـــوالي بالصَّـــلاةِ والسَّـلامْ * عـــلى نـبيٍّ دُونَـــهُ كـلُّ إمـامْ
وبعـــدَ ذا نَســـألُ ربَّ العالميـــنْ * أن يهـبَ النصر أميرَ المؤمنيـــنْ
خليفَـــةَ اللهِ أبا عنـــــــانِ * لا زالَ في خيرٍ وفي أمـــــانِ
ملَّـــكهُ اللهُ مـــنَ البـــــــلادِ * من سوسٍ الأقصـــى إلى بغـدادِ
يا أيهـــا الخليفـــةُ المظفَّـــــرُ * دونَـك أمـــراً إنـــه مفسَّـرُ
عبدُكُـــمُ نجلُ عطيَّـــةَ الحَسَـــنْ * قد قيلَ لا يشهدُ إلَّا أنْ يَســـنْ
وَهْـوَ في أمرِكُـــمُ المعهـــــودِ * مِـــنْ جُملـةِ العَشَرةِ الشُّهـودِ
نصَّ عليـــهِ أمركُـــم تعيينـــــا * وسِنُّـــهُ قاربَ أربعينـــــــا
مع الذي ينتسبُ العبدُ إليـــــــهْ * من طلبِ العلمِ وبحثِـهِ عليـهْ
عـــلى الفرائِـضِ لهُ أرجـــــوزَهْ * أبـــرزَ في نظـامهـــا إبريـزَهْ
ومجلسٌ لهُ على الرِّسالـــــــهْ * فكيفَ يرجو حاسِـدٌ زوالَـــهْ
حاشا أميـرَ المؤمنيـــنَ ذاكـــــا * وعدلُـــهُ قد بلـغَ السِّماكَـــا

وعلمُــه قد طبَّــقَ الآفاقـــــــا * وحلمُه قد جاوزَ العِـــــــراقا
وجودُه مشتهِـــرٌ في كل حَـــــي * قصَّر عن إدراكِــهِ حاتِــمُ طيْ

[٨٦] يقال : إنه لما وصلت الأبيات للسلطان أمر بإقراره على ذلك ، ورجزه في الفرائض حسن سلس ، وفي بعض التقاييد عن ابن غازي ما نصه : حج صاحب الترجمة مع خلق كثير ، ورجع لفاس وهمَّ أن يتفرغ للعبادة حتى يموت فقالت له امرأته : إما أن ترجع للقضاء ، وإما أن تطلقني ، فإني استأنست أن يخدمني النساء ، فرجع إلى القضاء فبقي خمسة عشر يوماً ثم مات اهـ فنعوذ بالله من كيدهن وشرهن .

الحسنُ بنُ عطيَّةَ التّجاني الونشريسي

قال ابن الأحمر في « فهرسته » : شيخنا الفقيه المفتي المدرس القاضي أبو علي ابن الشيخ الصالح عطية ، توفي عام ٧٨١ ، أجازني « الموطأ » رواية يحيى بن يحيى .

أخذ عن الفقيه الإمام العالم المحصّل المتكلم النظار المفتي المدرس البحر أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل ابن الصباغ الخزرجي المكناسي اهـ .

حسنُ بنُ عليٍّ القسنطيني

حسن بن علي بن عمر القسنطيني المعروف بابن الفكون ، يكنى أبا علي ، قال العبدري في « رحلته » : سألت عنه أبا علي حسن بن بلقاسم بن باديس القسنطيني ، فذكر لي أنه أدركه وهو طفل صغير ، ولم يحفظ له مولداً ولا وفاة ،

ودخل مدينة فاس في رحلته لمراكش .

وله قصيدة مشهورة في رحلته من قسنطينة إلى مراكش ، كتب بها إلى أبي البدر ابن فردقيس ، وهو بقسنطينة وهي :

أَلا قُل للسَّـريِّ بـنِ السَّـــريِّ * أبي البـدرِ الجـوادِ الأريحـيِّ
أما وبحقِّكَ المبـدي جـــلالاً * وما قد حُزتَ من حسبٍ عـليِّ
وما بيني وبينكَ مِـن ذمـــامٍ * وما أُوتيتَ من خُلُقٍ رضـيِّ
لقد رمَتِ العيونُ سهـامَ غُنْـجٍ * وليسَ سوى فؤادي مِـن رميِّ
فحسبُكَ نارُ قلبي مِـن سعـيرٍ * وحسبُكَ دمعُ عيني من لتـيِّ
وكنـتُ أظنُّ أنَّ الناسَ طُـرّاً * سوى زيدٍ وعمروٍ غيرَ شـيِّ
فلمَّـا جئـتُ بَبْلَـةَ خير دارٍ * أمالتني بكـلِّ رشىً أبـيِّ
وكـم أورَتْ ظباءُ بنـي ورارٍ * أُوارَ الشَّـوقِ بالرِّيقِ الشَّهـيِّ
وجئتُ بجايـةً فجلـت بـدوراً * يضيقُ بوصفِها حرفُ الـرَّويِّ
وفي أرضِ الجزائرِ هـامَ قلبـي * بمعسولِ المراشـفِ كـوثـريِّ
[٨٧] وفي مليانـةٍ قد ذُبـتُ شوقـاً * بلينِ العطفِ والقلـبِ القَسـيِّ
وفي تُنْسٍ نسيـتُ جميلَ صـبري * وهمتُ بكـلِّ ذي وجـهٍ رَضيِّ
وفي مازونـةٍ ما زلـتُ صبَّـاً * بوسنانِ المحاجـرِ لـوذعـيِّ
وفي وهـرانَ قد أمسيـتُ رهنـاً * لظامي الخصر ذي ردْفٍ رويِّ
وأبـدت لي تلمسـانٌ بدوراً * جلبنَ الشَّوقَ للقلـبِ الخـليِّ
ولمَّا جئتُ وجدةَ هِمـتُ وجـداً * بمُنْخَنِثِ المعاطـفِ معنـويِّ
وحلَّ رشـا الرباطِ رشـى رباطي * وتيَّمنـي بطـرفٍ بابـليِّ
وأطلـعَ قطـرُ فاسٍ لي شموسـاً * مغاربُهُـنَّ في قلـبِ الشجـيِّ
وما مكناسـةٌ إلَّا كِـنَـاسٌ * لأحوى الطَّرْفِ ذي حسن سَنيِّ

وإنْ تسألْ عَنَ ارضِ سـلاً ففيهـا * ظبـاءٌ صَائـداتٌ للكمـيِّ
وفي مراكشٍ يا ويـحَ قلـبي * أتى الـوادي فطـمّ على القريِّ
بدورٌ بل شموسٌ بـل صبـاحٌ * بهـيٌّ في بهـيٍّ في بهـيِّ
أبحـنَ مصارعَ العُشَّـاقِ لمَّـا * سعينَ بـهِ فكـم مَيْـتٍ وحـيِّ
بقامةِ كـلِّ أسمرَ سمهـريٍّ * ومقلـةِ كـلِّ أبيضَ مشرفـيِّ
إذا أنسينـي الولـدانَ حُسنـاً * أنسِّيهـم هـوى غيـلانَ مـيِّ
فهـا أنـا قـد تخـذتُ الغـرب داراً * وأدعـى اليـومَ بالمـراكشـيِّ
على أنَّ اشتياقـي نحو زيـدٍ * كشوقِكَ نحوَ عمروٍ بالسَّـويِّ
تقسَّمني الهـوى غربـاً وشرقـاً * فيا للمشرقـيِّ المغربـيِّ
فلي قلـبٌ بأرضِ الشرقِ عـانٍ * وجسمٌ حـلّ بالغربِ القصِـيِّ
فهـذا بالغـدوِّ يهيـمُ غربـاً * وذاكَ يهيـمُ شرقـاً بالعـشيِّ
ولولا اللهُ مِـتُّ هـوىً ووجـداً * وكم للهِ مِن لطـفٍ خفـيِّ

في « نفح الطيب » : ومنها كتاب وافاني من عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها ، سلالة العلماء الأكابر ، وارث المجد كابراً عن كابر ، المؤلف العلامة سيدي الشيخ عبد الكريم الفكون حفظه الله ونصه : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على مَن أنزل عليه ﴿ وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظيمٍ ﴾ (١) وآله وصحبه وسلم أفضل التسليم ، من مدنس الإزار المتسربل بسرابيل الخطايا والأوزار ، الراجي للتنصل منه رحمة العزيز الغفار عبد الله سبحانه عبد الكريم بن محمد الفكون ، أصلح الله بالتقوى حاله ، وبلَّغه من متابعة السنة المصطفية آماله ، إلى الشيخ الشهير ذي الفهم الثاقب والحفظ الغزير الأحب [٨٨] في الله المؤاخي من أجله سيدي الصدر النحرير أبو العباس أحمد المقَّري أحمد

(١) سورة القلم : الآية ٤ .

الله عاقبتي وعاقبته . وأسبل على الجميع عافيته . أما بعد :

فإني أحمد الله إليك ، وأصلّي على نبيه سيدنا محمد ، ولا أريد إلا صالح الدعاء وطلبه منكم ، فإني أحوج الناس إليه وأشدّهم في ظني إلحاحاً عليه لما تحققت من أحوال نفسي الأمّارة ، واستبطنت من دخيلاتها المثابرة على حب الدنيا الغرارة ، كأنها عميت عن الأهوال التي أشابت رؤوس الأطفال ، وقطعت أعناق كُمَّل الرجال . فتراها في لجج هواها خائضة ، وفي ميدان شهواتها راكضة ، طغت في غيِّها وما لانت . وجمحت فما انقادت ولا استقامت ، فويلي ثم ويلي من يوم تبرز فيه القبائح وتنشر فيه الفضائح ، ومنادي العدل قائم بين العالمين ، ﴿ وإنْ كانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أتينا بها وكَفَى بنا حاسِبينَ ﴾ (٢) فالله أسال حسن الألطاف والستر عما ارتكبناه من التعدي والإسراف ، وأن يجعلنا من أهل الحمى العظيم ، وممن يحشر تحت لواء خلاصته الكريم ، سندنا سيدنا ومولانا وشفيعنا النبي الرؤوف الرحيم ، ولنكف من القلم عنانه ، لما أرجو من أجله ثواب الله سبحانه ، وقد اتصل بيدي جوابكم أطال الله في العلم بقاءكم ، فرأيت من عذوبة ألفاظكم وبلاغة خطابكم ما يذهل من العلماء فحولها ، وينيلها لدى الجثوِّ لسماعه سؤلها ومأمولها ، بيد ما فيه من أوصاف من أمره قاصر ، وعن الطاعة والاجتهاد فاتر ، وأصدق قول فيه عنده مخبره ، ومرآه أن « تَسْمَعَ بالْمُعَيدي خيرٌ مِن أنْ تَرَاه » لكن [٨٩] يجازيكم المولى بحسن النية البلوغ في بحبوحة الجنان غاية الأمنية ، وقد ذيلتم ذلك بأبيات أنا أقل من أن أوصف بمثلها ، على أني غير قائم بفرضها ونفلها ، فالله تعالى يمدكم بمعونته ، ويجعلكم من أهل مناجاته في حضرته ، ويسقينا من كاسات القرب ما نتمتع منه بلذيذ منادمته ، وقد ساعد البنان الجنان في إجابتكم بوزنها وقافيتها ، والعذر إلي أنني لست من أهل هذا الشأن ، والاعتراف

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٤٧ .

بأني جبان وأيّ جبان ، والكمال لكم في الرضى والقبول ، والكريم يغضي عن عورات الأحمق والجهول ، وظننا لكم حققه الله أن نجعل على منظومتكم الكلامية يعني « إضاءة الدجنة » تقييداً أرجو من الله توفيقاً وتسديداً بحسب قدري لا على قدركم ، وعلى مثل فكري القاصر لا على عظيم فكركم ، وإن ساعد الأوان وقضى بتيسيرٍ ربُّ الزمان فأتى به إن شاء الأجل معي ، لأنني بالأشواق إلى حضرة راكب البراق ، ومخترق السبع الطباق ، وكنت عازماً على أن أبعث لكم من الأبيات أكثر من الواقع إلا أن الرفقة أعجلت ، وصادفتني أيام موت قعيدة البيت ، فلم يتيسر عاجلاً إلا ما ذكر عاجلاً ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل :

يا نُخبـةَ الدهـرِ في الدرايَـــــةْ * علماً تعاضِـدُهُ الرِّوايَـــــةْ
لا زلتَ بحراً بكـلِّ فَـــــنٍّ * يـروي بـهِ الطالبونَ غايَـةْ
لقـد تصـدَّرتَ فـي المعـالي * كما تعاليـتَ في العنايَـــةْ
مِن فيكَ تُستنظمُ المعانـــي * بلغتَ في حُسنهـا النِّهـايَـةْ
رقاكَ مـولايَ كُـلَّ مَرْقَـــى * تحـوي بـهِ القُـربَ والولايَـةْ
أُعجوبَـةٌ مالهـا نظيـرٌ * في الحفظِ والفهـم والهِدايَـةْ
يا أحمـدَ المقَّـريِّ دامَـــتْ * بشـراكَ تصحبُهـا الرِّعايَـةْ
بجـاهِ خـيرِ العبـادِ طُـرّاً * والآلِ والصَّحـبِ والنقايَـةْ
صـلاةُ ربِّـي عليـهِ تَتْـرى * نُكـفـى بهـا الشرَّ والغوايَـةْ

وأختم كتابي بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ ، وكتب بغاية عجلة يوم السبت سابع أو ثامن رجب من عام ١٠٣٨ للهجرة ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، والمذكور عالم الغرب الأوسط غير مدافع ، وله سلف علماء ذوو شهرة ، ولهم في الأدب الباع المديد ، غير أن المذكور مائل إلى التصوف ، ونعم ما فعل ، تقبَّل الله عملي وعمله وبلغ كلاً منا أمله ،

ولأشهر أسلافه العلامة الشيخ حسن بن علي بن عمر الفكون القسنطيني ، أحد أشياخ العبدري صاحب الرحلة قصيدة (تقدم ذكرها) مشهورة عند العلماء بالمغرب ، وهي من دُرِّ النظام ، وحُرِّ الكلام ، وقد ضمنها ذكر البلاد التي رآها في ارتحاله من قسنطينة إلى مراكش اهـ .

وقال غيره : كان من الأدباء الذين تستطرف أخبارهم وتروق أشعارهم ، عزيز النظم والنثر ، وكأنهما أنوار الزهر ، رحل إلى مراكش ، وامتدح خليفة بني عبد المؤمن ، كانت جائزته عنده من أحسن الجوائز ، وله رحلة نظمها في سفرته من قسنطينة إلى مراكش ، ووافق في مقامه بمراكش طلوع الخليفة لزيارة قبر الإمام المهدي رضي الله عنه ، فنظم في ذلك .

وله ديوان شعر ، وهو موجود في أيدي الناس ومحبوب عندهم ، وهو من الفضلاء النبهاء ، وكان مرفوع المقدار ، وممن له الحظوة والاعتبار ، وكان الأدب له من باب الزينة والكمال ، ولم يحترف به لإقامة أَوَد أو لإصلاح حال ، وأصله من قسنطينة ، من ذوي بيوتاتها ، ومن كريم أُروماتها ، وتواشيحه مستحسنة ، ومن مليح شعره :

دَعِ العـراقَ وبغداداً وشامَهُـمُ * فالناصريَّـةُ ما من مثلها بَلَـدُ
برٌّ وبحرٌ ومرجٌ للعيـونِ بـهِ * مسارحٌ بانَ عنها الهمُّ والنَّكَـدُ
حيثُ الهوى والهواءُ الطلق مجتمِـعٌ * حيثُ الغِنى والنَّما والعيشةُ الرَّغَدُ
والنَّهرُ كالطَّلِّ والجنَّاتُ مشرفـةٌ * والنَّهرُ والبحرُ كالمرآةِ وهو يَدُ
إنْ تنظُرِ البرَّ فالأزهـارُ يانعـةٌ * أو تنظرِ البحرَ فالأمواجُ تطَّرِدُ
يا طالباً وصفها إنْ كُنتَ ذا نَصَـفٍ * قُلْ جنَّةَ الخُلدِ فيها الأهـلُ والولـدُ

[٩٠] ومن نظمه رحمه الله تعالى هذه القصيدة القافية والقطعة الميمية التي تذكر بعدها ، نظمها في بعض سادات بني عبد المؤمن ، رحمهم الله تعالى ، قال

في سياق ذكره ، وقد ذكروا جمال قصر الربيع :

عشَونا إلى نارِ الرَّبيعِ وإنَّما * عشَونا إلى نارِ النَّدى والمُحَلَّقِ
ركِبنا بواديهِ جيادَ زوارقٍ * نزلنا إليها عن ضوامِرَ سُبَّقِ
وخُضنا حشاهُ والأصيلُ كأنَّهُ * بصفحتِهِ تُبدي مروَّقَ زنبقِ
وسيِّدُنا قَدْ صارَ فيهِ لأنَّهُ * بِزَوْرَقِهِ إنسانُ مُقلةٍ أزرقِ
فقلتُ وطرفي يجتلي كلَّ عبرةٍ * وزورقهُ يهوي بهِ ثُمَّ يرتقي
أيا عجباً للبحرِ عَبَّ عُبابهُ * تجمَّعَ حتى صارَ في بطنِ زورقِ
ولَّما نزلنا ساحةَ القصرِ راعَنا * بكلِّ جمالٍ مُبهجِ الطَّرفِ مُرتقِ
فما شئتَ من طَلٍّ يروقُ وجدولٍ * وروضٍ متى تَلْمُمْ به الريحُ يَعْبَقِ
وشادٍ مغاني الحُسنِ في نغماتِهِ * يُجاوبُهُ شدُو الحَمَامِ المُطَوَّقِ
فيا حُسنَ ذاكَ القصرِ لا زالَ آهِلاً * ويا طِيبَ ريَّا نَشْرِهِ المُتنشَّقِ
رتعنا به في روضةِ الأُنسِ بعد ما * هَصَرنا به غُصنَ المسرَّةِ مُورقِ
ويُضحكُنا طولُ الوصالِ وربَّما * يمرُّ على الأوهامِ ذكرُ التفرُّقِ
فتُضحي مصوغاتُ الدُّموعِ هَدَالةً * ونحنُ على طرفٍ مِن الدَّهرِ أبلقِ
لمثلِهِمَا مِن منْزَهٍ ونَزَاهَةٍ * يجرُّ ذيولَ الدَّلِّ كلَّ مُوفَّقِ
فللهِ ساعاتٌ مضَينَ سوانِحٌ * عليهنَّ مِن زيِّ الصِّبا أيُّ رونقِ
خلعنا عليها النُّسكَ إلَّا أقلَّهُ * وإن عاودَتْ نخلَعْ عليها الذي بقي

ولما نضب ماء الأصيل ، ورقَّ نسيمه العليل ، وهم العشي بانصرام ووداع النهار بسلام ، وأرخى الليل فوقنا سدوله ، وجرر على الأفق ذيوله ، وعُدنا إلى زورقنا ذلك ، والجو غير محتجب ، ووجه الأفق غير متلفع بثوب الغمام ولا منتقب ، وقد بسطت الكواكب في الماء ، فكأنما يجري بنا زورقنا في السماء ، أمروا أعزهم الله بوصف تلك الحالة ، فبادرتهم بهذه العجالة :

وليلٍ مسرَّةٍ ما زلتُ منهـــا * أمرٌّ على سراطٍ مُستقيـــمِ
لبستُ ثيابَـهُ عِـزّاً إلـــى أن * تحرَّرتُ الرجوعَ مـن النجـومِ
فنهنأ بالمجلجلِ قد تـــراءَتْ * على شطَّيـهِ جنَّـاتُ النَّعيـمِ
يسرُّ النفسَ ذي نظـرٍ وشيـمٍ * مِن المرأى الوسيـمِ أو النَّسيـمِ
تشكَّلـتِ الكواكـبُ فيه حتـــى * جرَتْ في قعرهِ شُهـبُ الرُّجـومِ
وأشكل منظراً عُلـواً وسُفـــلاً * من الفُـلكِ الأثيرِ إلى التُّخـومِ
وما تمتـازُ أرضٌ مِـن سمـــاءٍ * وحُوتُ الماءِ من حُوتِ النُّجـومِ

[٩١] حسينُ بنُ عبدِ اللهِ الجزائري

قال الفاضل النبيل المؤرخ أبو الفضل السيد محمد خليل أفندي المرادي مفتي دمشق الشام رحمه الله تعالى في كتابه « سلك الدُّرر في أعيان القرن الثاني عشر » ما نصه :

حسين بن عبد الله المعروف بالجزائري الكاتب الشهير بحسن الخطوط وإتقانها ، كان في الأصل رفيقاً للدرويش علي الكاتب القسنطيني ، وأخذ الخط بأنواعه عن سيده المذكور ، وأتقن الكتابة ثم فرَّ هارباً من قسنطينة من عند سيده إلى جزائر الغرب ، وكان اسمه دلاور فسمَّى نفسه حسيناً ، ثم قَدِمَ مصر القاهرة وأقام بها إلى أن مات ، واشتهرت خطوطه بين الناس ، وأخذ عنه الخط أناس كثيرون ، وفاق أقرانه وشاع صيته ، وكان شهماً جليلاً له تصرف تام ومهارة في صناعة التوريق ، وكانت وفاته سنة ١١٢٥ بمصر القاهرة رحمه الله تعالى .

الحسنُ أبركان التلمساني

الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الراشدي أبو علي ، شُهِر بأبركان ، ومعناه بلسان البربرية الأسود ، الشيخ الفقيه الإمام العالم العلم الولي الصالح القطب الغوث الشهير الكبير .

أخذ عن الإمام سيدي إبراهيم المصمودي ، والإمام الحفيد ابن مرزوق ، وأخذ عنه الحافظ التنسي ، وسيدي علي التالوتي ، وأخوه لأمه الإمام السنوسي ، ولازمه كثيراً وانتفع به ، وكان يقول : رأيت المشايخ والأولياء فما رأيت مثل سيدي الحسن أبركان .

كان لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يضحك إلا تبسماً ، وكان رحيماً شفيقاً بالمؤمنين ، يفرح لفرحهم ويتأسف على ما يسوؤهم ، له سبحة لا تفارقه ، لا يفتر من ذكر الله تعالى طرفة عين ، وله قبول عظيم من العامة والخاصة ، وكان مثابراً على رسالة ابن أبي زيد ، وكان إذا دخل عليه السنوسي تبسم له وفاتحه بالكلام ، ويقول له : جعلك الله من الأئمة المتقين ، وله مكاشفات كثيرة وكرامات منها : ما ذكره السنوسي وأخوه علي قالا : كان يتوضأ في صحراء يوماً ، فإذا بأسد عظيم قد أقبل فبرك على بساطه ، فلما فرغ من وضوئه التفت إلى الأسد ، فقال له : تبارك الله أحسن الخالقين ثلاثاً ، فأطرق الأسد برأسه إلى الأرض كالمستحيي ، ثم قام ومضى .

[٩٢] وذكر السنوسي أيضاً قال : حدثني السيد العلامة الولي سعيد بن عبد الحميد العصنوني بمنزله من وانشريس ، وكان من أصحابه القدماء ، قال : دخلت في يوم حار عليه فوجدته في تعب عظيم ، والعرق يسيل عليه ، فقال :أتدري

مِمَّ هذا التعب الذي أنا فيه ؟ قلت : لا يا سيدي، فقال : إني كنت آنفاً جالساً بهذا الموضع ، فدخل علي الشيطان في صورته التي هو عليها ، فقمت إليه فهرب أمامي فتبعته ، وأنا أُؤذن فما زال يهرب بين يدي ويضرط ، كما ذكر في الحديث إلى أن غاب عني ، والآن رجعت من اتباعه .

قال السنوسي : ولما قَدم من الشرق وجد قرية الجمعة ، قد خربت ، وكانت سُكنى أسلافه ، فنزل تلمسان ، ثم تردد خاطره في الرجوع للقرية لتجديد ما دثر منها ، قال : فخرجت إليها وجلست معتبراً في آثارها ، كيف أخذها الخراب واستولى على أهلها الجلاء ، وإذا بكلب أقبل وجلس بالقرب مني ، وحاله في انكسار الخاطر وتغير الظاهر كحالي ، فقلت في نفسي : هل تعود هذه القرية عامرة أم لا ؟ فرفع الكلب رأسه وقال لي بلسان فصيح : إلى يوم يبعثون ، أي لا تعود عامرة أبداً ، فلما سمعت نطقه لي بذلك رجعت لتلمسان اهـ .

قال القلصادي في رحلته : وحضرت مجلس الولي الصالح الحسن أبركان ، وشهرته تُغني عن تعريفه اهـ . وذكر الشيخ ابن صعد جملة من كراماته في تأليفه « روضة النسرين » توفي آخر شوال سنة ٨٠٧ .

سيّدي الحسينُ الورتيلاني

هو الإمام العالم العامل العلَّامة الكامل الأستاذ الهُمام شيخ مشايخ الإسلام الورع الزاهد الصالح العابد ، المتَّبع لأثر الرسول ، الجامع بين المعقول والمنقول ، بحر الحقائق وكنز الدقائق ، مفيد الطالبين ومربي السالكين ، وقدوة العلماء العاملين ، وبقية السلف الصالحين ، محيي السنة ، والطاعن في نحور مخالفيها بالأسنة ، نادرة الزمان وبركة المسلمين في كل عصر وأوان ، الجامع بين العِلمين والكامل في النسبتين ، حامل لواء الشريعة والحقيقة ، ومعدن السلوك

والطريقة ، ذو التآليف المفيدة ، والتصانيف العديدة ، العالِم الرباني والقطب الصمداني ، والشريف النوراني الشيخ سيدي الحسين الورتيلاني نسبة إلى بني ورتيلان ، قبيلة بالمغرب الأوسط قرب بجاية التابعة للجزائر .

كان رحمه الله مجاب الدعوة ، شديد السطوة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ليله قائم ، ونهاره صائم :

تَـرَاهُ يُصـــلِّي ليلَـهُ ونهـــارَهُ * يظلُّ كثيرَ الذِّكـرِ للهِ سائِحَـا

[٩٣] متعلقاً برب الأربـاب ، متوكـلاً على الكـريم الوهَّاب ، قد استوى عنده الذهب والتراب ، فهو ممن ترك الجِيفة للكلاب ، ورأى المصطفى في المنام فاحتضنه ، فأوَّل ذلك بزهده في الدنيا والحطام ، ظهرت على يده الكرامات وخوارق العادات ، وشهد له أهل الصدق بالولاية الكبرى والمكاشفات ، ونصر الله به الدين ، وقطع به دابر الملحدين ، ولم يزل متضرعاً لله في السر والنجوى ، يصدع بالحق ويُقيم السنة ، صادق اللهجة ، واضح المحجة ، مستقيم الحجة ، قصد بيت الله مراراً ، وحجه طاهر الجنان رطب اللسان ، ناشط الأعضاء في العبادة والأركان :

حَـلَـفَ الزَّمانُ ليأتيـــنَّ بمثلِـــهِ * حَنِثَـتْ يمينُـكَ يا زمانُ فكفِّـرِ

كان يرى النبي ﷺ يقظة ومناماً رآه أكثر من ثلاث مئة مرة ، وفي بعضها قال له عند تعلقه به :

تَـضَـلَّـعَ من عِلْمِ الشَّريعةِ بعدمـــا * تَضلَّعَ مِن علمِ الحقيقةِ[1] وتدرعا

أخذ العلم عن والده وأشياخ وطنه ، ثم رحل إلى المشرق فحج[2] واجتمع

---

(١) هكذا بالأصل .

بالخضر عليه السلام بمكة المشرفة ، واجتمع بالشيخ الهماق[٣] صاحب الطريقة المشهورة بالمدينة المنورة ، ودخل مصر القاهرة فوجدها طافحة بالعلم والعلماء نيرة زاهرة ، فكرع واستفاد ، وأخذ العلوم العالية عن أولائك الأسود والأسياد .

فمن أخذ عنه الصعيدي ، والحفناوي ، والجوهري ، والنفراوي ، والعفيفي ، والسيد البليدي ، والملوي ، والصباغ ، والعمروسي ، وخليل الأزهري ، وعمر الطحلاوي ، والزياتي ، والإشبيلي ، وأبي القاسم ، والربيعي ، والهاشمي ، وابن شعيب ، والكردي ، وأجازوه في العِلمين ، ثم رجع من المشرق بعد أن امتلأ وِطابه ، وفاض عبابه ، فعلم وأفاد ، وألف وأجاد ، ودعا إلى الله العباد ، وقهر الجهلة أهل التعصب والعناد .

فمن تآليفه الرحلة السنية التي سارت بها الركبان ، وقد دعا لناسخها ومالكها وناظرها ، فهي حصن حصين ودرع متين ، ومنها شرحه على المنظومة القدسية للشيخ عبد الرحمن الأخضري في التصوف ، وحاشية على السكتاني ، وكتاب « المرادين » وقصيدة فيها خمس مئة بيت في مدح النبي ﷺ كالهمزية لكنها ميمية ، وشرح على خطبة الصغرى ، ورسالة جواباً على قول بعضهم : خضت بحراً وقفتُ الأنبياء بساحله ، ورسالة في حل اللغز الذي أرسله سيدي أحمد بن يوسف الملياني إلى علماء فاس ، فعجزوا عنه ، وأما وفاته رحمه الله فقد رأى النبي ﷺ فأخبره أنه يعيش إلى السنة العاشرة من القرن الثالث عشر ، فتكون وفاته كما أخبر به الصادق المصدوق ، لأنه لا ينطق عن الهوى ، ورؤيا النبي ﷺ حق ، ومن رآه فقد رأى الحق ، كما في « صحيح البخاري » اهـ . ما وجد في آخر المطبوع الحجري من « الرحلة الورتيلانية »

---

(١) هكذا في الأصل .

وقد ذكر فيها من العلماء والأولياء في الجهات الجزائرية التي ساح فيها خلقاً كثيراً ذكرنا بعضهم في هذا الكتاب ، والبعض نذكره هنا مجملاً لقصر ما ترجمهم به ، وذلك قوله :

إن صلحاء بلدنا لم يتعرض لهم أحد قبلُ ، لعدم الاعتناء وضيق المعيشة ، أردت التنبيه عليهم على سبيل الإيجاز والاختصار ، نعم أذكر ما دون وادي آقبو ، وأما جبل زواوة فهو منفرد ، وأولياؤه شهرتهم تُغني عن ذكرهم ، وتعظيمهم يقوم مقام بيانهم وتبيانهم وجميل آثارهم . ولم يبق إلا ذكر هؤلاء ليتم المقصود الروحاني والنور الرباني فأقول والله المعول :

الوليّ الصالح سيدي أحمد بن يحيى نفعنا الله به ، وجعلنا من أهل وُدِّه ، ونسبه يتصل مع نسب أهل عروس ببلاد زواوة ، وهم مشهورون ، وكذا فرقة في جبل بقرب بجاية ، وإنه من قبيلة مزاية ، وكان في أواخر القرن التاسع ، وهو تلميذ ابن غازي ، هكذا تصفحت أخباره رضي الله عنه ، وكراماته كثيرة ينبغي للعاقل أن يزوره ، ويزور من دُفن معه ، فإن أكثرهم صلحاء .

الشيخ ابن أم رزق صالح من أولاده الشيخ سيدي الموفق ، زاهد ورع خديم للطلبة ، وكان ينفق عليهم وهم يشتغلون بالعلم ، بأن يأتي لهم بمدرس ، وكان محباً لوالدنا وجدنا ، نعم يحب الجانب العالي أعني الأشراف بحيث لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً معهم ، بل إنه مملوك لهم ، وقد غلب عليه القبض ، نفعنا الله به ، وهو تلميذ سيدي علي بن الطالب ، وأوصافه الطيبة وأخلاقه السنية لا تكاد تُحصى ، رضي الله عنه وأرضاه بمنه وكرمه .

ابن عمه العالم الفقيه سيدي علي بن أم رزق ، من أجلِّ أهل وقتنا ، وأهل عصرنا ، قد نفع وانتفع نفعنا الله به .

الشيخ سيدي امزال ، قبره في قرية الجمعة ، وعليه مسجد وأهل امتين

يعظمونه ، وهو في السبعة نفعنا الله به ، وأما تاريخه فلا علم لي به ، ونسبه والله أعلم من جملة من هو معه ، غير أنه أقبل على الله فأقبل عليه وهو أظنه قريب .

الفقيه المتكلم المتفرد في زماننا بالتسجيل وجودة الخط سيدي أحمد زروق بن الحاج ، نفعنا الله به ، وكان صديقاً ملاطفاً لأبي ، ثم تخلَّف عنه ، وبقيت صحبته لنا كذلك ، إلى أن مات في مصر بعد رجوعه من الحج ، وقد سافرنا معه إلى تونس نريد الحج ، فلم يتيسر لنا ولا له ذلك العام ، وبقي هو في زاوية الولي الصالح الزاهد على الإطلاق الكريم كل الكرم سيدي أحمد المجذوب الزموري ، وقد دفن في جبل افريقية ، عند ولده الفاضل ونجبته الكامل سيدي بن الحاج العلم الفاضل ، فحج نفعنا الله به .

[٩٥] سيدي علي بن جاب الله ، كان صديقاً لأبي ، وكان رضي الله عنه في غاية الترقِّي في العبادة والذكر وتهذيب الأخلاق ، وغير ذلك من أوصافه .

سيدي يحيى الشريف بن رقية في قرية وزرانة ، هاجر من بني عمه ، وفرَّ بنفسه من قرابته ، ليكمل أمره ويظهر سره ، وهو من شرفاء العش ، شريف النسب ، وهو من أهل العلم والصلاح ، مجاب الدعوة ، خديم العلم وأهله ، من القرن الحادي عشر ، نفع الله به وبأمثاله جميعنا .

الشيخ الولي الصالح نسباً كما هو عند ابن فرحون في « طبقات الشرفاء » سيدي أحمد بن عبد الرحمن ، نفعنا الله به ، وهو من تلامذة الشيخ سيدي يحيى العيدلي ، وأولاده الآن معلومون بالجور والتعدي والظلم في مجانة بتخفيف الجيم ، أمراء ومحاربون ، ولعل جدهم يشفع فيهم وفينا ، وهو من القرن التاسع ، وولده هو الذي بنى قلعة بني علباس ، وآخرهم في مملكة القلعة سيدي ناصر ، فاضل عالم عدل زاهد وقيل : إنه من زهده يلبس الغرارة

شعاراً على لحمه ، وقد رتب طلبة العلم نحو الثمانين ، فحسده بنو علباس على ذلك ، فقتلوه مكراً وخديعة ، ورثاه بعض علماء فاس بقصيدة رأيتها ، وهي عندنا في الزاوية .

الولي الصالح سيدي محمد أبركان ، قبره عند ولده سيدي أحمد بن عبد الرحمن في الوادي معلوم يزار ويعظم ، وأولاده أين ما كانوا في بني عباس وغيرهم علماء فضلاء أجلاء ، يقتدى بهم ، ولهم العلم الصحيح والصدق الصريح ، منهم سيدي أحمد زروق المذكور وغيره .

سيدي أحمد بن يوسف الولي على الإطلاق ، يعتقده العام والخاص ، نفعنا الله به ، وهو في هنديس قرب الوادي ، ولا أعلم غير هذا ، وأولاده معظمون عند أهل وطنهم ، ولا يخلو بعضهم من العلم والبركة في جميعهم ، رضي الله عنهم ، وقد سمعنا من بعضهم أن جدهم يقرب من الشيخ المعلوم صاحب الفتح الواضح ، سيدي أحمد بن يوسف المليانى الذي كان حجة الله في أرضه إلى الآن ، والله أعلم .

سيدي محمد بن محرز ، قبره بالقلعة ظاهر البركة ، قوي التعظيم يُزار ، وأهل القلعة يظنون أنه سترهم ، والله أعلم .

الوليّ الصالح سيدي أبو التقى ، معلوم البركة قوي النفع ، معظم عند أهل مجانة ، نفعنا الله به .

سيدي موسى الولي الكبير الأمر العظيم السر ، وأولاده فضلاء معظمون عند أهل مجانة ، وأهل جبل عياض ، وأظن أنه من القرن التاسع ، كما وجدته في بعض الرسوم ، نفعنا الله به .

[٩٦] سيدي يدير الحاج ، ولي صالح معظم ، معتقد في بني يعدل ، أولاده معظمون صلحاء ذوو بركة وخير ونجاح ، نفعنا الله بهم .

سيدي سعيد الفرطاس ، ولي صالح معتقد فيه ، وأولاده ذوو بركة عظيمة ، وهو من أخيار أهل زمانه . وهو من القرن الحادي عشر .

الشيخ الوليّ الصالح المعلوم سيدي محمد بن مصباح ، ذو العلم المتين والسر المبين ، وكذا أولاده فضلاء نجباء ، رضي الله عنهم وأرضاهم ، لا سيما من أدركنا سيدي أحمد زروق ، وسيدي أحمد بن المبارك ، فقد كان فيهم العلامة الفاضل والمحقق الكامل محيي السنن سيدي الحسين ، نفعنا الله بهم .

الولي العالم سيدي محمد بن عبد القادر ، وأولاده فضلاء علماء أدباء ، جمعوا فأوعوا ، لا سيما سيدي محمد بن عبد القادر ، وولده سيدي الموهوب ، فإنهما من فضلاء الوقت ، يقصدان للفتوى رضي الله عنهم وأرضاهم ، نفعنا الله بهم وبأمثالهم آمين .

الولي المشهور سيدي أحمد اغوبة ، ظاهر البركة ، قبره مزار معلوم لدى الخاصة والعامة ، يقصده الزوار من بُعد ، وله طلبة إلى الآن ، وروضته بينة ، نفعنا الله به ، وأفاض علينا من بحر أنواره آمين ، وأظنه من القرن السابع كما سمعته من البعض ، والله أعلم ، وكراماته مشهورة ومناقبه ، وقد سمعت من بعض من يوثق به أنه يتصرف كما كان حياً ، فإنه يغيث من استغاث بـه .

الولي سيدي إبراهيم صالح مشهور عظيم الشأن ، معظم عند الناس ، بركاته ظاهرة ، ونوره قوي وسره صمداني ، وأولاده علماء صلحاء ، من لم يكن منهم عالماً كان صالحاً ، نفعنا الله به وبأمثاله ، والله أعلم أنه كان في القرن الحادي عشر معاصراً لسيد موسى الوغليسي ، ولا أعلم أنه أخذ من العاشر أم لا ، والله أعلم .

الولي الشيخ سيدي عيسى بن محمد ، قد انتفع به العامة والخاصة ، وقد

ردَّ ببركاته عيناً من ماء قطراناً لحيوانه ، وأنه يُشبع كل من أتى إليه ، وقد مسح على عين الأعور فرجعت أحسن مما قبل ، فقال من لا معرفة له : عين عيسى خير من عين الله ، ولم يعلموا أن الكل من عند الله ، وغير ذلك من كراماته ، رضي الله عنه ، ونفعنا الله به ، وحفظنا من كل جبار عنيد ، بجاههم وجاهه ، وله قبران قبر في أطراف وأنوغة أغني المسيلة ، والآخر في قرواو ، وبينهما نحو اليومين ، وقد زرتهما معاً والحمد لله .

أولاد سيدي أحمد التواتي فضلاء كرماء ، أهل خير ، من العهد الأول ، نفعنا الله بهم .

الشيخ الصالح المجذوب الذي فاض عليه بحر الأنوار ، وطلعت عليه شمس الأسرار ، سيدي محمد بن المبارك الشريف ، من أولاد سيدي بوزيد ، وأولاده من لم يكن ذا علم فهو ذو فضل وبركة ، ومآثره مشهورة من القرن الحادي عشر ، نفعنا الله بهم ، وأفاض علينا من بركاتهم .

[٩٧] سيدي سعيد المسبح والولي الصالح سيدي أبو ناب ، والشيخ الولي الشهير سيدي عطاء الله . هم أولو الفضل والصلاح والخير والفلاح ، وأولادهم أهل فضل نفعنا الله بهم وبأمثالهم آمين .

الشيخ الولي الصالح سيدي علي بن أبي زيد ، كان في الحادي عشر .

سيدي سعيد بن شتوان أدركناه أستاذاً في القرآن ، مشتغلاً بالله ومقبلاً عليه ، مع تعليم القرآن ، وقد ورد فيه الخير الكثير ، وأولاده على الخير والبركة ، رضي الله عنهم ، نفعنا الله بهم .

شرفاء تمنغاش ، كلهم أو جلُّهم على الخير والاستقامة بحسب الزمان وأهله ، وأصلهم والله أعلم من الرابطة ، وأهل الرابطة ذوو فضل وخير وهمة وصلاح وكرم وعلم وقرآن وحياء ، لا سيما الشيخ سيدي السعيد وغيره ،

منهم نفعنا الله بالجميع بمنه وكرمه .

سيدي سعيد الزيتوني ، ولي كبير ، وأمره عظيم وحاله جسيم ، وأولاده كذلك ذوو علم وحلم وفضل ، خصوصاً سيدي سليمان ، فقد كان حبيباً لنا ، وأولاده سيدي الحسين ، وولداه الفاضلان الكاملان سيدي محمد وأبوه ، وقد كان رأى البعضُ النبيَّ ﷺ قال : فسألته عن الأشراف ، فأجابني بقوله : الزياتنة ، ولا أدري زاد وما نسب لهم أم لا ، ولا أدري تأريخ سيدي سعيد ، وأظنه من أواخر التاسع أو أول العاشر ، نفعنا الله به وبأمثاله آمين .

المحسن والحليم ذو المعروف والمآثر صهري وذخري سيدي الموهوب ابن محمد ، لا يأتي الزمان بمثله ، وفيه قلتُ بيتاً :

فإنه يُحاكي إبريـــزَ الذَّهَـــــبْ والفخرُ مِن فنونــهِ قد ارتقَــبْ

فعزه مبجَّل ، من أهل قطره ممن علا ومن سفل ، قدس الله ضريحه ، وعطرنا شذاه وريحه ، وأما قرابة سيدي أحمد بن عبد العظيم فهم على الخير ، والحمد لله جعلنا الله في زمرتهم آمين يا رب العالمين .

سيدي ناصر الخلوفي ، كان فقيهاً مفتياً حافظاً للانقال ، وهو من قرننا هذا ومن الحادي عشر ، معاصر لجدي ، والد والدي ، وأولاده على الفضل والعلم والحلم ، والحمد لله نفعنا الله بهم آمين .

[٩٨] حمزةُ بنُ مُحمدٍ المغربي

حمزةُ بن محمد بن حسن البجائي المغربي ، نزيل الشيخونية ، ولد تقريباً عام تسعة وثمان مئة ببجاية (٨٠٩) ، وأخذ عن أبي القاسم المَشدَّالي ، وولده أبي عبد الله .

وفد تونس في سنة ثمانية وخمسين وثمان مئة (٨٥٨) ، وتمهر في الأصلين والعربية والصرف والمعاني والبيان والمنطق ، وقَدِمَ القاهرة في شعبان سنة سبعة وخمسين وثمان مئة (٨٥٧) ، وحج ورجع ونزل في الخانقات الشيخونية ، ثم حج ثانياً رفيقاً للسيد عبد الله عفيف الدين ، وجاور أيضاً وأقرأ بها يسيراً ، واجتمع بالكافيجي ، واجتمع به الفضلاء ، فكان من أعيان من اجتمع به المحيي بن تقي ، والخطيب الوزيري ، صح من السخاوي .

وقال الداوودي : توفي في المحرم سنة اثنتين وتسع مئة (٩٠٢) ، صح من « ذيل القرافي » .

حمودةُ المقايسي الجزائري

الشيخ حمودة بن محمد بن حمودة بن عيسى الشريف الجزائري المعروف بالمقايسي ، السيد الفاضل واللوذعي الكامل ، فخر الأشراف المعظمين ، وسلالة بني هاشم المعتبرين بهذه التحلية ، حلاه العلامة المحقق الشيخ محمد الدسوقي المالكي ، صاحب الحاشية المنتفع بها على شرح القطب الدردير ، شارح ومختصر الإمام خليل » وجدت ذلك في إجازة كتبها للمترجم في أخير ورقة من شرح القطب الرازي على الشمسية ، ونصها : بسم الله الرحمن ، الحمد لله المنان ، ذي الطول والإحسان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان ، وعلى آله وأصحابه الذين شادوا الدين بالبنان والبرهان ، أما بعد :

فقد لازمني في حال قراءتي لهذا الشرح السيد الفاضل واللوذعي الكامل ، إلى أن قال : وبحث وأجاد ولازم واستفاد ، وطلب مني إجازة بذلك ظناً منه أني أهل لها ، فأجبته راجياً من الله تعالى أن يحقق ذلك ، قائلاً : قد أجزته به وبغيره مما تلقيته عن أشياخي من منقول ومعقول وفقه وأصول ، طالباً منه

الدعاء لي بحسن الحال ، أطال الله عمره وبلغه مأموله آمين . كتبه الفقير محمد الدسوقي المالكي خادم الفقراء بالأزهر اهـ . وختمها بخاتمه ، وهو مسبع الزوايا ، وبداخله كلمات لا يقرأ منها إلا لفظة الدسوقي ، وكتب حولها المترجم ما نصه وقع ختمه (شرح القطب) يوم الاثنين المبارك ٢٦ شعبان سنة ١٢٠٤ .

ونبه على الفرق بين القطبين الرازي والشيرازي بما نصه : شارح الشمسية هو القطب الرازي شارح المطالع ، وهو صاحب المحاكمات ، شرح الإشارات ، [٩٩] حاكم فيه بين الإمام الرازي والمحقق الطوسي قال : وقطب الشمسية له يد طولى في تحقيق المعقولات وخصوصاً منها المنطق ، ومن تردد في ذلك فليطالع شرحه على المطالع ، وهو شيخ مبارك شاه ، شارح حكمة العين ، وشيخ السيد الشريف ، وهو غير القطب الشيرازي ، شارح المفتاح الملقب بالعلامة ، فهو أجل شأناً من القطب الرازي ، وإن كانا معاً من نوادر الزمان وفضلاء الأوان ، فقد يشتبه أحدهما بالآخر لأجل الاشتراك في اللقب ، ولو اشتهر أحدهما بالعلَّامة أيضاً دون الآخر فاعلم ذلك اهـ .

وفي الورقة التي قبل الورقة المكتوبة فيها الإجازة نبذة بخط المترجم نصها : الحمد لله مبلغ الآمال ، وقابل صالح الأعمال ، والصلاة والسلام على بدر الكمال ، سيدنا محمد وصحبه والآل ، ختم هذا الشرح النفيس ، الخالي عن الشكوك والتلبيس ، تدريساً وتحقيقاً ، وتدقيقاً وتنميقاً ، على حضرة أستاذنا خاتمة المحققين ، صدر الأعلام المدرسين ، الحَبْر الهمام ، والبحر الصمصام ، الفرد الممجد ، مولانا الشيخ محمد المعروف بالدسوقي ، بلغه الله أمانيه ، وأنجح مساعيه بالنبي وآله والتابعين على منواله آمين . تحريراً في يوم الاثنين المبارك ، السادس والعشرين من شهر شعبان ، سنة ١٢٠٤ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، ونسأل الله تعالى العلم والعمل ، كاتبه الفقير حمودة القاطن بالأزهر اهـ .

وكتب رحمه الله تعالى على لفظة حمودة ما نصه : المقايسي صناعة ، الجزائري وطناً ، وكتب بعده ما نصه : ولما قرأت بالأزهر وحصلت القطب بحاشية عبد الحكيم ، والمطول ، والعقائد النسفية ، وغيرها مع مراجعة حواشي عبدالحكيم ، وأذِنَ لي أشياخي كالشيخ الصبان ، والدسوقي ، والشيخ الأمير وغيرهم ، مررت بتونس ، وأقرأت أهلها وطلبوا مني الجلوس هناك ، ويقومون بما أحتاج فلم أرد إلا الذهاب (إلى الجزائر) ، فوجدت فيها علماء أصحاب جاه ، وكان في ذلك الوقت لا يسود إلا من يتردد على أصحاب المملكة ، فكنت أتعيش بالصنعة ، وأكلت كتبي والسلام اه .

وكتب المترجم في أخير ورقة من تقرير القوانين الكتاب المعروف في آداب البحث والمناظرة ما نصه : الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على رسوله وعبده ، سيدنا محمد وآله وصحبه وجنده ، قد طالع هذا الكتاب المفتقر لرحمة الغفار حمودة بن محمد الجزائري المالكي الأزهري ، مع أخيه الفاضل المحقق سيدي حسن بن محمد العطار الشافعي الأزهري ، عاملني الله وإياه بإحسانه ، ووافق الفراغ من مطالعته ليلة السبت أواخر شهر ربيع الثاني سنة ١٢١٢ ، وكانت تلك المطالعة بمنزل الشيخ حسن المتقدم ذكره ، [١٠٠] الكائن بالمشهد الحسيني تجاه مسجد سيدنا الحسين ، حشرنا الله في زمرتهم ، وغفر الله لنا ولوالدينا ولأقاربنا ومشايخنا آمين اه .

وكتب في أخير نسخة بخط يده من « حكم ابن عطاء الله الاسكندري » ما نصه : وكان الفراغ منها يوم الأحد ١٣ من رمضان ، سنة ١٢٠٣ بالجامع الأزهر من مصر المحروسة ، وابتدأت قراءتها على شيخ الجميع الشيخ الأمير أول رمضان من السنة المذكورة ، وكان ختمها يوم الثلاثاء ٢٢ من رمضان المذكور بالأزهر اه .

ووجد بخط يده إجازته في « الموطأ » و« الشفاء » و« سنن أبي داوود » و« جامع الترمذي » و« سنن ابن ماجه » و« سنن النسائي » ونصها : الحمد لله ، طريق « الموطأ » من رواية يحيى بن يحيى ، قال الشيخ صالح العمري الفلاني المجاور بالمدينة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام : أروي « الموطأ » قراءة تحقيق لبعضه ، وإجازة بالباقي على الشريف المعمر المحقق محمد بن محمد ابن سنة العمري الفلاني ، وهو قرأه كذلك على الشريف المعمر أبي عبد الله محمد الوولاتي ، وهو قرأه كذلك على شيخ الإسلام وصدر الأئمة الأعلام أبي عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري مفتيها ، عرف بقدّوره ، وهو قرأه كذلك على أبي عثمان سعيد بن أحمد المقرىء مفتي تلمسان ستين سنة ، وهو قرأه كذلك على أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل التنسي ، وأبي زيد عبد الرحمن بن علي بن أحمد العاصمي الشهير بسقين السفياني ، الأول عن والده الحافظ محمد بن عبد الله التنسي قراءة ، والثاني قراءة على ولي الله تعالى أبي العباس أحمد بن أحمد البرنسي المعروف بزروق ، قراءة على ولي الله تعالى سيدي أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي ، وهو قرأه قراءة بحث وتحقيق على محمد بن مرزوق الحفيد ، وهو قرأه كذلك على أبي عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي ، قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي ، وهو آخر من حدث عنه قال : حدثني القاضي أبو العباس أحمد بن يزيد بن بقي القرطبي ، وهو آخر من حدث عنه ، حدثنا محمد بن فرج مولى ابن الطلاع القرطبي ، مؤلف كتاب « أقضية رسول الله ﷺ » ، وهو آخر من حدث عنه ، حدثنا القاضي أبو الوليد يونس بن مغيث القرطبي ، وهو آخر من حدث عنه ، حدثنا أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى القرطبي ، وهو آخر من حدث عنه ، حدثنا عم أبي مروان عبيد الله بن يحيى القرطبي ، وهو آخر من حدث عنه ، أخبرنا يحيى بن يحيى القرطبي ، وهو آخر من

حدث عنه ،قال :أخبرنا إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه سماعاً لجميعه إلا الأبواب الثلاثة الأخيرة من كتاب الاعتكاف ، فإنني شككت في سماعها فأرويها عن زياد بن عبد الرحمن بسطون ، لأني كنت سمعت جميعه منه قبل الرحلة بسماعه من الإمام مالك رضي الله عنه .

[١٠١] طريق « الشفاء » : قال الشيخ صالح الفلاني : أروي « الشفاء » عن الشيخ المعمر محمد بن سنة ، عن مولاي الشريف ، عن الشهاب أحمد المقّري قال : أخبرني به عمي مفتي تلمسان ستين سنة ، سعيد بن أحمد المقّري التلمساني عن أبي عبد الله محمد بن محمد التَّنَسي بفتح التاء والنون ، عن والده الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني ، عن الإمام الحبر أبي الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد ، عن أبيه ، عن جده الخطيب ، وعن جده أيضاً ، بالإجازة عن القاضي أبي علي حسن بن يوسف بن يحيى الحسني التلمساني القزاز السبتي المولد والنشأة ، عن الخطيب أبي القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الطيب السبتي ، عن القاضي أبي عبد الله محمد بن حسن بن عطية بن غازي الأنصاري السبتي ، عن الإمام عياض رحمه الله ، ومن لطائف هذا السند أن رجاله مالكيون مشهورون بالفقه .

« سنن أبي داوود » : قال الشيخ صالح الفلاني : قرأته إلى باب السواك عن شيخنا المعمر محمد بن سنة ، وأجازني بباقيه ،قال : قرأته كله عن المعمر محمد ابن عبد الله الشريف ، بإجازته عن المعمر محمد بن اركماش الحنفي ، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني ، عن أبي علي محمد بن أحمد بن المطرز ، عن أبي النون يونس بن إبراهيم الدبوسي ، عن أبي الحسن علي بن الحسين بن المغير ، عن الفضل بن سهل الأسفرائني ، عن أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، عن أبي محمد القاسم أبي جعفر الهاشمي ، عن أبي علي محمد بن أحمد اللؤلؤي

مؤلفه الحافظ أبي داوود ، فيقع لنا ثلاثية بخمسة عشر ، وليس له إلا ثلاثي واحد .

« جامع الترمذي » : قال الشيخ صالح الفلاني : أرويه عن الشيخ محمد بن سنة ، عن مولاي الشريف ، عن محمد بن اركماش ، عن الحافِظ ابن حجر ، عن أبي إسحاق التنوخي ، قال:أخبرنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي ، أنا الفخر بن البخاري ، سماعاً بسماعه عن أبي حفص عمر بن طبرزد ، قال أنا أبو الفتح عبد الملك ابن أبي القاسم الكروخي ، أنا بجميعه القاضي أبو عامر محمد بن القاسم الأزدي ، أنا أبو محمد عبد الجبار الجراحي المروزي ، أنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محجوب المحبوبي المروزي ، أنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي .

« سنن ابن ماجة » : قال الشيخ صالح الفلاني : أرويه عن المعمر محمد بن سنة ، عن مولاي الشريف ، عن محمد بن اركماش ، عن الحافظ ابن حجر ، عن أبي العباس أحمد بن عمر بن أبي علي البغدادي اللؤلؤي ، عن الحافظ أبي
[١٠٢] الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي عن شيخ الإسلام عبد الرحمن بن أبي عمْر بن قدامة المقدسي ، عن الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة ، عن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، عن الفقيه أبي منصور محمد ابن الحسين بن أحمد القزويني ، عن أبي طلحة القاسم بن أبي المنذر الخطيب ، عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان ، عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني رحمه الله .

« سنن النَّسائي » : قال الشيخ صالح الفلاني : أرويه قراءة لبعضه وإجازة بالباقي ، عن المعمر محمد بن سنة إجازة ، عن مولاي الشريف محمد بن عبد الله الورلاني الإدريسي ، بإجازته من محمد بن اركماش الحنفي ، عن

الحافظ ابن حجر العسقلاني ، عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد التنوخي ، بسماعه على أبي العباس أحمد بن أبي طالب ، بإجازته من أبي طالب عبد اللطيف بن محمد القطيبي ، بسماعه لجميعه على أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، عن أبي محمد عبد الرحمن بن حمد الروني سماعاً ، قال : أخبرني القاضي أبو نصر أحمد بن الحسن بن السكار ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن السني الدينوري الحافظ ، قال : أخبرنا به الحافظ الحجة أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي .

وتوفي المترجم رحمه الله في الجزائر عام ١٢٤٥ .

الأستاذ حميدة العمالي

مفتي المالكية في الجزائر ، توفي سنة ١٢٩٣ .

كان من العلماء العاملين ، واستفاد منه خلق كثير وانتفع ونفع ، وأجاز وأجيز ، وألف وصنف ، واتصلتُ بتآليف من تآليفه في القضاء ، وتتبع فصوله وأنواعه وحلية القاضي وشروط القضاء ، وكان يزاحمه تلميذه الأرضي الأحظى أبو علي الحسن ابريهمات ، في سائر العلوم وقد أُجيز فيها كما أُجيز فيها شيخه ، وممن أجازه الشيخ محمد صالح بن خير الله الرضوي البخاري رضي الله عنه .

هذا ما أمكن أن أترجم به هذا العلامة المشهور في مدينة الجزائر ، المشهود له على ألسنة علمائها في وقته بالتحقيق والبحث العميق ، وتوخى سبيل الجد في كل ما يحاوله ، ولم يترك بعده من يجمع الخلق عليه في المسجد الأعظم وغيره لتدريس « صحيح البخاري » بدراية أهل الدراية ، ذوي النقل المناسب والعقل الكاسب .

[١٠٣] الفقيه الخبزاوي

إنسان العين وعين الإنسان ، فصيح القلم واللسان ، من دعته إمارةُ المجلس بالجزائر والعدالة بتلمسان طبيبَ الأبدان والأديان . وهرمس الحكماء للتداوي ، الفقيه العلامة الخبزاوي العامري التجازي ، ثالث ثلاثة في العدالة والزهادة ، وعليهم يستند القاضي شعيب (أطال الله عمره) في الشهادة ، ولا رتبة أعلى من هذه الرتبة ، فإليها يرجع القاضي بفاس إذا عزل دون سخط ، إذفيها رزق العتبة ، ولا تنصت لمن لامه على دنو المرتبة . ولازم عتبه اه مشرفي .

الفقيهُ الزقاي

شيخ الأكابر في الديانات ، الحافظ لودائع المعلومات والأمانات ، فريد العصر ووحيد المصر ، السيد المولى الحاج الفارس العجاج أبو عبد الله ابن الشيخ بن عبد الله الزقاي لقباً ، العبادي نسباً ، ومثل أبي عبد الله السيد محمد أبي سيف الدائري ، لزمه مدة من ست سنين ، وابن الطالب الكرغلي فقيه تلمسان الذي ارتحل إلى فاس ، وتبرك بأشياخها وجلس فيها قليلاً ، وعجل الأوبة لعرينه بالعباد ، وقد بلغ مرتبة التأليف ، وحاز ملكة التراكيب والتصانيف .

وله تآليف في أوصاف الخيل ، شرح به منظومة عالم الدنيا سيدي عبد القادر الفاسي ، ويقال : إنه شرح مقدمة ابن آجروم في النحو ، وشرح الأسئلة الفقهية في مجلدين ، وشرح القصيدة الزقائية التي مدح بها العلامة السيد حسن ابريهمات حين قدِم لتونس في مجلد ، والزقاي هذا بلغ الغاية القصوى في درك العلوم ، وتمهر بمصر وتونس اه مشرفي .

سحنونُ بنُ عثمان المداوي

الشيخ سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر المداوي ، دفين بني وعزان ، قبيلة بنواحي ونشريس ، وقبره مشهور يقصده الزوار للاقتباس من نوره .

كان في حدود القرن الحادي عشر ، ولم أقف له على تأريخ صحيح ، وتفقه بمليانة والجزائر ، وله شرح على السراج منظومة الشيخ عبد الرحمن الأخضري في علم الفلك ، ولما تكلّم على ظل الزوال عند قول النظام :

هذا وإنَّ الجهـــلَ بالأوقـــــــاتِ * جهلٌ بوقتِ الصَّـــوم والصَّلاةِ

[١٠٤] وضبطه بالأقدام على قاعدة الفلكيين ، أو أنملة الإبهام ، قال : وتختلف باختلاف العرض ، قال : وجربته ببلدنا ونشريس والجزائر ، فوجدته صحيحاً أو قريباً اهـ . وذكرنا هذا استدلالاً على صحة نسبته إلى ونشريس اهـ . من خط الشيخ ابن دوبة رحمه الله .

سعادة الرحماني
من « ابن خلدون »

سيدي سعادة الرحماني القائم بالسنة في رياح ، كان هذا الرجل من مسلم إحدى شعوب رياح ، ثم من رحمان منهم ، وكانت أمه تدعى خصيبة ، وكانت في أعلى مقامات العبادة والورع ، ونشأ هو منتحلاً للعبادة والزهد ، فارتحل إلى المغرب ، ولقي شيخ الصالحين والفقهاء لذلك العهد بنواحي تازة أبا إسحاق التسولي ، وأخذ عنه ولزمه وتفقه عليه ، ورجع إلى وطن رياح

بفقه صحيح وورع وقاد ، ونزل طولقة من بلاد الزاب .

وأخذ نفسه بتغيير المنكر على أقاربه وعشيره ومن صحبه أو عرفه ، فاشتهر بذلك وكثرت غاشيته من قومه وغيرهم ، ولزم صحبته منهم أعلام عاهدوه على التزام طريقه ، كان من أشهرهم أبو يحيى بن أحمد بن عمر شيخ بني محمد بن مسعود ، من الذواودة ، وعطية بن سليمان بن سباع شيخ أولاد سباع بن يحي منهم ، وعيسى بن يحيى بن إدريس شيخ أولاد إدريس من أولاد عساكر ، منهم وحسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة بن يحيى بن دريد ابن مسعود منهم ، وهجرس بن علي من أولاد يزيد بن زغبة ، ورجالات من العطاف من زغبة ، في كثير من أتباعهم والمستضعفين من قومهم ، فكثر بذلك تابعه واستظهر بهم على شأنه في إقامة السنة ، وتغيير المنكر على من جاء به ، واشتد على قاطع الطريق من شرار البوادي ، ثم تخطى في ذلك إلى العمال ، فطلب عامل الزاب يومئذ منصور بن فضل بن مزني بإعفاء الرعايا من المكوس والظلامات ، فامتنع من ذلك وعزم على الإيقاع به ، فحال دونه عشائر أصحابه ، وبايعوه على إقامة السنة والموت دونه في ذلك ، وآذنهم ابن مزني بالحرب ، ودعا لذلك أقيالهم ونظراءهم من قومهم ، وكان لذلك العهد علي بن أحمد ابن عمر بن محمد قد قام برئاسة أولاد محمد ، وسليمان بن علي بن سباع قد قام برئاسة أولاد يحيى ، واقتسموا رئاسة الذواودة فظاهزوا ابن مزني على مدافعة سعادة ، وأصحابه المرابطين من إخوانهم ، وكان أمر ابن مزني والزاب يومئذ راجعاً إلى صاحب بجاية من بني أبي حفص ، وهو الأمير خالد ابن الأمير أبي زكرياء ، والقائم بدولته أبو عبد الرحمن بن عمر ، وبعث إليّه ابن مزني في المدد فأمده بالعساكر والجيوش ، وأوعز إلى أهل طولقة بالقبض على سعادة ، فخرج منها وابتنى بجانبها زاوية ، ونزل بها هو وأصحابه [١٠٥] ثم جمع أصحابه المرابطين وكان يسميهم السنية ، وزحفوا إلى بسكرة ، وحاصروا

ابن مزني سنة (هنا بياض في النسخ)، وقطعوا نخيلها، وامتنعت عليهم فرحلوا عنها، ثم أعادوا حصارها سنة (هنا بياض آخر)، وامتنعت ثم انحدر أصحاب سعادة من الذواودة إلى مشاتيهم سنة خمس وسبع مئة (٧٠٥)، وأقام المرابط سعادة بزاويته من زاب طولقة، وجمع من كان إليه من المرابطين المتخلفين عن الناجعة، وغزا مليلي وحاصرها أياماً، وبعثوا بالصريخ إلى ابن مزني العسكر السلطاني مقيم عنده ببسكرة، فأركبهم ليلاً مع أولاد حربي من الذواودة، وصبحوا سعادة وأصحابه على مليلي، فكانت بينهم جولة قتل فيها سعادة، واستلحم الكثير من أصحابه، وحمل رأسه إلى ابن مزني.

وبلغ الخبر إلى أصحابه بمشاتيهم فظهروا إلى الزاب، ورؤساؤهم أبو يحيى ابن أحمد بن عمر شيخ أولاد محرز، وعطية بن سليمان شيخ أولاد سباع، وعيسى بن يحيى شيخ أولاد عساكر، ومحمد بن حسن شيخ أولاد عطية، ورئاستهم جميعاً راجعة لأبي يحيى بن أحمد، ونازلوا بسكرة وقطعوا نخيلها، وتقبضوا على عمال ابن مزني، فأحرقوهم بالنار، واتسع الخرق بينهم وبينه، ونادى ابن مزني في أوليائه من الذواودة فاجتمع إليه علي بن أحمد شيخ أولاد محمد، وسليمان بن علي شيخ أولاد سباع، وهما يومئذ نحلاء الذواودة، وخرج ابنه علي بينهم بعساكر السلطان، وتزاحفوا بالصحراء سنة ثلاث عشرة وسبع مئة (٧١٣)، فغلبهم المرابطون وقتل علي ابن مزني، وتقبض على علي بن أحمد فقادوه أسيراً، ثم أطلقه عيسى بن يحيى رعياً لأخيه أبي يحيى بن أحمد، واستفحل أمر هؤلاء السنية ما شاء الله أن يستفحل، ثم هلك أبو يحيى بن أحمد وعيسى بن يحيى، وخلت أحياء أولاد محرز من هؤلاء السنية، وتفاوض السنية فيمن يقيمونه بينهم للفتيا في الأحكام والعبادات، فوقع نظرهم على الفقيه أبي عبد الله محمد بن الأزرق من فقهاء

مقرة[1] ، وكان أخذ العلم ببجاية على أبي محمد الزواوي من كبار مشيختها ، فقصدوه في ذلك وأجابهم ، وارتحل معهم ، ونزل على حسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة ، واجتمع إليه السنية ، واستفحل بهم جانب أولاد سباع ، وأجلبوا على الزاب ، وحاربوا علي بن أحمد طويلاً ، وكان السلطان أبو تاشفين حين كان يجلب على أوطان الموحدين ، ويخيب عليهم أولياءهم من العرب ، يبعث إلى هؤلاء السنية بالجزائر يستدعي بذلك ولايتهم ، ويبعث معهم للفقيه ابن الأزرق بجائزة معلومة في كل سنة ، ولم يزل ابن الأزرق مقيماً لرسمهم إلى أن غلبهم على أمرهم ذلك علي بن أحمد شيخ أولاد محمد ، وهلك حسن ابن سلامة .

[١٠٦] وانقرض أمر السنية من رياح ، ونزل ابن الأزرق بسكرة ، واستدعى يوسف بن مزني لقضائها تفريقاً لأمر السنية ، فأجابه ونزل عنده فولاه القضاء ببسكرة إلى أن هلك سنة (بياض في النسخ) ، ثم قام علي بن أحمد بهذه السنة بعد حين ، ودعا إليها وجمع لابن مزني سنة أربعين وسبع مئة ، ونازل بسكرة وجاءه مدد أهل ريغ ، وأقام محاصراً لها أشهراً ، وامتنعت عليه ، فأقلع عنها وراجع يوسف بن مزني ، وصار والي الولاية إلى أن هلك علي بن أحمد ، وبقي من عقب سعادة في زاويته بنون وحفدة ، يوجب لهم ابن مزني رعاية ، وتعرَّف لهم أعراب الفلاة من رياح حقاً في إجارة من يجيرونه من أهل السابلة اه .

ومن أولاد سيدي سعادة في الجزائر لهذا العهد رجلان متصفان بالفضل والصلاح والمحافظة على الخمس والطهارة القلبية والقالبية . أحدهما اسمه الحاج صالح بن سعادة ، وآخر صهره زوج ابنته ، واسمه أحمد بن سعادة . وللأول ولد يُدعى عبد الرحمن ، وللثاني آخر يسمى الصادق .

---

(١) هي المدينة المنسوب إليها المقَّري صاحب « نفح الطيب » وأهل صحرائها كلهم ينطقون بها ساكنة القاف .

سيِّدي سعيد الصَّفراوي

وهو شيخ الشيخ أبي المواهب المذكور في الطبقات ، ويقال له : الفراوسني الزواوي .

ذكره في كتابه « المرائي » التي رأى فيها النبي ﷺ قال : وسألته عن الشيخ الصفراوي ، هل هو ولي؟ فقال له النبي ﷺ : نعم إنه ولي ، وأصل الشيخ سعيد الصفراوي من بلد بجاية ، فجاء ومعه تلميذه المذكور قاصداً للحج ، فمات الشيخ سعيد بالقرب من قسنطينة ، فحمل إليها ودفن فيها بكدية عاتي ، وخرج أمير البلد لجنازته ، وهو عامل لملوك تونس الحفصيين ، وذلك في القرن التاسع اه ورتيلاني .

سيدي سعيد العلمي

ذكره سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، والشيخ سيدي عبد الرحمن الوغليسي صاحب التأليف المعلوم في الفقه ، الذي شرحه سيدي عبد الكريم الزواوي شرحاً كبيراً ، فيه من العلوم ما يُغني الناظر عن غيره ، وطريقته رضي الله عنه طريقة ابن أبي جمرة ، وصاحب المدخل ، وشرحه سيدي عبد الرحمن الصباغ أيضاً ، وسيدي عبد الكريم هذا كان ينقل منه الشيخ عبد الباقي وغيره ، وقد زرت قبره في بلاده أعني بني يتورغ من زواوة ، لأنه قال :

رجع سيدي السعيد العلمي من بعض نواحي بجاية إليها ، فلما قرب وجد الباب مغلقاً ، فرجع إلى قبر سيدي عبد الرحمن الوغليسي فبات عنده ، [١٠٧] وإذا الشيخ سيدي عبد الرحمن قام من قبره ، وأصحابه من بجاية مجتمعون

عليه يقرئهم ويعلمهم ، إذ مات رحمه الله وترك ختمة لم تكمُل فكمَّلها لهم في قبره بعد موته ، وهي كرامة عظيمة للشيخ سيدي سعيد ، وللشيخ سيدي عبد الرحمن . ولتلامذته ، نفعنا الله بجميعهم ، وجعلنا في زمرتهم ورزقنا العافية ، وجمع شملنا بأهلنا ونصرنا على إقامة السنة وإظهارها بمنه وكرمه ، وقال سيدي عبد الرحمن الثعالبي : دخلت بجاية في أواخر القرن الثامن ، فوجدت أصحاب الوغليسي متوافرين اه ورتيلاني .

سعيدُ بنُ مُحمدٍ التلمساني

سعيد بن محمد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني إمامها وعلَّامتها ، ذكره ابن فرحون في الأصل ، وقال : إنه فقيه في المذهب ، متفنن في علوم ، سمع من ابني الإمام وتفقه بهما ، وأخذ الأصول عن الإبلي وغيره ، وصدارته في العلوم مشهورة ، ولي قضاء الجماعة ببجاية في زمن أبي عنان ، والعلماء يومئذ متوافرون ، وولي أيضاً قضاء تلمسان ، وله في ولاية القضاء ما ينيف على أربعين سنة . وألف شرح الحوفي لا نظير له ، وشرح جمل الخونجي ، وتلخيص ابن البنا ، وقصيدة ابن ياسمين في الجبر والمقابلة ، والعقيدة البرهانية ، وتفسير سورة الفتح أتى فيه بفوائد جليلة ، وهو باق بالحياة اه .

وقال غيره : العقباني نسبة لعقبان قرية بالأندلس ، أصله منها ، تجيبي النسب ، إمام فاضل فقيه ، متفنن في علوم شتى ، قرأ الفرائض على الحافظ السطي ، ولي قضاء بجاية وتلمسان وسلا ومراكش ، وكان يقال له رئيس العقلاء .

وقال ابن صعد : كان فقيهاً علامة خاتمة قضاة العدل بتلمسان اه . ألف شرح الحوفية ، ولم يؤلف عليها مثله ، وتفسير سورتي الأنعام والفتح ، وشرح

البردة ، وشرحاً جليلاً على ابن الحاجب الأصلي. أخذ عنه الأئمة كالإمام العارف بالله إبراهيم المصمودي ، والإمام العارف أبي يحيى الشريف ، والإمام الحجة ابن مرزوق الحفيد ، وولده الإمام العلامة قاسم العقباني ، والإمام أبي الفضل ابن الإمام ، والإمام الفاضل أبي العباس ابن زاغو وغيرهم ، وبالإجازة الإمام المحقق النظار محمد بن عقاب الجذامي .

قال الونشريسي في « وفياته » : مولده بتلمسان عام عشرين وسبع مئة (٧٢٠) ، وتوفي عام أحد عشر وثمان مئة (٨١١) اهـ .

[١٠٨] وترجمه في « بغية الرواد » بقوله : الفقيه القاضي أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني ، أول نجباء بيته ، ذو نبل ونباهة ودراية ، وتفنن في العلوم ، ومهارة ، حذق في الحساب والهندسة ، ولي قضاء الجماعة بتلمسان وبجاية ومراكش وسلا ووهران وهنين ، فحُمدت في جميعها سيرته عدلاً وجزالة ، وهو الآن خطيب الجامع الأعظم بتلمسان .

سيدي سعيد المقَّري

الفقيه الإمام العلامة أبو عثمان سيدي سعيد بن أحمد المقري نسبة لمقَّرة قرية من قرى بلاد الزاب .

كان رحمه الله إماماً في العلوم ، أقام مفتياً بتلمسان ستين سنة ، أخذ عن شيوخ فاس كابن الونشريسي والزقاق وغيرهم ، وأخذ عنه جماعة كأحمد ابن القاضي ، وسعيد قدورة ، وابن أخيه أبو العباس المقَّري مؤلف « نفح الطيب » . وكان يحدث عن عمه صاحب الترجمة بكرامات منها : أنه لما أراد أن يخرج من تلمسان قال له عمه : إنك ستنال الفتوى والخطابة بجامع القرويين

خمسة أعوام وخمسة أشهر ، فكان الأمر كذلك ، ولد قبل الثلاثين وتسع مئة ، وتوفي سنة عشر وألف (١٠١٠) .

قال في « الجذوة » : القرشي أبو عثمان الفقيه المفتي بتلمسان ، نسبة إلى مَقَّرة بفتح القاف المشددة والميم المفتوحة مدينة من الزاب وافريقية ، كذا ضبطه نسيبهم الونشريسي ، وقيل بسكون القاف ، أخذ بمدينة فاس عن أبي مالك الونشريسي ، وأبي الحسن علي بن هارون ، وأبي محمد بن عبد الوهاب ابن محمد الزقاق التجيبي وغيرهم ، فقيه معقولي انتهت إليه رئاسة بلده تلمسان ، ولد بعد الثلاثين وتسع مئة (٩٣٠) .

وقال سيدي أحمد المقري في « نفح طيبه » : إن ضبط المقَّري بفتح الميم وتشديد القاف عول عليه أكثر المتأخرين ، وهو مع سكون القاف لغتان في البلدة التي نسب إليها ، وهي مقرة من قرى زاب افريقية ، وانتقل منها جده إلى تلمسان صحبة شيخه ولي الله سيدي أبي مدين رضي الله عنه ، ثم قال : رجع إلى تكملة مولاي الجد في حق أوليته ، قال رحمه الله تعالى بعد الكلام السابق في حق جده عبد الرحمن ما صورته : ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة ، فهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار ، وتأمين التجار ، واتخذوا طبلاً للرحيل ، وراية تقدم عند المسير ، وكان ولد يحيى الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال ، فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه ، أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال ، فكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نسبي من جميع جهات أمي وأبي بتلمسان ، وعبد الرحمن وهو شقيقهما
[١٠٩] الأكبر بسجلماسة ، وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بايوالاتن ، فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار ، وتزوجوا النساء واستولدوا الإماء ، وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر ، والسجلماسي كلسان الميزان ،

يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ، ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان ، حتى اتسعت أموالهم وارتفعت في الضخامة أحوالهم ، ولما افتتح التكرور كورة ايوالاتن وأعمالها ، أصيبت أموالهم فيما أصيب من أموالها ، بعد أن جمع من كان فيها منهم إلى نفسه الرجال ، ونصب دونها ودون مالهم القتال ، ثم اتصل بملكهم ، فأكرم مثواه ، ومكنه من التجارة بجميع بلاده ، وخاطبه بالصديق الأحب والخلاصة الأقرب ، ثم صار يكاتب في تلمسان يستقضي منهم مآربه ، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة ، وعندي من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبيء عن ذلك ، فلما استوثقوا من الملوك تذللت لهم الأرض للسلوك ، فخرجت أموالهم عن الحد ، وكادت تفوت الحصر والعد ، لأن بلاد الصحراء قبل أن يدخلها أهل مصر كان يجلب إليها من المغرب ما لا بال له من السلع ، فتعاوض عنه بماله بال من الثمن ، إلى أن قال : ولما درج هؤلاء الأشياخ جعل أبناؤهم ينفقون مما تركوا لهم ، ولم يقوموا بأمر التشمير قيامهم ، وصادفوا توالي الفتن ولم يسلموا من جور السلاطين ، فلم يزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمن ، فها أنا ذا لم أدرك من ذلك إلا أثر نعمة ، اتخذنا فصوله عيشاً أصوله حرمة ، ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب ، وأسباب كثيرة تعين على الطلب ، فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة ، فاستوعبت أهل البلد لقاء ، وأخذت عن بعضهم عرضاً وإلقاء ، سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن . انتهى كلامه في أوليته . وقد نقله لسان الدين في الإحاطة .

وقال مولاي الجد رحمه الله تعالى : كان مولدي بتلمسان أيام أبي حم موسى بن عثمان بن يغمراسن ابن زيان ، وقد وقفت على تاريخ ذلك ، ولكني رأيت الصفح عنه لأن أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا طاهر السِّلَفي عن سِنِّه فقال : أقبل على شأنك ، فإني سألت أبا الفتح بن زيان عن سنِّه فقال : أقبل على شأنك ، فإني سألت علي بن محمد اللبان عن سنِّه فقال : أقبل على

شأنك ، فإني سألت حمزة بن يوسف السهمي عن سنِّه فقال : أقبل على شأنك ، فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي المنقري عن سنِّه فقال : أقبل على شأنك ، فإني سألت أبا إسماعيل التِّرمذي عن سنِّه فقال : أقبل على شأنك ، فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنِّه فقال : أقبل على شأنك ، فإني سألت الشافعي عن سنِّه فقال : أقبل على شأنك ، فإني سألت مالك بن أنس عن سنِّه فقال : أقبل على شأنك ، ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه انتهى . [١١٠

قلت : ولما تذاكرت مع مولاي العم الإمام صب الله تعالى على مضجعه من الرحمة الغمام هذا المعنى الذي ساقه مولاي الجد رحمه الله تعالى ، أنشدني لبعضهم :

احفظْ لسانَك لا تَبُحْ بثلاثةٍ * سِنّ ومالٍ ما استطعتَ ومذهبِ
فعلى الثلاثةِ تُبتلى بثلاثةٍ * بمكفِّرٍ وبحاسدٍ ومُكَذِّبِ

قال الونشريسي في حق الجد ما نصه : القاضي الشهير الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن محمد المقَّري التلمساني المولد والمنشأ ، الفاسي المسكن ، كان رحمه الله تعالى عالماً عاملاً ظريفاً نبيهاً ذكياً نبيلاً فَهِماً متيقظاً جزلاً محصلاً انتهى .

وقد وقفت له بالمغرب على مؤلف عرَّف فيه بمولاي الجد ، وذكر جملة من أحواله ، وذكر أنه طلبه بعض أهل عصره في تأليف أخبار الجد فألف فيه ما ذكر ، وقال في « الإحاطة » في ترجمة مولاي الجد بعد ذكره أوليته ما صورته : حال هذا الرجل مشار إليه بالعدوة الغربية اجتهاداً ودؤوباً وحفظاً وعناية واطلاعاً ونقلاً ونزاهة ، سليم الصدر قريب الغور ، صادق القول ، مسلوب التصنع ، كثير الهيئة ، مفرط الخفة ، ظاهر السذاجة ، ذاهب أقصى مذاهب التخلق ، محافظ على العمل ، مثابر على الانقطاع ، حريص على العبادة ، مضايق في العقد والتوجه ، يكابد من تحصيل النية بالتوجه واليدين

مشقة ، ثم يقافص الوقت فيها ، ويوقعها دفعة متبعاً إياها زعقة التكبير ، برجفة ينبو عنها سمع من لم تؤنسه بها العادة ، بما هو دليل على حسن المعاملة ، وإرسال السجية ، قديم النعمة متصل الخيرية ، مكبّ على النظر والدرس والقراءة ، معلوم الصيانة والعدالة ، منصف في المذاكرة ، حاسر للذراع عند المباحثة ، راحب عن الصدر في وطيس المناقشة ، غير مخطار للقرن ، ولا ضنان بالفائدة ، كثير الالتفات ، منقلب الحدقة ، جهير بالحجة بعيد عن المراء والمباهتة ، قائل بفضل أولي الفضل من الطلبة ، يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير ، ويحفظ الحديث والتاريخ والأخبار والآداب ، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق ، ويكتب ويشعر مصيباً غرض الإجادة ، ويتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال ، ويعتني بالتدوين فيها .

شرّق وحجّ ولقي جلّة ، وألف رحلة مفيدة ، ثم عاد إلى بلده فأقرأ به ، وانقطع إلى خدمة العلم ، فلما ولي ملك المغرب السلطان محالف الصنع ونشيدة الملك ، وأثير الله من بين القرابة والإخوة أمير المؤمنين أبو عنان اجتذبه وخلطه بنفسه ، واشتمل عليه وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاستقل بذلك أعظم الاستقلال ، وأنفذ الحق وألان الكلمة ، وآثر التسديد وحمل الكَلّ وخفض الجناح ، فحسنت عنه القالة وأحبته الخاصة والعامة ، حضرت بعض مجالسه للحكم فرأيت من صبره على اللدد ، وتأنيه للحجج ، ورفقه بالخصوم ، ما قضيت منه العجب ، (دخوله غرناطة) : ثم لما أخر عن القضاء استعمل بعد لأي في الرسالة فوصل الأندلس أوائل جمادى الثانية من عام سبعة
[١١١] وخمسين وسبع مئة (٧٥٧) ، فلما قضى غرض رسالته وأبرم عقد وجهته واحتل مالقة في منصرفه بدا له في نبذ الكلفة واطراح وظيفة الخدمة ، وحل التقيد إلى ملازمة الإمرة ، فتقاعد وشهر غرضه ، وبث في الانتقال طمع من كان صحبته ، وأقبل على شأنه ، فخلى بينه وبين همه ، وترك ما انتحله من

الانقطاع إلى ربه ، وطار الخبر إلى مرسله ، فأنف من تخصيص إيالته بالهجرة ، والعدول عنها بقصد التخلي والعبادة ، وأنكر ما حقه الإنكار من إبطال عمل الرسالة ، والانقباض قبل الخروج عن العهدة . فوغر صدره على صاحب الأمر . ولم يبعد حمله على الظِّنَّة والمواطأة على النفرة ، وتجهزت جملة من الخدام المجلين في مأزق الشبهة ، المضطلعين بإقامة الحجة ، مولين خطة الملام ، مخبرين بين سحائب عادمي الإسلام ، مظنة إعلاق النقمة ، وإيقاع العقوبة ، والإشادة بسبب إجارته بالقطيعة والمنابذة ، وقد كان المترجَم به لحق بغرناطة ، فتذمم بمسجدها وجار بالانقطاع إلى الله ، وتوعد من يجبره بنكير من يجير ولا يجار عليه سبحانه ، فأهم أمره وشغلت القلوب أبدته ، وأمسك الرسل بخلال ما صدرت شفاعة ، اقتضى له فيها رفع التبعة وتركه إلى تلك الوجهة ، ولما تحصل ما تيسر من ذات انصراف محفوفاً بعالمي القطر قاضي الجماعة أبي القاسم الحسيني المذكور قبله ، والشيخ الخطيب أبي البركات بن الحاج مسلمين لوروده مشافهين بالشفاعة في غرضه ، فانقشعت الغمة وتنفست الكربة ، واستصحبا من المخاطبة السلطانية في أمره من إملائي ما يذكر حسبما ثبت في الكتاب المسمى « بكناسة الدكان بعد انتقال السكان » المجموع بسلا ما صورته :

المقام الذي يحب الشفاعة ، ويرعى الوسيلة وينجز العدة ويتمم الفضيلة ، ويضفي مجده المنن الجزيلة ، ويعيي حمده الممادح العريضة الطويلة ، مقام محل والدنا الذي كرم مجده ، ووضح سعده ، وصح في الله تعالى عقده ، وخلص في الأعمال الصالحة قصده ، وأعجز الألسنة حمده ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها ، وشفاعة يكرم مسعاها ، وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم إذا دعاها ، معظم سلطانه الكبير ، وممجد مقامه الشهير ، المتشيع لأبوته الرفيعة قولاً باللسان واعتقاداً بالضمير ، المعتمد منه بعد الله على الملجأ الأحمى والولي النصير فلان ،

سلام كريم طيب برعميم يخص مقامكم الأعلى ، وأبوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته ، أما بعد حمد الله الذي جعل الأخلاق الحميدة دليلاً على عنايته
[١١٢] بمن حلّاه حُلاها ، وميز بها النفوس النفيسة التي اختصها بكرامته وتولاها ، حمداً يكون كفؤاً للنعم التي أولاها وأعادها ووالاها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله المترقي من درجات الاختصاص أرفعها وأعلاها ، الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها وأجلاها ، مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها ، والرضى عن آله وصحبه الذين خبَرَ صدقَ ضمائرهم لما ابتلاها ، وعَسُلَ ذكرهم في الأفواه فما أعذب أوصافهم على الألسن وأحلاها ، والدعاء لمقام أبوتكم حرس الله تعالى علاها ، بالسعادة التي يقول الفتح أنا طلّاع الثنايا وابن جلاها ، والصنائع التي تخترق المفاوز بركائبها المبشرات فتفلي فلاها ، فإنا كتبنا إليكم ـ كتب الله تعالى لكم عزةً مشيدة البناء ، وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء ، وقلّدكم من قلائد مكارم الأخلاق ، ما يشهد لذاتكم منه بسابقة الاعتناء ـ من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، والود باهر السنا ظاهر السناء ، مجدّدٌ على الآناء ، والتشيُّعُ رحب الدسيعة والفناء ، وإلى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس مجدكم ، فإننا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبي عبد الله المقّري خار الله تعالى لنا وله ، وبلغ الجميع من فضله العميم أمله ، جواباً عما صدر عن مثابتكم فيه من الإشارة الممتثلة والمآرب المُعملة والقضايا غير المهملة ، نصادركم بالشفاعة التي مثلها بأبوابكم لا يرد ، وظمآها عن منهل قبولكم لا تُحَلَّأُ ولا تُصد ، حسبما سنَّه الأب الكريم والجد والقبيل الذي وضح منه في المكارم الرسم والخد ، ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة ، وتبلج صبح الزهادة والفضيلة ، وجود النفس الشحيحة بالعرض الأدنى البخيلة ، وظهر تخليه عن هذه الدار واختلاطه باللفيف والغمار ، وإقباله على ما يعني مثله من صلة الأوراد ومداومة

الاستغفار ، وكنا لما تعرفنا إقامته بمالقة لهذا الغرض الذي شهره ، والفضل الذي أبرزه للعيان وأظهره ، أمرنا أن يعتنى بأحواله ويعان على فراغ باله ، ويجرى عليه سيب من ديوان الأعشار الشرعية وصريح ماله ، وقلنا : ما أتاك من غير مسألة مستند صحيح لاستدلاله ، ففر من مالقة على ما تعرفنا لهذا السبب ، وقعد بحضرتنا مستور المنتمى والمنتسب ، وسكن بالمدرسة بعض الأماكن المعدة لسكنى المتسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب ، بحيث لم يتعرف وروده ووصوله إلا ممن لا يؤبه بتعريفه ، ولم تتحقق زوائده وأصوله لقلة تصريفه ، ثم تلاحق إرسالكم الجلة ، فوجبت حينئذ الشفاعة ، وعرضت على سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستعطاف البضاعة ، وقررنا ما تحققناه من أمره وانقباضه عن زيد الخلق وعمره ، واستقباله الوجهة التي من ولّى وجهه شطرها فقد آثر أثيراً ، ومن ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلاً كبيراً وخيراً كثيراً ، وسألنا منكم أن تبيحوه ذلك الغرض الذي رماه بعزمه ، وقصر عليه أقصى همه ، فما أخلق مقامكم أن يفوز منه طالب الدنيا بسهمه ،
[١١] ويحصل منه طالب الآخرة على حظه الباقي وقسمه ، ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعلمه ، ويعول البريء على فضله ويثق المذنب بحلمه ، فوصل الجواب الكريم بمجرد الأمان ، وهو أرب من آراب ، وفائدة من جراب ، ووجه من وجوه إعراب ، فرأينا أن المطل يعد جفاء ، والإعادة ليس بثقلها خفاء ، ولمجدكم بما ضمنا منه وفاء ، وبادرنا الآن إلى العزم عليه في ارتحاله ، وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله ، وأن يقتضي له ثمرة المقصد ، ويبلغ طية الإسعاف في الطريق الأقصد ، إذ كان الأمان لمثله ممن تعلق بجناب الله من مثلكم حاصلاً ، والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلاً ، وطالب كيمياء السعادة باعانتكم واصلاً ، ولما مدّت اليد في تسويغ حالةٍ هديُكم عليها أبداً يُحرض ، وعلمكم يصرح بمزيتها ولا يعرض ، فكملوا أبقاكم الله ما لم

تسعنا فيه مشاحة الكتاب ، وألحقوا بالأصل حديث هذه الإباحة فهو أصح حديث في الباب ، ووفوا غرضنا من مجدكم ، وخلوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب ، وقصد غافر الذنب وقابل التوب بإخلاص المتاب ، والتشمير ليوم العرض وموقف الحساب ، وأظهروا عليه عناية الجناب الذي تعلق به أعلق اللهُ به يدكم من جناب ، ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الآراب ، وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم بها أحمد المناب ، ويقتضي خلاصها بالرغبة لا بالغلاب ، وهما فلان وفلان ولولا الأعذار لكان في هذا الغرض إعمال الركاب يسبق أعلام الكتاب ، وأنتم تولون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل ، ويُربي على التأميل ، ويكتب على الوُدِّ الصريح العقد وثيقة التسجيل ، وهو سبحانه يبقيكم لتأييد المجد الأثيل ، وإنالة الرفد الجزيل ، والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلى ومثابتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته ، في الحادي والعشرين جمادى الآخرة من عام سبعة وخمسين وسبع مئة (٧٥٧) . انتهى كلام ابن الخطيب في « الإحاطة » .

(وذكر في « الريحانة ») ، أنه كتب في هذا الغرض ما نصه : فإننا وقفنا على كتابكم الكريم في شأن الشيخ الصالح الفقيه الفاضل أبي عبد الله المقَّري وفقنا الله وإياه لما يزلف لديه ، وما بلغكم بتقاعده بمالقة ، وما أشرتم به في أمره فاستوفينا جميع ما قررتم ، واستوعبنا ما أجملتم في ذلك وفسرتم ، واعلموا يا محل والدنا أمتعنا الله ببقائكم الذي في ضمنه اتصال السعادة ، وتعرف النعم المعادة ، أننا لما انصرف عن بابنا هو ومن رافقه عن انشراح صدور ، وتكييف جذل بما تفضلتم به وسرور ، تعرفنا أنه تقاعد بمالقة عن
[١١٤] صحبه ، وأظهر الاشتغال بما يخلصه عند ربه ، وصرف الوجه إلى التخلي مشفقاً من ذنبه ، واحتج بأن قصده ليس له سبب ولا تعين له في الدنيا أرب ، وأنه

عرض عليكم أن تسمحوا له فيما ذهب إليه وتقروه عليه ، فيعجل البدار ويمهد تحت إيالتكم القرار ، فلما بلغنا هذا الخبر لم يخلق الله عندنا به مبالاة تعتبر ، ولا أعددناه فيما يذكر فكيف فيما ينكر ، وقطعنا أن الأمر فيه هين ، وأن مثل هذا الغرض لا تلتفت إليه عين ، فإن بابكم غني من طبقات أولي الكمال ، مليء بتسويغ الآمال موفور الرجال ، معمور بالفقهاء العارفين بأحكام الحرام والحلال ، والصلحاء أولي المقامات والأحوال ، والأدباء فرسان الروية والارتجال ، ولم ينقص بفقدان الحصى أعداد الرمال ، ولا يستكثر بالقطرة جيش العارض المنثال ، مع ما علم من إعانتكم على مثل هذه الأعمال ، واستمساككم بإسعاف غرض من صرف وجهه إلى ذي الجلال ، ولو علمنا أن شيئاً يهجس في الخاطر من أمر مقامه لقابلناه بعلاج سقامه ، ثم لم ينشب أن تلاحق بحضرتنا بارزاً في طور التقلل والتخفيف خالطاً نفسه باللفيف ، قد صار نكرة بعد العلمية والتعريف ، وسكن بعض مواضع المدرسة منقبضاً عن الناس ، لا يظهر إلا لصلاة يشهد جماعتها ، ودعوة للعباد يخاف إضاعتها ، ثم تلاحق إرسالكم الجِلَّة الذين تحق لمثلهم التجلة ، فحضروا لدينا وأدَّوا المخاطبة الكريمة كما ذكر إلينا ، وتكلمنا معهم في القضية ، وتنخلنا في الوجوه المرضية ، فلم نجد وجهاً أخلص من هذا الغرض ، ولا علاجاً يتكفل ببرء المرض ، من أن كلفناهم الإقامة التي يُتبرك بيمن جوارها ، ويعمل على إيثارها بخلاف ما نخاطب مقامكم بهذا الكتاب الذي مضمونه شفاعة ، يضمن حباؤكم احتسابها ويرعى انتماءها إلى الخلوص وانتسابها ، ويعيدها قد أعملت الحظوة أثوابها ، ونقصدكم ومثلكم مَنْ يقصد في المهمة ، فأنتم المثل الذائع في عموم الحلم وعلو الهمة ، فإن تصدروا له مكتوباً مكمل الفصول مقرر الأصول يذهب الوجَلَ ويرفع الخجل ، ويسوغ من مآربه لديكم الأمل ، ويخلص النية ويرتب العمل ، حتى يظهر مالنا عند أبوتكم من تكميل المقاصد ، جرياً على ما بذلتم من جميل

العوائد ، وإذا تحصّل ذلك كان بفضل الله إيابه ، وأناخت بعقوة وعدكم الوفي ركابه ، ويحصل لمقامكم عزه ومجده وثوابه ، وأنتم ممن يرعى أمور المجد حق الرعاية ، ويجري في معاملة الله تعالى على ما أسس من فضله البداية ، وتحقق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة الإسلام والحماية ، هذا ما عندنا أعجلنا به الإعلام ، وأعملنا فيه الأقلام ، بعد أن أجهدنا الاختيار وتنخلنا الكلام ، وجوابكم بالخير كفيل ، ونظركم لنا وللمسلمين جميل ، والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام . انتهى .

قلت : وهذه آفة مخالطة الملوك ، فإن مولاي الجد المذكور كان نزل عن القضاء وغيره ، فلما أراد التخلي إلى ربه لم يتركه السلطان أبو عنان كما رأيت انتهى .

وقال في « نفح الطيب » أيضاً : رأيت في تلمسان المحروسة بخط عمي ومفيدي ولي الله تعالى العارف المعروف بشيخ الشيوخ الإمام المفتي الخطيب سيدي سعيد بن أحمد المقَّري ، صب الله عليه سجال الرضوان خطبة من هذا النمط اهـ . يعني كخطبة القاضي أبي الفضل عياض .

فمن خطبة أبي عثمان سعيد المقَّري : الحمد لله الذي افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ، ليصطفي من آل عمران رجالاً ونساء وفضلهم تفضيلاً ، ومد مائدة أنعامه ورزقه ليعرف أعراف أنفال كرمه وحقه على أهل التوبة ، وجعل ليونس في بطن الحوت سبيلاً ، ونجى هوداً من كربه وحزنه ، كما خلص يوسف من سجنه وجبه ، وسبح الرعد بحمده ويمنه ، واتخذ الله إبراهيم خليلاً ، الذي جعل في حجر الحجر من النحل شراباً ، نُوِّع باختلاف ألوانه ، وأوحى إليه بخفي لطفه سبحانه ، واتخذ منه كهفاً .

ومن خطبة القاضي عياض : الحمد لله الذي افتتح بالحمد كلامه ،

وبين في سورة البقرة أحكامه ، ومد في آل عمران والنساء مائدة الأنعام ليتم إنعامه ، وجعل في الأعراف أنفال توبة يونس ، والركتاب أحكمت آياته بمجاورة يوسف الصديق في دار الكرامة ، وسبح الرعد بحمده ، وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، ليؤمن أهل الحجر أنه إذا أتى أمر الله سبحانه فلا كهف ولا ملجأ إلا إليه الخ .

ومن محاسن محمد بن أحمد بن علي الهواري ، ويكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن جابر ، رجل كفيف البصر من أهل المرية قصيدته التي في التورية بسور القرآن ، ومدح النبي ﷺ ، وهي من غرر القصائد ، وكثير من الناس ينسبها للقاضي عياض وهي هذه :

في كلِّ فاتحةٍ للقولِ مُعتبرَهْ * حقُّ الثناءِ على المبعوثِ بالبقرَهْ
في آل عمرانَ قِدْماً شاعَ مبعثُهُ * رجالهُم والنساءُ استوضحوا خبرَهْ
مَنْ مدَّ للنَّاسِ مِن نعماهُ مائدةً * عمَّتْ فليستَ على الأنعام مقتصرَهْ
أعرافُ نعماهُ ما حلَّ الرجاءُ بها * إلا وأنفالُ ذاكَ الجودِ مبتدرَهْ
به توسَّل إذ نادى بتوبتِهِ * في البحرِ يونسُ والظلماءُ معتكرَهْ
هودٌ ويوسفُ كَمْ خوفٍ به أمنا * ولَنْ يروِّعَ صوتُ الرعدِ من ذكرَهْ
مضمونُ دعوةِ إبراهيمَ كانَ وفي * بيت الإلهِ وفي الحِجْرِ التمس أثرَهْ
ذو أمة كدويِّ النحلِ ذكرُهُمُ * في كلِّ قطرٍ فسبحانَ الذي فطرَهْ
بكهفِ رُحماهُ قد لاذَ الورى وبهِ * بُشرى ابنِ مريمَ في الإنجيلِ مشتهرَهْ
[١١٦] سمَّاهُ طهَ وحضَّى الأنبياءَ على * حجِّ المكانِ الذي مِن أجلهِ عمرَهْ
قد أفلحَ الناسُ بالنُّورِ الذي غمروا * مِن نورِ فُرقانهِ لمَّا جلا غررَهْ
أكابرُ الشُّعراءِ اللُّسْنِ قد عَجِزوا * كالنَّملِ إذ سمعَتْ آذانُهم سورَهْ
وحسبُه قَصصٌ للعنكبوتِ أتى * إذ حاكَ نسجاً ببابِ الغارِ قد سترَهْ

في الرُّومِ قد شاعَ قِدْماً أمرهُ وبـــــهِ * لقمانُ وُفِّقَ للدُّرِّ الذي نثـرَهْ
كم سجدةٍ في طلى الأحزابِ قد سجدَتْ * سيوفُه فـأراهم ربُّـــه عِبـــرَهْ
سباهُـمُ فاطرُ السَّبـــعِ العُـلا كرمـــاً * لِمَنْ بياسينَ بينَ الرُّسلِ قد شهرَهْ
في الحربِ قد صفَّتِ الأملاكُ تنصُرهُ * فصادَ جمعُ الأعادي هَازماً زمـرَهْ
لغافرِ الذنـــبِ في تفصيلـهِ ســـورٌ * قد فُصِّلتْ لمعانٍ غير منحصِـرَهْ
شوراهُ أنْ تُهجَرَ الدنيا فزخرُفُهـــا * مثلُ الدُّخانِ فيعشـي عينَ مَنْ نظرَهْ
عزَّتْ شريعتُه البيضاءُ حينَ أتـــــى * أحقافَ بدرٍ وجندُ اللهِ قد نصرَهْ
فجاء بعدَ القتال الفتح متصـــــلا * وأصبَحتْ حُجراتُ الدين منتصرَهْ
بقافِ والذَّارياتِ الله أقسمَ فـــــي * أن الذي قاله حقٌّ كما ذكـــرَهْ
في الطُّور أبصرَ موسى نجمَ سُؤدُدِهِ * والأفقُ قد شقَّ إجلالاً لهُ قمـرَهْ
أسرى فنالَ مِن الرحمنِ واقعـــــةً * في القرب ثبَّتَ فيه ربُّـه بصرَهْ
أراهُ أشياءَ لا يقوى الحديـدُ لهـــــا * وفي مجادلـــةِ الكفَّارِ قد أزرهْ
في الحشر يومَ امتحانِ الخلقِ يُقبل في * صفٍّ مِن الرُّسلِ كلٌّ تابعٌ أثرَهْ
كفٌّ يُسبِّحُ للهِ الحصاةُ بهـــــــا * فاقبلْ إذا جاءكَ الحقُّ الذي قـدرَهْ
قد أبصرَتْ عندهُ الدُّنيا تغابنهـــــا * نالَتْ طلاقاً ولم يصرِفْ لها نظرَهْ
تحريمُهُ الحـبَّ للدنيا ورغبتُـــــهُ * عَنْ زهرةِ المُلكِ حقاً عندَ ما نظرَهْ
في نونِ قد حقّتِ الأمداحُ فيه بمـــا * أثنى بهِ اللهُ إذْ أبـدى لنا سيرَهْ
بجاهِـهِ سالَ نوحٌ في سفينتِـــــــهِ * سُفْنَ النجاةِ وموجُ البحرِ قد غمرَهْ
وقالتِ الجنُّ جاء الحـقُّ فاتَّبِعُـــوا * مُزَّمِّـلاً تابعاً للحَـقِّ لن يـــذرَهْ
مدَّثِّـراً شافعاً يومَ القيامةِ هَـــــلْ * أتى نبيٌّ لهُ هذا العُلا زخـــرَهْ
في المُرسلاتِ مِنَ الكُتْبِ انجـلى نبأٌ * عَنْ بعثِهِ سائرَ الأخبارِ قد سطرَهْ
ألطافُهُ النَّازعـــاتُ الضيمَ في زمـــنٍ * يـــومٌ به عبسَ العاصي لما ذعـرَهْ
إذ كُوِّرتْ شمسُ ذاكَ اليومِ وانفطرَتْ * سماؤهُ ودعَـتْ ويلٌ بـه الفجـرَهْ

وللسماءِ انشقاقٌ والبروجُ خلَـــتْ * مِن طارقِ الشُّهبِ والأفلاكُ مُنتَثِره
فسبِّحِ اسمَ الذي في الخلقِ شفَّعَـــهُ * وهَلْ أتاكَ حديثُ الحوضِ إذ نهرَهْ
كالفجرِ في البلدِ المحروسِ غُرَّتُـــهُ * والشَّمسُ مِن نورِهِ الوضَّاحِ مستترَهْ
والليلُ مثلُ الضُّحى إذ لاحَ فيه أَلَـــمْ * نشرحْ لكَ القولَ في أخبارِهِ العَطِرَهْ
ولو دعا التينَ والزيتونَ لابتـــدرا * إليهِ في الحينِ واقرأ تستبِنْ خبرَهْ
في ليلةِ القدرِ كَمْ قد حازَ مِن شرفٍ * في الفخرِ لم يكُنِ الإنسانُ قد قدرَهْ
كَمْ زلزلَتْ بالجيادِ العادياتِ لـــهُ * أرضٌ بقارعةِ التخويفِ منتشِرَهْ
لَهُ تكاثرَ آيـــات قـــد اشتهرَتْ * في كلِّ عصرٍ فويلٌ للذي كفرَهْ
ألم ترَ الشَّمسَ تصديقاً له حُبِسَـــتْ * على قريشٍ وجاءَ الرُّوحُ إذ أمرَهْ
أريت أنَّ إلهَ العرشِ كرَّمَـــــهُ * بكوثرٍ مرسَلٍ في حوضِهِ نهـرَهْ
والكافرونَ إذا جاءَ الورَى طـــردوا * عن حوضِهِ فلقد تبَّتْ يدا الكفرَهْ
إخلاصُ أمداحِهِ شُغلي فكَـــمْ فلـــقٍ * للصُّبحِ أسمعتُ فيه النَّاسَ مفتخرَهْ
أزكى صلاتي على الهادي وعترتِـــهِ * وصحبِـهِ وخصوصاً منهمُ عشرَهْ
صِدِّيقُهُم عمرُ الفاروقُ أحزمُهُـــم * عثمانُ ثمَّ عليٌّ مهلـكُ الكفـرهْ
سعـدٌ سعيـدٌ عبيدٌ طلحـــةٌ وأبـــو * عبيدةٍ وابنُ عـوفٍ عاشرِ العشرَهْ
وحمزةٌ ثمَّ عباسٌ وآلهمـــــــا * وجعفـــرٌ وعقيـــلٌ سادة خِيَرَهْ
أولئكَ النَّاسُ آلُ المصطفـــى وكفـــى * وصحبُه المقتدونَ السَّادةُ البررَهْ
وفي خديجـةَ والزهرا وما ولـــدَتْ * أزكى مديحـــي سأهـدي دائماً دُرَرَهْ
عن كُـلِّ أزواجِهِ أرضى وأوثـر مَنْ * أضحَتْ براءتُـها في الذكر منتشِرَهْ
أقسمتُ لا زلتُ أَهديهم شَذَى مِدَحي * كالرَّوضِ ينثُرُ مِنْ أكمامِه زَهَرَهْ

قال : وقد عارض منحاها جماعة ، فما شقوا لها غباراً ، ومن معارضاتها قول بعضهم ، وذكر قصيدته ، وأولها :

بسمِ الإلهِ افتتاحُ الحمدِ والبقـــــرَهْ * مُصلِّياً **بصلاةٍ** لم تَزَلْ عَطِـرَهْ
على نبيٍّ لهُ الرحمنُ ممتـــــــــدحٌ * في آلِ عمرانَ أيضاً والنِّسا ذكرَهْ
كذا بمائـدةِ الأنعامِ فضَّلَـــــــهُ * وَوَصْفُـهُ التِّمّ في الأعرافِ قد نشَرَهْ
أنفالُهُ نزلَتْ أيضاً براءةُ مَـــــنْ * يُحبُّهُ وهو مشغولٌ بما أمـــرَهْ

إلى أن قال : وممن سلك هذا المنهج الشيخ القلقشندي إذ قال :

عوَّذتُ حبِّي بربِّ النَّاسِ والفَلَـــقِ * المصطفى المجتبى الممدوح بالخُلُقِ
إخلاصُ وجدي لهُ والعذرُ يُقلِقُنـــي * تبَّتْ يدا عاذلٍ قد جاءَ بالمَلَقِ

قال : وهذه القصيدة وإن لم تلحق قصيدة ابن جابر فهي مما يتبرك به ، والأعمال بالنيات ، ووقفت على أخرى من هذا النمط هي بالنسبة إلى هذه كنسبة هذه إلى قصيدة ابن جابر ، وذكرها بتمامها ، وأولها :

بحمدِ إلاهِ العَرْشِ أستفتحُ القـــولا * وفي آية الكرسيِّ أستمنِحُ الطَّوْلا
وفي آل عمرانَ بَدا ذِكرُ أحمـــــد * نساؤهُم بالعقد قد أنعموا القَوْلا
بأعرافِ رُحماهُ بأنفالِ جُـــــودِهِ * شرُفنا وفضّلنا وتبنـا إلى المـولى

وذكر في هذا الباب من هذا النوع نظماً ونثراً ما يطول بنا استطراده ، فعليك بمراجعته إن كنت ممن يميل إلى هذا المعنى ، ويحلو لك ارتياده ، ومن
[١١٨] رجال الاعتناء بهذا الباب والدي سيدي الشيخ بن أبي القاسم ، فقد وجدت بخط يده قصائد كثيرة من هذا النوع ، رحمه الله تعالى ، وله قصيدة يتوسل فيها بسور القرآن ، ستأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى .

سليمانُ بنُ الحسنِ التلمساني

سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني أبو الربيع الإمام العالم المحصل السيد .

قال الشيخ أبو البركات التالي : شيخنا الفقيه المحقق ، كان قائماً على المدونة وابن الحاجب ، مستحضراً لفقه ابن عبد السلام وأبحاثه نصب عينيه اهـ .

قال القلصادي في « رحلته » : حضرت مجلس سيدي سليمان البوريدي وكان فقيهاً إماماً عالماً بمذهب مالك اهـ .

وذكر ابن غازي في ترجمة شيخه أبي محمد الورياغلي : أن من شيوخه صاحب الترجمة ، وأنه وصفه بالشريف الحسيب النسيب الفقيه العالم المحقق الأفضل اهـ .

قال الونشريسي : شيخ شيوخنا الفقيه المحصّل المحقق ، له إشكالات وجهها لعالم تونس أبي عبد الله ابن عقاب ، فأجابه عنها اهـ . وقال في « وفياته » توفي شيخ شيوخنا الحافظ الذاكر شيخ الفروع أبو الربيع سليمان الشريف سنة ٨٤٥ .

سليمانُ الحسناوي البجائي

سليمان بن يوسف بن إبراهيم الحسناوي البجائي . .

قال السخاوي : أخذ عن عمه أبي الحسن علي بن إبراهيم ، ومحمد بن بلقاسم المَشدَّالي ، وتقدم في الفقه والأصلين والفرائض والحساب والمنطق ،

كتب شرحاً للمدونة ، وصنف في الفرائض والحساب والمنطق ، وأشير إليه بالجلالة ، وأكره على قضاء الجماعة ، فأقام به أزيد من سنتين ، فأعرض عنه ولازم التدريس والإفتاء إلى أن مات سنة سبع وثمانين وثمان مئة (٨٨٧) تقريباً ، وكان يصرح ببلوغ رتبة الاجتهاد ، ومخالفة إمامه في كثير من الفروع .

وقال الشيخ زروق في حقه : الشيخ الفقيه الإمام الصدر العالم أبو الربيع مفتي بجاية من صدور الإسلام في وقته علماً وديانة .

سليمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ التلمساني

أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن ابن المعز المَقري الصنهاجي المعروف
[١١٩] بالتلمساني الفقيه ، شيخ أبي بكر بن خلف المعروف بالمواق ، وأبي العباس أحمد ابن محمد المعروف بالحصار .

كان زاهداً في الدنيا وأهلها ، ورعاً على سنن أهل الفضل والدين ، وكان موثقاً بمدينة سلا ، فإذا أعطاه أحد على الوثيقة أكثر من حقها رده إليه ، واستقر بمدينة فاس إلى أن توفي بها ، قيل : إن أخاه مات بسلا ، فاجتمع في متروكه ألف دينار ، فحملت إلى أبي الربيع بمدينة فاس فأبى من أخذها ، وقال : كان أخي لا يعرف وجوه التجر ، فأخذها أحد بنيه واتجر فيها فهلكت ، فقال له أبو الربيع : ألم أنْهَك عنها ، وقلت لك : إنها غير طيبة ، وذكر أن امرأته ماتت بفاس ، وتركت بها داراً بزقاق بدبالة ، فقال له تلامذته : هذه الدار مثمنة فسعى أن تباع ، ويشترى بثمنها دونها ، فبيعت واشتريت له دويرة ، ورأى بعضهم في منامه قائلاً يقول له : إذا صليت الصبح فصلِّ عند السارية الفلانية ، فإنك تصلّي عندها مع رجل من أهل الجنة ، فلما أصبح دخل

المسجد ، وجاء إلى تلك السارية فوجد عندها أبا الربيع المذكور .

وكان له رضي الله عنه تلامذة وأصحاب . توفي بفاس سنة تسع وسبعين وخمس مئة (٥٧٩) ، ذكره التادلي في « التشوف » ، وتبعه على ذلك في « الجذوة » .

سليمانُ الورنيدي

سليمان الورنيدي المدعو بأبي يعربين ، الشيخ العالم النحوي .

أخذ عن الأستاذ الصغير ، وتقدم في النحو والقراءات ، وتصدر لإقرائهما . أخذ عنه موسى الزواوي ، وتوفي حادي عشر شعبان عام إحدى وتسعين وثمان مئة (٨٩١) ، هكذا نقل من خط أبي القاسم ابن إبراهيم الفاسي اهـ .

وقال الشيخ زروق في كناشه : الأستاذ أبو الربيع ، عُرف بأبي يعربين أحد نجباء تلامذة الأستاذ الصغير ، جلس مجلسه بعده لإفادة الأداء في السبع ، وانتفع به ، كان قيّماً على ما هو به ، توفي سنة اثنتين وتسعين بعد الأستاذ المصيمدي اهـ .

سليمانُ الوهراني

سليمان الحميدي الوهراني أبو الربيع .

قال القلصادي في « رحلته » : اجتمعت به فيها ، وكان فقيهاً إماماً .

سيّدي أبو مدين الغوث
التلمساني

شعيب بن الحسن الأندلسي شيخ المشايخ سيدي أبو مدين ، سيد العارفين وقدوتهم ، الإمام المشهور ، عَرف به جماعة ، بل ألف ابن الخطيب القسنطيني في تعريفه وأصحابه جزءاً .

قال هو وغيره : كان من أفراد الرجال ، ومن صدور الأولياء الأبدال ، جمع بين الشريعة والحقيقة ، أقام هادياً وداعياً للحق ، وقُصدت زيارته من جميع الأقطار ، وشهر بشيخ المشايخ ، وذكر التادلي وغيره أنه تخرج به ألف شيخ من الأولياء أولي الكرمات .

وقال أبو الصبر كبير مشايخ وقته : كان أبو مدين زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى ، خاض بحار الأحوال ونال أسرار المعارف ، خصوصاً مقام التوكل ، لا يشق غباره ولا تجهل آثاره .

قال التادلي : كان مبسوطاً بالقبض ، مقبوضاً بالمراقبة ، كثير الالتفات بقلبه لربه ، حتى مات وهو يقول في آخر زمنه : الله الحق ، وكان من أعلام العلماء ، وحفاظ الحديث خصوصاً جامع الترمذي ، قائماً عليه ، رواه عن شيوخه عن أبي ذر ، يلازم كتاب الإحياء ، وترِد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في وقتها ، له مجلس وعظ يتكلم فيه على الناس ، وتمر به الطيور وهو يتكلم فتقف تسمع ، وربما مات بعضها ، وكثيراً ما يموت بمجلسه أهل الحب ، تخرَّج به جماعة من العلماء والمحدثين وأرباب الأحوال ، قال : وكان شيخه أبو يعزى يثني عليه ويعظمه بين أصحابه ، ولما قدم من الأندلس قرأ على الحافظَيْنِ أبي الحسن بن حرزهم ، والفقيه العلامة ابن غالب ، وذكر

عنه أنه قال : كنت في ابتدائي إذا سمعت تفسير آية أو حديث قنعت به ، وانصرفت لموضع خارج فاس ، أتخذه للعمل بما فتح علي به ، فإذا خلوت تأتيني غزالة تؤنسني ، وأمرُّ في طريقي بالكلاب فيبصبصون لي ، ويدورون حولي ، فبينا أنا يوماً بفاس إذا رجل أندلسي من معارفي ، سلم عليَّ ، فقلت : وجبت ضيافته ، فَبِعْتُ ثوباً بعشرة دراهم ، فطلبته لأدفعها له فلم أجده هنالك ، فحملتها معي وخرجت لخلوتي على عادتي ، فتعرض لي الكلاب فمنعوني الجواز حتى جاء رجل حل بيني وبينهم ، ولما وصلت قريتي جاءتني الغزالة على عادتها ، فشمتني ونفرت عني ، وأنكرت عليّ ، فقلت : ما أوتي علي إلا من هذه الدراهم التي معي ، فرميتها عني فسكنت الغزالة وعادت لحالها معي ، ولما رجعت لفاس رفعتها معي ولقيت الأندلسي ، فدفعتها له ، ثم خرجت للخلوة ، فدار بي الكلاب ، فبصبصوا على عادتهم ، وجاءت الغزالة فشمتني وأتت كعادتها ، وبقيت كذلك مدة ، وأخبار أبي يعزى ترد علي ، وكراماته
[١٢١] يتداولها الناس ، فملأ قلبي حبُّه ، فقصدته مع الفقراء ، فلما وصلنا إليه أقبل عليهم دوني ، وإذا حضر الطعام منعني من الأكل معهم ، فبقيت ثلاثة أيام فأجهدني الجوع ، وتحيرت من خواطر ترد علي ، وقلت في نفسي : إذا قام الشيخ من موضعه مرغت فيه وجهي ، فلما قام مرغته ، فإذا أنا لا أبصر شيئاً ، فبكيت ليلتي ، فلما أصبح دعاني وقربني ، فقلت : يا سيدي قد عميتُ فمسح بيده على عيني فبصرت ، ثم على صدري فزالت عني تلك الخواطر ، وفقدت ألم الجوع ، وشاهدت في الوقت عجائب بركاته ، ثم استأذنته في الانصراف للحج فأذن لي ، وقال لي : ستلقى في طريقك الأسد فلا يرعك ، فإن غلب عليك خوفه فقل له : بحرمة آل النور إلا انصرفت عني ، فكان الأمر كما قال .

وتوجّه للمشرق وأنوار الولاية عليه ظاهرة ، فأخذ عن أعلام علمائها ،

واستفاد من زهادها وأوليائها ، وتعرف في عرفة بالشيخ عبد القادر الجيلاني ، فقرأ عليه في الحرم كثيراً من الحديث ، وألبسه الخرقة ، وأودعه كثيراً من أسراره ، وحلاه بملابس أنواره ، فكان أبو مدين يفتخر بصحبته ، ويعده أفضل مشايخه الأكابر ، وعن بعض الأولياء قال : رأيت في النوم قائلاً يقول : قل لأبي مدين بُثّ العلم ولا تبالي ، ترتع غداً مع العوالي ، فإنك في مقام آدم أبي الذراري ، قال : فقصصتها عليه ، فقال لي : عزمت على الخروج للجبال والفيافي ، وأبعد عن العمران ، ورؤياك هذه تأمرني بالجلوس ، وترك العزم ، فقولك ترتع غداً مع العوالي إشارة لحديث « حِلَقُ الذِّكْرِ مراتِعُ أهل الجنَّةِ » والعوالي أصحاب عِلِّيين ، ومعنى قوله : أبي الذراري أنه أعطي قوة النكاح ، وأمر به ، ولم يجعل له قوة على كونهم مطيعين ، ونحن أعطينا العلم وأمرنا ببثه وتعليمه ، ولا قدرة لنا على كون أتباعنا موفقين .

وكان يقول : كرامات الأولياء نتائج معجزاته ﷺ ، وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى ، بسنده إلى الجنيد ، بسنده للحسن البصري ، عن علي ، عن النبي ﷺ .

وعن العارف عبد الرحيم المغربي قال : سمعت أبا مدين يقول : أوقفني ربي عزوجل بين يديه ، وقال لي : يا شعيب ماذا عن يمينك ؟ فقلت : يا رب عطاؤك ، قال : وماذا عن شِمالك ؟ قلت : يا رب قضاؤك ، قال يا شعيب قد ضاعفت لك هذا ، وغفرت لك هذا ، فطوبى لمن رآك أو رأى من رآك .

وعن أبي العباس المرسي قال : جُلتُ في الملكوت فرأيتُ سيدي أبا مدين متعلقاً بساق العرش ، وهو يومئذ رجل أشقر أزرق ، فقلت له : وما علومك وما مقامك ؟ فقال : علومي أحد وسبعون علماً ، ومقامي رابع الخلفاء ، ورأس السبعة الأبدال ، وسئل عما خصه الله به فقال : مقامي العبودية ، [١٢٢

وعلومي الألوهية ، وصفاتي مستمدة من الصفات الربانية ، ملأت عظمته سري وجهري ، وأضاء بنوره بري وبحري ، فالمقرب من كان به عليماً ، ولا يسمو إلا من أوتي قلباً سليماً ، يسلم من سداه ، ولا يكون في الوعاء إلا ما جعل فيه مولاه ، فقلب العارف يسرح في الملكوت بلا شك ﴿ وتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وهيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ ﴾[1] .

وسئل في مجلسه عن الحب فقال : أوله دوام الحب ، ووسطه الأنس بالمذكور ، وأعلاه أن لا ترى سواه ، واختلف أهل مجلسه هل الخضر ولي أو نبي ؟ فرأى رجل صالح منهم معروف بالولاية تلك الليلة النبي ﷺ فقال له : الخضر نبي ، وأبو مدين ولي .

وذكر التادلي وغيره : أن رجلاً جاء ليعترض عليه ، فجلس في حلقته ، فقرأ صاحب الدويلة ، فقال له أبو مدين : امهل قليلاً ، ثم التفت للرجل وقال له : لم جئت ؟ فقال : لأقتبس من نورك ، فقال له : ما الذي في كمك ؟ فقال : مصحف فقال له : افتحه واقرأ في أول سطر يخرج لك ، ففتحه وقرأ أول سطر : فإذا فيه ﴿ الَّذينَ كذَّبُوا شُعَيباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوا فيها الَّذينَ كذَّبُوا شُعَيباً كانُوا مِنَ الخاسِرينَ ﴾[2] فقال أبو مدين : أما يكفيك هذا ! فاعترف الرجل وتاب وصلح حاله .

وذكر صاحب « الروض » عن الشيخ الزاهد عبد الرزاق أحد خواص أصحابه قال : مر الشيخ في بلاد الغرب ، فرأى أسداً افترس حماراً يأكله ، وصاحبه جالس بالبعد على غاية الحاجة والفاقه ، وجاء أبو مدين وأخذ بناصية الأسد فقال له الشيخ : أمسك الأسد واستعمله في الخدمة ، بموضع حمارك ، فقال : يا سيدي أخاف منه ، فقال : لا تخف ، لا يستطيع أن يؤذيك ، فر

(١) سورة النمل : الآية ٨٨ .
(٢) سورة الأعراف : الآية ٩٢ .

بالأسد يقوده والناس ينظرون . فلما كان آخر النهار جاء الرجل ومعه الأسد للشيخ وقال : يا سيدي هذا الأسد يتبعني اين ما ذهبت ، وأنا خائف منه لا طاقة لي بعشرته . فقال الشيخ للأسد : اذهب ولا تعد ، ومتى آذيتم بني آدم سلطتهم عليكم .

ومن مشهور كراماته أنه كان ماشياً يوماً على الساحل ، فأسره العدو ، وجعلوه في سفينة فيها جماعة من الأسارى ، فلما استقر في السفينة توقفت عن السير ، ولم تتحرك مع قوة الريح ومساعدتها ، وأيقن الروم أن لا يقدرون على السير ، فقال بعضهم : أنزلوا هذا المسلم ، فإنه قسيس ، ولعله من أصحاب السرائر عند الله تعالى ، فأشاروا إليه بالنزول ، فقال : لا إلا إن أطلقتم كل من فيها من الأسارى ، فعلموا أن لا بد لهم من ذلك ، فأنزلوهم كلهم ، وسارت السفينة في الحال ، ومنها أنه لما اختلفت طلبة بجاية في حديث « إذا ماتَ المؤمنُ أُعطي نصفَ الجنَّةِ » فأشكل عليهم ظاهره ، إذ بموت مؤمنينْ يستحقان كلَّ الجنة ، فجاؤوه وهو يتكلم على « رسالة القشيري » فقال لهم : بلا سؤال : المراد يُعطى نصف جنته هو ، فيكشف له عن مقعده ليتنعم به وتقرعينه ، ثم النصف الآخر يوم القيامة . [١٢٣]

وكان يأتيه الأولياء من البلدان للاستفتاء فيما يعرض لهم من المسائل ، وذكر تلميذه عبد الخالق التونسي عنه أنه قال : سمعت رجلاً يُسمى موسى الطيَّار يطير في الهواء ، ويمشي على الماء ، وكان رجل يأتيني عند طلوع الفجر ، فيسألني عن مسائل الناس ، فوقع لي ليلة أنه موسى الطيار الذي أسمع به ، فلما طلع الفجر نقر الباب رجل فإذا هو الذي يسألني : فقلت له : أنت موسى الطيار ؟ فقال : نعم ، ثم سألني فانصرف ، ثم جاءني مع آخر فقال لي : صليت الصبح ببغداد ، وقدمنا مكة فوجدناهم في الصبح ، فأعدنا معهم ، وبقينا حتى صلينا الظهر ، فجئنا القدس فإذا هم في الظهر ، فقال صاحبي هذا :

نُعيد معهم ، فقلت : لا ، فقال لي : ولِمَ أعدنا الصبح بمكة ، فقلت له : كذلك كان شيخي يفعل ، وبه أمرنا فاختلفنا ، فقال أبو مدين : فقلتُ لهم : أما إعادة الصبح بمكة فإنها عين اليقين ، وبغداد علم اليقين ، وعين اليقين أقوى من علمه ، وصلاتكم بمكة وهي أم القرى فلا تعاد في غيرها ، قال فقنعا به وانصرفا .

وفي حقائق المقري عن أبي يزيد البسطامي أنه قال : يظهر في آخر الزمان رجل يسمى شُعيباً ، لا تدرك له نهاية ، قال : وهو أبو مدين اهـ .

وكان استوطن بجاية ويفضلها على كثير من المدن ، ويقول : إنها تعين على طلب الحلال ، وما زال حاله يزداد رفعة ، وترد عليه الوفود من الآفاق ، ويخبر بالغيوب حتى وشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور ، وخوفوه منه على الدولة ، وأنه يشبه الإمام المهدي ، قد كثر أتباعه من كل بلد ، فوقع في قلبه وأهمَّه شأنه ، فبعث إليه في القدوم عليه ليختبره ، ووصى صاحب بجاية به ، وأن يحمله خير محمل ، فلما أخذ في السفر شق على أصحابه وتغيروا ، فسكَّنهم . وقال : إن منيتي قربت ، وبغير هذا المكان قدرت ، ولا بد منه ، وقد كبرت وضعفت لا أقدر على الحركة ، فبعث الله لي من يحملني إليه برفق ، وأنا لا أرى السلطان ولا يراني ، فطابت نفوسهم وعدوه من كراماته ، فارتحلوا به على أحسن حال حتى وصلوا حوز تلمسان ، فبدت لهم رابطة العباد ، فقال لأصحابه : ما أصلحه للرقاد ، فمرض فلما وصل وادي يسر ، اشتد مرضه ونزلوا به هناك ، فكان آخر كلامه : الله الحق ، فتوفي [١٢٤] سنة أربع وتسعين وخمس مئة (٥٩٤) ، فحمل للعباد مدفن الأولياء الأوتاد . وخرج أهل تلمسان لجنازته . فكانت مشهداً عظيماً . وفي ذلك اليوم تاب الشيخ أبو عمر الحباك ، وعوقب السلطان . فمات بعده بسنة أو أقل . والدعاء

عند قبره مستجاب مجرب ، كما حققه سيدي محمد الهواري في كتاب « التنبيه » .

ومن كلامه : إذا رأيت من يدعي مع الله تعالى حالاً ، وليس على ظاهره شاهد ، فاحذره . وقال : حسن الخلق معاشرة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه ، فمع العلماء بحسن الاستماع والافتقار ، ومع أهل المعرفة بالسكون والانتظار ، ومع أهل المقامات بالتوحيد والانكسار ، وقال : الحق تعالى مطَّلِع على السرائر والضمائر في كل نفس وحال ، فأي قلب رآه موثراً له حفظه من الطوارق والمحن ، ومضلات الفتن . وسئل عن التسليم فقال : إرسال النفس في ميدان الأحكام ، وترك الشفقة عليها من الطوارق والآلام ، وقال : من رزق حلاوة المناجاة زال عنه النوم ، ومن اشتغل بطلب الدنيا ابتلي فيها بالذل ، ومن لم يجد من قَلبه زاجراً فهو خراب ، وقال بفساد العامة تظهر ولاة الجور ، وبفساد الخاصة تظهر دجاجلة الدين الفتانون ، وقال : من عرف نفسه لم يغترَّ بثناء الناس عليه ، ومن خدم الصالحين ارتفع ، ومن حرمه الله احترامهم ابتلاه الله بالمقت من خلقه ، وانكسار العاصي خير من صولة المطيع ، وقال : علامة الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق ، وسئل عن الشيخ فقال : الشيخ من شهدت له ذاتُك بالتقديم ، وسِرُّك بالتعظيم ، والشيخ من هذبك بأخلاقه ، وأدبك بإطراقه ، وأنار باطنك بإشراقه ، إلى غير هذا من حكمه ، وقد ذكرت منها طائفة في غير هذا الموضع ، نفعنا الله به آمين اهـ « نيل الابتهاج » .

الشيخُ بنُ أبي القاسم الديسي
المعروف بابن عروس

هو والدي الشيخ بن أبي القاسم بن الصغير بن محمد المبارك بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن مرزوق بن سيدي إبراهيم الغول ، دفين مدينة أبي سعادة

قال الوالد رحمه الله تعالى : وآبائي هؤلاء كلهم كانوا يحفظون القرآن ، ويعرفون من الفقه ما لا بد منه ، ولهم خطوط جيدة موجودة بهوامش كتب الفقه المتوارثة في قرية الديس ، ووالدي أبو القاسم أخذ الفقه عن سيدي عبد الباقي الجلالي نسبة إلى مدينة أولاد جلال في الزاب ، وهو شيخ له صيت طائر في صحراء بسكرة ، وزاويته مشهورة بالعلم ، يعرفها العام والخاص ، قرأ فيها والدي وإخوته سيدي التومي بن الصغير ، وهو كبيرهم ، وسيدي الصحبي ، وسيدي الأكحل ، وكان صاحب الزاوية متزوجاً بعمتهم القدحية بنت محمد المبارك ، وسبب تزوجه بها أنه قرأ مع أبيها في زاوية الشيخ ابن أبي داود ، على سيدي عبد الرحمن بن أبي داود ، وكانا متحابين في الله فخطبها منه ، ولما [١٢٥ رجع إلى بلده واستراح تأهب للزفاف ، وقصد زاوية أولاد سيدي إبراهيم في الديس ، فدخلها وقوبل فيها بإكرام وإعظام ، وذلك شأن أهل الديس مع كل قادم إليهم على قلة ما في أيديهم ، وبعد أيام ذهب الشيخ عبد الباقي بزوجته إلى زاويته ، أما زاوية ابن أبي داود فهي أم الزوايا العلمية في القرون الثلاثة الأخيرة ، ومنها انتشر الفقه والنحو والفلك والحساب في بلاد زواوة، وما والاها إلى قسنطينة شرقاً وإلى الأغواط جنوباً وإلى المدينة غرباً .

قال الوالد رحمه الله : أخذت الفقه والعربية عن الشيخ سيدي أبي القاسم وهو عن أبيه سيدي السعيد ، وهذا عن أبيه سيدي عبد الرحمن ابن أبي داود

وقد تواتر أن سيدي السعيد اجتمع بشيخ الطريقة الخلوتية قطب العارفين وسيد العلماء العاملين سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري ، وطلب منه الورد الرحماني ، فأشار عليه بالعلم ، وتفل في فمه ، ودعا له بالسر والبركة ، ومن يومئذ جلب الله الخلق إلى الانتفاع بالعلوم ، واغترافها من بحر الشريعة والحقيقة في زاوية تاسلنت ، أعني زاوية ابن أبي داود ، وكنت ممن انخرط في سلك المنتفعين بعلومها وأسرارها ، والمنتسبين إلى أهلها ، نفعنا الله ببركاتهم ، وجمعنا بهم في دار النعيم المقيم ، بجاه سيدنا ومولانا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم ولي إجازة في التدريس بخط شيخنا سيدي أبي القاسم المذكور ، وهي موجودة الآن بيدي ، ونلت منها بركة عظيمة ، فالحمد لله على حسن النية وعناية المشايخ ، وقد أشار لي قبل التعليم في هذه الزاوية شيخ الطريقة وطود الحقيقة الغوث سيدي علي بن عمر ، صاحب زاوية طولقة ، حين كنت عنده صغيراً أقرأ القرآن فإنه ضمني لصدره بشفقة ورأفة وحنانة ورحمة ،وقال لي : أنت عالم زاويتي ومعلم أبنائي ، فقلت له يا سيدي : أنا صغير لم أبلغ الحلم ، ولم أحفظ القرآن فكيف ذلك ؟ فقال لي : لا بد من هذا ، والسبب في إشارته هذه أن أحد المقاديم نهرني ولامني على التفريط في تنوير مصابيح الزاوية ، وأنا المكلف بها ، فسمع الشيخ سيدي علي بن عمر بقهره لي وتحامله عليّ ، وأقبل إلي وضمني كما ذكرته ، والتفت إلى المقدم غاضباً وقال له : أما تعرف منزلة هذا يا أعمى القلب ، فوالله لهو ذو سر عظيم في الأرض والسماء ، ثم عزله وأخرجه من الزاوية ، ولما حفظت القرآن عنده ذهبت إلى جبل زواوة ، ويسمى في عرف الأولياء والعلماء جبل النور ، ولازمت ابن أبي داود ، ودخلت زاوية شلاطة ، وهي زاوية ذات شهرة [١٢٦] تُغني عن وصفها ، وشيخها من أهل الكمال والجلال سيدي ابن علي الشريف رضي الله عنه ، وأعاد علينا من بركاته وعنايته ، وبقيت في مقام ابن أبي

داود إلى أن أجازني الشيخ كما تقدم .

وسمع بي سيدي علي بن عمر ، فطلبني لإقراء أولاده . وامتثلت أمره فوجدته سار إلى الدار الآخرة ، وقابلني ولده البركة سيدي علي بن عثمان فأحسن نزلي وأكرم مثواي ، وقال لي : الشيخُ رحمه الله يأمرك بتعليم ولده أخينا الحفناوي ، فأجبته بالقبول ، وواظبت على تعليمه نحو ستة أعوام ، بتعلم الفقه من مختصر الشيخ خليل ، والنحو من الجرومية والأزهرية والقطر ، والتوحيد من العقائد السنوسية ، والمنطق من سلم سيدي عبد الرحمن الأخضري ، ثم من ايساغوجي ، والحساب من الدرة البيضاء ، ثم من القلصادي الصغير والكبير ، والمعاني والبيان من الجوهر المكنون والسمرقندية ، ثم من مختصر السعد ، والعروض من الخزرجية ، وكلها مبادىء وقواعد تمكن منها وارتقى بها إلى ما فوقها بعد أن فارقته ولم أفارقه حتى جلس في مجلسي بجامع سيدي عبد القادر في الزاوية ، بإزاء ضريح أبيه شيخنا سيدي علي بن عمر رضي الله عنه ، وشرع في تعليم طلاب العلم من أهل الناحية والغرباء ، وكانوا في مدة تدريسي هناك لا يقلون عن الأربعين والخمسين طالباً بقريحة وجد في التحصيل والاستفادة حفظاً وفهماً ، ومن ورائهم جم غفير من المستمعين يضيق عنهم الجامع في بعض الأحيان مع سعته .

أما الذين كانوا ملازمين لدرسي فمنهم إخوة سيدي الحفناوي وهم إذ ذاك سيدي أحمد بن عمر ، وسيدي بالقاسم ، وسيدي الشيخ ، وسيدي إبراهيم ، ومنهم سيدي المسعود بن عبد الله بن سيدي مازوز ، وسيدي أحمد بن رحمون ، وسيدي علي بن غضاب ، وسيدي علي بن بخوش البوشقروني ، ورجال من طولقة ، ومن المخادمة ، وبنطيوس ، وأوماش ، ومن أورلال ، وبسكرة ، وسيدي عقبة ، ومن أولاد سلطان ، والقنطرة ، والعامري ، والبرج ، وأولاد جلال ، وسيدي خالد ، والسحاري ، وغمرة ، والعمور ، وآل بن علي ،

وليوه ، والسحيرة ، وأولاد سيدي سليمان ، وشرفاء الزاب ، وأولاد سيدي زيان ، وفرفار ، وليشانه ، وفوغالة ، وأولاد سيدي بوزيد الرحالة ، وأهل مدكال ، وأولاد دراج ، وأولاد عمرو ، وأولاد بوحديجة ، وخلق كثيرون من تلك القبائل التلية والصحراوية من قسنطينة إلى سوف ، ومن نفطة إلى الأغواط ، ولما أجزت الشيخ سيدي الحفناوي وأذنته في نفع الخلق بما علمه الله ، طلبت التسريح من الشيخ سيدي علي بن عثمان ، ورجعت إلى الديس ، وقصدت الجلفة ومسعد ، وفيهما التقيت برجال رفعهم العلم ورفعوه ، وطووه ونشروه ، كسيدي الشريف ابن الأحرش ، وأخيه سيدي بالقاسم وسيدي محمد بن أحمد السنوسي ، وسيدي مصطفى وسيدي الموفق وسيدي البشير ، وسيدي عبد القادر ، وسيدي محمد بن أبي القاسم ، ثم لازمت بيتي في الديس وقل سفري وكثر ولدي ، واعتمدت على الله في كسب المعاش بأسبابه العادية كالزراعة وتربية الماشية ، وتفرغت مع ذلك لنسخ بعض الكتب ومطالعتها ، وتعليم أولادي ومن يريد اهـ. كلامه رضي الله عنه ونفعنا ببركاته .

أقول : ومن تلاميذه المنتفعين ببركته الشيخ سيّدي محمد بن عبد الرحمن البصير العلامة المؤلف الشهير المقيم بزاوية الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي ، الطائر صيته في الأقطار ، رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

توفي الوالد رحمه الله تعالى في الديس عشية يوم الثلاثاء ٢ صفر ، عام ١٣١١ الموافق ليوم ١٥ غشت أو أوط سنة ١٨٩٣ ، ودفن يوم الأربعاء صباحاً بغربي صهره العالم العارف سيدي محمد الصديق ابن أحمد بن سليمان بن أبي العدل ، رضي الله عنهم ، ونفعنا ببركاتهم آمين .

وكان له خط جميل لا نظير له في البر الجزائري ، قال : تعلمته في نفطة زمن تعلمي العلم على الشيخ المدني ابن عزوز ، وكنت أطالع له لأنه بصير ، وعنه أخذت علوم الأدب والدين اهـ.

وله وثائق كثيرة بأيدي الناس ، ونسخ كتباً جمة بخطه ، وكانت له أوراد خاصة يواظب عليها ، ولصورته وذاته ووجهه كمال وجمال قلَّ وجودهما في غيره ، ومن نظمه هذا التوسل الذي بعثه إلي لأحفظه ، وذكر لي أنه مضمون الإجابة ، ونصه :

أحمدُ واجبَ الوجودِ المُطْلَقِ * الملكَ القُدُّوسَ ربَّ الفَلَقِ
مُصلّياً على الذي تدورُ * بنورِهِ الشموسُ والبُدورُ
المصطفى من قبلِ فَتْقِ الرَّتْقِ * محمدٌ أصلُ وجودِ الخلقِ
وآلِهِ وصحبِهِ والأُمَّهْ ما أعقبَ الدعاء كشفُ الغُمَّهْ
هذا وقد قالَ القريبُ المستجيبْ * إذا دعا الداعي فإنني قريبْ
وفي الحديثِ النبويِّ المُشتَهَرْ * بعد سُؤالِ الدُّعَا مِنَ القَدَرْ
فينبغي الإلحاحُ بالدُّعاء * لجلبِ نفعٍ أو لدفعِ داء
وأفضلُ الوسائلِ المبرورَة * وخيرُها الأدعيةُ المأثورَهْ
وما أتى بهِ الكتابُ المعجزُ * المُحْكَمُ الذِّكر العزيزُ الموجَزُ
مَعْ جاهِ مَنْ لنا بهِ التوصُّلُ * للهِ أولى مَنْ بهِ التَّوسُّلُ
وها أنا قَدَّمتُ للرَّحمنِ * توسُّلي بسورِ القُرآنِ
رجاءَ رضوانٍ ومَحْوِ سابِقَهْ * وقصدِ صَفْحٍ عَنْ خطايا لاحِقَهْ
مُستمسِكاً بالهاشميِّ المصطفى * وصحبِهِ والتابعينَ وكَفَى
إليكَ يا ربِّ ولا منعرجا * عنكَ بسطْتُ كفَّ خوفٍ ورَجَا
[١٢٨] بَسْطَ خُضوعٍ وخُشوعٍ واعترافْ * بما أتته مِن خلافٍ واقترافْ
أجِبْ أنيني داعياً بالبسملَهْ * بعدَ التَّعوُّذِ وقبلَ الحَمْدَلَهْ
وبالثَّلاثِ بعدها أمُّ الكتابْ * عفواً عن الزَّلاتِ في يومِ الحسابْ
بأفضلِ القرآن أعني البقرَهْ * اجعَلْ أموري كُلَّها مُيَسَّرَهْ

بـآلِ عمـرانَ وبالنِّسـاءِ * أسألُـكَ الحِفْظَ مِـن البأساءِ
بسورةِ المائِـدةِ المنزَّلَـهْ * على ابنِ مريمٍ رفيعِ المنزِلَـهْ
وسورةِ الأعـرافِ والأنعـامِ * توفَّني ربِّي على الإسـلامِ
بسورةِ الأنفـالِ ثُـمَّ التَّوبَـهْ * أرجو العنايَـةَ وحُسنَ الأوبَـهْ
بيونُسَ الصِّديقِ والرَّعـدِ الخليـلْ * آنسِني اللَّهمَ بالوعدِ الجميـلْ
بالحِجْرِ والنَّحـلِ معـاً أنـادي * يا ربِّ أنت السُّؤلُ في معـادي
بسورةِ الإسراءِ في الطِّبـاقِ * بالمصطفى على البُـراقِ راقي
مُخترقُ السبعـةِ والا فـلاكْ * صحبةَ جبرائيل والأمـلاكْ
من خلف الناموسَ عنـدَ المنتهـى * وزجَّ في الأنـوارِ إذ لا مُنتهـى
حتَّى دنا مِـنَ الكريمِ الواهِـبِ * وخصَّـهُ بأعظـمِ المـواهب
لا سيَّما تحيَّـةَ الإكـرامِ * إذ قابَلَتْ تحيَّـةَ الإعظـامِ
فجـاءَ بالدِّيـنِ الحنيفـي ناسخـا * لكُـلِّ ديـنٍ واستمرَّ راسِخَا
ولا يـزالُ قائمـاً في الأرضِ * شمسَ هدىً في طولِها والعَـرْضِ
يافـوزَ مَنْ وفقـهُ اللهُ إلـى * قَبُـولِهِ وبالفُـروضِ عَمِلا
فقـالَ لا إلـه إلَّا اللهُ * مُحمـدٌ أرسلَـهُ الإلـهُ
وقامَ بالصَّـومِ وبالصَّلاةِ * ومستطـاعِ الحـجِّ والزَّكاةِ
يا ربَّنا بالعُروةِ الوثقـى الَّتـي * بها اعتصامي وازديـانُ حُلَّتي
وباتِّباعـي شرعِنـا المُحمَّـدي * اقبَـلْ دعائـيْ لِصلاحِ ولدي
يا مُظهِـرَ الوجود والحيـاةِ * هوِّنْ علينا سكـرةَ الوفـاةِ
يا مُبدعَ الكونِ بلا سَبْـقِ مثـالْ * على نظـامٍ مُتَعَـذِّرِ المنالْ
أدعوكَ بالكهـفِ ومريـمَ التـي * أكرمتَها بهزِّ جِـذْعِ النَّخلَـةِ
وأتوسَّـلُ إليـكَ بالشَّـفيع * مُحمدٍ طَه المشفَّـعِ الرفيـع
بالأنبيا والحـجِّ والفـلاحِ * والنُّورِ والمشكـاةِ والمصباحِ

بسورةِ الفُرقانِ أنْ تغمُرني * بالرحمتينِ مَعَ مَنْ جاورني
وكلِّ مَنْ أحبَّني في اللهِ * للهِ لا لِغَرضٍ أو جاهِ
يا مَنْ يَرى ولا يُرى يا أعلمُ * منا بنا أنتَ الحكيمُ الأعظمُ
أجزِلْ لنا من جُودِكَ الفيَّاضِ * ما يُبرىء القلبَ مِنَ الأمراضِ
وجُدْ علينا برضاكَ الأبدي * وبرضى نبيِّنا مُحمَّدِ
بالشُّعَرا والنَّملِ ياذا الخَلْقِ * والأمرِ بصِّرني بعينِ الحَقِّ
بقصصِ النَّبي شعيبٍ والكليمْ * موسى المؤيَّدِ بنصرِكَ العظيمْ
بالعنكبوتِ الرُّومِ لقمان الحكيمْ * الواعظِ المعروفِ ذي النوحِ الجسيمْ
[١٢٩] بالسَّجدةِ الستِّ المُنجِّياتِ * وما حوَتْ مِنْ باهرِ الآياتِ
اجعَلْ لساني ذاكراً وقلبي * موحِّداً كي لا أخافَ سلبي
ونجِّني مِن فتنةِ الشَّيطانِ * في سكرةِ الخوفِ على الإيمانِ
وخُفَّني بسرِّ روحِكَ الأمينْ * وسُرَّني بوجهِ خيرِ العالَمينْ
وأولني مِنْ نورهِ المُحمَّدي * عندَ السؤالِ ما يُقوِّي عَضُدي
يا ربَّنا بسورةِ الأحزابِ * وما حوَتْ مِنْ نُصرةِ الأوَّابِ
بالسُّورتينِ سبأٍ وفاطرِ * حُلْ بيننا وبينَ سُوءِ الخاطرِ
يا ربَّنا بفضلِ خمسِ كلماتْ * قلبِ الكتابِ في روايةِ الثِّقاتْ
أودعتَها ياسينَ مِن سلامِ * قولاً إلى ربٍّ رحيمٍ سامِ
اجمَعْ شتاتي وأزِلْ خَصاصتي * واحمِ مقرِّي واعفُ عَنْ منقصتي
بالصَّادِ مَعْ ما قبلها والمكِّياتْ * مِنْ بعدِها هوِّنْ علينا كُلَّ آتْ
توسُّلي بزُمرٍ وغافرِ * لردعِ كُلِّ حاسدٍ مُكابرِ
توسُّلي بسجدةٍ في فُصِّلَتْ * ثُم بشورى عُصبةٍ قد عُسِلَتْ
بسورةِ الزُّخرُفِ والدُّخانِ * لحفِظنا مِنْ فتنةِ الشَّيطانِ
بسورةِ الجاثيةِ الأحقافِ * أرجو عفافي وكذا كفافي

توسُّلي في نيلِ كلِّ مقصـــــــدي * بسورةٍ للمجتبَى محمَّـــــــدِ
بفتحِ مكَّةٍ بماقَدْ فـــــــازا * به الحبيبُ يومَهُ وحـــــازا
بمَنْ على الإيمانِ بالأيمـــــــان * قد بايعوهُ بيعةَ الرضـــــوانِ
اسألُكَ اللَّهمَّ يـا حنَّـــــــانُ * يا حيُّ يا قيُّومُ يا منَّـــــانُ
بالحُجُراتِ وبقافِ الذَّاريـــــاتْ * صيانتي من العِدَا والضَّاريـــاتْ
بالطُّورِ ثُمَّ النَّجمِ ثُمَّ القَمَـــــرِ * أسبِغْ علينا غيثَ خيرِ القـــدرِ
بسورةِ الرَّحمنِ ثُمَّ الواقعـــــهْ * هوِّنْ علينا هولَ يومِ القارعهْ
بالبأسِ والنِّقمِ اللذينِ في الحـــديدْ * حُلْ بيننا وبينَ ظُلاَّمَ العبيـــدْ
يـا ربَّنـا يا ربَّنـا بقـد سمِـــعْ * لا تجعلِ الباطِنَ عنكَ منقطِعْ
بسورةِ الحَشْرِ والامتحـــــانِ * لا تُخزنا في موقفِ الميـــزانِ
بالصّفِّ والجُمُعةِ الفضيلـــــهْ * أنعِمْ على الرَّسولِ بالوسيلـــهْ
وارزُقْ عبيدَكَ اتِّباعَ أمـــــرِه * والانتها عمَّا نهى بأسْـــرِهِ
وبالمنافقينَ والتَّغابُـــــــنِ * أسألُكَ الأمنَ مِنَ التَّبايُـــنِ
وأتوسَّلُ بسورةِ الطَّـــــلاقْ * إليكَ في حمايتي يوم التَّـــلاقْ
بسورةِ التَّحريـــــمِ في أدواءِ * عتَتْ عَن الطبيبِ والـــدَّواءِ
[١٣٠] بسورةِ المُلْكِ بنونٍ والقلَـــــمْ * أنقذنِيَ اللهمَّ مِنْ كلِّ ألَـــمْ
بالحقِّ حقِّقْ يا إلاهي أملـــــي * وبالمعارجِ تقبَّل عملـــــي
بنوحٍ والجنِّ وبالمدَّثِّـــــرِ * بعدَ المزمِّلِ أطل لي عُمُـــري
لعلَّني أفوزُ في ما ياتـــــي * بصالحٍ يُرضيكَ في حياتـــي
يا ربنا بسورةِ القيامـــــةْ * اسألُكَ الصِّحةَ والسَّلامـــةْ
بِهَلْ أتى والمُرسَلاتِ والنَّبـــا * أعْذِني اللهمَّ مِن شرِّ الوَبَـــا
يا ربَّنا بعبسٍ وكُـــوِّرَتْ * بعدهما إذا السَّماءُ انفطـــرتْ
وبالمُطَفِّفيـــن الانشقـــاقِ * أفضِ علينا وابِـــلَ الأرزاق

بسورةِ البروجِ ثمَّ الطـــــارقِ * كُنْ حسبُنا في أخذِ كُلِّ طارقِ
بسبحِ اسمَ ربِّكَ الأعلى أقبـــــلْ * عبداً أتاكَ بقليلِ العمـــــلِ
ربِّي بسورةِ حديثِ الغاشيَـــــهْ * صيِّرْ وجوهَنَا وجوهاً راضيَـــهْ
بسورةِ الفجرِ ومَنْ صـــــلَّاه * بالبلدِ البيتِ ومنْ أعـــــلاه
بالشمسِ والليلِ الضُّحى وبألَـــمْ * إلهـي ادفَعْ كلَّ داءٍ قَدْ ألَـــمْ
بالتِّينِ والزَّيتونِ ثُمَّ بالعَلَـــقْ * أوَّلَ سُورةٍ بها النَّبي نطـــقْ
بسـورةِ القـدرِ بِفضلِ ما نَـزَلْ فيها مِنَ الوحي على خَتْمِ الرُّسُلْ
بـسورة البيِّنَـــةِ المعروفَـــهْ * بسورةِ الزَّلزلةِ الموصوفَـــهْ
بالعاديـاتِ الموريـاتِ القارِعَـــهْ * وسورةِ العصرِ التَّكاثُرِ مَعَـــهْ
بسورةِ الويـلِ لكُـلِّ هُمَـــزَه * وَذلِكَ الأخنسُ وَهو اللُّمـــزَهْ
بالفيـلِ والرِّحلـةِ والماعُـــونِ * أسأَلُكَ النصرَ على الملعـــونِ
بكوثـرِ المخصوصِ بالسِّيـــادَهْ * أسأَلُكَ الحُسْنى مـع الزِّيادَهْ
لكـي أنـالَ بعـد ذاكَ ريَّـــا * مِنْ حوضِهِ فـلا أخَـافُ غيَّـا
بسورةِ النفي وبالنصرِ المَـــسَدْ * يـا ربَّنـا وقُلْ هُوَ اللهُ أَحَـــدْ
تُلْـتُ كتابِكَ الأعزِّ في الأَثَـــرْ * أيْ سُنَّةِ المحمودِ رحمةِ البَشَرْ
ربِّي توسَّلتُ إليكَ بالفلَـــقْ * أن تمنحَ الـدَّاعي كلَّ ما سَبَـــقْ
وبالتعوُّذِ بربِّ النَّـــاسِ * من شرِّ نزعِ الآيـــسِ الوسواسِ
اجعَلْ إلهـي حسـدَ الحســودِ * وكيدَهْ في صدرهِ الموقـــودِ
واقرُنْ بذا التَّوسُّلِ الإجـــابَهْ * يا مَنْ إليهِ العَودُ والإنابَـــهْ
والحمدُ لله مُصلِّياً علـــى * محمدٍ وصحبهِ ذوي العُـــلاَ
ما أمَّ بيتَ اللهِ حـادي العِيْســِ * وروَّحَ القلبَ نسيمُ الديســِ
[١٣١] ورتَّلتْ ألسنةُ الطُّـــلاَّبِ * وَسْطَ اللَّيالي سورَ الكتـــابِ
وارتحلَتْ للجَدَثِ الأشبـــاحُ * وانتقلَـتْ للبـــرزخِ الأرواحُ

وفازَ عندكَ الذي قـــد نَظَمَـــــــهْ * بسُؤْلـــهِ وحازَ حُسْنَ الخاتِمَـهْ

وإلى الوالد رحمه الله يرجع من جهة الأم نسب الشيخ المكي ابن سيدي المصطفى ابن عزوز دفين نفطة ، لأن أمه السيدة آمنة بنت المترجم رضي الله عن جميعهم ، والشيخ المكِّي من أبطال العلم وصناديد العمل الصالح ، وله شهرة طائرة في البر الجزائري والتونسي ، وتآليفه تكتب بماء الذهب ، ومحاضراته دروس لا يستغني عنها طالب علم ، وهو الآن في الأستانة من منذ عشر سنوات ، وكان ذهابه ابتداء بقصد الحج ، ثم بلغه في أثناء الطريق أن السبيل غير مأمونة ، ومن طبعه الخوف الشديد والتأثر بكل ما يسمعه ، فحمله الحذر على تأخير الحج إلى وقته المأمون ، وزاد في السير يزور مدن الشرق إلى أن قرَّ به القرار في الأستانة ، وترك ابنيه الكامل ومصطفى ، وقد اجتمعت بالأول في الجزائر ، وتوسمت فيه أنه نسخة من والده ، إلا أنه ظهرت فيه سجية من سجايا خال أبيه ، وهي وزن الأقوال والأحوال بميزان الاعتبار ، والجواب بكلمة عن كلمات ، والتنقيب عن الحقيقة أطال الله عمره ، ومتعنا بحياته وحياة أبيه آمين .

كما يتصل به من جهة الأم العلامة الأديب الشيخ محمد الصديق بن محمد الصديق الديسي ، وهو من نوابغ العصر في تحصيل العلوم العربية الدينية والأدبية ، أدام الله وجوده ونفع به إخوانه آمين .

أما أولاده لصلبه فجامع هذا الكتاب ، وشقيقه الفقيه النبيه السيد المدني ، وأخوانا عبد القادر وأحمد ، وأخواتنا سبعة ومن أولادهن السيد محمد السعيد ابن محمد أحمد بن أبي القاسم ، وأخوه السيد النذير ، والسيد محمد أبو العلا ، وأولاد أولاد المترجم ما ينوف على العشرين نفساً ، منهم ولدي عبد الرحمن أطال الله عمر الجميع في صحة وعلم وعافية وهناء وغنى ، وأماتنا وإياهم على أحسن خاتمه .

سيِّدي الصَّادق

الوليّ الصالح والقمر الواضح ، له بركات ظاهرة ، وأحوال باهرة ، وأسرار مشتهرة ، ضريحه في الوادي معلوم يزار ، وهو من أهل القرن العاشر ، أعني أواخره ولا أدري هل بلغ الحادي عشر أم لا .

وأولاده رضي الله عنهم بدور وأهِلَّة وأعلام أجِلَّة كالفاضل الولي والصالح العلي والفقيه السني سيدي يحيى بن الموهوب ، ومثله في الفضل سيدي محمد الموهوب ، وسيدي التواتي ، والفقيه سيدي يحيى بن الواثق ، وهو في غاية الفقه ، [١٣٢] تلميذ جدنا ، وقد سمعت منه أنه رأى الشيخ خليل في النوم ، وأخذ بيده إلى أن وصل إلى الصندوق المملوء بالكتب ، فأخذ منه كتاباً وأعطاه لي فوجدته الشيخ بهرام ، وعلمت أنه أذن لي في « مختصر الشيخ خليل » ففتح الله علي بما لم يفتح به على غيري ، وقد أخبرني عمي سيدي محمد الصغير إذ هو علامة زماننا ، أنه كان يتعلم عليه المختصر ، وكان يقرىء من الأجهوري ، وأنا وبعض الطلبة أعني سيدي محمد امزيان في أيدينا الشيخ عبد الباقي والشيخ إبراهيم (الشبرخيتي) ، فكان قدس الله ضريحه يحصل الشيخ المذكور ويهذ به ويحرره ، بأن يترك المكرر منه ، كالشيخين بعده سواء بسواء إلا في عين اللفظ ومآثر سيدي الصادق وأولاده كثيرة ، نفعنا الله بهم آمين اهـ. ورتيلاني ،

صالحُ بنُ محمدٍ الزَّواوي

صالح بن محمد بن موسى ، أبو محمد الشيخ مجد الدين الحسني الزواوي ، ولد ليلة الأربعاء ثامن عشر رجب سنة ستين ، وتوفي سادس عشر رجب سنة تسع وثلاثين وثمان مئة (٨٣٩)

أبو طالبٍ الاغريسي

هو الشيخ العالم الفاضل المحقق الكامل الجامع بين الشريعة والحقيقة المجذوب السالك الطريقة سيدي الحاج علي أبو طالب بن البركة الشيخ العلامة سيدي الحاج مصطفى بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار بن الشيخ المشهور بسيدي قادة بن المختار، المقصود بالزيارة للخاص والعام، رضي الله عنه.

ولد لسنتين بقيتا من القرن الثاني عشر بعد الهجرة بمحل يقال له: كاشرو، قرب معسكر، وتوفي منتصف رمضان المعظم عام ثمانية وخمسين ومئتين وألف (١٢٥٨) بأرض أولاد ميمون، بقرب تلمسان على نحو أربع ساعات، ودفن داخل مقام شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث رضي الله عنه، بقرية العباد خارج تلمسان، بوصية منه بعد أن كان دفن بالأرض المتوفى بها جبراً من أهلها بقصد التبرك به، إذ هم من جملة خدام الدار، ثم بعد أيام سرقه أولاده ليلاً، وأخذوه إلى حيث أوصى.

كان رضي الله جامعاً بين المعقول والمنقول، والشريعة والحقيقة، مهاباً ذا صورة حسنة وهيأة مستحسنة، توفي والده وتركه في حجر أخيه الشيخ سيدي الحاج محيي الدين وسِنُّه إذ ذاك نحو الاثنتي عشرة سنة، فأتمَّ القرآن، واشتغل بطلب العلم، فقرأ النحو والفقه والحديث وغير ذلك على أخيه المذكور، وعلى الشيخ العلامة سيدي الحاج أحمد بن المكي الخروبي قاضي معسكر.

الطَّاهِرُ المختاري

منور الباطن والظاهر الفقيه السيد الطاهر حسن بن العلامة المختاري السيد السند الفقيه النجيب، الماشي في روض العلم الخصيب، الحائز من زهرة الزاهي أوفر نصيب، الذي جفاه الكسل والوسَن واكتحل بإثمد المطالعة مما يحب ويستحسن.

[١٣٣] قرأ على والده النحو، وانفرد في قراءة الفقه على الشيخ الحلوي من رحلة اهـ. المشرفي.

الطَّاهِرُ القسنطيني

طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني الشيخ الفقيه الصوفي الولي الصالح العارف بالله، نزيل المدينة المشرفة.

أخذ عن الإمام القطب سيدي أحمد زروق، وعن ولده الشيخ أحمد زروق الصغير، وانتفع بهما.

وله تآليف في التصوف «كنزهة المريد في معاني كلمة التوحيد» في ثلاثة كراريس، ورسالة «القصد إلى الله» في كراسين. وتوفي بعد الأربعين وتسع مئة (٩٤٠).

العاقِبُ بنُ عبدِ اللهِ التنبكتي

العاقب بن عبد الله الأصمني المسوفي من أهل أكداس، بلدة قريبة من بلاَد السودان عمرها صنهاجة، فقيه نبيه ذكي الفهم، حاد الذهن، وقَّاد الخاطر مشتغل بالعلم، في لسانه حدة.

له تعاليق من أحسنها تعليقه على قول خليل و«خصصت نية الحالف» حسن مفيد جداً، اختصرته مع كلام غيره في جزء سميته «تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحاليف» وألف جزءاً في وجوب الجمعة، وخالف غيره من شيوخ بلده، وراسلوا علماء مصر فصوبوه، و«الجواب المجدود عن أسئلة القاضي محمد بن محمود» و«أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير»، أجاب فيها السلطان اسفر الحاج محمد وغيرها.

أخذ عن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ، وعن الإمام السيوطي لما حج وغيرهما ، ووقع له منازعة مع الحافظ مخلوف البلبلي في مسائل .

كان حياً قريباً من الخمسين وتسع مئة اهـ. « نيل الابتهاج » .

العاقِبُ بنُ محمدِ بن عمر التنبكتي

العاقب بن محمد بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن علي بن يحيى قاضي تنبكتو.

كان رحمه الله مشدداً في أحكامه ، صلباً في الحق ثبتاً فيه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، قوي القلب مقداماً في الأمور العظام التي يتوقف فيها غيره ، جسوراً على السلطان فمن دونه ، وقع له معهم وقائع ، وكانوا يخضعون له ويطاوعونه في كل ما أراد ، إذا رأى ما يكره عزل نفسه عن القضاء ، وسد بابه ، ثم يلاطفونه حتى يرجع ، وقع له مراراً . موسعاً عليه في دنياه مجدوداً في أموره مع التحري والتوقي .

أخذ عن أبيه وعمه ، ورحل وحج ، ولقي الناصر اللقاني ، وأبا الحسن البكري ، والشيخ البسكري وتلك الطبقة ، أجازه اللقاني جميع ما يجوز له وعنه ، وأجاز كذلك هو سيدي أحمد بابا التنبكتي ، وكتب له بخطه .

[١٣٤] مولده سنة ثلاث عشرة وتسع مئة (٩١٣) ، وتوفي حادي عشر رجب عام أحد وتسعين وتسع مئة (٩٩١) .

عبدُ الحقِّ الأنصاري البجائي

الشيخ أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمير الأنصاري ، أصله من إبله ، وجده عمير هو الواصل إلى بجاية مستوطناً ، ولد ببجاية ، وقرأ بها ، ولقي مشايخ .

وكان رحمه الله روح بلده ومصره ، ووأسطة أهل زمانه وعصره ، كان يحمل فنوناً من العلم: الفقه ،والأصلان أصول الدين وأصول الفقه ،والمنطق والتصوف ، والكتابتان الشرعية والأدبية ، والفرائض والحساب ، وكان ابن مقلة زمانه ، له خطوط جميلة وأخلاق حسان لم تكن لغيره ، وكانت فيه دعابة مستحسنة مستظرفة ، وكان من أملح الناس نوادر على طريقة أمثاله من فضلاء أهل العلم والتخلق ، وكان إذا أثني عليه بحسن الخلق يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أول ما يُوضَعُ في الميزانِ الخُلُقُ الحسنِ » [1] ومن لم يكن عنده أول ما يوضع في الميزان ، لم يكن عنده غيره ، إن هذا يجري مجرى الأنفاس .

تخطط في بلده بالعدالة ، وكانت له صفَّة ، وناب عن القضاء في الأحكام مطلقاً وكان هو المشاور عندهم والمعول على ما عنده ، وكان هو القاضي على القضاة بالحقيقة ، لأن مرجع أمرهم إنما كان إليه ، وكان له باطن سليم ، سمعته رحمه الله يقول : والله ما بات قط في نفسي شر لمسلم ، فجزاه الله بنيته وعامله بالحسنى عن طويته ، وكان مُصمتاً مفوَّهاً ، حسن العبارة ، مليح الإشارة ، أربى في وثائقِه على من تقدم ، لورآه أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم لا تبعه ، ولقد رأيت الشيخ أبا محمد عبد الحق بن سبعين رحمه الله أثنى عليه في بعض كتبه ثناء حسناً ، وذكر حاله في الوثيقة ، والوثيقة مع هذا إنما

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » من حديث أم الدرداء ، وسنده ضعيف .

هي صفة من صفاته ، وأخرى من حاجاته ، ولما كانت معرفته باللسان بمواقع المعاني مجملة ومفصلة ، وبالأحكام كلية وجزئية على حال إحاطة ، تقدمت وثيقته الوثائق ، وأماطت الشبه والعلائق ، وسمعت عن الفقيه أبي المطرف ابن عميرة أنه قال : ومن طرائف أخباره ومُلَح آثاره ، مما رأيت وشهدت ، ما تصغي له الآذان ، ويسعد به الفؤاد والجَنَان ، ولقد أُجيبت فيه دعوة أبيه ، سمعت أنه لما حج دعا له حيث يجاب ، فقال : يا عبد الحق رزقك الله لفظاً وخطاً ، فكان كذلك ، وقد نظم في مدة قراءته على الشيخ أبي الحسن الحرالي القصيدة التصوفية ، وكانت من نحو خمس مئة بيت ، فلخصها له الشيخ رحمه الله في هذه الأبيات ، انتقاها منها وترك ما عداها وهي :

سفَرَتْ على وجهِ الجميلِ فأسفرا * وبدا هِلالُ الحُسْنِ منها مُقْمِرَا
ودنَتْ مكاشِفَةَ القلوبِ بأسرِها * وسقَتْ شرابَ الأنسِ منها كَوثرا
ورأيتُهَا في كلِّ شيءٍ أبصرَتْ * عيناىَ حتى عددتُ كُلِّيَ مُبْصرا
وسمعتُ نطقَ الناطقينَ فكلُّهم * بالحمدِ والتسبيحِ عنها أخْبرَا
وبها ركبتُ زواخراً مِنْ حُبِّها * ولَبِسْتُ سِرَّ السِّرِّ ثوباً أحمرا
[١٣٥] وبها فنيتُ عنِ الفناءِ وغُصْتُ في * ماءِ الحياءِ مُسَرمِدا ومُدهِّرا
في الماءِ يظهرُ كُلُّ شيءٍ كائنٍ * وبهِ يُرى مَثَلُ الوجودِ مصوَّرا
وأنا أرى في كلِّ ماءٍ ماءهُ * وأرى وراءَ الماءِ ماءً آخرا
فإذا وصلتُ به إليهِ فراجعَنْ * تلكَ المنازلَ نقلةً متفكِّرا
فمتى أردتُ إبانةً عَنْ بعضِ ما * في القلبِ مِنْ سِرٍّ مصونٍ عَبَّرا
فارفَعْ به ظُلَمَ الحِجَابِ فرفعُها * يُنجيكَ مِنْ غرسِ المنى ما أثمرا
فتراهُ حينَ تَراكَ ذاتاً رافعاً * للبُسِ حتَّى لا ترى إلا العرا
فهناكَ يَفتَحُ بابَهُ ولطالما * قَدْ كانَ قبل مبهماً متعذِّرا
افصاحُ نحوي لا تفي بمواجدي * وبيانُه لا يستقلُّ بما جَرَا

لو كانَ سِرُّ اللهِ يُكشَفُ لم يكُـــــنْ * سِرّاً ولكنْ لم يكُنْهُ لِيُذْكَـــرَا

قلتُ : وهذه القصيدة حسنة المعنى قدسية المبنى ، ولقد وقع الحديث معه في حديث مقتضياتها ، ونظم مفرداتها من دوحاتها ، وكان أكثر الناس إنصافاً في المذاكرة ، عرض عليه قضاء بجاية فامتنع منه ، ووصل إليه كتاب المستنصر بقضاء قسنطينة حرسها الله فاعتذر ، وتعطف في الاستعفاء عنه ، وسمعت كثيراً من أهل العلم يثنون عليه ويقولون : إنه لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله .

توفي رحمه الله في الثامن والعشرين لربيع الأول من عام خمسة وسبعين وست مئة (٦٧٥) ، ودفن بخارج باب المرسى ، وكان له مشهد لا يكون إلا لأمثاله ، وتأريخ وفاته في رخامة وضعت لحداً على قبره ، وكتب فيها بيتان هما من نظم الأديب الفاضل أبي نصر الجيني :

بكيتُكَ عبدَ الحقِّ حقاً لأننـــــــي * بكيتُ بكَ الدُّنيا وما في جميعِها
مِنَ الدِّينِ والافضالِ والعِلْمِ والحِجَى * وإنْ كُنْتَ زينَ الدِّينِ زهرَ ربيعِها

وكانَ رحمه الله أعلى الناس همة ، وأرفعهم منزلة ، وكان إذا أولى المعروف لا يذكره ، وربما من فعل معه لا يعلم أنه هو الفاعل له ، إنما قصده وصول النفع إلى الموصل إليه ، علم ذلك أو لم يعلمه ، ومن ذلك ما هو مشهور عند أصحابنا وهو أن القاضي أبا إسحاق ابن عياش ، رحمه الله أيام كان ببجاية ساعياً في نيل الخطة ، وعاملاً على تحصيل الحظوة ، سعيٍ في شأنه عند القاضي الجليل أبي محمد بن الطير أن يرسمه برسم العدالة ، ويقدمه للشهادة فطلبه أن يكتب فيه رسما يتأهله لذلك ، تحوطاً منه فكتب رسماً وشهد فيه ، وشهد معه شاهد آخر استكتمه الفقيه في ذلك ، وأعطى الرسم للقاضي فأذن له في الشهادة ، وبقي القاضي مدة بقائه بها ، وانفصل إلى افريقية ،

وانتقل أيضاً أبو إسحاق ابن عياش إلى حاضرة تونس واستوطنها ، وكان أحد
[١٣٦] عدولها المنتصبين للوثيقة بها ، وتوفي القاضي أبو محمد ابن الطير بعد مدة بتونس ، ووقع الحضور لتركته ، وحضر لها شهيدان لا نعلم هل القاضي أبو إسحاق واحد منهما ، فوجد الرسم في تركته واطلّع عليه القاضي ابن عياش فتعجب كل العجب ، وأثنى عليه الشيخ رحمه الله بما وجب ، وقال : والله ما شعرت بهذا قط ولا عرفت ودخلت عليه ، رحمه الله ، في مرضه الذي توفي فيه ، فتألمت لألمه وذرفت عيناي لما اعتراه من سقمه ، فقال لي : يا فلان والله ما بي موتي ، وإنما بي ما قاله أفلاطون لأصحابه لما حضرته الوفاة ، وحضروا عنده قال : والله ما بي أن أموت ، وإنما بي أن أموت ولم أرق بأصحابي إلى مراقيهم التي اقتضتها صفاتهم ، واستحقتها ذواتهم ، فشكرته على ذلك ، وعاقه الأمل بالحياة وطول البقاء إلى أن يوفي لأصحابه ، بما جبلت عليه نفسه الكريمة من الوفاء اهـ. من «عنوان الدراية» باختصار.

واختصره في «نيل الابتهاج» بما نصه : عبد الحق بن ربيع بن أحمد الأنصاري ، ولد ببجاية ، وقرأ بها على مشايخ ، وكان روح بلده ومصره ، وواسطة نظام أهل عصره ، عنده فنون من العلم من فقه وأصلين ومنطق وتصوف والكتابتين الشرعية والأدبية ، حسن الخلق إذا أثنى عليه به يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أوَّلُ ما يُوضَعُ في الميزانِ الخُلُقُ الحَسَنُ»[1] ومن لم يكن عنده أول ما يوضع في ميزانه لم يكن عنده غيرهُ لأنه الأساس .

ناب عن القضاة في الأحكام ، وهو المشاور عندهم والمعول عليه ، بل هو القاضي على القضاة في الحقيقة لرجوعهم إليه ، كان سليم الباطن سمعته يقول :

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة ٢٠١ .

والله ما بت قط في نفسي شر لمسلم ، جزاه الله عن نيته ، وكان مفوهاً حسن العبارة ، عرض عليه قضاء بجاية فامتنع ، توفي ثامن وعشري ربيع الأخير سنة خمس وسبعين وست مئة (٦٧٥) ببجاية .

سيدي عبدُ الرحمنِ باش تارزي القسنطيني

العلامة الفهامة الولي الهمام الشيخ السيد الحاج عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة ابن مامش باش تارزي الجزائري منشأ القسنطيني داراً ، ناشر الطريقة الرحمانية في قسنطينة .

كان وحيد دهره علماً وحكمة واتقاناً وصلاحاً ، ومن مؤلفاته « عمدة المريد » في بيان الطريقة ، لم ينسج ناسج على منوالها ، و« منظومة الرحمانية » التي شرحها ابنه الشيخ مصطفى ، وله بعض قصائد وموشحات غريبة ، وغُنية المريد شرح نظمه مسائل التوحيد ، وهي ٤٥ مسألة ، وفي شرحها من التحقيق ما يدل على أن الشيخ يتكلم عن بصيرة وعلم لَدُني ، وأحسن ما علق بذهني منه أن للهيللة ذكرين شرعي واصطلاحي ، والشرعي له شروط عربية لغوية ونحوية وتجويدية ، والاصطلاحي ليس له إلا شرط واحد قلبي ، وهو استحضار المعنى عند ذكر الكلمة المشرفة ، سواء حصل الشرط العربي أو لم يحصل ، [١٣٧] وبهذا التقرير يرجع اللوم على من أبطل ذكر العوام أو الأمة .

وفي « الروض الباسم »[1] : صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الفاخرة ، والحقائق الباهرة ، والعلوم اللدنية والمعاني النورانية ، والفتح الموثق والكشف المشرق ، والباع الطويل ، والإيضاح عن حقائق الآيات ، والنظر الخارق

---

(١) في ترجمة الأستاذ سيدي محمد بن أبي القاسم لابن أخيه العلامة سيدي محمد بن الحاج محمد الطاملي .

لعرائس المغيبات ، والمجلس العالي في حضرة القدس ، والمقر السامي في أرائك الأنس ، والمنهاج الموطوء على متن الملكوت إلى ملك الجبروت ، وله اليد البيضاء في معاني المشاهدات وعلوم المنازلات ، وهو أحد من أظهره الله إلى الوجود ، وصرفه في الكون ، وخرق له العادات ، وأجرى على لسانه الحكم ، ومكنه من الأحوال في النهاية ، وملكه أسرار الولاية ، ونصبه حجة وقدوة ، وهو أحد أركان هذا الشأن علماً وعملاً وزهداً وتحقيقاً ورئاسة وجلالة اهـ.

وتوفي رحمه الله سنة ١٢٢٢ أو ١٢٢١ .

عبدُ الرَّحمنِ بنِ محمدٍ الجزائري

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح ، الشيخ الفقيه النحوي الأستاذ اللغوي العدل الرضى ، أصله من الجزائر ، ورحل إلى إشبيلية ، وقرأ بها ، ولقي أبا الحسن بن زرقون ، وأبا بكر بن طلحة ، وأبا عبد الله محمد بن علي بن طرفة ، وغير هؤلاء .

وروى وحصَّل ، وأجاز له أبو الحسن بن زرقون إجازة خاصة وعامة ، فيما نص عليه وعيَّنه ، وعامة فيما لم يعينه حسبما اقتضى ذلك كله ، رسم إجازته له وكتب له بذلك بخط يده ، وذلك في عقب ذي القعدة سنة خمس عشرة وست مئة (٦١٥) ، وهو أول من أدخل كتاب « الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار » إلى العدوة نسخة بخط يده ، وكان بارع الخط حسن الضبط ، استوطن بجاية وأقرأ بها ، وتخطط بالعدالة وناب عن القضاة في الأنكحة .

وكان فاضلاً خيراً مرضياً ، ويتصل إسناد الغبريني صاحب « عنوان الدراية » عنه عن شيخه أبي عبد الله القلعي عنه ، عن أبي الحسين بن زرقون ، عن أشياخه رحمهم الله ، وتوفي سنة تسع وعشرين وست مئة (٦٢٩) .

ابن الوقَّاد
عبدُ الرَّحمنِ بن محمد التلمساني

العلامة المحدث أبو زيد عبد الرحمن بن محمد التلمساني عرف بابن الوقاد .

كان رحمه الله إماماً مشاركاً في عدة فنون ، منقطع القرين في خفض الجناح ولين الجانب ، ولي مكان أبيه وتصدر للتدريس بمدينة تارودانت ، فكان عليه المدار فيها .

أخذ عن أبيه ، وسيدي أحمد بابا السوداني ، وأبي عثمان سعيد الهوزالي ، ومن أشياخه أيضاً إمام الدين الخليلي ، وافد المشرق على الإيالة المنصورية ، [١٣٨] وكان الخليلي جال في البلاد ولقي المشايخ بالحجاز ومصر والشام ، وسكن القسطنطينية مدة ، ومنها انتقل لمراكش ، فنزلها قال أبو زيد : أنشدني الخليلي قال : أنشدني أبو البركات العطوي لنفسه :

عن النبيِّ أتانا مَنْ رأى امـــــــرأةً * فحلَّ في قلبهِ للحُسْنِ موقعُهَا
أنْ يأتي زوجتَهُ وليقـضِ حاجَتَـــهُ * فانَّ ما معها هوَ الذي معهـا

توفي الخليلي في رجوعه من تارودانت بمراكش قتيلاً بالطريق سنة ٩٩٩ ، ووقعت بين صاحب الترجمة وبين الإمام أبي زيد التنمارتي منازعة في مكتب ، فاستخفه صاحب الترجمة ، فقام في ذلك أبو زيد التنمارتي ، وقعد وأبرق وأرعد ، ولم يكتف بالتخطية حتى خرج للمشاتمة حسبما في فوائده ، والله يسامح الجميع بمنه ، وقد تقرر في علم الحديث أن كلام الأقران بعضهم في بعض لا يقدح ، ولصاحب الترجمة أيضاً مراجعة مع القاضي أبي مهدي السجستاني في أرض تارودانت ، هل يصح تملكها أم لا ؟ حسبما

يوقف عليه في أسئلة أبي مهدي المذكور توفي رحمه الله عام ١٠٥٧ .

أبو يحيى
عبدُ الرَّحمنِ بنِ محمدِ التلمساني

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني المشهور بأبي يحيى الشريف الإمام العلامة المحقق الأعرف ابن الإمام العلامة المحقق أبي عبد الله الشريف .

كان من الآيات في القيام بتحقيق العلوم والاتقان لها ومعرفتها ، محققاً نظاراً حجة ، قال الإمام أبو العباس : الإمام العلامة الأوحد شريف العلماء وعالم الشرفاء آخر المفسرين من علماء الظاهر والباطن ابن العلماء الأئمة اهـ. وقال بعضُ من عَرَف به وبأبيه وأخيه : ولد آخر ليلة التاسع عشر من رمضان عام سبعة وخمسين وسبع مئة ، وبشر به أبوه في منامه كأخيه ، وكان ليلة مولده بات مع أبيه الفقيه أبو زيد بن خلدون ، والقاضي أبو يحيى بن السكاك ، فطلب منه كل أن يسميه باسمه فسماه عبد الرحمن ، وكناه أبا يحيى ، وكان يحبه أبواه شديداً ، ويتفرس فيه أبوه .

قرأ عليه ابن الحاجب الأصلي و« الموطأ » ، وحفظ ودرس في حياته ، ثم لما مات أخذ عن أخيه علوماً جمة ، وقرأ عليه كتباً كثيرة ، وعلى العالم الصالح أبي عثمان العقباني أصلي ابن الحاجب ، وجمل الخونجي ، وحضر عليه في التفسير ، وعلى الأستاذ الصالح ابن حياتي الغرناطي المقرب ، والزجاج ، وسمع من الشيخ العالم أبي القاسم بن رضوان « صحيح مسلم » « و« شفاء عياض » وأجازه .

وجدّ في الطلب حتى ارتفع قدره وتعجب منه الأشياخ ، ولقد سمعت

شيخنا الفقيه الصالح أبا يحيى المطغري يقول : حضرت مجالس العلماء شرقاً وغرباً فما رأيت ولا سمعت مثل أبي عبد الله وولديه . ولما مرض أخوه عبد
[١٣٩] الله أمره بالجلوس في موضعه للإقراء ، فامتنع تأدباً حتى عزم عليه . فساعفه سنة أربع وثمانين ، وبلغ الغاية في العلم والنهاية في المعارف الإلٰهيـة . وارتقى مراقي الزلفى ، ورسخ قدمه في العلوم ، وناهيك بكلامه في أول سورة الفتح . ولما وقف عليه أخوه عبد الله كتب عليه : وقفت على ما أولتموه وفهمت ما أردتموه ، فألفيته مثبتاً على قواعد التحقيق والإيقان ، مؤدياً صحيح المعنى بوجه الإبداع والإتقان ، بعد مطالعة كلام المفسرين ، ومراجعة الأفاضل المتأخرين ، وتلك شنشنة أعرفها من أخزم اهـ ملخصاً .

قال ابن مرزوق الحفيد : توفي سيدنا الشريف العلامة أبو يحيى مع الفجر سادس وعشري رجب عام ستة وعشرين وثمان مئة (٨٢٦) اهـ.

أخذ عنه جماعة كالشيخ أبي زيد الجادري ، والعلامة بن زاغو ، وأثنى عليه غاية وأعتمد عليه ، والشيخ أبي عبد الله القيسي ، وكان قد دخل فاس ، وأقرأ بحضرة سلطانها وفقهائها رحمه الله .

عبدُ الرحمنِ وعيسى
ابنا الإمامِ الشريفِ التلمساني

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الإمام أبو زيد الإمام العلامة الجليل الكبير المجتهد الشهير هو وأخوه شقيقه أبو موسى عيسى بابني الإمام ، التلمسانيان الصالحان الراسخان ، والعَلَمان الشامخان ، المشهوران شرقاً وغرباً ، الحافظان العلامتان .

ذكرهما ابن فرحون في « الديباج » قال : أبو زيد شيخ المالكية بتلمسان : العلامة الأوحد أكبر الأخوين المشهورين بأولاد الإمام التنسي البركشي ، وهما

فاضلا المغرب في وقتهما ، وكانا خصيصين بالسلطان أبي الحسن المريني ، تخرج بهما كثير من الفضلاء ، لهما التصانيف المفيدة والعلوم النفيسة ، توفي أبو زيد سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة (٧٤٣) اهـ.

قال تلميذهما الإمام المقَّري : كانا رحلا في شبابهما من بلدهما تلمسان إلى تونس ، فأخذا بها عن ابن العطار ، والبطرني ، وتلك الطبقة ، وأدركا المرجاني من أعجاز المئة السابعة ، ثم وردا في أول المئة الثامنة تلمسان على أمير المومنين ، وهو محاصر لها ، وفقيه حضرته يومئذ أبو الحسن علي بن يخلف التنسي ، ورحل الفقيهان إلى المشرق في حدود العشرين وسبع مئة ، فلقيا علاء الدين القونوي ، وكان بحيث يقال : لا نظير له ، ولقيا أيضاً الجلال القزويني صاحب « التلخيص » ، وسمعا البخاري على الحجار ، وقد سمعت عليهما ، وناظرا التقي بن تيمية فظهرا عليه ، وكان ذلك من أسباب محنته ، وكانت للتقي المذكور مقالات شنيعة ، من حمل حديث النزول على ظاهره ، وقوله فيه كنزولي هذا .

[١٤٠] قلت : وهذه الزيادة أعني قوله كنزولي هذا أثبتها عليه ابن بطوطة ، فذكر في « رحلته » أنه حضر ابن تيمية يوماً ، وهو على المنبر فذكر حديث النزول ثم قال : كنزولي هذا فنزل عن درجة المنبر إلى التي تحتها اهـ. نعوذ بالله من تلك المقالة ، ومنهم من قال : لم يثبت عنه ، والله أعلم .

قال المقَّري : وكانا يذهبان إلى الاجتهاد وترك التقليد ، وحسبك ما صار لهما من الصيت بالمشرق ، ولما حللت بيت المقدس ، وعرف مكاني من الطلب ، وتناظرت مع بعضهم أتى إلي بعض المغاربة فقال لي : إن مكانك في النفوس مكين ، وقدرك عندهم رفيع ، وأنا أعلم أخذك عن ابني الإمام فإن سئلت

فانتسب إليها ، وقل سمعت منهما ، وأخذت عنهما ولا تعدل عنهما فتضع من قدرك ، فما أنت عند هؤلاء الناس إلا خليفتهما ، وإن الأمر وفقهما .

قال المقّري : وكان أبو زيد رحمه الله من العلماء الذين يخشون الله ، حدثني أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان أن والده أمير المؤمنين أبا الحسن ندب الناس إلى الإعانة بأموالهم على الجهاد ، فقال له أبو زيد : لا يصلح لك هذا حتى تكنس بيت المال وتصلي فيه ركعتين كما فعل علي بن أبي طالب ، قال : وكان أبو زيد يقول فيما جاء من الأحاديث من معنى قول الرسالة : وإذا سلم الإمام فلا يثبت ، ولينصرف : أنه بقدر ما يسلم من خلفه لِئَلّا يمر بين يديه أحد ، وقد ارتفع حكمه ، فيكون كالداخل مع المسبوق جمعا بين الأدلة ، قال المقّري : وهذا من مليح الفقه .

قال ابن خلدون في « التاريخ الكبير » : ابنا الإمام كانا أخوين من أهل برشك من عمالة تلمسان ، أكبرهما أبو زيد ، وأبوهما إمام برشك قتله المتغلب يومئذ على البلد زيري بن حماد ، لاتهامه بوديعة من مال بعض أعدائه طالبه بها فامتنع ، وارتحل ولداه إلى تونس آخر المئة السابعة فقرأ العلم بها
[١٤١] على تلاميذ ابن زيتون ، وتفقها على أصحاب أبي عبد الله بن شعيب الدكالي ، وانتقلا للمغرب بحظ وافر من العلم ، فأقاما بالجزائر يبثان العلم بها لامتناع برشك عليهما من أجل متغلبها زيري ، والسلطان أبو يعقوب صاحب المغرب الأقصى محاصر يومئذ لتلمسان حصاره الطويل ، قد غلب على نواحيها ، فارتحلا إلى مليانة فقربهما منديل الكناني ، واتخذهما لتعليم ولده ، ثم هلك يوسف بن يعقوب صاحب المغرب سنة خمس وسبع مئة ، فملك واصطلح مع صاحب تلمسان ، فعاد للمغرب مع الكناني هذان الأخوان ، فأوصلهما إلى أبي حمو ، وأثنى عليهما فاغتبط بهما أبو حمو ، واختط لهما المدرسة

بتلمسان . فأقاما عنده على هدى أهل العلم وسننهم ، ثم مع ابنه أبي تاشفين إلى أن ملك أبو الحسن تلمسان سنة سبع وثلاثين ، وكانت لهما من الشهرة في أقطار المغرب ما أثبت لهما في أنفس الناس عقيدة صالحة ، فأدناهما وأشار بتكرمتهما . ورفعهما عن أهل طبقتهما ، وأجمل مجلسه بهما ، وحضرا معه واقعة طريف . وعادا لبلدهما فتوفي أبو زيد وتبوأ أبو موسى الكرامة ، ثم صحبه إلى إفريقية سنة ثمان وأربعين مكرماً موقراً عالي المحل قريب المجلس ، فلما استولى على افريقية سرحه إلى بلده ، فأقام يسيراً ، ومات في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين . وبقي أعقابهما بتلمسان في تلك الكرامة طبقاً عن طبق إلى هذا العهد اهـ.

قال المقَّري رحمه الله : شهدت مجلساً بين يدي السلطان أبـي تاشفين عبد الرحمن موسى قرىء فيه على أبي زيد بن الإمام حديث « لقِّنُوا موتاكم لا إلهَ إلاَّ الله » [1] فقال له الأستاذ أبو إسحاق ابن حاكم السلوى : هذا الملقن محتضر حقيقة ميت مجازاً ، فما وجه ترك محتضركم إلى موتاكم ، والأصل الحقيقة ؟ فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنع به ، وكنت قرأت على الأستاذ بعض التنقيح ، فقلت : زعم القرافي : أن الشيء إنما يكون حقيقة في الحال مجازاً في الاستقبال ، مختلفاً فيه في الماضي إذا كان محكوماً به ، أما إذا كان متعلق الحكم كما هنا فهو حقيقة مطلقاً إجماعاً ، وعلى هذا لا مجاز ، لا يقال : احتج عليه بما فيه نظر لأنا نقول : إنه نقل الإجماع وهو أحد الأربعة التي لا يطالب مدعيها بالدليل كما ذكره هو ، بل نقول : أساء حيث احتج في موضع الوفاق ، ثم إنا لو سلمنا نفي الإجماع فلنا أن نقول ذلك إشارة إلى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة ، لأن تلقينه قبل ذلك إن لم يدهش فقد يوحش ،

(١) أخرجه مسلم (٩١٦) وأبو داود (٣١١٧) والترمذي (٩٧٦) والنسائي ٤/٥ من حديث أبي سعيد الخدري ، وأخرجه مسلم (٩١٧) من حديث أبي هريرة .

فهو تنبيه على محل التلقين أي : لقنوا من تحكمون بأنه ميت ، أو نقول : إنما عدل إلى الاختصار لما فيه من الإبهام اهـ. بنقل ابن الخطيب في « الإحاطة »

[١٤٢] قلت : ومن تآليف أبي زيد شرحه على ابن الحاجب الفرعي ، ولا أدري هل كمُل أم لا .

وأخذ عنهما جماعة من الأئمة لا يحصون كالشريف التلمساني ، والمقَّري ، وأبي عثمان العقباني ، والخطيب ابن مرزوق الجد ، وأبيه ، وعمه ، وأبي عبد الله اليحصبي في آخرين ، وقال أبو العباس الونشريسي : وأما بنوا الإمام فأعلاهم طبقة الشيخان الراسخان الشامخان العَلَمان المفتيان الشقيقان الفقيه العلامة آخر صدور أعلام المغرب بشهادة أهل الانصاف شرقاً وغرباً أبو زيد ، والعلامة النظار آخر أهل النظر ، وجامع أشتات المعارف أبو موسى ابنا الإمام ، ثم الشيخ أبو سالم إبراهيم بن أبي زيد ، وابن عمه الشيخ الصالح أبو محمد عبد الحق بن أبي موسى ثم العلامة القاضي الرحال أبو الفضل بن أبي سالم ، لم يبق لهما الآن عقب بتلمسان إلا صاحبنا وتلميذه الخير الفاضل أبو العباس أحمد بن أبي الفضل المذكوراه.

قال المقَّري : ذكر لسان الدين رحمه الله تعالى في « الإحاطة » شيوخ مولانا الجد ، فلنذكرهم من جزء الجد الذي سماه « نظم اللآلى في سلوك الأمالي » ومنه اختصر لسان الدين ما في « الإحاطة » في ترجمة مشيخته فنقول : قال مولاي الجد رحمه الله تعالى فممن أخذت عنه ، واستفدت منه عَلَماها يعني تلمسان الشامخان وعالماها الراسخان أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله ابن الإمام ، وكانا قد رحلا في شبابهما من بلدهما برشك إلى تونس ، فأخذا بها عن ابن جماعة ، وابن العطار ، واليفرني ، وتلك الحلبة ، وأدركا المرجاني ، وطبقته من أعجاز المئة السابعة ، ثم وردا في أول المئة الثامنة تلمسان على أمير المسلمين أبي يعقوب ، وهو محاصر لها ،

وفقيه حضرته يومئذ أبو الحسن علي بن يخلف التنسي . وكان قد خرج إليه برسالة من صاحب تلمسان المحصور ، فلم يعد وارتفع شأنه عند أبي يعقوب حتى إنه شهد جنازته ، ولم يشهد جنازة أحد قبله ، وقام على قبره . وقال : نِعْمَ الصاحب فقدنا اليوم حدثني الحاج الشيخ بعباد تلمسان أبو عبد الله محمد ابن محمد بن مرزوق العجيسي أن أبا يعقوب طلع إلى جنازة التنسي في الخيل حوالي روضة الشيخ أبي مدين فقال : كيف تتركون الخيل تصل إلى ضريح الشيخ ؟ هلاَّ عرضتم هنالك خشبة وأشار إلى حيث المعراض الآن . ففعلنا فلما قتل أبو يعقوب ، وخرج المحصوران أنكرا ذلك ، فأخبرتهما ، فأما أبو زيان . وكان السلطان يومئذ ، فنزل وطأطأ رأسه ودخل . وأما أبو حمو وكان أميراً فوثب خلفها ، ولما رجع الملك إلى هذين الرجلين اختصا بابني الإمام ، وكان أبو حمو أشد اعتناء بهما ، ثم بعده ابنه أبو تاشفين ، ثم زادت حظوتهما عند أمير المسلمين أبي الحسن ، إلى أن توفي أبو زيد في العشر الأوسط من رمضان عام أحد وأربعين وسبع مئة (٧٤١) بعد وقعة طريف بأشهر ، فزادت مرتبة أبي موسى عند السلطان إلى أن كان من أمر السلطان بافريقية ما كان في أول عام
[١٤٣] تسعة وأربعين (٧٤٩) ، وكان أبو موسى قد صدر عنه قبل الوقعة ، فتوجه صحبة ابنه أمير المسلمين أبي عنان إلى فاس ، ثم رده إلى تلمسان وقد استولى عليها عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان ، فكان عنده إلى أن مات الفقيه عقب الطاعون العام ، قال خطيب الحضرة الفاسية أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن عبد الله الرندي : لما أزمع الفقيه ومَنْ أطلق معه على القفول إلى تلمسان بتُّ على تشييعهم فرأيتُني كأني نظمتُ هذا البيت في المنام وعندَ وداعِ القومِ ودَّعتُ سلوتـــي * وقلتُ لها : بِيني فأنتِ المودَّعُ

فانتبهت وهو في فيَّ ، فحاولت قريحتي بالزيادة عليه فلم يتيسر لي مثله ، ولما استحكم ملك أبي تاشفين واستوثق ، رحل الفقيهان إلى المشرق في حدود

العشرين وسبع مئة ، فلقيا علاء الدين القونوي ، وكان بحيث إني لما رحلت فلقيت أبا علي حسين بن حسين ببجاية قال لي : إن قدرت أن لا يفوتك شيء من كلام القونوي حتى تكتب جميعه فافعل ، فإنه لا نظير له . ولقيا أيضاً جلال الدين القزويني صاحب « البيان » وسمعا « صحيح البخاري » على الحجار . وقد سمعته أنا عليهما ، وناظرا تقي الدين بن تيمية وظهرا عليه ، وكان ذلك من أسباب محنته ، وكانت له مقالات فيما يذكر ، وكان شديد الإنكار على الإمام فخر الدين ، حدثني شيخي العلامة أبو عبد الله الإبلي أن عبد الله بن إبراهيم الزموري أخبره أنه سمع ابن تيمية ينشد لنفسه :

محصِّلٌ في أصول الدينِ حاصِلُـــهُ * مِنْ بعدِ تحصيلهِ علمٌ بلا دينِ
أصلُ الضَّلالةِ والإفـكِ المبينِ فمـــا * فيهِ فأكثَرُهُ وحيُ الشَّياطيـــنِ

قال وكان في يده قضيب فقال : والله لو رأيته لضربته بهذا القضيب ، هكذا ثم رفعه ووضعه ، وبحسبك ما طار لهذين الرجلين من الصيت بالمشرق ، وإني لما حللت بيت المقدس ، وعرف به مكاني من الطلب ، وذلك أني قصدت قاضيه شمس الدين بن سالم ليضع لي يده على رسم استوجب به هنالك حقاً ، فلما اطلعت عليه عرَّفه بي بعض من معه ، فقام إلي حتى جلست ثم سألني بعض الطلبة بحضرته ، فقال لي : إنكم معشر المالكية تبيحون للشامي يمر بالمدينة أن يتعدى ميقاتها إلى الجحفة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن عَيَّن المواقيت لأهل الآفاق : « هُنَّ لَهُنَّ ولِمَنْ مرَّ عليهنَّ مِنْ غيرِ أهلِهِنَّ »[1]

(١) أخرجه البخاري ٣٠٧/٣ في الحج : باب مهل أهل الشام ، وباب مهل أهل مكة للحج والعمرة ، وباب مهل من كان دون المواقيت ، وباب مهل أهل اليمن ، وباب دخول الحرم ومكة بغير إحرام ، ومسلم (١١٨١) في الحج : باب مواقيت الحج والعمرة ، من حديث ابن عباس قال : وقت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ، ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرنَ المنازل ، ولأهل اليمن يلملم ، قال : « فهن لهن ، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ، ممن أراد الحج والعمرة ، فمن كان دونهن فمن أهله ، وكذا فكذلك ، حتى أهلُ مكة يهلون منها » (ش) .

وهذا قد مرَّ على ذي الحليفة ، وليس من أهله ، فيكون له ، فقلت له : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من غير أهلهنَّ » أي من غير أهل المواقيت ، وهذا سلب كلي ، وإنه غير صادق على هذا الفرد ضرورة صدق نقيضه ، وهو الإيجاب الجزئي عليه ، لأنه من بعض أهل المواقيت قطعاً ، فلما لم
[١٤٤] يتناوله النص رجعنا إلى القياس ، ولا شك أنه لا يلزم أحداً أن يحرم قبل ميقاته وهو يمر به ، لكن من ليس من أهل الجحفة لا يمر بميقاته إذا مر بالمدينة ، فوجب عليه الإحرام من ميقاتها بخلاف أهل الجحفة ، فإنها بين أيديهم ، وهم يمرون عليها ، فوقعت من نفوس أهل البلد بسبب ذلك ، فلما عرفت أتاني آت من أهل المغرب فقال لي : تعلم أن مكانك في نفوس أهل هذا البلد مكين ، وقدرك عندهم رفيع ، وأنا أعلم انقباضك عن ابني الإمام ، فإن سُئلت فانتسب لهما ، فقُلْ : سمعت منهما ، وأخذت عنهما ، ولا تظهر العدول عنهما إلى غيرهما فتضع من قدرك ، فإنما أنت عند هؤلاء الناس خليفتهما ووارث علمهما ، وأن لا أحد فوقهما ، وليس لما تبني يد الله هادم .

وشهدت مجلساً بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن ابن أبي حم ذكر فيه أبو زيد بن الإمام أن ابن القاسم مقلِّد مقيد النظر بأصول مالك ، ونازعه أبو موسى عمران بن موسى المَشدَّالي ، وادعى أنه مطلق الاجتهاد ، واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه ويبلغه عنه لما ليس من قوله ، وأتى من ذلك بنظائر كثيرة ، قال : فلو تقيد بمذهبه لم يخالفه لغيره ، فاستظهر أبو زيد بنص لشرف الدين التلمساني مثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر إلى مذهب مالك ، والمزني إلى الشافعي ، فقال عمران : هذا مثال والمثال لا تلزم صحته ، فصاح به أبو موسى بن الإمام ، وقال لأبي عبد الله بن أبي عمرو : تكَّلمْ ، فقال : لا أعرف ما قال هذا الفقيه ، والذي أذكره من كلام أهل العلم أنه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل ، فقال أبو موسى للسلطان : هذا كلام

أصولي محقق ، فقلت لهما وأنا يومئذ حديث السن : ما أنصفتما الرجل ، فإن المُثُل كما تؤخذ على جهة التحقيق ، كذلك تؤخذ على جهة التقريب ، ومن ثم جاء ما قاله هذا الشيخ أعني ابن أبي عمرو ، وكيف لا وهذا سيبويه يقول : وهذا مثال ، ولا يتكلم به ، فإذا صح أن المثال قد يكون تقريبياً ، فلا يلزم صحة المثال ولا فساد الممثل لفساده ، فهذان القولان من أصل واحد .

وشهدت مجلساً آخر عند هذا السلطان قرىء فيه على أبي زيد بن الإمام حديث « لقِّنُوا موتاكم لا إلهَ إلاَّ الله »[1] في « صحيح مسلم » فقال له الأستاذ أبو إسحاق بن حكم السلوي هذا الملقن محتضر حقيقة ميت مجازاً ، فما وجه ترك محتضريكم إلى موتاكم والأصل الحقيقة ؟ فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه ، وكنت قد قرأت على الأستاذ بعض التنقيح ، فقلت : زعم القرافي أن المشتق إنما يكون حقيقة في الحال مجازاً في الاستقبال ، مختلفاً فيه في الماضي إذا كان محكوماً به ، أما إذا كان متعلق الحكم كما هنا فهو حقيقة مطلقاً إجماعاً وعلى هذا التقرير لا مجاز فلا سؤال ، لا يقال : إنه احتج على ذلك بما فيه نظر ، لأنا نقول : إنه نقل الإجماع وهو أحد الأربعة التي لا يطالب مدعيها بالدليل كما ذكر أيضاً ، بل نقول : إنه أساء حيث احتج في موضع الوفاق كما أساء اللخمي وغيره في الاحتجاج على وجوب الطهارة ونحوها ، بل هذا

[١٤٥] أشنع لكونه مما علم من الدين بالضرورة ، ثم إنا لو سلمنا نفي الإجماع فلنا أن نقول : إن ذلك إشارة إلى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة ، لأن تلقينه قبل ذلك إنْ لم يدهش فقد يوحش ، فهو تنبيه على وقت التلقين ، أي لقنوا من تحكمون بأنه ميت ، أو نقول إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الإبهام ألا ترى اختلافهم فيه ، هل أُخذ من حضور الملائكة ، أو حضور الأجل أو حضور الجلاس ؟ ولا شك أن هذه حالة خفية يحتاج في نصبها دليلاً على

(١) سبق تخريجه في الصفحة ٢٠٤ .

الحكم إلى وصف ظاهر يضبطها ، وهو ما ذكرناه ، أو من حضور الموت وهو أيضا مما لا يعرف بنفسه بل بالعلامات ، فلما وجب اعتبارها وجب كون تلك التسمية إشارة إليها ، والله تعالى أعلم .

كان أبو زيد يقول فيما جاء من الأحاديث من معنى قول ابن أبي زيد : وإذا سلم الإمام فلا يثبت بعد سلامه ولينصرف : إن ذلك بعد أن ينتظر بقدر ما يسلم من خلفه لئلاً يمر بين يدي أحد ، وقد ارتفع عنه حكمه ، فيكون كالداخل مع المسبوق جمعاً بين الأدلة ، قلت : وهذا من ملح الفقيه ، واعترض عند أبي زيد قول ابن الحاجب : ولبن الآدمي والمباح طاهر ، بأنه إنما يقال في الآدمي لبان ، فأجاب بالمنع ، واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللَّبنُ للفَحْلِ »[1] وأجيب بأن قوله ذلك لتشريكه المباح معه في الحكم ، لأن اللبان خاص به ، وليس موضع تغليب لأن اللبان ليس بعاقل ولا حجة على تغليب ما يختص بالعاقل .

تكلم أبو زيد يوماً في مجلس تدريسه في الجلوس على الحرير ، فاحتج إبراهيم السلوي للمنع بقول أنس : فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس ، فمنع أبو زيد أن يكون إنما أراد باللباس الافتراش فحسب ، لاحتمال أن يكون إنما أراد التغطية معه أو وحدهـــا ، وذكر حديثاً فيه تغطية الحصير فقلت : كلا الأمرين يسمى لباساً ، قال الله عزوجل : ﴿ هُنَّ لِباسٌ لَكُم وأنتُم لِباسٌ لهُنَّ ﴾[2] وفيه بحث .

كان أبو زيد يُصحِّف قول الخونجي في الجمل والمقارنات التي يمكن اجتماعه معها فيقول : والمفارقات ، ولعله في هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للأصمعي لما قرأ عليه :

---

(١) انظر البخاري ١٢٩/٩ ، باب لبن الفحل بشرح « فتح الباري »

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

وغَرَرْتَني وزعمـــــتَ أنَّـــ * ـكَ لابنٌ بالصَّيفِ تـامِـــرْ

فقال : أنت في تصحيفك أشعر من الحُطيئة ، أو كما حكي عمن صلى بالخليفة في رمضان ، ولم يكن يومئذ يحفظ القرآن ، فكان ينظر في المصحف . فصحف آيات : صنعة الله ، أصيب بها من أساء ، إنما المشركون نحس ، وعدها إياه ، تقية الله خير لكم ، هذا إن دعوا للرحمن ولداً ، لكل امرىء في منهم يومئذ شأن يعنيه ، وسمعت أبا زيد يقول : إن أبا العباس الغماري التونسي أول من أدخل معالم الإمام فخر الدين للمغرب ، وبسبب ما قفل به من الفوائد رحل أبو القاسم بن زيتون ، وسمعته يقول : إن ابن الحاجب ألف كتابه الفقهي من ستين ديواناً ، وحفظت من وجادة أنه ذكر عند أبي عبد الله ابن قطرال المراكشي أن ابن الحاجب اختصر الجواهر ، فقال : ذكر هذا لابن عمرو حين فرغ منه فقال أهل ابن شأس اختصر كتابي ، قال ابن قطرال : وهو أعلم بصناعة التأليف من ابن شأس ، والانصاف أنه لا يخرج عنه ، وعن ابن بشير إلا في الشيء اليسير ، فهما أصلاه ومعتمداه ، ولا شك أن له زيادات وتصرفات ، تنيء عن رسوخ قدمه وبعد مداه .

[١٤٦]

وكان أبو زيد من العلماء الذين يخشون الله ، حدثني أمير المومنين المتوكل ابن عنان أن والده أمير المسلمين أبا الحسن ندب الناس إلى الإعانة بأموالهم على الجهاد فقال له أبو زيد : لا يصح لك هذا حتى تكنِسَ بيت المال ، وتصلي ركعتين كما فعل علي بن أبي طالب ، وسأله أبو الفضل ابن أبي مدين الكاتب ذات يوم عن حاله ، وهو قاعد ينتظر خروج السلطان ، فقال له : أما الآن فأنا مشرك ، فقال : أعيذُكَ من ذلك ، فقال : لم أُرد الشرك في التوحيد ، لكن في التعظيم والمراقبة ، وإلاَّ فأي شيء جلوسي ههنا .

والشيء بالشيء يذكر ، قمتُ ذات يوم على باب السلطان بمراكش فيمن

ينتظر خروجه ، فقام إلى جانبي شيخ من الطلبة ، وأنشدني لأبي ابن خطاب رحمه الله تعالى :

أبصرتُ أبوابَ الملوكِ تَغَصُّ بالـــــ * ـرّاجينَ إدراكَ العُلا والجَـــاهِ
مترقّبينَ لها فمهما فُتِّحَـــــتْ * خرُّوا لأذقانٍ لهُمْ وجِبَـــــاهِ
فأنفتُ مِن ذاكَ الزِّحامِ وأشفقَـــتْ * نفسي على إنضاء جسمي الواهي
ورأيتُ بابَ اللهِ ليسَ عليهِ مِـــنْ * متزاحمٍ فقصـــدتُ بـــاب الله
وجعلتُهُ من دُونِهم لي عُـــــدَّةً * وأنِفْتُ مِنْ غيّ وطُوْلِ سفاهـي

يقول جامع[1] هذا المؤلف[2] : رأيت بخط عالم الدنيا ابن مرزوق على هذا المحل من كلام مولاي الجد مقابل قوله : ورأيت باب الله ، ما صورته قلت ذلك لسعته أو لقلة أهله :

إنَّ الكرامَ كثيرٌ في البـــــلادِ وإنْ * قَلُّوا كما غيرُهم قَلَّ وإنْ كَثُروا

(قُلْ لا يستوي الخبيثُ والطَّيِّبُ)[3] الآية . انتهى . رجع إلى كلام مولاي الجد قال رحمه الله تعالى ورضي عنه : وحدثني شيخ من أهل تلمسان أنه كان عند أبي زيد مرة ، فذكر القيامة وأهوالها فبكى ، فقلت : لا بأس علينا وأنتم أمامنا ، فصاح صيحة واسود وجهه وكاد يتفجر دماً ، فلما سرى عنه رفع يديه وطرفه إلى السماء وقال : اللهم لا تفضحنا مع هذا الرجل ، وأخباره
[١٤٧] كثيرة . وأما شقيقه أبو موسى فسمعت عليه كتاب مسلم ، واستفدت منه كثيراً فمما سألته عنه قول ابن الحاجب في الاستلحاق : وإذا استلحق مجهول النسب إلى قوله أو الشرع بشهرة نسبه ، كيف يصح هذا القسم مع فرضه مجهول النسب فقال : يمكن أن يكون مجهول النسب في حال الاستلحاق ، ثم يشتهر بعد

---

(١) المقَّري .
(٢) « نفح الطيب » .
(٣) سورة المائدة : الآية ١٠٠ .

ذلك ، فيبطل الاستلحاق فكأنه يقول : ألحقه ابتداء ودواماً ما لم يكذبه أحد ، هذه هي إحدى الحالين إلا أن هذا انما يتصور في الدوام فقط ، ومما سألته عنه أن الموثقين يكتبون الصحة والجواز والطوع على ما يوهم القطع ، وكثيراً ما ينكشف الأمر بخلافه . ولو كتبوا مثلاً ظاهر الصحة والجواز والطوع لبرئوا من ذلك ، فقال لي : لما كان مبنى الشهادة وأصلها العلم لم يجمل ذكر الظن ، ولا ما في معناه احتمال ، فإذا أمكن العلم بمضمونها لم يجز أن يحمل على غيره ، فإذا تعذر كما هنا بني باطن أمرها على غاية ما يسعه فيه الإمكان عادة ، وأجري ظاهره على ما ينافي أصلها صيانة لرونقها ، ورعاية لما كان ينبغي أن تكون عليه ، لولا الضرورة قلت . ولذلك عقد ابن فتوح وغيره عقود الجوائح على ما يوهم العلم بالتقدير مع أن ذلك إنما يدرك بما غايته الظن في الحزر والتخمين ، وكانا معا يذهبان إلى الاختيار وترك التقليد اهـ.

عبدُ الرَّحمنِ بنِ مُحمد بن خلدون

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن جابر بن خلدون الحضرمي الاشبيلي الأصل الإمام ولي الدين أبو زيد ، قاضي القضاة ، العلامة الحافظ المؤرخ .

قال ابن الخطيب في « تاريخ غرناطة » : كان فاضلاً حسن الخلق ، جم الفضل ، باهر الخَصْل ، رفيع القدر ، ظاهرالحياء ، وقور المجلس ، عالي الهمة ، قوي الجأش ، طامح لقنن الرياسة ، متقدماً في فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصدر ، بليغ الحظ ، مقرئاً بالتجلة ، جواد الكف ، حسن العشرة ، بذول المشاركة ، مفخراً من مفاخر التخوم الغربية من ذرية وائل بن حجر .

أخذ القرآن عن ابن بُرال ، والعربية عن الزواوي ، وابن العربي ، وتأدب بأبيه ، وأخذ عن المحدث ابن جابر الوادي آشي ، وحضر مجالس ابن عبد السلام ، وروى عن الحافظ السطي ، والرئيس أبي محمد الحضرمي ، ولازم العلَم الشهير الإبلي ، وانتفع به ، وورد على الأندلس في ربيع الأول عام أربعة وستين ، وأكرمه سلطانها ، وأركب لتلقيه خاصته ، وخلع عليه وابره .

شرح البردة شرحاً بديعاً دل على تفننه وإدراكه وغزارة حفظه ، ولخص كثيراً من كتب ابن رشد ، وعلق تفسيراً مفيداً في المنطق للسلطان ، ولخص محصول الفخر ، وألف في الحساب وفي أصول الفقه . مولده بتونس في رمضان عام اثنين وثلاثين وسبع مئة (٧٣٢) اهـ.

قال أبو جعفر البقي في « مختصر الإحاطة » : وألف تاريخه المشهور الذي سحر به الخاص والجمهور ، سماه بـ« كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر » اخترع فيه مذهباً عجيباً وطريقاً مبتدعاً من الحديث على العلوم ، وتنقيح الفهوم ، وما يعرض في الإنسان من الأعراض الذاتية ، والخيالات والحلوم اهـ.

وقال بعضهم : وخلدون بفتح الخاء المعجمة وآخره نون ، حَفِظ القرآن والشاطبيَّينَ ، ومختصر ابن الحاجب الفرعي ، وتفقه بأبي عبد الله محمد بن عبد الله الجياني ، وأبي القاسم بن العصير ، قرأ عليه « التهذيب » وعليه تفقه ، وحفظ المعلقات ، والحماسة وشعر حبيب ، وقطعة من شعر المتنبي ، وسقط الزند ، وأخذ العربية عن والده وغيره ، وعبد المهيمن الحضرمي ، وتولى كتابة العلامة عن صاحب تونس ، ثم توجه لفاس واعتقل عند سلطانها ، ثم قدم غرناطة وعظمه سلطانها ، ثم توجه لبجاية ، ثم لتونس ، ثم رحل لمصر ، فولاه سلطانها الطاهر برقوق قضاء المالكية ، وتصدر للاقراء بالجامع الأزهر ،

وصنف تاريخه الكبير في سبع مجلدات سماه «العبر في تاريخ الملوك والأمم والبربر» وكان يسلك في إقرائه مسلك الأقدمين كالغزالي والفخر، مع إنكار طريقة طلبة العجم، ويقول: إن اختصار الكتب في كل فن والتعبد بالألفاظ على طريقة العضد وغيره من محدثات المتأخرين، والعلم وراء ذلك كله. وكان يقدم بديع ابن الساعاتي على مختصر ابن الحاجب، ويقول: إنه أقعد وأعرف بالفن زاعماً أن ابن الحاجب لم يأخذه عن شيخ، وفيه نظر، وتكرر عزله مراراً عن القضاء وولايته، نسب في تاريخه إلى عظيمة نقلها عنه أبو الحسن بن أبي بكر، قال ابن حجر: ولم توجد في تاريخه.

مات قاضياً فجاة يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة ثمان وثمان مئة (٨٠٨)، عن ست وسبعين دون أشهر، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب القصر اهـ.

وعرَّف هو بنفسه في تاريخه فأطال فيه نحو أربعة وأربعين ورقة من كامل الشامي، وذكر فيه أنه حين رجع لتونس ازدحم عليه طلبة ابن عرفة وغيره، وأنه وقع بينه وبين ابن عرفة شيء، وممن أخذ عنه الإمام بن مرزوق الحفيد، والشيخ البسيلي، والبدر الدماميني، والعلامة البساطي وغيرهم.

عبدُ الرَّحمنِ بنُ موسى البجائي

قال الشيخ زروق أحد المدرسين ببجاية وأئمتها: كان فقيهاً ذا دين وعفاف وسناء وتجمل وعقل صبَّاراً، توفي في كذا صح من الكناشاة.

سيِّدي عبدُ الرحمنِ المجاجي

صاحب المغارسة ، تفقه بمجاجة على الشيخ سيدي محمد بن علي ، ثم رحل إلى تلمسان وأخذ عن علمائها أيضاً ثم رحل إلى فاس .

وله تآليف عديدة ، كما يشير إليها في كتابه « التبريج » فمنها كتابه الذي سماه « التبريج في أحكام المغارسة والتصيير والتوليج » المغفولات لابن الحاجب ،

[١٤٨] والشيخ خليل ، فأتى على اصطلاح الشيخ خليل في المتن ، ثم شرحه شرحاً عجيباً ، وله حاشية على مختصر ابن أبي جمرة في علم الحديث ، ذكر فيها أنه أخذ على الشيخ سيدي محمد بن علي اهـ.

سيدي عبدُ السَّلام التواتي

الشيخ الزاهد العابد السالك السني المتواجد ، ذو الأحوال الربانية ، والإشارات العرفانية ، والمعارف الوهبية ، المقطوع بولايته، المتفق على جلالته وخصوصيته ، العارف بالله الدال عليه بظاهره ونجواه ، أبو محمد سيدي عبد السلام بن صالح البركة سيدي الحاج محمد التواتي الجعفري ثم الفاسي ، ينسب لسيدنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي .

كان رحمه الله في أول أمره على ما ذكره الشيخ التاودي في « فهرسته » غباراً ، قال فيها : قلت له يوماً : هل كنت تصلي في ذلك الزمان ؟ قال : لا . اهـ.

وقال غيره : كان يتعاطى أسباب الدنيا ، فلم يحصل له مقدار نصاب الزكاة منها أصلاً ، وكان يبيع الكبريت قرب سوق الغزل من عدوة فاس القرويين ، ثم إنه ورد لفاس مولاي التهامي الوازاني فذهب إليه وزاره ، وتبرك به ،

ثم جعل يتردد لسيدي عزوز دفين طالعة فاس . فحصلت له حينئذ الكرامة للدنيا والخوض فيها . وكان في زمان غفلته قد ضيع صلوات كثيرة ، فتجرد لقضائها حتى قضى صلاة ثلاث عشرة سنة ، ثم خرج لبعض الكهوف بجبل زعفران خارج باب الجيسة ، وجعل يتعبد فيه ويقتصر على القوت من الأعشاب ، وما يسقط من التين قبل طيبه ، مما يلتقط من تلك الجهات ، ويشرب عليه الماء مع إدمان الصوم والذكر ، يذكر كل يوم سبعين ألفاً من الهيللة ، ومثلها بالليل ، ورأى في ذلك من العجائب ما لا يحصى ، وكانت الجمادات تكلمه وتبشره بما حصل له من الفتح العظيم ، وتقول له : هنيئاً لك لم يبلغ هذا المقام أحد إلا أمن من السلب إلا القليل ، ثم كشف الحجاب بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار لا يشاهد في العالم إلا وجهه الشريف حيث توجه ، وبقي كذلك مدة قال : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ها أنت وربك ، وحينئذ طلعت عليه شموس المعارف ، وأدرك ما لا يكيف من الأسرار واللطائف ، ولقي الخضر عليه السلام وقال له : أنا الخضر بعثني الله إليك لأخبرك بأن ما تشاء يعطيك الله إياه ، وأذن له في الجلوس في القرويين فلازم الجلوس فيها ، وكان يجلس إليه أقوام لاستماع معارفه ، فكان يأتي من ذلك بما يسحر الألباب ، ويقضي منه العجب العجاب .

وكان رضي الله عنه من الذاكرين الله كثيراً ، لا تراه قط ساكن الشفتين ، مستغرقاً في مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يظهر ذلك عليه في بعض
[١٤٩] الأحيان ، فتارة يهيم وتارة يُمَازح بأمور في طيِّها فوائد ، وكان إذا اعتراه الحال احمرت عيناه ، وعلا صدره عن جسده حتى تراه يستند في مشيه إلى الجدران ، وينفخ نفخاً شديداً ، ويعرق جبينه جداً ، وترى العرق ينحدر منه كالجوهر ، وكان إذا دخل في الصلاة خلف الإمام لا يكاد يطيق ما يتلقاه من

المشاهدات ، فإذا سلم الإمام سلم هو وقام بسرعة ، ويخبر عن نفسه بأنه يستريح بالتحرك والمكالمة مع الناس ، وكان من لا علم عنده ينكر عليه ذلك .

ومن كلامه : أجساد الشرفاء أقوى على المشاهدة من أجساد غيرهم ، وكان أيضاً يقول : أولها يعني الطريق فنون ، ووسطها جنون ، وآخرها قيل : يكون وقيل : لا يكون . ويقول : من اشتغل بالله عن غيره فهو حي ، ومن غاب عن الله في غيره فهو ميت .

أدرك رحمه الله جماعة من الأولياء وتبرك بهم ، وأخذ عنهم منهم سيدي عبد الرحمن معاذ ، دفين خارج باب الجيسة ، وسيدي عنتر الخلطي دفين داخل باب الفتوح ، وطريقته الأولى عن أبيه ، عن جده ، عن سيدي علي ابن أحمد اللنجري دفين صرصر ، عن سيدي عيسى بن الحسن المصباحي الخلطي دفين الغرب ، ثم أخذ كما سبق عن مولانا التهامي الوزاني ، عن أبيه ، عن جده ، ثم عن سيدي عزوز ابن مسعود ، وكان يعتمده ويقول : إن سيدي عزوزاً أكل طعاماً عند وفاته وقاءه وأمرني بأكله ، فأكلته ففتح عليّ .

وكان له أصحاب وأتباع وتلامذة وأشياع يذكرون عنه أموراً كبيرة ، ومقامات خطيرة ، وينهون أمره لما أدركه كبار الأولياء وخاصة الخاصة من الأصفياء ، وكان الناس كلهم يتبركون به ، ويرجون من الله الفضل بسببه ، وكان أكثر دعائه إذا سئل منه الدعاء : الله يرحمنا بالمرحوم .

وكان يتفجر علماً مع كونه أمياً لا يعرف الحروف ، ووقع لغير واحد من الناس معه مكاشفات وأخبار بمغيبات ، قال الشيخ التاودي في « فهرسته » : وأخبرني بعض من وثقت به أنه جاءه رجل يوماً وهو بحصن لقرويين فقال له : يا سيدي أردت أن أرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ، فقال : ائتني بجميع ما تملك ، فذهب ثم جاء بعد يوم أو يومين بدراهم ، وقال : هذه القرويون

وبالله الذي لا إله إلا هو لا أملك شيئاً آخر ، فعجب منه ، وجعل يقول له : أنت هبيل أحمق ، اذهب حتى يرجع لك عقلك ، والرجل يبكي ويقول : لا أقيلك ، فلم يزل به حتى قال له : اذهب إلى سيدي محمد بن الحسن ، وارجع فرجع الرجل ، وذكر أنه عندما خرج من باب الجيسة إذا بالنبي صلى الله عليه وسلم منحدر من ناحية القلة عن يسار الباب ، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، فكلمه وقال : أقرىء عبد السلام مني السلام ، فلما وصل له قال له : اسكت فوالله ما ذكر له ذلك حتى قال له : والله إن حدثت بهذا أحداً لا تنظر بعينيك ، فما حدث به إلا بعد موته ، وبالجملة فمقامه كبير عظيم ، وشأنه رفيع فخيم .

[١٥٠] توفي رحمه الله في مهل رجب سنة خمس وخمسين ومئة وألف (١١٥٥)

قال في « النشر » : ودفن بدار براحا اشتريت له ، بقصد أن يدفن فيها ، وبنى عليه فيها قبة بعضُ الرؤساء قرب سيدي أبي الرجاء من طالعة فاس ، واتُّخذ ضريحه مقبرة للدفن ، وهو الرئيس الأنوه الشيخ أحمد بن الشيخ موسى العوني السنوسي الشرقي ، كما صرح به في « النشر » في بعض نسخه .

وقال في « الروضة المقصودة » : دفن برحبة قنديل من طالعة فاس ، أسفل من قبة شيخه ولي الله سيدي عزوز بن مسعود بنحو مئتي ذراع ، وذلك بالقرب من سيدي أبي الرجاء ، وبنيت عليه قبة اهـ. وروضته هي المقابلة لدرب أهل تادلا عن يمين الهابط ، وهي مشهورة معروفة ، وعلى ضريحه بها دربوز يُزار به ويتبرك .

ترجمه في « النشر » و « التقاط الدرر » و « سلوك الطريق الوارية » و « الروضة المقصودة » وغيرها ، وأورده الشيخ التاودي في « فهرسته » فيمن لقي من صلحاء المغرب .

عبدُ العزيزِ بنُ مخلوفٍ العيسي

قال الغبريني في « عنوان الدراية » : الشيخ الفقيه الجليل القاضي العالم المتقن المحدث أبو محمد وأبو فارس ، خزانة مذهب مالك .

كان فصيح العبارة ، حسن الإشارة ، درس عليه العلم خلق كثير . وانتفعوا به ، أسند اليه قضاء الأنكحة ببجاية عن قضاتها ، واستقل بعد ذلك بقضاء بسكرة ، ثم قسنطينة ، ثم الجزائر ، تكرر إليها مرتين ، وكان مشاوراً على فتياه العمل ، ولقي بها جماعة من الفضلاء كالشيخ أبي الحسن الحرالي وأبي العباس الملتاني .

ولد بتلمسان يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الأخيرة عام اثنين وست مئة (٦٠٢) اهـ.

عبدُ القادرِ الرَّاشدي

العلامة المحقق المجتهد الأصولي الكلامي ، قرافي وقته ، وعضد زمانه ، نسبة الرواشد مدشر من مداشر فرجيوة .

توفي أوائل العشرة الثانية من القرن الثاني عشر.

له من المؤلفات كتاب حافل في مباحث الاجتهاد ، يدل على تبحره في علمي الكلام والأصول ، ادعى فيه الاجتهاد ، وله حاشية محشوة بالتحقيق والإتقان على شرح السيد للمواقف العضدية ، وتأليف صغير الحجم تعرض فيه لكثير من عائلات قسنطينة وقبائلها ، وبيان الشريف منهم والعربي والبربري ، ورأيت له قصيدة فائضة في غاية من البلاغة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، تولى قضاء قسنطينة وفتواها مراراً اهـ. من خط الشيخ الونيسي . وله رسالة في تحريم

[١٥١] الدخان ، شحنها أولا ببيان شافٍ في حال الدخان ، ثم جلب من الأدلة المقتضية لحرمته ما لا مزيد بعده ، وله رسالة في وزن الأعمال ضافية تعرّض فيها لمباحث علم الكلام ، وناقش فيها بوجه خصوصي العلماء القائلين بالتأويل في مبحث المتشابه ، كما أن له قصيدة شرحها في الرد على أضداده في قضية المتشابه مطلعها :

خبِّرا عنِّيَ المُؤَوِّلَ أنِّـــــــــي * كافرٌ بالذي قضتْهُ العقـــــولُ
ما قضتْهُ العقولُ ليسَ من الدِّيـــــــ * ـنِ إنَّما الدِّينُ ما حوتْهُ النقـولُ

وله تعليقات جمة ، وفتاوى ومسائل ابتكارية جليلة ، وتفسير عدة آيات وقعت بمجالس صالح باي اهـ من خط الشيخ محمود كحول القسنطيني .

قال العلامة الورتيلاني في « رحلته » : وقد وقعت بينه وبين طلبة قسنطينة مخاصمة عظيمة ، ومنازعة كبيرة في مسألة ، حتى رموه بالتجسيم بل بعضهم كفره ، ومن الإسلام أخرجه ، وذلك خطر كبير في الدين ، قال الشيخ زروق : إدخال ألف كافر في الإسلام بشبهة إسلامية أهون عند الله من إخراج مسلم واحد بشبهة كفرية ، وذلك من تلامذته ومحبيه ، وهذه المسألة قوله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1] فقال هو في اليد : إنها حقيقة ، ومع ذلك إنها ليست جارحة ولا جسماً ، بل يستحيل ذلك ، لأنه يؤدي إلى الحدوث والإمكان ، وقدح في التأويل لها بقدرة أو صفة زائدة يخلق الله بها الأشراف من الخلق ، لأن التأويل محوج إلى الدليل والخروج من الحقيقة إلى نوع من المجاز ، فلم يكترث بالتأويل إذ البقاء مع الحقيقة هو الأصل ، ولأن التأويل وإن كان صحيحاً ففيه ابتغاء الفتنة ، وإنما تنتفي على التسليم في صحة التأويل ، وإن كان في علم الله كذلك لأن المصيب في العقائد واحد ، فقد اتفق أهل السنة

(١) سورة ﷺ : الآية ٧٥ .

قاطبة على نفي الجارحة ، وما يؤدي إلى الإمكان والحدوث والتجسيم ، فمن قائل : إن له يداً حقيقة ، والعلم بها موكل إلى الله تعالى ، فلا يستلزم هذا التجسيم الذي يستلزم ما لا يليق به جلَّ جلاله . فأنَّى أو كيف أو متى يلزمه ، وإنما هو تحامل عليه سببه الحسد والبغض والتنافس ، وإنما رموه بذلك لما علموا منه من كونه طويل اللسان عليهم بالعلم ، بل وقد نسبوا إليه كثرة الرشوة ، وغير ذلك مما لا يناسبه ، بل سمعت من بعضهم أنه قال : صرح بالتجسيم غير ما مرة ، فقلت حين اجتماعي بهم : مجرد هذا الإطلاق لا يلزم عليه شيء إذ عليه أكثر الأمة ، ومنهم من أولها بالقدرة ، ومنهم من توقف ، فلما أراني الرسالة الموضوعة لهذا الكلام ، رأيتها منقحة سالمة من سوء الاعتقاد خصوصاً التجسيم ، وغايتها أنه يبطل أدلة المؤول ويصحح القول باليد حقيقة ، غير أنها لا يعلمها إلا الله ، لكن هذا كله بعد نفي التجسيم ، وما يشعر بالإمكان والحدوث ، وقد بالغوا في تضليله إلى أن أرادوا الفتك به عند السلطان ، فسلم والحمد لله ، ونجا من شرهم ، غير أنهم أخرجوه عن الموضع المعدّ له من القضاء ، وصيَّروه
[١٥٢] لأنفسهم بالتعلق ممن كان متمكناً من السلطان ، نعم قلبي سالم من جميعهم ، ومحب في جانبهم ، وراغب فيما عندهم ، ومعظم ما هو لديهم ، وقد قال خليل : ولا عالم على مثله كالتيوس ، فبينهم قرح وعلى غيرهم لا قدح ولا جرح ، فإن كانت الشريعة لم تقدح فيهم ، فكيف بمثلي أن يجعله غرضاً لسهام الناس ، ويرميهم بالأغراض الخبيثة والخصال الذميمة ، طهرهم الله من تلك الأوصاف ونزههم من هذه الأخلاق الخسيسة اهـ.

أبو محمدٍ عبدُ الكريمِ القلعي

أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن الطيب الأزدي ، الشيخ الفقيه العالم المتقن المحصل المجيد ، عُرف بابن يبكي من أهل قلعة حماد ،

صاحب الرباط المعروف الآن برابطة ابن يبكي بداخل باب اميسون من أعلى سند بجاية ، وهنا قبره رحمه الله ، وهو الموقف للأوقاف المعروفة الآن بها .

كان من جملة أهل العلم ، ومن أكابر أولي النهى والفهم ، وكان معروفاً عند خلفاء بني عبد المؤمن ، وكان ينحو للظاهر ، وكانت له وجاهة وعلو قدر ، ورفعة في الدين والعلم ، وسمو قدر ، وهو من نظراء العالم أبي عبد الله محمد ابن عبد الحق بن سليمان التلمساني وإليه كان يرجع في الفتيا ، وعلى قوله العمل ، وكان له مع ذلك انقباض عن الناس ، واشتغال وجد خرجا عن القياس .

أبو مُحمد
عبدُ الكريمِ بنُ عبدِ الواحدِ الحسني

الشيخ الفقيه الصالح الفاضل المدرِّس ، من أصحاب الشيخ أبي زكريا الزواوي رضي الله عنه ، ومن قرابته ، كان من أهل العلم والفضل والوجاهة والنزاهة ، ولما كان من أمر الفقيه أبي زكريا الزواوي في شأن ابن حزم ما قد اشتهر ، وتعصب له ناس ، ورفعوا القضية للخليفة بمراكش ، اقتضى نظر الفقيه أبي زكرياء رضي الله عنه أن يتوجه عن الفقيه أبو محمد عبد الكريم لمراكش ، فتوجه وحمل تأليف الفقيه ورده على ابن حزم المسمى « حجة الأيام وقدوة الأنام » ولما وصل حضرة مراكش استحضره أمير المومنين بين يديه بمحضر الفقهاء ، وعرض تأليف الفقيه عليهم ، وكان الفقيه أبو محمد عبد الكريم هو النائب في الحديث ، فأحسن وأجاد وأطلع أمير المومنين ومن حضر من الفقهاء من كلام الفقيه رحمه الله ما دلَّهم على فضله ودينه وعلمه ، فكان من قول الخليفة بترك هذا الرجل على اختياره ، إن شاء ألقى وإن شاء سكت ، وانقلب أبو محمد عبد الكريم ، وهو المبرور وسعيه المشكور.

عبدُ اللَّطيفِ المسبح

قال العلامة عبد الكريم الفكون القسنطيني في « منشور الهداية في كشف حال من ادَّعى العلم والولاية » ما نصه : الفقيه الفرضي أبو محمد عبد اللطيف المسبح المرداسي نسباً كذا بخطه .

كان مفتياً بقسنطينة مرجوعاً إليه في وثائق أهلها ، وكان الحساب أغلب عليه من غيره ، مدرساً في الفقه ، صاحب تفنن فيما يحتاج إليه من الوثائق

[١٥٢] وله شرح على مختصر الشيخ الصالح سيدي عبد الرحمن ابن صغير الأخضري ، طالعناه زمن الشبيبة ، فرأينا عماده على جمع الكتب والنقل منها فحسب ، لا يلم بلفظ المصنف ولا يلوي إليه إلا ما يستخرج من أبحاث لفظه ومفهوماته ومآخذه ، وهو الموجب لشرحنا عليه المسمى « بالدرر في شرح المختصر » نبهنا على فوائد فيه لم توجد في المطولات ، ويذكر لأبي محمد المترجم له شرحاً على « الدرة البيضاء في الحساب » للشيخ أبي زيد عبد الرحمن الأخضري ، ولم أظفر به ، نعم رأيت له تكملة لشرح الشيخ على منظومته في الفرائض الذي مات والله أعلم قبل إكماله ، فتممه صاحب الترجمة أبو محمد مقتصراً فيه على العمل دون التبيين لكلامه .

توفي رحمه الله تعالى عام ٩٨٠ .

عبدُ اللهِ بن أحمدَ بنِ عيسى البجائي

عُرف بابن الطير . الشيخ الفقيه القاضي الأعدل الأصولي ، له علم بالفقه وأصوله ونزاهة ورئاسة وعلو همة . ولي قضاء بجاية كرهاً ولما استقر فيها تخير رجلين من رؤساء فقهائها ، فولى أحدهما قضاء الأنكحة والآخر النظر في الأحكام . وكان يقرأ عليهَ مدة إقامته بها خواصُّ الطلبة الفقهَ وأصولَه على طريقة الأقدمين اهـ. من « عنوان الدراية » .

عبدُ اللّهِ الباجي القلشاني

عبد الله الباجي القلشاني والد الإمام محمد القلشاني .

قال حفيده أحمد القلشاني شارح « الرسالة » : كان جدي هذا كما أخبرني والدي وقوراً حليماً صباراً على أخلاق الناس وحاسديه ، لا يتكلم في أحد بسوء ، ولا يعود لسانه الكلام على أحد ، ما سمع قط تشكّى أو قدح في أحد شديد الرحمة ، لا يتظلم إليه أحد إلانصره بمنتهى قدرته ، ويبكي لبكائه مجبولاً عليه ، ولا يطلع الفجر إلا وهو طاهر يطالع الكتب صيفاً وشتاءً ، مواظباً على تغليس صلاة الصبح ، وقراءة حزبين بعده الأذكار والمسبعات ، حتى توفي مع جِدٍّ في الطاعة والمطالعة ، وأخبرني الفقيه الصالح الحاج أبو العباس القلشاني أن أباه المذكور كان في صغره في غاية الجد ومكابدة السهر ، يربط خيطاً في وفرة شعره ، ويجعله في مسمار في الحائط ، فإذا كبَّ رأسهُ لغلبة النوم جبذه الخيط ، فانتبه ، وكان يرحمه قريب له ، ويرغبه في الشفقة على نفسه ، فيأتي ويقبل على الدرس والنظر وينشد :

نفسي تُنازعني فقلتُ لهـا اصْبـري * موتٌ يُريحُكِ أو صُعُودُ المنبـرِ

توفي ببجاية ضحى الخميس ، عاشر شوال سنة خمس وستين وسبع مئة (٧٦٥)

سيِّدي عبدُ اللّهِ البرناوي

الشيخ العارف بالله سيدي عبد الله البرناوي ، وهو أحقهم بالتقديم ، وأولاهم بالتعظيم ، الشيخ العالم الكبير الولي المحب الشهير قطب الطريقة وإمامها وعالم الحقيقة المنقاد إليه زمامها ، والمنشورة عليه أعلامها ، أبو محمد عبد الله ابن السيد الإمام الجليل أبي محمد عبد الجليل بن عمر البرناوي والحميري ، كذا وصفه في « المقصد » بالبرنوي .

قال الحلبي في « ريحان القلوب » : وأما نسبه فإنه يتصل فيما أخبرنا به
[١٥٣] السيد أبو العباس اليمني المذكور بحمير بن يحصب ابن يعرب بن قحطان اهـ. ذكره في أول كتابه المذكور، وهو من أهل بلاد برنو من بلاد السودان قاطنها ودفينها .

كان رضي الله عنه أعجوبة وقته ، حدث تلميذهُ الشيخ الولي الشهير العلامة الكبير سيدي أحمد بن محمد اليمني عنه بعجائب مؤذنة بجلالة قدره ، وعظم أمره ، وكان كثير المكاشفات ، وأول ما قَدِمَ عليه ،فوقع بصره عليه قال: أعرفت. وحكى الشيخ سراج الدين أحمد بن عبد الحي الحلبي في كتابه « ريحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرنوي من أسرار الغيوب » عن الشيخ اليمني المذكور أنه قال : كانت أم الشيخ عبد الله البرنوي حال حملها به لا تحضر لهواً ولا زهواً ولا شيئاً مما لا ينبغي حضورها فيه ، لمقتضى الشرع إلا وأخذها وجع عظيم في جوفها ، وألم جسيم واضطراب وانزعاج ، ونحو ذلك ، ولما وضعته رضع ثديها فتارة تأخذه حال عظيمة ، ويضطرب ويمتنع من الرضاع مدة ، ثم بعد

ذلك يرضع ثدي أمه ، ثم تحصل له تلك الحالة أيضاً إلى أن نطق وقت بلوغ النطق على العادة ، فأخبر أمه بجميع ما كان يأخذها من الوجع والألم . وأخبرها بأسباب ذلك ، وكانت حالته رضي الله عنه الاقتار . قال بعض أصحابه : أنا ما في يدي شيء من الدنيا سوى مُدَّين من الدخن . فقال له الشيخ : أنا ما عِنْدي ولو مُداً ولا أملكه . قال الشيخ اليمني : لما حدث عنه بهذا . وهذه صفته حتى لحق بالله تعالى قال : وكان لا يلتفت لما يأتيه من الهدايا ، فإنها كانت تنزل بين يديه لا يأمر فيها ولا ينهى ، فيجيء من والى فيأخذها أو يأخذ منها ما شاء فكأنها ما هي بين يديه ، وما هي في تصريفه .

وكان يذهب بأصحابه إلى موضع خال من الفلات ، فيأمرهم بالتفرق فيجلس كل وحده ، وينعزل عنهم هو وحده في ناحية إلى وقت الظهر ، فيرجع حينئذ ، ثم يجتمعون عليه فيرجعون إلى قريتهم ، هكذا كانت حالته كل يوم ، وكان دأبه التواضع مع الكبير والصغير دائم البشر ، يستوي عنده البعيد والقريب في الإكرام ، ولا يلبس إلا قميصاً واحداً أضيق الكمين إلى نصف ساقه ، وكان شديد الاحتمال واسع الخلق حكى عنه تلميذه الشيخ اليمني أنه ما رآه مغضباً إلا يوماً واحداً إذ قال له رجل بحضرته : اللهم اقطع أصل التوارق ـ قبيلة وافرة من العرب يقطعون الطريق ـ فتغير وجه الشيخ ، ثم قال للرجل : لا تساكنني ، ثم شفع فيه الفقراء ، فسمح له .

ووشى به القاضي أبو بكر من علماء بلده إلى السلطان فلم يقبل ، حتى أوهمه أنه يحاول الملك ويفسد عليه الرعية ، فأثر ذلك فيه فأشخصه إليه ، فلما دخل الشيخ على الأمير استعمل السنة النبوية في دخوله وسلامه وخطابه ، فأثر ذلك [١٥٤] في قلب الأمير تأثيراً حسناً ، وكان من قول أبي بكر للسلطان في شأن الشيخ إنه كافر ، فقال الشيخ للسلطان : صدق أبو بكر أيها الأمير ، الجهل كفر ،

فنسب لنفسه الجهل رضي الله عنه لئلا يزكي نفسه ، وكان يقول : ذيلي طويل يطؤه العدو والصديق ، وهذا كما قال الجُنيد : لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض يطَؤُه البرُّ والفاجر ، وكالسحاب يُظِلُّ كل شيء ، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب اهـ. والحامل لأبي بكر على فعله الحسد ، لأنه كان عالماً ، لكن أكب الناس على الشيخ دونه ، فكانوا يزدحمون عليه أشد الازدحام .

قال الشيخ الحلبي في « ريحان القلوب » : وأما علومه أي الشيخ عبد الله البرنوي ، وفهومه الربانية الظاهرة والباطنة ، فقد حدثنا العارف الرباني أبو العباس اليمني أن الشيخ عبد الله البرنوي رضي الله عنه هو البحر المحيط في العلوم التوحيدية والفهوم الكلامية ، والرسوم الظاهرة ، من علوم اللسان الباهرة وأنه آية الله الساطعة الأنوار ، فيما للصوفية من الدقائق والأسرار ، احتوى على الدقائق الإلاهية ، والرقائق الأحمدية ، والاطلاعات الغيبية ، والمطالعات الكشفية ، والذخائر الإلهامية ، والموارد الوهبية ، واشتمل على العلم بالخواطر والقلوب ، وعلى الاطلاعات على المقامات والدرجات لكل سالك ، من مبتدىء ومُنتهٍ ومتوسط من جميع البلاد ، في جميع الأعصار ، من سبق عصره وما يأتي بعده ، ومقدار كل واحد ، وحد مقامه ، وما قدر له ، وجيء به إلى الكُتَّاب ، وهو طفل صغير ، فكان لوحه موضوعاً حذاءه ، وهو جالس لا يقرأ فيه ، ولكن ينظر فيه مرة واحدة ، فيأخذه شبه السِّنة ، فيأتي على اللوح كله مرة واحدة ، فإذا أفاق حفظ ما في اللوح فلا ينساه أبداً ، وهكذا دأبه حتى حفظ القرآن في الزمن اليسير ، وعلومه كلها كانت وهبية ، لم يعرف له شيخ تعليم لا في العلم الظاهر ولا في العلم الباطن ، فلم يُعرف له شيخ في الطريق ، فلهذا قال ولده الشيخ عمر لما سئل هل للشيخ عبد الله والده شيخ في الطريق ؟ فأجاب بقوله : ومنهم من يتولاه الجليل ، وذلك نادر ما له مثيل اهـ.

وفي غريب حاله أنه كان مشاركاً في جميع علوم اللسان ، بزيادة على ما عنده من علوم القلوب ، كالنحو والفقه والبيان والأصول والكلام ، وغيرها من جميع علوم اللسان ، وكان يفسر القرآن تفسير العلماء الأكابر ، ولما سمع بعضهم أصحابه يثنون عليه بذلك قال في نفسه : لعل هذا مدح الفقراء ، قال : فلما كنت معه في موضع خال أخذ بيدي وقال لي : ما أظهر الله ولياً إلا أمده ونصره بالعلم ، وقال : وجدنا هذا العلم من اتباع الأوامر وترك النواهي ، وقال : أنا من قبلُ لا أعرف من هذا الأمر شيئاً لكن كلما سئلنا عنه نجيب عنه بإذن الله ، وقال بعضهم في نفسه لما سمعه يقرأ ألفية ابن مالك : ما يصنع الشيخ بالنحو؟ فقال الشيخ له على سبيل الكشف : لولا الفقهاء ما نعبأ بهذا العلم ، وقال في إثر ذلك : الكلب لا يخليك إلا إذا كان بيدك العصا تضربه بها اهـ.

[١٥٥] وقد بين كلامه الشيخ الحلبي في « ريحان القلوب » وبسط القول فيه كما ينبغي ، وأجاب عن قوله : لولا الفقهاء ما نعبأ بهذا العلم ، بأجوبة ثلاثة ، نقتصر على البعض من الأول منها : وحاصله أنه لما علم أنهم لا يعظمون إلا من كان عالماً بعلمهم اللساني أراد أن يرحمهم لئلا ينقصوه فيهلكوا ، ولهذا نظائر معلومة ، وهو من جملة ما وجَّه به ما كان يستعمله الشيخ ابن عباد رضي الله عنه من اللباس الرفيع .

ومات صاحب الترجمة في محاربة وقعت بين التوارك وبين أهل مدينة كنبر من السودان التي كان بها الشيخ ، فاستشهد في تلك الوقعة هو وجماعة من أصحابه لإغارتهم أي التوارك على المدينة ، وإرادتهم استئصال من فيها ، فتغير حال التوارك من يومئذ ، وسلط عليهم قائم من أهل السودان فقتل منهم العدد العديد انتقاماً من الله تعالى وحرمة لهذا الولي ، قاله سيدنا الجد رحمه الله في كتابه « نزهة الفكر » .

وحكى في « ريحان القلوب » عن الشيخ اليمني عن الشيخ عمر ، ولد صاحب الترجمة أن الشيخ عبد الله لما قتل فيمن قتل ، فتش عليه فلم يوجد في القتلى ، ولا في المصرع ثلاثة أيام ، حتى قال بعضهم : لعله كان له خادم من الجن فأفلته ، ونحو هذا مما يحاسبه الله عنه ، ثم ظهر لولده الشيخ عمر فأظهره للناس حتى شاهدوه من كل فج ، وكشفوا عنه من وجهه إلى صدره حتى رأوه عياناً ، وتحققوه وكان خرج معه ولده الشيخ عمر للقتال فرده والده ، وقال له : ارجع ليسكن بك قلوب النساء . فكانت وفاة صاحب الترجمة يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الثاني سنة ثمان وثمانين وألف (١٠٨٨) ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، قاله ولده الشيخ عمر في بعض مراسلاته للشيخ أبي العباس اليمني بعد قدوم الشيخ اليمني للمغرب ، ورجع منه لزيارته فوجده توفي ، ثم رجع للمغرب واستوطنه .

قال في « ريحان القلوب » : حدثنا الشيخ أبو العباس اليمني عن صفة سيدي عبد الله البرنوي أنه كان مليح الشارة ، صبيح الوجه نيِّره مشرقه ، فيه أدمة صافية مفتوحة ، يعلو وجهه نور الجلالة والجمال ، طويل القد واسع العينين ، متوسط الجسم حديد النظر مع الحياء والوقار والسكينة والتؤدة والخشوع اهـ.

قلت : وفي « الابريز» تأليف سيدي أحمد بن مبارك السجلملسي أن من شيوخ شيخه الذي حدث عنه بعجائب ، وهو سيدي عبد العزيز بن مسعود الشريف الدباغ رجلاً يسمى بسيدي عبد الله البرنوي ، وأن سيدي عبد العزيز لقيه بباب الجيسة ، وذكر حكاية وقعت له معه ، وهو غير صاحب الترجمة ، اشترك معه في اسمه العلم ، وفي نسبته ، لأن صاحب الترجمة توفي عام ثمانية [١٥٦] وثمانين وألف (١٠٨٨) كما تقدم ، بنص ولده الشيخ عمر في مراسلة كتبها

للشيخ سيدي أحمد اليمني ، وهي موجودة بخطه وبنص تقييدها بخط الشيخ العلامة الحجة سيدي المهدي بن أحمد الفاسي ، وكون وفاته في هذا التاريخ ضروري عند جميع الأعلام من أصحاب سيدي أحمد اليمني المذكور ، وعند غيرهم كذلك ، وأما سيدي عبد العزيز الدباغ إنما كانت ولادته بعد التسعين بالمثناة وألف ، كما ذكره شيخنا ابن المبارك المذكور في تأليفه المذكور في قضية الشاشية والسباط التي أوصى بها سيدي العربي القشتالي لمولاي عبد العزيز المذكور ، وأيضاً ففي تأليف شيخنا ابن المبارك المذكور أن سيدي عبد الله البرناوي الذي لقيه مولاي عبد العزيز توفي عام ست وعشرين ومئة وألف (١١٢٦) ، فالمتعين بالضرورة أنهما متباينان ، وإنما وقع بينهما الاشتراك لفظاً فقط في العلم والنسبة ، وكان لصاحب الترجمة القدم الراسخ في التربية ، وتفقد أصحابه وجمعهم على الله .

قال الشيخ أبو العباس الولالي في كتابه « مباحث الأنوار » حاكياً عن الشيخ سيدي أحمد اليمني : وكان الشيخ عبد الله البرنوي تُهدى له النساء فيتزوجهن لتكميل غرض المهديين ، وربما ولد معهن ، ثم يطلقهن ويزوجهن بعد العدة للصعاليك الفقراء ، فيصير أولاده أرباء عند الفقراء ، ومن أطوع الأشياء عنده الدال على كمال حاله أنه لا تأبى المرأة ما أمرها به من التزوج ، ولو كانت بنت ملك كما لا يأباه زوجها ، قال : وهو في تلك البلدة لا يتسبب ولا يبيت على معلوم ، ونرى من معه من الفقراء منقطعين إلى الله تعالى كل الانقطاع ، ولا يلتفتون إلى هم رزق ولا إلى خوف خلق ، ومن عادتهم بعد فراغهم من أوراد الصبح أنهم يتفرقون ، ويذهب كل واحد منهم إلى جهة من الغابة المحيطة بالبلد ، سواء كان الحر أو القر ، فيعبدون هنالك ، ولا يهمهم ملبوس ولا مأكول إلى الزوال ، فتراهم ينزلون من الغابة كالوحش فيمتلىء بهم المسجد ، ليحافظوا على الجماعة والصلاة مع الشيخ ، وتهتز الأرض بأذكارهم ، ولا

يزالون كذلك بقية النهار والليل إلى الصباح ، فيتفرقون وهذا دأبهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم اهـ.

وتقدم قريب من هذا عن الشيخ الحلبي عن الشيخ اليمني المذكور، وهذه طريقة عزيزة الوجود غريبة لم نسمع بمثلها في كل الأغـوار والنجود ، وكفى ما برز منها في غربنا من الشيخ أبي العباس اليمني رضي الله عنه ، سمعت من شيخنا العلامة الصالح الورع سيدي الكبير السرغيني ، عن سيدي أحمد اليمني المذكور، ولا أدري أسمعه منه أو بواسطة من غير واحد أن الشيخ اليمني قال : لا منَّة عليه لأحد من أولياء المغرب أحياء وميتين إلا الشيخ ابن عباد رضي الله عنه ، قال : إنه زاره يوماً بضريحه بداخل باب الفتوح من عدوة فاس ، فقضيت له حاجة من عند الله عظيمة ، نفعنا الله تعالى ببركاتهم أجمعين.

[١٥٧] أبو مُحمدٍ عبدُ اللهِ البسكري

ذكره أبو العباس سيدي أحمد بن عمار الجزائري في « رحلته » التي طبعت منها الحكومة الجزائرية عام ١٣٢٢ الهجري ، الموافق لسنة ١٩٠٤ المسيحية أول مقدمتها ، وحلاه بقوله : العارف بالله الشيخ أبا محمد عبد الله البسكري ، عاطفاً له على قوله : ويرحم الله العلامة أبا الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي في قوله (أبيات) ، والقاضي عياض في قوله (أبيات) ، والعارف أبا محمد عبد الله البسكري في قوله :

دارُ الحبيبِ أحقُّ أنْ تهواهـــــا * وتَحِنَّ مِنْ طربٍ إلى ذِكْراهـــا
وعلى الجفونِ متى هممْـــتَ بزَورةٍ * يا ابنَ الكرامِ عليكَ أنْ تغشاها
فلأنتَ أنتَ إذا حللْتَ بِطَيْبَـــــةٍ * وظللْتَ ترتَعُ في ظلالِ رُباهـا

مَعْنَى الجَمَالِ مُنى الخواطرِ والتـــي * سلبَتْ عقولَ العاشقينَ حُلاهـا
لا تحسَبِ المِسْكَ الذَّكيَّ كَتُربِهـــا * هيهاتَ أينَ المِسْكُ مِنْ ريَّاهـــا
طابَتْ فإنْ تبغِ التَّطيُّبَ يـا فتـــى * فأدِمْ على الساعاتِ لَثْمَ ثَراهـا

سيدي عبدُ اللهِ التواتي

أبو محمد سيدي عبد الله التواتي . كان مأواه بفندق القاعة من عدوة فاس القرويين ، وكان أعزب لا أهل له ، أخذ عن سيدي الحاج الوزاني ، وظهرت عليه بركته ، وكان موسوماً بالخير والصلاح .

توفي عن سن عالية يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية عام ١٢٥٧ .

عبدُ اللهِ بنُ حجَّاجِ بنِ يوسف الجزائري

الشيخ الفقيه القاضي العدل المرضي العفيف أبو محمد . كان أبوه رجلاً من أهل العلم ، أخذ عن أبي بكر بن العربي وغيره ، وأخذ عنه العلم ناس ، وكان صالحاً فاضلاً ، وكان قاضياً بالجزائر ، وبها نشأ أبو محمد عبد الله ، ثم انتقل إلى بجاية قاضياً بعد تأخير أبي عبد الله بن إبراهيم الأصولي ، وكان من أهل العلم والفضل والدين ، وقَّافاً مع الحق ، عاملاً على الصدق ، مشاوراً لأهل العلم ، وطالت مدته في القضاء ، وكان أحسن الناس سيرة وأنقاهم باطناً وسريرة ، ودخل الأندلس ، وله رواية عن الجزولي وغيره .

وكان رحمه الله في مدة ولايته القضاء ببجاية ، مع طول مدته ، لا يأكل من مرتبه شيئاً ، وإنما كان يصرفه في الصدقة وصلات أهل الخير والبر ، وما كان يتناول إلا من شيء يصله من فوائد عقاره ببلد الجزائر مما ورثه عن أبيه .

وتوفي رحمه الله في عشر الأربعين وست مئة ، وخلف خمسة من الولد عبد الرحمن وعبد الواحد وأحمد ومحمد وعمر ، كلهم ساد وبنى على مكارم من سلف وأجاد .

أما الفقيه أبو زيد عبد الرحمن فإنه ولي قضاء قسنطينة والجزائر ، وأما الفقيه أبو عبد الله فكان من الفضلاء والأدباء ، ومن أهل النسك والفضل ، ولي قضاء بجاية بعد أبيه مدة ، فكان أحسن الناس سيرة وأفضلهم طريقة ، وأكثرهم تخصصاً ، وكان كثير المعروف يضعه في مواضعه ، وسمعت عن [١٥٨] شيخنا أبي الحسن الزبري رحمه الله أنه كان يقول : ما رأيت أعرف بطريق أهل المعروف منه .

وأما الفقيه أبو محمد عبد الواحد فولي الخطبة بجامع الموحدين ، ولم يزل خطيباً إلى أن توفي رحمه الله ، وذلك يزيد على ثلاثين سنة ، وولي قضاء بجاية ، وهو من الصلحاء الفضلاء لا تأخذه في الله لومة لائم .

وأما الفقيه أبو علي عمر فولي القضاء في بعض أكوار بجاية ، ثم ولي قضاء الأنكحة ببجاية في مدة ولاية أخيه أبي محمد القضاء بها .

وأما أبو العباس فكان من الصلحاء الفضلاء ، كثير الصدقة كثير الانزواء عن الناس ، لم يدخل مع الناس نفسه في شيء من أمور دنياهم ، وإنما كان مقتصراً على حال نفسه مشغولاً بآخرته ، وبيتهم بالجملة بيت كريم ، وأحوالهم جارية على المنهج القويم والصراط المستقيم .

عبدُ اللّهِ بنُ عمرَ السوفي

عبد الله بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي السوفي .

كان رحمه الله في غاية الزهد والورع والتوقي ، قوي الحفظ جداً درس بولاتن ، وتوفي بها سنة تسع وعشرين وتسع مئة (٩٢٩) ، مولده سنة ست وستين وثمان مئة (٨٦٦) ، ومن تحريه أنه كان له خادم يبيع اللبن ويجمع ثمنه ، فباعه مرة بعد المغرب ثم اطلّع له على ذلك بعد أن خلط الخادم ثمنه مع غيره من ماله ، فتصدق بالجميع لأجل تعاطيه البيع بالليل ، وكان مالاً له بال

سيدي عبدُ اللّهِ بنِ غانمٍ الدراجي

السيد عبد الله بن غانم الدراجي الهذالي النجاعي .

كان رحمه الله من أهل العلم والدين والزهد واليقين ، انتقل من وطنه قسنطينة عالماً يريد العلم ، متجرداً عن الدنيا وأهلها إلى أن لقي الله تعالى بعمل صالح ، يشهد له به كل من رآه ولازمه ، وأصله من فرقة الهذالة من قبيلة أولاد دراج الظاعنة في الحضنة من أحواز المسلية ، واستوطنت عائلته مدينة قسنطينة ، وبها تعلم وانتقل منها إلى تونس عالماً ، وأخذ في قراءة البخاري دراية ورواية ، وحضر لختمه باي تونس سيدي أحمد الحسيني وأعيان المدينة علماً وسياسة ، فوقع له ما وقع .

وذهب إلى المدينة المنورة فألقى عصا التسيار بها ، وأقبل فيها على علوم الآخرة ونشرها ، ولقيه بها العلماء زوار الضريح النبوي ، على صاحبه أفضل

الصلاة وأزكى السلام ، وأخذوا عنه وأجازهم ، وانتفعوا به ، ومنهم في وطننا العلامة العامل الفاضل الورع البركة ابن البركة شيخنا سيدي محمد الحفناوي
[١٥٩] ابن القطب سيدي علي بن عمر صاحب زاوية طولفة ، ومنهم الفقيه المفسر المحدث النحوي الصوفي العالم التقي خاتمة علماء وقته في مدينة الجزائر سيدي الحاج علي بن الحفاف مفتي السادة المالكية بها ، ووقعت بينه وبين صاحب الترجمة مخاطبات في مسائل كثيرة عمل فيها بقوله ، ورجع من الحج يحدث عنه بعجائب من المكاشفات والكرامات ، ومنهم من استجازه في بلده وأجازه ، كشيخنا نخبة العصر ونابغته ، قاموس العلوم وقابوسها ، حفيدنا سيدي المكي ابن القطب سيدي المصطفى بن القطب الشيخ بن عزوز البرجي ، والحاصل أن الشيخ عبد الله الدراجي قد انتهى به في المدينة المنورة ما انتهى بالشيخ عليش في مصر ، وبعد كل نهاية بداية ، نسال الله تعالى العفو والعافية في الدارين .

كان الشيخ عالماً صارماً لا يخاف في الله لومة لائم ، فلا يبالي بأمر أمراء المدينة ولا بنهيهم في ما يراه مخالفاً للشريعة ، حكى أهل الثقة والصدق أنه مر بالحرم الشريف فوجد فيه نساء الحجاج وأولادهم على حالة تنافي حرمة المحل ، فلم يتمالك أن هجم عليهم بعصاه وأخرجهم منه ، وصارت ضجة عظيمة انتهى خبرها إلى والي المدينة ، فأمر الوالي بأن لا يبقى الشيخ في المدينة بعد ثلاثة أيام ، ولما أخبروه بالأمر قال لهم : قولوا له : هو الذي يخرج من المدينة قبل ثلاثة أيام ، وما أصبح الصباح حتى شاع أن الوالي مشرف على الهلاك ، وكان كذلك واضطر الوالي بعد المعالجة ونحوها إلى استرضاء الشيخ ، فرضي عنه وزال ما به .

وله من التأليف « إرشاد أهل الهمم العلية فيما يطلب منهم من الأدعية النبوية على اختلاف أحوالهم الزكية » فيه ثمانية فصول ، في نحو سبعة كراريس

ومنها « إتحاف المريدين بتحقيق رابطتهم بالحضرتين » ومن أحفاده في مدينة الجزائر اليوم قاضي السادة الحنفية الفقيه الشيخ حمو بن الدراجي . وأخوه الأديب الأريب علي الدراجي مترجم إدارة المجابي الجزائرية .

توفي سيدي عبد الله سنة ١٢٩٦ .

أبو مُحمدٍ عبدُ اللّهِ بنُ مُحمدٍ العباسي

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن عثمان التميمي ، الشيخ الفقيه القاضي الفاضل الوجيه ، أحد قضاة العدل ، وولاة الدين والفضل .

لقي أبا محمد عبد الحق الاشبيلي ، وأخذ عنه ، وسمع منه ، وأجاز له أبو الطاهر السلمي ، وولي قضاء سبته ، وكان بقاؤه في القضاء على أصالة وعلو منصب وجلالة ، وكان من الوجاهة والنباهة بمحل ، وله من التحصيل ما لا يشغله عنه شاغل في الحل والمرتحل .

وتوفي بمدينة تونس في شهر ربيع الأول من عام عشرين وتسع مئة (٩٢٠)

عبدُ اللّهِ بنُ محمدٍ التلمساني

عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني الحسني الإمام العلامة المحقق الحافظ الجليل المتقن ابن الإمام العلامة الحجة النظار الإمام أبي عبد الله الشريف ، إمام بلا مدافع ، كان صاحب الترجمة من أكابر علماء تلمسان ومحققيهم كأبيه ، وقال بعض من عرَّف به وأبيه وأخيه في جزء .

ولد سنة ثمان وأربعين وسبع مئة (٧٤٨) ، فنشأ على عفة وصيانة وجد ، مرضي الأخلاق ، محمود الأحوال ، موصوفاً بنبل وفهم وحذق وحرص

على طلب العلم ، وكان والده قد بُشِّر به في النوم ، رأى قائلاً يقول له : يزداد
[١٦٠] عندك ولد عالم ، لا تموت حتى تراه يقرىء العلم ، فكان كذلك قرأ القرآن على الاستاذ النحوي أبي عبد الله بن زيد بفاس ، وأبوه بها حينئذ ، وكان الأستاذ يقرىء أولاً الشرفاء والعظماء لعلو قدره في النحو والقراءة ، وظهرت حينئذ نجابته ، وحفظ القرآن و« جمل الزجاجي »و« ألفية ابن مالك » ، وقرأ على الفقيه النحوي الأستاذ الصالح ابن حياتي «الجمل » ،و« المقرّب » ، ثم جملة صالحة من « كتاب سيبويه » ، و« التسهيل » ، وانتفع به واعتمد عليه ، وعلى الخطيب ابن مرزوق جملة من البخاري ، وعلى الفقيه أبي عمران العبدوسي جملة من « المدونة » ، وعلى الفقيه الصالح أحمد القباب، « التلقين » ،و«الرسالة » و« قصيدة الكفيف » في أصول الدين ، وحضر على الشيخ الفقيه الحسن الونشريسي والشيخ الصالح أبي العباس الشماع فرعي ابن الحاجب ، وعلى القاضي أبي العباس أحمد بن الحسن « الموطأ » تفقهاً و« التهذيب »وابن الحاجب الفرعي، ثم أقبل أبوه عليه وقد كمل تهيئته لقبول الحقائق وفهم الدقائق ، فقرأ عليه في الأصول « الاقتصاد في الاعتقاد » للغزالي ، و« محصل الفخر» ، وبعض كتاب النجاة لابن سيناء ، و« المقاصد » للغزالي ، و« مختصر ابن الحاجب » ، وتأليفه المسمى « مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول » : وفي البيان « الايضاح » و« التلخيص » ، وفي الجدل كتاب « المقترح »للبيروني ، وفي الهندسة كتاب « اقليدس » ، وفي المنطق « جمل الخونجي » مراراً و« المطالع » للسراج الأرمدي ، وفي التصوف « ميزان الغزالي » وسمع منه أكثر «الصحيحين » رواية ، و« الأحكام الصغرى » لعبد الحق فقهاً وسماعاً ، «و« سيرة ابن إسحاق » و« الشفا » سماعاً وحضر عليه في التفسير من سورة النحل إلى الختم ، ومن أوله إلى قوله تعالى : ﴿يَسْتَبْشِرونَ بِنعمةٍ مِنَ اللّهِ وفَضْلٍ﴾[1] ، وقرأ عليه

(١) سورة آل عمران : الآية ١٧١ .

التفسير أيضاً فاشتغل بكثير من هذه العلوم حياة أبيه الإمام ودرس فيها . قرأ العربية زماناً طويلاً وانتفع به فيه كثيراً . وختم إقراء « الرسالة » في حياة أبيه . وكان مع طلبة أبيه أهل فهم وحفظ ودراية . فإذا بحثوا في شيء أمرهم بالتقييد فيه ويحضر مجلسه كبار الفقهاء . فصدرت منه أجوبة شهدوا بصوابها وحسنها حتى يقوم بعض الشيوخ فيقبل بين عينيه . ثم جلس مجلس أبيه بعد موته ، وحضره من يحضر أباه ، ولم يشق عليه أحد منهم ، فجرى على مذهبه نظراً ونقلاً وتحقيقاً ، واعترفوا بتقديمه حتى كان القاضي علي أبو الحسن المغربي يقول : انتفعت به في أصول الفقه أكثر من أبيه لحسن تقريبه وبسطه . ثم نقل للجامع الأعظم فأقرأ أحكام عبد الحق . وفرعي ابن الحاجب . ويحضره طلبة فاس ، وشأنهم حفظ المسائل والنقل على عادتهم خلاف عادة التلمسانيين . فيحضره جميعهم فيوفي لكلٍّ طريقه .

حدث الفقيه العدل محمد بن صالح الفاسي أنه كان وجماعة من أصحابه يختبرون حفظه وصحة نقله ، فيأتون بالكتب التي ينقل منها وينظرونها حين نقله عنها ، فلا يغير منها حرفاً ، فاعترفوا بحفظه وتحقيقه ، ثم بعد نقله يرجح
[١٦١] ويوجه لشدة ذكائه ، حتى علم الفقيه أبو القاسم بن رضوان رئيس كتبة المغرب حاله ، فذكره للسلطان عبد العزيز ، وبيَّن له علو قدره ، فوفَّر له في جرايته من غير سعي فيه ، فكان يكثر في إقرائه النقل ، ويحقق الفقه تحقيقاً بالغاً ، وفي الصيف يقرأ في العلوم العقلية من أصول وبيان وعربية وغيرها ، يقطع نهاره كله فيه بلا فتور ، وكان الطلبة يقسمون الوقت بالرملية ، حتى لم يكن بالمغرب أكثر اجتهاداً منه في الإقراء وانتفاع الطلبة ، وارتحلوا إليه من الآفاق .

وقال الشيخ الفقيه الصالح الزاهد الورع أبو العباس أحمد بن موسى البجائي وكان ممن رحل إليه وأخذ عنه علماً جماً : لايوجد اليوم من يرحل عن هذا البلد

إليه مثل شيخنا أبي محمد في غزارة العلم ، وسهولة الإلقاء ، وخفض الجناح ، وكان يثني عليه ثناءً عظيماً ، ويذكر أنه لم يجد شفاء علته في العلم إلا عنده ، وتبرز صدراً من صدور العلماء الأئمة ، حافظاً للمسائل ، بصيراً بالفتاوى والأحكام والنوازل ، نحوياً خالط النحو دَمه ، حافظاً للغة والغريب والشعر والمثل ، وأخبار العلماء ومذاهب الفرق ، مشاركاً في جميع العلوم ، حسن المجلس ، عذب الكلام ، فصيحاً مليح المنطق ، محسناً لرحمه ، مشفقاً على الطلبة ، متثبتاً في الفتوى متحرياً فيها . ولما وقف القاضي أبو عثمان العقباني على جوابه عن سؤال البجائيين في مسألة أصول الدين ، كتب تحته : شرح الله صدرك ، ورفع من أهل العلم قدرك ، والسلام . اهـ ما ذكره صاحب التقييد المذكور ملخصاً .

قلت : ثم رحل ودخل غرناطة من الأندلس ، وأقرأ هناك ، وتوفي إثر انصرافه من مالقه غريقاً في البحر قاصداً بلده تلمسان في سفر سنة اثنتين وتسعين وسبع مئة (٧٩٢) ، هكذا ذكر وفاته تلميذه الإمام أبو الفضل ابن مرزوق الحفيد ، وعمره نحو خمسة وأربعين سنة وأخذ عنه بالأندلس القاضي أبو بكر ابن عاصم وغيره .

وقال الشيخ محمد بن العباس : كان الشريف أبو محمد هذا فقيهاً عالماً علامة حافظاً راوية متبحراً آخر الحفاظ في الفتوى العلية ، ذا نفس طاهرة زكية ، شيخ شيوخنا اهـ.

ونقل عنه في « المعيار» فتاوى : فائدة : قال الإمام ابن مرزوق : جمع شيخنا الإمام العلامة أبو محمد الشريف ، وقد سئل في مجلس تفسيره وهو يفسر قوله تعالى : ﴿ فلَنْ يُقْبلَ مِنْ أحدهِم مِلءُ الأرضِ ذهباً ﴾[1] عن حكمة

(١) سورة آل عمران : الآية ٩١ .

ذكر الذهب دون الياقوت ونحوه مما هو أرفع قيمة من الذهب ، لأن القصد المبالغة في عدم ما يتقبل من الكافر في الفداء ، فأجاب بأنه إنما عظمت قيمة ما ذكر لأنه يباع بذهب كثير ، فإذا المقصود الذهب ، وغيره وسيلة إليه . قال ابن
[١٦٢] مرزوق : وهذا غاية في الحسن ، ومثل هذا كانت أجوبته على المسائل بديهة رحمه الله تعالى .

عبدُ اللهِ بنُ مُحمدٍ التلمساني

الشريف الفقيه أبو محمد ابن القاضي أبي عبد الله المدعو حمو الشريف .

توفي سنة ثمان وستين وثمان مئة (٨٦٨) ، وتوفي أخوه الفقيه الحاج الخطيب الصالح أبو العباس أحمد بن القاضي حمو سنة سبع وستين ، وأبوهما حمو المذكور من علماء تلمسان ، وليس هو بالشريف التلمساني الإمام المعروف لأنه من أهل الثامنة ، وهذا من أهل التاسعة فاعلمه .

عبدُ الله بنُ مُحمدٍ القلعي

الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر القلعي الفقيه المحصّل العدل الرضي التاريخي المحدث ، من قلعة حماد ، يدرس بالجامع الأعظم بالغداة بمجلس القضاة منه ، وكان حافظاً للخلاف العالي والمذهب المالكي ، حسن النظر والتوجيه ، حافظاً للتاريخ ، وذاكراً لحظٍ صالح من الحديث ، وكان مشاوراً شاهداً بالديوان ، وانتهت الرئاسة إليه وتأخر عنها راغباً في التأخر .

كان رحمه الله يقول في مجلس التدريس : إن لي منذ انتهيت من الديوان ستة أعوام ، وإن من هو هناك في خطته يقدر أنه اكتسب لي بهذه المدة ستة

آلاف دينار ، وإني قد اكتسبت فيها ستة آلاف دينار ، وحديث بدينار أشرف من دينار وكانت قراءته رحمه الله ببجاية ، لقي بها مشايخ كالشيخ أبي زكرياء اللفنتي ، وأبي يزيد اليرناسي ، وأبي العباس المليانى وغيرهم ، وكان من أسباب التوفيق له أنه أخذ أسيراً فوافق في الأسر بعض الفقهاء ، فشرع القراءة عليه ، ثم خلَّص الله كلاهما ، فجد بعد خروجه واجتهد إلى أن حصل ما حصل وقاده زمان التوفيق إلى ما إليه يميل .

قال في « عنوان الدراية » : وقد قرأت عليه رحمه الله وسمعت وأخذت عنه ، وهو أول من بدأت قراءة الفقه عليه ، وكان يبدأ في مجلسه بالرقائق ، وبعد ذلك بقراءة الفقه والحديث والرواية ، وكان محباً في العلم وأهله ، ومات عن انقطاع الدنيا متخل عنها ، واشتغال بنفسه ، وكانت له ببجاية وجاهة ونباهة ، وكانت جموع الأمراء في الأمور المجتمع لها لا تنعقد إلا بوجوده ، وهو كان لسان الناس فيها .

توفي عام تسعة وتسعين وست مئة (٦٩٩) اهـ من « عنوان الدراية » .

عبدُ اللهِ بنُ مُحمدٍ المسيلي

جمال الدين أبو محمد الإمام العلامة الأوحد البارع المتفنن ، صاحب المصنفات البديعة ، والعلوم الرفيعة .

كان حاله عجيباً ومنزعه غريباً ، وتصانيفه في غاية الجودة والإفادة والتنقيح ، وانتفع به القاضي فخر الدين بن شكر المالكي .

توفي سنة ٧٤٤ بالقاهرة اهـ من « الديباج » .

عبدُ اللّهِ بنُ مُحمدِ بنِ موسى البجائي

أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن علوان الشيخ الفقيه الكاتب الأديب ، المنشىء من أصحابنا الذين هم في وقتنا .

لقي مشايخنا أبا الحسن الحرالي رضي الله عنه رؤية عينٍ وتبرك . وأكثر [١٦٣] نظره على شيخنا أبي محمد عبد العزيز العيسي . وأبي العباس الغماري . تخطط بالعدالة وهي صفته ، وله فقه جيد ، وهو جامع للكتابتين الأدبية والشعرية . شيخ كتاب الكتابة الشرعية في وقته ، وعلى شهادته العمل في الدار السلطانية صانها الله ، وهو المخصوص بالشهادة على الإمارة العلية أعلا الله أمرها . وله تخصص ووقار ورواء حسن واعتبار ، وله نظم في الفرائض ، سلك فيه طريقة الحجازيين والنجديين ، ينحو فيه إلى اللطافة ويتجانب عن الكثافة . وله توقف وتثبت في الأمور ، وجرى على الطريقة المحمودة عند الخواص والجمهور ، وهو النائب في صلاة الفريضة بالجامع الأعظم شرفه الله بذكره ومن نظمه :

مِن أرضِ نعمانَ هبَّتْ نسمةُ السَّحَرِ * جاءَتْ بنشرِ عبيرٍ طيِّبٍ عَطِرِ
نَمتْ بسرٍّ خُزامى الجزْعِ واحتملَتْ * ما ضاعَ مِن نفحاتِ البانِ والسَّمُرِ
للهِ ما هيَّجَتْ مِن وجدِ مكتئبٍ * وما أثارَتْ مِنَ الأشجانِ والفِكَرِ
فاستشفْ منها بِمَنْ نحوَ الحِمَى نفحَتْ * تُخبرْكَ عَنْ ساكنيهِ طيِّبَ الخبرِ
يا ليتَ أيَّامَ وصلٍ فيه عائدةٌ * بشادنٍ نِلْتُ منه منتهى وَطَري
يبدي لمنظرِهِ مِنْ وجهِهِ قمراً * على قضيبِ لُجَينٍ ناعمٍ نَضِرِ
إذا تثنَّى تثنَّى قدُّهُ غُصُناً * وإن يَنَمْ سلَّ أسيافاً من الحَوَرِ
مهفهفٍ بِتُّ أُسقى من مراشِفِهِ * خمراً فأسقى الظَّما مِن باردٍ حَصِرِ

يفترُّ عن أقحوانٍ يانعٍ عَبِـــــقٍ * وعَنْ عقيقٍ وعَنْ نَوْرٍ وعَنْ دُرَرِ
ما لاَح لي بارقٌ من أُفقِ مَبْسَمِـــــهِ * إلا استهلَّتْ دموعُ العَيْنِ كالمَطَرِ
ولا تطلَّعَ مِنْ أزرارِ حُلَّتِـــــــهِ * إلا زرى بضياءِ الشمسِ والقَمَـرِ

عبدُ اللَّهِ بنُ محمودِ بن عمر التنبكتي

عبدُ الله بن محمود بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن علي ابن أخي السابق آنفاً .

كان فقيهاً ساذجاً مستحضراً لمسائل الفقه ونوازله ، معتنياً بذلك خصوصاً « مختصر خليل » و« الرسالة » يستحضرها نصب عينيه ، لا حظ له في غير الفقه .

توفي بعد امتحانه وإجلائه مع أهل بيته إلى مراكش أول يوم من شعبان ، يوم الاثنين عام ستة وألف (١٠٠٦) في الطاعون مطعوناً تقبل الله شهادته ، وكان رحيماً رقيق القلب رحمه الله تعالى .

أبو مُحمدٍ عبدُ الملكِ الرَّاشدي

قدوة العلماء ورئيس النبلاء ، حامل لواء الحفظ ، وجامع شتات المذهب المالكي ، تولى الفتيا المالكية ، وتوفي رحمه الله سنة ١٢٣٣ .

عبدُ الملكِ بنُ زيادةِ اللَّهِ الطبني[1]

أبو مروان الطبني وهو عبد الملك بن زيادة الله .

قال في « الذخيرة » : كان أبو مروان هذا أحد حماة سرح الكلام ، وحملة

(١) طبنة : مدينة كبيرة ، كانت في نواحي المسيلة مثل مدينة نقاوس .

ألوية الأقلام من أهل بيت اشتهروا بالشعر اشتهار المنازل بالبدر. طرؤوا
[١٦] على قرطبة قبل افتراق الجماعة وانتشار شمل الطاعة، وأناخوا فيها ولحقوا بسروات أهلها، وأبو مضر أبوه زيادة الله بن علي التميمي الطبني هو أول من بنى بيت شرفهم، ورفع في الأندلس صوته بنباهة سلفهم.

قال أبو حيان: وكان أبو مضر نديم محمد بن أبي عامر أمتعَ الناس حديثاً ومشاهدة، وأنصفهم طرباً وأحذقهم بأبواب الشحذ والملاطفة، وآخذهم بقلوب الملوك والجلة، وأنظمهم لشمل إفادة ونجعة. انتهى المقصود منه.

ثم قال في «الذخيرة»: فأما ابنه أبو مروان هذا فكان من أهل الحديث والرواية، ورحل إلى المشرق وسمع من جماعة من المحدثين بمصر والحجاز، وقتل بقرطبة سنة ٤٥٧ انتهى. وقد ذكر قصة قتله المستبشعة، واتهم باغتياله ابنه، ومن نظم أبي مروان الطبني المذكور ما وجده صاحب «الذخيرة» في بعض التعاليق بخط بعض أدباء قرطبة، قال: لما عدا أبو عامر أحمد بن محمد بن أبي عامر الخدلي في مجلسه وضربه ضرباً موجعاً، وأقرَّ بذلك أعيُنَ مطالبيه، قال أبو مروان الطبني فيه:

شكرتُ للعامريِّ ما صنعـــــا * ولم أقُلْ للحذيلميِّ لـــعـــا
ليث عرين عدا بعزتـــــه * مفترساً في وِجَارِهِ ضَبُعَـــا
لا بَرِحَتْ كفُّهُ ممكنَـــــةً * من الأماني فنِعْمَ ما صنعـــا
وَدِدْتُ لو كنتُ شاهداً لهمـــا * حتى ترى العين ذلَّ ما خَضَعا
إنْ طالَ منهُ سجودهُ فلقـــد * طال لغيرِ السجودِ ما ركَعَـــا

قال ابن بسام وابن رشيق القائل قبله:

كم ركعةٍ ركعَ الضبعان تحت يـدي * ولم يقُلْ: سَمِعَ اللهُ لَمَنْ حمِـدَهْ

ثم قال ابن بسام في «الذخيرة» ما نصه: والعرب تقول فلان يركع لغير

صلاة ، إذا كنوا عن عهر الخلوة ، ومن مليح الكناية لبعض المتقدمين يخاطب امرأته :

قلتُ : التَّشيعُ حبُّ أصلع هاشـــمٍ * فترفضي إنْ شِئتِ أو فتشيعـــي
قالت : أُصيلعُ هاشمٍ وتنفَّسَـــتْ * بأبي وأمي كلّ شيءٍ أصلعـــي

ولما صنت كتابي هذا من شَين الهجاء ، وكبرته أن يكون ميداناً للسفهاء أجريت ها هنا طلقاً من مليح التعريض في ايجاز القريض ، مما لا أدب على قائليه ، ولا وصمة عظمى على من قيل فيه ، والهجاء ينقسم قسمين :

فقسم يسمونه هجو الأشراف ، وهو ما لم يبلغ أن يكون سباباً مقذعاً ولا هجواً مستبشعاً ، وهو ما طأطأ قديماً من الأوائل ، وثلَّ عروش القبائل ، إنما هو توبيخ وتغيير وتقديم وتأخير ، كقول النجاشي في بني العجلان ، وشهرة شعره منعتني عن ذكره ، واستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأنشدوه قول النجاشي فيهم فدرأ الحد بالشبهات ، وفعل ذلك بالزبرقان حين شكا بالحطيئة ، وسأله أن ينشد ما قال فيه فأنشده قوله :

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَـــا * واقعُدْ فإنَّكَ أنتَ الطَّاعِمُ الكاسـي

[١٦٥] فسأل عن ذلك كعب بن زهير فقال : والله ما أود بما قال له : حمر النعم ، وقال حسان : لم يهجه ولكن سلح عليه بعد أن أكل البشيرم ، فهم عمر رضي الله عنه بعقابه ، ثم استعطفه بشعره المشهور .

وقال عبد الملك بن مروان يوماً : أحسابكم يا بني أمية ، فما أود أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس وأن الأعشى قال فيَّ :

تبيتونَ في المشتى ملاءً بطونكُـــمُ * وجاراتُكُم غَرْثَى يِبِتْنَ خمائِصَا

ولما سمع عَلْقَمةُ بن عُلاَثة هذا البيت بكى وقال : أنحنُ نفعل هذا بجاراتنا ،

ودعا عليه ، فما ظنك بشيء يبكي علقمة بن علاثة ، وقد كان عندهم لو ضرب بالسيف ما قال حسن ، وقد كان الراعي يقول : هجوت جماعة من الشعراء ، وما قلت فيهم ما تستحي العذراء أن تنشده في خدرها ، ولما قال جرير :

فَغُضَّ الطَّرفَ إنَّكَ مِن نُميرٍ * فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

أطفأ مصباحهُ ونام ، وقد كان بات ليلته يتململ لأنه رأى أنه قد بلغ حاجته وشفى غيظه ، قال الراعي : فخرجنا من البصرة فما وردنا ماء من مياه العرب إلا وسمعنا البيت ، قد سبقنا إليه ، حتى أتينا حاضر بني نمير فخرج إلينا النساء والصبيان يقولون : قبَّحكم الله ، وقبح ما جئتمونا به .

والقسم الثاني : هو السباب الذي أحدثه جرير أيضاً وطبقته ، وكان يقول : إذا هجوتم فأضحكوا ، وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتاً ، ولا عُيرت به قبيلة ، وهو الذي صُنّا هذا المجموع عنه ، وأعفيناه أن يكون فيه شيء منه ، فإن أبا منصور الثعالبي كتب منه في « يتيمته » ما شانه اسمه ، وبقي عليه إثمه ، ومن مليح التعريض قول بعضهم في غلام كان يصحب رجلاً يسمى بالبعوضة :

أقولُ لشادنكُم قولةً * ولكنها رمزةٌ غامِضَهْ
لزومُ البعوضِ لهُ دائماً * يدلُّ على أنَّها حامِضَهْ

وأنشدت في مثله لبعض أهل الوقت :

بيني وبينكَ سِرٌ لا أبوحُ بهِ * الكُلُّ يعملُهُ واللّهُ غافِرُهُ

وحكى أبو عامر بن شهيد عن نفسه قال : عاتبت بعض الإخوان عتاباً شديداً عن أمر أوجع فيه قلبي ، وكان آخر الشعر الذي خاطبته به هذا البيت :

وإني على ما هَاج صدري وغاظني * ليأمنني مَنْ كان عندي لهُ سِرُّ

فكان هذا البيت أشد عليه من عض الحديد ، ولم يزل يقلق به حتى بكى

إلى منه بالدموع ، وهذا الباب ممتد الأطناب ، **ويكفي** ما مر ويمر منه في **أضعاف** هذا الكتاب . انتهى كلام ابن بسام في « الذخيرة » بلفظه .

ولاخفاء أنه عارض « بالذخيرة » « يتيمة الثعالبي » ، ولذا قال في خطبة الذخيرة : أما بعد حمد الله ولي الحمد وأهله ، والصلاة على سيدنا محمد خاتم رسله فإن ثمرة هذا الأدب العالي الرتبة رسالة تنثر وترسل ، وأبيات تنظم وتفصل
[١٦٦] تنثال تلك انثيال القطر على صفحات الأزهار ، وتتصل هذه اتصال القلائد على نحور الخرائد ، وما زال في أفقنا هذا الأندلسي القصّي إلى وقتنا هذا من فرسان الفنَّين ، وأئمة النوعين ، قوم هم ما هم طيب مكاسر ، وصفاء جواهر ، وعذوبة موارد ومصادر ، لعبوا بأطراف الكلام المشقق لعب الدجى بجفون المؤرق ، وحدوا بفنون السحر المنمق حداء الأعشى ببنات المحلق اه . « نفح الطيب » .

أبو مُحمدٍ عبدُ المُنعِم الجزائري

الفقيه القاضي الفاضل الشيخ أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن عتيق الغساني ، من أهل الجزائر .

لقي المشيخة التي لقيها الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع ، كانت قراءتُهما معاً ، ولقي الفقيه أبا علي بن عبد النور الجزائري بالجزائر ، ولقي بها أبا عبد الله بن منداس .

وكان له فقه وأدب وعلم بالفرائض وإحكام الصناعة للوثائق ، كان فيها تلو الفقيه أبي محمد عبد الحق السابق ، وهو المصلّي ، ولم يكن أحد بعدهما يلحق بهما في وقتهما . وكانت له نزاهة ووجاهة وديانة وصيانة ، وله شعر رائق ، وكَتْبٌ أدبي فائق ، وكان ينشيء البياعات والكتب السلطاني إنشاء وجواباً .

تخطط بالعدالة وهي صفته ، وتخطط بالقضاء ببجاية وطالت مدته فيه ، وكان حاله فيه حال نزاهة وطهارة وعفاف ، وقيام بحق الله على الواجب ، وكان كثيراً ما يشاور أهل العلم والفضل ، ويقف عند قولهم ويعمل على رأيهم ، وكان له رَوَاء وسمت حسن ، وكانت له فصاحة لسان وتمام بيان ، وكان معظماً عند أهل بلده ، وعند ولاة الأمر ، وبحضوره كان انعقاد المجلس ، وكان مجلسه العضوي معتدلاً لا هو بالموسع ولا هو بالمضيق ، ولقد جرت في مدته خصومة لبعض الفقهاء ، وكان يتحفظ فيها كثيراً ، فتارة قائم وتارة قاعد يقول : إنما مثله كما قال الشاعر :

لا تظـن في فليشـــــــــــــــي * ظلَّ في الحكم يرتشـــــــــــي
فهوَ يصحو وينتـشي * فترى الحكم غـدوة * وتـرى النقض بالعشي

وكان كثيراً ما يجري على لسانه رحمه الله هذا البيت :

فيا ليتَ شِعْري أينَ أوكيفَ أو متـى * يقدَّرُ ما لا بُدَّ أنْ سيكـــــونُ

وكان يحب الجري على طريقة سحنون ويؤثره ، ولا جرم أن سحنونا هو قاضي قضاة المغرب ، وما كان العمل بالمغرب إلّا على قولـه كما كان العمل بالديار المصرية إلا على قول ابن المواز ، صحبناه واستفدنا منه ، واهتدينا بهديه ، وتعرفنا بركة رأيه ، رحمه الله وغفر له .

توفي بتونس في عشر الثمانين وست مئة (٦٨٠) .

ومن شعره :

لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابَـــــــةٌ * وسيِّدهُم طُرَّاً خباها لأمتـــــهْ
إلى يومِ لا يُغني عنِ المرءِ منطِـــقٌ * فصيحٌ ولا يُدلي البليغُ بحُجَّتِـــهْ
ويومَ يفرُّ المرءُ من ولدٍ لـــــــهُ * حبيبٍ ولا يُجزى أب بأبوتـــــهْ
ترى الناسَ فيه بينَ باكٍ وصـــــارخٍ * وذاكرِ ما قد فاتَ من فرطِ زلَّتهْ

فكلٌّ به حيرانُ يندُبُ شجـــــوهُ * وسكرانُ لا مِن خمرةٍ بل بغمرتِهْ
وكلُّ نبيٍّ يسألُ اللّهَ نفسَـــــــهُ * ويضرِبُ صفحاً عن سُؤالٍ لأمتِـــهْ
خلا شافعٌ فينا كريمٌ مشفَّـــــعٌ * به يشملُ اللهُ العبادَ برحمتِـــهْ
إذا لم يطق شخصٌ فعالاً مخلِّصـــاً * ولم يُلفِ ما يُنجيهِ مِن غَمْرِ حسرتِهْ
يعمُّهُمُ المختارُ أحمدُ بـالـــــذي * خبى لهم للحشرِ من فضلِ دعوتِهْ
فَمنْ ذا لهُ فضلٌ كفضلِ مُحمـــــد * على أُمَّةٍ أو مَنْ لهُ مِثلُ نعمتِـــهْ
فيا ربَّهُ بلِّغْ عبيدكَ قبـــــــرَهُ * ليحظى بتقبيلٍ لطاهرِ تُربتِـــــهْ
ويأنس في الدُّنيا به في جـــــوارِهِ * ويدخل يومَ العرضِ في أهلِ طيبتِهْ
وجازِهِ عنَّا بـالذي أنت أهلُـــــهُ * وخيرُ الورى أنتَ الكفيلُ بمنَّتِهْ

عبدُ الواحدِ بنِ أحمدَ التلمساني

عبد الواحد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني ، قاضي الجماعة بتلمسان ، توفي عام ستة وتسعين وثمان مئة (٨٩٦) .

سيدي عبد الواحد الونشريسي

كان متضلعاً في الفقه والنحو والأدب وغيرها من الفنون ، محققاً لجميعها مع طلاقة اللسان ، وحسن التعبير وسرعته ، وجودة الخط ، والشعر الرائق ، يرتجل المكاتبات في الأمور العويصة ، ويأتي فيها بالعجب العجاب ، وكان له مجلس يحضره أكابر العلماء كالزقاق واليسيتني وغيرهما .

ولد بفاس بعد انتقال أبيه إليها من تلمسان ، وأخذ عنه ، وعن الشيخ ابن غازي ، وغيرهما من أهل عصرهما ، ولم يكن في حياة أبيه في جد طلب

بل يوثر الراحة على التعب ، زوَّجه أبوه سنة عشر أو إحدى عشرة وتسع مئة فلما أعرس أطلق القاضي المفتي أبو عبد الله محمد بن عبد الله اليفرني الشهير بالقاضي المكناسي يده على الشهادة ، وقال لأبيه : هذه هديتي لهذا العرس .

[١٦٨] وكانت الشهادة عند هذا القاضي عزيزة ، كان يقول : من طلبها لي فكأنّما خطب ابنتي ، ثم ولي بعد أبيه دروسه الوقفية ، ثم ولي القضاء والفتوى بفاس . فبقي نحواً من ثمان عشرة سنة ، ثم تخلى عن القضاء إلى الفتوى بعد موت ابن هارون ، وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم .

وتوفي قتيلاً في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وتسع مئة (٩٥٥) اهـ .

عبد الوهاب بن يوسف البجائي

عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر الفقيه الفاضل أحد الأفاضل ، قلَّ أن يسمح بمثله .

قرأ ببجاية ، ولقي بها ناساً ، ورحل للشرق ولقي أفاضل ، حج مرتين ، وله تحصيل جيد في الفقه والأصلين ، ومعرفة بالحكمة ، وبراعة في المنطق ، خصوصاً على طريقة المتأخرين ، ولم يكن في وقته أعلم منه بكشف الأسرار الذي وضعه الجوهري في علم المنطق ، وهو أعلم من واضعه ، ولي قضاء جملة بلاد في إفريقية كتوزر وقفصه وغيرهما ، وحقه أن يتقدم على أكابر وقته ، ولكن الحظوظ لا تجري على العقول ، فالأرزاق قسم والعقول مثلها ، وكذلك الحظوظ .

توفي بتونس في عشر الستين وست مئة ، صح من « عنوان الغبريني » قيل : طريق المتأخرين طريق الإمام الفخر ، والمتقدمين طريق الفارابي .

سيّدي عثمانُ السوداني

الفقيه أبو سعيد عثمان السوداني ، ممن قرأ على سيدي عبد القادر الفاسي .

أبو مُحمدٍ عطيَّةُ اللَّهِ اليراتني

الشيخ أبو محمد عطية الله بن منصور الزواوي اليراتني الفقيه الصالح العابد الموفق الموهوب ، من عطايا الله السنية ، ما صار به اسمه المبارك ، جاء ما بين الإضافة والعلمية ، وهو جنع بين العلم والعمل ، وبلغ في مراقي التقوى إلى غاية الأمل .

سمعت ممن أثق به أن وليين من أولياء الله تعالى وردا على منزله ضيفين ، وهو حديث السن ، وكان بعيد الحفظ ، فتوسما فيه سمة العلم والتقوى ، وقوي في باطنهما أنه ممن يستحق مناصب أولي العلم والنهى ، فاتفقا على الوجهة إلى الله تعالى في أمره والضراعة إليه أن يفيض عليه من خيره ، فأخذاه وأجلساه بين أيديهما ، وجعلا يجبذان شعر رأسه وأذنيه ويقرآن عليه ، ولا يظهر لهما في أمره جلاء ، وهما يقولان : لن نغلب عليه ، لن نغلب عليه . فلم يزالا كذلك إلى أن ظهر لهما أنجح حاله ، وعقب مآله ، فأرسلاه من أيديهما ، فظهرت عليه ظواهر الأنوار ، وتبدت له غرائب وأسرار .

وكان في غاية الحفظ والإتقان ، لا يطالع شيئاً إلا حفظه من ساعته . ولقد سمعت من بعض الشيوخ رحمهم الله أنه سمع بكتاب غريب عند بعض الطلبة ، وأنه وجه إليه في نسخه فتعلل عليه ، فطلبه أن يعيره له ليلة واحدة فأسعفه لذلك ، فطالعه من أوله إلى آخره ، فحفظه من ليلته ، فأعاد الكتاب

إليه . ثم أملاه من صدره . وذكر لي أن اسمه الذي سمي به لم يكن عطية الله ،
[١٦٩] وإنما سمي بعطية الله بعد ظهور هذا الأمر عليه ، فكان يقال : عطية الله ، يُكني عن هذه المواهب التي وهبه الله ، ثم غلب عليه هذا الاسم حتى اتسمه وصار لا يعرف بسواه . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، رزقنا الله بركة أوليائه . وجعلنا من خواص الأصفياء بفضله اهـ.

عفيفُ الدِّينِ التلمساني

في « فوات الوفيات » لابن شاكر ما نصه : سليمان بن علي بن عبد الله ابن علي الشيخ الأديب البارع عفيف الدين التلمساني . كان يدعي العرفان ، ويتكلم على اصطلاح القوم ، قال قطب الدين اليونيني : كان حسن العشرة ، كريم الأخلاق ، وله حرمة ووجاهة ، خدم في عدة جهات .

وقال الجزري في « تاريخه » : إنه عمل ببلاد الروم أربعين خلوة ، يخرج من واحدة ، ويدخل في أخرى ، وله في كل علم تصنيف ، وحكى بعضهم قال : اطلعت عليه يوم قُبض ، فقلت له : كيف حالك ؟ قال : بخير ، من عرف الله كيف يخافه ، والله منذ عرفته ما خفته وأنا فرحان بلقائه ، قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : وحكى لي الشيخ طي الحافي قال : كان عفيف الدين مباشراً استيفاء الخزانة بدمشق ، فحضر إلا سعد بن السديد الأعز إلى دمشق صحبة السلطان الملك المنصور ، فقال له يوماً : يا عفيف الدين أريد منك أن تعمل لي أوراقاً بمصروف الخزانة وحاصلها ، قال : نعم وطلبها منه مرة أخرى ، ومرة وهو يقول : نعم ، فقال في الآخر : أراك كلما أطلب منك الأوراق تقول : نعم ، وأغلظ له في القول ، فقال له الشيخ عفيف الدين : ويلك لمن تقول هذا الكلام ، ثم شق ثيابه ، وقام يهم بالدخول للسلطان ، فقام الناس

إلى الأسعد وعَّرفوه بالشيخ . وقالوا له : متى دخل إلى السلطان آذاك ، فسألهم رده واستعذر له . وقال الشيخ أثير الدين المذكور : هذا الشيخ عفيف الدين أديب ماهر جيد النظم . تارة يكون شيخ صوفية ، وتارة كاتباً ، وتارة مجرداً ، قدم علينا القاهرة ونزل بخانقاه سعيد السعداء عند صاحبه ، وشيخها الشيخ شمس الدين الايلي . وكان متخيلاً في أقواله وأفعاله طريقة ابن العربي .

[١٧٠] توفي الشيخ عفيف الدين بدمشق في شهور سنة تسعين وست مئة (٦٩٠) ، ودفن بمقابر الصوفية ، ومن نظمه :

وقفنا على المغنى قديماً فما أغنى * ولا دلَّتِ الألفاظُ منهُ على معنى
وكَمْ فيه أمسينا وبِتْنا بربعه * حيارى وأصبحنا حَيارى كما بِتْنَا
فلَمْ نَرَ للغِيْدِ الحِسَانِ بِهِم سَنَىً * ولولا النصارى ما تَمِلْنَا ولا مِلْنَا
تَمِلْنَا ومِلْنَا والدُّموعُ مُدامُنَا * ومِنْ أجْلِ بدرِ التّمِّ في حُسنِها أسنا
نسائلُ باناتِ الحِمَى عن قُدودِهِم * ولا سيَّما في لِينها البانة الغَنَّا
ونلثُمُ تُرْبَ الأرضِ أن قد مَشَتْ بها * سُلَيمى ولُبنى لا سُلَيمى ولا لُبنى
فوا أسَفاً فيه على يُوسفَ الحِمَى * ويعقوبه تَبيضُّ أعينُهُ حُزْنَا
وليسَ الشَّجِي مثلَ الخليِّ لأجلِ ذا * به نحنُ نُحْنَا والحَمَامُ بنا غَنَّى
ينادي مناديهِمْ ويُصغي إلى الصَّدا * فيسألُنا عنهم بِمثْلِ الذي قُلنا

ومنه :

لا تَلُمْ صَبوتي فَمنْ حبَّ يصبُو * إنما يرحمُ المُحِبَّ المحبُّ
كيفَ لا يُوقِدُ النَّسيمُ غرامي * ولهُ في ديارِ ليلى مَهَبُّ
ما اعتذاري إذا خَبتْ لِيَ نارٌ * وحبيبي أنوارُهُ ليسَ تخبُو

وشعره جيد للغاية ، رحمه الله تعالى وعفا عنه وعن جميع المسلمين .

عليُّ بنُ أبي القاسمِ التلمساني

أبو الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي قنون أو بهتون.

روى عن أبي الحسن شريح، وأبي عبد الله أحمد الخولاني، وأبي علي الصدفي، وأبي عمران بن أبي تليد، وروى عنه أبو الحسن بن محمد ابن خيار، وأبو الخطاب بن الجميل، وأبو طالب عقيل بن عطية، وأبو عبد الله بن عبد الحق، وأبو محمد قاسم ابن الحشا.

وكان متبحراً في الفقه محققاً لأصوله.

وله تآليف كثيرة أجلها «المقتضب الأشفى في اختصار المستصفى»، وكان سري الهمة كثير المعروف خيِّراً فاضلاً، ولي قضاء تلمسان بعد أبي يوسف بن حجاج فعدل، وأحسن السيرة، وتوفي سنة سبع وخمسين وخمس مئة (٥٥٧)

عليُّ بنُ أحمدَ الشريفِ بنِ مالكٍ الجزائري

لا أعرف من تاريخه إلا قصيدته هذه:

أيا جيرةً حلُّوا بخيرِ مقـــــامِ * لكُم قد صبا قلبي وطابَ مقامِ
سعدتُ فبشرى إذ مُنحتُ بحبِّكـــم * وذاكَ مناي في الدُّنـا ومَـرَام
لقد أضرمَ الأشواقَ بدرُ مجيئِكُـــم * وأتلفَ صبري في الهوى ومَنَامِ
وصادَ بكُم لُبِّي رشاً أحور الجفـــو * نِ أحوى عليل الخصرِ علّ عظـامِ
برى حبُّه جسمي وصيَّرني الهـــوى * حليفَ سهادٍ ما لضعفيَ حـــامِ
لقد أُضرمَتْ نارُ الخليلِ بمهجتـــي * فهامَ لها دمعي كقطرِ غَمـــامِ
ومِن عجبٍ ماءٌ ونارٌ تألَّفـــا * وأعجبُ مِن ذا كونهُ عَن ضِرامِ
[١٧١] لهُ اللهُ من ظبيٍ شرودٍ فكَمْ رمـــى * فؤادي على بُعدٍ يُريدُ حِمـــامِ

وقد الحشا يوماً بخد تسلسلتْ * عليهِ عذارٌ فوقَ وَرْدٍ كَلامِ
فناديتُهُ والقلبُ برَّحهُ الجَوى * أمولايَ صِلني إنني في هيامِ
وزارَ على غيظِ الحسودِ تعطُّفاً * وحياني أحياناً فأحيا عظامِ
ومقلتُه الوسناءُ تدنو تغافلاً * كلحظِ غزالٍ قد رَنَى مِن منامِ
وغصنُ النَّقا يختالُ في الرَّوضِ إذ بدا * حياءً بقدٍّ قدَّ كُلَّ قوامِ
أراقبُ بدرَ الأفقِ عنهُ إذا اهتدى * وأنشقُ ريَّا المسكِ حين ابتسامِ
قضى حسنُه الوضَّاحُ عَنْ كُلِّ ناظرٍ * بألاَّ يُرى إلاَّ قتيلَ غَرامِ
ولَّما رأى العُذَّالُ بعضَ جمالِهِ * رثَوا لي ورقُّوا واهتدوا لهيامِ
وما صبوتي فيمَنْ رأوكِ حقيقةً * ولكنَّني أصبو بحُبِّ إمامِ
أبي زيد القطب الأجل الثعالبي * إمام الورى طُرَّاً بكُلِّ مَقامِ
سليلِ خيارٍ أحرزوا الفضلَ والنَّدا * وأعطوا نجاراً في البريَّةِ سامِ
لهُم كلُّ فُضلٍ ينتمي فجنابُهم * وعنصرهُم أصلٌ لكلِّ فخامِ
حباهُم إلاه العرشِ كلَّ فضيلةٍ * وأربوا على أعلى السُّهى بهُمامِ
هنيئاً وبُشرى للجزائرِ إذ غدتْ * به مقصداً شوقاً لأهل الغرامِ
به لبِسَتْ ثوبَ الفَخارِ وجرَّرتْ * ذيولَ المنى واستبشرَتْ بمرامِ
وأمطرها سُحْبَ المكارمِ والتُّقى * وسيقَتْ لها الخيراتُ طولَ الدوامِ
وحلَّ بها الفتحُ المبينُ لقاصدٍ * لديه المُنَى والأمرُ مِنْ كلِّ رامِ
ألا حبَّذا ربعٌ تضمَّنَ قبرَهُ * رياضٌ مِن الفردوسِ قُربَ خيامِ
مقامٌ لهُ قدَرزَّ أسرارَ سُنْدُسٍ * حواليهِ راياتٌ عَلَتْ بسهامِ
فمَنْ بادرَ التوفيقَ حازَ ظلالها * ومَنْ حادَ عن تقوى رمتْهُ بسَامِ
كما الصَّافناتُ الغُرُّ تملكُ رسنها * تراعي بها الأملاكُ فحلَ إمامِ
قوائمُها الدرُّ المجوَّفُ سرجُها الزّ * برجدُ موصولاً بخير زمامِ
كذا شيخهُ حَبْرُ الأنامِ وكنزُها * أبو جمعة الأتقى سميُّ المقامِ

فيا فوزَ مَنْ أضحى نزيلاً رُباهما * هنيئاً لهُ يا فوزَهُ بمرامِ
[١٧٢] ويا رِبحَ مَنْ حلَّ السّداد لقلبهِ * وزارَ على الايصال خيرَ أنامِ
يصافِحُهُ التوفيقُ مِن كُلِّ وُجهةٍ * ويحظى بتقوى اللّهِ زادِ الكرامِ
لقد ضمَّ أسراراً وعلماً وحكمةً * وراوَحَهُ الرِّضوانُ طولَ الدَّوامِ
وأمسى بهِ الرَّبعُ الشريفُ مقدَّساً * يُباهي بهِ الفردوسَ دارَ السَّلامِ
تطوفُ بهِ الأملاكُ مِن كلِّ جانبٍ * لتأمينِ داعٍ قَدْ دعا بغرامِ
عليكَ بهِ يا مَنْ يُريدُ سعادةً * وفوزاً مِنَ المولى وكُلِّ هُمامِ
هو البحرُ عذبُ الوردِ مهما قصدتَهُ * سقاكَ به نهلاً سقاءَ كرامِ
لقد خُصَّ قِدْماً بالمكارمِ واغتذى * ثديّ العلومِ الجمِّ قبلَ فطامِ
إذا ما بدا في الجوِّ طالعُ نورهِ * تردَّتْ بدورُ الأفقِ ثوبَ ظلامِ
فكَمْ شادَ مِن علمٍ عزيزٍ وحكمةٍ * وكم بثَّ أسراراً بحُسنِ نِظامِ
أفادَ جزاهُ اللهُ خيرَ جزائهِ * وبوَّأهُ الفردوسَ أعلاَ مقامِ
جواهرُ تُسمى بالحِسانِ فكَمْ رَمَتْ * بكشفِ معانٍ للقُرانِ عِظامِ
عليكَ بها تشفي الغليلَ فقد حوتْ * بتبيانِها الوضاحِ كُلَّ مرامِ
فللّهِ كَمْ أجرَتْ براعةُ نهرِها * وأبدتْ معانٍ عذبةً باحتكامِ
رياضٌ لهُ للصالحينَ أفادَهُ * كروضةِ أنوارٍ بديعِ النّظامِ
وكَمْ مِن تآليفٍ أفادت بها النُّهى * تُعدُّ بإبداعٍ وحُسنِ انسجامِ
فمَنْ بعدهُ للعلمِ والحلمِ والنَّدا * ومَنْ بكتابِ اللّهِ بادي القيامِ
ومَنْ بعدهُ يروي الحديثَ تفهُّماً * وحفظاً وإسناداً بعذبِ كلامِ
لقد أقسمَتْ أيدي الزَّمانِ بأنها * عقيمٌ على مثلٍ لهُ بدوامِ
فهذا وإنْ أردت شيئاً فسِرْ لهُ * تنَلْ كُلَّ مطلوبٍ بخيرِ مقامِ
بقبرٍ لهُ كم فازَ أهلُ الهدى وكَمْ * أنالَ المنى صباً أتى مُترامِ
لهُ أولياءُ اللهِ ألقَتْ زِمامها * تراهُ لها بدراً كبدرِ التمامِ

وسلطانُها بل قطبُها وسراجُها * وعُروتُها الوُثقى لكلِّ الأنامِ
أبو زيدٍ الأرضي الأبرُّ الثعالبي * إمامُ الهدى بحرُ النَّدا المتطامِ
لقد أودَعَ اللهُ الجزائرَ رحمةً * وعَّمتَ بها النهى بغوثٍ هُمامِ
به أشرقَتْ أنوارُ صدري وأورقَتْ * غصونُ مناي في رياضِ إكامِ
بقلبيَ قد أضمرتُ حبَّهُ كاتماً * فلَمْ تدرِ ما بالقلبِ منهُ عِظامِ
منازلهُ عادت إلينا مناهلاً * تمتَّعْ بها يا قلبُ والعيشُ سامِ
ألا حدِّثنْ عمَّنْ هويتَ وأسندَنْ * رواياتكَ القُربى بعهدِ إمامِ
وكرِّر لنا ذكرَ الحديثِ مسلسلاً * فذكرُكَ ترياقٌ لأهلِ الغرامِ
لقد رقَّ لي فيه النسيبُ وساعدَتْ * عليه قوافي الشِّعرِ حينَ نظامِ
مآثرُهُ لا تنقضي لمحدِّثٍ * ومِنْ أينَ لي عَدٌّ لقطرِ الغمامِ
أمولايَ يا غوثَ الأنامِ تعطُّفاً * وجوداً على عبدٍ لكُمْ متترامِ
خدمتُكَ يا مولايَ أرجو تكرُّماً * قبولاً لديكمُ يزدهي بتمامِ
فأنتَ الذي يُعطي الجزيلَ لقاصدٍ * وأنتَ لريبِ الدَّهرِ كهف الأنامِ
[١٧٣] وأنتَ الذي حازَ المفاخرَ والعُلا * وفضلُكَ في السبعِ السَّماوات سامِ
وأنتَ الذي أخبرتَ أنَّكَ فائزٌ * بحُبٍّ مِن المولى وكلِّ إمامِ
وأنتَ الذي بُشِّرتَ خيرَ بشارةٍ * مِنَ اللّه بالغُفرانِ ثمَّ سلامِ
وأنت الذي أعطيتَ خيرَ كرامةٍ * مِنَ اللّه إذ سمَّاكَ قُطبَ الأنامِ
وأنتَ الذي مَنْ أمَّ قبرَكَ هُدِّمَتْ * لهُ سيئاتٌ مَعْ بلوغِ مَرامِ
وأنتَ الذي حورُ الجنانِ تأهَّبَتْ * لوصلكَ فاشتاقَتْ لهُ بغرامِ
وأنتَ الذي توَّجْتَ تاجَ البها بحضـ * ـرةِ المُصطفى شفَّعته بغرامِ
وأنتَ الذي تُرجى لكلِّ عظيمةٍ * وأنتَ الذي تسطو لكلِّ مُضامِ
وأنتَ إذا جارَ الزمانُ بنكبةٍ * جديرٌ بنصرٍ حافظٍ لذمامِ
وأنتَ الذي ينجو العليقُ بذيلِهِ * ويروي كؤوسَ الوصلِ بعدَ أوامِ

أمولايَ إني قد عُرفتُ بِحبِّكُـــــم * وحاشاكُمُ أنْ تُسلموني لـــــرامِ
فحبُّكُمُ ذُخري وكَنزي ومقصـــدي * ومدحُكُمُ قوتي ونُورُ ظلامـــــي
إلهـي بقطبِ الأولياء الثَّعالبـــي * أجبْ دعوتي وامنُنْ بكُلِّ مـــرامِ
وهَبْ لي أيا مَنَّانُ علماً وتـوبـــةً * وحُسنَ اتِّباعٍ يزدهي بتمـــامِ
وبَلِّغْ مُرادي مِن زيارةِ أحمـــــد * إلهـي ومتِّعني بذاكَ المقـــامِ
لطيبةَ كَمْ أصبو وما لي قُـــــدرةٌ * وللمنحنى حنَّ الحشا بغـــرامِ
أهيلَ الحمى مُنُّوا عليَّ بـــــزورةٍ * أفوز بها يوماً ولو بمنـــــامِ
وأضحي لديكُم في الأنـامِ منعمـــاً * بقربِ رسول اللهِ بدرِ التمـــامِ
نبيِّ الهدى المبعوثِ للخلقِ منَّـــةً * شفيع الورى يومَ اشتدادِ الخصـامِ
هوَ الرَّحمةُ المهداةُ للخلقِ منَّـــةً * هو المجتبى الداعي لدارِ السَّـلامِ
هو البدرُ إلاَّ أنَّـهُ الكامـــلُ الَـذي * يلوحُ ولا نقصٌ لـهُ بـــدوامِ
وبحرُ النَّـدا مجلي الصَّـــدا أينما بدا * ومعطي العِدَا ثوبَ الرَّدى بِلِـزَامِ
لـهُ معجزاتٌ أفحمَتْ كُـلَّ نـاكـرٍ * وأعظمُها القرآنُ عـذبُ النظـامِ
لهُ أتتِ الأشجارُ ساجـدةً كمـــا * أتى البدرُ منشقاً سريعَ التئـــامِ
وكالشَّمسِ إذ ردَّت لـهُ بعدَ ميلهـــا * وإكرامُهُ حفظاً بِظِلٍّ غمـــامِ
وإرواءُ جيشٍ مِـن زلالٍ بكفِّـــهِ * تفجـرَ كالأنهـارِ بعـــدَ أوامِ
[١٧٤] وبالغارِ نسجُ العنكبوتِ لآيـــــةٍ * كما ردَّ حزبَ الخزي نسجُ حَمـامِ
وتسليمُ ثعبانٍ عليهِ وظبيـــــةٍ * شكَتْ هولَ صيَّادٍ لها بِحمـــامِ
وردُّ لسانٍ قُصَّ بعدَ انفصالـــهِ * وكَمْ آيةٍ لا تنقضي لهمـــامِ
هو المصطفى المختارُ مِن خيرِ أمَّـــةٍ * هوَ المُجتبى الهادي وذخرُ الأنـامِ
إلهـي بهِ والآلِ هَب لي تخَلُّصـــاً * وثبِّتْ لنا الإسلامَ عِنْدَ الحمـــامِ
وشفِّعْ أيا رحمانُ فِينا محمَّـــداً * وخُذْ بيدي عفواً بيومِ الزِّحـــامِ
وعمِّر إلهـي مَنْ محبَّة دينـــهِ * جوارحُنا وامنُنْ بحُسْنِ ختـــامِ

وواصِلْ على خيرِ الأنامِ تحيَّـــــةً * صلاةً شذاها عنبريُّ الختـــــامِ
كذا الآلُ والأصحابُ ما هبَّتِ الصبـا * وما أمَّتِ العُشَّاقُ أهلَ الخِيـــامِ

أثبتها علي بن أحمد الشريف بن مالك ، رحمه الله ونفعنا به آمين .

سيّدي علي التواتي

الولي الصالح المجذوب السائح أبو الحسن سيدي علي التواتي .

ترجمه في كتاب « التفكر والاعتبار » : فقال : ومنهم الشيخ المجذوب المولَّه سيدي أبو الحسن علي بن الحاج التواتي ، دفين بين المدن عدوة فاس ، بقرب مسجد الشوك .

توفي رضي الله عنه سنة ثمان وخمسين وألف (١٠٥٨) اهـ ، وأورده في « التنبيه » ولم يذكر له وفاة ولا غيرها ، وكذا الشيخ المدرع في منظومته فقال :

وسيدي علي التواتـــــــــي * بجامعِ الشوكِ مِنَ الســـــراةِ

وضريحه رحمه الله مشهور إلى الآن ، مزار متبرك .

عليُّ بنُ ثابتٍ التلمساني

علي بن ثابت بن سعيد بن علي بن محمد بن علي بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن يخلف بن عبد الرحمن بن محمد بن زيد بن ياسين بن عبد الملك ابن محمد بن قيس بن أحمد بن محمد بن أبان بن عثمان بن عفان القريشي الأموي ، هكذا نسبه شيخه الإمام ابن مرزوق الحفيد في إجازته له .

كان مقطوع النظير في الورع والاجتهاد والدين ، قائم الليل صائم النهار .

له من التآليف نحو ثمانية وعشرين تأليفاً ، أكثرها في أصول الدين والحديث والتاريخ والطب ، منها : ثلاثة شروح على البردة الكبير والوسط والصغير ، وشرح لتنقيح القرافي ، وشرح عقيدة الضرير .

أخذ عن الإمام ابن مرزوق ، وتوفي في ذي الحجة متم عام تسعة وعشرين وثمان مئة (٨٢٩) ، وسِنُّه سبع وخمسون سنة .

عليُّ بنُ الحفافِ الجزائري

من « صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار و لأقطار»

قال الشيخ بيرم في « رحلته » : ومن الأخيار الذين اجتمعت بهم ومنحوني فضائل أخلاقهم النحرير العالم الشيخ علي بن الحفاف المفتي المالكي بقاعدة الجزائر ، وهو من تلامذة علامة القطر الافريقي الشيخ إبراهيم الرياحي ، كما أخبرني بذلك عن نفسه ، وله فضائل كاملة ، وتقوى وسكينة ، واطلاع وسعة في الفقه والحديث الخ .

ومما دار بينهما من الكلام الكلامُ على الهجرة ، فأشار عليه بأن بقاء العالم للناس خير له من انتقاله لنفسه ، وقال : ذلك هو المنصوص عليه في فقهنا . أقول : وكنت سألت شيخنا الأستاذ سيدي محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي في هذا المعنى قبل قدومي إلى الجزائر بسنوات ثلاث أو أربع ، فأجابني من دون تأمل بأن النهار أو الليل لا مفر منه إذا أقبل ، إشارة إلى أن الأرض في العصر الجديد دار واحدة لا ينتقل منها إلا إليها رضي الله عنه .

وكانت وفاة الإمام ابن الحفاف يوم السبت صباحاً عام ١٣٠٧ ، وكنت في عشية يوم الجمعة قصدته مع علامة المغربين الأدنى والأوسط الشيخ المكي

ابن مصطفى بن عزوز، فزرناه وطلب منه الشيخ الإجازة في البخاري خصوصاً وفي غيره على ما أظن عموماً فأجازه، وفي الغد سمعنا بوفاته فسبحان القدير على جمع من يشاء بمن يشاء متى شاء.

عليُّ بنُ ذي الوزارتين التلمساني

علي بن ذي الوزارتين محمد بن المسعود الخزاعي التلمساني المولد، الفاسي الوفاة، الأندلسي الأب والسلف، الفقيه الكاتب وهو القائل لما كبا بموسى بن أبي عنان المريني فرسه بالشماعين:

مولايَ لا ذنبَ للشَّقراءِ إنْ عثَـرتْ * ومَنْ يلُمْهَا لعمري فهوَ ظالمُهـا
[١٧٥] قد هالَها ما اعتراها من مهابَتِكُـم * من أجل ذلكَ لم تثبُتْ قوائمُهـا
ولم تزلْ عادةُ الفرسانِ مُذْ ركبـوا * تكبوُ الجيادُ ولم تَنْبُ عزائمُهـا
وفي النبيِّ رسولِ اللهِ أسوتُنـا * أعلى النبيين مقداراً وخاتمُهـا
كبابِهِ فرسٌ أبقى بسقطتِـه * في جنبه خدشةً تبدو مراسِمُهـا
حتى لصلَّى صلاةً جالساً ثبَتَـتْ * لنابِهِ سنةٌ لاحَتْ معالمُهَـا
صلَّ الإله عليهِ دائماً أبـداً * أزكى صلاةً تُحييها نواسِمُهـا

وقال في القصة الولي أبو عبد الله محمد بن عباد الحميري الرندي:

إن الجـوادَ مـا كبـا * إلا لمـا فيـه نَبـا
لكَ قبـولُ مـا بِـه * إمـا منـا تَقَـرَّبـا

وقال فيه مسعود بن محمد بن أبي الطلاق أبو سرحان:

إن الجـوادَ مـا كبـا * إلا لفتـحٍ قَـرُبـا
فـإنـه صلَّـى ومَـنْ * صلَّـى ينـالُ الأربَـا
وإنمـا صـلاتُـهُ * صـلاةُ نصـرٍ وجَبَـا

عليٌّ الزيات البجائي

الشيخ الفقيه الصالح الأصيل الفاضل المتعبد أبو الحسن ، حافظ المذهب ، محصل له متقن مجيد .

قرأ بالأندلس واستوطن بجاية ، وأقرأ بها وانتفع الناس بعلمه ودينه ، ثم رحل لحاضرة افريقية ، وكان يقرأ عليه كتب المذهب « كالتهذيب » «والرسالة» و« الجلاب » و« التقلين » وغيرها ، إلى أن توفي بها يأكل من كد يمينه معرضاً عن خطط الفقهاء ، ولو أرادها ما تعذرت عليه ... من « عنوان الدراية »

قلت : وهو من شيوخ العارف بالله ابن أبي جمرة .

عليٌّ بنُ سليمانَ البربني

الولى الصالح والنجم الواضح سيدي علي بن سليمان البربني ، معظم عند أهله ، ومحترم عند أهل وطنه ، قبره يزار ، وأولاده فيهم العلم والصلاح وخدمة الخير وأهله ومحبة العلم وذويه ، سيما سيدي علي بن الصالح .

وكان حبيباً لجدي ولوالدي ، وقد ظهرت أنواره وقويت أسراره ، وعلمه وفضله ظاهر إذ قد درس وأسس وعلم وأنس ، نبراس زمانه ، وعبقري أوانه ، وليث مكانه اهـ ورتيلاني .

[١٧٦] سيدي علي الصَّافي

الشيخ الفاضل العالم كبير السن ، عظيم الشأن ، سيدي علي الصافي من ذرية الولي الصالح سيدي موسى ، وسيدي علي هذا أدركناه عابداً كان أقبل على مولاه ، ضريحه في قريته ، وأما جده فضريحه عند بني إبراهيم ، معظم قبره يزار ، وأولاد سيدي علي هذا أفاضل إلى الآن ، هم على خير إلى قيام الساعة إن شاء الله نفعنا الله بكلهم آمين اهـ. ورتيلاني .

عليُّ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ أحمد القبائلي

يُكنى أبا الحسن الفقيه الكاتب ، كاتب أبي سعيد بن أبي العباس المريني ، وهو الذي كان مريضاً عند مقتل أبيه ، ولما اعترى أبا سعيد المذكور مرض في شعبان من سنة سبع وثمان مئة ، وصح من مرضه وهنأته الشعراء بقصائد كثيرة ، هنأه من جملتهم أبو الحسن المذكور بقصيدة ، وهي :

هنيئاً لنا ولكلِّ الأنـــــام * براحة فخرِ الملوكِ الهمُـــام
إمامٌ أقامَ رسولَ العُـــلاَ * وحـلَّ منَ الحجرِ أعلا سنـــام
به مَرّت العينُ لمَّـا بـــدا * صحيحاً وما إن به مِن سقـــام
وهَـلْ هوَ إلا كبـدرِ الـدُّجـنى * يوارى قليلاً وراءَ الغمـــام
ويظهرُ طوراً فيجلو بـــه * عنِ الناسِ يا صاحِ داجي الظلام
أو الليثِ يعكفُ في غيلِـــهِ * فتحذَرُ منهُ السِّباعُ اهتجـام
أمولايَ عثمانُ بحـر النَّـــدى * ومرزي العُداةِ ونجل الكـــرام
لقد رفعَ اللّهُ سُلطـــانَـــهُ * بنفسي الفداءُ لَهُ مِن إمـــام

أمولايَ عبدُكَ قـد ضـــــرَّهُ * أفولُ رضاكُـم وبُعـد المـــرام
وأضحى كئيباً لإبعـادِكُـــم * مشوقاً لتقبيلِ ذاكَ المقـــام
فكُنْ راحمـاً يـا إمـام الـورى * عطوفاً لمملوكِكَ المستهـــام
لعلَّ الذي نـالـــهُ ينقضـــي * وتشملُهُ بالهباتِ الجِسَـــام
فأيَّدَكَ اللهُ بـالـنَّصرِ مـــــا * ترنَّمَ فوقَ الغُصونِ الحَمَـــام

توفي بفاس ذبيحاً سنة ٨٠٩ اهـ. من « الجذوة » .

أبو الحسنِ عليُّ بنُ عمرانَ المليانيِ

أبو الحسن علي بن عمران بن موسى المليانيِ ، عرف بابن أساطير ، الشيخ الفقيه الأصولي الجليل الفاضل الشيخ الحكيم أبو الحسن . لقي المشيخة ببجاية كالشيخ أبي الحسن الحرالي رضي الله عنه ، وغيره ، وكان من خواص أصحابه ، ومن فضلائهم .

[١٧٧] كان له علم بالفقه وأمر الدين والتصوف وعلوم الحكمة ، وكان له علم بالوثيقة ، وكان من عدول بجاية وخيارها ، وكان متخصصاً متزهداً مقللاً من الدنيا متعففاً مقتصداً ، ومضى له زمان وهو فيه في غاية التخلي والانقطاع في مدة الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه وكان يحمل خبزه إلى الفرن بيده ، وكان يرغب في أن تحمل عنه فيمتنع من ذلك ، وكثيراً ما كان يشتري ما يحتاج إليه من ضرورة منزله بيده ، ويحمله بنفسه ولا يترك أحداً يحمله عنه ، ولم يكن ذلك منه إلا قصداً للبراءة من الكبر ، لأنه كانت له رياسة وهمة وعلو ، ولم يكن من هو دونه في المنزلة يفعل مثل ذلك .

وكان شيخنا أبو محمد عبد الحق رحمه الله يقول فيه : العالم المطلق ،

وكان يعظمه كما كان يعظم مشيخته ، وما رأيته يعظم أحداً من أصحابه مثل تعظيمه له ، وكان يقرأ عليه ، فقرأ عليه بعض خواص أصحابنا كتاب « الإشارات » و« التنبيهات » لابن سينا ، وكان بحيث تقرأ عليه العلوم التي ذكرت أنه يحملها لو تبسط لها ، وكان أعقل أهل وقته ، وأبعدهم من الشر.

توفي ببجاية في عشر السبعين وست مئة .

سيدي عليُّ بنُ عبدِ العزيزِ الدوسني

الوليُّ الصالح العلامة الفاضل والمحقق الكامل النقاد الإبريز سيدي علي ، من ذرية سيدي أبي الحسن الشاذلي ، كما هو بخط الجم الغفير والعدد الكثير أنه من ذريته ، وهو نجْل الشيخ الولي الصالح سيدي عبد العزيز الخراز الزابي في الصحراء ، وهو معلوم في بلد الدوسن ، نفعنا الله بهم وكرامته ظاهرة وأسراره باهرة صاحب العناية ، وقد سمعت أنه أخذ علمه عن الشيخ الولي سيدي عمر الوزان القسنطيني .

وكان رضي الله تعالى عنه بنى داراً واسعة عظيمة ، بحيث لا يكفيها جذوع الأرض ، والذي رآها يتعجب بما يكون به السقف ، وقد رأيت رسمها ، فلما كملت أصبحت الجذوع على الدار أي القناطيس من جبل الزاب ، وبيننا وبينه يوم كامل ، وقد علموا أن ذلك من خرق العادة ، وقد رأيت المورد العذب للجوزي بخطه ، وأولاده أفاضل على الخير والطاعة والحمد لله ، وهو من القرن العاشر أي أوله ولا أدري هل أخذ من التاسع أم لا ، نفعنا الله ببركاته ، وجعلنا في زمرته آمين اهـ. ورتيلاني . [١٧٨]

أبو الحسنِ عليٌّ القرباني

كان فقيهاً محققاً عارفاً بأصول مذهب مالك ، بارعاً في فنونه متقناً لمسائله ، مشاركاً في جميع الفنون ، ولي الفتوى المالكية والقضاء مراراً ، توفي رحمه الله سنة ١٢٣٨ .

عليٌّ بنُ عيسى الراشدي التلمساني

نزيل فاس المحروسة ، كان بجامع النارنجة من حومة الأزدع قرب فندق اليهودي .

أخذ عنه أبو العباس المنجور ، وأبو عبد الله محمد بن يوسف التوغي وغيرهما توفي سنة ٧٨٢ .

سيّدي عليٌّ الفجيجي

الشريف الزاهد البركة العابد الفقيه الأرضي الولي الصالح المرتضى أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن الفجيجي . كان رحمه الله من طلبة العلم القاطنين بالمدرسة المصباحية ، وكان تقياً نقياً ورعاً زاهداً متقشفاً ذاكراً ، يصوم الدهر ويقوم الليل ، يختم السلكة في كل ليلة بالقيام ، وكان من تلامذة الشيخ سيدي بدر الدين السابق يحضر مجلسه ، وكان الشيخ سيدي بدر الدين المذكور يحبه ، ويثني عليه كثيراً لما يرى من تقواه وزهده وورعه وتقشفه وكثرة صلاته وصيامه .

توفي رحمه الله بعد وفاة شيخه المذكور ، وأظنه سنة نيف وسبعين ومئتين

وألف (١٢٧٠) ، ودفن معه بضريحه وراءه ، وجعل على قبره مقبرية من رخام.

عليُّ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بن مُحمدٍ التنسي

ابن أخي البدر محمد بن أحمد شقيق الشهاب أحمد ، أخذ عن أبي القاسم النويري ، والأميري ، وأبي الفضل المشَدَّالي المغربي .

وأخذ عن الأخيرين الأصول ، والعضد عن الثاني ، وعن الشمني والكافيجي المعاني والبيان ، وعن الشمني علوم الحديث ، ودرس الفقه بالجمالية بعد منازعة القرافي ، وبجامع طولون بعد الحسام بن حرير ، ثم ترفع عن تعاطيه ، وتصدى للإقراء .

تخرج به جماعة ، وربما كتب على الفتوى ، ثم استقر في قضاء الشام بعد أن تعب فيه ناظر الخاص ، وتألم أكثر لفقده من الديار المصرية ، ولد عام أحد وثلاثين وثمان مئة (٨٣١) ، وتوفي في سابع شوال سنة خمس وسبعين وثمان مئة (٨٧٥) اهـ من السخاوي .

[١٧٩] عليُّ بن قاسم الشهير بالحدَّادِ الوهراني

قال القلصادي في « فهرسته » : هو الشيخ الفقيه الصدر ، اجتمعت به بوهران اهـ.

عليُّ بنُ محمد التالوتي الأنصاري التلمساني

أخو الإمام محمد بن يوسف السنوسي لأمه ، قال تلميذه الملالي : شيخنا الفقيه الحافظ المتقن العالم المتفنن الصالح أبو الحسن .

كان محققاً متقناً حافظاً يحفظ كتاب ابن الحاجب ، ويستحضره بين عينيه ، قلَّ أن ترى مثله حافظاً ، قرأ عليه أخوه محمد السنوسي « الرسالة » في صغره ، وكان من أكابر أصحاب الحسن أبركان ، ما رأيته قط مشتغلاً بما لا يعنيه ، بل إما ذاكراً أو قارئاً للقرآن ، أو مشتغلاً بمطالعة أو نحو ، يحفظ « الرسالة » وابن الحاجب ، و« التسهيل لابن مالك » وغيرها ، جعل له ورداً كل يوم .

قرأت عليه ابن الحاجب قراءة بحث وإفادة ، وسألته عن وضع الكتاب في الأرض فقال : حكى شيخنا الحسن أبركان فيه قولين لمتأخري أهل تونس وبجاية : جوازاً ومنعاً ، وسألته عن مستند الناس في عادتهم من عدم أخذ الرجل المقص من صاحبه ، بل يضعه على الأرض فيأخذه حينئذ ، فقال : سألت عنه شيخنا الحسن أبركان فقال : هكذا رأينا شيوخنا يفعلون ، ثم قال سيدي علي : ولعله علم نُسي اه قلت : وقد ذكر السيد الشريف السمهودي الشافعي في كتابه « جواهر العقدين » حكمة منعه عن بعض شيوخه ، فانظره فيه ،

قال الملالي : وسألته عن الوتر جالساً فقال : فيه قولان بالجواز وعدمه ، وذكر أخوه السنوسي أنه يؤخذ جوازه جالساً من قول « المدونة » أنه يوتر في سفره على الدابة اه قلت . وهذا الأخذ نقله ابن ناجي عن بعض الشيوخ .

قال الملالي : رأيتُ بخطه عن بعض الصالحين أن من نزل منزلاً ، وجمع أثقاله ، وخط على حواليها خطاً ، وهو في داخل الخط ، ويقول في داخله ثلاثاً : الله الله ربي لا شريك له ، لم يضره لص ولا عدو ولا غيره ، ويكون مع أثقاله في حرز الله ، وهو مجرب اه.

وتوفي في صفر عام خمسة وتسعين وثمان مئة (٨٩٥) ورأى أخوه
[١٨٠] السنوسي قبل موته في المنام داراً عظيمة فيها فرش مرتفعة ، فقيل له : هي لأخيك علي ، يدخل فيها عروساً اه. من الملالي .

أبو الحسنِ عليُّ بنُ مُحمدٍ الزواوي

الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الزواوي اليتورغي شيخنا الشيخ العابد الزاهد المتقي الولي لله تعالى ، من جملة الأعلام المتقين ، ومن الأكابر الذين يجب اعتقادهم في الدين ، له عبادة وديانة وصلاح وانقطاع وزهد وولاية ، وكانت له كرامات ظاهرة متواترة ، وكان على سنن السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين .

ليس عنده من التحريف ولا من التبديل ولا خزعبلات المتلبسين شيء ، ولقيته رحمه الله ببني يتوغ بموضع سكناه منها ، وأنا على أول السـن ، ففرح بي وسر واستدناني لنفسه ، وأخذ يقول ، ويمسح على رأسي ، ويجبذ بأذني إلى أن استوفى ما أراد أن يقرأه ، وما شاء الله من ذلك ، وأنا يومئذ في المكتب ، كان ذلك منه من غير سؤال سُئله ، وإنما فعله من تلقاء نفسه ، فوجدت بركة ذلك وتعرفت يُمنه ، وهو أحد أشياخي المباركين رحمه الله .

وأخبرني بعض من وثقت به أنه لما حضرته الوفاة حضر ولده وبكوا لفراقه واستوحشوا ، فقال : لا عليكم مهما أصابكم أمر أو عارض ، فأتوا إلى قبري واذكروا شكواكم ، واسألوا الله يفرج عنكم ، وما زال أولاده بعده مهما عرض لهم عارض يفعلون ذلك ، فيجدون نفعه .

وأخبرني بعض من وثقت به أن رجلاً ممن عرض له ضرورة قوت أتاه أن ينظر له نظراً يستعين به ، وكانت للرجل عائلة ، قال : فدخل إلى منزله فأخرج لي أربعة أمداد قمحاً ، وقال لي : لا تناول منها إلا أنت على طهارة ، ولا تناول منها امرأة فحملتها ولزمت ما قال لي ، وكان ذلك في آخر الشتاء وأوائل الربيع ، فكفاني ذلك وعائلتي حتى وصلنا إلى الأكل من حراثتنا بعد دخول زمن الصيف ، وهذا من كراماته رحمه الله تعالى اهـ « عنوان الدراية » .

[١٨٢] عليُّ بنُ محمدٍ الجزائري

قال الجبرتي في « وفيات » سنة ١١٨٥ : ومات أحد أذكياء العصر ونجباء الدهر، من جمع متفرقات الفضائل ، وحاز أنواع الفواضل . الصالح الرحلة الشيخ علي بن محمد الجزائري المعروف بابن الترجمان . ولد في الجزائر سنة ١١٣٦ ، وكان ينتمي إلى الشرف ، وزاحم العلماء بمناكبه في تحصيل أنواع العلوم ، وأجازه الشيخ سيدي محمد المنور التلمساني رحمه الله ، ودخل الروم مراراً وحظي بأرباب الدولة ، وأتى إلى مصر، وابتنى بها داراً حسنة قرب الأزهر، وكان يخبر عن نفسه أنه لا يستغني عن الجماع في كل يوم ، فلذلك ما كان يخلو عن امرأة أو اثنتين حتى في أسفاره ، ولما ورد الأمير أحمد آغا
[١٨١] أميناً على دار الضرب بمصر المحروسة ، الذي صار فيما بعد باشا ، كان مختصاً بصحبته لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً ، وله عليه إغداقات جميلة ، وهو حسن العشرة يعرف في لسانهم قليلاً وبأمره توجه إلى دار السلطنة ، وكانت إذ ذاك حركة السفر إلى قتال العدو ، فكتب المترجم عرض حال إلى السلطان مصطفى فيه : أن من قرأ استغاثة أبي مدين الغوث في صف القتال حصلت النصرة ، وقدمه إلى السلطان فاستحسن أن يكون صاحب هذا العرض هو الذي يتوجه بنفسه ، ويقرأ هذه الاستغاثة تبركاً ففاجأه الأمر من حيث لا يحتسب ، وأخذ في الحال وكتب مع المقاتلين ، وتوجه رغماً عن أنفه ، ووصل إلى معسكر المسلمين ، وصار يقرأ فقدر الله تعالى الهزيمة على المسلمين لسوء تدبير أمراء العسكر، فأسر مع من أسر، وذُهب به إلى بلاد الموسكو، وبقي أسيراً مدة ، ولم يغثه أحد بخلاصه منهم حتى توفي هناك غريباً شهيداً رحمه الله تعالى .

عليُّ بنُ محمدِ بنِ منصورٍ الغماري التلمساني

علي بن محمد بن منصور الغماري أبو الحسن ، عرف بالأشهب .

قال تلميذه الإمام ابن مرزوق الحفيد في حقه : شيخنا العلامة ، توفي بفاس ، وقد أرسل إليها من تلمسان عام أحد وتسعين وسبع مئة (٧٩١) اهـ.

وقال المنثوري في « فهرسته » شيخنا الأستاذ الحاج الراوية نور الدين أبو الحسن ، توفي بفاس يوم الجمعة خامس رمضان عام أحد وتسعين وسبع مئة اهـ. وممن أخذ عنه بالأندلس القاضي أبو بكر بن عاصم ، والشيخ أبو جعفر البقني الجد ، شارح البردة ، وغيرهم .

عليُّ بنُ محمدِ بنِ منصورِ الصنهاجي التلمساني

علي بن محمد بن منصور بن علي بن الأشهب الصنهاجي التلمساني نور الدين أبو الحسن الفقيه الأستاذ الراوية الحاج الرحالة .

توفي بمدينة فاس في شهر رمضان سنة ٧٩١ ، وأخذ عنه المنثوري .

عليُّ بنُ محمدٍ الحلبي الجزائري

فقيهها وعلامتها ومفتيها من معاصري الإمام محمد بن العباس التلمساني له فتاوى ، نقل كثيراً منها في « المازونية » و« المعيار » .

[١٨٢] عليُّ بنُ موسى

الولي الكبير والقطب الشهير سيدي علي بن موسى ، ومررنا على بني منجلات وبني بترون وبني عيسى وغيرهم ، فلما وصلنا الشيخ سيدي علي بن موسى بتنا في مقامه المشهور وضريحه الترياق ، وقد ظهر من أمره نفعنا الله به أن من قصده لحاجة دنيوية أو دينية يعطي لوكلائه وطلبة مقامه شيئاً معلوماً إذ كل حاجة بما تشترى من القدر المعلوم ، تقضى بإذن الله ، وفضل الله عليه عظيم وصبغة الله عليه جالية ، وزائره مقبول ، دواء رباني وطب إلهي ، وقد كان في القرن التاسع معاصراً للشيخ سيدي يحيى العيدلي وصديقاً .

له كراماته باهرة ، وأحواله ظاهرة ، قلت : قال الشيخ سيدي علي بن موسى فيه خاصية الرقية لم تكن في أحد من أهل عصره ، قال : وقد رقا لي عكازاً أي عصا ، فكنت أرقي بها للناس ، فتظهر آثارها ، وقيل : إنه ذهب لبني يجل في وادي بجاية ونواحيه ولد كبير بلغ حد المشي ، وتجاوزه ولم يقدر على المشي بأن صار مقعداً لا يقوم أصلاً ، ، فمسح عليه ورقاه فمشى من حينه نفعنا الله به ، ومن كراماته ما اشتهر عنه أنه أقام بقرة بعد ذبحها وقسم لحمها ، وسببه أنهم لم يسهموا له الطلبة لأنه كان خديماً للطلبة وغير ذلك من كراماته ، وكان له مِزْود إذا امتلأ يكفيه ثمانية أيام بلغ الضيوف ما بلغوا ألفاً أو أكثر ، أفاض الله علينا من بركاته ، وجعلنا في زمرته بمنه وكرمه ، ثم ذهبنا بعد الزيارة وطلبنا عنده ما طلبناه عند الشيخ سيدي يحيى إلى قرية الدلس المحروسة ، لزيارة سيدي أحمد بن عمر ، إذ كنت صغيراً وقلبي متعلق به حتى جمع الله بيننا وبينه عام ١١٧٩ ، فلما وصلنا فرح بنا فرحاً عظيماً وسر بنا سروراً قوياً ، ودعا لنا بعزم وقوة همة من صميم قلبه وخلوص

الاعتقاد ، وأقمنا ثلاثة أيام فيها مع كرم عظيم وطيب ضيافة وإحسان تام من أهلها ، عمرهم الله وجعل البركة فيهم ، ثم إن فضلاءها ونجباءها سألوني عن قول بعض الأولياء : وقفت بساحل وقفت الأنبياءُ دونه ، فزبرت عليه رسالة حسنة بما فتح الله به ارتجالا ، وكتبت فيه رسالة نحو كراسة صغيرة اهـ. ورتيلاني .

عليُّ بنُ موسى البجائي

أحد شيوخ القطب سيدي عبد الرحمن الثعالبي بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي .

كان إماماً في الفرائض والحساب ، حسن الخط ، كثير التقليد ، له مسائل في فنون . شرح « تلخيص ابن البنا » ، وقيد على رفع الحجاب له .

توفي عام ستة عشر وثمان مئة (٨١٦) .

[١٨٣] الحاجّ عليّ التماسيني

من « كشف الحجاب عمّن تلاقى
مع التجاني من الأصحاب »

القطب الكامل والغوث الفاضل ، ذو الكرامات الجمة والفضائل الشائعة بين هذه الأمة ، بدر السعادة الذي ضاءت به الغياهب ، وشمس الهداية التي تقتبس منها الأنوار في سبل المطالب ، ذو الكشف الصريح والفضل الصحيح ، الفاضل الجليل الشريف الأصيل أبو الحسن سيدنا الحاج علي بن سيدنا الحاج

عيسى التماسيني رضي الله عنه ، هذا السيد الجليل من خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه المشهود لهم بالفتح الكبير في حياته وبعدها ، وقد كان له التصرف التام قيد حياة سيدنا رضي الله عنه ، وكان يفعل أموراً خارقة للعادة ، مما يدل على عظيم مقامه عند الله ، وكان عند سيدنا رضي الله عنه بمكانة عظيمة ، وقد ترجم له صاحب « البغية » عند قول المنية في تعداده لرجال الطريقة المشهود لهم بالفتح بين الخليقة :

وغوثُ عصرِنا التماسيني * قطبُ الورى سيّدُنا علي

ونصه بعد ذلك البيت : أراد به العارف الكبير قطب أوانه ، وحامل راية التربية والترقية بهذه الطريقة الأحمدية في زمانه ، أبو الحسن سيدنا الحاج علي ابن الحاج عيسى التماسيني نسبة إلى تماسين من أرض الجريد ، وشهرته كافية ، كان رضي الله عنه من خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه ، وممن شهد له الشيخ رضي الله عنه بالفتح الأكبر في حياته ، حتى إنه كان إذا قدم عليه زائراً بفاس يقدمه لإمامة الزاوية مع كثرة من بها إذ ذاك من أكابر العلماء والفضلاء ، وقد اتفق له يوماً في الصلاة شيء مما ينحل بها ، فذكر ذلك للشيخ رضي الله عنه ، وكان ذاكر ذلك يستفهمه هل يؤثر ذلك خللاً في صحتها ، فأعرض الشيخ عن جوابه على وفق ما أراد ، وقال : ذلك رجل مفتوح عليه ، والصلاة خلف المفتوح عليه مقبولة ، وناهيك بهذه شهادة من الشيخ رضي الله عنه لهذا السيد وتنويهاً بقدره ، وحدثني الشريف الأجل المقدم البركة المبجل خديم سيدنا رضي الله عنه سيدي الطيب بن محمد السفياني أنه في المدة التي ولاه سيدنا رضي الله عنه النيابة في الانفاق على داره وقضاء حوائجه ، سأله الشيخ رضي الله عنه ذات يوم عن بعض إمائه ، وكانت مريضة ، فقال له : هل اشتريت لها الدواء ؟ قال : فقلت له : يا سيدي قد اشترينا لها

عدة من الأدوية فلم يظهر لها أثر، ولعل الأوفق لها هو الكتابة يعني الرقية ،
[١٨٤] قال : فقال لي رضي الله عنه : ومن يكتب لها ؟ ثم قال رضي الله عنه : ما رأيت من هو أمثل لذلك إلا سيدي الحاج علي التماسيي لو كان حاضراً ، قال : فقلت له : وأنا أريد أن يأذن لي في ذلك يا سيدي كل من اذنت له فهو سيدي الحاج علي . قال : يقبل مني ذلك وجعل رضي الله عنه يقول : وأين مثل سيدي الحاج علي يا فلان ، وكررها منكراً عليَّ ما قلته حتى وددت أني ما ذكرت له ذلك ، وكفاه هذا من شهادة الشيخ رضي الله عنه بالخير والبركة .

ومن المتواتر عن هذا السيد صاحب الترجمة رضي الله عنه أنه كان بعد استيطان الشيخ رضي الله عنه مدينة فاس يأتي إلى زيارته بطريق الخطوة حتى زجره رضي الله عنه عن ذلك ونهاه عنه ، وقال له : إن كنت تريد مواصلتي لله فلا تأتني إلا كهيئة عامة الناس بنعلين وعكازة مع رفقة تذوق جميع ما يذوقونه في الطريق من العطش والإعياء والخوف وغير ذلك .

وحدثني بعض الخاصة من أصحاب سيدنا الشيخ رضي الله عنه أن سيدنا الشيخ رضي الله عنه صلى العصر ذات يوم بباب داره ، وصلى معه جماعة نحو الثمانية من أصحابه ، وحين التفت من صلاته وأقبل بوجهه على من صلى معه ، لم يشعروا أن سقط بينهم عرجون تمر ، فنظر إليه الحاضرون ولم يعرفوا من أين سقط عليهم ، وتحيرت عقولهم فلما رأى الشيخ رضي الله عنه ذلك من حالهم قال لهم : هذا فعل ذلك الرجل ووصفه بالبهلول أو نحو ذلك ، ثم سماه لهم ، وذكر أنه اجتمع بالشيخ رضي الله عنه بعد ذلك ، فذكر له ذلك وقال له : ما حملك عليه ؟ فقال : يا سيدي اعذرني فإني كنت في ذلك الوقت في حائط لي ، والخدام يجنون التمر ، فرأيت ذلك العرجون فأعجبني فتمنيت أن يصل إلى دارك على حالته ، فحملني ذلك على أن رميت به وقلت له : سِرْ حتى تنزل بين يدي سيدي ، فزجره الشيخ رضي الله عنه ونهاه عن مثل ذلك ، وبعد وفاة

الشيخ رضي الله عنه ظهرت عليه آثار الفتح الكبير ، وتصدى للتربية في الطريق ، وظهر عليه فيضان وجداني لا يوجد مثله إلا في كُمَّل المشايخ ، فصار الناس يأتونه من سائر الآفاق للأخذ عنه والتبرك به .

وأخبرني ثقة أنه كان أتاه في زاويته زائراً فاتفق أن اجتمع عنده في مدة إقامته لديه نحو مائتي رجل ، كلهم يطلبون التقديم أي الإذن منه رضي الله عنه في إعطاء الورد ، وكلهم من الآفاق البعيدة ، وما وصفته به من التربية وصفه به غير واحد من أهل البصائر ، وذكر لي بعض الأفاضل من أصحابنا أنه كان حين حج اجتمع ببعض المقدمين من قبل الشيخ رضي الله عنه ، فأذن له في إعطاء الورد ، قال لي : فلما رجعت اجتزت بسيدي الحاج عمي يعني صاحب الترجمة فطلب منه الإذن في بعض الأذكار ، فقال لي : وهل عندك إذن في تلقين الأوراد لمن طلبها منك ، قال : فلم أهتد لما هو الصواب ، فقلت له : عندي قد أذِنَ لي في ذلك المقدم سيدي فلان ، قال لي : هو مرب ؟ يستفهمني ، وكررها فلم أدر ما أجيبه به ، ولم يتفطن هذا الإنسان إلى أنه يشير له إلى أنه هو من أهل التربية حتى فارقه ، وأخباره كثيرة وكراماته أوضح من شمس الظهيرة ، وفي هذا القدر كفاية اهـ.

[١٨٥]

وكان لصاحب الترجمة رضي الله عنه يد طولى في المكاشفة والتصرف التام ، وكان كثير الرؤية للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد حكى عنه في « البغية » حين تكلم على رؤية الأولياء له صلى الله عليه وسلم منقبة ، تشهد لما قلناه ونصه : وقد بلغني من طريق الثقات الأثبات أن أخص أصحاب سيدنا رضي الله عنه العارف الكبير الموصوف بالقطبانية في زمانه من غير دفاع ولا نكير أبا الحسن سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه ، وتجاذب أطراف المذاكرة مع بعض الإخوان يوماً في مثل ما نحن فيه ، فقال له : يا فلان إن من الرجال الحاضرين معك في هذا الزمان من لا يفعل فعلاً قل أو جل إلا على إذن منه

صلى الله عليه وسلم ، من طريق المكافحة والعيان ، حتى إنه لا يقوم لفراشه الذي ينام فيه إلا إذا أمره صلى الله عليه وسلم بذلك ، وقد فهم عنه من سمع منه ذلك أنه يعني نفسه ، وله من شواهد حاله ما يصدقه فيما أبداه من مقاله .

توفي رحمه الله تعالى سنة ستين ومئتين وألف (١٢٦٠) ، ورمز لهذا التاريخ الولي الصالح سيدي العربي بن السائح بجمل العجز من هذا البيت

وعـــامُ موتِهِ بـــلا تمويـــــــــهِ * قضى لروحِ الثّقـلينِ فيـــــــهِ

ودفن رضي الله عنه بداره في تماسين ، لا زالت تمطر قبره الرحمات كل حين آمين اهـ من « كشف الحجاب » باختصار .

العبدلاوي أحمد
من « كشف الحجاب »

وقال فيه : لو لم يكن من حسنات سيدي محمد بن قويدر العبدلاوي رحمه الله إلا كونه أباً لسيدنا العارف بالله الكبير والولي الشهير ذي المناقب الفاخرة ، والكرامات الظاهرة ، بقية السلف الصالح في هذه الملة ، وواسطة عقد الخلف بين الجلة سيدي ومولاي أحمد بن محمد بن قويدر العبدلاوي نفعني الله والمحبين ببركته آمين لكفي في التنويه بقدره ، وعن التعريف به لغيره ، وحَسْبُ مثلي عند ذكره الإطراق هيبة لجلاله رضي الله عنه وأرضاه ، ولقد أرشدني الله والحمد له إلى معرفته ، وطوى قلبي على محبته ، فسقاني لما تحقق صدق محبتي بكأس أسراره ، وأطلعني على بعض معارفه الدالة على رفيع مقداره ، بعد أن لاحظني بعين الوداد ، وسلك بي والحمد لله سبيل الرشاد ، فهو أب روحي الشفيق ، جزاه الله عني أفضل ما جازى به أولياءه . [١٨٦]

وقد ذكرت في هذا التأليف وفي غيره من الأسرار التي تلقيتها منه ما يشفي

الغليل ، ويبرئ كل سقيم وعليل ، وغالب ما في هذا الكتاب مروي عنه ومأخوذ منه إملاء وكتابة ، وليس له فيه إلا مطلق الجمع والكتابة فقط ، ولو تتبعتُ ما رأيته من المناقب والكرامات لضاق عن حمل ذلك هذا الموضوع ، ولكن نذكر هنا بعض ذلك تلميحاً واختصاراً . فأقول :

ولد رضي الله عنه وأطال حياته قبل وفاة سيدنا رضي الله بنحو شهرين عام ثلاثين ومئتين وألف (١٢٣٠) ، وحضر لسابع ولادته جمع من أفاضل أصحاب سيدنا رضي الله عنه كالقطب الشهير سيدنا الحاج علي التماسيني وأضرابه ، وفي اليوم الذي ازداد فيه جاء إلى والدته وهي نفساء به الوليُّ الشهير والعارف الكبير ذو الأحوال الغريبة والكرامات العجيبة صاحب سيدنا رضي الله عنه الشريف سيدي أبو الحسن علي بن شتيوي وقال لها : هذا ولدي ومن شك فيه يخاف على نفسه ، ثم رجع من حيث أتى ، ولم تعرف من أين دخل عليها ، ثم تبين أنه ما أتى إلا لبشارتها بذلك ، تنويهاً بقدر ولدها المذكور لتكون على بال منه ، ثم إنه تربى في حجر الولاية ، ملحوظاً بالعناية ، معظماً عند الأقارب والأباعد منذ كان صبياً ملازماً لدار سيدنا رضي الله عنه بعين ماضي ، لا سيما سيدنا محمد الحبيب ابن سيدنا رضي الله عنه ، فإنه اتخذه أخاً وصديقاً وحبيباً ورفيقاً ، فهو خزانة أسراره وجليسه في المذاكرة والمسامرة في ليله ونهاره إلى أن توفي سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه ، وهو راضٍ .

وقد حدثني أطال الله بقاه مما وقع له مع ابن سيدنا رضي الله عنه أخباراً كثيرة مما يدل على خصوصيته معه ، قال : كنت في بعض الأيام مشتغلاً بحفظ بعض المصنفات في النحو، فرآني سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه ، فقال لي : اترك عنكَ هذا ، واقرأ ما يعود نفعه عليك ، قال : فتركت ذلك امتثالاً لأمره ، قال : فبينما أنا معه في بعض الأيام جالس إذ قال لي : يا فلان ـ وسماه ـ

[١٨٧] إن عندي بعض آذكار الشيخ رضي الله عنه المكتومة التي لا ينبغي أن يطَّلع عليها الغير ، وأريد أن أذكرها ، ولكني خفتُ من أن ألحن فيها . والآن أردت قراءة النحو ، فلا بد لنا أن نقرأ معاً الألفية . قال : فصرت أكتب عشرة أبيات في اليوم وأحفظها ، وهو يكتب أربعة أبيات فقط ، فلما بلغت باب حروف الجر نظرت إلى لوحه فوجدت فيها آخر الألفية ، وهو : « أحصى من الكافية الخلاصة » الخ فتعجبتُ من ذلك وقلت له : يا سيدي ما هذا ؟ فقال لي : أنا لست مثلك أنام الليل كله ، وإنما أنام ساعة واحدة فقط وأشتغل بما أنا بصدده ، قال : ثم اشتغلنا بقراءتها تدريساً على العلامة سيدي أحمد بن عاشور رحمه الله إلى أن توفي رحمه الله .

وكان الخليفة الأكبر القطب الأشهر سيدنا الحاج على التماسيني يحب سيدي أحمد العبدلاوي المذكور المحبة التامة ، وينوه به بين الخاصة والعامة ، ويوسمه بالصدق في جميع أخباره ، ويرسله للأمور المهمة من أوطاره ، وذلك كله لما جبله الله عليه من الشمائل السنية ، والأخلاق السنية ، والمكارم العظيمة ، والمحامد الجسيمة ، ولا زال القطب سيدي الحاج علي رضي الله عنه يربيه أحسن تربية إلى أن توفي رضي الله عنه ، وهو عنه راض ، بعد ما أراه كؤوس المعرفة دهاقاً ، وأطلعه على كنوز الأسرار في مضمار الفوز بالمقصود ، فلم يدرك غيره له التحاقاً . ثم تلاقى بعد ذلك بالعارف بالله سيدي محمد اكنسوس رضي الله عنه ، ورأى من كراماته ما يبهر العقول ، واجتمع أيضاً بالولي الصالح سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه بقيد الحياة قائماً مقام الجميع في الدلالة والارشاد ، ولا زلنا نقتبس من مشكاة أنواره ما يطمئن به قلب الموفق بين العباد ، ولنذكر هنا طرف رسالة بعثها المقدم الأمثل العلامة الأجل أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن مفتي وهران المتوفى قريباً في رمضان عام ١٣٢٤ ، وكأنها منه رحمه الله وداع لصاحب هذه الترجمة نص المقصود منها :

والدنا الروحاني وطبيبنا النفساني ، وليُّ نعمتنا ، ملاذي وعمدتي وقدوتي ، حامل لواء الطريقة المحمدية ، ومظهر أسرار التجانية ، العارف بالله من الله إلى الله سيدنا ومولانا أحمد العبدلاوي ، أبقى الله وجودك ، وأشرق في سماء العرفان شموسك ، أيا شريكي في الصورة الإنسانية ، وإن كنا واحداً من حيث الحقيقة المحمدية ، نورك الكل والورى أجزاء ، ويا نظرة العارف بالله سيدي الحاج علي التماسيني قدس الله سره ، ويا خزانة أسرار سيدنا محمد الحبيب نجل سيدنا الشيخ رضي الله تعالى عنه ، أشهد بالله أني ما سمعت ولا علمت بعد انتقال سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه ، ولا رأيت من يقوم مقامك في هذه الطريقة المحمدية ، ولا من يعرف شروطها الصحية والكمالية ، ولا آدابها ولا أسرارها ولا أحوال سيدنا رضي الله عنه ، وأولاده مثلك لاسيما
[١٨٨] ركنها الأعظم وهو رفع الهمة عن الخلق ، وعدم الالتفات إلى ما في أيديهم ، أبقاك الله علماً ومزاراً ومركزاً لهذه العصبة المحمدية الإبراهيمية الحنيفية ، وبارك لك في عمرك إلى أن يأتي الله بالفتح ، أو أمر من عنده ، وجعلك من ورثة المقام المحمدي عين الرحمة الربانية التي وسعت كل شيء إلى أن قال : فهنيئاً ثم هنيئاً لك ، فيا خيبة من جهلك ، وبُعداً لمن عاداك ، ويا حسرة من لم يعرف قدرك ، ويا غبن من لم يفز بموالاتك ومحبتك (وكائن من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) [1] الله الله في دعائك الصالح لصلاح أحوالي ، وتسديد أقوالي ، وفتح بصيرتي وفك قيودي ، وخلاصي من ربقة الغير والغيرية ، حتى نرى الحق بالحق من الحق للحق ، سلام الله وبركاته عليكم أهل البيت ، إنه حميد مجيد الخ بتاريخ رجب سنة ١٣٢٤ .

وقد تفطن صاحب الترجمة رضي الله عنه لصاحب هذه الرسالة من أنه يستودعه ، وأمرني بأن أقوم مقامه في جوابه ، فلما أتيته بالجواب أخبرني بموته

(١) يوسف : آية ١٠٥ .

رحمه الله اهـ. من «كشف الحجاب».

عليُّ بنُ موسى بنِ عليٍّ بنِ هارون

وبه اشتهر المطغري بالطاء مطغرة تلمسان. أبو الحسن.

قال المنجور: شيخنا الفقيه الفرضي العددي الأستاذ الموقت المتفنن الخطيب المفتي، لازم ابن غازي بعد انتقاله لفاس عام أحد وتسعين، وهو قارىء دروسه في «المدونة» و«الموطأ» و«العمدة» والتفسير، وخليل. والعربية. والحساب، والفرائض، وغيرها، جمع عليه سبعاً، وحصل عنه علماً جماً. حتى قيل له: خزانة علم لكثرة الفنون عنده.

أجازه ابن غازي عام ستة وتسع مئة، وختم عشرين ختمة بعد السبع وغيرها، والبخاري نحو عشر ختمات، و«الموطأ» بالباجي وغيره قراءة بحث وتحقيق، و«جامع الأصول» لابن الاثير، و«ترغيب المنذري» واكتفاء أبي الربيع بقراءة ولد الشيخ أحمد بن غازي، وانتفع عليه في هذه الكتب وفي شروحها وغريبها، وكذا في الأصول وعقيدة ابن أبي زيد، وأصلي ابن الحاجب، ومختصر ابن عرفة، وقانون ابن العربي، و«جمع الجوامع» [١٨٩] و«موافقات الشاطبي» و«التنقيح» وفي «الرسالة» أربع ختمات، و«المدونة» و«المختصر» مرتين، وابن الحاجب، وبعض «التوضيح» وابن عرفة، و«الألفية» مراراً و«اللامية» والآجرومية» و«المغني» و«الشاطبية الكبرى» و«التيسير» وابن بري و«مورد الظمآن» و«التلخيص» مع شرح السعد، و«البردة» بشرح ابن مرزوق مراراً وابن أبي جمرة على البخاري، والحكم مع شرحها لابن عباد، و«مختصر الإحياء» للبلالي و«جمل الخونجي» إلى لوح القضايا، وبعض مقدمة ابن الحاجب، والحوفي، وشرحه عليه،

والتلمسانية ، ورجز الونشريسي ، وشرحها لابن عيسى ، وتلخيص ابن البنا ، ومنية الحساب ، والخزرجية ، مرتين وذيلها ، ونظم ابن جماعة للحباك شيخه ، ونظم شيخه الغوري أيضاً ، ورجز العبدوسي في شهادة السماع ، ومثلي الطريقة لابن الخطيب ، وشيئاً من المدارك ، وابن خلدون و« رسالة القشيري » وكثيراً من مقطعاته ومنظوماته في الفقه والأدب وغيرها ، وأجازه في الجميع مع جميع ما يجوز له وعنه عام ستة وتسع مئة ، ثم لازمه بعد ذلك أربعة عشر عاماً ، حتى مات وأخذ أيضاً عن أبي العباس الونشريسي ، والمكناسي ، والأستاذ الموقت أبي العباس الزاجني ، وأدرك المواسي ، والطنجي ، وأقرأ « المدونة » في حياة ابن غازي .

أخذ عنه عبد الواحد الونشريسي ، واليسيتني ، والزقاق وغيرهم ، وسألت اليسيتني : أيهما أفقه هو أو عبد الواحد الونشريسي ، فقال لي : ابن هارون أفقه ، لأنه لازم ابن غازي تسعة وعشرين عاماً في البحث والتحقيق ، وعبد الواحد الونشريسي لم يخدم الفقيه ما يقرب من ذلك ، وإن كان دراكاً سالم الذهن منشئاً ، بل كان يتأدب مع ابن هارون .

توفي في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين (٩٥١) ، وقد ناف على ثمانين ، وإفادته لا ساحل لها ، حتى كأنه لا يتنفس إلا بفائدة ، كان غاية في الحفظ لا يقف ، لم يخلف بعده في فنه مثله متواضعاً منصفاً ، كثير التلاوة ، وعيادة المرضى ، وحضور الجنائز ، حضر جنازته السلطان فمن دونه اهـ ملخصاً .

عليُّ بنُ مكّي المليانيّ

من فقهاء مليانة ، أخذ عن الإمام عبد الرحمن الوغليسي ، له ذكر في « نوازل » المازوني ، ولم أقف على ترجمته .

عليُّ بنُ أبي نصر

الشيخ الفقيه العالم العابد الورع المبارك أبو الحسن علي بن أبي نصر فتح ابن عبد الله من أهل بجاية ، ولد بها سنة ست وخمس مئة (٥٠٦) ، وتوفي بها ليلة التاسع والعشرين الجمادى الأخيرة من عام اثنين وخمسين وست مئة (٦٥٢) .

[١٩٠] كان له فضل وعلم ونسك وصلاح وديانة ووجاهة ونباهة ، رحل إلى الأندلس وبعدها إلى المشرق ، واستقر قراره ببجاية ، وكان بها يروي ويسمع ويتفقه عليه ، وله علو سند في الحديث ، وانقطع في آخر عمره عن الناس ، وما زال رحمه الله منقطعاً ، وكان ملك الوقت يزوره في منزله ، ويغتنم مسرته ويتلقى باليد والقبول حاجته .

وكان ممن ظهرت له الكرامات ، وعرف بالأحوال السابقات . أخبرني غير واحد عن الفقيه أبي يوسف الزواوي رحمه الله عنه قال : مشيت إلى الفقيه أبي الحسن رحمه الله رسولاً عن الفقيه أبي العباس بن عجلان أسأله في مسألة القائل « الحلالُ عليَّ حرامٌ » فلما وصلت إلى المنزل قبل أن أضرب الباب قال الفقيه لمن حضره في المجلس : افتحوا لأخيكم فلان ، فإنه جاء يسأل في مسألة الحلال علي حرام ، قال : ففُتح الباب فدخلت فسلمت على الشيخ ، فقال لي : أمرك الفقيه أبو العباس أن تسألني عن مسألة : الحلال علي حرام ، سلِّم عليه ، وقل له : أنت أولى بهذا مني ، فإنك أنت اليوم مشتغل وأنا تارك ، وهذه كرامات لا واحدة ، وانظر إلى فضله رضي الله عنه حيث أبى أن يفتي فيها وتورع عن ذلك الأمر إلى غيره ، ولم يظهر إلا أن ذلك لاشتغال غيره وقصوره هو ، وذلك من فضله ومن كراماته رحمه الله أنه كان له بنات كن متسترات ،

فسأل الله تعالى أن لا يطلع عليهن أحد ، فتن في حياته ، وسمعت عنه رضي الله عنه أنه حج ثمان عشرة حجة بعضها في آخر المئة السادسة ، وبعضها في هذه المئة نفعنا الله به ، وقبره بمقربة من قبر الفقيه أبي زكرياء الزواوي رحمهم الله ، وله رابطة بخارج باب اميسون ، وهي اليوم دائرة .

وشيوخه منهم أبو محمد بن يونس بن يحيى الهاشمي ، سمع منه بمكة شرفها الله تعالى ، وسمع ببيت المقدس من أبي الحسين جبير ، وسمع بدمشق من أبي القاسم عبد الصمد محمد المرستاني ، ومن أبي محمد عبد الواحد بن إسماعيل بن طاهر الدمياطي ، وسمع بالاسكندرية من أبي القاسم الحسن بن عبد السلام ، ويتصل سندنا بالفقيه أبي الحسن بن أبي نصر المذكور من قبل الفقيهين أبي محمد بن ربيع وابن كحيلة وغيرهما . [١٩١]

وسنده في البخاري عن الشريف أبي محمد بن يونس بن يحيى بن أبي الحسن بن أبي البركات ، عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن أبي الحسن الرحمن ابن محمد بن المظفر بن داوود الداودي ، عن عبد الله ابن أحمد بن حموية ، عن محمد بن يوسف ، عن الإمام أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري المذكور ، وهذا السند عال ، وقد روى عنه الأندلسيون ببجاية لقصور سندهم عن هذا السند .

روى عنه أبو بكر بن محرز ، فإن سند أبي بكر في البخاري وهو عن سند قاصر عن هذا السند ، وهذا السند أعلى منه ، وهو من أعلى الأسانيد ، ومن أحسن ما تلقى ، وذكر الشيخ الصالح أبو عبد الله بن القائد القصار رحمه الله قال : حضرت مع السيدين الصالحين العالمين العاملين أبي زكرياء الزواوي ، وأبي الحسن بن أبي نصر فتح بن عبد الله ، نفع الله بهما ورضي عنهما ، في عام خمسة وست مئة مجلساً سأل فيه الشيخُ أبو زكرياء الشيخ أبا الحسن

عن رحلته إلى المشرق وما رأى من الغرائب ، وما شاهد من العجائب ، فقال له : حضرت بعض دروس العلم في عام اثنين وست مئة مع حفيد من حفدة سلالة الشيخ الطاهر المبارك عمار المعمر ، بما سيق له من بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ورغبت منه يُرينيه لأتبرك به ففعل ، ودخلت معه إليه رضي الله عنه ، فوجدته في مهد ملفوفاً بقطن وعيناه تتقدان كأنهما اليواقيت ، ولحيته كحلاء ، وقد تجددت بعد سقوطها فسلمت عليه فرد علي ، فقال له حفيده : يا جداه هذا طالب من المغرب يقرأ معي وقد رغب مني أن يراك ويتبرك بك ، وتدعو له قال : فدعا لي رضي الله عنه بصوت خفي مفهوم سمعته ، وقلت له : يا سيدي أنت رأيتَ سيد الأولين والآخرين محمداً صلى الله عليه وسلم فعساك تحدثني حديثاً أرويه عنك ، وأرويه فقال نعم : كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصينا أن نُكثر من القرآن بسور قلائل من الكتاب العزيز ، ويقول هي أمان من الفقر ، قلت : هذه رتبة عظيمة حصلت لهذا العالم ، فإنه يعد بها من التابعين وهذه القضية معلومة النقل عن الشيخ رحمه الله ، وذكر أن سكنى بلدة هذا المعمر تُسمى قطنة .

أبو الحسن عليٌّ الونيسي

نسبة لسيدي ونيسي الولي الصالح ذي المسجد الكائن بقرب السفينة ، شيخ الاسلام ومفتي الأنام ، مات في الثاني والعشرين من القرن الثالث عشر ، وله من العمر اثنتان وتسعون سنة .

له من المؤلفات « شرح البخاري » في اثني عشر جزءاً ، وحاشية على شرح السيد للمواقف العضدية ، وحاشية على القطب ، وجزء في المحاكمة بين القطب والسيد أبدع فيه ما شاء ، وفتاوى حافلة في النوازل التي بين يديه ، وأجوبة عن [١٩٢]

مسائل في فنون متفرقة ، وأختام كثيرة « للبخاري » و« مسلم » و« الشفا » و« الموطأ » وغير ذلك ، ونظم بديع في ذكر من حضر بدراً من الصحابة وذكر أنسابهم ، ورسالة في النبي سيدي خالد الكائن بقرب أولاد جلال ، ورسائل كثيرة غيرها .

أبو منصورٍ عمَّارُ بنُ شريط القسنطيني

العلامة الشهير الشيخ أبو منصور عمار بن شريط الفرد الامام والقدوة الهمام الحافظ الدراكة ، نخبة أهل زمانه فقهاً وأدباً وعلماً بالحديث والأصول ، طويل الباع في علم البلاغة من نظراء الحفصي وأمثاله ، تولى الفُتيا المالكية ، ثم نظر الأوقاف .

مات في حدود سنة ١٢٥٠ .

أبو راشدٍ عمَّارُ الغربي القسنطيني

العلامة الشيخ أبو راشد عمار الراشدي المعروف بالغربي . كان أديباً له الباع الطويل في المعقول والمنقول شاعراً مجيداً ، ولي الفتوى المالكية والخطابة بسيدي علي بن مخلوف ، والتدريس بمدرسة سيدي الكتاني ، ثم إلى جامع القصبة . ألف حاشية جليلة على الشيخ إبراهيم الشبرخيتي شارح المختصر.

توفي في جمادى الثانية سنة ١٢٥١ .

أبو منصورٍ عمَّارُ الشريف القسنطيني

العلامة الشريف أبو منصور عمار الشريف .

كان نخبة قسنطينة ، ودرة أعيانهـا ، فقيهـاً أديباً أصولياً بيانياً مشاركاً في جميع الفنون . أخذ عنه الونيسي الأصغر ، والميلي ، وتقلد نظارة الأوقاف والقضاء مرتين ، والخطابة بجامع رحبة الصوف .

مات رحمه الله سنة ١٢٤١ .

أبو الطَّاهرِ عمارةُ الشريف

الفقيه سيدي أبو الطاهر عمارة الشريف بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني ،
[١٩٣] هكذا من خط يده رحمه الله ، يُكنى أبا الطاهر له علم وأدب وفضل ونبل ، تقضى في بعض النواحي ببجاية ، وكان متقدماً في علم العربية والأدب .

وله تأليف في علم الفرائض منظوم ، وتواشيحه في نهاية الحسن ، وبها يضرب المثل ، وكثيراً ما يقول الناس عندما يتشطط الإنسان على الإنسان في الطلب : «وأغني لكَ موشحاً لعمارة» ، وقد ذكر لي أن شعره قد جمع في ديوان ، ولكني ما اطلعت عليه ، وقد رأيت بعض قطعة مستحسنة من شعره ، وأنا أذكرها وأذكر سببها قبلها ، وذلك أن بجاية كانت بلد غـزاة ، وكانت أجفان إسحاق بن غانية تصل أيضا من ميورقة كما تصل به أجفان بجاية ، وكان إسحاق بن غانية بجزيرة ميورقة ، وهو بقية اللمتونيين ، فوجه له من مراكش من قبل خليفتها من يطلبه بالبيعة والدخول تحت الطاعة ، فامتنع من ذلك ، وكان بين يديه ولداه علي ويحيى ، فقال للرسول : وأنا لا أراهم

ولا يروني . ولكن قل للموحدين يهيؤن ما ينفقون على رأس هاذين ، وأشار إلى ولديه ، فانفصل الرسول عنه وتجهز الولدان بعد كبزهما في طوائف فيها بعض الفرسان ، ووصل إلى شاطئ بجاية ، وكانت البلد شاغرة من الجيش ، فتلقاهم الناس على عادة تلقيهم ، ولما وصلت له الخيل مستعدة والناس ما عندهم من شأنهم خبر ، طلعوا على جبل الخليفة ، ودخلوا من باب اللوز إلى قصبة البلد ، ولم يكن فوق باب اللوز سور في ذلك الزمن ، وطلبوا الناس بالبيعة فبايعوهم ، وكان الشريف أبو الطاهر عمارة رحمه الله ممن امتدحهم ، وأنشد بين أيديهم،وربما عرض في بعض مقاله جرياً على عادة الشعراء أمثاله ، ثم إن الموحدين تجهزوا براً وبحراً من فورهم ليستأصلوا من البغاة شأفة أمرهم ، فانفصل على ابن غانية عن الحال ، وتبع الموحدون الناس بما ظهر منهم من مقال أو فعال ، وكان من جملة الأمر أنه لما خطب لهم قال الخطيب في خطبته : والحمد لله الذي أعاد الأمر إلى نصابه ، وأزاله من أيدي غصابه ، فاشتدت وطأتهم على أهل العلم ، واعتقلوا أناساً منهم ، وكان في جملة من اعتقل الشريف أبو الطاهر عمارة ، ولما وصل الموحدون خرج إلى الجهة التي كان فيها قاضياً ، فوُجِّه إليه وجيء به مصفداً في الحديد ، فبقي معتقلاً مع أصحابه مدة من الزمان ، وهو يروم أن يقول فلا يجد للقول سبيلاً إلى أن سمع منشداً ينشد سحراً لعلي بن الجهم :

عيونُ المها بينَ الرُّصافةِ والجسـرِ * جلبنَ الهوى مِن حيثُ أدري ولا أدري

فتحرك بلبالُه ، وزال عن لسانه عقاله ، فكتب بالقصيدة التي منها هذه القطعة الأولى ، فتلقاها بالقبول وشفع فيه وفي أصحابه جده النبي الأميَّ خير شفيع وأكرم رسول ، وهي هذه :

[١٩٤] سلامٌ كعَرْفِ المندلِ الرطبِ في الجمرِ * وإلا كما هبَّ النَّسيمُ على الزَّهرِ

فللـهِ مِـنْ مُقـلـةٍ بعَبْـرةٍ * تعبرُ فـوقَ الخدِّ عَنْ كامنِ السِّرِّ

وقد راعني إيماضُ برقٍ بذي الغضا * كما ابتسم الزنجي عَن بهجِ الثغرِ
بدالي أن الليل أورى زنـــاده * ولا نارَ إلا نورُ برقٍ لهُ يسري
ونارٍ بأكبادي أكابدُ حرَّهـــا * وقلبٍ سليمٍ قُلِّبٍ في لظى جمرِ
وما طائرٌ فوقَ الغصـــونِ مسرَّحٌ * كمَنْ باتَ مقعدَ الجناحينِ في وكرِ
فلم أنسَ توديعَ البنينَ مصفَّـــداً * وأصغرهُم يجري وأدمعُه تجري
أبا زيدٍ إنِّي بالحسين وسيلتـــي * وجدِّي شفيعُ الناسِ في موقفِ الحشرِ

وكانت له رحمه الله ابنة تسمى عائشة ، كانت أديبة أريبة فصيحة لبيبة ، وكان لها خط حسن ، رأيت كتاب الثعالبي بخطها في ثمانية عشر جزءاً ، وفي خاتمة كل سفر منه قطعة من الشعر من نظم والدها رحمه الله ، إذا خُتم السِّفر وتمَّ التاريخ كتب بخط يده : وقال عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني ، وتكتب ابنته القطعة بخطها ، وهي نسخة عتيقة ما رأيت أحسن منها ولا أصح ، ولقد رأيت منه نسخاً كثيرة منتقدة إلا هذه النسخة ، ولقد يجب أن تكون هذه النسخة أصلاً لهذا الكتاب حيث كان ، ويقع التصحيح منها ، وهذه النسخة من جملة الخزانة السلطانية ببجاية ، أبقاها الله وحفظها ، ومن الغريب أني رأيت هذا الكتاب في سفر واحد ، رأيته بحاضرة قسنطينة عند إمام جامع قصبتها المحروسة ، وهو لا بأس به ، ومن شعر الشريفة عائشة رحمها الله :

أخـــذوا قلبـــي وســـاروا * واشتيـــاقي أودَعُونـــي
لا عـــدا إن لـــم يعـــودوا * فـاعذُرونـــي أو دَعونـي

ويقال: إنها بعثت بهما إلى ابن الفكون شاعر وقته ، وقالت له : عارضها أو زد عليها ، فكتب إليها معتذراً عن الجواب : الاقتصار عليهما هو الصواب.

ولها أيضاً :

صدَّني عَنْ حـــلاوةِ التشييـــعِ * اجتنـابي مـرارةَ التوديـــعِ

لم يقُمْ خيرُ ذا بـــوحشـــةِ هـــذا * فرأيتُ الصـــوابَ تـــرك الجميـــعِ

[١٩٥] ولها في معنى المداعبة وقد خطبها رجل من الأشراف . كان أصلع فلم تجبه إلى مراده ، وقالت هذه الأبيات تداعب صاحبتها من الفتيات :

عذيري من عـاشقٍ أصلـــــــعِ * قبيحِ الإشارةِ والمَنْـــــــزعِ
يروم الزَّواجَ بما لو أتـــــــى * يرومُ بهِ الصَّفعَ لـم يُصفَـــــعِ
برأسٍ حـويجٍ إلى كيَّـــــــةٍ * ووجهٍ فقيرٍ إلى بُـــرقُـــــــعِ

ولها رحمها الله ، طرائف أخبار ومستحسنات أشعار ، لكن هذا الموضع لم يقصد به هذا المعنى ، فيقع منه الإكثار ، وإنما المقصود منه صورة التعريف بالرجال ، وذكر بعض شواهد الحال اهـ.

سيدي عمر الأشهب

الشيخ سيدي عمر الأشهب ، أهل وانوغة يعظِّمونه غاية التعظيم ، وأولاده معظَّمون أيضاً ، وقد بقي منهم الفاضل سيدي الطيب نفعنا الله ببركاته آمين .

ومن أولاده سيدي عمر في وادي الخميس من هذا العرش ، وجدهم هو المؤلف المعلوم للكتب المتداولة أعني الوانوغي ، وأولاده فيهم البركة نفعنا الله بهم ، ومنهم شرفاء القصبة ، دار علم وكرم وشجاعة ، وقد زرت الجميع والحمد لله تعالى اهـ. ورتيلاني .

سيدي عليّ الطَّيَّار

الولي الصالح والقمر الواضح سيدي علي الطيار ، معظم في الصحراء والتل وأولاده كذلك إلى الآن لاسيما الشيخ سيدي محمد بن المبارك ، وأولاده نفعنا الله بهم آمين اهـ. ورتيلاني .

وذكر بعده : ومن زمورة أولاد بوشيبة ، وهم شرفاء أهل فضل وبركة ، وقد رأيت في بعض رسوم الشرفاء ـ وأظنه كلام ابن فرحون أنه قال ما نصه : ولا شريف في زمورة أعني بني فرقان إلا طائفة يقال لها : أبو شيبة نفعنا الله بجميعهم اهـ.

أبو عليٍّ عُمرُ بنُ أحمدَ العمري البجائي

الشيخ الفقيه الأصولي المبارك من أهل بجاية ، رحل إلى المشرق ، ولقي الأفاضل ، وحج بيت الله الحرام ، ورجع إلى بجاية بعد تحصيل واستفادة ، فكان من عدولها المرضيين ، وانتصب للتدريس بها ، وكان يقرأ عليه الفقه والأصلان ، وهو أحد من أخذ عنه شيخنا الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع رحمه الله .

وأخبرني بعض الطلبة أنه رأى تقييداً رد فيه على الوصية التي أوصى بها فخر الدين ابن الخطيب رحمه الله قبل موته ، وشارك الشيخ العالم أبا الحسن الحرالي رضي الله عنه في جملة من مشايخه الذين قرأ عليهم بالمشرق.

وتوفي رحمه الله ببجاية في عشر الستين وست مئة (٦٦٠) اهـ. « عنوان » .

[١٩٦] سيدي عمر الشريف

الشريف الجليل الولي الصالح الحفيل أبو حفص سيدي عمر الشريف الحُسيني بالتصغير من أصحاب الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الملياني تلميذ الشيخ زروق ، ذكره من أصحابه في الطرفة قائلاً أثناء عدة لبعضهم : والشيخ أبو حفص عمر الشريف الحُسيني بالتصغير دفين داخل باب الفتوح اهـ.

والملياني توفي سنة سبع وعشرين وتسع مئة (٩٢٧) ، فيكون صاحب الترجمة من أهل القرن العاشر، وفي « نشر المثاني » في ترجمة سيدي أحمد بن عمر الشريف دفين داخل باب الجيسة ما نصه : ولا يُعلم أحد ينتسب لوالديه ولا لقرابته في النسب ، ولا للأخذ عنه في الطريقة ، نعم من صالحي فاس سيدي عمر الشريف ، وروضته بعدوة فاس الأندلس متصلة بروضة سيدي أبي غالب ، وسيدي عمر هذا شريف حُسيني بالياء ، وهنا أقوام ينتسبون إلى بعض أعماله اهـ.

وفي « التنبيه » ما نصه : ومنهم سيدي عمر الشريف ، ضريحه يقابل سيدي أبي غالب اهـ. وروضته هي المقابلة لسقاية الشيخ أبي غالب المذكور، وضريحه بها معروف عند بعض الناس ، وهو مزار متبرَّك به إلى الآن .

تنبيه : سيدي أحمد بن يوسف المذكور شيخ لصاحب الترجمة .

عمرُ بنُ عبدِ المحسنِ الوجهاني الصواف

الشيخ الفقيه العالم العابد المنقطع المتبتل الزاهد الولي أبو علي عمر، نشأ على الهدى والرشاد والعمل على التخصيص وجميل الاعتقاد .

قرأ ببجاية على أكابر مشايخها ، ثم ارتحل إلى المشرق في عشر الستين وست مئة (٦٦٠)، وحجَّ بيت الله الحرام ، ولقي أفاضل ، وانقطع وتعبد وتبتل مع اشتغال دائم وفكر متصل ملازم ، وظهر أمره بالديار المصرية ظهوراً كلياً ، ورغب إليه الملوك أن يزوروه أو يزورهم فتمنع من ذلك ، ولم يتمسك بشيء من الدنيا لا بمال ولا بجاه ، وكانوا يرغبون في الأخذ عنه فيمتنع من ذلك قصداً للخلاص والسلامة ، وكان يرغب في الفُتيا فإذا أفتى ترجح قوله على كل قول ، وحُقَّ له ذلك .

[١٩٧] ولقد أخبرني بعض الطلبة الذين توجهوا إلى المشرق برسم الحج أنه قال : خرجت معه من الديار المصرية في الركب المصري ، وهو متوجه نحو الحج ، فبلغته قال : لا تبرك به ، فلم يزد في سفره على حاله في البلد شيئاً . قال : خرج بقميص وعمامة ومئزر وعكاز وركوة ماشياً على قدمه ، وخيار الأمراء يرغبون أن يحملوه على رؤوسهم فضلاً عن أن يحملوه على المحامل ، وهو يمتنع من ذلك ، فكان إذا نزل الركب ركز عكازه واستقل تحت مئزره ، وأخبرني أنه قال : إذا اشتد مشي الركب وألحُّوا في السير واشتدوا قال : كنت أراه لا يزيد على نقل قدميه على الثاني شيئاً ، وأنا أكِدُّ وراءه جرياً فلا أدركه إلا بتعب ومشقة ونصب ، وظهرت من كراماته في حرم الله الشريف عجائب ، ووقف له منها على غرائب. قال المخبر : وما كنت أعلم له وجهاً لمعيشته في الركب ، ولا كيف تناولها .

[١٩٨] توفي رحمه الله في عشر التسعين وست مئة (٦٩٠) .

عمرُ بنُ عثمانَ الونشريسي

الفقيه الأستاذ في فن العربية أبو علي عمر بن عثمان الونشريسي. قال لسان الدين : حضرت مذاكرة في مسألة أعوزت عليه ، وطال عنها سؤاله ، وهي قول الشاعر :

الناسُ أكيسُ مِن أنْ يَمدحوا رجلاً * ما لم يَروا عندهُ آثارَ إحسانِ

وصورة السؤال : كيف وقوع أفعل بين شيئين لا اشتراك بينهما في الوصف ، إذ أوقع الشاعر أكيس بين الناس وبين أن يمدحوا ، وهو مؤول بالمصدر ، وهو المدح ، ولا يوصف بذلك انتهى .

قلت : الإشكال مشهور ، والجواب عنه بضرب من المجاز ظاهر ، وقد

أشار إليه أبو حيان في « الارتشاف » وجماعة آخرون في قول بعض المؤلفين كصاحب « التلخيص » أكثر من أن تحصى . ولولا السآمة لذكرت ما قيل في ذلك ، وخلاصة ما قالوه : أن في الكلام تقديراً . والله أعلم .

عمرُ بنُ عزوزٍ السّلمي

الشيخ الفقيه الجليل الفاضل المحصّل أبو علي ، رحل للشرق ، وقرأ به ، ومهر ووصل بجاية ، وظهر واستقر وقضى بها ، وشُوِورَ وأفتى ، وعليه مع الفقيه أبي عبد الله الأريس يتوقف حال القاضي أبي محمد ابن حجاج اهـ من « عنوان الدراية » .

عمرُ بنُ محمدٍ صالح الوفرتي

قال في « نشر المثاني » : السيد المتبرك به سيدي عمر بن محمد صالح الخزرجي الشامي ، صاحب زاوية بلاد وفرت بالقاف المعقودة على مرحلتين من توات شرقاً .

ذكره أبو سالم العياشي في « رحلته » وقال عن بعضهم : إنه يوصف بالقطبانية وإنه توفي عام ١٠٠٨ وإنه أخذ عن سيدي محمد بن أبي بكر الودغاغي ، وهو عن سيدي موسى المسعودي ، وكلاهما بتيجرارن (تيڤورارن أو ڤورارة) ، وهو عن سيدي أحمد بن يوسف المليانى ، وعن سيدي عبد الله [١٩٩] الخياط ، ذكر هذا في أول الرحلة المذكورة .

قلت : وصاحب الترجمة من الشعبة الحضرية المعروفة بفاس من الشاميين الخزرجيين ، صرح به الشيخ أبو عبد الله المسناوي في طرة كتبها على كلام أبي

سالم الذي أشرنا إليه ، ووقفت عليه بخطه ، ولا مانع من ذلك لاتفاقه معهم بالوصف بالشامي الخزرجي ، وأن أسلافهم قدموا على فاس من تيجرارن كما رأيته في تقييد عند بعض الأماثل منهم ، وهو عنده من جملة المحفوظات الأكيدة ، ويحتمل الأمر خلاف ذلك ، والله أعلم .

عمرُ بنُ مُحمدٍ المانفلاتي الجزائري

من « نشر أزاهر البستان »

العلم الأشهر ، والحبر الأكبر ، حائز الشرفين العرضي والذاتي ، أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانفلاتي ، أبقاه الله ، ونضّر مرآه ، هو بقية السلف ، وبركة الخلف ، الذي حمى الله به ذلك القطر من التلف ، إذ عليه المدار في السير والأخبار ، وإليه المرجع في كل خطب مفزع ، وإحكامه لقواعد العلوم ، هو الذي أمطاه قنن النجوم ، وأعطاه شرفاً غير مروم ، لأنه يصول بنصول الأصول ، ويطول على كل ذي منطق بذوابل الجدل وصوارم المنطق ، إلى شمائل كنسمات الخمائل ، وهِمَّة أكسبت الدهر غمة ، وفصاحة رائقة ، وبلاغة فائقة ، إذا حدث أو أملى فما أبدع وما أحلى ، وإن استطرد في درسه حكاية لتنميق رواية ، كان ذلك أعذب وأسوغ ، من منادمة الظبي الألثغ ، يقود عصاباتِ القلوب بيانُه ، فلولا تقاه كنت أحسبه سحراً على أنه دنا من أرذل العمر واقترب ، وبات من وِرْدِ الثمانين على قرب ، فما ظنك به إذ برد عمره نضير ، وبدر شبابه مستدير ، وروض فتائه مورق ، ونور ذكائه مونق ، وقد أفصحتُ عن علاه في قصيدة طرزتُها ببعض حُلاه ، وأنشدتها بين يديه ، يوم ختمي « جمع الجوامع » عليه ، وهو يوم السبت الرابع من جمادى الأول من شهور سنة أربع وتسعين وألف (١٠٩٤)، وهي هذه :

حيٌّ على الأنسِ إنْ طيفُ الهمومِ سرى * وسَلَّ نفسَكَ وانهَجْ نَهْجَ مَنْ صَبرا
ولا تُصِخْ لدواعي البثِّ إنْ صدحَتْ * إنَّ دواعيهِ تستجلبُ الضَّـــرَرا
واذكُرْ معاهدَ قد راقَتْ نضارتُهـــا * فإنَّ في ذِكرها أُنْسَاً ومُعتَبـــرَا
للّهِ منها أصيلانٌ جنيتُ بهـــا * في روضة اللَّهوِ مِنْ نخلِ المُنى ثَمَرا
إذِ الأحبَّةُ يعـدو عَنْ وصالهـــمُ * بُعدٌ يؤجِّجُ في أحشائنـا سَقَـــرا
حيثُ ائتلفنا ولا واشٍ ينمُّ بمـــا * نِلنا عدا الأعطرينِ الوَرْدَ والزَّهَرَا
ولا رقيبَ على الأفراحِ يحسِدُنـــا * ديناً تحلا النيِّرينِ الشَّمْسَ والقَمَرا
[٢٠٠] وزَهْونا بتلاقينا وأُلفَتِنَـــا * أغرى بنا الأعجمينِ الطيرَ والوتَرا
فصاحَ ذاكَ على أفنانِ دوحتِـــه * حيٌّ على الأنسِ إنْ طيفُ الهمومِ سرى
وبثَّ ذا ببنانِ الذَّيلِ حركَـــهُ * خذ ما صفا لكَ وانبُذْ كلَّ ما كَدَرا
والبحرُ مثلُ مُذابِ التِّبرِ حاكَ بـــه * كفُّ النَّسيمِ دروعاً حُسْنُها سحَـرَا
والوُرْقُ تسقطُ في أمواجـــهِ دُرراً * كمـا سقطت على بحرِ العُلا عُمرا
حَبْرُ الجزائرِ والدُّنيا برُمَّتِهـــا * مَنْ عالجَ العِلمَ حتَّى ذاعَ وانتشرا
بدرُ الجلالِ ومصباحُ الكمالِ ومقـــ * ـباسُ الجمالِ الذي كلُّ الورى بَهَـرا
شيخٌ أحاطَ بأنواعِ المديحِ فمـــا * أبقـى لِمَنْ بعدَهُ شيئاً وما وَذَرا
إن تَنْمِ أهلُ العُلا إلى محاسنِـــه * تجدْ جميعَهُمُ من بحرِهِ نَهَـــرا
ذو همَّةٍ شُغِفَتْ بالمجدِ عاليـــةً * همَّ بها أحدُ النِّسرينِ فانكـــدرا
إلى شمائلَ أزرَتْ بالنَّسيمِ ضُحـــىً * وخُلقٍ كالخلوقِ قد هفـا سَحَرا
مَنْ يُبلغِ الأهلَ أنِّي بعـدَ بينهـــم * جالستُ بدرَ هدىً بالشمسِ مُعتجِرا
وقد ظَفِرْتُ بما قد كُنتُ آمُلُـــهُ * لما قضَتْ مُنيتي من نورِهِ وطَـرَا
حتى لقد خلْتُ آمالي قـوائـــلَ لـي * قدكَ ابنُ زاكورِ هذا البحرُ فاقتصِرا
مَنْ ذا يطاوِلُني والمجدُ صافحنـــي * والبدرُ أقبسني والعلمُ لي سَفَـــرا
قد كنتُ قِدْماً أحسُّ للنَّوى ضَـــرَراً * فاليومَ حينَ اكتسبتُ المجدَ لا ضَرَرا

ما أحسنَ البينَ إذ كانَتْ إساءتُـــــهُ * تُفضي إلى مثلِ مصباحِ الدُّجى عُمرَا
بقيَّةُ السَّلَفِ الماضي ونُخبتـــــــه * لَكِنْ محاسنُهُ أزرَتْ بمَنْ غَـــبَرا
قاضي القضاةِ الذي لا شيء يعدِلُـــه * في عدلِه اللَّذْ فَشَا في الناسِ واشتهَرَا
بحرُ العلومِ التي غاضَتْ مناهلُهـــــا * منذُ زمانٍ وسيلُ الجهلِ فيها جرَا
شمسُ الأصولِ التي تعشي أشِعَّتُهَـــا * عينَ الجهولِ فلم يَسْطِعْ لها نَظَـرا
كم مِنْ فوائدَ أولاني غدوتُ بهـــــا * أطاولُ العالِمَ الحَبْرَ الذي مَهَـــرا
هذا و« جمعُ الجوامعِ » الذي بهَرَتْ * غُرُّ معانيهِ مَنْ غابَ ومَنْ حَضَـرا
أبدى لنا كلَّ ما تحويهِ مِنْ نُكَـــتٍ * نفيسةٍ تُخجِلُ الياقوتَ والدُّرَرا [٢٠١]
واهاً لها مِن لآلٍ قد ظَفِرتُ بهـــــا * فالحمدُ للّه حمداً طيِّباً عَطِـــرا
سحَّتْ على قبرِ تاجِ الدِّينِ غادِيَـــةٌ * تُخَفِّفُ الأثقلينِ التُّربَ والحَجَرَا
ولا تخطَّتْ محلّيـهِ بتحليـــــةٍ * باهى بها الثَّقلينِ الجنَّ والبَشَـــرا
نِعْمَ المُحَلِّيُ مولانـا المحلِّـــيُ إذ * نَظَمَ مِن دُرِّهِ ما كانَ مُنْتَشِـــرَا
يا رحمةَ اللهِ عُوجي بضَريحهمـــا * ولا تزالي تنشِّي لهما خَبَـــرا
إن الإمامَ أبا حفص الرضى عُمَـــرا * أضحى يُطرِّزُ ما حكى وما ابتكَرَا
بدرُ الجزائرِ صانَ اللهُ بهجتَـــــهُ * عَنْ أن يُرى بخُسُوفِ البدرِ مُسْتَتِرَا
وبحرُها العذبُ لا زالَتْ جداولُـــهُ * تُروِّضُ العالمينَ البدوَ والحَضَـــرا

ولما عزمت على الترحال ، ونويت أن أعمل فيه الوخذ والإرقال ، طلبت منه الإجازة فيما أقبسني من أنواره وأودعني من أسراره ، فكتب لي بعد الامتناع بخطه ما أزرى بالدر النثير الخ .....

وذكر المجيز في هذه الإجازة ما نصه : وكنتُ (أي المنقلاتي) قرأتُ على مشايخ جلة أعلام ، ومن أجلهم عندي سيدي ومولاي الذي لازمته أربع عشرة سنة نهاراً وليلاً في غالب الأوقات أبو الحسن سيدي علي بن عبد

الواحد السجلماسي الأنصاري ، قدس الله روحه في دار النعيم ، مع جماعة من الطلبة الأخيار والنجباء الأبرار ، أخذت عنه في الأصول والبيان والمنطق ومصطلح الحديث والفقه والحديث والسير والتصوف . ففي الأصول قرأنا « جمع الجوامع » مراراً و« مختصر ابن الحاجب » نصفه . وفي البيان « تلخيص المفتاح » مراراً ، وفي المنطق « الجمل » للخونجي مراراً و« مختصر الشيخ السنوسي » ونظم الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري . وفي المصطلح « ألفية العراقي » مراراً ، وجملة من كتب السير ، وفي الحديث « صحيح البخاري » . و« مختصر خليل » في الفقه ، و« نظم ابن عاصم في الأحكام » كما قرأنا كتاب « الشفا » للقاضي عياض ، مع « البردة » للإمام البوصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، والسينية ، وعقائد الشيخ السنوسي قراءة ضبط وتحقيق .

وكنت أخذت عن غيره من المشايخ من أعظمهم وأولاهم شيخ الإسلام سيدي سعيد بن إبراهيم الجزائري إمام الجامع الأعظم ، نفع الله به ونفعه بعلومه وأسكنه بحبوحة الجنان ، الحديث والفقه والنحو وشيئاً من التصوف كالحكم لابن عطاء الله والتنوير ، وعن غيره الحساب والفرائض وشيئاً من علم الوقت إلى غير ذلك ، وأخذت عن غير من ذكر الخزرجية بشرحها للشريف الغرناطي ، وأقرأتها للطلبة ما ينيف على أربعين ختمة ، كما أخذت لامية ابن مالك في التصريف ، كل ذلك بجد واجتهاد مع التفرغ والاشتغال بالعلوم ، وهم رضي الله عنهم أخذوا ذلك عن مشايخ جلة من أعلام المغرب والمشرق قراءة وإجازة وإعلاماً ، وها أنا أكملت غرضه (أي ابن زاكور) ، وأذنت له أن يروي ذلك عني بشرطه عمن رويته ، عنه ، ووالله مع هذا ما
[٢٠٢] ظننت أني في هذه الطبقة ، ولكن خلت الديار فَسدتُ غير مُسَوَّد ، وكان شيخنا أبو عثمان سيدي سعيد بن إبراهيم يتأوَّه عند ذكر مشيخته ، وينشد لابن الحاجب :

لقد سَئِمت حياتي اليـــومَ لـــــولا * مباحثُ صاحبٍ في الاسكندريَّـهْ
كأحمدَ سبطِ أحمدَ حيـنَ يأتـــــي * بكُلِّ مليحة كالعبقريَّـــــــهْ
تُذَكِّرُني مباحثُـــهُ زمـــانـــــاً * وإخواناً عَهِدْتُهُـم سويَّـــــهْ
زماناً كانَ الابياريُّ فينـــــــا * يُدَرِّسُنَـا وتغبِطُنَا البريَّـــــــهْ
مَضَوْا فكأنَّهُم إمَّـا منـــــــامٌ * وإما صبيحةٌ أضحَتْ عشيَّـــهْ

وكذلك نحن مضى أشياخنا وإخواننا الذين كنا نتذاكر معهم وتألفنا بهم وخلفنا ، وتحولت الأحوال واشتغل البال ، نسأل الله أن يلحقنا بهم غير مبدلين ولا مغيرين بجاه سيد المرسلين ، وكتب عن عجل والقلب في وجل صبيحة الأربعاء المكمل عشرين من شهر جمادى الأخرى من عام أربعة وتسعين بعد الألف عبد الله وأصغر عبيده عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف الجزائري الدار والمنشأ ، **المانقلاتي** نسباً ، أصلحه الله ، وكـان له ولذريته ولياً ونصيراً آمين آمين آمين ، والحمد لله رب العالمين .

سيدي عُمَرُ بنُ موسى

ولي من أولياء الله تعالى ، وقبره مشهور يُزار ، وأولاده على الخير والبركة والعلم والصلاح والفلاح ، ومن بركاته أن أهل محله يُقسمون به[1] صغيراً أو كبيراً ، وأن قريته والله أعلم ما وصلت إلى خراب في الظاهر وهلاك إلا نفعها فقد علمت أن الولي رحمة في قومه ما داموا يعظمونه ويجلونه مع مراعاة أولاده إن كانوا على وفق العلم ، قال تعالى :﴿ وكَانَ أبوهُمَا صالِحاً ﴾[1] قيل : الجد التاسع ولا أعلم تاريخ وفاته ، رحمنا الله به وبأمثاله اهـ. ورتيلاني .

---

(١) سورة الكهف : الآية ٨٣ .

سيدي عُمَرُ الواصلي

رجل من الأكابر ، وصلاحه وولايته معلومان في الضمائر ، فإن أهل وطنه بني سليمان يعظّمونه غاية التعظيم ، وأولاده على الخير خصوصاً الأجلُّ الخير وذو الخير الشهير سيدي الموهوب ، كبير السن عظيم الشأن ، والحمد لله حبيب لنا نفعنا الله بهم آمين اهـ. منه .

[٢٠٣] سيدي عيسى بنُ أحمدُ الهَنْديسي ابن الشَّاط

بفتح الهاء فنون ساكنة فدال مهملة مكسورة فياء تحتية فسين مهملة البجائي ، عالمها يعرف بابن الشاط .

قال السخاوي : تقدم في الفقه وأصوله والعربية وغيرها حفظاً لها وفهماً لمعانيها ، مع فروسية وتقدمه في أنواعها ، وديانة،وتصدى للإفتاء والإقراء ، وناب في الخطابة بجامع بجاية الأعظم ، وهو الآن في سنة تسعين وثمان مئة شيخ وقدوة أهلها يزيد على ستين سنة اهـ.

قال الشيخ زروق : الشيخ الفقيه الإمام الصدر العالم أبو مهدي مفتي بجاية ، من صدور الإسلام في وقته علماً وديانة اهـ.

قلت : له تعليق لطيف على مسلم في كراريس ، اقتطفه من شرح **الأبيِّ** عليه ، ووقع بينه وبين شيخه الإمام العلامة محمد بن بلقاسم المشدَّالي الآتي منازعة في مسألة ترافعا فيها إلى الإمام المفتي قاسم العقباني فأجابهما . نقل الجميع في « نوازل » المازوني مع عدة فتاوى .

عيسى بنُ مُحمدٍ التلمساني

عيسى بن محمد بن عبد الله ابن الإمام أبو موسى أحد الأخوين المعروفين بأبناء الإمام التلمساني ، تقدم كثير من حاله في ترجمة أخيه أبي زيد .

قال القاضي أبو عبد الله المقري : سألت أبا موسى بن الإمام آخر فقهاء تلمسان عما يكتب الموثقون من الصحة والطوع والجواز على ظاهر الأمر ، الذي لا يفيد ما بنيت عليه الشهادة من اليقين لانكشاف الأمر كثيراً بخلافه قال له : ذلك غاية ما يمكن الوصول إليه غالباً من ذلك فلو كلف بغيره شق عليه ، وأوشك أن لا يصل إليه ، وتعطل بسببه حقوق كثيرة ، قلت له : فهلا كتبوا ظاهر الصحة والجواز والطوع فتبرؤوا من عُهدة ما وراء ذلك ، فقال لي : ذلك إيهام في الشهادة ، ومبناها على العلم ، فإذا تعذر أو تعسر وجب كتبها على ما لا ينافي أصلها حفظاً لرونقها ، واعتمد في ظاهر أمرها على ما جرت به العادة أن المعتبر في مثلها ظاهر الحال لتعذر غيره أو تعسره اهـ.

سُئل صاحب الترجمة عن ابن القاسم هل هو مجتهد في مذهب مالك مقلد له ؟ فأجاب بأنه مجتهد في المذهب فقط لا مطلقاً ، وأما اجتهاده في بعض المسائل فإما بناء على جواز تحرى الاجتهاد ، وهو اختيارنا ، كما أن المجتهد المطلق قد يقلد في بعضها لأمر ما فلا ينافي عروض اجتهاده في بعضها كونه مقلداً ، كما أن المجتهد المطلق لا يخرجه عروض التقليد عن اجتهاده ، والدليل على كونه مقلداً لمالك أقواله وأقوال الأئمة ، وبيانه أن المجتهد إنما يتبع الدليل من حيث هو ، والمقلد يقلد شخصاً ، واتباع ابن القاسم لقول مالك والتزامه مذهبه واضح لا يفتقر لبيان لمن له أدنى اطلاع ، وذلك أن المجتهد إنما يجيب عن المسائل باجتهاده في الأدلة ، وابن القاسم إنما يجيب

[٢٠٤] حيث سئل بقوله : قال مالك كذا ، كما في الأسمعة والروايات ، وهذا عين التقليد وليس في شيء من الاجتهاد ، فإن قلت : لعله إنما أجاب به قبل نظره لعجزه؟ قلت :لا يجوز التقليد قبل النظر على الصحيح لآية ﴿ فإنْ تَنَازَعْتُم في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ ﴾ (١) ومن أمكنه الرد إليه تعالى فتركه عصى ، وإنما ينظر ذلك عند العجز ، وأجوبته هو بقول مالك كثيرة ، بل لا يضيف لنفسه إلا عند خروج مالك عن قواعده واختياره هو أحد أقوال مالك وإن لم نقف نحن عليه كما يأتي ، فان قلت : ولعل سائله إنما سأله عن مذهب مالك فقط . قلت : علمنا جوابه بذلك مطلقاً سواء عين له السائل ذلك أم لا بدليل إطلاق الأسئلة عارية عن ذلك ، ولئن سلّم فسؤالهم إياه عن مذهب مالك على اعتقادهم فيه أنه خزانة مذهب مالك وناشر أقواله ، فهذا دليل تقليده ، إذ المجتهد إنما ينظر في الأدلة مطلقاً ، وأيضاً فسؤال المجتهد عن مذهب غيره نادر جداً ، وأيضا فلم لا يسأل عن مذهب غير مالك ، وما وجه الخصوصية به ، وأيضا فعادته في جوابه عن مسائل لا تحصى أن يقول: لأن مالكاً قال كذا في كذا ، وقد قال مالك كذا ، فيحتج لصحة قوله بقول مالك ، وأنه جارٍ على مذهبه ، وإنما جواب المجتهد بالدليل لا بقول أحد ، ويقول : لولا ما قاله مالك لقلت كذا ، فيترك مقتضى الدليل لقول مالك ، وهذا غاية التقليد .

وقد نقل صاحب « الاستيعاب » عن ابن وهب وأحمد بن حنبل أنهما قالا:إذا لم نجد أثراً قلدنا قول مالك ، لأن قوله أثر من الأثار ، ونقل عن ابن القاسم أنه قال : اخترت مالكاً لنفسي وجعلته بيني وبين النار ، ولا معنى لاختياره له إلا تقليده واعتقاده مذهبه ، والمجتهد إنما يجعل بينه وبين النار الأدلة لا شخصاً معيناً ، فإن قلت : لعل ذلك لتعلمه منه أولا لا لتقليده آخراً حين تبحر ، قلت : لا يجعل المجتهد حالة ابتدائه حجة لأنها انتسخت بأكمل

(١) سورة النساء : الآية ٥٩ .

منها ، فصار متبعاً للدليل مطلقاً ، مع أن ابتداءه لم يتمحض في مالك وإن لازمه أكثر من غيره ، فقد أخذ عن الليث وعبد العزيز بن الماجشون وابن أبي حازم وغيرهم ، وأيضاً فقد قال الشريف التلمساني أحد محققي الأئمة المتأخرين لما مثل مجتهد المذهب الذي يخرج الوجوه على نصوص إمامه ، قال : كابن سريج وأبي حامد في مذهب الشافعي ، وابن القاسم وأشهب في مذهب مالك ، وأبي يوسف ومحمد بن الحسن في مذهب أبي حنيفة ، فهذا نص منه على
[٢٠٥] تقليده لمالك ،ويؤيده قول ابن وهب لابن ثابت : ان أردت هذا الشأن يعني فقه مالك فعليك بابن القاسم ، فإنه انفرد به وشغلنا عنه بغيره ، ولهذا رجح القاضي أبو محمد مسائل « المدونة » لرواية سحنون لها عن أبي القاسم ، وانفراده بمالك وطول صحبته له لم يخلط به غيره ، فهذا دليل تقليده له وأنه خزانة علمه ، ولا يوصف المجتهد بأنه لم يخلط به غيره ، وقد حكى الحارث ابن راشد القفصي ـ وكان ثقة مجاب الدعوة يختم في كل ليلة من رمضان القرآن ـ أنه لما وادع هو وابن القاسم وابن وهب مالكاً أنه قال لابن وهب : اتق الله وانظر عمن تنقل ، ولابن القاسم : اتق الله وانشر ما سمعت ، فهذا مالك أصل إفادته يأمره بنشر ما سمع ، وناشر ما سمع بمعزل عن الاجتهاد المطلق ، وبعيد أن يجهل مالك من حاله ما يعلمه غيره ، وقد عمل هو بما أوصاه به ووثق الناس بروايته عنه واختياراته ، وقبلوا منه ما لم يرضوه من نظرائه .

قال النسائي : ابن القاسم رجل صالح ثقة ، ما أحسن حديثه وأصحه عن مالك لا يختلف في كلمة ، ولم يرو أحد « الموطأ » عنه أثبت من ابن القاسم ، وليس أحد من أصحابه مثله لا أشهب ولا غيره ، عجب من العجب ، زهد وفضل وحسن الحديث اهـ.

ولهذا شرط أهل الأندلس في سجلات قرطبة قطب مدنها علماً أن لا

يخرج القاضي عن قول ابن القاسم ما وجده احتياطاً ورغبة في صحة الطريق الموصل لمذهب مالك ، الذي قلدوه لصحة روايته وطول صحبته له لم يخلطه بغيره ، ولو كان مجتهداً مطلقاً لكانوا إنما قلدوه دون مالك ، وهو خلاف ما علم من أئمتهم حيث توغلوا في تقليده حتى شنع عنهم ابن حزم أحد حفاظها ، فقال : قد وصل أهل الأندلس في تقليد مالك حتى يعرضون كلامه تعالى وكلام رسوله على مذاهب إمامهم ، فإن وافقاه وإلا طرحوه وأخذوا بقول صاحبهم مع أنه غير معصوم ، ولا نعلم بعد الكفر بالله تعالى معصية أعظم من هذا ، فهذا ما وصفهم به من تقليد مالك ، وإن كان على كلامه حديث ليس هذا محله ، وهم حين فتح الأندلس التزموا مذهب الأوزاعي ، حتى قدم عليهم الطبقة الأولى ممن لقي مالكاً كزياد بن عبد الرحمن ، والغازي بن قيس ، وقرعوس ونحوهم فنشروا إمامته وفضله ، فأخذ الأمير هشامٌ الناسَ حينئذ فالتزموا مذهبه من يومئذ ، وحاموا عليه بالسيف إلا من لا يؤبه به ، حتى إن الأمير الحكم بن المستنير ، وكان ممن بحث عن أحوال الرجال بحثاً يقر عنه كثير من العلماء ، حتى إن خزائن من كتبه في غاية الصحة بحيث إذا اطلع على ما قوبل بأصل منها ، ولو بوسائط اطلع عليه في غاية الصحة ، كتب إلى الفقيه أبي إبراهيم رسالة فيها : وكل من زاغ عن مذهب مالك فإنه ممن رين على قلبه ، وزُيِّن له سوء عمله ، وقد نظرنا طويلاً في أخبار الفقهاء إلى الآن فلم نر مذهباً أسلم منه ، فإن في المذاهب الجهمية والرافضة والمرجئة والشيعة إلا مذهب مالك ، فما سمعنا عن أحد قلده بشيء من البدعية ، فالتمسك به نجاة إن شاء الله اهـ .

[٢٠٦] فهل ترى مع هذا التصميم في هذا الاعتقاد خلفاً عن سلف أن يمنعوا الخروج عن قول ابن القاسم لاجتهاده وتركه قول مالك ، بل ذلك لتقليده إياه وطول ملازمته له ، واطلاعه على ما يأخذه ، وأيضاً فلا ينكر أحد أنه

مالكي المذهب ، وناشره والمجتهد مطلقاً لا ينسب لأحد سواه ، لا يقال : إنما صدقت النسبة لأجل الاستفادة ، لأنا نقول : يبطل بالشافعي ، فهو من الطبقة الوسطى من أصحاب مالك ، وكان يقول : مالك معلمي ، ومنه تعلمنا العلم ، وما أحد أمَنُّ عليَّ من مالك ، وعنه أخذت العلم وشبه هذا ، ولا يصدق عليه أنه مالكي لاجتهاده وكون مستنده الدليل ، فإن قلت : يدل على اجتهاد ابن القاسم مطلقاً مخالفته لمالك في مسائل كثيرة ، وحظ المقلد اتباع مقلده قلت : إنما تتحقق مخالفته إن لم يكن لمالك في المسألة إلا الرأي وخالفه فيه ، ولعل له قولاً آخر رجحه ابن القاسم ، فإن قلت : قوله أرى أو هو رأيي إناطة للحكم برأيه فحمله على ما قلت خلاف الظاهر . قلت : ترجيحه ما صار اليه رأي حقيقة بلا تأويل ، ويؤيده ما ذكره الباجي في فرق الفقهاء قال : جمع أبو عمر الاشبيلي أقوال مالك في كتاب كبير يزيد على مئة جزء ، قرأت بعضه .

وكان شيوخنا يقولون : لا يكاد يوجد قولة لأصحابه إلا وهي لمالك في ذلك الكتاب ، لأن الحكم بن عبد الرحمن أخرج الأسمعة من خزانته لأبي عمر ، وأمره بجمع أقواله حيث كان ، فقول الشيوخ : لا يكاد يوجد الخ دليل لما قلناه ، وفيه بيان لما تقدم من صرفهم الهمة إلى أقوال مالك وتقليده ، واختيارهم لابن القاسم لصحة التوصل لمذهبه ، ونحو ذلك أيضاً ما ذكره بعض الائمة أن ابن القاسم وأشهب اختلفا في قول مالك في مسألة فحلف كل على نفي قول الآخر ، فسألا ابن وهب فأخبرهما أن مالكاً قالهما معا ، فحجًا قضاء ليمينهما ، فهما إمامان لازما مالكاً غاب عليهما قوله ، فكيف بمن تأخر عنهما ، ولو سلمنا عدم وجود مختاره لمالك فلا يدل على اجتهاد لجواز أنه رأى خروج مالك عن أصوله سهواً ، فقاسه هو عليها فلا يخرج بذلك عن تقليده .

ذكر أبو إسحاق الشيرازي أن أسداً أتى إلى ابن وهب وسأله أن يجيبه

في مسائل أبي حنيفة على مذهب مالك ، فتورع ، فذهب إلى ابن القاسم فأجابه عنها بما حفظ من مالك وغيره ، يقول : سمعته يقول في مسألة كذا وكذا ، ومسألتك مثلها ، ومنها ما أجابه على أصول مالك ، وهذا يحقق ما قلناه ، [٢٠٧] فهذه الأسدية أصل مدونة سحنون أصلح ابنُ القاسم منها أشياء على يد سحنون ، وأيضا سلمنا اجتهاده في بعض المسائل ولكن لا يخرجه عن التقليد ، كما أن تقليد أقواله[1] وقد قال إسماعيل بن أبي أويس : قيل لمالك : قولك في « الموطأ » : الأمر المجتمع عليه ، والأمر عندنا وببلدنا ، وأدركت أهل العلم فقال : أما أكثر ما في الكتاب فرأيي ، ولعمري ما هو رأيي بل سماعي عن غير واحد من أهل العلم المقتدى بهم ، فكثروا علي،فغلب رأيي ، وهو رأيهم ورأي الصحابة أدركوهم عليه وأدركتهم أنا عليه ، وإرثة توارثوها قرناً عن قرن إلى وقتنا ، وماكان رأيي فهو هكذا ، والأمر المجتمع ما اجتمعوا عليه بلا اختلاف ، وقولي : الأمر عندنا ، فما عمل به الناس عندنا وببلدنا وجرت به الأحكام ، وعرفه الجاهل والعالم ، وما قلت : بعض أهل العلم ، فشيء استحسنت من قول العلماء ، وما لم أسمع منهم اجتهدت على مذهب من لقيت حتى لا يخرج عن مذهب أهل المدينة ، وإن لم أسمع شيئاً نسبته إليَّ بعد اجتهادي مع السنة ، وما عليه أهل العلم ، والأمر المعمول به عندنا من زمنه صلى الله عليه وسلم والأئمة بعده فهو رأيهم ما تركته لغيره ، فإن قلت : يلزم على هذا إما تقليد مالك لغيره ، أو كون ابن القاسم مجتهداً لتفسيركم رأيه باتباعه ، قرأ عن مالك وترجيحه عليها ، لأن اتباع شخص إن أوجب تقليده لزم الأول ، وإلا لزم الثاني.قلت : لا بل اتباع قول مالك ليس لمجرد قول غيره ، بل الدليل عنده مطلقاً كعمل الصحابة أو إجماع أهل المدينة أو استحسان وافق رأيه ، وغير ذلك ، كما اشار إليه ، وهذا حال المجتهد المطلق اتباع

(١) هكذا في الأصل « نيل الابتهاج » للتنبكتي .

الدليل، وابن القاسم إما يرجح ويخرج على أصول مالك، كما تقدم فهو مقلده إذ اتباع شخص من حيث هو غير اتباع الدليل المطلق، والله أعلم اهـ. جوابه ملخصاً وهذا الذي اختاره هو ما اختاره أخوه الإمام أبو زيد وغيرهما.

فائدة: قال الخطيب ابن مرزوق: سمعت شيخنا الإمام أبا موسى بن الإمام وغيره من شيوخ المغرب يستحسنون ما أحدثه العزفي وولده أبو القاسم بالمغرب في ليالي المولد، وهما من الأئمة ويستصوبون قصدهما فيه والقيام به، ونقل عن بعض علماء المغرب إنكاره والأظهر عندي ما قاله بعض المغاربة: استعمال الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة، وإحياء سنته ومعونة آله، وتعظيم حرمهم، وفعل أنواع البر أفضل مما سواها مما أحدث، إذ لا يخلو من مزاحم في النية، أو مفسد للعمل، أو دخول شهوة، وطريق الحق والسلامة معروف، فالأفضل تكثير الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وأعمال البر اهـ. ملخصاً.

الأميرُ عبدِ القادرِ الجزائري

هو الإمام الأوحد والعلم المفرد، العارف بالله، والتقي الأواه، عالم الأمراء وأمير العلماء، الأمير الخطير السيد عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى
[٢٠٨] ابن محمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن محمد ابن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد ابن بشار بن أحمد بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي ابن أحمد بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب، وأم الحسن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ولد في شهر رجب سنة ١٢٢٢ في القيطنة ، وهي قرية اختطها جده في إيالة وهران من أعمال الجزائر ؛ وتربى في حجر والده إلى أن بلغ سن التمييز ، فحفظ الكتاب العزيز في المدرسة التي أسسها والده في القيطنة ، وتلقى بها بعض العلوم ، وكان والده كأسلافه من العلماء الأعلام الذين يرجع إليهم في مشكلات الأحكام ، ولما بلغ سنه أربع عشرة سنة سار إلى وهران لاستكمال فنون العلوم .

وفي سنة ١٢٤١ سافر مع والده منها براً إلى الحجاز على طريق مصر ، وبعد أداء فريضة الحج قصدا المدينة المنورة لزيارة الحضرة الشريفة النبوية ، ومنها توجها إلى دمشق صحبة الركب الشامي ، ثم سافرا إلى بغداد فزارا حضرة القطب الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني ، قدس الله سره العزيز ، وأخذ كل منهما الإجازة بالطريقة القادرية عن الشيخ محمود القادري نقيب الأشراف ، وشيخ السجادة القادرية ، ثم رجعا إلى دمشق ، ومنها عادا إلى الحجاز فحجا مرة ثانية ، ثم رجعا إلى الوطن وذلك سنة ١٢٤٣ ، وكان ـ طاب ثراه ـ في مدة سفره يتولى خدمة أبيه بنفسه مع كثرة الخدم الذين كانوا معهم .

وفي سنة ١٢٤٨ بايعه أهل الجزائر وولوه القيام بأمرهم ، وذلك بعد أن طلبوا مبايعة والده فاعتذر عن قبولها ، فلما ألحوا عليه أشار عليهم بمبايعة ولده المشار إليه لما رأى منه من الكفاءة بما يتعلق بهذا الأمر الجلل ، ولما اشتمل عليه من الأوصاف الجميلة التي تجعل النفوس الأبية خاضعة له ومنقادة إليه وصورة المبايعة مذكورة في كتاب « عقد الأجياد في الصافنات الجياد » لسعادة محمد باشا،فلما بايعوه قام بالأمر في تلك الأقطار ، وأحسن السياسة في رعيته مقتفياً آثار أسلافه السادة الأدارسة الذين كانوا ملوكاً في المغرب الأقصى والأوسط والأندلس ، فتمكن حبه في قلوبهم وبذلوا نفوسهم في طاعته وامتثال أمره ،

[٢٠٩] وفي مدة إمارته ضرب سكة نقود سماها المحمدية ، وأنشأ معامل للأسلحة والأدوات الحربية وملابس للجند ، وظهرت منه شجاعة خارقة للعادة ، تحدث بها القاضي والداني ، ودونها أصحاب التواريخ ، وكان يتقدم الجيش بنفسه ولا يبالي ، ولما رأى أن الثبات لا سبيل إليه جنح إلى السلم ، وفاوض أعيان من كانوا معه في أن يستأمن دولة فرنسا لنفسه وأهله ومن يتبعه من قومه على أن يحملوه إلى الاسكندرية أو عكا من أرض الشام ، فوافقوه على ذلك وفي الحال خابر قائد الجيش الفرنسوي فيما اتفقوا عليه على شروط قررها له ، فأجابه إلى ما طلبه واشترطه ثم خصصوا له مركباً حربياً ، وحملوه ومن معه وكانوا ينيفون على ثمانين نفساً إلى طولون ، وبعد ستة أشهر نقلوه إلى انبواز ، فأقام بها أربع سنين وستة أشهر ، ولما أفضى أمر فرنسا إلى نابليون الثالث زار الأمير بها ، وأظهر له كل تجلة وإكرام ، وأسف أسفاً شديداً على تأخير الوفاء بإنجاز الشروط إلى ذلك الوقت ، وبعد أن بشره بالتسريح إلى بلاد الإسلام فرَّق على أتباعه عشرين ألف فرنك ، وأهداه سيفاً مرصعاً ، ورتب له في السنة خمسة عشر ألف ليرة على أن تصرف له مشاهرة ، ثم ركب الأمير ومن معه مركباً حربياً وسافر إلى الاستانة العلية ، فتلقاه بعض الوزراء على المينا ، ومعهم العجلات السلطانية والخيول الجياد ، وذهبوا به إلى المابين الهمايوني ، وتقابل مع حضرة السلطان عبد المجيد خان ، فاحتفل به احتفالاً عظيماً ، وعامله بما يليق بمثله ، وأكرمه غاية الإكرام ، وأنعم عليه بدار عظيمة في مدينة بروسة بما اشتملت عليه من الأثاث والرياش ، فسكنها مع آله وحشمه ، وأقبل على بث العلم وإفادة الناس .

وفي سنة ١٢٧٠ ذهب إلى الآستانة ومنها إلى باريز ، ثم رجع إلى بروسة ، وحصل له في هذه الحركة إقبال عظيم واحتفال جسيم .

وفي سنة ١٢٧١ عزم على مبارحة بروسة لتوالي الزلازل الهائلة بها ، فاختار

الإقامة بدمشق ، فأتى إليها فتلقاه أهلها باحتفال عظيم ، وأنزلته الدولة العلية في أحسن دار .

وفي سنة ١٢٧٣ توجه لزيارة بيت المقدس والخليل ، ثم رجع إلى دمشق وأقبل على قراءة الكتب العلمية كالبخاري ومسلم ، وكان قسم من دار الحديث قد استولى عليه بعض الأجانب ، فسعى في استخلاصه ببذل أموال طائلة .

وفي سنة ١٢٧٧ وقعت الواقعة المشهورة في ذلك التاريخ ، فبذل الأمير جهده في إسعاف المسيحيين قياماً بما يوجبه أمر الدين ، ولشجاعته وحسن تدبيره قدس سره تيسر إنقاذ ألوف عديدة منهم ، فأهدته الدولة العليـــة وسائر الدول العظام علامات الشرف من الدرجة الأولى ، ثم سافر إلى حمص وحماه فزار في حمص أسد الله سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه ، ورجع إلى دمشق .

وفي سنة ١٢٧٩ قصد البلاد الحجازية ، وأقام بها مدة سنة ونصف مقبلاً
[٢١٠] بها على العبادة والخلوة والحج والاعتمار ، وحصل له هناك فتح عظيم أشار إليه في قصيدته الرائية التي مطلعها :

أمسعودُ جاءَ السَّعدُ والخيرُ واليســـرُ * وولَّتْ ليالي النَّحسِ ليسَ لها ذِكْرُ

وفي سنة ١٢٨١ توجه إلى الآستانة لزيارة ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان ، والسعي في اسعاف من نسبت إليهم الواقعة المنوه عنها ، وتخفيف الجزاء فاجتمع به وأكرمه غاية الإكرام وأهداه الوسام العثماني من الدرجة الأولى ، وهو أكبر وسام في ذلك العصر ، وأسعفه بمطلوبه ، ثم توجه منها إلى باريز للمقصد نفسه ، فكان له الفضل في المسألة بدءاً وعوداً .

وقد زاده حينئذ الامبراطور نابليون الثالث على مرتبه السابق ألفين وخمسمائة ليرة ، وكان له فرط شغف به لمكارم أخلاقه ، ثم توجه من باريز إلى لندرا

فاحتفلوا به غاية الاحتفال ، ثم عاد إلى الشام ، ومن ذلك الوقت قويت المناسبات بينه وبين ملوك أوربا والرؤساء المشهورين هناك ، فكان ذلك وسيلة لقضاء حوائج المسلمين الذين هم في مستعمراتهم ، وحصل لهم بذلك من المنافع ما لا يوصف .

وفي سنة ١٢٨٦ دعي إلى مصر لحضور الاحتفال بافتتاح خليج السويس ، الذي دعي إليه ملوك أوروبا وأمراؤها ، فذهب إليه ثم رجع إلى دمشق .

وفي سنة ١٢٨٨ أرسل نسخة من الفتوحات المكية مع عالمين جليلين إلى قونية لمقابلتها وتصحيحها على نسخة موجودة هناك بخط مؤلفها الشيخ الأكبر قدس الله سره وبعد تصحيحها بكل إتقان قرأها على بعض الخواص من العلماء ، فحصل لهم بذلك نفع عظيم .

وفي منتصف ليلة السبت التاسع عشر من شهر رجب الفرد سنة ١٣٠٠ انتقل هذا الأمير الجليل إلى رحمة الله تعالى في قصره الكائن قرب قرية دمر ، التي تبعد عن دمشق مسافة ساعة بعد أن مرض نحو خمسة وعشرين يوماً ، وكان مشتغلاً بالمراقبة والذكر ، ولم تبد منه شكوى ، وإنما كانت تلوح عليه سيماء الاستبشار بلقاء الله تعالى والرضى بأحكامه ، وقد تولى غسله وتكفينه نزيله الشيخ عبد الرحمن عليش ، أحد علماء الأزهر ، وحمل نعشه المبارك على أكتاف الرجال الأماجد إلى الجامع الاموي ، وبعد الصلاة عليه شيعه أهل دمشق بغاية الاحتفال والتعظيم ، ولم يزالوا سائرين بجنازته وعليها من الهيبة
[٢١١] والوقار ما تخشع له القلوب ، وتشخص له الأبصار إلى أن أوصلوه إلى حجرة الشيخ الأكبر ، فدفن بها في جواره ، ورجع الناس متأسفين على فراقه لمحاسن أوصافه ومكارم أخلاقه .

وقد خلف رحمه الله عشرة من البنين : أكبرهم الأمير محمد ، ويليه

الأمير محيي الدين ، والأمير الهاشمي[1] ، والأمير إبراهيم ، والأمير أحمد ، والأمير عبد الله ، والأمير علي ، والأمير عمر ، والأمير عبد المالك ، والأمير عبد الرزاق ، وخلف أيضاً ستاً من البنات ، وزوجة ، وأربع أمهات أولاد .

وقد كان طيب الله ثراه مربوع القامة ، معتدل الجسم ، أبيض اللون ، أسود الشعر كَثَّ اللحية ، أقنى الأنف ، أضبط « أي يعمل بيساره جميع ما يعمله بيمينه » ، أشهل العينين ، يمشي الهوينا ، وكانت له مبرات كثيرة ، من جملتها أنه كان يوزع وكان خرجه أكثر من دخله الوافر ، حيث توفي وعليه ديون اقتضت بيع بعض أملاكه لوفائها . وهذا أكبر دليل على وفور كرمه ، وكان يعظم أهل العلم ، حسن المسامرة لطيف المعاشرة ، لا يرد سائلاً ولا يخيب قاصداً ، وكانت رسائله تترى إلى سائر الجهات بحيث لو جمعت لبلغت عدة مجلدات ، لا ينسى أحداً من الذين تعودوا إحسانه ، ولم يكن عنده شيء من الكبر الذي تنزهت عنه نفسه المطمئنة ، ولا يتأنق في الملابس والمطاعم لتحققه بالزهد والتواضع وعدم النظر إلى زينة الحيوة الدنيا ، وله رحمه الله خلوة بمنزله في قرية أشرفية صحنايا كان يوزع مئتي ليرة في كل شهر على العلماء والفقراء فضلاً عما كان ينفقه في وجوه البر يتحنث بها في شهر رمضان مع العزلة التامة ، وكان مدة عمره يتعبد على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ، وكان يتنافس بزيارة الفضلاء ، ويتمثل بأشعار الأدباء ، وكانت تأتي إليه من كل فج ،ويكافئ عليها بالجوائز العظيمة ، حتى جمع له من القصائد التي مُدح بها في حياته ديوان ضخم ، ورثاه الشعراء البلغاء بأبكار أفكارهم .

(١) توفي الأمير الهاشمي رحمه الله في مدينة أبي سعادة ، ودفن في مقبرتها الأولية ، وخلف أولاداً منهم الامير الخطير الشهم الشهير السيد خالد ، الذي ارتقى هذه الأيام (شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٦ ـ ماي سنة ١٩٠٨) إلى رتبة قبطان في الجيش الفرنسوي بالمغرب الأقصى جزاء شجاعته واقتداره وإقدامه وانتصاره .

وله أحسن الله إليه تآليف مفيدة : أشهرها المواقف في التصوف ، وتعليق على حاشية لأحد أجداده في علم الكلام ، والمقراض الحاد ، والرسالة المسماة « ذكرى العاقل وتنبيه الغافل » ، ومن اطلع على هاته المؤلفات عرف قدر فضله وسعة علمه ، وكانت له سليقة جيدة في نظم القريض ، وكان يتمثل في المعارك ببيت من قصيدته الحماسية المشهورة وهو :

ومن عادة السادات بالجيش تَحْتَمي * وبي يحتمي جيشي وتحرسُ أبطالي

هذه لمعة من ترجمة حياة هذا الأمير الشهير مأخوذة عن أوثق المصادر ، وقد جمع له طاب ثراه ترجمة عظيمة في نحو مجلدين ضخمين ، قدس الله تعالى سره ، وأغدق عليه سحائب الرضوان والمبرة ، بجاه جده خاتم الرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم السلام اهـ. ملخصاً من ترجمته على ظهر كتابه المطبوع « ذكرى العاقل وتنبيه الغافل » .

سيِّدي الغزالي

صاحب الفضل والفواضل سيدي الغزالي ، جعل الله البركة في أولاده بمنه وكرمه ، وله أحوال سنية وكرامات ظاهرة لاسيما إجابة الدعوة ، وأبوه أعظم وأقوى ، وقد عمَّت بركته الداني والقاصي ، نعم زرنا قبره وبتنا في خلوته وتوضأنا من عينه ، ولم تك تلك القرية إلا بإذنه صلى الله عليه وسلم ، ثم بعد ذلك رجعنا إلى دار الشيخ سيدي محمد السعيد والد سيدي أحمد الطيب ، وكان فاضلاً عالماً عابداً زاهداً ورعاً آكلاً من عمل يديه طلباً للحلال ، لأن « مَنْ أكلَ الحلالَ أطاعَ اللهَ شاء أمْ أبى ، ومَنْ أكلَ الحَرامَ عَصَى اللهَ شاء أم أبى » أوكما قال ﷺ . [٢١٢]

وهو تلميذ الشيخ سيدي أحمد بن مزيان ، وانفعلت فيه سريرتُه ، وظهرت

عليه آثار أنواره ، وقد سمعت ممن يوثق به أنه قال : لو شئت أن تَصِيرَ لي الجبال ذهباً لفعلت ، ولكن اخترت ما اختاره النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه من التقلل في الدنيا ، ونفض يد القلب منها قطعاً ، والحمد لله على محبة آثارهم ، ومعرفة أحبابهم رضي الله تعالى عنهم .

ثم بعد زيارتنا للشيخ في محله رجعنا إلى بلدنا مارين على الشيخ سيدي يحيى العيدلي ، عطَّفه الله علينا وعلى أولادنا وطلبتنا ، وكل من ينتمي إلينا من الإخوان وغيرهم بمنه وكرمه ، فلما بلغت البيت حدث لي العزم التام ، نعم أخذنا في التأهب إلى السفر ، والأخذ في أسبابه ، واشتهر أمر سفرنا وبلغ أمره أطراف نواحي عمالة الجزائر ، فقامت لذلك فضلاء الخاصة والعامة ، ثم وقع النداء في أسواق بلدنا فيمن عزم السفر ، ثم بعد ذلك عرض لي أمر أوجب لي السفر لوادي بجاية ، فلما ذهبت إلى الوادي سمع بي جماعة من فضلائها كالعلامة الفاضل قاضيها تلميذنا سيدي أبي القاسم نجل الكامل سيدي إبراهيم ، والفقيه المفتي سيدي محمد ، والمعظم الأجل قاضيها سيدي أحمد الصطنبولي محب الخير وأهله ، وكان والده اصطنبوليا تاب على أيدينا رحمه الله آمين ، فلما وصلت إلى أولاد الشيخ سيدي محمد امقران في محلهم إذ هم أنسابي ، نويت زيارة الشيخ الصالح والأستاذ الواضح سيدي إبراهيم
[٢١٣] ابن ثابت في بني مسعود ، فوجدت تلك الجماعة قاصدة ملاقاتي ، فاجتمع كلنا عند سيدي إبراهيم المذكور ، فبعد زيارتنا له ألحُّوا علي في الذهاب إلى بجاية ، إذ كنت متغيراً عليهم قبل ، غير أنهم لما أكدوا علي ذهبت معهم إلى زيارتها لأني محب فيها غاية وذلك قبل بلوغي ، وكنت كل عام أصوم فيها رمضان ناوياً للرباط مع تعليمي الطلبة راجياً أن يكون لي حظ وافر منهم ، ونصيب كامل من عندهم حقق الله رجائي بمنه وكرمه اهـ. ورتيلاني .

أحمدُ الغزال الجزائري

من « رحلة المشرفي »

ومن علماء الجزائر النخبة العليا في آداب الدين والدنيا سيدي أحمد الغزال ، وله يمدح شيخه سيدي أحمد بن عمار هذه القصيدة :

رَوينا أحاديثَ الأُلى ورِثوا العُـــلا * قديماً ففازوا بالثناءِ المؤيَّـــدِ
فقيلَ : أناسٌ قد تقضَّى زمانُهـــم * فَهلْ مثلُهم يوماً شهدتَ بمشهـــدِ
فقلتُ لهم والقولُ منيَ صـــادقٌ * ولم أكُ فيما قُلتُه بمفنَّـــدِ
إذا شئتُمُ أنْ تنظُروا شِبْهَ مَـنْ مضـى * ومَنْ فازَ بالذِّكرِ الجميلِ المخلَّـدِ
هلمُّوا إلى بحرِ العلوم ومَنْ غـــدا * بأنـوارِه أهلُ المعـارفِ تَهتـدي
هلمُّوا إلى طَودِ المكـــارمِ والنَّـــدا * هلمُّوا إلى سبطِ الرسولِ محمَّـــدِ
هلمُّوا إلى مأوى المفـاخرِ والعُـــلا * هلمُّوا إلى الأسمى ابنِ عمارِ أحمدِ
إمامٌ جليلٌ فاضلٌ أيّ فـاضـــلٍ * همـامٌ جميلٌ منجدٌ أيّ منجـــدِ
بوالدِهِ ديناً وعِلماً قـد اقتـــدى * لقد جلَّ نجلٌ كانَ بالأب يقتـدي
فأكرِمْ به مِن ماجدٍ وابنِ ماجـدٍ * وأنعِمْ بهِ مِن سيدٍ وابـنِ سيـــدِ
لهُ خَضَعَتْ أربابُ علـــمٍ لعـــزِّهِ * وكيفَ وفيهم قامَ أعظمُ مُرشـدِ
مُشاهدُه في مجلسِ الدَّرسِ لم يـزلْ * مُقرَّاً لهُ بالرق في اليومِ والغـــدِ
عبارتُه في العلمِ مـا بينَ أهلِـــهِ * تدلُّ على الفتحِ المبينِ المؤيَّـــدِ
فقد شُنِّفتْ أسماعُنا عند شرحـــهِ * لأسمى حديثٍ عَنْ رسولٍ مُمَجَّدِ
فما سمِعَتْ أذني ولا العينُ أبصـــرَتْ * شبيهاً لهُ غرباً وشرقاً بمعهـــدِ

وما هوَ إلا البحرُ بحرُ فضائـــــلٍ * لقَد فازَ مَـنْ أمسى لـهُ خيرَ مَوْرِدِ
وردتُ معيناً مِن بحـــــار وِدادِهِ * فحُقَّ لنا البُشرى بنيلِ التَّـــودُّدِ
وما زلتُ أرجو اللّهَ قُربَ جِـــوارِهِ * بجنَّةِ فردوسٍ بأرفعِ مقعَـــــدِ
هناكَ يطيبُ الأنسُ حيثُ نعيمُـــــهُ * بغيرِ انقضاءٍ زهرُهُ في تجـــدُّدِ
وظني جميلٌ في الكريـــمِ تفضُّـلاً * يبلِّغُني المأمولَ مِن كلِّ مقصـــدِ

فأجابه تلميذه ابن الشاهد رحمه الله بمثلها وفي رويها بما نصه :

عسى أنْ يُلَمَّ الشَّملُ بعـدَ تبـــدُّدٍ * عشيَّةَ هذا اليومِ أو ضحوةَ الغَـدِ
[٢١٤] ويُطوى بساطُ الهجرِ مِن بعدِ نشـرِهِ * ويُلبس مَطْويُّ الوصولِ المُجَـــدَّدِ
وتأتي مِن الأحبابِ صولـةُ مُنصـفٍ * فتخمدُ للواشينَ فتنة مُعتـــــدِ
وتُقرأُ آياتٌ من العَتْبِ بيننـــــا * فينسَخُ منها الوُدُّ كلَّ تـوعُّـــدِ
سقى عهدَهم صوبُ الحيـا وسقاهُمُ * وإنْ هُم سَقوني كاسَ هجرٍ مُزرَّدِ
ليالي نُسقى بالمَسَرَّةِ أكؤُســـــاً * دِهاقاً ولا نخشى الرقيبَ بمرصـدِ
ونخلو وما غيرُ العفافِ نديمُنـــا * حليفي وما مِنْ نائمٍ ومسهَّـــدِ
أنزِّهُ في خدِّ الحبيبِ نواظـــري * وأكحلها مِن عارضيـــهِ بإثمِـدِ
ليالي لا تغضي العيونُ على القَـــذَى * وليسَتْ تَرى فيما تَرى غير مسعـدِ
فللّه ذاكَ العهدُ حُسناً كأنَّمـــــا * أُعيـدَ لهُ طبعُ المهذَّبِ أحمـــدِ
فتىً قد تناهى في محاسنه غَـــدا * رسولَ أميرِ المؤمنينَ المؤيَّـــدِ
فغربٌ وشرقٌ لستَ تبصرُ مثلَـــهُ * وأتهِمْ إذا ما شئتَ ذاكَ وأنجِـدِ
رقاقُ المعاني واليراعُ لطيفـــــه * فهل ملكَت للفكرِ منهُ ولِيـــدِ
يُفتِّحُ مِن آرائـهِ كُلَّ مُغلَـــــقٍ * يَضيقُ بهِ ربُ الحسامِ المهنَّـــدِ
يجودُ لرقياهُ البخيلُ بمـالـــــهِ * فقد مَدَّ مِن فصلِ الخطابِ بمنجدِ
فكَمْ مِشْعَرٍ قد غيَّرَ الظُّلمُ رسمَـــهُ * وعادَ لهُ حسنُ البناء المشيَّـــدِ

وأنجدَ أسرى المسلمينَ وكُتْبَهُـــــم * وأيَّدَ دينَ اللهِ كُلَّ مؤيَّـــــدِ
وشيَّدَ للإسلامِ عِزّاً ممنَّعـــــاً * وكُلٌّ بتوفيقِ الإمامِ مُحمَّـــــدِ
وما أنا إلاَّ من غزيَّةَ إنْ غـــــوَتْ * غويتُ وإن تَرشُدْ غزيَّةُ أَرشُـــدِ
وهل تصلحُ الأعضاءُ والقلبُ فاسدٌ * وأنَّى ترى عقداً بدون مقلَّـــــدِ
أغزالَ هذا العصرِ مَنْ رَقَّ غزلُـــــهُ * لهُ العُذرُ إنْ لم يكْفِهِ غيرُ عسجَـــدِ
كمدحكَ مولانا وقطبِ بلادِنـــــا * وبدرِ علاها بينَ نسرٍ وفرقـــــدِ
فلستَ وقد أبصرتَهُ وسمعتَـــــهُ * وخاطَبتَهُ في مدحهِ بمقلِّـــــدِ
تناسبتُما اسماً وارتقـــاءً وســـؤدُداً * وفضلاً وفي خلقٍ كريمٍ ومَحْتِـــدِ
فيا فخرَ آفاقِ الكمالِ وأنتُمـــــا * معاً قمراها لائحين لمُهْتَـــــدِ
فللمَجْدِ دوماً يا رضيعي لِبانَـــــةٍ * عزيزينِ محفوظينِ من كيدِ حُسَّـــدِ
أجاريكَ في مدحٍ وإنْ كنتَ سابقـــاً * ومَنْ ذا الذي جارى الرياحَ بأجْرَدِ
فأنتَ إذا جلَّيتَ غير منـــــازَعٍ * وإني إذا صلَّيتُ غير مفنَّـــــدِ
فَصِلْ في الأعادي صارماً ابن صارمٍ * ودُمْ للمعالي مفرداً ابنَ مُفـــرَدِ
ولا زالَ ذاكَ المجدُ واللهُ حـــافـــظٌ * لهُ مورداً يحلو على كُلِّ مَـــوردِ

[٢١٥] ولابن الشاهد المذكور المدعو بأديب العصر وريحانة المصر ، مادحاً الإمام الهمام خاتمة المحققين سيدي محمد البناني الفاسي لما وصلته حاشيته على الزرقاني وانتفع بها الخلق ، وتلقتها أكابر المشايخ بالقبول ، بقصيدة بديعة ، وضمن أبواب « المختصر » فيها ، فقال متغزلاً وللَّهِ درُّه :

رفعتُ بدمعِ العينِ حُكمَ عـواذلـي * ومُطلقُه في الخدِّ غيَّـرهُ الـــدَّمُ
دمٌ طاهرٌ سودُ العيونِ سفكنَـــــهُ * إزالتهُ عَن ميِّتِ الحُبِّ تحـــرمُ
نقضتُ عهودَ الصبرِ عَنْكُم وهـا أنـا * غسلتُ سوادَ العينِ نَوحاً عليكـــمُ
بأعتابِكُم مسحُ الخدودِ يلَذُّ لـــي * ومَنْ لم يجِدْ ماءَ اللِّقـا يتيمَّـــمُ
وإنْ خيفَ من ذاكَ الجمالِ فإنـــهُ * تَحيضُ العذارى إنْ رأتهُ وتَسْقَـــمُ

لو اخترتُ أوقاتاً تليقُ بوصلِكُـــم * لأذَّنَ فيها ألفُ واشٍ وأعلمـــوا
وأغربُ ما في الأرضِ يُلفى طهـارةً * مِن الرقبا ما أصعبَ السَّترَ منهـمُ
أحِنُّ إذا استغنيتُ مغناكُمُ ومِـــنْ * فرائضِ شوقي مِن قيامٍ أسلِّـــمُ
وأقضي مراماً لم أكُنْ عنهُ ساهيـــاً * وأسجُدُ في تلكَ البقاعِ وألثُـــمُ
خذوا مُهجتي والأخذ نَفْلٌ وأشهِدُوا * جماعةَ قومي أنَّكُم فيـهِ أكـرَمُ
لو استخلفتُ روحي بكـم بدلاً فمـا * أقَصِّرُ في إقضائها وهـي أظلَـمُ
جمعتُ إلى حِمْلِ الهوى خوفَ هجرِكُم * أعيدوا رضاكُم فهو عيدٌ وموسِـمُ
فلا كسفَتْ منكُم شموسٌ منيـــرةٌ * وسقاكُمُ دمعٌ مِن العينِ مُسجِـــمُ
فكم ماتَ مِن شوقٍ لكُم إذ منعتُـــمُ * زكاةَ نصابِ الحُسنِ صَبٌّ متيَّـــمُ
وليسَ لكُم في الحُبِّ مثلي مصـــرفٌ * وفطري مِن صومِ المحبَّةِ يَحْـرُمُ
عكفتُ على مغناكُـمُ وحججتُهـــا * فما بالُ جمعِ الشَّملِ فيها محـرَّمُ
ولو منعَ الأعداءُ منها قطعتُهـــــا * ..... (1)
تُباحُ دماءٌ منهمُ لو تعرَّضُـــوا * لصاروا ضحايا للوحوشِ تُقسَّـمُ
يميناً على ما قلتُه بالذي حـــوى * كتابٌ ببناني فاس مترجَـــم
ونذراً بمشيٍ نحو أرضٍ تضمُّـــهُ * إذا لم أجاهِدْ فيه عقلي فيفهَـــمُ
وأضرِبُ مِن جدي على العجزِ جزيـةً * فأسبقُ قوماً بالتعصب قُدِّمُـــوا
لقد خصَّ مَنْ أنشاه بالعلمِ فابتنـــى * على الغيـــدِ مـــن أبكارِهِ (1)
به رضيَتْ بعدَ الخيارِ فكَمَّلَـــتْ * به عتقَها مِن رقِّ مَن يتعلّـــمُ
وأصدقُها ما حاز دونَ منـــازعٍ * مِن الفهمِ والحدِّ الذي ليسَ يسـأمُ
وأولم بالتحقيقِ في الدرسِ قاسمـــاً * مكارِمُهُ إذ غيرُه ليسَ يقسِـــمُ

(1) بياض بالأصل .

ولو سألتْهُ النفسُ خَلْعاً أجابَهـــا * فطلَّقَها في نيلِ ما هو أكـــرَمُ
ووالي التقى مأوى وفـوّض أمـــرَهُ * إلى اللهِ في الدنيا وذلكَ أسلَـــمُ
ولمَّا يراجعها وآلى مِـــن الهـــوى * وظاهَرَ مِنْ كيدِ اللَّعينِ المذمَّـــمُ
بمثلكَ تعتدُّ الرئاسةُ واحـــــداً * ومثلُكَ مفقودٌ ومالك تـــوأمُ
ليستبرَئِ الدَّهرُ الليالي فإنَّهـــا * حبالى وإتياناً بمثلِكَ تزعُـــمُ
[٢١٦] فلا موجَبٌ والجهلُ عـــمَّ انتشـــارُهُ * تراضَعهُ قومٌ عَنِ الرُّشدِ قد عَمُـــوا
وقد أنفقوا الأعمارَ فيـــه فأصبحـــوا * رقيقاً عليهم للجهالةِ ميسَـــمُ
وباعوا الحيا واستبدلوهُ بضِـــدِّهِ * فأربوا على فرعونَ ثمَّ هُمُ هُـــمُ
ومـا منعوا عَلماً مِن العُلَماء بَـــلْ * إذا عظُم المطلوبُ قلَّ المســاوِمُ
ولو أنَّ للعلمِ الخيارَ بأهلِـــــهِ * زوى ربحُه عمنْ بـــه يتلعثـــمُ
وكلُّ بناء ما تناولَ شكلُـــــــه * أساساً مكيناً عن قريبٍ سيُهدَمُ
وما لاختلافِ المسلمينَ سوى فتـــى * بفاس مقيمٌ نِعْمَ ذاكَ المخيَّـــمُ
لقد أقرضَ الأيامَ حاشيةً غـــدتْ * فريدةَ هذا العصر تعلو وتكـــرُمُ
وليسَ لها يومَ القصاصِ مثوبـــةٌ * سوى جنةِ الفردوسِ واللهُ أكـــرَمُ
غداةَ توفَّى كلُّ نفسٍ رهينـــةً * بما كسبَتْ والدَّين يُقضى ويغـــرَمُ
أزلتَ بها حجراً على كلِّ عـــالـــمٍ * تصدَّرَ للإفتاءِ والشرحُ مبهَـــمُ
وأصلحتَ سهواً فيه دونَ إحالـــةٍ * وضامنُكَ النقلُ الصحيحُ المسلَّـــمُ
وقلتَ ولم تترُكْ مقالاً لقائـــلٍ * بغيرِ شريكٍ فَسْخُه لـــكَ تلـــزَمُ
وإذ صرتَ بالتحقيقِ فيها موكَّـــلاً * أقرَّ لكَ الأعلامُ أنَّكَ أعلـــمُ
وكُلُّ دَعيٍّ فقهُهُ بكَ مُلحَـــــقٌ * وإنْ قلَّ ما أودعتَهُ سيعظـــمُ
أعرتَ شيوخَ العصرِ منكَ محاسِنـــاً * وبعضٌ على غصبِ المحاسنِ صُوَّمُ

متى يستحقُّونَ المعالي ولم يَكُنْ * شفيعٌ لهم في نيلِها حينَ تُقسَمُ
وما ضربوا في الأرضِ كي يدركُونها * وبالكبرِ عن سقي المحابرِ أحجموا
ولكنَّهُم ظنُّوا المواهبَ أجرَةً * على قدرِ تكبيرِ العمائمِ تقسم
بهائمُ للأسفارِ تكرى لحملها * وحمامُهم يومَ الجزاءِ جهنَّمُ
جعلت على القلبِ المواتِ تميمةً * حواشيكَ لما أنْ وقفتَ عليهمُ
جواهرُ منها يا حكيمُ وهبتَها * لملتقطٍ والشرحُ كنزٌ مطلسَمُ
على مشرقٍ فيها قضيتَ لمغربٍ * ومنكَ ومنها شاهدٌ ومحكَّمُ
سفكتَ دماءِ الحاسدينَ بحُسنِها * كذاكَ الذي يبغي على الناس يُقصَمُ
إذا ارتدتِ الأفهامُ عند اختلافِها * إليها ففيها مُرشدٌ ومعلِّمُ
فما وطىء الغَبرا ولا قذفَ الحصى * بخَيْفِ مِنى في فنها منكَ أعلمُ
ولو أن يُمنى سارقٍ أو محاربٍ * تلي كَتْبَها كانَتْ على القطعِ تُكرَمُ
[٢١٧] ومنها تعرَّفْنَا الحدودَ كأنَّها * إلى منتهى ما لابنِ عرفة سُلَّمُ
محررةً لو كانَ تدبيرُ ما بِهِ * كتابتُها لي قلتُ بالتِّبرِ تُرسَمُ
هي الأمُّ في تدوينِ مذهبِ مالكٍ * مدوِّنُها المولى الأجلُّ المعظَّمُ
ألا إنَّ مَنْ أوصى بنيهِ بحفظِها * وورَّثَهُم تحقيقها فهو أحزَمُ
وكانَتْ فهومُ الشرحِ مشكلةً ومُذْ * أتتنا فلا إشكالَ واللهُ أعلمُ

الشيخ العالِمُ فتحُ الله

ولد بالشام ثم انتقل لقسنطينة ، وتولى خطابة مسجد سيدي الكتاني والتدريس بمدرسة جامع سوق الغزل ، ثم الإفتاء على المذهب العثماني ، ثم القضاء على المذهب المذكور وقتل في حدود سنة ١١٨٥ .

قاسمُ بنُ محمدٍ القسنطيني

قاسم بن محمد بن محمد بن أحمد القسنطيني الوشتاني أبو الفضل وأبو القاسم الإمام العالم العلامة مفتي الأنام ، ورئيس الفقهاء الأعلام ، وفريد دهره وحجة عصره ، شيخنا قاضي الجماعة بتونس ، شيخ الشيوخ الحجة الرسوخ ، جامع أشتات العلوم ومعقولها ومنقولها .

قال السخاوي : أخذ عن أبي مهدي الغبريني وغيره ، ولي قضاء الجماعة وإمامة جامع الزيتونة ، كان لا يخاف في الله لومة لائم ، وقام في أيام قضائه على الإمام أحمد بن عمر القلشاني شارح « الرسالة » ورام قتله ، فلم يمكن منه لكنه عُزِّر بالحبس وغيره ، واتفق أن أبا القاسم المذكور مات مقتولاً ، يقال : ناله ذلك من جهة حكمه ، وهو بمحراب جامع الزيتونة من صلاة الصبح يوم الخميس تاسع صفر سنة اربع وسبعين وثمان مئة (٨٤٧) .

ومن شيوخه أبو يوسف يعقوب الزغبي ، وأخذ عنه هو أبو القاسم بن ناجي ، ونقل عنه في « شرح المدونة » ووقع في زمن القاضي يعقوب الزغبي مسألة في رجل أوصى لأول ولد يتزايد عند ابنته ، فولدت ولداً ميتاً ، فاختلفت فتواهم حينئذ ، وبقيت المسألة حتى تولي صاحب الترجمة القضاء ، فحكم فيها بأن المراد أول ولد يولد حياً ، لأن القصد بها النفع ولا ينتفع بها إلا من كان حياً ، وقد ذكر الشيخ حلولو هذه المسألة في شرح خليل فانظره .

الشيخُ قدور بنُ مُحمدِ بنِ سُليمانَ المستغانمي

إمام أهل العرفان ، حائز قصب السبق في ميدان الشهود والعيان ، الدال على الله بالله على منوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله في السر والإعلان ، العارف الأكبر والغوث الأشهر أستاذنا سيدنا ومولانا قدور بن محمد بن

سليمان كان رحمه الله ورضي عنه من أشرقت بدايته ، وركب مطية العزم والصدق في توجهه إلى الله ، فأثمر له ذلك بفضل لله شروق النهاية ، وبلوغ
[٢١٨] المقام الأسنى الذي لا غاية لمرامه ، وطريقته التي سار الله على منوالها وبلغ مبلغ الرجال فيها ، هي الطريقة الشاذلية ، ثم أضيف إليها الطريقة التجانية ، لقنها له أولاً شيخه وعُمدته العارف بالله سيدنا ومولانا محمد الموسوم قُدِّس سره ونُوِّر ضريحه لما حصل له الإذن فيها ، ثم لقنها له سيدي أحمد التجاني طيب الله ثراه ، وأنالنا رضاه في حضرة روحانية ، ثم لقنها له رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شفاهاً ، وأذن له في تلقينها لمستحقها .

وله رضي الله عنه تآليف مفيدة رائقة ، محتوية على أفانين من علوم القوم رضي الله عنهم فائقة ، فمنها شرحه على صلاته المسماة « بياقوتة الصفا في حقائق المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم » ومنها كتاب « جلاء الران وتنوير الجنان فيما أشكل من طرق الميراث على الإخوان » ومنها « لوامع أنوار اليقين بل السيف المنير في قطع ألسِنَة من نقص الأئمة المجتهدين » ومنها « درر الفيض اللدنّي فيما يتعلق بالكسب العياني والسني » ومنها ومنها إلى ما يزيد على العشرين تأليفاً .

وأما بيان حاله في سلوكه وتدريجه في أطوار منازلاته ، ومشايخه الذين أخذ عنهم واجتمع بهم بشبحه أو روحه ، وما يتلو ذلك من مناقبه وكراماته ، وما وقع من البشائر النبوية لأحبابه ، كقوله « أحبابك كقميصي هذا على لحمي » وقوله عليه السلام : أحبابُكَ مقربونَ عارفونَ آمنون مطمئنون ، وقوله عليه السلام : أصحابُكَ أصحابي ، وتلامذُكَ تلامذي ، وحضرتُكَ حضرتي الخ فقد ذكر مبسوطاً في المرائي وغيرها من كتبه ، ولا تسعه النبذة من ترجمته .

توفي رحمه الله ورضي عنه ، وطيب ثراه ، وأنالنا والأحبة بركته ورضاه ،

يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر الله المحرم من سنة ١٣٢٢ ، ودفن في زاويته وسِنُّه إذ ذاك نيف وستون . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً اهـ.

وهذه الترجمة منقولة من خط كاتب الرسالة الآتي نصها وهي : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، الفاضل الأديب ولدنا السيد ابن قطاط الحبيب . أخذ الله بيدك أخذه بيد الأحباب ، وفتح لك من الخير كل باب ، وسلام عليك يشمل الأهل والأصحاب ، ورحمة الله وبركاته تصحبانكم في جميع الآراب خصوصاً من هو لكل فضيلة حاوي ، العلامة الأوحد سيدي محمد الحفناوي ، وقُلْ له فدونكم ما يسَّره الله تعالى من تراجم أولائك السادات
[٢١٩] الأعيان مسطراً حسبما اقتضاه الحال ، وسمح به الزمان ، وتصرفوا فيه بما يقتضيه وضع كتابكم ، وما جريتم عليه فيه من اصطلاحكم ، فإن الناس في التراجم على أساليب كثيرة ، كما يعلم بالوقوف على ما سطر فيها من الكتب الشهيرة ، وكل يوفي بما قدر ، ومن الله يستنجد العون ويستمطر ، ولو كان لنا في هذا الأمر سعة من الزمان لحصلنا منه بفضل الله ما تقر به الأعيان ، فإن هذا الأمر قد صار في حينا نسياً منسياً ، وكأنه لم يكن شيئاً ، فلا جرم يحتاج لبحث ومعاناة حتى يستهل حياً ، ويتمثل بشراً سوياً ، فإلى الآن بعضُ الأحباب الذين كاتبناهم في القضية بعد البحث والإمعان واعدين لنا بالجواب على ما تحصل لهم من ذلك الشان ، لكن لما حددتم لنا الوقت وكان ما في الغيب محتمل الإدراك والفوت ، بادرنا لكم بهذا القدر [1] ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والمطلوب منكم الجواب على الوصول ليطمئن القلب بحصول ذلك المأمول عن إذنِ محبِّكم وحليفِ ودِّكم سيدي الحاج محمد بن عيسى كان

---

(١) ما أفادني به الكاتب هو ترجمة الشيخ قدور بن سليمان رحمه الله ، وهي المسطورة قبله بالحرف ، وطرف من ترجمة الشيخ محمد بن حواء ، ومن ترجمة الشيخ أبي راس ، ومن ترجمة الشيخ مصطفى الرماصي .

الله له وللجميع معيناً وأنيساً ، تاريخ أوائل رجب عام ١٣٢٤ وموافقاً ٣٠ أو ط سنة ١٩٠٦ اهـ .

أقول : وكاتبها العلامة الشيخ عبد القادر بن قارا مصطفى مفتي مستغانم وعالمها ، وكلامه فيها يدل على كماله ، والمكتوب له من أعيان التجار المحبين لحضرة المفتي ، كالمكتوب إليه السيد الحبيب المذكور .

صالحُ بنُ مُحمَّدٍ الزواوي

صالح بن محمد بن موسى أبو محمد الشيخ مجد الدين الحسني الزواوي . ولد ليلة الأربعاء ثامن عشر رجب سنة ستين ، وتوفي سادس عشر رجب سنة تسع وثلاثين وثمان مئة .

سيِّدي الصَّادق

سيدي الصادق الولي الصالح والقمر الواضح ، له بركات ظاهرة وأحواله باهرة ، وأسراره مشتهرة ، ضريحه في الوادي معلوم يزار ، وهو من القرن العاشر ، أعني أواخره ، ولا أدري هل بلغ الحادي عشر أم لا .

وأولاده رضي الله عنهم بدور وأهِلَّة أعلام أجِلَّة كالفاضل الولي والصالح العلي والفقيه السني سيدي يحيى بن الموهوب ، ومثله في الفضل سيدي محمد الموهوب ، وسيدي التواتي ، والفقيه سيدي يحيى بن الواثق ، وهو في غاية
[٢٢٠] الفقه ، تلميذ جدنا ، وقد سمعت منه أنه رأى الشيخ خليل في النوم ، وأخذ بيده إلى أن وصل إلى الصندوق المملوء بالكتب ، فأخذ منه كتاباً فأعطاه لي ، فوجدته الشيخ بهرام ، فعلمت أنه أذِنَ لي في « مختصر الشيخ خليل » ففتح الله

علي بما لم يفتح على غيري ، وقد أخبرني عمي سيدي محمد الصغير إذ هو علامة زماننا أنه كان يتعلم عليه المختصر ، وكان يقرىء من الأجهوري وأنا وبعض الطلبة ، أعني سيدي محمد امزيان في أيدينا الشيخ عبد الباقي والشيخ إبراهيم ، فكان قدس الله ضريحه يحصّل الشيخ المذكور ويهذبه ، ويحرره بأن يترك المكرر منه كالشيخين بعده سواء بسواء إلا في عين اللفظ ، ومآثر سيدي الصادق وأولاده كثيرة نفعنا الله بهم آمين اه ورتيلاني .

الطَّاهِرُ بنُ حسنٍ المختاري

الفقيه النجيب الماشي في روض العلم الخصيب ، الحائز من زهره الزهي أوفر نصيب ، الذي جفاه الكسل والوسن ، واكتحل بإثمد المطالعة مما يجب ويستحسن ، من فرع الذي يليه وفي النجابة والمجادة نبيه ، منور الباطن والظاهر الفقيه السيد الطاهر حسن بن العلامة المختاري السيد السند . قرأ صاحب هذه الترجمة على والده النحو ، وانفرد في قراءة الفقه على الشيخ الحلوي اه مشرفي .

مُحسنُ بنُ أبي بكرٍ البجائي

أبو المعالي محسن بن أبي بكر بن شعبان الشيخ الفقيه النبيه التالي المحصل المدرس المجيد شهير الذكر نبيل القدر ، من أصحاب الفقيه أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم الأصولي ، وعنه أخذ أكثر ما أخذ ، ومنه تلقى ، وبه في معالم العلم والرئاسة ترقى ، وكان أبو عبدالله الأصولي يعتمد عليه ويُشير في مجالسه اليه .

وكان له حظ بارع ، ورأيت كثيراً من كتب الحكمة بخطه في نهاية الإتقان وجودة الخط ، عليها تنبيهات وتطريزات تدل على نبل مُستنبِطها ،

وكان مشاركاً في العلوم ، وهو أحد العدول المعول عليهم ببجاية ، والفضلاء المشهود لهم بالمعرفة والدراية .

مُحمَّدُ بنُ إبراهيمَ البجائي

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الوغليسي الشيخ الفقيه الخطيب العارف المحصل المحكم الضابط كانت له نباهة ووجاهة ونزاهة ورفعة وهمة ، وهو أحد المقتدى بهم والمعول عليهم .

[٢٢١] وكان عالماً بالكتابتين الأدبية والشعرية متقدماً فيهما ، وعليه كان المعتمد في وقته في المخاطبات السلطانية إنشاء وجواباً ، وعليه كان اعتماد القضاة في التسجيلات ، وإليه كان يهرَع أهل البلد فيما يحتاجون إليه من الوثائق المحكمات والأُمور المستعوضات ، وولي الخطابة بجامع القصبة المحروسة من بجاية ، وكان فصيح القلم واللسان بارع الخط ، ولقي أبا محمد عبد الحق الإشبيلي ، والقاضي أبا علي المسيلي ، والأستاذ أبا زيد عبد الرحمن بن الحجر ، وكان شيخنا أبو محمد عبد الحق كثير الإجلال له والتعظيم لقدره ، وكان يعده من أشياخه .

مُحمَّدُ بنُ إبراهيمَ المشتهِر بالأصولي

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المهدي المشتهِر بالأصولي الشيخ الفقيه الأصولي المتكلم العالم المجتهد النبيل الفاضل الجليل ، من أهل بجاية ، رحل إلى المشرق ، ولقي العلماء الجلة من أهل العلم ، وولي قضاء المدن بجزيرة الأندلس واستخلف بمراكش ، وولي قضاء بجاية ثلاث مرات ، وصُرف عن آخرها

سنة ثمان وست مئة وتوفي ببجاية[1] بين عيد الأضحى والفطر سنة ثنتي عشرة وست مئة .

له فضل وجلال وتقدم علم رَقِيَ فيه إلى غاية الكمال ، وكان جلداً صلباً قوي الجأش ، وكان إذا حضر مجلس أمير المؤمنين ابن عبد المؤمن وتقع المذاكرة بين يديه ، ويسامحه الحاضرون من الطلبة في المذاكرة ، كان هو لا يسامحه في شيء ، وكان بينه وبين القاضي أبي الوليد بن رشد إخاء وصفاء ، ولما وقعت الواقعة التي تكلم عليها أبو الوليد في كتاب « الحيوان » له حيث قال : رأيت الزرافة عند ملك البربر ، وهمّ أمير المؤمنين بالفتك به ، لم يكن سببَ نجاته غيرُه مع موافقة القدر ، وتسبب في ذلك بوجهين : أحدهما : أنه كان جرى في مجلس أمير المؤمنين أن لا عمل بالشهادة على الخط ، ولما وجد صك القضية هم بالعمل بها ، فحاجَّ أمير المؤمنين ، وقال له : منعتم الشهادة على الخط في الدرهم والدينار ، وتجوزونها في قتل المسلم ، والوجه الثاني : أنه قال : إنما الكتاب : ورأيت الزرافة عند مالك البربر ، وإنما جاء فيه زيادة ونقص ، وهذا أحسن ، وكل ذلك من قوة الجأش .

ومن طرفه رحمه الله أنه لما وقع الحضور بمجلس أمير المؤمنين ، وأُحضرت فيه لآلي نفيسة في طبق ، وعُرضت على الحاضرين في المجلس واستحسنوها ، فعُدت وفُقدت منها واحدة ، فهمَّ أمير المؤمنين بتفتيش الحاضرين ، فأشار عليه بسوق قلة ماء مملوءة ، ويدخل كل إنسان يده ستراً على الفاعل ، فسيقت القلة وابتدأ بمن عن يمين الفقيه أبي عبد الله ، أو من عن يمين أمير المؤمنين ، وكان هو على يساره ، فلما انتهت القلة إليه ليدخل يده فيها امتنع . وقال : صبوها فإن وجدتم حاجتكم وإلا فهي عندي ، فصبوها فوجدوها فخَلُص من الشك [٢٢٢]

---

(١) هذه الترجمة مختصرة في « نيل الابتهاج » جيداً وفيها « وتوفي ببجاية ذبيحاً » .

فيه . وهذا من عقله وسياسته رحمه الله .

وكان له علم بالفقه والأصلين والخلافيات والجدل ، وله في المعقول الحكمي نظر ، وسئل في التصنيف فامتنع ، وقال : قد سبق الناس بذلك ، وحسبي أن آتي به . فعد هذا من عقله ، وسمعت بعض الطلبة يقول : إن له تقييداً على « المستصفى » لأبي حامد ، وأظنه صحيحاً ، ولعله إنما علق عنه ، ورأيت بخطه رحمه الله تأليفاً في الموسيقا ، وقال لي بعض الطلبة : إنه من تصنيفه ، وما وثقت بذلك ، ويظهر لي أنه كلام أبي علي بن سينا .

وكانت فيه دعابة وفكاهة لا تخلُّ برتبته ولا تحط عن منصبه ، ولقد سمعت أنه وقعت بينه وبين أصحابه من الطلبة مشاحنة ، فقال له صاحبه : تعايبني بهذا وأنا أسن منك وأسنى وأجل ، فقال له : نعم أسن بموسى وأسنى بسانية وأجل في مربطك ، فتضاحكا واصطلحا .

وكان مؤثراً لأهل الطلب ، مقبلاً على أهل الأدب ، أخبرني الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع رحمه الله قال لي : كان القاضي أبو عبد الله بن إبراهيم الأصولي ينتابه من يكرمُ عليه ممن له رتبة عند خلو مجلسه من الطلبة ، فيجلس بإزائه فإذا جاء طالب أفسح له بينه وبينه ، ثم كلما أتى طالب فعل ذلك حتى يعود ذلك الأحظى عنده القريبُ المجلسِ عندَه أبعدَ الناس مجلساً عنه ، فكان لا يرى الحظوة إلا للعلم ، وكان شديداً على ولاة الأمر الذين يكونون معه ببلد قضائه ، لا يسامحهم في شيء من أمورهم ، ويجاهدهم بما يكرهونه في حق الله وفي حق المسلمين ، وقد جرى يوماً بينه وبين والي بجاية كلام كانت فيه غلظة ، فقال له الوالي : والله لقد أصاب سيدنا أمير المؤمنين المنصور فيكم فقال له : إن أصاب أمير المؤمنين المنصور ، فقد أخطأ فينا أمير المؤمنين الناصر ، فأفحمه ورجع فاسترضاه ، وكان أمير المؤمنين المنصور كتب في

شأنه وشأن أبي الوليد ، وكان من أمرهم ما رأيت الإمساك عنه ، ثم جاء أمير المؤمنين الناصر بعده ، وأحسن إليهم وعطف عليهم ، ولولا صورة استطراد الكلام ما ذكرت هذه لأنني ما زلت أنقد على من يذكر فضل أهل العلم ، ثم يغمز في شأنهم ويشير إلى القادح فيهم ، فلا أريد أن أذكر إلَّا خيراً ﴿ إنْ أُريدُ إلَّا الإصلاحَ ما استَطَعْتُ وما تَوْفيقي إلا باللهِ﴾[1] .

[٢٢٣] مُحمَّدُ بنُ إبراهيمَ التلمساني

محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الخرجي التلمساني المالكي نزيل ثغر الاسكندرية .

كان من صلحاء العلماء ، سمع بسبتة « الموطأ » على أبي محمد بن عبد الله الحجري .

مات في ذي القعدة سنه ست وخمسين وست مئة (٦٥٦) عن اثنين وسبعين ، صح من تاريخ السيوطي ، قلت : وهو شارح « الجلاب » المشهور ، والله أعلم اهـ .

مُحمّدُ بنُ إبراهيمَ التلمساني

محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الإمام أبي الفضل التلمساني الإمام العالم العلامة الحجة النظار المحقق العارف الادري الرحلة ، أحد أقران الإمام ابن مرزوق الحفيد ، شهر بابن الإمام ، من بيت علم وشهرة وجلالة .

---

(١) سورة هود : الآية ٨٨ .

قال الحافظ التنسي : شيخنا صدر البلغاء وتاج العارفين ، وأظروفة الزمان أبو الفضل اهـ .

قال السخاوي : ارتحل في سنة عشر وثمان مئة ، فأقام بتونس شهراً ، ثم قدم القاهرة فحج منها وعاد إليها ، ثم سافر في اثني عشر إلى الشام ، فزار القدس ، وتزاحم عليه الناس بدمشق حين علموا فضله وأجلُّوه .

ذكره المقريزي في « عقوده » وقال : إنه صاحب فنون عقلية ونقلية ، قلَّ عِلمٌ إلا ويشارك فيه مشاركة جيدة اهـ .

وقال أبو العباس الونشريسي : هو شيخ شيوخنا ، له قدم راسخ في البيان والتصوف والأدبيات والشعر والطب ، وهو أول من أدخل المغرب شامل بهرام ، وشرح المختصر له ، وحواشي التفتازاني على العضد ، وابن هلال على ابن الحاجب الفرعي ، وغيرها من الكتب الغريبة ، وتوفي عام خمسة وأربعين وثمان مئة (٨٤٥) اهـ .

وذكره القلصادي في « رحلته » فقال : حضرت مجلسه ، وكان فقيهاً إماماً صدراً عالماً بالمعقول اهـ .

قلت : وله كلام وأبحاث في التفسير تكلم فيها مع الإمام المقَّري في مسائله التفسيرية مفيدة ، كتبتها في غير هذا الموضع مع ما كتبت من فوائده التفسيرية .

[٢٢٤] وأخذ عنه محمد بن مرزوق الكفيف ، ووصفه بشيخنا الإمام العالم النظار الحجة أبو الفضل ابن الإمام ، وممن أخذ عنه بالشرق التقي الشمني شارح المغني ، وذكر ما نصه : حدثنا شيخنا العلامة أبو الفضل ابن الإمام التلمساني إجازة إن لم يكن سماعاً قال : أخبرنا شيخنا القاضي سعيد العقباني قال : اجتمعت بمدينة مراكش بيهودي يشتغل بالعلوم ، فقال : ما دليلكم

على عموم رسالة نبيكم؟ قال : قلت : قوله «بُعِثْتُ للأحمرِ والأسودِ»[1] فقال لي : هذا خبر آحاد لا يفيد إلا الظن ، والمطلوب في المسألة القطع ، فقلت له : قوله تعالى : ﴿ وَمَا أرسَلْنَاكَ إلَّا كَافَّةً للنَّاسِ﴾[2] فقال : هذا لا يكون حجة إلا على من يقول بصحة تقدم الحال على صاحبها المجرور ، وأنا لا أقول بصحته اهـ .

قال الشمني : ويجاب بعد قيام البراهين القاطعة على رسالة نبينا ﷺ ، كما هو مذكور في الكتب بأن هذا الحديث وإن كان آحاداً في نفسه متواتر معنى لأنه نقل عنه ﷺ من الأحاديث الدالة على عموم رسالته ما بلغ القدر المشترك منه التواتر ، وأفاد القطع ، وإن كانت تفاصيله آحاداً ، كجود حاتم وشجاعة علي اهـ . هذا ما قال ، فتأمله .

قلت : والحجة القاطعة في ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها النَّاسُ إنِّي رَسُولُ اللهِ إليكُم جميعاً ﴾ فهو نص قطعي ، ولعلهم لم يستحضروه ، ولله الحمد .

---

(١) جزء من حديث صحيح أخرجه مسلم (٥٢١) في المساجد ومواضع الصلاة من حديث جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : «أعطيت خمساً لم يُعطَهُنَّ أحد قبلي ، كان كل نبيٍّ يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحلَّ لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً ، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة» . وأخرجه أحمد ١٤٥/٥ ، والدارمي ٣٢٤/٢ من حديث أبي ذر ، وأخرجه أحمد ٢٥٠/١ و٣٠١ من حديث ابن عباس ، و٤١٦/٤ من حديث أبي موسى الأشعري . (ش) .

(٢) سورة سبأ : الآية ٢٨ .

مُحمَّدُ بنُ إبراهيمَ الغسَّاني

العالم العلامة محمد بن إبراهيم الغساني .

أخذ ببلده تلمسان عن أبي عبد الله التجيبي ، وابن عبد الحق ، وغيرهما ، وبسبتة عن أبي العباس أحمد العزفي ، وبإشبيلية عن أبي بكر بن طلحة ، وأبي علي الشلوبين ، واستوطن أسفى من بلاد المغرب الأقصى .

كان ذا خط حسن ، عدلاً في رواية الحديث ، ضابطاً للغة ، ذاكراً للأدب والتاريخ ، عالماً بالأنساب ، مشاركاً في الفقه ، ضارباً في قرظ الشعر بحظ وافر ، يحترف بالتجارة في حانوت بقيسارية أسفى ، وكان مع ذلك متين الدين .

توفي يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وست مئة (٦٦٣) فأتبعه الناس ثناء جميلاً . رحمة الله تعالى عليه .

[٢٢٥] مُحمَّد أبو راس

العلامة المحقق الحافظ ، والبحر الجامع المتدفق اللافظ ، من هو ليث الدين ، أوثق أساس وأضوأ نبراس ، الإمام القدوة المتفنن سيدي محمد أبو راس ابن أحمد بن ناصر الراشدي الناصري .

كان رحمه الله ورضي عنه إماماً في المعقول والمنقول ، وإليه يرجع في الفروع والأصول ، ورحل في طلب العلم واكتساب المعارف ، وافى الأفاضل من أهل مصر وتونس وفاس ، وأخذ عنهم التالد والطارف ، ودرس وأفاد ، ورفع منار العلم وأشاد ، وكان يُدعى في زمانه « الحافظ » لقوة حفظه وتمكنه

متى شاء من استحضار مسائله ، حتى كأن العلوم كتبت بين عينيه .

وله تآليف مفيدة بديعة ، سارت بها لعزتها الركبان ، واشتدت إليها لنفاستها رغبة القاصي والدان ، فمنها « رحلته » التي ذكر فيها سياحته للمشرق والمغرب ، وذكر من لقي فيها من الأعيان ، وما جرت فيه المذاكرة بينهم ، وما يتنزه الطرف فيه ويتعجب ، ومنها حاشيته على الخرشي مع الزرقاني ، **وحاشيته على السعد ، وحاشيته على المكودي ، و « شرح المقامات الحريرية »** و« شرح العقيقية » و« شرح الشمقمقية » و« شرح حلله السندسية » وكتاب **« التأسيس » وكتاب « درء الشقاوة » وغير ذلك** .

توفي رحمه الله تعالى ، ورضي عنه ونفعنا ببركاته عام ثمان وثلاثين ومئتين **وألف (١٢٣٨) ، وقد جاوز التسعين ، وصلى عليه ألف وخمسمائة نفس بتحرير** من حضر ، جلهُم حملة قرآن وعلماء وأشراف ، وكان إمام الجميع تلميذه العلامة سيدي أحمد الدائح ، رحمه الله ، ودفن بمعسكر على شاطىء النهر **الفاصل بين داخل البلد وقرية بابا علي ، وعليه بناء مشهور اهـ . وصلى الله على** سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

مُحمَّدُ بنُ أبي زيدٍ الخزرجي

الفقيه الأجل محمد بن أبي زيد عبد الرحمن بن أبي العيش الخزرجي الإشبيلي الأصل .

روى ببلده تلمسان عن أبي بكر محمد بن يوسف بن مفرج ، وأبي عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي ، وأبي عبد الله بن عبد الحق ، وأبي محمد ابن حوط الله .

وكان رحمه الله أديباً بارع الكتابة شاعراً مجيداً رائق الخط ، ذا مشاركات
[٢٢٦] في فنون العلم ، مؤلفاً متقناً ، فسر الكتاب العزيز وشرح الأسماء الحسنى ، وصنف عقائد أصولية في الدين ، وكتاباً في أصول الفقه ، وله في التصوف نظم حسن ، وكثير في الزهد وسبل الخير والوعظ ، وتنزيه الباري سبحانه وتعالى ، فمن ذلك قوله رحمه الله :

اللهَ قُلْ ودَعِ الوجودَ وما حوى * إنْ كُنتَ مرتاداً بلوغَ كَمَالِ
فالكُلُّ دونَ اللهِ إن حقَّقتَهُ * عَدَمٌ على التفصيلِ والإجمالِ
فالعارفونَ فَنُوا ولمَّا يَشْهَدوا * شيئاً سوى المتكبِّرِ المُتَعَالِ
ورأَوا سِواهُ على الحقيقةِ هالِكاً * في الحالِ والماضي والاستقبالِ
مَنْ لا وجودَ لذاته مِنْ ذاتِهِ * فوجودُهُ لولاهُ عينُ مُحَالِ
فالمَحْ بطرفِك أو بعقلِكَ هَلْ ترى * شيئاً سوى فِعْلٍ مِنَ الأفعالِ
وانظُرْ إلى أعلى الوجودِ وسُفْلِهِ * نظراً تُؤيِّدُهُ بالاستِدلالِ
تجدِ الجميعَ يُشيرُ نحوَ جلالِهِ * بلسانِ حالٍ أو لسانِ مَقَالِ
هُوَ مُمْسِكُ الأشياءِ مِنْ عُلْوٍ إلى * سُفْلٍ ومبدِعُهَا بغيرِ مِثَالِ
وجَبَ الوجودُ لذاتِهِ وصفاتِهِ * فرداً عَن الأكفاءِ والأَمثالِ
فاسكُنْ إليهِ بهمَّةٍ عُلْويَّةٍ * مُتنزِّهاً عمَّا سِوى الفعَّالِ
يبقى وكلٌّ يضمَحِلُّ وجودُهُ * ما واجِبٌ كمقيَّدٍ بزوالِ
وهُوَ الذي يُرجى ويُخشى لا تَلُذْ * بسواهُ في حالٍ مِنَ الأحوالِ
فالشَّرعُ جاءَ بذا وأنوارُ الهُدى * قد أيَّدتْه فعِشْ رضِيَّ البالِ

وله رضي الله عنه يصف بُعده عن الخلق وانقطاعه إلى الحق :

قنِعتُ بما رُزقتُ فلستُ أسعى * لدارِ أبي فلانٍ أو فُلانِ
وآثرتُ المُقامَ بكِسْرِ بيتي * ولا أحدٌ أراهُ أو يراني

ولا ألقـــى خليلاً غيرَ صبـرٍ * مُعينٍ في المعارفِ أو معـــانِ
وقد أيقنـتُ أنَّ الـرزقَ آتٍ * وإن لـم آتـــهِ سعيـــاً أتاني
وقد حقَّقتُـــه فهمـــاً وعِلمـاً * وقد شاهـــدتُـــهُ رأيَ العَيـــانِ
فـــلازِمْ ذا بإخـــــلاصٍ تُمَكَّنْ * هنا وهناكَ مِن أسنى مَكَـــانِ

وتوفي بتلمسان ودفن خارج باب كشوط .

مُحمَّدُ بنُ أبي سيفٍ البحيري

حاج الحرمين الشريفين وزائر المقامين المنيفين أبو عبد الله السيد محمد بن أبي الحسن علي بن أبي سيف البحيري الصابري أصلاً العبادي داراً في مجاورة الغوث أبي مدين الاشبيلي ، نفعنا الله ببركاته الحائز لمنقبة الفتوى بتلمسان وكان قبلُ مدرساً بمدرستها النظامية .

قرأ على أشياخ عديدين من جملتهم والده أبو الحسن المذكور ، قرأ عليه القرآن وشيئاً من العربية بالثغر الوهراني ، ثم انتقل بعد وفاة والده إلى زاوية
[٢٢٧] عمه القطب الأشهر والكبريت الأحمر المدعو بأبي العباس أحمد بن أبي سيف بالعين الكبيرة من جبل أترار بنو ولهاص ، ثم سافر إلى مازونة وقرأ بها « مختصر خليل » على شيخ الشيوخ الراسخ القدم في علم الفروع غاية الرسوخ أبي العباس السيد أحمد بن هنى ، إذ هو شيخ الجماعة بها ، وأجازه عامة ، وقرأ بعد انتقاله من مازونة إلى مدينة المعسكر أو قبل ذهابه إلى مازونة على بعض المحققين من شرفاء المشارف العلماء الغطارف ، ثم رجع إلى زاوية عمه المذكور فدرَّس فيها ، ثم ارتحل إلى المشرق وحج أربعاً واعتمر وجاور بالمدينة المنورة على ضجيعها ألف صلاة وألف سلام مدة من أربع سنين وقرأ بها على أشياخ عديدة ،

ومنهم سراج الدين المدني الدار قرأ عليه التفسير في مدة إقامته . ولازم مجلس الأدب والتربية للعلامة شيخ الإسلام والصوفية أبي عبد الله سيدي محمد بن السنوسي الجاهدي ، وأخذ عنه وردالأذكار ،وكان من أهل صفة داره آناء الليل وأطراف النهار ، وشافهه بما أجازه . ودعا له بالخير والصلاح . وفاز منه بما حازه ، ومن أشياخه بمصر ابن لقمان الشيخ عليش . وغيره من سقاة الظمآن كالشيخ الباجوري الشافعي خليفة شمس الدين اليافعي . وأجازه صنوه الأرضي المحقق الأحظى ابن عبد الله المدعو بالزقاي ، بما كتبوا له على الثبت للشيخ الأمير المصري ، وكذا الشيخ السَّقا وغيرهم مما يطول بنا ذكرهم ، ويشق بنا تتبعهم ، وممن أخذ عن هذا المجاز العلامة المحقق السيد محمد بن دحمان العبادي مدرساً في العلوم بتلمسان ، والشيخ المحقق السيد محمد بن عبد الله الفحلي ، والفقيه السيد محمد بن حفدة ولي الله سيدي الخوان الفحلي ، نفعنا الله ببركاته مدرساً بالجامع الأعظم مسجد القرويين بفاس لانتقاله إليها اهـ . من « الرحلة المشرفية » وفيها جملة من علماء تلمسان .

شيخُنا
الأستاذ مُحمّد بنُ أبي القاسم الهاملي

سيدنا شيخ الإسلام مقتدى الأولياء العظام ، علم الهدى الذي من انتمى إليه كان من السعدا ، القطب الرباني ، والفرد الجامع الصمداني ، العلامة الإمام ، والقدوة الهمام ، شيخ المالكية شرقاً وغرباً ، قدوة السالكين عجماً وعرباً ، مربي المريدين ، كهف السائلين ، سيدي أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيح بن الولي العارف بالله سيدي محمد بن عبد الرحيم بن سائب بن المنصور الشريف الحسني نسباً ، المالكي مذهباً ، الأشعري

اعتقاداً ، الرحماني طريقة ، الهاملي مسكناً ، الجزائري إقليماً .

[٢٢٨] كان رضي الله عنه وأرضاه وأعاد علينا من بركاته وأسراره آمين من أكابر المشايخ العارفين ، وأعيان المحققين ، وأعلام العلماء الراسخين ، صاحب الكرامات الخارقة ، والأحوال النفسية والأنفاس الصادقة ، والمعارف السنية ، وكان يلقب قدوة الفريقين ، بهي السمت طاهر الوضاءة ، فصيح الكلام فيما يشرحه من أحوال القوم ، وكان يلبس لباس أعيان العلماء ، ويركب الفرس وهو أحد أركان هذا الشأن ، وإمام أئمة ساداته وأجلاء القادة إليه ، ورئيس الدعاة إلى الله ، له القدم الراسخ في التمكين والباع الطويل في أشرف الأخلاق ، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء رضي الله عنهم على اعتقاده بالتعظيم والتبجيل والاحترام ، وأوقع الله تعالى محبته في القلوب ، وتخرج بصحبته غير واحد من أعيان المشايخ في الظاهر ، وانتمى إليه من مشايخ الصوفية جمّ غفير ، واشتهر ذكره في الآفاق ، وقصد بالزيارات من كل مكان ، وله كلام في الحقائق وتسليك المريدين ، وآداب الصادقين كثير مشهور ، رضي الله عنه .

وكان له الكرامات الظاهرة ، والأسرار الباهرة ، والأحوال الخارقة ، والمقامات السنية ، والمكانات العلية ، له الباع الطويل في التصريف النافذ مع اليد المبسوطة في علوم المشاهدات ، والقدم الراسخ في التمكين ، والطور الأرفع في معالم القدس ، وهو أحد من أظهره الله إلى الخلق ، وصرفه في الوجود ، ومكنه من أحوال النهاية في إفاضة أسرار الولاية ، وخرق له العادات ، وأظهر على يديه الأحوال الخارقات ، وأنطقه بالمغيبات ، وأجرى على لسانه الحكمة ، وملأ القلوب بمحبته والصدور بهيبته ، وكان رضي الله عنه ما دعا إلا أجيب ، ولا عاد مريضاً إلا عوفي إن كانت له بقية من الأجل ، ولا نظر بعين الرضى إلى قلب خرب إلا عَمُر ، ولا عكسه إلا خرب ، أعاذنا الله من

ذلك ، وما وقع نظره على عاص إلا أطاع ، ولا على ناس إلا استيقظ ، ولا مر بأرض مجدبة إلا أنبتت ، ولا دعا في شيء بالبركة إلا وظهرت شواهد الإجابة ، وهو أحد من جمع الله له بين علمي الشريعة والحقيقة ، وأفتى بالإقليم الجزائري على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، وقصده طلبة العلم ، وأخذوا عنه ، وانتفعوا بكلامه ، وانتهت إليه الرياسة في العلم بالمغرب .

وقفت الناس عند فتاويه ، وكان متقشفاً في مأكله ومفرشه ، وكان خلقه واسعاً ، إذا تجادل عنده الطلبة والإخوان يشتغل هو بالذكر حتى يفرغ جدالهم ، وكان يقضي بعض مصالحه بيده ، وكان كثير الأدب والحياء ، كريم النفس جميل المعاشرة حلو الكلام ، وكان مهاب المنظر عليه خفر العلماء العاملين
[٢٢٩] والأولياء والصالحين ، وكان نهاره وليله في الطاعة إما في علم ، أو تلاوة قرآن ، أو ذكر ورد ، أو فكر في مصنوعات الرحمان ، أو قضاء حوائج المسلمين .

ويقصده الناس من جميع الجهات لتفريج كربهم وقضاء ديونهم ، فما يذهبون من عنده إلا بالشيء الكثير فوق مرادهم ، والخلق في الإحسان عنده على حد سواء ، ويقول : الخلق عيال الله يراعى حق الكبير والصغير والغني والفقير والقوي والضعيف والوضيع والشريف حتى الوحوش والطيور ، وكل مخلوقات الله يعظم العلماء والصالحين وذريتهم ، وأهل الفضل وكل عزيز في قومه ، ويواسيهم عموماً وخصوصاً ذرية مشايخه أهل سنده الظاهر ، وأهل سنده الباطن ، له اليد الطولى والنعمة الكاملة عليهم ، يعظم مكانهم ويقدمهم على غيرهم من الخاصة والعامة ، ولا يملك معهم شيئاً من الدنيا مع طيب نفس ، بل لو يأخذون جميع ما يملك لكان عنده ذلك من أحسن ما يكون وأجلّ وأفضل

ما هو كائن ، ويعادي من عاداهم ، ويحسن إلى من أحسن إليهم ، ويبالغ في الأدب معهم ويحفظ حقوقهم في الغيبة والحضور ، ويقيل عثراتهم ، ولا يلتفت إلى هفواتهم ، ولله درُّ العلامة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الديسي حيث قال في بديعيته في مدح الأستاذ :

ما كفُّهُ كالغيثِ حينَ يهمـــــعُ * فذاكَ يمكُثُ وهـذا يُقلـــــعُ
أو لم يُشابِهِ الغَمامُ كفُّـــــهُ * لما استجـــادَ الناسُ منـــه وَكْفَهُ
وفضلُـهُ في الخافقينِ قـــد عُلِمْ * أشهرُ مِن نارٍ على رأسِ عَـلَـمْ
وإنْ سألـــتَ عنهُ فَهْوَ البحـرُ * يخـــرجُ منـــهُ جوهـرٌ ودُرُّ
قد شابهَـــتْ أخلاقُـهُ الرياضـا * لطافـةً وكـفُّـــه الحياضـــا
والأرضُ لولا غوثُنا لدُكْدِكَـــــتْ * لأنها قِـدْماً لدينا اشتكـــــتْ
لكـــلِّ عصرٍ مفردٌ إمـــــامُ * غوثٌ بهِ أحوالُـــهُ تُقـــــامُ

ولد رضي الله عنه وأرضاه بالبادية بمحل يقال له الحامدية ضاية الحرث على جهة جبل تاسطارة ، وهي بلاد أولاد الأغويني فريق أولاد سي محمد في رمضان سنة تسع وثلاثين بعد المئتين والألف ، ومن اسم الحامدية المولود فيها أخذ الفال فحمده أهل السماء وأهل الأرض .

ولما حفظ القرآن قدم إلى زاوية الولي لله سيدي السعيد بن أبي داود بزواوة ، ولازم ابن ابنه بها العلامة الشيخ سيدي أحمد ، وجد واجتهد حتى برع في المذهب المالكي ، وكان رضي الله عنه شديد الذكاء عجيب الفطرة ، مفرط الإدراك بعيد الغور ، غواصاً على المعاني الدقيقة ، جبل علم مناظراً محاججاً .

[٢٣٠] وفي سنة خمس وستين ومئتين وألف ابتدأ التدريس ببلدة الهامل ، فأصبحت به زاهرة يانعة ، وانهالت له الخلق من كل جهة لطلب العلم وحصل به النفع الكثير ، وكان يحضر درسه في الفقه نحو ثمانين تلميذاً أو أكثر ، وكانت

مؤونة الطلبة في هذه السنوات من عنده ، وابتدأ من التفاسير « بتفسير الواحدي » ومن كتب الحديث بشرح العارف بالله سيدي عبد الله بن أبي جمرة وتقديمه لهاذين الكتابين التماس بركة صاحبيهما ، لأن الكتابين كانا من ملك جده الولي المشهور سيدي محمد بن عبد الرحيم ولسيدي محمد بن عبد الرحمن في مدحه أيضاً :

صَلِّ يا ربِّ وسلِّم أبَـــدَا * على خيرِ الخَلْقِ عُرْبٍ وعَجَمْ
ما جمالُ الرَّوضِ ما ذِكْرُ إرم * ما غِنـاءٌ ما عصيرٌ مِـن كَرَمْ
ما سمـــوُّ البدرِ في أفـــقِ العُـلا * كعـلا شهمٍ سجاياهُ الكَـــرَمْ
أُمَّـــةُ الأُمَّـــةِ في أُمتِنَـــــا * قطـبُ فضلٍ خير أستاذٍ يُـؤَمْ
مرشدُ الخَلْقِ إلى سُبلِ الهُـدَى * زاكي الأحوالِ محمـودُ الشِّيَمْ
مَنْ أعـادَ الغَربَ روضـاً يُشتهى * بعدَ ما كانَ مواتـاً لم يُـرَمْ
بذَرَ الخيـــرَ بهِ حتَّـى ازدهـى * فلأرضِ الغربِ فخرٌ قد عَظُمْ
جدَّدَ الدِّيـــنَ وقد كانَ وَهَـــى * نصحَ الأُمَّـــةَ في الوقـتِ الأهَـم
ولقد أحيا رسومـاً درسَـــتْ * بدروسٍ كم لهـا فضـل وكَمْ
حـقَّ أنْ تسعى المطايا نحـوَهُ * لوذعـيٌّ تاجُ أربابِ الهِمَـــمْ
عَلَمُ الأعـــلامِ معـــلى قـــدره * إذ تراهُـم رَفَعُوا الاسمَ العَلَـمْ
واسمُهُ الحمدُ البليغ المرتضـــى * واشتقاقُ الاسمِ مِنْ فعلٍ وسِـــمْ
طابق الاسمَ فَعـالاً حُسنُهـا * يُخجِـلُ الدُّرَّ النَّفيسَ المنتظَـمْ
ورِثَ السُّـؤدُدَ عَـنْ أسلافِـهِ * إذ لهم في ذروةِ المجـدِ قَـدَمْ
نسـبٌ مثلُ لآلي نُسِقَـــتْ * منهُ حتَّـى المصطفى خير النَّسَـمْ
طابَ أصلاً وفروعـاً وجَنَـى * منبـعُ الأسرارِ مصبـاحُ الظُّلَـمْ
شمسُ فضل طلعَـتْ في أُفقِنَـا * فانجـلى عنا بها كـلُّ قَتَـمْ
حُجَّـةُ اللهِ على الخلـقِ فمَـنْ * عارضَ الحُجَّـةَ فهوَ المنفصِـمْ

خادِمُ السُّنَّـــةِ مخـــدومُ الـــورى * فاعجَبُوا مِن خادمٍ كيفَ خَدَمْ
ظَـهَـرَتْ أسرارُهُ وانبجسَـــــتْ * مِن طواياهُ ينابيـــعُ الحِكَـــمْ
زادَهُ اللهُ تعـــالى رِفعَـــــةً * فلقـــد أسدى لنـــا النَّـــفعَ الأَعَمْ
حدِّثُـــوا عنـهُ بما شِئتُـــم ولا * حرجٌ عنكُم فهذا الحَبْرُيَـــمْ
قد روى الفيض لنا عَـــن نائـــلٍ * عَن عطاءٍ عَن يسارٍ عن كَـرَمْ
وروى الكلُّ لنا عَـــن جابـــرٍ * عن سعيدٍ أنـــه السَّعدُ الأَتَـــمْ
صرتَ يا عيدُ بهِ عيـــداً هنـا * كيفَ لا وهو الإمامُ المحتَـرَمْ
[٢٣١] أنـــتَ تأتـــي بسرورٍ ينقضـي * وهوَ للخَلْـقِ سرورٌ ونِعَـــمْ
ذو مزايا لا يفـــي المـــدحُ بها * كيفَ يحويها قُصوري لا ولَـمْ
ومرامـــي منكُمُ نيـلُ الرِّضى * إنَّ قلبي لكســـيرٌ ذو ألَـــمْ
فانظرونـــا نظرةً تُصلِحُنـــــا * واعتقـــوا ذا الرِّقِّ فالفضلُ لَكُمْ
قد نزلنا ساحـــةَ الليـــثِ ومَنْ * كانَ جارَ الليـــثِ قَطُّ لم يُضَمْ
وحللنا حرمـــاً أمنـــــاً ولا * أحـــدٌ يجني على مَنْ بالحَرَمْ
وعليكُم مِن تحيَّاتٍ سَمَـــــتْ * ما أضاءَ البرقُ أو سحَّتْ دِيَـــمْ
وعلى الإخـــوانِ طُـرّاً سيَّمـا * مَنْ أتى المسجدَ أو من قد خَدَمْ
وعلى الأقطابِ أشياخٍ لنـــــا * ذكرهُم يَشفي عُضالاتِ السَّقَمْ
شيخُنا المختارُ شيءٌ كاسمِـــهِ * وابـــنُ عـــزوز الجنـــابِ المنفخَمْ
تارزيّ باشا مَـنْ حـــاز العُـلا * أزهـــريّ فخـــرُ عـــربٍ وعَجَمْ
جُدْ لنا يا ربَّنـــا مِـــن فيضهِم * واصلِحَنْ أحوالنـــا يا ذا الكَرَمْ
صلواتُ اللهِ تترى للـــــذي * قد هدانا وبهِ الأمـــرُ خَتَـمْ
وعلى آلٍ وصحـــــبٍ كَرمُـوا * ماسرى البدرُ وما خطَّ القَلَـــــمْ
« ضاعَ عَرفُ البان » إذ أرَّخها * تاسعُ الحجَّـــة يوم يُغتَنَـــمْ

وله أيضاً في مدحِ الأستاذ سنة قدومه للجزائر :

سلامٌ يفوقُ نَيِّرَاتِ الزواهـــــرِ * ويفضُلُ نشراً طيِّباتِ الأزاهـــرِ
أخص به قُطبَ الوجودِ الذي عنـــى * بصاحبه الأعزاز أم الجزائـــــرِ
فدتْـــهُ نفـــوسُ المؤمنيـــنَ فإنَّـــهُ * إمام الهـــدى النبراس مجـلى الدياجرِ
ملاذُ الورى إنســـانُ عيـنِ زمانِنا * وهَلْ تُبصِرُ العينانِ إلا بناظـــــرِ
فيا بهجـةَ الدُّنيـــا ويا غايةَ المنى * ويا كعبةَ الإسلامِ أُنسَ الخواطرِ
تحِنُّ إليكَ الصالحونَ ويشتفِـي * بطلعَتِكَ الغرَّاءِ داءُ السَّرائـــــرِ
نصحتَ وأرشـدتَ العبـادَ لربِّهم * لأنَّـــكَ تـــاجُ العارفيـــنَ الأكابرِ
تطيبُ بكَ الأيامُ إذ أنـتَ نورُهـا * وكيفَ وأنتَ الغوثُ كنزُ الذخائرِ
فيا سعدَ مَنْ أضحى محبَّ جنابِكـــم * على حُبِّكم للهِ عقـدُ الخناصِرِ
هنيئـاً لأرضٍ حَـلَّ فيها ركابُـكم * يحِـقُّ لأهليها الهنا بالبشائـــــرِ
فيا أكملَ الوراثِ مِن سيِّدِ الورى * عليهِ صلاةٌ كالبحـــارِ الزواخـرِ
إليكَ اشتياقُنا طويل مديـــــــده * بكاملِ وجدٍ بالمدامع وافـــــرِ
وأُبـــتَ بأمـنٍ ظافـراً ومؤيَّـداً * فيا نجلَ قاسمٍ حميدَ المـــآثرِ
عليـــكَ مِن الرحمانِ أثـوابُ عِزِّهِ * وحُسن جلالِ اللهِ أقـوى الستائرِ
بحُرمَـةِ جدِّكَ الحبيبِ مُحمَّـــدٍ * وآلِهِ والأصحـــابِ أهلِ المفاخرِ
عليهـــم صـــلاةُ اللهِ ما هبَّتْ الصَّبا * وما دامَ ذِكرهُـــمُ بأعـــلا المنابرِ

توفي رضي الله عنه يوم الأربعاء ثاني محرم سنة ١٣١٥ في بويرة السحاري آيباً من حاضرة الجزائر إلى مقامه الشريف ، وكنت رأيت في نومي ليلـة [٢٣٢] وصوله إلى الجزائر قمراً منخسفاً مطلاً عليها من جهة الصحراء في سماء معتكراً بالغيوم ، وفي الغد سمعت بقدومه فعلمت أن العام سنة ، وقد كان مالاح لي ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ترك رضي الله عنه بنتاً صالحة توفيت بعده بسنوات ، وأخاً صالحاً ، وتوفي أخوه أيضاً عن أولاد أكبرهم الشيخ محمد بن الحاج محمد ، أعلمهم وأتقاهم الشيخ المختار ، وكلهم تلامذة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديمي ، وعنه أخذوا ومنه استفادوا .

أبو عبدِ اللهِ مُحمَّدُ بنُ أحمدَ الشريفِ الحسني

الفقيه العالم الأعرف أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني أحد رجال الكمال علماً وديناً ، لا يعزب عن علمه فن عقلي .

أخذ عن الشيخين أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام ، وعن أبي عبد الله الإبلي وغيرهم ، وبلغ الغاية القصوى من الإدراك والتبحر ، وفصاحة اللسان عند الإلقاء ، واحد عصره رحمة الله عليه .

وتوفي في ذي الحجة متم سنة ٧٧١ ، فأمر مولانا أمير المسلمين أبو حمو أيده الله بدفنه عند قبر والده المولى أبي يعقوب تبركاً له بجواره اهـ . وولده الفقيه أبو محمد عبد الله من علية الفقهاء وصدور المدرسين ، مشارك في فنون التعاليم والنظر والفقه اهـ .

مُحمَّدُ بنُ أحمدَ بوتشنت

الشيخ العارف بالله صاحب الفتوحات الربانية ، والفيوضات اللدنية السيد محمد بن أحمد المعروف ببتشنت ، صاحب جبل ندات من حوز ثنية الحد ، نشأ بجبل ندات .

أخذ على الشيخ السيد الحاج الزراق ، وهو أخذ على علماء مازونة ، وتضلع صاحب الترجمة بالعلوم النقلية والعقلية واللدنية ، وقبره بجبل ندات مشهور يُزار يتبركون به ، مات عام ستة عشر من القرن الرابع عشر ، وله تآليف في علم القوم ، ومنها تأليف في صلاة النبي ﷺ ممزوجة بشمائله عليه الصلاة والسلام اهـ .

[٢٣٤] مُحمَّدُ بنُ أحمدَ القسنطيني

الشيخ الإمام العالم العلم والركن الملتزم المستلم ، العلامة القدوة المشارك النحرير ، ذو البركات الظاهرة والقدر الخطير ، أعجوبة الزمان وفريد العصر والأوان ، الدراكة الحافظ المتقن المحقق الضابط الفهامة المدرس المدقق ، فارس المعقول والمنقول ، والآتي في درسه بما يُبهر العقول ، ملحق الأواخر بالأوائل ، وعلم السراة القادة الأفاضل ، الصالح البركة أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسني المعروف عند أهل بلده بالكماد . قدم رحمه الله على فاس ، وتصدر للتدريس بها فأفاد وأجاد ، وأخذ عنه الجم الغفير من كل بلاد . وكان آية من آيات الله في الحفظ والإتقان والتحرير العجيب وعزة الشأن ، إماماً نظاراً مطلعاً ، وبنفائس العلوم ودقائقها متضلعاً ، له الملكة في المنطق وعلم الكلام ، والحفظ التام في علم حديث خير الأنام ، مرجوعاً إليه في الفقه وأدواته ، مقصوداً في حل مشكلاته ، كبير الباع تام الاطلاع . أذعن له الكافة من علماء عصره . وعظم صيته لدى الرؤساء وغيرهم من أعيان دهره . وأخبر عن نفسه أنه يحسن اثني عشر علماً .

أخذ بجبل زواوة عن أبي عبد الله سيدي محمد المقري . وبالجزائر عن سيدي محمد بن سيدي سعيد قدورة . وعن غيرهما . قال في أثناء بعض

إجازاته لبعض تلامذته : وقد أخذت « صحيح البخاري » وروايته عن الشيخين الإمامين أبي عبد الله سيدي محمد المقري ، وأبي عبد الله سيدي محمد ابن الإمام الشهير الذكر الطيب النشر سيدي سعيد قدورة ، ودراية لبعضه عن الثاني ، وإجازة عن الشيخ العلامة الشريف المنيف سيدي محمد بن محمد بن عبد المؤمن قاضي الجزائر ، عن شيخه شيخ مصر على الإطلاق أبي الحسن علي الشبراملسي ، عن شيخ المحدثين في زمانه الشيخ إبراهيم اللقاني ، عن الإمام أبي النجاة سالم السنهوري بقراءته لجميعه عن العلامة رحلة المحدثين نجم الدين القيطي ، عن شيخ الإسلام زكرياء الإنصاري اه المراد منها .

ثم ارتحل إلى فاس برسم القراءة على مشايخها ، ويقال : إنه وقف على الدالية لأبي علي اليوسي فاستحسنها وسأل عن ناظمها فأخبر بأنه حي بالمغرب ، فأقبل للأخذ عنه ، فلما بلغه وجده مشتغلاً بزحام الفقراء المتلقين منه ، فتصدر بفاس لإقراء « جمع الجوامع » للسبكي فأبدع في إقرائه ، ورأى الطلبة من حفظه ما لم يكونوا يعهدون فأكثروا الازدحام عليه ، وتوجهت عيون أهل الدولة إليه ، فارتفعت مرتبته وأجريت له المرتفقات العالية ، وشمله درور إحسان السلطان ، فمن دونه ، وكان مقبلاً على ما يعنيه دؤوباً على المطالعة ، لا يُرى إلا في درسه أو مطالعة كتبه ، قليل الكلام كثير الصمت ، ذا همة علية ومآثر سنية ، لا يدع التهجد بالليل حضراً وسفراً ، وكان يقرأ في زمان الشتاء ، ويتفرغ في زمن المصيف لمراجعة ما يلقيه في زمن الشتاء ، واجتمعت الكلمة على أنه أحفظ علماء عصره ، بل ظهر من حفظه ما بهر العقول .

وممن أخذ عنه الشيخ سيدي محمد بن عبد السلام البناني ، والأستاذ العلامة سيدي إدريس بن محمد المنجري الحسني ، وكان يقول فيه : إنه لم تر عيناي مثله .

قال في النشر : وله أجوبة حسنة في نوازل كثيرة دالة على مهارته واتساع ملكته ، قال : وللازمته في التدريس لم يتفق له التصنيف وإلا فهو أحق به ، ولما دخل تطوان في أول قدومه للمغرب وقع بينه وبين قاضيها الفقيه أبي عبد الله ابن قريشي وحشة ، فكتب له صاحب الترجمة بأبيات على حفظي منها قوله :

لَهْـفَ نفسي علىَ كُسوفِ شمـوسٍ * للعلومِ وذِلَّـةِ الغُـربَـاءِ
لَـهْفَ نفسي على زمـانٍ عبـوسٍ * قمطريرٍ ذَي قسمةٍ ضيـزاءِ
فأنا للعلى سموتُ وحـزتُ * رتبـةً لا تسـامُ بالجـوزاءِ
وَوَرِثتُ العلومَ قِدْمـاً يقينـاً * عَن آبـاءٍ قساورٍ نُجبـاءِ
فأنَا شمسُها ونجـمُ سماهـا * حافظُ العصرِ سيـدُ النُّبـلاءِ

وحدث عنه أصحابه قال : بينما أنا جالس بالمشرفة التي بجامع الأبارين دخل علي رجل فقال لي : في هذا العام بني ربع دارك ، فلم أفهم مراده ، وظني بباب المشرفة مغلق ، فتعاهدته فوجدته كما تركته ، فلم أدر من أين ولج الرجل علي ، ثم أتاني في العام المقبل لي : بني في هذا العام نصف دارك ، ثم أتاني في العام الثالث فقال لي : بني ثلاثة أرباع دارك ، ثم من العام المقبل أتاني فقال لي : بنيت دارك. فكان يعلم بقرب أجله ، فلم يمض إلا يسير فمرض مرض موته ، فأغمي عليه ثم أفاق ، فقال لي : جاءني ملك فقال لي : تخلق بخلق النبي ﷺ ، فقيل له : ما يعني بذلك ؟ فقال : أن أختار الرفيق الأعلى .

وتوفي رحمه الله عند غروب شمس يوم الجمعة الرابع من شهر الحرام فاتح سنة ست عشرة ومئة وألف (١١١٦) . وصلى عليه إماماً الشيخ سيدي محمد ابن عبد القادر الفاسي بايصائه بذلك .

قال في « الصفوة » : ودفن قريباً من ضريح سيدي أبي غالب ، وبنيت عليه قبة اه . وهي ساقطة في هذه الأزمان ليس لها أثر .

ترجمة جماعة منهم تلميذه أبو العلاء المنجري في « فهرسته » وصاحبا الصفوة » و« النشر » .

[٢٣٥] مُحمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الأريسي الجزائري

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الأريسي ، الشيخ الفقيه المحصل المتقن العدل المرضي أبو عبد الله محمد بن أحمد من نظراء الفقيه أبي علي عمر ابن عزون[1] .

وكان مشاوراً مفتياً معمولاً على قوله ، موقوفاً عنده ، وعلى الفقيه أبي علي بن عزون كان اعتماد القاضي أبي محمد بن الحجاج ، وبينهما كان جلوسه ، وهما المشاوران عنده ، وله جلال ووقار وهمة علوية وأخلاق مرضية ، وكان في غاية الجودة في الخط المشرقي ، وله لطائف علم ودقائق فهم ، وبه كان انفكاك ما يخفى معناه من الأمور الفقهية والنوازل الشرعية .

مُحمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ الجزائري

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأريسي المعروف بالجزائري ، الشيخ الفقيه الكاتب الأديب البارع حفيد الفقيه الجليل أبي عبد الله الأريسي

كان من أدباء الكتاب ، ومن نظراء أبي عبدالله التميمي في علم النظم والقريض ومن أصحابه ، كان حسن النظم والنثر ، مليح الكتابة حسن الرواقة في البطاقة ، سهل الشعر كثير التجنيس ، يأتيه عفواً من غير تكلف إن أطال في شعره أعرب ، وإن اقتصر واقتصد أعجب ، وكان شيخ الكتابة كتابة

(١) لعله هو المضاف إليه في باب عزون بالجزائر .

الديوان ببجاية ، وله شعر كثير في كل فن من فنون الشعر ، ومن نظمه :

يا مَنْ على جُـودهِ المعهودِ أتَّكِلُ * ويا ملاذي إذا ضاقَـتْ بي الحِيَلُ
غَرِقتُ في بحر آثامي فَخُذْ بيدي * وامنُـنْ بعفوٍ فإني خائفٌ وَجِـلُ

وله أيضاً :

أدِرْها فقد هبَّتْ نُسيمَـةُ داريـن * ونَـمَّ بسِرِّ الروضِ نشرُ الرَّياحيـنِ
وقَامَ خطيبُ الورقِ يدعـو هديله * وغنَّى فأغنى عَن ضروبِ التلاحينِ
وذَكَّرَ أيام الصِّبابَـةِ والصِّبـا * ولذَّةَ عيشٍ كانَ لي غيرَ ممنـونِ
فثار كمينُ الوجدِ من مستقَـرِّهِ * وبُحتُ بسرٍّ بينَ جنبيَ مخـزونِ
فيا ساكني نجدٍ أأطرُقُ حيَّكُم * وأرجِـعُ مقلوباً بصفقـةِ مغبـونِ
ويا ساكني الجرعـاء إن كان عندكم * نصيبٌ من الصبرِ الجميلِ فواسوني
تركتُ فؤادي عندَ خيمةِ زينـبٍ * وما سِحْرُ عينيها علي بمأمـونِ
أغارَتْ عليهِ حينَ لم يُلفِ ناصراً * وأغرتْـهُ بي حتى تعلَّـمَ يَجفوني
فكم قلتُ إن الحبَّ لا يستفزُّني * وإن التصافي خِلقـة لا تواتينـي
وكم صُنتُ عن نظمِ القريضِ وصُنتُه * إلى أن أرتْ عيني عليَّ بنَ ياسينِ

[٢٣٦] وله أيضاً :

لعلكَ بعدِ الهجرِ تسمحُ يا بـدرُ * بوصلٍ فقد أودى بمهجتيَ الهجـرُ
أبيتُ كما ترضى الكآبـةُ والأسى * وأُضحي كما تهوى الصبابـةُ والفكرُ
إذا قنطَتْ نفسي يُنادي بها الرَّجا * رُويدكِ كم عُسرٌ على إثرهِ يُسرُ
وإن ذَكَرتْ يومَ الفِراقِ تقطَّعَـتْ * علائِـقُ آمالٍ فيرحمها الذِّكـرُ
ولا أنسَ يوماً للسرورِ وبيننـا * عتابٌ كبردِ الماءِ لكـنَّـهُ الجمرُ
ولا كأسَ إلَّا ما سقاني بهِ اللَّمـى * ولا نقل إلَّا ما حباني به الصـدرُ
تقولُ وقد مالَـتْ بمعطفهـا الطِّلا * وخفـتُ لأن تخطو فأثقلها السُّكرُ

وقد جاذبَتْ ريحُ الصَّبا فضلَ مِرطِها * فأومضَ لي برقٌ تضمنه الثَّغرُ
أمِنْ يومِنا بالجزعِ أنتَ مولَّهٌ * تفيضُ من الآماق أدمعُك الحمرُ
دعِ العتبَ فالعُتبى أحقُّ بيومِنا * وعَدِّ عَنِ الشَّكوى فقد قُضي الأمرُ
علمنا وإن لم يعلم الحبُّ أنَّهُ * ذَلولُ الهوى صعبٌ ، وحُلو النوى مُرُّ
وليلُ اللّقا صبحٌ ، وصبحُ النوى دجىً * وشهرُ الرضى يومٌ ، ويوم النوى شهرُ
فوالله ما أدري لطيبِ حديثنـــــا * أضُمِّنَ سحراً لفظُها أم هو السِّحرُ
فيا حبَّذا يومٌ فقدتُ به الحِجا * وودَّعني إذ ودَّعَتْ شمسه الصَّبرُ
خليليَّ قُولا إن بدا لكُما الحمى * أُهيلَ الحمى مشغوفُكم مسَّه الضُّرُّ
على ما تناسيتُم حديثَ عهودِكُم * وليسَ لهُ ذنبٌ وليسَ لهُ عُذرُ
أُهيلَ الحمى مُنُّوا بطَيْفِ خيالِكُم * عسى نلتقي أو يلتقي النومُ والشفرُ
بما بيننا لا تقبلوا مِنْ وشاتِنا * فما ضاعَ لي وُدٌّ وما ذاعَ لي سِرُّ
فكَمْ رُمتُ أن أقضي فريضةَ حقِّكُم * فلما أردتُ السعيَ أثقلني الوِزْرُ

ومن نظمه رحمه الله تعالى :

أهلَ الحمى هل لكم من قصتي خبرُ * وإن ليلي بليلى كلُّهُ سهرُ
وفي ضلوعيَ نيرانٌ يضرِّمُهَا * دمعٌ على صفحاتِ الخدِّ ينهمِرُ
لما رأيتُ بدورَ الحيِّ سافرةً * عَنِ النِّقابِ بدا لي أنه السَّفَرُ
ولا عواملَ إلا مِن قدودِهِمُ * ولا صوارمَ إلا ما بها الحَوَرُ
سألتُكَ اللهَ يا حادي المطيِّ بهم * قفا عليَّ لعل الصدعَ ينجبِرُ
عرِّج عليَّ فلي قلبٌ يميلُ إلى * حديثِ مَنْ قتلوا منا ومن أسروا
وأنتَ يا سعدُ إن غنَّتْ ظِباؤُهُمُ * فقِفْ تُعاينْ فؤادي كيفَ ينفطِرُ
وربَّ ليلٍ بليلى بتُّ أسهرهُ * وحاسدي نومُهُ والليلُ معتكِرُ
تبدو كشمسِ الضُّحى تعلو قضيبَ نقا * وتنثني مثلَ غُصنٍ فوقَهُ قمَرُ

تقولُ والحُسْنُ يُطغيها فتظلِمُني * ولا موازر إلَّا صارمٌ ذَكَرُ
دعِ الحسامَ وضَعْ حملَ السلاحِ فما * في كلِّ وقتٍ يُفيد الحزمُ والحَذَرُ
[٢٣٧] ما للمهنَّدِ حُكْمٌ في محلَّتنا * بل للمهنَّدِ فيها الحُكْمُ والنظرُ
وللظُّبى فتكاتٌ بينَ أرحُلِنا * تَرنو وتَعنو الظُّبا المضروبة البترُ
فإنْ طمِعْتِ بلينٍ في لواحِظِنا * فنحنُ أهلُ قلوبٍ مثلُها الحَجَرُ
وإنْ حَلَتْ لكِ ألفاظٌ نردِّدُها * ما بيننا فهناكَ الصَّابُ والصَّبرُ
إنا لنُخرِجُ مِن ألحاظِ مُبصرِنا * لكنَّنا مِن سوادِ القلبِ ننتصِرُ
فارْحَمْ شبابكَ وارحَلْ دُونَ مغلَبةٍ * واقبَلْ من الحُسْنِ ما أعطاكَهُ النظَرُ
فعندها أيقَنَتْ نفسي بغيبتها * وأقسمت مُهجتي أنْ لستُ أصطبِرُ
وقمتُ ألقُطُ مِن ألفاظِها دُرراً * وأنظِمُ السحر حتى أقبل السَّحَرُ

مُحمَّدُ بنُ أحمدَ التلمساني

الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني ، ويعرف بابن الوقاد ، أصله من تلمسان ، بها نشأ ، ثم انتقل منها بعد التحصيل إلى المغرب فنزل مدينة ترودانت ، وولي بها قضاء الجماعة نحواً من ستة أشهر ، ثم استعفى لكونه لا يعرف البربرية التي هي لسان أهلها ، فأعفى ثم وجه به إلى سجلماسة قاضياً خطيباً فبقي بها مدة ، ولقي بها سيدي عبد الرحمن من لا يخاف ، وعبد العزيز بن ملال وغيرهما ، ثم انتقل لمكناسة الزيتون فقضى بها وخطب ، ثم نقل لفاس فولي الخطابة بجامع الأندلس منها ، ثم رد لتارودانت فقدم للفتوى والخطابة ، فألقى بها عصى التَّسيار ، وتصدر لنشر العلم ، فنفع الله به أمة من الناس ، وهو أول من أقرأ بها البخاري قراءة ضبط وإتقان ، وأول من خطب فيها ببراعة اللسان ، وكان السلطان المنصور يقول فيه : ليس عندنا

أخطب من ابن الوقاد إلا أن الله اختاره لتارودانت ، وإن لم تكن كرسي الخلافة .

وكانت له ـ رحمه الله ـ وجاهة عند ملوك وقته بحيث أجروا عليه الجرايات ، ولم يصيروه لأحد من أبناء جنسه ، وهو مع ذلك لا يبالي بالدنيا ، قال صاحب « الفوائد » : لما قعد أول مرة للتدريس بتارودانت جلس بين يديه طالب من فقهاء جزولة ، فافتتح القراءة عليه فقال : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد بغير سيادة ، فنهره وقال له منكراً عليه : هو قرينك تأكل معه في القصعة ، قل : على سيدنا محمد .

أخذ رحمه الله عن الإمام التنسي ، ختم عليه البخاري ست عشرة مرة قراءة بحث وتحقيق ، وعن سيدي شقرون بن الوجدي مفتي مراكش ، وعن ابن جلال والبسيتني وغيرهم ، وجاءته امرأة من جيرانه فقالت له : رأيت النبي ﷺ في النوم ، فقال لي : اقرئي السلام للشيخ التلمساني . فبكى وقال : نعيت إليّ نفسي يا فلانة ، فلم يبق إلا أياماً قليلة .

[٢٣٨] وتوفي رحمه الله سنة إحدى وألف (١٠٠١) بمدينة تارودانت ، وخلفه ولده الخطيب أبو زيد عبد الرحمن في علمه وهديه المتقدم ، ومن شعره قوله :

كتابُ البخاريِّ واظبْ عـــلى * قراءتِـــهِ وارووِ في الشَّـــدائدِ
فهوَ المجـــرَّبُ تِـرياقُـــــــهُ * لدفعِ سمومِ الأفاعـي الأساودِ

وكان كثيراً ما ينشد في التحذير من خلطة الملوك وأبناء الدنيا :

كُـلِ الترابَ ولا تعمَـلْ لهم عمـلاً * فالشرُّ أجمعُـــه في ذلـكَ العملِ

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمد التلمساني

محمد بن أحمد بن محمد اللخمي أبو عبد الله بن اللحام لقب لأبيه ، مولده بتلمسان سنة ٥٥٨ .

قرأ السبع على أبي العباس الأعرج ، وأخذ العلم بفاس عن أبي الحجاج ابن عبد الصمد ، وأبي القاسم بن يوسف بن زانيف ، واختص بصحبة أبي زيد الفزازي ، روى عنه ابنه أبو محمد عبد الله ، وأبو زكرياء بن محمد ابن طفيل .

وكان فاضلاً صالحاً زاهداً ذا حظ من الأدب والشعر ، غزير الحفظ يحفظ من سمعة واحدة كل ما يطرق أذنه ، استقدمه المنصور يعقوب بن يوسف العسكري بن عبد المؤمن بن علي إلى مراكش ، فاستوطنها وحظي عنده وعند ملوكها الناصر والمستنصر ، وله في الوعظ كتاب « حجة الحافظين ومحجة الواعظين » ، واختصره بعده أبو زكرياء يحيى بن محمد بن طفيل في سفر واحد سماه « مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار» ولو سماه : مختصر حجة الحافظين ومحجة الواعظين لأحسن ، ومن نظم المترجم في التصوف قوله :

غريبُ الوصفِ ذو علمٍ غريـــبِ * عليلُ القلبِ من حُـبِّ الحبيبِ
إذا ما الليلُ أظلمَ قام يبكـــي * ويشكو ما يحينُ مِن النحيـبِ
يقطِّـعُ ليلَهُ فِكْـراً وذِكـــراً * وينطِـقُ فيهِ بالعَجَبِ العجيـبِ
بـهِ مِـن حُـبِّ سيِّـدهِ غـرامٌ * يجِلُّ عنِ التطبُّـبِ والطَّبيـبِ
ومَـنْ يكُ هكذا عبداً مُحِبَّـاً * يطيبُ ترابُـهُ مِـن غيرِ طيـبِ

توفي بصيراً في مراكش رحمه الله تعالى يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان عام ٦١٤ .

محمَّدُ بنُ أحمدَ القرشي التلمساني

[٢٣٩] محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي التلمساني المقري ، يكنى أبا عبد الله قاضي الجماعة بمدينة فاس وبتلمسان .

كان مشاراً إليه بالمغرب ، محافظاً على العمل حريصاً على العبادة ، مكباً على النظر والدرس والقراءة ، معلوم الصيانة والعدالة ، منصفاً في المذاكرة ، يقوم أتم قيام على العربية والفقه والتفسير والتاريخ والأدب ، ويشارك في الأصلين والجدل ، والمنطق ، ويتكلم في طريق الصوفية ، وله فيها موضوع ، وحج ولقي جُلَّة من الفقهاء والعلماء والصلحاء ، ورجع إلى بلده وانقطع إلى خدمة العلم ، فلما ولي أبو عنان اجتذبه وخلطه بنفسه واشتمل عليه ، وولي له قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاشتغل بذلك أعظم الاشتغال ، واستعمل في الرسالة .

أخذ عن ابني الإمام أبي زيد عبد الرحمن ، وأبي موسى عيسى ، وابن أبي عمران موسى بن يوسف المَشدَّالي ، وأبي عبد الله بن عبد النور ، وإبراهيم ابن حكم السلوي الكتاني ، وأبي عثمان سعيد بن إبراهيم بن علي الخياط ، أدرك أبا إسحاق الطيار ، وأبا عبد الله محمد بن محمد القرموني وله :

لا تعجبَنَّ لظبيٍ قد دها أسداً * فقد دها أسداً مِن قبلُ سحنونُ

قال القاضي : سمعت ابن حكم يقول : كتب بعض أدباء فاس إلى صاحب له:

ابعَثْ إليَّ بشيءٍ * مدارُ فاس عليهِ
وليسَ عندكَ شيءٌ * ممَّا أشيرُ إليهِ

مولده بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان .

وقال ابن الخطيب : كذا وجدت بخطه ، ورأيت الصفح عنه أن أبا الحسن موسى سأل أبا الطاهر السِّلَفي عن سنه فقال : أقبِلْ على شأنك ، فإني سألتُ أبا الفتح بن زيان بن مسعود عن سِنِّه فقال : أقبِلْ على شأنك ؛ فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سِنِّه فقال : أقبِلْ على شأنك ، فإني سألت السائب بن أنس عن سِنِّه فقال : أقبِلْ على شأنك ، ليس من المروءة إخبار الرجل عن سِنِّه .

أخذ ابن الخطيب السلماني عنه .

وتوفي بمدينة فاس في أخريات محرم عام تسعة وأربعين ، وقيل خمسين وسبع مئة (٧٥٠) ، وبقي سنة بفاس ، ثم نقل من قبره إلى تلمسان ، ودفن بعرصته داخل تلمسان من أجياد .

مُحمدُ بنُ أحمدَ التلمساني

الفقيه الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمدالمري الشريف التلمساني .

كان فقيهاً صالحاً يقوم على الرسالة بنقل سائر شراحها ، وولي الفتوى بالقرويين ، وقال : إنه كانت وقفة في أيامه ، وطلب الناس منه أن يخرج
[٢٤٠] للاستسقاء فأخذ جميع ما عنده من الزرع وفرقه على المساكين ، وقال : الآن أخرج للاستسقاء حين صرت من جملة الفقراء ، فخرج فلما كان قريباً من باب الفتوح ، أحد أبواب فاس ، والناس معه قال لهم : انتظروني حتى أرجع إليكم ، فلما رجع سئل عن الخبر فقال : تفقدت خميرة العجين لم أفرقها ، فرجعت لذلك .

ووجد بخط الفقيه أبي زيد عبد الرحمن بن قال : أخبرنا

صاحب الترجمة أنه رأى النبي ﷺ في النوم فقلت له : يا رسول الله حديثُ « مَنْ كانَ آخرُ كلامهِ لا إلهَ إلَّا اللهُ دخلَ الجنةَ صحيحٌ ؟ قال : فقال لي : نعم صحيح ، فقبلتُ إحدى ركبتيه ، ثم قبلت إحدى رجليه ، وهو ﷺ جالس . توفي رحمه الله عام ثمانية عشر وألف (١٠١٨) .

محمدُ بنُ أحمدَ الوهراني المليانى

الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الوهراني ، ناب في القضاء والخطابة مرات .

وكانت وفاته في أوائل ربيع الثاني من سنة ثلاث عشرة وألف (١٠١٣) هكذا ذكره في المطمح ولم يزد عليه اهـ .

محمد امزيان

الفقيه الشيخ محمد امزيان بتغليظ الزاء ، وكان بعض الفقهاء بمليانة يقول : ابن مزيان بالترقيق .

وله شرح حافل على صغرى السنوسي سماه « المستفيد في عقيدة التوحيد بل كنز الفوائد في شرح صغرى العقائد » أفاد فيه وأجاد ، وأنه أبان فيه التضلع بعلم الأصول والفروع ، وعلم الحكمة . وهو موجود رأيته عند بعض العلماء بمليانة ، ورحل إلى مصر واشتهر بها حتى صار مسموع الكلمة نافذ الأمر .

توفي في حدود القرن الحادي عشر على ما سمعناه من بعض الثقات اهـ . الشيخ ابن دومة .

[٢٤١] مُحمَّدُ أمقران

سيدي محمد أمقران من أكابر أوليائه ، وهو من القرن العاشر ، يعني آخره ، وأخذ من الحادي عشر ، وكراماته ظاهرة وأحواله باهرة فلا يحتاج لذكرها اه ورتيلاني .

محمدُ ابنُ الأميرِ الجزائري

العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الأمير الجزائري كان فقيهاً عالماً بالأحكام متمكناً من علم الحساب ،ذا دراية بالتوثيق ولسان بليغ .

مات رحمه الله سنة ١٢٤٨ .

محَمّدُ التواتي

أبو عبد الله سيدي محمد التواتي الذي كان قاطناً بحومة الصباح من عدوة فاس الأندلس ، غير سيدي محمد التواتي الذي كان بساباط الهيادريين من عدوة فاس القرويين ، ودفن بحومة الشرشور منها أيضاً .

أخذ رحمه الله عن الشيخ سيدي الحاج العربي آلوزاني، وظهرت له كرامات وخوارق عادات .

وتوفي يوم الأربعاء ١١ رمضان عام ١٢٦٦ (سلوة) .

محمَّدُ التّواتي

سيدي محمد التواتي الولي الصالح الشهير الواضح ، ذو الكرامات العديدة والمناقب الحميدة ، أبو عبد الله سيدي محمد .

كان رحمه الله بساباط الهيادريين من فاس القرويين بحانوت هناك ، وكان له فتق عظيم مثل الدرلامة العظيمة بين يديه ، وكانت له كرامات واضحة وأسرار لائحة ، سمعنا بعضها من أفواه الناس .

أخذ عن كبير السادات الشرفاء أهل وازان في وقته الولي الصالح سيدي علي ابن أحمد ، وبعده عن ولده سيدي الحاج العربي الوزاني ، وأخبرني بعض الثقات من الأشراف القادريين أنه بات ليلة بوليمة عند بعض الناس ، ثم إنه خرج منها في جوف الليل ، ومر بحومة النواعريين فوجد سيدي الحاج العربي المذكور قد بات عند بعض الناس ، وهو يركب في ذلك الوقت على بغلة له ، ومعه بعض أصحابه قال : فقلت : أذهب معه وأستأنس به في هذا الليل ، قال : فما وصل إلى درب من الدروب إلا قال لبعض أصحابه : مد يدك إليه وحله فيحله حتى وصل إلى ساباط الهيادريين الذي به سيدي محمد التواتي ، فقام سيدي محمد إليه وجعل يبندق له ويقول : الله يبارك في عمر سيدي حتى بندق له ثلاث مرات ، فقال له الشيخ : سيدي الحاج العربي محمد التواتي هل عمر المشور فقال له : نعم يا سيدي ، فقال له : هل اشتكى بنا أحد؟ فقال له : لا فكرَّ راجعاً من حيث جاء . [٢٤٢]

قلت : وهذه القضية تدل على أنه من أهل مشور سيدنا ومولانا إدريس رضي الله عنه ، وناهيك بذلك فإنه لا يحضره إلا الأكابر .

توفي رحمه الله ثاني شوال عام أربعة وخمسين ومئتين وألف(١٢٥٤) ،

ودفن بعد الصلاة عليه بالقرويين بالزاوية المذكورة يسار محرابها قريباً منه ، وكسرت العامة أعواد نعشه تبركاً .

محمدُ بنُ الحبيبِ القسنطيني

العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحبيب .

كان في العلم لا يدرك له غبار ، وأخذ عن أجلَّة من العلماء الأعيان ، وغلب عليه الزهد والتصوف بملازمة القطب سيدي عبد الرحمن باش تارزي ، فتحلى بعلم الباطن ، وبرقت له بارقة من نور الجلال والجمال ، فاتخذ الخلوة مسكناً والاعتزال وطناً ، ولازم مدرسة سيدي الأخضر حتى نودي للرفيق الأعلى سنة ١٢٥٢ .

[٢٤٣] محمد الحرشاوي الندرومي

الفقيه النبيه أبو المكارم الوجيه المتأبط لسير المناوي العلامة الفهامة السيد محمد الحرشاوي الندرومي المدرس بالجامع الأعظم ، أخذ العلم عن أهله ، والفرع تابع لأصله ، وقد قالوا : بل الفرع خير من الأصل لأن فيه ما في الأصل وزيادة .

قرأ على أشياخ عديدة منهم شيخ الجماعة بمازونة السيد أحمد بن هني حفيد الشيخ أبي طالب ، نفعنا الله ببركاته ، أخذ عنه « مختصر خليل » وأجازه بما سمعه منه ، ومنهم الفقيه السيد العباس بن رحال الندرومي .

أخذ عنه نظم ابن عاشر الذي جمع فيه قواعد الإسلام وشيئاً من العقائد السنوسية ، ثم ارتحل لفاس ، وحضر في مجالسها العلمية مدة يسيرة ، وإذا

نور الله للعبد السريرة وفتح له البصيرة كان له ذلك في الأيام اليسيرة ، وإذا أعمى له البصيرة أطال له الجلوس على الحصيرة ، وإلى الخسران كان مصيره ، فقد نص في « المعيار » وغيره على أن الإنسان يقام من المدرسة بعد عشرين سنة إذا لم تحصل له نتيجة في فن من الفنون ، والله أعلم اهـ مشرفي .

محمدُ بنُ حسنٍ الجزائري

قال الجبرتي في وفيات سنة ١١٨٧ : ومات العمدة الشاب الصالح الشيخ محمد بن حسن الجزائري ، ثم المدني الحنفي الأزهري .

ولد بمكة إذ كان والده تاجراً بالحرمين في حدود الستين ، وقدِم به إلى مصر فلازم الشيخ حسن المقدسي مفتي الحنفية ملازمة كلية ، وانضوى إليه فقرأ عليه المتون الفقهية ، ودرجه في أدنى زمن إلى معرفة طرق الفتوى ، حتى كان معيداً لدروسه وكاتباً لسؤالاته ، وربما كتب على الفتوى بإذن شيخه ، وفي أثناء ذلك حضر في المعقول على الشيخ الصعيدي ، والشيخ البيلي ، والشيخ محمد الأمير ، وغيرهما من مشايخ الوقت ، وحصل طرفاً من العلوم ، وصارت له الشهرة في الجملة ، وأعطاه شيخه تدريس الحديث بالصرغتمشية ، فكان في كل جمعة يقرأ فيه البخاري ، وزوجه امرأة موسرة لها بيت بالأزبكية ، وبعد وفاة شيخه تصدر للإقراء في محله ، وصار ممن يُشار إليه ، ولم يزل حتى مات في عنفوان شبابه ، ويقال : إن زوجته سمته (سنة ١١٨٧) .

محمدُ بنُ الحسنِ القلعي

[٢٤٤] الأستاذ النحوي المحصل التاريخي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي ابن ميمون التميمي القلعي من قلعة بني حماد . كان جده ميمون قاضياً فيها .

نشأ بالجزائر وقرأ بها ، وانتقل إلى بجاية مستوطناً ، وبها قرأ وبرع ، ولقي فيها مشايخ منهم الشيخ أبو الحسن الحرالي ، والفقيه أبو الحسن بن أبي نصر ، والفقيه أبو بكر بن محرز ، والفقيه أبو المطرف بن عميرة ، وأبو زيد ابن السطاح وغيرهم ، وقرأ بالجزائر على أبي عبد الله بن منداس ، وغيره .

كان في علم العربية بارعاً مقدماً محكماً لفنونها الثلاثة : النحو واللغة والأدب ، وكان له درس يحضره من الطلبة فضلاؤهم ونبهاؤهم ، وتجري فيه المذاكرة المختلفة في التفسير والحديث وأبيات الغريب وغيرها ، وتمضي في ذلك من المعاني المنقحة ما لا يكاد أن يوجد مثله في نوادر الكتب وكان رحمه الله قوياً في علم التصريف ، ومحباً في التعليل ، وكان جارياً فيه على سند أبي الفتح ابن جني ، وكان كثير التلامذة والأصحاب ، وتُقرأ عليه جميع الكتب النحوية واللغوية والأدبية ، ويقوم على جميعها أحسن قيام .

قال الغبريني : وهو أفضل من لقيتُ في علم العربية ، لزمتُ عليه القراءة ما ينيف على أعوام ، واستمتعتُ به كثيراً ، واستفدتُ منه كبيراً ، قرأتُ عليه « الإيضاح » من فاتحته إلى خاتمته ، وقرأتُ عليه قدر النصف من « كتاب سيبويه » وقرأتُ عليه قانون أبي موسى الجزولي ، وقرأت جملة من الأمالي ، ومن « زهر الآداب » ، ومن المقامات ، وقصائد متخيرات من شعر حبيب ومن شعر المتنبي ، وحضرت قراءة « المفصَّل » ومضى الميعاد في مدة قراءتي عليه أضعاف أضعاف ما قرأته عليه .

وله كتاب سماه بـ « الموضح في علم العربية النحو » وله « تنقيح القانون » و« نشر الخفي في مشكلات أبي علي » وهو على الإيضاح ، وكان يؤثر كتاب « الإيضاح » على غيره من الكتب .

وكان فيه فضل وسخاء ومروءة وإنجاب ، وكانت يده ويد الطلبة في كتبه سواء لا مزية له عليهم فيها ، وكان في ذلك على نحو قول الأول :

كُتبي لأهلِ العلمِ مبذولةٌ * يدي مثلُ يدهِم فيها
فإنَّها يا محسنُ كُتبُهم * وظيفةُ الأشياخِ نُمضيها

وكان سخي الدمع سريع العبرة ، سمعته يقول : إنه رأى رب العزة جل جلاله في المنام ، فقال له : يا محمد قد غفرت لك ، فقال : يا رب وبماذا ؟ قال : بكثرة دموعك . وكان بارع الخط حسن الشعر ، ومن نظمه رحمه الله في الزهد ومدح النبي ﷺ :

أمِنْ أجلِ أنْ بانوا فؤادُك مُغرَمُ * وقلبُكَ خفَّاقٌ ودمعُكَ مُسجِمُ
وما ذاكَ إلَّا أنَّ جسمَكَ منجِدٌ * وقلبُكَ مَعَ مَنْ سارَ في الرُّكبِ مُتهِمُ
[٢٤٥] ومن قائلٍ في نظمه متعجباً * وجسمٍ بلا قلبٍ فكيفَ رأيتُمُ
ولا عجبٌ أنْ فارقَ الجسمَ قلبُهُ * فحيثُ ثوى المحبوبُ يثوي المتيَّمُ
وما ضرَّهم لو ودَّعوا يوم أودعوا * فؤادي بتذكاري الصَّبابة يُضرَمُ
عساهم كما أبدوا صُدوداً وجَفْوَةً * يعودون للوصلِ الذي كُنتُ أعلَمُ
وإنِّي لأدعو اللهَ دعوةَ مذنبٍ * عسى أنظرُ البيتَ العتيقَ وألثُمُ
فيا طولَ شوقي للنبيِّ وصحبِهِ * ويا شدَّ ما يلقى الفؤادُ ويكتُمُ
توهَّمتُ مِن طولِ الحسابِ وهولِهِ * وكثرةِ ذنبي كيفَ لا أتوهَّمُ
وقد قلتُ حقاً فاستمِعْ لمقالتي * فهل تائبٌ مثلي يصيخُ ويفهَمُ
وذلكَ في القرآن أوضحُ حجَّة * وما ثَمَّ إلا جنَّةٌ أو جهنَّمُ

إليكَ رسولَ اللهِ أرفعُ حاجتي * فأنتَ شفيعُ الخلقِ والخلقُ يرسمُ
فقد سارتِ الركبانُ واغتنموا المنى * وإني مِن دونِ الخلائقِ مُحرَمُ
فيا سامعَ الشكوى أقلني عثرتي * فإنك يا مولاي تعفو وترحَمُ
ويا سامعيّ استوهبوا لي دعوة * عسى عطفةٌ مِن فضلهِ تُتَنسَّمُ
وهبني عصيت الله جهلاً وصبوة * فمن يقبل الشكوى ومن يترحمُ
وقد أثقلَتْ ظهري ذنوبٌ عظيمةٌ * ولكنَّ عفوَ اللهِ أعلى وأعظَمُ
وأختِمُ نظمي بالصلاةِ مردِّداً * على خيرِ خلقِ اللهِ ثُمَّ أُسلِّمُ

ومن شعره أيضاً في هذا المعنى :

الخُبْرُ أصدقُ في المرأى من الخَبَرِ * فمهِّدِ العُذرَ ليسَ العينُ كالأثرِ
واعمَلْ لأخرى ولا تبخَلْ بمكرُمةٍ * فكُلُّ شيءٍ على حدٍّ إلى قَدَرِ
وخلِّ عن زمنٍ تخشى عواقبُهُ * إنَّ الزمانَ إذا فكَّرتَ ذو عبَرِ
وكلُّ حيٍّ وإن طالَتْ سلامتُهُ * يغتالُهُ الموتُ بينَ الوردِ والصدَرِ
هو الحِمامُ فلا تُبعدْ زيارتَهُ * ولا تقُلْ ليتني منهُ على حَذَرِ
يا ويحَ مَنْ غرَّهُ دهرٌ فسُرَّ بهِ * لم يُخلصِ الصفو إلا شيبَ بالكدرِ
انظر لمنْ تنظُرْ آيةً عجباً * وعبرةً لأولي الألبابِ والعِبَرِ
أينَ الأُلى جنَّبوا خيلاً مسوَّمةً * وشيَّدوا إرماً خوفاً من القَدَرِ
لم تُغنهم خيلُهم يوماً وإن كَثُرَتْ * ولم تُفِدْ إرماً للحادثِ النكرِ
بادوا فعادوا حديثاً إنَّ ذا عَجَبٌ * ما أوضحَ الرشدَ لولا سيء النظرِ
تنافسَ الناسُ في الدنيا وقد علموا * أنَّ المُقامَ بها كاللَّمحِ بالبَصَرِ
أودى بداراً وأودى بعدُ ذا يزنٍ * وفلْ عنترْ هرقل إنَّهُ لَحَرِ
لم يفدِهِ شيئَهُ مالٌ ولا ولدٌ * ومزَّقتهُ يدُ التَّشتيتِ في الأثَرِ
وفكِّرَنْ في ملوك العربِ مِن يَمَنٍ * ولتعتبِرْ بملوكِ الصِّينِ من مُضَرِ
أفناهُمُ الدَّهرُ أولاهُم وآخرهم * لم يبقَ منهم سوى الأسماءِ والسِّيَرِ

[٢٤٦] وكان يسلك في شعره على طريق حبيب بن أوس ، وكان صاحبه أبو عبد الله الجزائري يسلك في شعره سلوك المتنبي ، وكانا يتراسلان الأشعار ، وكل واحد منهما على طريقته ، فكان الأستاذ رحمه الله ينحو نحو حبيب ، والأديب أبو عبد الله الجزائري ينحو نحو المتنبي ، ولولا الإطالة لأتيت من شعر كل واحد منهما ما يستظرف معناه ويروق محياه .

وشهرته بالأديب سمّاه بذلك الشيخ أبو الحسن الحرالي ، وذكر أن سبب هذه التسمية أنه جرى بين يدي الشيخ رضي الله عنه ما قاله الرجل : وأترك الريحان برحمة الرحماء للعاشقين ، وتكلم في معناه فقال بعض من حضر : أشار إلى العذار لأن ولوع القائل كان به ، قال : فقلت : إنما أشار إلى دوام العهد ، لأن الأزهار كلها تنقضي أزمانها ، والريحان يدوم عهده ، فاستحسن ذلك الشيخ رحمه الله ، وقال : أنت أديب ، فجرى عليه اسم الأديب ، وهو أكثر الناس شعراً ، وقد شرع في تدوين شعره في عام ثلاثين وست مئة (٦٣٠) ، وهو في كل عام يقول منه ما يكتب في ديوان ، وعاش بعد شروعه في تدوين شعره ثلاثة وأربعين سنة ، ولو تم له تدوينه لكان في مجلدات كثيرة ، ولكن بأيدي الناس منه كثير ، وتواشيحه حسنة جداً .

وتوفي رحمه الله ببجاية عام ثلاثة وسبعين وست مئة (٦٧٣) .

مُحمدُ بنُ حسنٍ التلمساني

محمد بن حسن بن محمد اليحصبي أبو عبد الله ، يعرف بابن الباروني ، من أهل تلمسان .

أخذ بفاس عن أبي الحسن الصغير وأبي زيد الجزولي ، والأستاذ يوسف الجزولي ، وأبي زيد الرجراجي ، وحضر « الموطأ » على المزدغي ، وكان من

صدور الفقهاء .

توفي بتلمسان ثالث عشر شوال سنة أربع وثلاثين وسبع مئة (٧٣٤) .

هكذا كتبه لي صاحبنا محمد بن يعقوب الأديب رحمه الله ، وفي مشيخة المقري : محمد بن حسين البروني الشيخ أبو عبد الله قدم علينا من الأندلس وأقام بتلمسان إلى أن مات ، وسمعته يقول : البقر العدوية كالإبل المهملة في الصحراء ، لا يجوز بيعها بالنظر إليها ، لكن بعد أن تمسكها وتستولي عليها اه فتأمله أهو الذي قبله أم لا .

[٢٤٧] مُحمَّدُ بنُ حواءِ المستغانمي

الإمام والقدوة الهمام من ألقت إليه العلوم العربية زمامها ، ونشرت عليه المعارف القدسية أعلامها حتى تضلع من عذب مواردها وارتوى ، الولي الشهير سيدي محمد بن حواء هكذا شُهر بأمه ، وإلا فهو سيدي محمد بن قدار بن الجيلاني بن عبد الله بن أحمد التوجيني نسباً المستغانمي منشأ وداراً .

كان رحمه الله ورضي عنه ممن جمع الله له بين العلم والعمل ، فنال بذلك عند الله الرتبة العليا والمقام الأمثل ، وله يد طولى وولوع بالمنظوم ، فإذا نظم فخل عنك اللآلي وزهر النجوم ، فمن منظوماته الشهيرة البديعة غوثيته الكبرى التي هي في الشدائد حصن منيع ، وهي تحتوي من الأبيات على أربع مئة أولها :

يقـــولُ راجي ربِّـــه العفـــو * مُحمّد الشهيرُ بابنِ حـــــوّا
الحمدُ للهِ العظيـــــمِ الطَّـــوْلِ * الواسعِ الجودِ العميمِ الفضـــلِ
الصـــــادقِ الوعـــدِ اللطيـفِ البَرِّ * المستجيـــــبِ دعـــوةِ المضطـــرِ

إلى أن قال :

ثَمَّتَ أهدي للرسولِ الخاتـــمِ * أزكى الصلاةِ والسَّلامِ الـــدائمِ

محمدِ المحمودِ ماحي الكفـــرِ * سبب كُـلِّ مِنْحَـةٍ وخـــيرِ
سلطانِ أهلِ حضرةِ القدُّوســـــ * الرافعِ المسخ وكُلِّ بُـــوسِ
روحِ الوجودِ باذلِ الموجـــودِ * أسنى القصودِ كعبـةِ الوفـــودِ
ومطلعِ الأنورِ والمعـــــارفِ ومنبعِ الأســـرارِ واللطـائفِ
وعُنصرِ العلومِ والعرفـــــانِ * وقدوةِ الأقطـــابِ والأعيـانِ

إلى أن قال :

وبعـــدُ فالدُّعـــا ســلاحُ المؤمنِ * وجنَّـــةٌ حصينـــةٌ للموقـنِ
لا سيَّمـــا إن حَصَـــلَ اختـلال * في الدينِ والفتنِ والأهـــوال

إلى أن قال :

يا سامـــعَ الدُّعاءِ يا قديـــرُ * يا مَنْ إليهِ ترجـعُ الأمـــورُ
يا مالكَ الملوكِ يا جبـــارُ * انصُرْ ذليـــلاً ما لـهُ أنصـــارُ

إلى آخره .

وله منظومة عجيبة سماها « سبيكة العقيان فيمن في مستغانم وأحوازها من العلماء الأعيان » لكنها لم تحضرني ولا استحضرت طالعتها الآن ، وذكر لي بعضهم أن له تأليفاً في فن الحكمة لم أقف عليه ، كان رحمه الله تعالى من أعيان أواخر القرن الثاني عشر ، كما يعلم من تاريخه لفراغه من الغوثية المذكورة بأواخر جمادى الثانية عام سبعة وستين ومئة وألف (١١٦٧) .

وأما تاريخ وفاته فلم أقف عليه ، ومدفنه بفحص البلد خارج السور بمستغانم ، وعليه قبة مشهورة ، ويتبرك بقبره ويُزار ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

[٢٤٨] محمدٌ الحفصي القسنطيني

الشيخ أبو عبد الله محمد الحفصي .

كان عالماً عارفاً بارعاً في المنقول والمعقول ، حافظاً الحديث مدركاً لرقائقه وعلله ورجاله .

أخذ عن الشيخ صالح الكواشي بتونس ، ورجع لقسنطينة فتولى القضاء ، وألّف حاشية عظيمة على « السلّم » في المنطق ، وله تقاييد في سائر الفنون توفي في حدود سنة ١٢٢٦ .

مُحمدُ بنُ الخضر الاغريسي

الفقيه الشريف العالم المنيف المسن البركة أبو عبد الله سيدي محمد بن الخضر الاغريسي الحسني . كان رحمه الله فقيهاً مدرساً يقرأ مع بعض الطلبة ما تيسر بجامع الرصيف وغيره ، ويؤم بجامع أعلا عقبة بن صوال ، وكان مسناً أشيب ضعيف الصوت جداً ، لا يكاد يسمعه من يليه .

توفي ثامن عشر رمضان المعظم سنة اثنتين وتسعين ومئتين وألف ، ودفن بالفدان المذكور قريباً من قبة سيدي علي ، وبني عليه شاهد صغير وجعل بوسطه تاريخه .

مُحمَّدُ بنُ خميسٍ التلمساني

قال لسان الدين ابن الخطيب في « عائد الصلة » في حق أبي عبد الله محمد ابن خميس التلمساني المذكور ما صورته : كان رحمه الله تعالى نسيج وحده زهداً وانقباضاً وأدباً وهمة ، حسن الشيبة جميل الهيأة سليم الصدر قليل التصنع ،

بعيداً عن الرياء ، عاملاً على السياحة والعزلة ، عارفاً بالمعارف القديمة مضطلعاً بتفاريق النِّحَل ، قائماً على العربية والأصلين ، طبقة الوقت في الشعر ، وفحل الأوان في المطول ، أقدر الناس على اجتلاب الغريب ، ثم ذكر من أحواله جملة إلى أن قال : وبلغ الوزير أبا عبد الله بن الحكيم أنه يروم السفر فشق ذلك عليه ، وكلفه تحريك الحديث بحضرته ، وجرى ذلك فقال الشيخ : أنا كالدم أتحرك في كل ربيع . انتهى .

[٢٤٩] وقال ابن خاتمة في « مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية » : أنه نظم في الوزير ابن الحكيم القصائد التي حليت بها لبات الأفاق ، وتنفست عنها صدور الرفاق ، وكان من فحول الشعراء وأعلام البلغاء ، يرتكب مستصعبات القوافي ويطير في القريض مطار ذي القوادم الباسقة والخوافي ، حافظاً لأشعار العرب وأخبارها ، وله مشاركة في العقليات واستشراف على الطلب ، وقعد لإقراء العربية بحضرة غرناطة ، ومال بأخرة إلى التصوف والتجوال والتحلي بحسن السمت ، وعدم الاسترسال بعد طي بساط ما فرط له في بلده من الأحوال ، وكان صَنْعَ اليدين .

حدثني بعض من لقيت من الشيوخ أنه صنع قدحاً من الشمع على أبدع ما يكون في شكله ولطافة جوهره وإتقان صنعته ، وكتب بدائر شفته :

وما كنتُ إلَّا زهرةً في حديقةٍ * تبسَّمُ عني ضاحكاتُ الكمائمِ
تنقَّلتُ مِن طورٍ لطورٍ فها أنا * أقبِّلُ أفواهَ الملوكِ الأعاظمِ

وأهداه خدمة للوزير أبي عبد الله بن الحكيم ، وأنشدنا شيخنا القاضي أبو البركات بن الحاج ، وحكى لنا قال : أنشدني أبو عبد الله بن خميس ، وحكى لي قال : لما وقفت على الجزء الذي ألفه ابن سبعين وسماه بالفقيرية كتبتُ على ظهره :

الفقـــرُ عندي لفظٌ دقَّ معنـــــاهُ * من رامَهُ مِن ذوي الغاياتِ عِنَّاهُ
كَمْ مِن غبيٍّ بعيدٍ عن تصـــــوُّرِهِ * أرادَ كشـفَ معمَّاهُ فعمَّـــــاهُ

وأنشدنا شيخنا الأستاذ أبو عثمان بن لبون غير مرة قال : سمعت أبا عبد الله ابن خميس ينشد ، وكان يحسب أنهما له ، ويقال : إنهما لابن الرومي :

رُبَّ قومٍ في منازلِهِـــــــــم * غُرر صاروا بهـــا غـــــــررا
ستَـــرَ الإحســـــانُ ما بهـــــم * سترى لو زالَ ما ستـــــــرا

ثم قال ابن خاتمة : وقدجمع شعره ودونه صاحبنا القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي في جزء سماه « الدر النفيس في شعر ابن خميس » وعرف به صدره ، وقدم ابن خميس المرية سنة ست وسبع مئة فنزل بها في كنف القائد أبي الحسن بن كماشة من خدام الوزير ابن الحكيم ، فوسع له في الإيثار والمبرة ، وبسط له وجه الكرامة طلق الأسرة وبها قال في مدح الوزير المذكور قصيدته التي أولها :

العشي تعيـــا والنوابِـــــــغْ * عن شُكرِ أنعمكِ السوابِـــــغْ

ووجه بها إليه وهي طويلة ومنها :

ودسائع ابن كماشـــــــــةٍ * مـعَ كُـلِّ بازغـــةٍ وبـــازغْ
تأتي بما تهـــوى النفـــــــا * نـــغُ مِن شهيَّاتِ اللغالـــــغْ

ومنها :

ما ذاقَ طعـــــمَ بلاغـــــةٍ * مَنْ ليسَ للحُوشيِّ ماضِـــــغْ

[٢٥٠] ويقال : إن الوزير اقترح عليه أن ينظم قصيدة هائية فابتدأ منها مطلعها وهو قوله :

لمنِ المنازلُ لا يُجيـــبُ صداهـــــا * مُحيَتْ معالِمُها وصُـــمَّ صَداهـــا

وذلك آخر شهر رمضان من سنة ثمان وسبع مئة ، ثم لم يزد على ذلك إلى أن توفي رحمه الله تعالى فكان آخر ما صدر عنه من الشعر ، وقد أشار معناه إلى منعاه ، وآذن أولاه بحضور أخراه ، وكانت وفاته بحضرة غرناطة قتيلاً ضحوة يوم الفطر مستهل شوال سنة ثمان وسبع مئة (٧٠٨) وهو ابن نيف وستين سنة ، وذلك يوم مقتل مخدومه الوزير ابن الحكيم ، أصابه قاتله بحقده على مخدومه ، وكان آخر ما سمع منه : أتقتلون رجلاً أن يقول : ربي الله ، واستفاض من حال القاتل أنه هلك قبل أن يكمل سنة من حين قتله من فالج شديد أصابه ، فكان يصيح ويستغيث : ابنُ خميس يطلبني ، ابنُ خميس يضربني ، ابنُ خميس يقتلني وما زال الأمر يشتدُّ به حتى قضى نحبه على تلك الحال ، نعوذ بالله من الورطات ومواقعات العثرات انتهى ملخصاً .

(وحكى) غيره أن بعضهم كتب بعد قوله : لمن المنازل لا يجيب صداها ما نصه لابن الحكيم : ومن بديع نظم ابن خميس قوله :

تُراجعُ مِن دنياكَ ما أنتَ تاركُ * وتسألُها العتُبى وها هي فـــارِكُ
تُؤمِّلُ بعدَ الترْكِ رجعَ وِدادِها * وشرُّ وِدادٍ ما تَـــوَدُّ الترائـــكُ
حلا لك منها ما حلا لك في الصِّبا * فأنتَ عـــلى حَلوائِـــهِ متهالِكُ
تظاهَـــرُ بالسّلوانِ عنها تجمُّـــلاً * وقلبكَ محزونٌ وثغرُكَ ضاحِكُ
تنزَّهتَ عنها نخـــوةً لا زهـــادةً * وشعر عذاري أسودُ اللـــونِ حالِكُ

وهي طويلة طنانة في آخرها يقول :

فلا تدعـــوَنْ غيري لدفـــع مُلمَّةٍ * إذا ما دهى مِن حادثِ الدهرِ داهكُ
فما إنْ لذاك الصوتِ غيريَ سامِعٌ * وما إن لبيتِ المجدِ بعديَ سامِكُ
يُنُصُّ ويشجى نهشلٌ ومجاشـــعٌ * بما أورثتني حِميرٌ والسَّكـــاسك
نفارقني الروحُ التي لستُ غيرَها * وطِيبُ ثنائي لاصقٌ بي صائِكُ

وما ذا عسى ترجو لِداتي وأرتجـــي * وقد شمطَتْ مني اللِّحى والأفانِكُ
يعودُ لنا شرخُ الشبابِ الذي مضى * إذا عادَ للدُّنيا عقيلٌ ومالِـــكُ

ومما اشتهر من نظمه قوله :

أرَّقَ عيني بارقٌ مِـنْ اثـــالْ * كأنَّـــهُ في جنحِ ليلي ذبـــالْ
أثارَ شوقاً في ضميرِ الحشـــا * وعبرتي في صحن خـدي أسالْ
حكـى فؤادي قلقـاً واشتعـالْ * وجفن عيني أرقاً وانهمـــالْ
[٢٥١] جوانـحٌ تَلْفَـحُ نيرانهـــا * وأدمـعٌ تنهـلُ مثـلَ العـزالْ
قولوا وشاةَ الحُـبِّ ما شئتُـمُ * ما لذةُ الحُـبِّ سوى أنْ يُقـالْ
عـــذراً لِلـوَّامي ولا عـذرَ لي * فزلةُ العالِـم ما إن تقـــالْ
قُمْ تطـردِ الهمَّ بمشمولـةٍ * تُقصِرُ الليلَ إذا الليـلُ طـالْ
وعاطها صفـــراءَ ذِمِيَّـــةً * تمنعُهـــا الذِّمَّـةُ مِن أنْ تُنـالْ
كالمسكِ ريحاً واللَّمـى مطعماً * والتِّبر لوناً والهوى في اعتـدالْ
عتَّقها في الدَّنِّ خمَّارُهـــا * والبِكرُ لا تعرفُ غيـرَ الحجـالْ
لا تُثقبِ المصباحَ لا واسقنـــي * على سنى البرقِ وضوءِ الهِـلالْ
فالعيشُ نومٌ والردى يقظـةٌ * والمرءُ ما بينهما كالخيـــالْ
خُذها على تنغيم مسطارِهـــا * بين خوابيها وبينَ الـــدوالْ
في روضةٍ باكرَ وسميُّهـــا * أخملَ دارِينَ وأنســـى أوالْ
كأنَّ فأْرَ المِسكِ مفتوحَـــةً * فيها إذا هبَّت صبا أو شِمـالْ
مِن كفِّ ساجي الطرف ألحاظه * مفوقاتٌ أبـــداً للنضـــالْ
مَن عاذري والكُـــلُّ لي عـاذرٌ * مِن حَسَنِ الوجهِ قبيحِ الفِعـالْ
مِن خُلْفِ الوعـدِ كذَّابِـــهِ * لَيَّان لا يعـرفُ غيرَ المطـالْ
كأنَّـهُ الدهـرُ وأيُّ امـرىءٍ * يبقى على الدهرِ إذا الدهرُ حـالْ
أما تراني آخـذاً ناقضـــاً * عليه ما سوّغني مِـن مُحـالْ

ولم أكُـنْ قطُّ لـهُ عائبـاً * كمثلِ ما عابتْـهُ قبلي رجـالْ
يأبـى ثـراء المالِ علمي وهَـلْ * يجتمعُ الضِّدانِ علـمٌ ومـالْ
وتأنـفُ الأرضُ مقامـي بها * حتى تهاداني ظهورُ الرحـالْ
لولا بنـو زيَّانَ ما لذَّ لي الـ * ـعيشُ ولا هـانَتْ عليَّ الليـالْ
هم خوَّفـوا الدهـرَ وهم خفَّفوا * على بني الدنيا خطـاه الثِّقـالْ
لقيتُ من عامرِهـم سيِّـداً * غمرَ رداءِ الحمدِ جمَّ النَّـوالْ
وكعبـةً للجودِ منصوبـةً * يسعى إليها الناسُ مِن كـلِّ بالْ
خذها أبا زيَّانَ مِن شاعـرٍ * مُستملَحِ النزعةِ عذبِ المقـالْ
يلتقطُ الألفاظَ لقطَ النَّـوى * وينظِـمُ الآلاء نظـمَ اللآلْ
مجارياً مهيارَ في قولِـهِ * ما كنتُ لولا طمعي في الخيـالْ

وقصيدة مهيار مطلعها :

ما كنتُ لولا طمعي في الخيـالِ * أنشد ليلى بينَ طـولِ الليـالي

ومن نظم ابن خميس قوله :

نظرَتْ إليكَ بمثلِ عَينَي جُـؤذُرٍ * وتبسَّمتْ عَن مثلِ سمطي جوهرِ
عَن ناصعٍ كالـدُّرِّ أو كالبرقِ أو * كالطَّلعِ أو كالأُقحوانِ مُؤشـرِ
تجري عليهِ من لَماها نطفـةٌ * بَـلْ خمرةٌ لكنَّهـا لم تُعصَرِ
[٢٥٢] لو لم يكُنْ خمراً سُلافـاً ريقُها * تُزري وتلعـبُ بالنُّهـى لم تخطرِ
وكذاكَ ساجي جفنِها لو لم يكُـنْ * فيهِ مهنَّدُ لحظِها لم يُحـذرِ
لو عجتَ طرفكَ في حديقةِ خدِّها * وأمِنتَ سطوةَ صُدغِها المُتنمِّـرِ
لرتعـتَ مِن ذاكَ الحمى في جنةٍ * وكرعتَ مِن ذاكَ اللَّمى في كوثرِ
طرقَتْكَ وهناً والنجومُ كأنَّهـا * حصباءُ درٍّ في بساطٍ أخضـرِ
والركبُ بينَ مصعِّدٍ ومصـوِّبٍ * والنومُ بينَ مسكَّنٍ ومنفَّـرِ

بيضا إذا اعتكرت ذوائبُ شعرهـــا * سفرَتْ فأزرَتْ بالصباحِ المسفِرِ
سرحَتْ غلائِلُها فقلتُ سبيكَـةٌ * مِن فضةٍ أو دميـةٌ مِـن مرمرِ
منحَتْكَ ما منعَتْكَ يقظاناً فلم * تخلُفْ مواعِدَها ولم تتغيَّـــرِ
وكأنَّما خافَتْ بُغاةَ وُشاتِهـــا * فأتَتْكَ مِن أردافِها في عسكـــرِ
وبجزعِ ذاكَ المنحنى أُدمانـــةٌ * تعطو فتسطو بالهزَبـــرِ القسورِ
وتحيـةٌ جاءَتْكَ في طيِّ الصَّبا * أذكى وأعطر مِن شميمِ العنـبرِ
جرَّتْ على واديكَ فضلَ ردائِها * فعرفْتَ فيها عَرف ذاك الإذخرِ
هاجَتْ بلابلُ نازحٍ عَن إلفـهِ * متشوِّقٍ ذاكي الحشى متسعِّـرِ
وإذا نسيتِ ليالِيَ العهدِ التـــي * سلفَتْ لنا فتذكَّريها تذكـــري
رُحنا تُغنينا ونرشف ثغـــرَها * والشمسُ تنظُر مثلَ عينِ الأخـزرِ
والروضُ بينَ مفضَّضٍ ومعسجـدٍ * والجوُّ بينَ ممسَّكٍ ومعصفَـــرِ

وكان السلطان أمير المؤمنين أبو عنان المريني رحمه الله تعالى كثير العناية بنظم ابن خميس وروايته ، قال رحمه الله تعالى : أنشدنا القاضي خطيب حضرتنا العلية أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بقصر المصارة ـ يمنه الله ـ قال : أنشدنا بلفظه شيخ الأدباء فحل الشعراء أبو عبد الله بن خميس لنفسه :

أنبَتُ ولكِنْ بعدَ طولِ عتـابِ * وفرطِ لجاجٍ ضاعَ فيـهِ شبـابي
وما زلتُ والعلياءُ تُغني غريمهـا * أُعلِّلُ نفسي دائماً بمتـــابِ
وهيهاتَ مِن بعدِ الشبابِ وشرخِهِ * يلَـذُّ طعامي أو يسوغُ شرابي
خُدعتُ بهذا العيشِ قبلَ بلائـــهِ * كما يُخدَعُ الصادي بلَمْـعِ سرابِ
تقولُ هو الشهدُ المشورُ جهالـةً * وما هو إلا السمُّ شِيبَ بصَـابِ
وما صَحِبَ الدنيا كبكـرٍ وتغلبٍ * ولا ككليبٍ ريء فحـلُ ضِرابِ
إذا كعَّتِ الأبطالُ عنها تقدَّمـوا * أعاريبَ غُراً في متونِ عِـرابِ

وإن نابَ خطبٌ أو تفاقَم مُعضِلٌ * تلقَّاهُ منهم كلُّ أصيدَ نـابِ
تراءتْ لجسَّاسٍ مخيلـةُ فرصةٍ * تأتَّتْ لهُ في جيئة وذهـابِ
فجاء بها شوهاءَ تُنذِرُ قومَهـا * بتشييدِ أرجـامٍ وهدمِ قبـابِ
[٢٥٣] وكانَ رغاءُ الصَّقبِ في قومِ صالح * حديثاً فأنساهُ رغاءُ سـرابِ
فما تسمعُ الآذانُ في عرصاتهـم * سوى نوحِ ثكلى أو نعيبِ غُرابِ
وسَلْ عروة الرحَّالَ عن صدق بأسهِ * وعَن بيتهِ في جعفرِ بنِ كِلابِ
وكانَتْ على الأملاكِ منهُ وِفادةٌ * إذا آبَ منها آبَ خيرَ مَـآبِ
يُجيرُ على الحيَّينِ قيسٍ وخنـدفٍ * بفضلِ يسارٍ أو بفضلِ خِطـابِ
زعامةُ مرجوِّ النَّوالِ مُؤمَّـلٍ * وعزمة مسموعِ الدُّعـاءِ مُجـابِ
فمرَّ يزجِّيها حواسرُ ظُلَّعـاً * بما حملوها مِن مُنَى ورغـابِ
إلى فدكٍ والموتُ أغربُ غايـة * وهذا المنى يأتي بكـلِّ عُجـابِ
تبرَّضَ صفو العيشِ حتى استشفَّهُ * فدافَ له البرَّاضُ قشب حبـابِ
فأصبحَ في تلكَ المعاطفِ نهـزةً * لنهبِ ضباعٍ أو لنهشِ ذِئـابِ
وما سهمُـهُ عندَ النصالِ بأهـزعٍ * ولا سيفُهُ عندَ الصراعِ بنـابي
ولكنَّها الدنيا تَكُرُّ على الفتـى * وإن كانَ منها في أعـزِ نصابِ
وعادتُها أن لا توسِّطَ عندَهـا * فإمَّا سماءٌ أو تخـومُ تُـرابِ
فلا تَرْجُ مِن دُنياكَ وُدّاً وإن يكُـنْ * فما هو إلَّا مثلُ ظِلِّ سحـابِ
وما الحزمُ كلُّ الحزمِ إلا اجتنابُهـا * فأشقى الورى مَنْ تصطفي وتُحابي
أبيتُ لها ما دامَ شخصي أن تُرى * تمرُّ ببابـي أو تطـور جنابي
فكم عطَّلتْ مِن أربعٍ وملاعـبٍ * وكم فرَّقَـتْ من أسرةٍ وصحـابِ
وكم عفَّرَتْ مِن حُسَّرٍ ومُدجَّجٍ * وكم أثكلَتْ مِن مُعْصِرٍ وكِعابِ
إليكم بني الدنيا نصيحـةُ مُشفِقٍ * عليكم بصيرٍ بالأُمورِ نقـابِ
طويلِ مراسِ الدهر جذلٍ مماحكٍ * عريضٍ مجالَ الهمِّ جِلسِ ركابِ

تأتّتْ لهُ الأهوالُ أدهمَ سابقاً * وغصَّتْ به الأيامُ أشهبَ كابي
ولا تحسبوا أني على الدهرِ عاتبٌ * فأعظمُ ما بي منهُ أيسرُ ما بـي
وما أسفي إلا شبابٌ خلعتُـــه * وشيبٌ أبى إلاَّ نُصولَ خِضـــابِ
وعمرٌ مضى لم أحلَ منـــهُ بطائـلٍ * سوى ما خلا مِن لوعةٍ وتصابي
ليالي شيطاني على الغيِّ قـــــادرٌ * وأعذبُ ما عنـــدي أليـمُ عذابِ
عكسنا قضايانا على حُكمِ عادِنا * وما عكسُها عندَ النُّهـى بصـوابِ
على المصطفى المختارِ أزكى تحيـةٍ * فتلكَ التي أعتـــدُّ يـــومَ حِسابِ
فتلكَ عتادي أو ثناءٌ أصوغُـــهُ * كَدَرٌّ سحابٍ أو كَـدُرٌّ سخابِ

ومن مشهور نظم ابن خميس قوله :

عجباً لها أيذوقُ طعمَ وِصالِهـــــا * مَن ليسَ يأملُ أن يمـرَّ ببالِها
وأنا الفقيرُ إلى تعلّـةِ ساعـــةٍ * منها وتمنعُنـي زكـــاة جمالِهـــا
كم ذادَ عَنْ عيني الكـرا مُتألّـــقٌ * يبدو ويخفى في خفيٍّ مِطالِهـــا
[٢٥٤] يسمو لها بدرُ الدُّجـــى متضائـلاً * كتضاؤلِ الحسناءِ في أسمالِهـــا
وابنُ السبيلِ يجيءُ يقبسُ نارَها * ليـــلاً فتمنحُـــه عقيلةَ مالِهـــا
يعتادُني في النومِ طيفُ خيالِها * فتُصيبني ألحاظُها بنبالِهـــــا
كم ليلةٍ جادَتْ به فكأنَّمـــا * زُفَّتْ عليَّ ذُكاءُ وقتَ زوالِهـــا
أسرى فعطَّلَها وعطَّـلَ شُهبَهـا * بأبي شذا المعطارِ مِن مِعطالِهـا
وسوادُ طُرَّتِـــهِ كجُنح ظلامِها * وبياضُ غُرَّتِهِ كَضوءِ هِـــلالِها
دعني أَشِمْ بالوَهْمِ أدنى لمعـةٍ * مِن ثغرِها وأشمُّ مسكـةَ خالِهـــا
ما رادَ طرفي في حديقـــةِ خدِّها * إلَّا لفتنتِـــهِ بحُسْـــنِ دلالِهـــا
أنسيبَ شعري رقَّ مثلَ نسيمِهـــــا * فشَمول راحك مثلَ ريح شمالِها
وانقلْ أحاديثَ الهوى وأشرح غريـ * ـبَ لغاتِها واذكُرْ ثقاتَ رجالِها

وإذا مررتَ برامةٍ فتوقَّ مِـن * أطلائِها وتمشَّ في أطلالِهـــا
وانْصِبْ لمغزِلِها حبالةَ قانـــصٍ * ودعِ الكرا شَرَكاً لصيـدِ غزالها
وأسِلْ جداولَها بفيضِ دموعِهـا * وانضَحْ جوانِحها بفضلِ سِجالها
أنا مِن بقيَّةِ معشرٍ عَرَكَتْهُـمُ * هذي النوى عركَ الرحى بثفالِها
أكرِمْ بها فئةً أُريقَ نجيعُهـا * بغياً فراق العين حُسْن مآلِهـا
حلَّتَ مُدامـةُ وصلِها وحَلَتْ لهم * فإن انتشَوا فبحُلْوِها وحلالِهـا
بلغَتْ بهرمسَ غايـةً ما نالَهـا * أحـدٌ وناءَ لها لبُعـدِ منالِهـا
وعدَتْ على سُقراطَ سـورةُ كأسِها * فهريقَ ما في الدَّنِّ مِن جِريالِها
وسرَتْ إلى فارابِ منها نفحـةٌ * قدسيَّـةٌ جاءَتْ بنُخبـةِ آلِهـا
ليصوغَ مِن ألحانِـهِ في حانِها * ما سوَّغَ القسيس مـن أرمالِها
وتغلغلَتْ في سُهْرَوَرْدَ فأسهـرَتْ * عيناً يؤرِّقُها طُروقُ خيالِهـــا
فخبا شِهابُ الدين لما أشرقَـتْ * وخوى فلـم يثبُتْ لنورِ جلالِهـا
ما جَـنَّ مثلَ جنونِـهِ أحـدٌ ولا * سَمَحَت يدٌ بيضا بمثـلِ نوالِهـا
وبدَتْ على الشوذي منها نـشوةٌ * ما لاحَ منها غيرُ لمعة آلِهـــا
بطَلَتْ حقيقتُه وحالَتْ حالُـهُ * فيما يُعبِّرُ عَن حقيقـةِ حالِهـا
هذي صبابتُهـم تَرِقُّ صبابـةً * فيروقُ شارِبَها صفـاءُ زلالِهـا

وهي طويلة قال السلطان أبو عنان رحمه الله تعالى : أخبرني شيخنا الإمام العالم العلامة وحيد زمانه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الإبلي رحمه الله تعالى قال : لما توجه الشيخ الصالح الشهير أبو إسحاق التنسي التلمساني إلى بلاد المشرق ، اجتمع هنالك بقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ، فكان من قوله له : كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خميس ، وجعل يحليه بأحسن الأوصاف ، ويطنب في ذكر فضله ، فبقي الشيخ أبو إسحاق متعجباً ، وقال : من يكون هذا الذي حلَّيتموه بهذا الحلي ؟ ولا أعرفه ببلده ، فقال له : [٢٥٥]

هو القائل : عجباً لها أيذوقُ طعم وصالها ، قال : فقلت له : إن هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التي وصفتم إنما هو عندنا شاعر فقط ، فقال له : إنكم لم تنصفوه ، وإنه لحقيق بما وصفناه به ، قال السلطان : وأخبرنا شيخنا الإبلي المذكور أن قاضي القضاة ابن دقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة كانت له تعلو موضع جلوسه للمطالعة ، وكان يخرجها من تلك الخزانة ، ويكثر تأملها والنظر فيها ، ولقد تعرفت أنه لما وصلت هذه القصيدة إلى قاضي القضاة تقي الدين المذكور لم يقرأها حتى قام إجلالاً لها . انتهى :

وكان ابن خميس رحمه الله تعالى بعد مفارقة بلده تلمسان سقى الله أرجاءها أنواء نيسان ، كثيراً ما يتشوق لمشاهدها ويتأوه من تذكره لمعاهدها ، وينشد القصائد الطنانة في ذلك سالكاً من الحنين إليها المسالك ، فمن ذلك قوله :

تلمسانُ لو أنَّ الزمانَ بهـا يسخـو * مُنى النفسِ لا دارُ السلامِ ولا الكرخُ
وداري بها الأولى التي حِيلَ دونهـا * مثارُ الأسى لو أمكن الحِنقَ اللَّبْخُ
وعهدي بها والعمرُ في عُنفوانـه * وماءُ شبابي لا أجنُ ولا مطـخُ
قرارةُ تهيامٍ ومغنى صبابـة * ومعهدُ أُنسٍ لا يلَذُّ به لطـخُ
إذ الدهرُ مثنيُّ العنانِ مُنهنَـهٌ * ولا ردع يُثني مِن عنانٍ ولا ردخ
ليالي لا أُصغي إلى عـذلِ عـاذلٍ * كأنَّ وقوعَ العذلِ في أذني صمـخُ
معاهدُ أُنسٍ عُطِّلَتْ فكأنَّهـا * ظواهرُ ألفاظٍ تَعمَّدها النسـخُ
وأربع أُلافٍ عفا بعضُ آيهـا * كما كانَ يعرو بعضَ ألواحنا اللطـخُ
فمَنْ يكُ سكراناً مِنَ الـوجدِ مـرةً * فإنِّي منهُ طولَ دهري لملتـخُ
ومَنْ يقتدِحْ زنداً لموقدِ جـذوةٍ * فزندُ اشتياقي لا عَفارٌ ولا مـرخُ
أأنسى وقوفي لا هياً في عِراصهـا * ولا شاغلٌ إلا التودعُ والسبـخُ
وإلاَّ اختيالي ماشياً في سماطهـا * رخيَّاً كما يمشي بطُرَّتِه الـرِّخُ
وإلاَّ فعدوي مثلُ ما ينفِرُ الظَّـلا * وليداً وحجلي مثلُ ما ينهضُ الفـرخُ

كأني فيها أردشيرُ بنُ بابـــــــكٍ * ولا مُلكَ لي إلا الشبيبةُ والشـــرخُ
وإخوانُ صدقٍ مِن لِداتي كأنَّهـــم * جآذرُ رملٍ لا عجافٌ ولا بُـــزخُ
وُعاةٌ لما يُلقى إليهم من الهُـــــدى * وعَن كلِّ فحشاءٍ ومنكرةٍ صُلـــخُ
همُ القومُ كلُّ القومِ سيَّانِ في العـــلا * شبابهمُ الفرغانُ والشيخةُ السُّلـــخُ
[٢٥٦] مضَوا ومضى ذاكَ الزمانُ وأنســـهُ * ومرَّ الصِّبا والمالُ والأهلُ والبـذخُ
كأنْ لم يكُنْ يوماً لأقلامهم بهـــــا * صريرٌ ولم يُسمع لأكعُبِهم جبـــخُ
ولم يكُ في أرواحِها مِن ثنائهـــــم * شميمٌ ولا في القضبِ مِن لينهم ملخُ
ولا في مُحيَّا الشمسِ مِن هديهم سنـاً * ولا في جبينِ البدرِ مِن طيبهم ضمـخُ
سعيتُم بني عمُّورِ في شتِّ شملنـــا * فما تَجْرُكم رِبحٌ ولا عيشنا ربـــخُ
دُعيتم إلى ما يُرتجى من صلاحِكُـــم * فردَّكمُ عنه التعجرفُ والجمـــخُ
تعاليتُمُ عجباً فطمَّ عليكـــــمُ * عبابٌ له في رأسِ عليائكُم جلـــخُ
وأوغلتُـمُ في العُجْبُ حتى هلكتُـــم * جماحِ غواةٍ ما يُنَهْنِهُم قَفْـــخُ
كفاكُم بها سجناً طويلاً وإن يكُـــنْ * هلاكٌ لكم فيها فهي لكم فـــخٌّ
فكم فئةٍ منا ظفرتُم بنيلهـــــا * بأبشارها مِن حجنِ أظفاركم بـرخُ
كأنَّكُمُ مِن خلفِها وأمامهـــــا * أسودُ غياضٍ وهي ما بينكُم أرخُ
فللسوقِ منها القيد إن هي أغربَـــتْ * وللهامِ إنْ لم تُعطِ ما رعَتِ النقـخُ
كأنْ تحتها مِن شدةِ القَلَقِ القطـــا * ومِن فوقها مِن شدةِ الحذر الفتـــخُ
فماذا عسى نرجوهُ مِن لَمِّ شعثِهـــا * وقد حُزَّ منها الفرعُ واقتلع الشلـــخُ
وما يطمع الراجونَ مِن حفظ آيهـــا * وقد عصفَتْ فيها رياحهمُ النبـــخُ
زعانفُ أنكاد لئامٌ عنـــاكـــلٌ * متى قبضوا كفاً على إثرِه طخُّـــوا
ولمَّا استقلُّوا مِن مهاوي ضلالِهـــم * وأومَوا إلى أعلام رُشدِهمُ زخُّـــوا
دعاهم أبو يعقوبُ للشرفِ الـــذي * يذلُّ لهُ رضوى ويعنو له دمـــخُ
فلم يستجيبوهُ فذاقـوا وبالَهـــم * وما لامرىءٍ عن أمرِ خالقهِ نـــخُّ

ومازلتُ أدعو للخروجِ عليهمُ * وقد يسمعُ الصمُّ الدعاءَ إذا أصخوا
وأبذلُ في استئصالِهم جهدَ طاقتي * وما لظنابيبِ ابنِ سابحةٍ قفخُ
تركتُ لمينا سبتةٍ كلَّ نُجعةٍ * كما تركَتْ للعزِّ أهضامها شمخُ
وآليتُ أن لا أرتوي غيرَ مائها * ولو حَلَّ لي في غيرِه المَنُّ والمذخُ
وألاَّ أحطَّ الدهرَ الا بُعقرِها * ولو بوّأتني دارَ إمرتِها بلخُ
فكم نقعتْ مِن غُلَّةٍ تلكمُ الأضى * وكم أبرأتْ مِن علَّةٍ تلكمُ اللبخُ
وحسبي منها عدلُها واعتدالها * وأبحرها العظمى وأريافها النفخُ
وأملاكها الصيدُ المقاولةُ الأُلى * لعزِّهِمُ تعنو الطراخمةُ البُلخُ
كواكبُ هدي في سماءِ رياسةٍ * تضيءُ فما يدجو ضلالٌ ولا يطخو
ثواقبُ أنوارٍ تري كلَّ غامضٍ * إذا الناسُ في طخياء غيَّهمُ التخُّوا
وروضاتُ آداب إذا ما تأرَّجَتْ * تضاءلَ في أفياءِ أفنانها الرمخُ
مجامرُ ندٍ في حدائقِ نرجسٍ * تنمُّ ولا لقحٌ يصيبُ ولا دَخُّ
وأبحرُ علمٍ لا حياضُ روايةٍ * فيكبرُ منها النضحُ أو يعظمُ النضخُ
بنو العزفيين الأُلى مِن صدورِهم * وأيديهمُ تُملا القراطيسُ والطرخُ
[٢٥٧] إذا ما فتى منهم تصدَّى لغايةٍ * تأخَّر مَنْ ينحو وأقصرَ مَن ينخو
رياسة أخيارٍ وملكُ أفاضلٍ * كرامٍ لهم في كلِّ صالحةٍ رضخُ
إذا ما بدا منا جفاءُ تعطَّفُوا * علينا وإن حلَّتْ بنا شدةٌ رخُّو
نزورهُم حُذّاً نِحافاً فتثنني * وأجمالُنا دُلحٌ وأبدانُنا دلخُ
يُربُّوننا بالعلمِ والحلمِ والنُّهى * فما خرجُنا بزُّولاً حَدُّنَا برخُ
وما الزهدُ في أملاكِ لخمٍ ولا التقى * ببدعٍ وللدنيا لزوقٌ بمن يرخو
وإلاَّ ففي ربِّ الخَورَنقِ غُنيةٌ * فما يومُهُ سرٌّ ولا صيتُه رضخُ
تطلَّعَ يوماً والسدير أمامَهُ * وقد نالَ منهُ العُجْبُ ما شاءَ والجفخُ
فأصبحَ يجتابُ المسوحَ زهادةً * وقد كانَ يؤذي بطنَ أخمصِهِ النخُّ

وفي واحدِ الدنيا أبي حاتمٍ لنا * دواءٌ ولكنْ ما لأدوائنا نتخُ
تخلَّى عَنِ الدنيا تخلي عارفٍ * يَرى أنها في ثوبِ نخوته لتخُ
وأعرضَ عنها مستهيناً لقدرِها * فلم يثنه عنها اجتذابٌ ولا هصخُ
فكان لهُ مِن قلبها الحبُّ والهوى * وكانَ لها مِن كفِّهِ الطرحُ والطخُّ
وما معرضٌ عنها وهي في طلابِهِ * كَمنْ في يديهِ مِن مُعاناتها نبخُ
ولا مُدركٌ ما شاءَ من شهواتِها * كَمنْ حظُّهُ منها التمجعُ والنجخُ
ولكننا نعمى مراراً عَنِ الهُدى * ونصلجُ حتى ما لآذاننا صمخُ
وما لامرىء عمَّا قضى اللهُ مَزْحَلٌ * ولا لقضاءِ اللهِ نقضٌ ولا فسخُ
أبا طالب لم تبقَ شيمةُ سُؤْدُدٍ * يُسادُ بها إلاَّ وأنتَ لها سِنخُ
تسوَّغتَ أَبناءَ الزمانِ أيادياً * لدِرَّتِها في كلِّ سامعةٍ شخُّ
وأجريتَها فيهم عوائدَ سُؤْدُدٍ * فما لهمُ كسبٌ سواها ولا نخُّ
غذَتْهُم غواديها فهي في عروقِهم * دماءٌ وفي أعماقِ أعظُمهم مخُّ
وعمَّتهُم حَزناً وسهلاً فأصبحوا * ومرعاهمُ وزخٌّ ومرعيهم ولخُّ
بني العزفين ابلغوا ما أردتمُ * فما دونَ ما تبغونَ وحلٌّ ولا زلخُّ
ولا تقعدوا عمَّنْ أرادَ سِجالَكم * فما غربُكم جفٌّ ولا غرفُكم وضخُّ
وخلُّوا وراءَ كُلِّ طالبِ غايةٍ * وتيهو على مَنْ رامَ شأوكم وانخوا
[٢٥٨] ولا تَذَروا الجوزاءَ تعلو عليكُمُ * ففي رأسِها مِن وَطءِ أسلافِكُم شدخُ
لأفواهِ أعدائي وأعيُنِ حُسَّدي * إذا جُليت خائيتي الغضُّ والفضخُ
دعوها تهادى في مُلاءة حُسنِها * ففي نفسِها مِن مدحِ أملاكِها مدخُ
يمانيةٌ زارَتْ يمانينَ فانثَنَتْ * وقد جدَّ فيها الزهوُ واستحكمَ الزمخُ

وقد بسط في « الإحاطة » ترجمة ابن خميس المذكور، ومما أنشد له قوله :

سلِ الريحَ إنْ لم تُسعدِ السفنَ أنواءُ * فعندَ صباها مِن تلمسانَ أنباءُ

وفي خفقانِ البرقِ منها إشـــارةٌ * إليكَ بما تنمي إليها وإيمـــاءُ
تمرُّ الليالي ليلةٌ بعـــدَ ليلـــةٍ * وللأذنِ إصغاءٌ وللعينِ إكـــلاءُ
وإني لأصبو للصَّبا كلَّمـــا ســـرَتْ * وللنَّجمِ مهمـــا كانَ للنجمِ إصباءُ
وأهدي إليها كلَّ يـــومٍ تحيـــةً * وفي ردِّ إهداءِ التحيـــةِ إهـــداءُ
وأستجلِبُ النومَ الفِرارَ ومضجعـــي * قتادٌ كما شاءَتْ نواها وسُـــلَّاءُ
لعلَّ خيالاً مِن لدنهـــا يمـــرُّ بـــي * ففي مَرِّهِ بي مِن جوى الشوقِ إبراءُ
وكيفَ خلوصُ الطيفِ منها ودونَهـــا * عيونٌ لهـــا في كلِّ طالعـــةٍ راءُ
وإني لمشتاقٌ إليهـــا ومنبـــيء * ببعضِ اشتياقي لو تمكَّنَ إنبـــاءُ
وكم قائلٍ تفنى غرامـــاً بحبِّهـــا * وقد أخلقَتْ منها ملاءً وإمـــلاءُ
لعشرةِ أعوامٍ عليها تجـــردت * إذا ما مضى قيظٌ بها جاءَ إهـــراءُ
يُطنِّبُ فيها عائثونَ وخُـــرَّبٌ * ويرحلُ عنها قاطنونُ وأحيـــاءُ
كأنَّ رماحَ الناهبينَ لملكِهـــا * قداحٌ وأموالُ المنازلِ أبـــداءُ
فلا تبغَيَنْ فيها مناخـــاً لراكـــبٍ * فقد قلصَتْ منها ظلالٌ وأفيـــاءُ
ومِن عَجَبٍ أن طالَ سقمي ونزعهـا * وقسِّم إضنـاءٌ علينا وإطنـــاءُ
وكم أرجفوا غيظاً بها ثم أرجـــؤوا * فيكذبُ إرجافٌ ويصدقُ إرجـاءُ
يُردِّدُها عُيَّابُها الدَّهرُ مثـــلَ مـــا * يُردِّدُ حرفَ الفاءِ في النطق فأفـــاءُ
فيا منزلاً نالَ الردى منه مـــا اشتهـــى * ترى هل لعمرِ الأُنسِ بعدكَ إنساءُ
وهَلْ للظى الحربِ التي فيك تَلتظـي * إذا ما انقضَتْ أيامُ بؤسِكِ إطفـاءُ
وهَلْ لي زمانٌ أرتجـي فيه عـــودةً * إليكَ ووجهُ البشرِ أزهرُ وضَّـــاءُ

ومنها :

أحِنُّ لها ما أطَّتِ النيبُ حولَهـــا * وما عاقَها عَن موردِ الماءِ أظمـــاءُ
فما فاتها مني نزاعٌ على النـــوى * ولا فاتني منها على القُربِ إجشـاءُ
كذلك جِدِّي في صحابي وأسرتـــي * ومَن لي بهِ في أهلِ ودي إن فاؤوا

ولولا جوارُ ابن الحكيمِ محمـــد * لما فاتَ نفسي مِن بني الدهرِ إقمـاءُ
حماني فلم تَنْتَبْ محلِّي نوائـــبٌ * بسوءٍ ولم تَـــرزأ فـؤادي أرزاءُ
وأكفاء بيتي في كفالـــة جاهـــه * فصاروا عبيداً لي وهـــم لي أكفـاءُ
يَؤمُّونَ قصدي طـــاعةً ومحبَّـــةً * فما عِفتُه عافوا وما شِئتُه شـاؤوا
دعاني إلى المجدِ الذي كنتُ آمـــلاً * فلم يكُ لي عَن دعوةِ المجدِ إبطاءُ
وبوّأني مِن هضبةِ العزِّ تَلعـــــةً * يناجي السُّها منها صَعُود وطأطاءُ
[٢٥٩] يُشيعني منها إذا سرتُ حـــافظٌ * ويكلؤني منها إذا نمت كـــلَّاءُ
ولا مثلَ نومـي في كفالةِ غيـــره * وللذئب إلمامٌ وللصلّ إيمـــاءُ
بغيضةِ ليثٍ أو بمرقدِ خـــالـــبٍ * تُبَزُّكسا فيه وتقطع أكســـاءُ
إذا كانَ لي من نائبِ الملكِ كافـــلٌ * ففي حيثما هوَّمتُ كِن وإدفـــاءُ
وأخدانُ صدقٍ مِن صنائعِ جاهـــهِ * يبادرني منهم قيـــامٌ وإيـــلاءُ
سراعٌ لما يُرجى مِن الخيرِ عندَهـــم * ومِن كلِّ ما يُخشى مِن الشرِّ أبـــراءُ
إليكَ أبا عبد الإلـــه صنعتُهـــا * لزوميةً فيها لوجدي إفشـــاءُ
مبرَّأةٌ ممَّا يعيبُ لزومَهـــــا * إذا غابَ إكفاءٌ سواها وإيطـــاءُ
أذعتُ بها السرَّ الذي كنتُ آمـــلاً * وأعوزَ اكلاءٌ فما عاز إكمـــاءُ
ومَنْ يتكلَّف مفحمـاً شُكـرَ منَّـــةٍ * فمالي إلى ذاكَ التكلُّف إلجـــاءُ
إذا منشدٌ لم يَكْـنِ عنكَ ومنشـــيءٌ * فلا كانَ إنشادٌ ولا كانَ إنشـــاءُ

محمدُ بنُ سيّدي سعيد قدورة

الإمام العلامة المفتي أبو عبد الله سيدي محمد ابن الإمام الأكبر ذي الفضائل المشهورة أبي عثمان سيدي سعيد بن إبراهيم ، عرف بقدورة أتم الله نوره ، شيخ الفقه والحديث ، ووارث الشرف القديم والحديث ، تفرع من

شجرة علم وتدرع برود وقار وحلم ، فمحله من الجزائر محل السواد من الناظر ، انتهت إليه خطابتها وفتياها ، وحصلت في يديه آخرتها ودنياها ، فإليه يهرع عند اشتباه النوازل ويفزع عند اشتداد الزلازل ، وعليه يعتمد في رواية الآثار وتصحيح أسانيد الأخيار ، إلى فصاحة ولسن جرى بهما في ميدان الإبداع طلق الرسن ، وحلاوة وطلاوة ألان بهما قلب كل ذي قساوة ، وعبارة عليها رونق ونضارة ، ولسان خلوب يقود عصابات القلوب ، هذا مع أنه لم يرتضع أخلاف الأدب ، ولم يصطبح بسلافه المزري بالضرب ، أما لو التبس بمور ذلك المور ، واقتبس من نور ذلك الغور ، فلا يمتري في أنه يطاول أهل المشرق والمغرب ، ويصير نظيره كعنقاء مغرب ، وإمامة والده أبي عثمان هي التي أرقته على غيره من الأعيان ، وأولته المراتب الخطيرة والفضائل الشهيرة :

سعى معشرٌ كي يلحقـــوهُ فبـرَّزَتْ * بهِ غررٌ مشهـــــورةٌ وعـــلائِمُ

وهذا البيت لابن سهل من قصيدة يمدح بها آل خلاص من أهل سبتة .

[٢٦٠] قال ابن زاكور : وسمعت من إملائه في مجلسه الخطير جملة وافية من الجامع الصغير ، وأبوابا من « صحيح البخاري » يحمد مواردها المدلج والساري سماع دراية وتحقيق رواية ، فرأيت من ظرفه ولطفه ما سحر وبهر ، وتنزهتُ من فهمه وحفظه في جنة ونهر .

محمدُ بنُ خليفة الجزائري

قال في « نشر أزهار البستان » : وممن لقيته بها ، أي الجزائر ، ووجهت خطابي إليه إلاَّ أنه اخترمته المنية إثر سقوطي عليه ، وقبل أن يجيزني فيما لديه ، الشيخ المسن البركة الحائز قصب السبق في فنون مشتركة شيخ المشايخ ، الذي

له في تحقيق العلوم قدم راسخ أبو عبد الله محمد بن خليفة لا زال رضوان الله حليفه ،

هو وإن شرست أخلاقُه ، ولم يحلُ مذاقه ، وضاقت أكنافه ، ولم ترد بحارَ الكمال أوصافه ، فاضل علامة رحالة صحب في تحصيل العلم الصالح والطالح ، وركب في تطلبه العذب والمالح ، وما برح يكابد لأجله حرة تحتها قرة ، ويسيغ من أشربة الاغتراب المِزة والمُرَّة ، حتى ظفر بما يذكر به ما اختلفت الدرة والجرة ، فتوشح ببيضه الرقاق أثناء مصاحبته الرفاق ، وخبز من دقيقة الجردق والرقاق أيام جولانه في الآفاق .

دخل مصر وهو غلاَّن لسلسبيل البيان ، فكرع في غديره حتى تضلع من نميره ، وأحرم بعطافه حتى تروى من نطافه ، فآب إلى الجزائر بعد أن ألحم من أسراره وأشحم ، واقتبس من أنواره ما ينجلي به الليل الأسحم ، وجيده بعقوده محلى ، وقد فاز من قدحه بالرقيب والمعلى ، فتضيع بين جداولها بحراً ، وطلع في سماء معارفها بين دراريها بدراً ، وتصدى للتدريس والتصنيف ، وترذى بحلتي التقديس والتشريف ، وتميز بين أولائك الأعيان بحمل راية البراعة والتبيان ، وصال على الجميع بألوية محسنات البديع ، فاقتطفته المنية إثر بلوغ تلك الأمنية ، وتاقت نفسه إلى التنعيم في رياض الجنة باجتناء وقطف يوم الأربعاء في عقب ربيع الثاني من شهور أربعة وتسعين وألف (١٠٩٤) .

وحدثني في حياته بعض الإخوان الملازمين له في غالب الأزمان : أنه فجع بموت ولده ، وخيف من ذلك تصديع كبده ، فلم يجزع لمماته ولم يضجر لفواته ، واستعان على رزيته بالصبر ابتغاء الثواب وحصول الأجر ، وما كان إلا قدر ما أدرجه في كفنه وأضجعه في مدفنه حتى أقبل إلى حلقته وما حبسه عنها أوار حرقته ، فقيل له في ذلك تعجباً من فرط صبره على ذلك الهالك ،

فقال رضي الله عنه : لا أصطلي نار حرقتين ، ولا أجمع بين مصيبتين . فجعل من عزائه ترك أقرانه ، وسوَّى ثكل ابنه بعدم الإفادة في ذلك اليوم بعينه . وقال :

إذا كنتُ أعلمُ علماً يقيناً * بأن جميعَ حياتي كساعَهْ
فلِمْ لا أكونُ ضنيناً بها * وأجعلها في صلاحٍ وطاعَهْ

[١] مَحمَّدٌ الزادي

العلامة المسن الشيخ أبي عبد الله محمد الزادي ، كان أديباً فقيهاً ناشداً للعلوم سالكاً سبيل السلف الصالح في معاشه ، مجتهدا في العبادة .

مات رحمه الله سنة ١٢٢٦ .

محمدُ بنُ سالمٍ المعروفُ بابنِ الطَّبال

العلامة الجليل الشيخ أبو عبد الله محمد بن سالم المعروف بابن الطبال ،

فريد عصره ووحيد دهره علماً وعملاً ، حامل لواء المذهب الحنفي على عاتقه ، له اليد الطولى في البديع والأصول والمنطق .

أخذ عن كثير ، ولازم الشيخ العباسي حتى تخرج عنه ، وتولى التدريس بمدرسة الجامع الأخضر ، والخطابة والإمامة بجامع سوق الغزل .

توفي سنة ١٢٥٠ .

محمدُ بنُ سعيدٍ المغربي

العلامة الشيخ محمد بن سعيد المغربي ، هو العالم الشهير والولي الكبير شيخ شيوخ المقرئين ، وغُنية العلماء المخلصين ، العارف بفنون العلم ، هامة أهل زمانه مع حفظ لا يُمارى فيه ، ولا يلحق له في ميدان ، وفصاحة تسلب العقول وتحير الأفكار.

مات رحمه الله سنة ١٢٥٠ .

مُحمدُ الشاذلي القسنطيني

الشيخ سيدي محمد الشاذلي ، هو العلامة الفرد نقلاً وعقلاً ، جامع أشتات مضائق الفنون ، متضلع من كافتها كثير الاطلاع ، حاد الفكر قوي العارضة .

له أشعار رقيقة ، تولى القضاء ثم أسندت لعهدته نظارة المدرسة الكتانية ، أما استسقاؤه العلوم فكان من لدن علّامتي وقتهما الشيخ مصطفى باش تارزي والشيخ العباسي ، ولازمهما حتى نبغ في فنون الآداب ، وكانت له قدم راسخة فيها ، وحسبه تلك الأشعار التي ساجل بها الأمير عبد القادر الجزائري في حال اجتماعهما بعاصمة باريس لدى ضيافة فخامة نابليون الثالث ، وهي مشهورة تضمن بعضَها ديوانُ الأمير المذكور ، وكانت له قوة ذكاء مفرط ، يتحدث بها العامة والخاصة ، وله عدة قصائد في مواضيع جمة .

وتوفي في حدود سنة ١٢٨٠ ، ودفن بداخل المدرسة الكتانية التي كان ناظراً عليها ، وقبره بها حتى الآن .

مُحمدُ الشريفُ التلمساني

أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني ، أقام بفاس مدة طويلة ، ذكره ابن خلدون ، ولم أقف على وفاته

سيدي محمد صالحٍ الورتيلاني

مُحيي الفنون ،وبحر العلم والدين بعد اندراسه على التعيين ، المتصف بعلم ، اليقين ، أتقى المتقين ، بل إنه شرب من علم اليقين حتى صار من أهل التمكين ، علامة زمانه وقدوة أوانه ، بركة الأوائل ، قد زُحلق وأخِّر لقابل لحكمةٍ ربانية يعلمها مرسل صاحب الشمائل الولي الصالح سيدي محمد صالح الورتيلاني ، كاد أن يجدد الدين في وقته ، وعلمه مشهور وفضله منشور ، توفي في القرن الحادي عشر ، ضريحه معلوم ويزار في قرية اجلميم عرش بني أجمات ، عرش من عروشنا بني ورتلان ، وهو في غاية الصدق والوفاء ، وعن كل مشتبه أو شبهة قد خفا ، رحمه الله وقدس ضريحه ، وأفاض علينا خيره وربحه ، ونور قلوبنا وقلوب أولادنا باليقين والتمكين ، وحلاَّنا بحلية المتقين في كل تحريك وتسكين .

وهذا الشيخ كان مدرساً للعلم قائماً بأمور الطلبة بنفسه مع قلة ذات يده ، ويهاجر من كل بلد ، وقيل : ليس على الأحكام الشرعية إلا جيرانه بنوأجمات من بلدنا ، فقد انتقل من قرية يبكن ، وسكن يتن من بني عيدل ، فكانوا يمنعون الميراث أيضاً فأمرهم بإعطائه ، وحرضهم على ذلك ، فلما رآهم امتنعوا وتوانوا رأى هجرته واجبة ، وعلم منهم إن انتقل بحضرتهم يمنعونه ، فتركهم إلى أن ذهبوا إلى الزيتون زمانه بحيث لا يبقى أحد في العمارة إلا

الضعيف وكبير السن ، فلما آن زمانه وحان وقته ذهبوا إليه فرفع زوجه وشؤونه فوقع النداء من العمارة والصياح ليجتمعوا على الشيخ إذ لا قدرة لهم
[٢] على فراقه ، فتسابقوا إليه من كل فج عميق ليمسكوه ، فلما ألحوا على رجوعه وإقامته معهم حلف لا يرجع إليهم إلا بالرجوع إلى الأحكام الشرعية ، وقد علم الله في ذلك فامتثلوا أمره بجد وصدق ، فرجع فيهم على الأحكام الشرعية إلى الآن والحمد لله تعالى على ذلك .

نعم أولاده على طريقه من العلم والحلم والفضل والإحسان والأدب والحياء والبركة رضي الله عنهم ، سيما الورع الزاهد المقتفي آثار النبي صلى الله عليه وسلم ، المتمكن في طريق الله عز وجل ، الجامع بين الحقيقة والشريعة قدس الله روحه ، ولي ظاهر سيدي الحسين نجل الشيخ المذكور المتبع للسنة النبوية والشريعة المحمدية ، كادت أوصاف سيد الخلق أن توجد فيه ، وقد تخلّق بمعاني الأسماء والأوصاف الإلهية ، ظاهره راغب في الدنيا وباطنه خال منها ، فالجاهل من الناس إذا رأى حرصه في الظاهر يقول : سيدي الحسين يحب الدنيا ، وليس كذلك ، بل الدنيا في يد العارف أمانة ، والأمين لا يضيعها ، وإنما يترقب بها أمر صاحبها أو يردها لصاحبها ، ومن أحاط علما بذلك فلا يتغير لفواتها وفقدها لأنها ليست له .

وكان رضي الله عنه يطعم الطعام لليتامى والأيامى من النساء والمحتاج كل يوم كأنه وليمة عنده ، وأخبرني الولي الصالح الأستاذ تلميذه سيدي أحمد بن الحسين أنه سمع من الشيخ يقول : وجدت تحت الديار زيرين من ذهب ، أزال عنهما الستر السيل إزالة ، فهمت نفسي بأخذهما فمنعتها ذلك ، ورديت التراب عليهما ، فلما أخبرنا بذلك ونحن طلبة عنده قلت له : يا شيخي لو أتيت بذلك ، فإن المحتاج عندك كثير ، فأجابه قائلاً : لو أتيت به ربما قالت

نفسي : هذه الدار لا تصلح ، وكذا الفرس إبن غيرها ، واشتر أجود منها إلى غير ذلك من شأني كله ، فلما علمت حالها ، كان ترك ذلك هو أولى بي وأجدر والإتيان به أشر وأغدر ، فتركت ذلك :

وقال والدي : إني لزمته ولم يكن الخير إلا منه ، فاغتنم بركته وصار في اتباع السنة والورع والتقشف أكثر منه ، وكان صديقاً ملاطفاً لجدي والولي سيدى يحيى بن حمودي وسيدي علي الصافي وغيرهم ، ومع هذا إذا كان العرس ركب فرسه ولعب بها للسنة النبوية ، وكانت والدة أبي من الصالحات شريفة كوالدتي أيضا ، وكانت تقسم الليل أثلاثاً ثلث للصلاة ، وثلث للنوم ، وثلث للذكر ، وجاري كان عنده الزيتون ، وسيدي الحسين ليس عنده ، [٣] فجعل حظاً من الزيتون للشيخ يلتقطه بطهارة ويعصره بطهارة أيضا ، ليغتنم معارف الشيخ ونوره ، وليغتنم بركته أيضا رحمه الله ونفع به.

وأما أولاده فلا تجد فيهم ناقصاً ، بل كلهم على الكمال ، وكذا أولاد الشيخ سيدي محمد صالح جُلُّ أحوالهم على الهدى ، وسيدي عبد الله من الصالحين ، وترك وليين صالحين سيدي عبد الرحمن وسيدى أحمد ، وهما متفرقان في السكنى ، وقد سمعت أنه قال لي : لما تحيرت من أمر السكنى رأيت قائلاً يقول :﴿ فَأْووا إلى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُم رَبُّكم من رَحْمَتِهِ﴾ (١) الآية فسكن موضعاً وهو المسمى اثروش مستند إلى الكهف كما رآه في النوم كذلك ، فظهر له الفضل وولداه صالحان سيدي عبد الوهاب ، وسيدي علي ، قد قرأت على سيدي علي الألفية حاصلة أولاد سيدي محمد صالح ، لم يقدموا الفضل ، وإن كان بعضهم أولى من بعض ، وكذا أهله وأولاده ، وسيدي محمد صالح من قرية بيكن ، كلهم على الفضل والعلم والحلم والخير خصوصاً العَلَم الفاضل الخطيب

(١) سورة الكهف : الآية ١٠ .

المحقق في علم الكلام ، وقد سمعت ممن سمع من تلميذه سيدي محمد العيادي أنه قال : إن الشيخ قرأنا عليه شهراً بتمامه من قوله : فعلى العاقل إلى الحتم من غير تبطيل دائماً إلى الليل نصاً واحداً ، وقد سمعت أيضاً أنه قال : رأيت الشيخ السنوسي في النوم يضرب براسي ويقول : انت أولى بكلامي يا مسعود . وهو العالم الفاضل سيدي المسعود بن عبد الرحمن آية من آيات الله تعالى . وقد تزوجت بنتين من ولده سيدي السعيد . وسيدي علي ولده محقق في علم الكلام غير أنه لا يصل مرتبة أبيه ، وكذا سيدي محمد بن الفقيه محقق في علم الكلام فاضل صالح مشتغل بنفسه ، وقد أخذ عني الصغرى ، بل قرأها قراءة تحقيق بحاشية المحقق المراكشي ، وكذا أخذ مني الفقيه الفاضل العالم الأديب الحبيب يحيى بن حمزة ، وهو ليس منهم ، فنبهنا عليه لأنه من أجل الفضلاء ، وقد رأى الكاتبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يحيى بن حمزة من أحبائي وكفى به .

ومن الصالحين سيدي الحسين بن حمزة ، انه اشتغل بربه ونفسه إلى أن مات نفعنا الله بجميعهم ، ومن هذه الفئة الأديب سيدي محمد بن حم وأولاده مثله .

انعطاف : بقي واحد من أولاد سيدي محمد صالح بن سيدي علي بن محمد ظاهر الصلاح ، لا أشك فيه إذ خصاله كلها محمودة ودعاؤه مستجاب ، كريم على الإطلاق ، اللهم ارزقه بذَكَر من صلبه يعمر محله بالعلم والنشر والولاية والزهد والكفاف والعفاف ، نفعنا الله بجميعهم آمين بمنه وكرمه ، ومن أولاد هذا الشيخ نفعنا الله به آمين سيدي علي بن محمد حي فاضل ذو حب في الله وفي كل منتسب أفاض الله علينا من بركاتهم آمين اهـ . ورتيلاني

مُحمدُ الصالحُ بنُ سالمٍ الأعرج السوفي

قال الشيخ إبراهيم بن محمد الساهي ابن عامر السوفي الوادي في رسالته المسماة « بالبحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح » ما نصه :

[٤] ذو المعارف والسر الوارف ، والمقام الأسنى والعز الأقنى ، غرة الزمان ووحيد العصر والأوان ، من تحلت برؤيته الأنظار ، وتمتعت بفيوضاته الأبرار ، وقويت به الأركان وتشرفت بحلوله البلدان ، وأنقذ الله به العبيد من كل كرب ونصب شديد ، ذو البحر الزاخر والقدر الفاخر ، والأسلوب البديع والمنهج الصالح ، شيخ الطريق ، سيدي محمد الصالح أدام الله النفع به آمين ، نجل الولي الكامل المرحوم العامل ، السائر في أوضح طرق القوم ، ذي المناقب الحميدة والأفعال الجميلة السديدة ، الذي طار صيته في كل قطر وبلاد ، وأقر بعلو مقامه ذوو الأتباع والانتقاد ، وتواضع له أولو المكانة والاحترام والتعاظم ، شيخ الطائفة الأعرج سيدي سالم نفع الله به وبفروعه أبد الآبدين ودهر الداهرين آمين ، ابن سيدي محمد بن محمد بن سيدي محمد بن سيدي نصر بن سيدي عطية الشريف من نسل الزائر بن سيدي المحجوب ، دفين القيروان ، قبره بها يُزار إلى الآن ويشهد له كل الناس بالصلاح والكمال والنجاح ، رضي الله تعالى عن جميعهم ، وعنا بهم وجعلنا من أتباعهم دنيا وأخرى آمين .

وأما طريقته فإنه أخذها كأخيه ذي الخير والصلاح الشيخ سيدي مصباح ، عن والده سيدي سالم المتقدم ذكره ، وهو أخذها عن شيخ الزهاد وفخر العباد سراج الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة ، سيدي علي بن عمر الطولقي الشريف ذي الشرف العلي والمقام المنيف ، وهو أخذها عن أبي البركات القدوم الهمام ذي النفع والفيض على جميع الأنام الذي اتبأعه دنيا وأخرى ينجي ، الشيخ سيدي محمد

ابن عزوز البرجي رضي الله عنه ، وعن فروعه وأصوله وعنا بهم آمين ، وهو أخذها من كهف الأنام وحجة الإسلام ذي الحجج الباهرة والكرامات الظاهرة وحيد الأولياء ورئيس النبلاء الورع العالم العامل الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن باش تارزي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن صفوة الأبرار وعمدة الأخيار صاحب الباع الطويل والقدر الجليل والمواهب اللدنية والأنوار الرحمانية الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الفجطولي الزواوي الأزهري الشريف ، متعنا الله بسره وجعلنا تحت مكرماته وبره آمين ، وهو أخذها عن تاج العارفين ونبراس السادة الصالحين الشيخ سيدي محمد بن سالم الحفناوي رضي الله عنه آمين ، وهو أخذها عن شيخ طائفة الصوفية القائم على ساق العبودية الشيخ سيدي مصطفى بن كمال بن علي البكري رفع الله مقامه ومأواه وجعل الجنة متقلبة ومثواه، وهو أخذها عن ذي الجد والاجتهاد السالك سبيل الرشاد الشيخ سيدي عبد اللطيف
[٥] الحلبي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن ذي الأنوار القدسية والرياض السندسية الشيخ سيدي مصطفى الأنداوي نفعنا الله به آمين ، وهو أخذها عن صاحب المآثر العجيبة والحالات الغريبة الشيخ سيدي علي قار باشا رضي الله عنه ، وهو أخذها عن الأستاذ الفخر الملاذ الشيخ سيدي إسماعيل الجرمي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن شمس الملة والدين برهان الواصلين الشيخ سيدي محي الدين القسطموني نعَّم اللهُ به كل الخلائق آمين ، وهو أخذها عن الحبر السالك والمتعبد الناسك الشيخ سيدي شعبان القسطوني رضي الله عنه ، وهو أخذها عن ذي القدر العلي والسر الجلي الشيخ سيدي خير الدين التوقادي نفع الله به ، وهو أخذها عن ذي الفضل والإحسان الشيخ سيدي سلطان المعروف بجمال الدين الخلوتي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن ذي المقام السامي والفيض النامي الشيخ سيدي محمد بن بهاء الدين الشيرازي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن صاحب التصريف الشيخ سيدي يحيى الباكوفي الحلبي نفعني الله وإياكم ببركاته آمين ، وهو أخذها عن

ذي المنقبات الجميلة والخصال الجليلة الشيخ سيدي صدر الدين الجياني رضي الله عنه وعنا به . وهو أخذها عن الزاهد العفيف الشيخ سيدي الحاج عز الدين رضي الله عنه . وهو أخذها عن قدوة الأنام ورفيق الخاص والعام الشيخ سيدي محمد أمبرم الخلوتي نفع الله به طول الدوام . وهو أخذها عن السيد الأكبر والقطب الأنور الشيخ سيدي عمر متعنا الله ببركاته آمين ، وهو أخذها عن كنز الهداية وبدر البداية والنهاية الشيخ سيدي محمد الخلوتي رضي الله عنه وعنا به آمين . وهو أخذها عن ملجأ الخائفين ومنبع مشرب العارفين الشيخ سيدي إبراهيم الزاهد جعلنا الله في صالح دعواته ، وهو أخذها عن مربي المريدين ومرشد السالكين الشيخ سيدي جمال الدين التبريزي رضي الله عنه . وهو أخذها عن نور أهل السلوك الشيخ سيدي محمد الملقب بشهاب الدين الشيرازي نفع الله به ، وهو أخذها عن رفيع المقام ذي العز والاحترام الشيخ سيدي محمد الملقب بركن الدين النجاشي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن فخر العلوم الشيخ سيدي قطب الدين الأبهري نفعني الله وإياكم به آمين ، وهو أخذها عن صاحب المقام العريض الشيخ سيدي عبد القادر بن عبد الله بن محمد السهروردي رضي الله عنه وعنا به آمين ، وهو أخذها عن الكمال الشيخ سيدي عمر البكري رضي الله عنه ، وهو أخذها عن قدوة السالكين الشيخ سيدي وجيه الدين رضي الله عنه ، وهو أخذها عن الكوكب الدري الشيخ سيدي محمد البكري رضي الله عنه ، وهو أخذها عن محب الفقراء الشيخ سيدي مشاد الدينوري رضي الله عنه ونفع الله به آمين ، وهو أخذها عن رئيس الطوائف الشيخ سيدي أبي القاسم الجنيد نفعني الله وإياكم ببركاته آمين ، وهو أخذها عن الورع الزاهد المكابد العابد خاله الشيخ سيدي السري السقطي رضي الله عنه ، وهو أخذها عن سيد الأتقياء وعمدة الأصفياء الشيخ سيدي معروف الكرخي نفع الله به جميع العباد والبلاد ، وهو أخذها عن ذي المناقب السنيه الشيخ سيدي داود الطائي رضي

[٦] الله عنه ، وهو أخذها عن صاحب الأسرار الشيخ سيدي حبيب العجمي رضي الله عنه ، وهـو أخذها عن صاحب الأنوار والبركات والفيض الشيخ سيدي الحسن البصري رضي الله عنه ، وهو أخذها عن سبطي النبي صلى الله عليه وسلم سيدا شباب أهل الجنة الشيخين الفاضلين سيدي الحسن وسيدي الحسين جعلنا الله من زمرتهما آمين ، وهما أخذاها عن باب مدينة العلم ابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والدهما سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهو أخذها عن سيد المرسلين وحبيب رب العالمين محمد الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وهو عن جبريل عليه السلام ، وهو عن الحق جل وعلا ، اللهم متعنا بمحبتهم واجعلنا في زمرتهم ، ولا تخالف بنا عن سُنَّتهم ولا عن طريقتهم يا أرحم الراحمين .

وقال في كراماته :

كان الأستاذ الفاضل والجهبذ الكامل جدي الشيخ سيدي محمد بن عامرذو الكرامات الظاهرة الأسرار الباهرة ، يخدم عمدة السالكين وسند الواصلين ، الشيخ سيدي سالم الأعرج ذي القدم الراسخ في طريق القوم رضي الله عن الجميع ، ونال منه ما يبهر العقول ، كما هو متواتر بالنقول ، وكان يوصينا بخدمة أولاد شيخه واتباعهم ويحضنا على ذلك غاية ، ويقول : إنكم تنالون منهم إن شاء الله حقق الله ذلك آمين ، فمنَّ الله علي بامتثال تلك الوصية ، وجعلت أتردد عليهم في الزيارة وأنظر في أحوالهم وسيرتهم وخدمتهم مدة طويلة إلى أن تحققت الشيء ، وعلمت أن متبعهم ينال بلا ريب ، وكان سيدي سالم ترك ولدين فاضلين أحدهما الشيخ سيدي مصباح وهو الأكبر سِناً ، والآخر الشيخ سيدي محمد الصالح نفعنا الله بهما آمين ، لكن الأول جرى على طريق الأشياخ الذين يكتمون أمرهم ، وهو مقام عظيم يفتخر به كل من له أدنى مُسْكة بأحوال القوم ،

وقد منَّ الله على هذا الشيخ بولد ياله من ولد عفيف نظيف ظريف أديب ورع زاهد في الدنيا زهداً تاماً ، فقيه دائم الطهارة كثير التجنب من الناس ، يحب الخلوة والانفراد ، وينقبض من رؤية الناس انقباضاً كلياً ، وهو الشيخ سيدي محمد العربي أدام الله سناه وبلغه في الدارين مناه ، والثاني جرى على طريق من يذيع ذلك ، ولا يخفى أن العاجز مثلي يجذبه الظاهر ، فلازمت الشيخ سيدي محمد الصالح رضي الله عنه وعنا به آمين ، حتى ظهرت لي الكرامات الخارقة والمقولات الصادقة ، فأردت أن أذكر بعض ما رأيته أو سمعته من ثقة صادق بعد [٧] التتبع الشافي والتفحص الوافي ، كان الله لنا ولإخواننا معينا آمين .

فمن ذلك أني أتيته يوماً في وقت القيلولة مع أستاذي وعمدتي وملاذي الورع الزاهد والحبر العابد شيخي سيدي عبد الرحمن العمودي رضي الله عنه وعنا به ونفعنا ببركاته آمين ، فقال لنا الشيخ : إن سيدي علي بن عثمان **الطولقي** رضي الله عنه قد انتقل إلى عفو الله ، رحمه الله الرحمة الواسعة ، فسرى في عقولنا أنه أتى أحد من عنده ، أو أتى جواب أو نحو ذلك ، وغفلنا عن كون الشيخ علم ذلك من طريق الكشف ، فلما خرجنا من عنده وقع في قلبي أن هذا الأمر لم يأت به أحد ، ولا جاء في جواب ، وإنما هو من الشيخ رضي الله عنه ، فضبطت ذلك اليوم ، وبقيت أسال عن خبر وفاة الشيخ فلم أجد علماً عند أحد ، فلما مضت ستة أيام بعد التاريخ أتانا الخبر بأن الشيخ انتقل إلى رحمة الله منذ ستة أيام رضي الله عن الجميع ونفعنا بهم آمين .

مُحمدُ بنُ الحقِّ البطيوي

أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعفري البطيوي .

روى ببلده عن أبيه **أبي محمد** ، وتفقه به وبعمران التليدي ، **وبأبي بكر ابن عصفور** ، وبأبي بكر اللفتني . وبأبي الحسن جابر بن محمد ، **وبأبي الحسن**

ابن أبي قنون ، وبأبي علي الحسن بن الخراز ، وصحب الوليين الزاهدين أبا مدين شعيب بن الحسين وأبا عبد الله محمد بن مجبر الهواري ، ولقي كثيراً من أهل العلم والدين والزهد والورع ، فأخذ عنهم بفاس ومراكش وسبته واشبيلية ، فكان راويةً فقيهاً حافظاً متكلماً متفنناً في علوم جمة ، بارع الخط جماعاً للكتب الجليلة .

وله مصنفات كثيرة أجلها « المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار » وكان رحمه الله حسن الخلق رائق الملبس مطعاماً وجيهاً ببلده وغيره عند السلاطين والأمراء ، ولي قضاء بلده تلمسان مرتين ، فعدل وأجزل ، ومن نظمه هذين البيتين في عدد أحاديث البخاري رحمه الله :

جميعُ أحاديث الصحيح الذي روى الـ * بخاري خمسةٌ وسبعونَ في العدِّ
وسبعةُ آلافٍ تُضافُ وما بقي * إلى مئتين عَدَّ ذاكَ أولو الجَدِّ

مولده سنة ٥٣٦ ، وتوفي بتلمسان سنة ٦٢٥ ابن ٨٩ سنة ، رحمة الله عليه .

مُحمدُ بنُ عبدِ الرَّحمن الحوضي

الإمام محمد بن عبد الرحمن الحوضي من أدبه القصيدة الطنانة التي يقول فيها متغزلاً :

أرذاذُ المزنِ من عينٍ نزلْ * أم دموعُ الشوقِ إذ رقَّ الغَزَلْ
أبعيني ديمةٌ وكّافةٌ * أم شَعيبٌ للنوى منها انبزلْ
لابكت عيني ولا أبغي البكا * ضوءُها عَن فِعلها إن لم تزلْ
دَعْ عذولي اللَّومَ إني شائقٌ * رقَّ طبعي دونَ صنعي في الأزلْ
[٨] أوَينسى العهدَ قلبٌ دَنِفٌ * والهوى قبل النوى عنه نزلْ
لا تلُمني دونَ علمٍ عاذلي * فبسمعي صممٌ عمَّنْ عَذَلْ

إن في نارِ هـــواكـــم جنَّتـــي * لوعلمتُ الحبلَ منكـــم يتصلْ
أمِّنوا روعـةَ قلبـــي باللِّـقـــا * *فانتظارُ الوعـدِ قربٌ إن حَصَلْ

وهي طويلة ، ومن نظمه البليغ يرثي فيه إمام الموحدين الشهير الولي الكبير سيدي محمد بن يوسف السنوسي الحسني رضي الله عنه ونفعنا بعلومه آمين هذه القصيدة اللزومية :

ما للمنـازلِ أظلمَـــتْ أرجاؤُها * والأرضُ رُجَّت حينَ خابَ رجاؤُها
وأتى عليها النقـصُ مِن أطرافِهـــا * وتراكَمتْ وتعاظمَـتْ أرزاؤُهـــا
رزءٌ عظيـمٌ خطبُـه ومصيبـــةٌ * لم ندرِ يا للقومِ كيف عزاؤهـــا
فقد السنوسي الإمـــامِ محمـــد * وهو ابنُ يوسفَ هدَّ منهُ علاؤها
قد كانَ بحراً للمعـــارفِ زاخـــراً * فانزاحَ عنها حينَ بثَّ غطاؤها
ودعا إلى التوحيدِ دعوةَ مُخلـــصٍ * وإلى الشريعةِ فاستنارَ ضياؤهـا
[٩] هذا الذي وَرِثَ النبيَّ فأصبحَـــتْ * عِللُ الضلالِ به استفيدَ دواؤهـا
هذا الذي تَبِعَ النبيَّ وصحبَـــهُ * فانجابَ عن سُبلِ الهُدى ظلماؤُها
يا أيها النفسُ المقدَّسةُ التـــي * لبقائها المحمودِ كانَ فناؤهـــا
يا أوحدَ العلماءِ يـا علمـــاً بـــهِ * كلُّ العلومِ بدت لنا أنحاؤهـــا
يـادُرَّةَ الزُّهَّادِ يا غـوثـــاً بـــه * يُرجى لأمراضِ القلوبِ شفاؤهـا
كـم جـاءتِ الدنيـا تسوق رئـاسةً * يبغي إليكَ تقرُّباً أبناؤُهـــا
فأبيتَ عنها مُعرِضاً مُستحقِـــراً * لم يخدَعنْك جمـالهـا وبهاؤُهـا
وجعلتَها نحوَ الجِنَان مطيَّـــةً * وسبيـلَ ترحـالٍ وذاكَ جزاؤها
مَـنْ للتـآليفِ الـــتي ألَّفتَهـــا * يبدي بها ما استشكلَتْ قُرَّاؤُهـــا
مَنْ للعلومِ على اختلافِ فُنونهـــا * يبدي لها نُكتاً يروقُ سَناؤهـــا
مَنْ للقلوبِ إذا صدَتْ وإذا قَسَـــتْ * تأتي مواعظُه فيذهبُ داؤهـــا

ما ذاكَ إلا مِن خصائلك التي * أعطاكها ربٌّ لهُ إعطاؤها
ما شئتَ مِن تقوى ومِن ورعٍ ومِن * كرمٍ ومِن شِيمٍ تلا إحصاؤها
واسيتَ أهلَ العلمِ حتى أصبحوا * وعليكَ مِن نفقاتهم اجراؤها
تُعطي وتُؤثِرُ مَنْ ترى ذا حاجة * فاعتادَ رِفدكَ دائماً فقراؤها
تلقاهُمُ مُتهلِّلاً مُتبسِّماً * فوجوهُهُمْ باقٍ عليها ماؤها
وينالُ كلُّ الناسِ منكَ نصيبَهُ * حتى لقد بلغَ المرادَ إماؤها
أخلاقُكَ التسليمُ يصحبُهُ الرِّضى * بالله منشورٌ عليكَ لِواؤها
خلقٌ كريمٌ لم يُنَلْ بعطيَّةٍ * إلاَّ مِنَ المولى يُنالُ عطاؤها
شَهِدَ الأعادي كالصديقِ فأنشدوا * ومليحةٍ شهِدَتْ لها أعداؤها
لَكِنْ مشيئةُ ربِّنا تجري كما * سبقَ القضاءُ فلا يُردُّ قضاؤها
لهفاً ولهفاً دائماً لو أنَّها * تُجدي وما تُغني وكيفَ غَناؤها
إنْ تبكهِ عينٌ فما أدَّتْ لهُ * حقّاً ولو مزجَ الدموعَ دماؤها
أو تبكهِ أبداً تلمسانٌ ومَنْ * في حوزِها ورجالُها ونساؤها
لم يقدروا مقدارَهُ أنَّى لهم * ولقد بكتهُ أرضُها وسماؤها
فلمثلِهِ يبكي الوجودُ مصيبةً * عَظُمَتْ فأحزنَتِ الورى إغماؤها
هيهاتَ للدنيا تجودُ بمثلِهِ * مِن شأنها لم يصفُ قطُّ إناؤها
وجب العزاءُ بهِ لكلِّ موحِّدٍ * ولبلدةٍ بحُلاهُ طابَ ثناؤها
ولأهلِ مجلسِهِ خصوصاً ابنهُ * شمسٌ نأتْ عنهم وغابَ ضياؤها
وشيوخُنا العلماء نعزي أننا * جسدٌ لهُ أعضاؤهم رؤساؤها
ولأهله حقُّ العزا فبيوتُهم * مِن بعدهِ لا تنجلي ظلماؤها
لَكنْ مِنَ الشمسِ المنيرة إن تَغِبْ * بدرُ الدُّجا خَلَفٌ وفيه سناؤها
يا قلبُ صبراً فالمصائبُ كلُّها * إن تلقَها بالصَّبرِ خفَّ بلاؤها
[١٠] يا ربِّ قدِّسْ روحهُ وضريحَهُ * ومِنَ الجِنان تحفُّه نَعماؤها

وعليهِ مِن ربِّ الأنامِ تحيَّـــــــةٌ * موصولةٌ لا تنقضي آناؤُهـــــــا

محمدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ

من أجل المشايخ المعتبرين ، متخلقاً بالأخلاق الرائقة والأحوال الفائقة ، علماً وعملاً وزهداً وورعاً ومحبة في الله وأهله ، ووقوفا مع الكتاب والسنة ، يقول كل من عاشره ووزنه بالميزان الشرعي : إن جزءاً من أحواله لا يخرج عن الشرع .

ولد سنة سبعين ومئتين وألف (١٢٧٠) ، وتربى في حجر والدته السيدة خديجة بنت محمد بن الخرشي ، وعمته السيدة عائشة ، وجدته يتيماً حتى حفظ القرآن وأتقن أحكامه بقراءة السبعة ومخارج الحروف ، واشتغل بتعلم العلم .

يحفظ من المتون نحو الخمسين متناً ، منها الشيخ خليل ، وبعض متن الرسالة ، والعاصمية والتلمسانية ، والرحبية ، وجمع الجوامع في الأصول ، ولعله نظمه أيضا ، والآجرومية ، والأزهرية ، والقطر ، والشذور ، والألفية ، ومتن الجوهر المكنون في الثلاثة الفنون ، ومختصر السعد ، ومنظومة ابن الشحنا ، ورسالة الدردير ، والسمرقندية في الاستعارات ، والسنوسية في التوحيد ، والجوهرة ، ومتن بدء الأمالي ، ومتن الخريدة ، والجزائرية ، وفي المصطلح متن غرامي صحيح ، والبيقونية ، ومنظومة الصبان ، وألفية العراقي ، وفي الصرف متن البنا ، ومتن لامية الأفعال ، وفي المنطق السلم ، ومتن إيساغوجي ، وفي الوضع رسالة الوضع للعضد ، وفي الحكمة المقولات العشر ، ومتن آداب البحث للشيخ زين المرصفي ، وفي العروض متن الكافي ، ومتن

الخزرجية ، ومتن الصبان ، وفي التجويد متن الجزرية ، وتحفة الأطفال ، والشاطبية ، وفي المديح النبوي متن بانت سعاد ، ومتن البردة ، ومتن الهمزية ، ومتن البغدادية ، ومنظومة البرزنجي في المولد ، ودلائل الخيرات في الصلوات وغير ذلك ، ومن العلوم الشرعية والفنون الأدبية الصحاح الست ، وبعض تفاسير الكتاب العزيز ، والقسطلاني ومختصر خليل ، وشرحه للدردير ، مع استحضار
[١١] ما في الشروح الأخرى وحواشيها ، ونظمه أوكاد ، وبرع في الجميع حتى كان أوحد زمانه وفريد عصره وأوانه .

وكان يحب الخمول ويكره المحمدة والظهور ، لين الجانب صبوراً غيوراً على الدين ، صاحب حزم واجتهاد منذ خلق ما نطق بفحش ، ولا ضبطنا عنه ساعة هو غافل فيها عن دينه ، وكان يحفظ في اليوم مائة بيت .

هذا ومن تآليفه شرح منظومة الأستاذ[1] الاسمائية شرحاً عظيماً سماه « فوز الغانم » وله منظومة في الجمل سماها « الزهرة المقتطفة » وشرحها بشرح سماه « القهوة المرتشفة » وحشى الشرح بحاشية سماها « الحديقة المزخرفة »، وله منظومة في التوحيد وشرحها بشرح سماه « الموجز المفيد » وله شرح على منظومة الشبراوي سماه « بالمشرب الراوي » وله بديعية في الأستاذ وشرحها بشرح سماه « تحفة الإخوان » وله شرح على أرجوزة التوحيد للشيخ شعيب قاضي تلمسان الآن وفقيه المغرب الجزائري .

وصاحب الترجمة جيد النظم سهل العبارة في التعليم والتأليف ، ذكي الفهم غواصٌ في المعاني الدقيقة جبل علم مُناظرٌ مُحاجِجٌ نشأ في بلده وارتحل إلى زاوية الهامل المعمورة لثلاث وثلاثين سنة مضت من عمره ، قال الشيخ محمد بن السيد الحاج محمد في ترجمة الأستاذ : وقد علمنا وأفادنا ومالنا

---

(١) الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي رضي الله عنه .

مورد سواه في ما تعلمناه ، أما نظمه فانظر طرفاً منه في ترجمة شيخنا الأستاذ سيدي محمد بن أبي القاسم وله معنا أدبيات كثيرة اهـ.

يقول جامع هذا الكتاب : وأما نثره الكثير فمنه رسالة أجابني بها عن مسائل كنت محتاجاً إليها ، بل الجواب عنها مطلوب مني لاحتياج الطالب إليها ، وهو العلامة السيد ارنو[1] الترجمان الأكبر بالولاية الجزائرية العامة سابقاً في ترجمة تصوف كتاب « سعود المطالع »[2] إلى الفرنسوية ، وقد ترجمه وطبعه بالعربية والفرنسوية في تاريخ الرسالة المذكورة هنا .

نصها :

إذا أَمَـرَّ على رَقٍّ أناملَـــــــــهُ * أقرَّ بالرِّقِّ كتابُ الأَنـــامِ لـــــهُ

أوحد الفضلاء وأفضل النبلاء ، ناظم عقود الجمان وناثر قلائد العقيان ، الذي قل أن يكون له في فضله مساوٍ ، العلامة الفاضل المحقق ولدنا السيد الحفناوي لازلت محفوفاً بالرعاية ملحوظاً بعين العناية ، وسائر محابك ومن ينتمي إلى كريم أعتابك ، عليكم أتم السلام مع مزيد الإكرام والإنعام ، أما بعد : فإن تتكرم بالسؤال عن أحوالنا فإننا نحمد الله ونشكره ، وقد تشرفنا بجوابك المُفصِح عن صفاء ودادك ، المثمر لكمال محبتك وحسن اعتقادك ، أدام الله بهجتك ، وحرس من كل مكروه مهجتك ، وقد التمست مني تراجم

(١) هو شيخي في العلوم العصرية ومعلمي في فهم اللغة الفرنسوية ومساعدي على طلبها ، وبتربيته العقلية والعلمية ارتقيت إلى درجة أفتخر بها على أبناء وطني ، ونلت منه معارف كثيرة لأنه أحسن الله إليه كان لا يتكلم إلا بحكمة ولا يسكت إلا لها ، وهو الذي علمني التواضع القلبي والترفع القالبي على أهل الكبرياء ، فلله دره مِن شيخ حكيم ، ونعم الأمة التي يوجد فيها أمثاله ، لازمته في جريدة المبشر وكان مديره وأنا كاتبه مدة اثني عشر عاماً ، فلم أره على غير ما يُرضي أمته ، ولم أرمنه سوءاً في قول أو فعل أو حال ، ومثله أم ولديه السيدين روبير أرنو وموريس أرنو ، وكلاهما على قدم والديهما في العفاف والنزاهة وكرم الأخلاق وحسن التربية واكتساب المعارف والأدب ، وأمهما بنت العلامة بربني شيخ مشايخ العربية بالقطر الجزائري .

(٢) للشيخ عبد الهادي نجا الأبياري .

بعض الأعيان فاعلم أن بعض من ذكرت لم أسمع به فضلاً عن أن أعرف له
[١٢] خبراً ، ما عدا اثنين فقد وجدتهما في « كشف الظنون » وهما الفرغاني والناصر اللقاني ، إلا أنه يؤرخ وفاة الناصر على عادته في بعض المواضع منه ، ولعل الناسخ أسقطه سهواً .

قلت : والشيخ الناصر اللقاني كان من المعاصرين لسيدي عبد الوهاب الشعراني المتوفى سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة ، وقد أثني عليه في مواضع من كتابه « المنن الكبرى » ونص « كشف الظنون » باختصار في الفرغاني شارح تائية ابن الفارض ، هو السيد محمد بن أحمد الفرغاني المتوفى في حدود سنة سبع مئة ، وهو الشارح الأول لها ، حكي أن الشيخ صدر الدين القوني عرض لشيخه محي الدين بن عربي في شرحها فقال للصدر : لهذه العروس بعل من أولادك ، فشرحها الفرغاني والتلمساني ، وكلاهما من تلاميذه ، وحكى أن الفرغاني قرأها أولاً على جلال الدين الرومي المولوي ، ثم شرحها فارسياً ثم عربياً وسماه « منتهى المدارك » وهو كبير أورد في أوله مقدمة في أحوال السلوك : الحمد لله القديم الذي تعزز إلى آخره انتهى .

وذكر أن للناصر حاشية على شرح المحلي لجمع الجوامع ونصه : الشيخ ناصر الدين أبو عبد الله محمد المالكي اللقاني انتهى .

قلت : وله حاشية على « التصريح » ذكرها الشيخ يسن أول حاشيته ، وشرح على مختصر خليل سماه « تيسير الملك الجليل في جمع شروح وحواشي خليل » رأيت منه شرح الخطبة ، وهو عجيب مشتمل على فوائد من علوم شتى ، وقد وضع على شرحه على الخطبة العلامة الأجهوري شرحاً حافلاً في مجلد ضخم ، وللشيخ عبد الباقي تعليق عليه ، وله حاشية على توضيح الشيخ خليل على مختصر ابن الحاجب الفرعي ، لم أرها ولكن أجد العزو لها في الدسوقي وغيره .

هذا ما حضرني في الوقت ، والله أعلم ، ويسلم عليك كثيراً الشيخ محمد ابن الحاج محمد . انتهى من إملاء الأستاذ سيدي محمد بن عبد الرحمن ، كان الله له ولياً ونصيراً آمين بتاريخ ٢ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٠٥ .

ومن إنشائه في رسالة بعثها لي ما نصه : إنكم سألتموني عن وفيات بعض مشاهير ناحيتنا ممن له شيء يُذكر به ، كتصنيف كتاب أو إنشاء رسالة أو نحوها فاعلموا أن أهل ناحيتنا من أهل البادية ومن في حكمهم من القرى الصغيرة لهم [١٣] طلب في الفنون الأدبية ، من نحو وبيان ولغة وغيرها مما به الاقتدار على النظم والنثر لتصنيف كتاب او ابتكار رسالة واتساع في المعارف والعلوم ، ولكن لا اعتناء لهم بتقييد المآثر والوفيات كما هو ظاهر لمن استقرأ أحوالهم ، بل غاية ما يذكرون به ويمدحون هو العفاف والتقوى والورع والعبادة ، وغالب علومهم العلوم الدينية من عقائد وأحكام عبادة ومعاملات ، ولهم في التحصيل الكافي للاقتدار على التأليف ما لأهل المدن كالجزائر وقسنطينة وتلمسان وبلاد زواوة ، فإنها ملحقة بالمدن مع ما كان عليه الحال قبل هذا العصر من الهرج والفتن وشن الغارات والسلب والنهب ، وما يتبع ذلك من مكدرات الراحة العامة ، مما تنمو به المعارف وتتسع ، حيث توفر العمران ومد رواق العافية وبسط العدل والأمن ، إذا تمهد هذا فلنذكر لكم بعضاً على سبيل التمثيل والاختصار ، إذ لم نطلع على من له تصانيف في الصحراء الغربية منا إلا الشيخ سيدي عبد الرحمن بن الصغير الأخضري دفين الزاب المتوفى في حدود خمسين وتسع مئة ، وتصانيفه مشهورة منتفع بها ، منها « الجوهر المكنون » وشرحه في المعاني والبيان والبديع ، ومنها « السلم المرونق »في علم المنطق » وشرحه ، ومنها « الدرة البيضاء » في الحساب والفرائض وشرحها ، ومنها « السراج ، في علم الفلك ، وله غير ذلك ، قيل : إن تصانيفه تزيد على العشرين . ومن أهل الصحراء الشيخ خليفة بن حسن الغماري السوفي ، فقد

نظم مختصر خليل نظماً عجيباً ، وهو مطبوع ، وهو من أهل أوائل القرن الثالث عشر الهجري .

وأما المشاهير ممن له أو ليس له تأليف فمنهم : الشيخ سيدي محمد بن عزوز شيخ زاوية البرج من قرى الزاب ، له أتباع كثيرة ومقاديم ، توفي سنة ١٢٣٣ ، ومنهم الشيخ سيدي علي بن عمرو شيخ زاوية طولقة من قرى الزاب أيضا ، له أتباع وطلبة ومقاديم ، توفي في حدود ١٢٦٠ ، ومنهم الشيخ سيدي عبد الحفيظ شيخ زاوية الخنفة ، له عدة رسائل ومنظومات في علوم الطريقة ، وله أتباع وطلبة ومقاديم ، توفي في حدود ١٢٧٠ تقريباً ، ومنهم الشيخ سيدي المختار [١] شيخ زاوية أولاد جلال ، له أتباع وطلبةومقاديم ، توفي سنة ١٢٧٦ ، ومنهم الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم شيخ زاوية الهامل ، له عدة رسائل وأجوبة مسائل سئل عنها ، درَّس وأفاد ، وله أتباع ومقاديم ، توفي سنة ١٣١٥ ، ومنهم بدائرة الجلفة سيدي الشريف بن الأحرش [٢] ، كان عالماً ودرس وأفاد ، وله طلبة وأتباع ، توفي سنة ١٢٨٢ ، ومنهم السيد أحمد بن الأخضر ، والسيد الطيب بن الأخضر ، والسيد المولود بن الأخضر من شرفاء الهامل[٣]، وتلامذة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم كل منهم درَّس وأفاد ، وحصل منهم غاية الانتفاع ، ووفاتهم سنة ١٣١١ ، ومنهم السيد محمد الصديق[٤] بن أحمد بن سليمان الديسي ، درس وأفاد ، وتوفي سنة ١٣٠٦ ، ومنهم سيدي الشيخ[٥] ابن أبي القاسم بن الصغير الديسي ، درَّس وأفاد ،

---

(١) والقائم الآن في زاويته ولده الشيخ محمد الصغير ، عالم صالح توفرت فيه شروط المشيخة الرحمانية .

(٢) القائم الآن مقامه في الرئاستين ولده الصالح السيد أحمد بن الشريف في عين معبد قريباً من الجلفة ، وهو رجل تمكنت محبته في قلوب الخلق لفضله واحسانه وتقواه .

(٣) ما توا شهداء الوباء في الحج قبل وفاة الأستاذ .

(٤) ستأتي ترجمته وترجمة ولده رحمهما الله تعالى .

(٥) تقدمت ترجمته في حرف السين المعجمة .

[١٤] وتوفي سنة ١٣١١ ، وكلاهما من أولاد سيدي إبراهيم الغول ، ومنهم السيد محمد بن علي بن شبيرة من شرفاء مدينة أبي سعادة ، وأخوه السيد أحمد بن علي بن شبيرة ، كل منهما درَّس وأفاد ، وتوفيا في حدود سنة ١٢٧٠ ، ومنهم السيد محمد بن عبد القادر من شرفاء أبي سعادة ، درس وأفاد ، وتوفي سنة ١٣٠٠ ، ومنهم السيد الطيب بن محمد من شرفائها أيضاً ، درس وأفاد ، وتوفي سنة ١٣١٩ اهـ.

وخاطبني برسالة أخرى نصها :

العلامة العارف الجم العوارف والمعارف ابننا الشيخ الحفناوي ابن الشيخ البركة ولي نعمتي سيدي الشيخ ابن أبي القاسم ، أشهد الله العظيم العزيز أنك لدينا لمكين عزيز ، فحيّا أحبكَ محبة الوالد لبررة الأولاد ، وأدعو لك بخير الدارين من صميم الفؤاد، فحيَ الله تلك الطلعة البهيَّة ، أبرك وأطيب وأزكى تحيَّة ، أما بعد : فقد وصلني الجواب ، ففرحت به فرح الممحل بقطر السحاب ، حرس الله كمالك ، وأنجح آمالك .

هذا وإجمال المقال على بعض ما تضمنه السؤال ، إن السر في جواز كشف المرأة الغير المخشية الفتنة وجهها وكفها شمولُ عمومات نصوص إباحة أنواع المعاملات لها ، لأنهن شقائق الرجال ، فبإباحة التزوج يجوز للخاطب نظر وجهها وكفها فقط ، ليستدل بهما ، ولأنها كالبائعة ، والزوج كالمشتري ، ولذا قال خليل : الصداق كالثمن ، ويجوز لها البيع والشراء والإجارة لضروریاتها إن لم تجد كافياً. قال خليل آخر فصل المفقود في شأن المعتدة : « ولها الخروج في حوائجها طرفي النهار» وقد تضطر المرأة أيضا للشهادة لها أو عليها ، كما أنها تجوز شهادتها في المال أو ما يؤول له ، وفي ما لم يطلع عليه غيرهن قال خليل في باب الشهادة : « ولا على من لا يعرف إلا على

عينه ، وليسجل من زعمت أنها ابنة فلان ، ولا على منتقبة للتعين للأداء ، وإن قالوا أشهدتنا منتقبة ، وكذلك نعرفها ، قلدوا وعليهم إخراجها إن قيل لهم عينوها » فلو كلفت بستر جميع بدنها في نحو هذه الأبواب حصل الاشتباه والتبس الحال وفات المراد وانتشر الفساد .

[١٥] وأما دليل وجوب ستر الوجه والكف من المخشية فعموم أدلة تحريم الفاحشة ، إذ الوسيلة لها حكم مقصدها ، وأما حصر الأمور التي يحكم فيها بالعرف وأمثلتها فتظهر من تتبع المتون الفقهية كالمختصر والتحفة ونحوهما ، قال في المختصر في بحث مخصصات عمومات الأيمان عاطفاً على قوله : وخصصت نية الحالف ، ثم بساط يمينه ، ثم عرف قولي الخ وقال في فصل تنازع الزوجين عبد الوهاب إلا أن يكون بكتاب وإسماعيل بأن لا يتأخر عن البناء عرفاً ، وقال في باب الإجارة:« واسترضاع والعرف فيه كغسل خرقه » وقال بعده في الباب أيضا : ولا يلزمه رعي الولد إلا لعرف ، وعمل به في الخيط ونقش الرحا وآلة بناء الخ وعدَّ من ذلك جملة ، وقال في باب الهبة : وصدق واهب فيه إن لم يشهد عرف بضده اهـ. وهذا أنموذج والتتبع يطول ، وقال في « تحفة الحكام » في فصل اختلاف الزوجين في القبض :

وهـوَ لهـا فيمـا ادَّعى مِن بعـدِ أنْ * بنـى بهـا والعرفُ رعيـهُ حَسَـنْ

وقال بعده في فصل ما يهديه الزوج :

وإنْ يكُ الإرسالُ للثـوابِ * شاهدُهُ العرفُ بلا ارتيـابِ

وأما فتاوى السنوسي فلم أسمع بها ولم أقف عليها إلا في الكتابين الذين ذكرت ، وأما ترجمة الفقير فالرأي أن تكلف بها أحد الشابين النجيبين الصديقي أو ابن السنوسي والإنشاء المطلوب متعذر مني الآن لضعف القلب حساً ومعنىً ، فاعفني منه عفاك الله ، ونظم الورقات بشرحه قد كلفت من ينسخه لكم ،

وعما قريب يصلكم إن شاء الله تعالى ، ودمتم كما رمتم ، والسلام . من إملاء الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن .

وله مقامة في المناظرة بين العلم والجهل كأنها مملاة عليه من فم الحقيقة ، أتى فيها على لسان العلم وأهله ولسان الجهل وذويه بما لهما وعليهما من الخصال والصفات ، وكلها فوائد تاريخية ولطائف علمية وإشارات إلى حوادث عظمى ، تتميز بها الممالك والأجيال في الماضي والحال ، ومع هذا هي ورقات قليلة يمر عليها الذكي في ساعة أو أقل ، أو لها :

بعد حمد ملهم الصواب وكاشف الأوصاب ، والصلاة الكاملة المتواصلة الشاملة على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه ، والفئة العالمة العاملة ، فقد اقتضى الحال أن يقع بين العلم والجهل مناظرة وجدال ، فاجتمع قوم ، وعينوا لذلك يوم ، فقام العلم ، وقد شاخ وأسن وأدركه الضعف والوهن ، بادي الإعواز ، يتوكأ على عكاز ، في رثة حال وأطمار وأسمال ، فبسمل وحمدل وحسبل وحوقل وصلى وسلم على خير من عِلمَ فعلَّم ، وقال : يا جهل ! ما أنت لخطابي بأهل . إلى أن قال بعد صفحات على لسان الجهل يخاطب العلم : يا قليل الجدوى ، يا داعية الكبر والدعوى ، أتفخر ببنيك الشُّعث الغُبر ، الذين ليس لهم عند أهل الدنيا اعتبار ولا قدر ، إن خَطبوا رُدُّوا ، عُدَّ الناس فما عُدُّوا ، وإن غابوا فما فقدوا ، وإن حضروا فكأنهم ما وُجِدوا ، [١٦] ما لهم شارة ، ولا إليهم إشارة الخ .

وقد طبعت هذه المقامة في تونس بمطبعة بيكار وشركائه في نهج الجزيرة ، طبعاً يحتاج إلى تصحيح كثير .

ولما بعثت له الجزء الأول من هذا التعريف قرظه بقوله :

نحمدك اللهم يا من جعل العلم حِلية الأبرار ، وقنية المهتدين الأخيار ،

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الرحمة المهداة ، وعلى آله وأصحابه الأئمة الهداة .

أما بعد : فإن العلم من أفضل الذخائر ، وأشرف ما يتنافس في خدمته أفاضل الأوائل والأواخر ، وهو لعمري من أسنى المواهب ، وأعلى المفاخر والمناقب ، فالعلماء وأعيانهم مفقودة ، وآثارهم على صفحات الدهر موجودة ، وإن من أظرف فنونه ، وألطف أغراضه وعيونه ، فن التاريخ الجليل ، المعظَّم في كل أمة وقبيل ، الذي لولاه ما عُرفت سِيرُ الملوك والعظماء ولا حُفظت تراجم العلماء والحكماء ، وإن من أبدع مصنفاته وأحسنها ، وأجل مؤلفاته وأتقنها ، السفر المسمى « بتعريف الخلف برجال السلف » الذي حرره العلامة المحقق بلا مدافع والجهبذ المدقق بلا منازع ، فريد عصره السيد الحفناوي بن الشيخ حفظه الله تعالى وأسعد أحواله ، وأنجح فيما يرجوه في الدارين آماله ، فإنه كتاب جليل الموضوع أحيا به مجد علماء القطر ، وأبان عن مآثرهم ومالهم من جميل الذكر ، وقد قلت أبياتاً في مدح المؤلف وتأليفه ، متضمنة لتاريخه حسب الإستطاعة ، فإن الإنفاق بمقدار البضاعة :

حبَّذا عقدُ جمـــــــانٍ ودُرَرْ * صاغَهُ الحبرُ الجليلُ المعتَبـــــرْ
مُفرَدُ العصرِ الهُمامُ المرتضـــــى * ما جدُ الآباءِ محمودُ السِّيَـــــرْ
إن وشى طرساً فحدِّثْ ما تشـــا * عَن بيانٍ ومعانٍ كالغُـــــرَرْ
لَوْ ذَعِـيٌّ ذو مزايا جَمَّـــــــة * فارسُ التحريرِ غوَّاصُ الفِكَـــــرْ
ذلكَ الحفنيُ نبراسُ الدُّجـــــا * في عُلاهُ صدّق الخبرُ الخبَـــــرْ
وكفانا شاهداً إبـــــرازُه * تحفةٌ في العصرِ تسبي مَنْ نَظَـــرْ
ضمنها تعريفُهُ بالعلمـــــا * مِن رجالٍ ذكرُهم يجلي الكَـــدَرْ
جمَّلوا الغربَ وأعلوا قـــــدْرَهُ * وهُمُ للغربِ نِعْمَ المفتخَـــــرْ
خدموا العِلْمَ فمـــا أسعدهـــــم * ظَفَرُوا بالفوزِ في أعلى مَقَـــرْ
زَيَّنَتْ أسماؤُهُم مـــدرســـــةً * بجوارِ الثَّعلبي القُطبِ الأبَـــرْ

[١٧] روضةُ العلمِ ومغنى الفُضَـــــــلا * سوفَ يحيى في حماها ما اندثَـرْ
يا لَهُ سِفراً غدا تاريخُـــــــــهُ * جَلَّ للتعريفِ معنى قد بَهَـــــــرْ
* ٣٣ ٨٢٠ ١٦١ ١٠٤ ٢٠٧
سنة ١٣٢٥

محمدُ ابنُ سيدي بنِ علي

علم الأعلام اللاعب لسانه بأطراف الكلام ، سحبان البلاغة وقس البراعة ، ومالك أزمَّة المعاني ومصرِّف اليراعة ، فارس الأدب المفرد وحامي ذماره ، وحارس روضه الأنُف ، ومطلع شموسه وأقماره ، شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد بن سيدي محمد الشهير بسيدي ابن علي ، أمطر الله ثراه من الرحمة والرضوان بكل وَسْمِيّ ووليّ .

أثبت له سيدي ابن عمار في رحلته ما يرشف رحيقاً ، وينشق مسكاً سحيقاً ، ويُستروح نسيماً ، ويُستلمح مُجَيّاً وسيماً ، ويسترق عذباً زلالاً ، ويستنطق سحراً حلالاً ، وذكر له فيها موشحات كثيرة ، وأطنب في مدحه بعد ذكره لموشحاته ، كما أطنب في مدح الجزائر فقال فيه : هذا الإمام هو خاتمة الشعراء العظام بهذا الصقيع ، ليس لقليل الأدب بعده نقع ، وكثيراً ما كنت أرتاح إليه رحمه الله تعالى كما يرتاح إلي ، ويا طالما كان يفرغ من سجال آدابه عليّ ، ومضت لي معه مجالس كقطع الرياض ، تكسي النفس والطبع منها مطارف ارتياح وارتياض ، وشعره كثير ، وهو على كثرته يفوق الدر النظيم والزهر النثير ، ونثره على جودته قليل ، وسيفه فيه غير فليل ، وله ديوان أشعار تغلو في عكاظ الآداب إذا رخُصت الأسعار .

وكان رحمه الله في نظمه متين الجِد ، لطيف الهزل ، محكم النسج ،

رقيق الغزل ، قال : وقد ترجمته في تأليفي « لواء النصر في فضلاء العصر » وباسمه صدرت في الكتاب وافتتحت ، وبطلٌ أدبه رقرقت زهره وفتحت ، ثم قال مادحاً للجزائر وله : تنزهنا مرة ببعض محروسة بلدنا الجزائر التي هي ريحانة القاطن وسلوانة الزائر في حدود سنة الثلاث والستين بعد المئة وألف ، وقطفنا زهرات الأنس أيما قطف ، وكان روح سرورنا الذي عليه المدار ، ومغناطيس حبورنا الذي لا يأتي الدهر بمثله ، ولا ساعدت به الأقدار ، شيخنا الأديب البارع الناهل من حياض السُّؤْدُد والكارع ، الذي تقلدت بعلومه كاعب الدنيا ، وتحلَّت وألقت إليه أرض الآداب ما فيها وتخلت ، أبو عبد الله المذكور ، فمضت لنا أيام أنس ما مضت للنعمان بالشقيقة ، ولا قضتها غسان بروضة شامهم الأنيقة ، ولا نادم حسان في مثلها عصابته بجِلَّق ، ولا جال في وصف شبهها لسانه المتذلق ، ولا مرت لأهل العراق بالرُّصافة والدجلة ، ولا أجرى ابن عباد في مثلها للهوِ خيلَه ورجله ، ثم صدرنا ولا بد بعد الورد من صدر ، وأيام الأنس عندما تخلو يختلسها القدر ، فعرضت لي بعقب ذلك
[١٨] غيبة ملأت من الأشواق العيبة ، فكتب إلي يتشوق ويصف نزهتنا تلك بما يتقلد به جيد الأدب ، ويتطوق من هذه القصيدة التي قام فيها وقعد ، وبرق سماء فكره على أهل هذه الصناعة ورعد ، شمَّر فيها عن ساعد الإتقان ، وأطلعها في فلك البلاغة طلوع الثريا ، أستغفر الله بل الزِّبرِقان ، وأتى فيها من غرائب الإحسان والإجادة بما يبكت أبا تمام ويسكت أبا عبادة ، وهي قوله دام عزه وطوله :

قسماً بريحانِ العقيقِ وبـانـــهِ * لقد انقضى غزلي على غزلانـــهِ
مِن كلِّ أحورَ بابليِّ الطرفِ فـــا * تِكُهُ بأربابِ النُّهى فتَّانـــــهِ

تنيف على المئة ذكره في آخرها بقوله :

وإذا الفتى عَلِقَ الفضائلَ واعتلـــى * قِنَنَ المعالي عزَّ في سُلطانـــه
وعلَتْ إشارتُه وشارتُه فـــلا * زمنٌ تراهُ يسودُ غيرَ زمانـــه
ما كلُّ مَنْ صاغَ القريضَ يُجيـــدهُ * معنى ويصرفُه على أوزانـــه
إلا ابن عمَّارٍ فحسبُكَ مِن فتـــى * زانَ النشيدَ وعدَّ في أعيانـــه
حلّى بحلبته وألبسَ خلعةَ التـــ * ـقديمِ فيه وجدَّ عَن أقرانـــه
قد همْتُ مِن شوقي إليه وليتنـــي * وافيتُه كالطَّيرِ في طيرانـــه
فعليه مني مـا حييتُ تحيَّـــةً * تُزري بعَرْفِ البانِ في إبانـــه
وتُحلني منهُ محلَّ شقيقـــه * أو كالشقيقِ الغضِّ مِن نعمانـــه
ما دارَ كأسُ الوُدِّ بينَ أحبَّـــةٍ * هاموا بريحانِ العقيقِ وبانـــه

وله أمداح كثيرة وأدبيات شهيرة ، وشهرة هذا الرجل تغني عن التعريف ، وأيدي الناس ممتلئة من شعره التليد والطريف .

وقد ذكره الكاتب أبو زيد عبد الرحمن الجامعي الفاسي في رحلته فقال عندما ذكر الجزائر ما نصه : وأما مدينة الجزائر فأول بلد لقيتُ بها مثل من فارقته من أدباء بلدي ، وبها تذكرت بعض ما كان نَسِيَه خَلَدي لاجتماعي بها بالأديب الماهر ، الدال وجوده على صحة القول بوجود الجوهر الفرد في سائر الجواهر ، أديب العلماء وعالم الأدباء محيي طريقة لسان الدين ابن الخطيب ، الإمام الخطيب ابن الإمام الخطيب ابن الإمام الخطيب ذي القدر العلي أبي عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن علي ، أبقى الله وجوده بالألطاف محفوفاً ، وبالنفحات الأدبية منحوفاً متحوفاً ، فهي والحمد لله إلى الآن دار الجوهر
[١٩] الفرد في الأدب وعلم العقل والنقل ، وتنبت العلماء والصالحين كما تنبت السماء البقل ، ولقد رأيت على ظهر الجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام الثعالبي خطوط عاملين وصلحاء كاملين ، كانوا في عصره وهم العلامة سيدي

أحمد بن عبد الله الزواوي ، وعبد الجليل بن عيسى بن عمران ، وعيسى ابن محمد الجعفري ، وعيسى بن عبد الله الزركوطي ، وقاسم بن محمد بن محمد ابن علي ، وأبو جمعة بن حسين المكناسي شيخ الثعالبي ، وعبد الرحمن بن المقداد ، ومحمد بن موسى بن اعمر ، كما رأيت خط الثعالبي بنفسه في مبيضته بتمامها في سفر ضخم ، وعلى ظهره أشهد على نفسه أنه حبسها على طلبة العلم ، وكتب ذلك بخط يده سنة خمس وثلاثين وثمان مئة ، وأنزلوا هؤلاء الأشياخ خطوط أيديهم نفعنا الله ببركاتهم .

وأولياؤها المشهورون بها المتبرَّك بزيارتهم ، وأنا أتبرَّك بعدتهم إن شاء الله هم : سيدي سليمان الشريف ، وسيدي عبد اللطيف ، وأبي يعلى الشريف ، وسيدي بركات ، وأبي سيدي مزيل الكربات ، وسيدي عبد الكريم الغافري ، وسيدي أبو حفص عمر بن منصور ، ووال داده ، وسيدي أبي النور ، وأبي يعقوب الشهير بالبادسي ، وذو الرملة ، ورجال ساحة المدارج ، والرجال السبعة ، وسيدي هلال ، وأبو العباس أحمد الجودي من أكابر أولياء مزغنة ، وابن منصور الحلبي صاحب المدرستين تلميذ الثعالبي ، والسيد الحمزي ، وسيدي فليح ، والشيخ سيدي علي الفاسي ، وأبي شريحة ، وداوود بن علي ، وسيدي محمد الشريف دفين زاويته بالجبل ، وسيدي شعيب ، وسيدي رمضان ، وأبو نحلة ، وسيدي إبراهيم التكروري ، وسيدي مصباح ، وسيدي أبو قدور ، وسيدي الحرفي ، وسيدي زروق ، والإمام الخروبي ، وسيدي عيسى الدنيري ، وسيدي التنسي ، وسيدي عبد القادر ، وسيدي أحمد بن علي ، وسيدي المغوفل ، وولي الله محمد الديلمي ، وسيدي رزيق ، وسيدي أبي التقي بباب عزون ، وسيدي عبد الحق بها أيضاً ، وسيدي علي الزواوي ، وأبو مهدي ، وسيدي عيسى ، وأبو مهدي ، وأبو يخلُف ، وأحمد ابن أبي العباس الكبير ، وسيدي موسى بن ناصر ، وعلم بن مخلوف الحريري ،

والحاج المنير ، وسيدي عبد العزيز ، وسيدي محمد بن عبد الرحمن الجرجري ، وسيدي أحمد بن عبد الله صاحب القصيد ، رضي الله عن جميعهم ونفعنا ببركاتهم .

وهذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء وعلماء أدباء وأعلام خطباء ، مساجدهم بالتدريس معمورة ، ومكاتب أطفالهم بالقراء مشحونة ومشهورة ، وقد ذكرت ما فيه غنيمة من علمائها الأخيار ، وكلهم متحلُّون بما ذكره الغزالي في « الإحياء » متضلعون بعلم النحو والفقه والحديث ، وإحياء ليلة المولد النبوي مثل ما في القديم والحديث اهـ.

سيدي محمدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ جلال التلمساني

الشيخ الإمام الفقيه العالم العلامة النبيه ، مفتي فاس ، وخطيب جامعها
[٢٠] الأعظم وعميد علمائها ، وشيخ الجماعة بها ، أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي التلمساني .

ولد بتلمسان سنة ثمان وتسع مئة (٩٠٨) ، ثم رحل منها إلى فاس سنة ثمان وخمسين في صدر أيام السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف ، ولما استقر بفاس قلده السلطان المذكور الفُتيا بها والتدريس ، وخطب بجامع الأندلس ثمان سنين في حياة أبي زيد عبد الرحمن بن إبراهيم ، وولده الشيخ أبي شامة ، ثم بجامع القرويين ثلاث عشرة سنة ، وكان إمام الأئمة وحبراً من أحبار الأمة ، قد تضلَّع من أفانين العلوم وشرب من صفو رحيقها المختوم ، وتنافس الناس في علومه والاقتباس من فهومه ، عارفاً بالمنطق والعقائد والبيان والفقه والحديث والتفسير وغير ذلك ، مرجوعاً إليه في تحرير عقائد التوحيد هنالك ، ذا سمت حسن وهدي كريم مستحسن ، وتؤدة وسكينة ووقار وهمة

عظيمة المقدار ، وجود وسخاء وفضل وذكاء .

أدرك المشايخ بتلمسان ، وأخذ عنهم وانتفع بهم ، كالفقيه المحصل الصالح المفتي أبي عبد الله محمد بن موسى فقيه تلمسان ، والفقيه المتفنن الصالح أبي عثمان سعيد المقري ، والأستاذ المحقق أبي العباس أحمد بن أطاع الله من تلاميذ الشيخ ابن غازي ، وحضر عند الفقيه المفسر المتفنن النوازلي أبي مروان عبد المالك البرجي في التفسير وغيره ، وكذا أخذ عن جماعة من أصحاب أبي عبد الله السنوسي ، وعن أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي المليانى ، وكان والده سيدي عبد الرحمن من رفقائه وأصحابه الملازمين له ، وكان ولده صاحب الترجمة يزوره معه ويتبرك ، فكان ممن سمع أحوال الأولياء وسبقت محبتهم في قلبه ، وفي « المرآة » أنه أخذ عنه الشيخ أبو المحاسن ولازمه كثيراً ، وقرأ عليه التفسير والأصول والفقه والكبرى والصغرى للسنوسي ، قال : وكان قد أخذ عن الشيخ الإمام المتفنن الصالح الزاهد أبي عثمان الكفيف ، وهو أخذ عن الشيخ السنوسي ، وأخذ أيضاً عن الشيخ أبي العباس ابن زكري رحمهم الله اهـ.

وقال في « ابتهاج القلوب » : قال النيجي : أخذ الشيخ أبو المحاسن عنه عقائد التوحيد ، وكان ماهراً في ذلك بشهادة العامة والخاصة له كاليسيتني وغيره اهـ.

[٢١] وفي « تحفة الإخوان » للمرابي عدَّ أيضاً من أشياخ سيدي رضوان الجنوي وقال : إنه كان من العلماء الراسخين من بيت علم ودين ، وخطيباً بالقرويين ومفتياً بها اهـ.

وقال في « الدوحة » : لقي المشايخ وأخذ عنهم بتلمسان ، وطالت أيام رئاسته بفاس حتى أَسَنَّ وأثقله الهرم ، وانتفع الناس به ، وتوفي سنة إحدى

وثمانين اهـ. يعني من القرن العاشر (٩٨١) .

وعدّه المنجور في « فهرسته » ممن قَدِمَ على فاس من فقهاء تلمسان ، وأخذ هو عنهم ، وحلاه بالفقيه الموحد المشارك المفتي الخطيب ، وقال : استفدت منه في العقائد والفقه والحديث والأدب وغير ذلك ، ثم قال : وكان ذا تؤدة وسكون وهمة وسخاء ، استوطن فاساً وبها توفي في ثامن رمضان سنة إحدى وثمانين (٩٨١) ، قال : وقال لي : إنه ولد سنة ثمان وتسع مئة اهـ.

وهكذا ذكر وفاته أيضاً غير واحد ، وفي « الجذوة » و« درة الحجال » أنه توفي سنة ثمانين بإسقاط لفظ إحدى ، وفي « المطمح » توفي سنة ثمانين أو إحدى وثمانين وتسع مئة اهـ ، وضريحه رحمه الله على ما يؤخذ من التنبيه بقرب سيدي أبي غالب . ترجمه في « الجذوة » و «الدرة » و« نيل الابتهاج » و« الدوحة » و« المرآة » و« ابتهاج القلوب » و« المطمح » وغيرها .

محمدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ البوني

الأديب الركن الماهر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الجمال محمد بن الشهاب أحمد بن أحمد البوني المكي المالكي .

قَدِمَ جدهُ من المغرب وهو فقير جداً ، فقطن الحجاز وترقى ابنه بخدمة الشريف بركات ابن أبي نُمي صاحب مكة ، وكان فيه خير ونفع ، وقف في مرض موته على البيمارستان المكي بعض الأماكن ، وخلفه ابنه في الترقي ، وله إخوة ، وكان محمد هذا على مذهب آبائه ، وكان كاتباً شاعراً ولد بمكة وبها نشأ ، وحفظ أشعار العرب ونافس أقرانه في علوم الأدب ، وله أشعار حسان ، منها قوله مجيبا للبرهان إبراهيم المهتار عن قصيدة خمرية نظمها وأرسلها إليه ليعارضها ومطلعها :

دعِ الوقوفَ على الأطلالِ والنجبِ * ولا تعرِّجْ على مجهولِها الخربِ

فعارضها بقوله :

ما دامَ كأسُ الحُميَّا باسمَ الشَّنَبِ * فتَرْكُ لثمي لهُ من قلَّةِ الأدبِ
فاستَجْلِها بنتَ كَرْمٍ مع ذوي كَرَمٍ * من كفِ ساقٍ ببردِ الحُسْنِ مُحتجبِ
كالبَدْرِ يسعى بشمسِ الرَّاحِ في يدهِ * فاعجَبْ لبدرٍ سعى بالشمسِ للَّهَبِ
إذا رنَا قلتُ : خشفٌ في تَلفُّتِهِ * وإن تثنَّى فغصنٌ ماسَ في الكَثَبِ
مَنْ لي بها وهي تُجلى في زُجاجتِها * ومن سنا مؤنسي باللهوِ والطَّرَبِ
[٢٢] مَعْ رفقةٍ كالنُّجومِ الزُّهرِ ساطعةٍ * حازوا جميعَ النّهى والذوقِ في العَرَبِ
والوُرقُ تشدو على الأغصانِ قائلةً * باكِرْ صَبُوحَكَ بالكاساتِ والنّجَبِ

وله تتمة لم أقف عليها ، وكتب إليه المهتار قصيدة مبدؤها :

بقلبي سيفُ اللواحظِ سنَّهْ * وأقرضَ وجدي وهجري سنُّهْ

فراجعه بقصيدة طويلة أولها :

أجبتُكَ مولايَ من غيرِ منَّهْ * فذوقُكَ قد حفني الفضلُ منَّهْ
وإني مُطيعُكَ فيما أمرتَ * به ووِدادي كما تعهدنَّهْ
عجبتُ لسحرِ عُيونِ الظِّبا * تصيدُ القساورَ من غابهنَّهْ
وهُنَّ الدُّمى الخردُ الآنساتْ * ومَنْ لهم الشِّعْبُ أضحى مظنَّهْ
فكم دونَ أخدارهم مهلكٌ * وكم حولَهم من جيادٍ مُغنَّهْ
ببيضِ الصفاحِ وسُمرِ الرِّماحِ * وصفرِ القِسيِّ وزُرقِ الأسنَّهْ
فحيِّ حِمىَ الشِّعْبِ من عامرٍ * حياً لم يزلْ يسقي أطلالهنَّهْ
فثمَّ الغواني الملاحُ الصباحُ * يرنُّ الوشاحُ بأعطافهنَّهْ
إذا مسْنَ ما بينَ تلكَ الخدورِ * يُحاكي القتالين أعطافهنَّهْ
فطيرُ الحشا لم يزلْ واجباً * عليهنَّ إنْ لُحْنَ في حيِّهنَّهْ

ومِنْ ثُمَّ أهـوى بـديعَ الجمـــال * حوى اللُّطفَ والظَّرفَ مِن بينهنَّـهْ
رشاً خصرُهُ مضمرٌ نـاحـــلٌ * إذا قامَ والرِّدفُ ما أرجحنَّـــهْ
فوجنتُـــهُ منـذُ دبَّ العِـــذَارُ * حكَتْ يا ذوي العِشْقِ ناراً وجَنَّـةْ

ما أحسن قوله واجباً بعد قوله فطير، وطيور الواجب المتعارفة عند أرباب القوس والبندق أربعة عشر: وهي الكركي والسبيطر والعنز والسوغ والمرزم والغرنوق، وهذه الستة يقال لها: قصار السبق، والنسر والعُقاب والإوز والتمّ واللغلغ والأنيسة والسلوى يقال لها: طوال السبق، وإنما قيل لها: طيور الواجب لأن الرامي كان لا يطلق عليه لفظ الرامي إلا بعد قتل هذه بأجمعها بالبندق وجوباً صناعياً.

ومن شعره قوله:

أنحلَ اللهُ خصرَ ذاتِ المثـــــالِ * فَهْيَ واللهِ لا تَرِقُّ لحالـــــي
وأراني ألحاظَهـــا في انكســـارٍ * ولظى جمرِ خدِّهـــا في اشتعـــالِ

[٢٣] وله غير ذلك، وكانت وفاته في سنة ثمان عشرة وألف (١٠١٨)، ودفن بالمعلاة، والبوني نسبة لبونة بالمغرب من أعمال تونس. وهي المسماة اليوم عنابة.

محمدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ الأنصاري

محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجي الأنصاري الشاطبي الفقيه القاضي الصدر المتقن المحصل المجيد، له علم محكم وعقد صحيح مبرم رحل للشرق وحج، وكانت رحلته بعد تحصيله فزاد فضلاً إلى فضل ونبلاً على نبل.

كان متثبتاً في فقهه لا يستحضر كثير النقل ، ولكن ما يحتاج إليه ،عالماً بالعربية وأصول الفقه ، مشاركاً في أصول الدين ، شرح الجزولية وكان أبوه قاضياً ، وَبَيْتُهُمْ بيت علم وقضاء وتوارث سؤدد ، ولي قضاء بجاية فكان على سنن الفضلاء وطريق الأولياء العقلاء ، قائماً بالحق مع الصدق معارضاً للولاة ، لا يرى تقديم الشهود إلا عند الحاجة ، فإذا حصل من تقع به الكفاية فلا يقدم سواهم لأن الكثرة مفسدة .

طلب منه الملك تقديم رجل فقال له مشافهة : إن شئتم قدمتموه وأخروني ، وكان إذا جرى الأمر في تحرِّي الشهادة ويجري ما قاله فيه القاضي أبو بكر ابن العربي وغيره من أنها قبول قول الغير بغير دليل يرى أن هذا أمر عظيم لا يليق أن يمكن منه إلا الآحاد الذين بان فضلهم في الوجود ، وكان يرى أن جنايات الشاهد في صحيفة من يقدمه لحديث « مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً » وقد سئل : من أولياء الله ؟ فقال : شهود القاضي لأنهم لا يأتون كبيرة ولا يواظبون على صغيرة ، فإن كانت الشهادة بهذه الصفة فلا شيء أجلُّ منها ، وإن كانت خطة فلا شيء أخس منها ، ولما كانت واقعة ابن مرين بطنجة عرض عليه أهلها أن يتقدم وأن يبايعوه فقال : والله لا أفسد ديني . ولما توفي عجز القاضي بعده عن سلوك منحاه واقتفاء سننه . صَحَّ من الغبريني في تاريخ أهل المئة السابعة ببجاية .

سيدي محمدُ بنُ عبدِ الكريمِ التواتي

محمد بن عبد الكريم التواتي نزيل تكروت قال أبو سالم : عالم زمانه شدا طرفاً من الفقه والنحو ، وله خبرة بعلم العروض اهـ.

محمدُ بنُ عبدِ اللهِ القاضي التلمساني

يعرف بحمور الشريف ، أخذ عنه أبو زكرياء المازوني ، ونقل عنه فتاوى في نوازله .

قال الونشريسي في « وفياته » : توفي سنة ٧٣١ ، وقال محمد بن يعقوب الأديب : توفي سنة ٨٣٢ أو ثلاث وثلاثين اهـ. وأما محمد الشريف التلمساني [٢٤] من شيوخ القلصادي فهو غير هذا ، والله أعلم لاختلاف وفاتهما فتأمله .

أبو محمدٍ المسبح القسنطيني

الفقيه الفرضي أبو محمد عبد اللطيف المسبح المرداسي نسباً ، كذا بخطه .

كان مفتياً بقسنطينة مرجوعاً إليه في وثائق أهلها ، وكان الحساب أغلب عليه من غيره ، مدرساً في آلفقه ، صاحب تفنن فيما يحتاج إليه من الوثائق ، وله شرح على مختصر الشيخ الصالح سيدي عبد الرحمن بن الصغير الأخضري ، طالعناه زمن الشبيبه فرأينا عماده على جمع الكتب والنقل منها فحسب ، لا يُلم بلفظ المصنف ولا يأوي إليه ، ولا ما يستخرج من أبحاث لفظه ومفهوماته ومآخذه ، وهو الموجب لشرحنا عنه المسمى « بالـدرر في شرح المختصر» نبّهنا على فوائد فيه لم توجد في المطولات ، ويذكر لأبي محمد المترجم أن له شرحاً على الدرة اهـ. من منشور الهداية لسيدي عبد الكريم الفقون القسنطيني .

محمدُ بنُ عبدِ الكريمِ الجزائري

الشيخ الفقيه الأديب العلامة الصالح الأريب أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الكريم الجزائري بلداً الشريف الحسني نزيل فاس .

أخذ رحمه الله عن عدة من الشيوخ مشارقة ومغاربة ، منهم أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي ، وأبو علي اليوسي ، والشيخ سيدي سعيد قدورة شارح « السلم » في المنطق وهو عمدته ، وأخذ أيضاً عن الشيخ علي الأجهوري ، والبابلي ، والفيشي ، والقشاشي ، وسيدي محمد الزرقاني ، والغنيمي ، والشنواني ، والشهاب أفندي وغيرهم ، وقد عد له في المنح البادية نحو سبعين شيخـــاً ، وكان قدومه لفاس سنة ثلاث وثمانين وألف (١٠٨٣) ، ووفد على السلطان مولانا إسماعيل وأكرمه مراراً ، وكان يجله ويعظمه ، وكان ذاكراً للأدب والتواريخ حسن المجالسة ممتع المحاضرات للعلامة اليوسي رحمه الله حدثني الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الجزائري قال : حج بعض الأشراف فلما وقف على الروضة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام قال :

إنْ قيـــلَ زُرتُم بمـــا رَجعتُـــمْ * يا أكرم الخَلْـــقِ مـــا أقـــول

بالقاف المعقودة فسمع من الروضة المشرفة بتلك اللغة :

[٢٥] قولوا رجعنـــــا بكُـــلِّ خيرٍ * واجتمـــــعَ الفرعُ والأصـولُ

توفي رحمه الله بفاس سنة **اثنتين ومئة وألف (١١٠٢)** .

قال في « النشر» في بعض نسخه : ودفن خارج باب الجيسة ، **وبني على** قبره بيت بروضة ابن جلون عن يسار المار إذا أعيدت الطريق المرور عليها لحارة المرغي .

وترجمه الجبرتي بقوله : الشريف المعمر أبو الجمال محمد بن عبد الكريم

الجزائري . روي عن أبي عثمان سعيد قدورة ، وأبي البركات عبد القادر ، وأبي الوفاء الحسن ، وعبد العزيز بن محمد الزمزمي ، والشبراملسي ، والشهاب القليوبي ، والغنيمي ، والشهاب الشلبي ، ومحمد حجازي الواعظ ، ومفتي تعز محمد الحبشي ، والنجم الغزي ، والقشاشي ، والشهاب السبكي ، والمزاحي ، وتوفي سنة ١١٠٢ .

أبو عبدِ اللّهِ محمدُ القلعي

أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعافري القلعي المعروف بابن الخراط الشيخ الفقيه النحوي ، الأستاذ المقرىء الصالح المبارك ، أحد الثقاة الأثبات الصلحاء ، الرواة تخرجوا على يديه ، وظهرت عليهم بركته ، وفعلت فيهم سريرته الصالحة ونيته ، ولم يكن أحد أجهدَ منه على القيام والصيام ، وما كان عيشه رضي الله عنه إلا من المباح ، وإذا اشتهى اللحم ينزل إلى النحر فيصيب الصفاق على الأحجار ، وهي لحمه رضي الله عنه ، وما من ناحية من النواحي إلا وله فيها مسجد ومعلم ، وكلها معروف البركة .

وكراماته رضي الله عنه أكثر من أن تحصى ، ولو كُتبت لكانت مجلدات ، وأحواله كلها كرامات ، وكان يجلس لعلوم الحديث ولعلوم الفقه ولعلوم التذكير ، وكان الغالب عليه رضي الله عنه الخوف ، ما يمر في مجلسه إلا ذكر النار والسعير والأغلال ، وتكاد تفيض قلوب الحاضرين في مجلسه ، هذا هو حاله ديمة ، وهذه الطريق أحسن الطرق في الدعاء إلى الله تعالى ، إذ جبل اللهُ الخلقَ على أنهم لا ينفعلون غالباً إلا بالخوف ، ولأجل هذا كان أكثر الشريعة تخويفاً ، وما زال رضي الله عنه مستمراً على هذه الحال إلى يوم وفاته ، فبسط أمل الناس ورجاهم في رحمة الله وفي سعة مغفرته ، ومنّاهم

بما عنده من كثرة الثواب ، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً إلى غير ذلك مما اشتمل عليه مجلسه ، وهذا طريق حسن لأنه لم يبق عند الله إلا الطمع في الرغبة فيما عنده ، لأن الخوف فائدته إنما هو الحضُّ على العمل ، وحين الموت انقطع العمل ولم يبق إلا قوة الأمل ليلقى الله طيبة نفسه ، فيحبُّ لقاء الله فيحب اللهُ لقاءه حسبما اقتضاه الحديث .

ولقد رأيت فصلاً فيه ذكر وفاته بخط الشيخ المقرىء أبي العباس بن الخراط ، وأنا أذكره بنصه : قال رحمه الله : إن وفاته كانت بعد صلاة العصر من يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان من عام أحد عشر وست مئة [٢٦] (٦١١) ، وتوفي في هذا اليوم فجأة من غير تقدم مرض ، قال : وكان قد رتب ميعاداً بالقراءة لسماع تفسير القرآن العظيم ، وميعاداً بعد صلاة الظهر لسماع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على جري عادة السلف الصالح في شهر رمضان ، فبينما أنا أقرأ بين يديه بالغداة وقد مرت آية فَهِمَ منها ما لم نفهم ، وعلم من فحواها ما لم نعلم ، إذ وثب قائماً ، فنزع طيلسانه ، وطرح رداءه ، وحسر رأسه ، وبسط يديه ، ورد ذراعيه فأمسك عن القراءة ، فتعوذ بصوت رفيع وبسمل ، فافتتح القراءة بقول الله تعالى ﴿ قُلْ للذينَ كَفَرُوا إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم ما قَدْ سَلَفْ ﴾[1] ولم يزل يرددها ويكررها بتحدير وترنين ، ثم أقبل علي ثم أقبل على الناس بخضوع وخشوع ، وأخذ يبين لهم ما عند الله من سعة الرحمة وإضعاف الحسنات والتجاوز عن السيئات ، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين ، ثم قال : يا إخواني سألتكم بالله إلا ما ضممتم صبيانكم وأولادكم وأصاغركم ودعوتم لي ، ولا تنسوني فإني جار لكم ، فلستُ أنساكم ، وأكثر هذا القول في بكاء شديد حتى كأنه أشعر أنه راحل من الدنيا وأن ذلك وداع منه للناس ، ثم دخل زاويته دون أن يختم مجلسه

(١) سورة الأنفال : الآية ٣٨ .

بالدعاء المعهود منه ، ولما جاءت صلاة الجمعة وأخذ الناس في الرواح ، وجلس الإمام على المنبر وأذن المؤذنُ خرج على الناس من زاويته ، وجلس منصتاً لاستماع الخطبة ، فلما قضيت الصلاة نُصبْ له كرسيه ، واستوى عليه وازدحم الناس ينظرون إليه ، فأخذت في قراءة الكتاب « المسند الصحيح » من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تصنيف الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه ، وهو ينظر إليه فاعتراه شبه غشي أماله عن جانبه الأيمن ، فبادرت إليه مع بعض من قَرُب منه خشية أن يسقط فحملناه وأدخلناه زاويته ، وأطبقنا الباب دونه فبادر إليه من كان يخدمه من أهله ، وجلسنا ننتظر عاقبة أمره إلى أن أذن مؤذنُ العصر ، وأخذ الناسُ في التنقل ثم أقيمت الصلاة ، فسمعت في الزاوية حركة اغتسال يفهم منه تجديد طهارة ، ثم سكنت تلك الحركة ، وقد أدرك فضل صلاة الجماعة ، ثم استلقى مستقبلاً فقبض طاهراً صائماً صامتاً معتكفاً في الجامع قرّاً بقلعة بني حماد .

[٢٧] ولقي بها مشايخ منهم الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن عثمان التميمي ، والأستاذ أبو الحسن علي بن شكر بن عمر القلعي ، وأخذ عن الخطيب المقرىء النحوي أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد المعروف بابن عفرا ، والفقيه الفاضل الزاهد أبي عبد الله محمد بن عبد المعطي المعروف بابن الرواح وغير هؤلاء ، وانتقل إلى بجاية واستوطنها ، وأقرأ بها وجلس الأستاذية ، وانتفع الناس عليه ، وكان معروفاً بالصلاح ، وكان مرفعاً مكرماً ، وكان حسن التلاوة صادق القراءة ، وكان إذا أحيا ليلة سبع وعشرين فما دام الأستاذ أبو عبد الله يقرأ يصلي قائماً لا يركن إلى الجلوس ، فإذا قرأ غيره ممن يعينه يجلس ، وذلك بجامع القصبة المحروسة شرفها الله بذكره ، خطب بالجامعين الأعظم وجامع القصبة ، وكانت خطابته أولا بالجامع الأعظم ، ثم غلب على الخطبة بجامع القصبة لما عُلم من فضله وعُلم من جلاله وصالح عمله .

محمدُ بنُ عبدِ اللّهِ الندرومي

محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي أبو عبد الله الفقيه قاضي فاس وقاضي عسكر أبي الحسن المريني .

قال ابن خلدون : كان مبرزاً في الفقه على مذهب مالك ، تفقه بالأخوين ابني الإمام ، ولما فتح أبو الحسن تلمسان ورفع منزلة ابني الإمام واختصهما بالشورى ، وكان يستكثرُ من العلماء ويعمر بهم مجلسه ، طلب منهما أن يختاروا له من أصحابهما من ينطقه في فقهاء مجلسه ، فأشارا عليه بابن عبد النور هذا ، فأدناه وولاه قضاء عسكره .

توفي بتونس في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبع مئة (٧٤٩) .

محمدُ بنُ عبدِ المؤمنِ الحسني الجزائري

الفاضل العلامة الذي جعل للمحاسن علامة ، فاعترف بفضله كل موقن ابو عبد الله سيدي محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري أتم الله نـوره ، وأدام سروره بمنه وفضله ، غُرّة مجد في جبين الجزائر ساطعة ، ودُرّة فضل في جيد المكارم لامعة ، وبحر من السماحة زاخر ، أعيا الأوائل والأواخر ، رحل إلى المشرق مراراً ، وانتجع للمعارف قطاراً ، وحظي بصحبة شيوخ جلة أنهله كل واحد منهم وعلّه ، وما زال يخطب من عقائل المعاني كل خريدة ، وينظم من جواهر البيان كل فريدة ، حتى أَرْبَى على أهل زمانه ، وطاول أحبار أوانه ، وتوغله في الأدب هو الذي أولاه عالي الرتب ، وأهدى إليه السيادة من كل غور ، وأرقاه على القعقاع ابن شور ، إذا سجع كلاماً ، أو وضع نظاماً ،

سحر ببيانه أعياناً ، وأسكر بسلافة إبداعه أذهاناً ، وإن تكلم في سائر العلوم ، نفس عن المكظوم ، وأحيا قتيل الهموم ، وهذا الفاضل ممن بوَّأه الله المكانة العليا ، وجمع له بين الدين والدنيا ، فهو ينشد إذ كَلِفَا به معاً : ما أحسن الدين
[٢٨] والدنيا إذا اجتمعا ، ولم يزل مدة إقامتي بمطافه ، يُرشفني أعذبَ نطافه ، ويجيش إلي من المكارم بأبحر ، ويواليني من المحاسن ما يعمر عمر ، حتى شردت بي النوى ، عن ذلك المثوى .

ومن أعظم شاهد على سلامته من الدعوى التي عمت بها البلوى ـ مع بلوغه في كل فن الدرجة القصوى ـ أني في بعض الأيام غلبني الضحك بحضرته ، فظن لحسن نيته وجميل طويته أن ذلك من عدم معرفته ، فكتبت إليه معتذراً من تلك الهفوة ، مقسماً أن ذلك افتتان بإقرائه وصبوة ، لا غلطة وجفوة ، بهذه الأبيات :

مهلاً على القلبِ إنَّ القلبَ قد لسبا * إذ قيل : حبرُ الهدى عليٌّ قد عَتَبا
حبرُ الجزائر لا تنفكُّ محتجباً * عن مَنْ يمُدُّ إلى تنكيدكُم سَبَبا
بلى وحلمُكَ يَا ابنَ الأكرمينَ أبى * ما كان ما فاتَ مِنَّا عن قلىً عَجَبا
لكن طربنا بما أبديتَ من نُكَتٍ * نفيسة أورثتني ضاحكاً طَربا
وقد فهمنا فهمنا بالذي شربَتْ * أفكارُنا من عقارٍ أشبهَتْ ضَرَبا
ومَنْ يكُنْ بعُقَارِ العلمِ مصطبحاً * أجدرْ به أنْ يُرى من سُكرِه طَربا
هَبْنَا زللنا أما للحلمِ أرديةٌ * سابغةٌ ترتديها زلّة الغربا
إنْ كانَ هذا الذي أبديته كذباً * فلا قضى وَطَري من علمِكُم إربا
ولا ركبتُ جيادَ العلمِ مُسرجةً * ولا اقتديتُ بمن هامَ بها وصَبَا
ولا ظفرتُ بما أرجوهُ من وَطَرٍ * ولا برحتُ أعاني الكَدَّ والوصَبَا
ولا حننتُ إلى فاسٍ وجيرتِها * ولا دعاني إلى تطوانَ عَرْف صَبَا

قال : ولهذا المولى أشعار، أرق من نسمات الأسحار، ورسائل، آنق من نفحات الخمائل . لو قرأهما على الصخر لتفجر ماء صُراحاً ، ولو ألقاهما على البحر لصار سلسالاً قراحاً ، شاهدت من ذلك ما تقر بروئيته العيون الباكية ، ويحسده نسيب عبد الرحمن بن حسان في رملة بنت معاوية ، وقد أخبرني في هذي الأيام غير واحد ممن قدم من تلك البلاد . من أهل الانتجاع والارتياد أنه تولى قضاءها ، ورد عليها بعدله رونقها الذي فقدته وبهاءها ، أبقاه الله يظهرسناها ، وينضر مرآها .

ولما فرغت من ذلك الطواف وعزمت على الانصراف ، سألته أن يجيز لي ما قرأته عليه أو سمعته لديه ، فنفث لي بهذا السحر، من غير إعمال رَوِيَّة
[٢٩] ولا فكر اهـ. وأثبت الإجازة بنصها فانظرها فيه ، وقال فيها :

وإن ممن ضرب فيه بنصيب وافر، وحصل منه القدر المفيد الظاهر، الفقيه النبيه ، العالم الوجيه اللوذعي الأوحد جامع الفضائل التي لا تجحد ، أبا عبد الله الشيخ محمد بن قاسم بن عبد الواحد بن زاكور الفاسي ، حفظه الله وحرسه وبكل المبرات والمسرات آنسه ، فإنه لما دخل حضرة الجزائرالتي عَم أمنُها القاطن والزائر ، قرأ معنا صدراً من كتاب « جمع الجوامع » للتاج السبكي ، وبعضاً من « تلخيص المفتاح » من باب الفصل والوصل ، وأرجوزة ابن التلمساني في الفرائض ، ووقعت المشاركة بيننا وبينه في المسائل العلمية والنوادر الأدبية ، فألفيته سابق الحلبة ودرَّاك المسائل الصعبة ، فالتمس مني أن أجيزه فيما قرأ معي أو سمعه مني فاعتذرت إليه من التقصير والباع القصير، وعدم التأهل لأن أُجاز فضلاً عن أن أُجيز ولست محسناً للإطناب ولا متمكناً من الكلام الوجيز ، فلم يقبل مني ذلك وصادف وقتاً لم يمكني فيه إسعافه بإجادة ما هنالك ، فأجزته بذلك على شرطه المعتبر عند أهله ، بإجازة الحافظ الشهير علامة مصر، وحافظ

العصر أبي الحسن الشيخ علي الشبراملسي ، عن الشيخ إبراهيم اللقاني والشيخ عبد الرحمن اليمني بروايتهما معاً عن أبي النجاة الشيخ سالم السنهوري ، عن الشيخ نجم الدين الغيطي ، عن الشيخ زكرياء ، عن ابن حجر بسنده المعروف ، وبسند عال عن الشيخ علي المذكور ، عن شيخ الفقهاء والمحدثين أحمد بن خليل السبكي ، عن نجم الدين ، عن الشيخ زكرياء ، عن ابن حجر ، وكما أجازني أيضاً العالم الماهر العلم الظاهر نزيل مدينة الرسول المطهر ومدرس حرمه المكرم المنور أبو العباس الشيخ أحمد بن تاج الدين ، عن شيخ الإسلام بالبلد الحرام جمال الدين الشيخ محمد بن علان الصديقي ، الشافعي ، عن شيخ وقته شمس الدين محمد بن أحمد الرملي ، عن الشيخ زكرياء ، عن ابن حجر ، بسنده المتصل وطرقه المعروفة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكما أجزته أن يروي عني هذه المنظومة ويشرحها إن أمكنه ، أو من أهَّله الله لذلك ، وله الأجر التام والفضل السابغ العام اهـ. وأول المنظومة :

يقولُ راجي رحمـــــةِ المُهيمـــنِ * محمدٌ نجلُ ابنِ عبدِ المؤمـــــنِ
الحمـــدُ للـــــهِ وصلَّـــى ربي * على النبي وآلـــه والصَّحْـــبِ
وبعـــــدُ فـالقصـــــدُ بهذا الرَّجَزِ * جمـــعُ المهـــمِّ بكلامٍ موجـزِ
مِـــــن واجِـــبٍ للّهِ والرسولِ * ومِـــن فروعٍ لذوي التحصيـــلِ
اللهُ موجـــودٌ قديمٌ باقـــــــي * مخالفٌ للخلقِ بالإطـــــلاقِ

وهي ٧٩ بيتاً ذكر بعدها ما نصه :

انتهت الأرجوزة البارعة الواردة موارد الإبداع ومشارعه ، وكفى بنظامها الغريب دليلاً على أن لصاحبها في الأدب والعلم اليد الطولى والباع الرحيب . وبعده بخط الشيخ أبقاه الله : الحمد لله قد أتمها كاتبها بحضرة كاتبه محمد ابن محمد بن عبد المؤمن ، وفقه الله بمنه ، في ضحى يوم الجمعة الثالث والعشرين

من جمادى الآخرة عام أربعة وتسعين وألف اهـ .

[٣٠] ثم ذكر نص إجازة شيخه المولى الشيخ علي الشبراملسي المشار إليها في هذه الإجازة ، وقال : حسبما كتبت لك من خط شيخنا العلم الذي أُربى على كل من كتب في هذا العصر ، بقلم العلامة الحافظ الدراكة أبي عبد الله سيدي محمد بن المولى أبي العباس سيدي أحمد ، عُرف بالكماد القسنطيني حفظه الله من غمرات الزمان ، وأدام النفع به لكل قاص ودان ، ولما أتمها قال : انتهت الإجازة المباركة وبانتهائها تنتهي ترجمة مولانا الشريف المحقق الظريف شيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد المؤمن ، أبقاه الله في حلل السيادة رافلاً وجمعني به عاجلاً إنه على ذلك قدير وبإجابة من يدعوه جدير ، اللهم يا من نضَّر مرآه وألبسه من نور جده صلى الله عليه وسلم وسناه ، متّعني بصحبته ولا تحرمني من شعاع غرته ، بجاه جده المختار سيدنا ومولانا محمد سيد الأبرار صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ما طلعت أقمار وهمعت أمطار .

سيدي محمدٌ العربي

شيخ والدنا الفاضل النحوي اللغوي المحدث المفسر الأديب الفقيه الجامع بين المعقول والمنقول الولي الصالح والبرهان الواضح ذو الأحوال الفاخرة شيخ شيوخنا المغرب المغربي سيدي محمد العربي المتوطن في جبل سيدي الموهوب ، وقد أسعد الله باستقراره كل الأماكن من وطننا ، وتأنّسوا به أيّ تأنيس في زماننا ، وكان إذا حلَّ بقوم نزلت عليهم الرحمة والسكينة ، وكيف لا وهو بحر الله في عمالتنا ، وغيث بلدنا ورحمة لمن كان عندنا ، وعلمه مبذول عند من سبقت له السعادة ، والحمد لله وقد تلقيت الألفية على تلميذه العلامة الفاضل

سيدي علي بن أحمد ، وطريقة ناصرية شاذلية .

وكان رضي الله عنه يفجىء الغم على من وقع عليه في العلم وغيره رضي الله عنه ، وكذا سيدي عبد الملك وإن لم يكن مثله في العلم غير أنه ذو فضل قوي ، وأما سيدي الموهوب فإنه من القرن الحادي عشر ، وسيدي أحمد بن
[٣١] عبد العظيم بعد الشيخ سيدي الموهوب ، وقرية أصوله جامعة لأهل الخير والفضل والعلم ، نفعنا الله بهم آمين اهـ. ورتيلاني .

وقال بعده :

الولي الصالح سيدي عمر القمرني ، وأهل محله يعظمونه ويعتقدونه غاية التعظيم ، ولا أدري تاريخه ، نفعنا الله به آمين .

محمدٌ العربيُ القسنطيني

الشيخ العلامة أبي عبد الله محمد العربي بن عيسى القسنطيني كان من أجِلَّة العلماء وأفاضل البلد .

أخذ عن العباسي ، والطلحي ، ولي النظر على الأوقاف والقضاء والتدريس بمسجد سيدي الجليس ، توفي رحمه الله سنة ١٢٥٤ .

محمدُ بنُ عفيفِ الدين الظريفُ التلمساني

محمد بن عفيف الدين الظريف التلمساني .

في « فوات الوفيات » للعلامة ابن شاكر المتوفى سنة ٧٦٤ في ترجمة محمد بن سليمان بن علي شمس الدين ابن الشيخ عفيف الدين التلمساني ما نصه : قال

القاضي شهاب الدين بن فضل الله في حقه : نسيم سرى ونعيم جرى ، وطيف لا بل أخف منه موقعاً في الكرى ، لم يأت إلا بما خف على القلوب وبرىء من العيوب ، رق شعره فكاد أن يُشرب ، ودق فلا غرو للقضب أن ترقص وللحمام أن يطرب ، ولزم طريقة دخل فيها بلا استئذان ، وولج القلوب ولم يقرع باب الآذان ، وكان لأهل عصره ومن جاء على آثارهم افتتاناً بشعره وخاصة أهل دمشق ، فإنه بين غمائم حياضهم رُبي ، وفي كمائم رياضهم حُبي حتى تدفق نهره وأينع زهره ، وقد أدركت جماعة من خلطائه لا يرون عليه تفضيل شاعر ، ولا يروون له شعراً إلا وهم يعظمونه كالمشاعر ، لا ينظرون له بيتاً إلا كالبيت ، ومرت له ولهم بالحمى أوقات ، ولم يبق من زمنها إلا تذكره ولا من إحسانها إلا تشكره ، وأكثر شعره لا بل كله رشيق الألفاظ سهل على الحفاظ ، لا يخلو من الألفاظ العامية ، وما تحلو به المذاهب الكلامية ، فلهذا عَلِقَ بكل خاطر وولع بكل ذاكر ، وعاجله أجله فاخْتُرِم ، وخرم أحباءه لذة الحياة وحرم اهـ . وذكر له أشعاراً كثيرة منها قوله :

يا مَنْ أطال التَّجني * وقد أسا في التَّوخي
أسرفتَ تيهاً وعجباً * وكثرةُ الشَّدِّ تُرخي

وكانت وفاة شمس الدين المذكور في شهور سنة ٦٨٨ بدمشق ، وكان مولده بالقاهرة في عاشر جمادي الآخرة سنة ٦٦١ ، ورثاه والده الشيخ عفيف الدين وذكر أخاه أيضاً :

ما لي بفقدِ المُحمَّدينِ يدُ * مضى أخي ثُمَّ بعدهُ الولدُ
يا نارَ قلبي وأينَ قلبيَ أو * يا كبدي لو يكونُ لي كَبِدُ

[٣٢] إلى أن قال :

بي كِبَرٌ مسَّني وأمُّكَ قد * شاخَتْ فمنْ أينَ لي يُرى ولدُ

وهَبْهُ قـد كانَ لي فمثلُـــــــكَ لا * يُرجى وأينَ الزمانُ والأمـــــــدُ
يـــا ليتنـــي لم أكُـــنْ أبـــاً لكَ أو * يـــا ليتَ مـــا كنتَ لي ولـــــــدُ

اهـ. وأطال المقري ترجمته في « نفح الطيب » وساق له أشعاراً في المديح النبوي من الطبقة العالية ، رحمه الله ونفعنا ببركاته آمين .

محمدُ بنُ عطيةَ التلمساني

الشريف الأجل المسن البركة الأفضل الخامل المتقشف الصابر المتواضع الناسك الذاكر أبو عبد الله سيدي محمد المدعو ابن عطية التلمساني .

كان رحمه الله سنياً خامل الذكر مواظباً على قراءة « دلائل الخيرات » ، ولا تجده ثلث الأخير من الليل نائماً قط صيفاً ولا شتاء ، بل يخرج لضريح مولانا إدريس رضي الله ويشتغل بقراءة الدليل هناك ، وكان زواراً للأحياء والأموات ملازماً لكراسي العلم والوعظ ، وكانت له حانوت بالرصيف يبيع فيها الخضر ، ويسكن بجزاء ابن برقوقة ، وكان من أصحاب الشيخ سيدي محمد ابن يوسف الحسناوي ملازماً له لا يفارقه قط ، وبلغ به رحمه الله عام الخمسين الجهد الجهيد من الجوع حتى ظهر به أثره ، ولم يسأل من أحد شيئاً لكثرة صبره وشكره .

توفي عن سن عالية ، ودفن بزاوية شيخه سيدي محمد بن يوسف المذكور ، وكانت له جنازة عظيمة حفيلة حضرها أهل الخير والصلاح والأشراف والعلماء وجميع المنتسبين ، ورأى بعض أهل الخير رؤيا تدل على حضور النبي صلى الله عليه وسلم لموته .

ترجمه في « سلوك الطريق الوارية » وتعرض فيها لذكر سنة وفاته ،إلا أنه وقع فيها في النسخة التي وقفتُ عليها منها تحريف فتركته ، ورأيت بالزاوية

المذكورة قبراً يُعظم ويُزار ببلاط سيدي أحمد الأغصاوي بالركن الذي عن يمين المستقبل منه ، ورأيت مكتوباً في زليج عند رأسه ما نصه : الحمد لله ، هذا قبر المرحوم بكرم الله سيدي محمد بن الخير الأجل سيدي محمد السليماني ،
[٣٣] توفي رحمه الله أواخر رجب سنة ثلاثة وستين ومئة وألف (١١٦٣) اهـ. ولم أدر هل هو صاحب الترجمة أو غيره ، والله أعلم .

سيدي مَحمدُ بنُ عليّ ابهلول المجاجي

قال العلامة الشهير الشريف سيدي العربي المشرفي الحسني الإدريسي في كتابه « ياقوتة النسب الوهاجه في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة » : قال أحمد بن محمد المغراوي في تمييز الأنساب : أما نسبه الطيني رضي الله عنه فمن شرفاء الأندلس بني حمود الحسني ، وقال الجعفري : هو من شرفاء غرناطة بني عدى بن عبد الرحمن بن داود بن عمرو بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن علي بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن أبي زيد الشريف بن عبد الرحمن بن داود بن إدريس بن إدريس الحسني . الأول أنهى نسبه إلى عمر ابن إدريس بن إدريس الحسني ، إذ حمود هو بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن محمد (فتحاً) بن عبد الرحمن بن القاسم بن إبراهيم بن يحيى ابن عمر بن إدريس بن إدريس الحسني ، ولعله جاءه الغلط من كونه رآه منسوباً إلى شرفاء الأندلس ، وهم جموع كثيرة كما ذكرناه آنفاً ، والثاني قيده من شرفاء غرناطة ، وكانوا ملوكاً بها ، ومن قيد أولى ممن أطلق ، فهو موافق لصاحب « سمط اللآلئ في معرفة الآل » حيث عرف بسيدي محمد ابن علي المجاجي ، وقال : كان أسلافه تُشم فيهم رائحة الملك ، فهو رضي الله

عنه من بيوت الملك اهـ. ولا زالت ذريته تمتد لها الأعناق في النجدة والسماحة والجود ، ويحتمي الجاني بساحتهم ، ولهم حرمة وتعظيم عند الملوك .

قال العلامة المشرفي : وأرجع لنسب الشيخ سيدي محمد بن علي كان إماماً هماماً عالماً علاماً زاهداً عابداً تفرد بهذه الأوصاف الشريفة على سائر علماء وقته ، واشتهر بالصلاح والتقوى ، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم ، وكانت كراماته أوضح من شمس الضحى ، وهي دليل استقامته ، وكانت له بركة عظيمة ودعاء مستجاب ، تُشد إليه الرِّحال في المسائل العلمية ، هذب النقول ونقحها ، وكسا علم التصوف طلاوة وبهجة ، إلى أن قال : وله الباع الطويل العريض في الشعر والقريض ، وقفت له على قصيدة طنانة سالمة من عيوب الشعر ، توسل فيها للمولى جل وعلا مفوضاً أمره إليه في المبغضين له والحاسدين من أهل زمانه ، أولها : أُفوض أمري لِلَّذي فطر السما . احتوت على أمثال وحكم ، وكان رضي الله عنه يطعم الطعام ويفشي السلام اهـ.

وقال في «إكمال البغية» : كانت زاوية سيدي محمد بن علي معدة لإقراء الأضياف .

وقال الشيخ أبو الحسن الشريف : خرجنا إلى ثغر تنس ، فلقينا سيدي محمد بن علي وأنزلنا بزاويته مجاجة ، وكنا في جوع ونحن نحو ١٣٠٠ نفس ، وقصدناه للزيارة فأكرمنا خارج الزاوية لكثرتنا ، وكانت خيولنا ذكوراً وإناثاً ، فقال لنا : اتركوها من ألف بين قلوبكم يؤلف بينها ، وأمرنا بالجلوس
[٣٤] على ٢٤ جلسة ، وأفاض علينا الثريد واللحم والعسل والسمن ، قال : وبعد ذلك توفي الشيخ قدس الله سره ، وقبره مشهور مزار لقضاء الحوائج ، ومات رحمه الله تعالى قتيلاً سنة ١٠٠٢ هجرية ، وولد عام ٩٤٥ ، ورثاه تلميذه علامة الجزائر سيدي سعيد قدورة رضي الله عنهما بقوله :

مصابٌ جسيمٌ كادَ يُصمي مقاتلي * ورزءٌ عظيمٌ قاطعٌ للمفاصلِ
ألَمَّتْ دواهي أذهلَتْ كلَّ ذي حِجىً * وأيُّ أمرىء مِن مُذهلٍ غيرُ ذاهلِ
فلم أرَ خَطْباً كافتقادِ أحبَّةٍ * ثووا في الثرى ما بينَ صُمِّ الجنادلِ
ونحنُ نيامٌ غافلونَ عن الذي * يُرادُ بنا فويحُ نومانَ غافلِ
فهمنا بدنيا قد حلَتْ وهي جيفةٌ * وكلُّ امرىء يلهو بها غيرُ عاقلِ
فكم ذا أنا لم أتخذ زادَ رحلةٍ * كأنِّيَ من دنيايَ لستُ براحلِ
وما لِيَ لم أعمَلْ بما قد عَلِمتُهُ * فيا أسفاً من عالمٍ غيرِ عاملِ
أُضيِّعُ فيما لا يدومُ سرورُهُ * حياتي كأنَّ العيشَ ليسَ بزائلِ
فما زهرةُ الدنيا وزخرفُها الذي * لهُ هادمُ اللذّاتِ أسرعُ نازلِ
وأيُّ سرورٍ للذي ضاعَ عمرُه * وأنفقه في كلِّ لهوٍ وباطلِ
أنوحُ على نفسي وفقدِ أحبتي * فقد هاجَ قلبي ذكرُ فقدِ الأفاضلِ
ولِمْ لا وأهلُ العلمِ بانوا وأقفرتْ * ديارهُمُ بعدَ اعتمارِ المنازلِ
كأنْ قد نأى عنا قتيلاً فأصبحَتْ * عليه عيونٌ دمعُها مثلُ وابلِ
لقد فُقِئَتْ عينُ المكارمِ فانزعج * لإطفاءِ نورٍ وقتَ فقدِ القنادلِ
تبددَ شملُ الدينِ وانهدَّ ركنُهُ * لبدرٍ فقدنا في الخلائقِ كاملِ
فقدنا إماماً مالَهُ في خصالِهِ * نظيرٌ ولا في عصرِهِ من مُعادلِ
على علمِ الأعلامِ غُرَّةِ عصرِهِ * حزنتُ وما حُزني عليهِ بزائلِ
يحِقُّ لوفدِ العلمِ أن يُشهروا الأسى * لنجمٍ هوى مِن أنجمِ الأرضِ آفلِ
خليليَّ ما أولى الأحبةَ بعدَهُ * بفيضِ نفوسٍ مِن بكاءٍ ثواكلِ
فأينَ الذي قد كانَ ركناً لشدَّةٍ * وأينَ الذي قد صارَ قصداً لنائلِ
فأُفٌّ لدهرٍ جارَ فيه تطاولَتْ * على العلما الجهَّالُ أيَّ تطاولِ
أرى الغربَ يقضي أمرَه بعدَه أسىً * تآمُرَ أو باشٍ ونهبِ أراذلِ
[٣٥] وتخفقُ في ناديهِ رايةُ فتنةٍ * تلمُّ بمفضولٍ وتزري بفاضلِ

فأغني بهِ شيخَ الشيـــــوخِ محمداً * أبهلولاً الباهي أجلِّ البهـــالـــلِ
توفي شهيداً في تحنثـــــه الـذي * ينالُ بهِ في الخُلدِ أفضلَ نائـــلِ
إمامٌ إذا ما جئتَـــــــهُ تجدنَّـــهُ * لدى الدرسِ بحرَ العلمِ مِن غيرِ سائلِ
فما جئتَهُ في الدرسِ إلاَّ وجدتَـــــهُ * مِن العلماءِ العالمين الأوائـــلِ
لهُ طِيبُ أخلاقٍ وحُسْنُ سياســـةٍ * وهو المداري كلَّ قاسٍ وجاهـلِ
فمَنْ للأسارى والأرامل في الظمـــا * ومَنْ للبرايا يومَ صولةِ صائـــلِ
ومَنْ لفنونِ العلمِ نحواً ومَنطقـــاً * وفقهاً وتوحيداً وفتوى لسائـــلِ
لمنزلهِ كانَتْ تُشَدُّ رحالُنـــــــا * فمِنْ راكبٍ يسعى إليه وراجـلِ
ومِن قاصدٍ يبغي انكشافَ مُلمَّـــةٍ * ومِن وافدٍ يرجو التماسَ نوافـلِ
ففي طاعةِ الرحمانِ أنفقَ عمـــرَهُ * فللَّهِ مِن شيخٍ زكيٍّ الشمائـــلِ
فما خافَ في الرحمانِ لومـــةَ لائمٍ * ولم يختشِ في الحقِّ قتلةَ قاتـــلِ
أمستجلبَ الخسرانِ والطردِ والردى * وأقوى البلايا عاجلاً غيرَ آفـــلِ
ومن قد تعدَّى طورَهُ سفهـــاً ومَـــنْ * لهُ زيَّنَ الشيطانُ قبحَ الفعائـــلِ
أحقاً قتلتَ الألمعيَّ تعمُّـــــداً * على قولِ حقٍّ لا على قولِ باطـلِ
أحقاً دمَ الشيخِ المصونِ سفكتَـــهُ * إلى أن سقيتَ الأرضَ منه بهاطـلِ
أحقاً عدوَّ اللهِ أنتَ تركتَـــــهُ * على الأرضِ مَلقياً قتيلاً بناصـلِ
أحقاً رفعتَ السيفَ حتى ضربتَـــهُ * بقاطعةٍ ضربَ العدوِّ المخاتـــلِ
أحقاً صدورَ المؤمنينَ جرحتَهـــــا * وفي فرحٍ خلَّفتَ أهلَ الأباطـلِ
جنيتَ على الإسلامِ أيَّ جنايـــــةٍ * وما اللهُ عمَّا قد فعلتَ بغافـــلِ
قتلتَ امرأً مِن شأنهِ العلمُ والتُّقـــى * فيا خيرَ مقتولٍ ويا شرَّ قاتـــلِ
ستُقتلُ كالحجَّاجِ سبعينَ قتلـــــةً * لأنَّكَ لم تترُكْ لهُ من مماثـــلِ
عدوتَ على الضِّرغامِ يا كلبُ خدعـةً * ولم يكُ كلبٌ قطُّ كُفْؤاً لنائـــلِ
عذابُكَ في الدنيا لقتلٍ وروعـــــةٍ * وهيهاتَ تنجو لا نجاةَ لقاتـــلِ

وراءَكَ كم من ثائرٍ عن دمِ الـــذي * على ثأرهِ تسعى جميعُ القبائـــلِ
فمالكَ يومَ العرضِ إلا جهنَّـــمٌ * تُقادُ إليها صاغراً بالسلاســـلِ
وإن عشتَ في الدنيا حقيـراً ففي غدٍ * تُخلَّدُ في النيرانِ أسفلَ سافـــلِ
أعزِّي بنيهِ والسَّريَّ أبـــا علـــي * على قدرٍ ماضٍ مِن اللّهِ نـــازلِ
فيا أوليائي سلِّموا الأمر واصبـــروا * عليهِ وكُفُّوا مِن دموعٍ هواطـــلِ
وأبقاكَ للإسلامِ كهفـــاً أبا علـــي * مصوناً عنِ الأعدا وجمعِ العواذلِ
وقد صارَ روحُ الشيخِ في جنَّةِ العُـلا * وأسكنَهُ في الخُلدِ أعلى المنـــازلِ
عليهِ مِنَ الرحمانِ أوسعُ رحمـــةٍ * وأزكى سلامٍ في الضُّحى والأصائلِ

وأسلافه الكرام رضي الله عنهم لهم درجة عالية في العلم ، وقد توسل
[٣٦] بهم صالح زمنه العلامة أديب الدين والدنيا سيدي عبد الله بن حواء الرقيق (بالتصغير والقاف المعقودة) ، كما توسل بغيرهم من علماء القرن التاسع فقال :

وبـــذوي العلومِ والعنـــايـــــهْ * والرقي في معارجِ الولايـــــهْ
سيـــدنـــا عليٍّ البهلـــــولِ * ووارثيـــهِ الجِلَّـــةِ الفُحـــولِ

يعني بوارثيه سيدي محمد بن علي المجاجي وأخاه سيدي أبي علي ، وله أحفاد من أولاده على قدمه في الجود والكرم وحسن الخلق والمروءة والتواضع لخلق الله ، ولا تخلو زاويتهم من علم ، وقد ساقتنا إليها الأقدار سنة ١٢٤٩ فلقينا بها عالمين جليلين وثالثاً جزائرياً هاجر إليها يسمى بالقاسم البزاغتي ، وبين أهل مجاجة والمشارفة أُخوة صالحة في القديم لعلها كانت بمصاهرة ، ومن نظم سيدي محمد بن علي رضي الله عنه قوله :

لقد فازَ أهلُ الجدِّ بالصِّدقِ والوفـــا * فحول رجالِ الله في حضرةِ القُدسِ
أجَلْ دأبهم حـــبُّ الإلـــهِ وطوعُـه * وقد أعرضوا زُهداً عنِ الجنِّ والأنسِ
وأنفسهُم تسموا على كلِّ رُتبـــــةٍ * وغابَتْ عنِ الأكوانِ والعرشِ والكرسي

فليسَ لهم في غيرِ ذي العرشِ مَطلَبٌ * وما عندهم سوى التلذُّذِ بالأنسِ
مِنَ الملكِ الحقِّ المبينِ مقامُهم * مكينٌ عليٌّ قد تجلَّى عَنِ الدَّوسِ
أنالَهمُ المولى الكريمُ كرامةً * فكَّنَهُم فضلاً مِنَ المنحِ والحبسِ
يحقُّ لَمَنْ ولاهمُ جرُّ ذيلِهِ * وفي حُلَلٍ يزهو فلَنْ يخشى مِنْ بأسِ
فلا فرقَ في أحكامها بينَ سالكٍ * مُربٍّ ومجذوبٍ وحيٍّ وذي رَمسِ
وذي الزهدِ والتقيِّ فالكُلُّ كاملٌ * ولكنما البدورُ ليستْ كما الشمسِ
فبعضٌ يُسمى بالنقيبِ وبعضُهم * يُسمى النجيبَ فادرِ كُلاً بلا نقسِ
وبعضٌ بأعمدٍ وقطبٍ جميعُهم * هو الغوثُ في القولِ الأصحِّ لذي الحسِ
[٣٧] مراتبُهم تفاوتَتْ بمواهبٍ * فصولاً وإنما الولايةُ كالجنسِ
أسادتَنا عُبيدكُمُ جاء قاصداً * إليكم يريدُ العونَ منكم على النَّفسِ
بأذيالِكم أهلَ الوداد تعلُّقي * وفي حُبِّكم طيبي وفي ذكركم أنسي
أيا ليتني أفوزُ منكُم بنظرةٍ * فأغنى عَنِ الأكوانِ طُرّاً بلا خنسِ
بكم يغتني المريدُ عن كُلِّ كائنٍ * ويصبحُ في المعنى وفي الحسِّ في جفسِ
فكم سالكٍ دللتُم طُرْقَ سلكِهِ * وأنزلتموهُ منزلَ القُربِ والأنسِ
وكم مِن وضيعٍ قد رفعتُم وفاجرٍ * وضعتُم وجاهلٍ بكم عالماً يُمسي
وكم مِن لهيفٍ قد أغثتُم وكُربةٍ * كشفتُم كمثلِ الظِّلِّ في الأرضِ بالشمسِ
وكم خائفٍ أَمَّنْتُمُ مِن مهالكٍ * وقايتُكُم تُغني عنِ الدِّرعِ والتُّرسِ
وكم مِن حزينٍ قد تبدَّلَ حُزْنُهُ * سُروراً بكُم في الحينِ يفخرُ ذَا عرسِ
وكم مِن عليلٍ قد تأذَّى بسُقمِهِ * بجاهكمُ يُشفى مِنَ الدَّاءِ والبأسِ (١)
وكم مِن فقيرٍ جاءكُم يشكو فقرَهُ * فجُدتُم أسادتي بما هو كالطَّيسِ
لقد خابَ مَنْ لم يتعلّق بذيلكُم * فيا ويحَ مَنْ تعرَّضْ لكُم بالكرسِ
فكم قادحٍ سلبتُمُ من إيمانِهِ * وكم ظالمٍ قصمتُموهُ على الحسِّ

(١) لعل الأبيات الأخيرة منسوبة إليه فقط رضي الله عنه للفرق الظاهر بينها وبين ما قبلها .

فطُوبى لِمَنْ قد فازَ منكُم بلحظـــةٍ * وشيَّد مَنْ لاحظتموهُ على الأوسِ
بجاهِ النبيِّ الهاشميِّ مُحمـــــدٍ * وأصحابِهِ أهلِ الصفاءِ بلا دنسِ
إلهي بجاهِ هؤلاءِ وجاههِـــــم * وقدرِهم لديكَ والعرشِ والكرسي
توسَّلتُ ارحَمْ والديَّ اعفُ عنهمـــا * وأسكِنْهُما الجنانَ فضلاً بلا بخسِ
ونِلني تَوفيقاً عليهِ توفَّنـــــي * ورزقاً به أغنى على كُلِّ ذي نفسِ
كفايةَ أشرارِ الخلائقِ كلِّهـــــا * وستراً على الدوام مِن أجملِ اللبسِ
وثُمَّ صلاةُ اللهِ ثُمَّ سلامُـــــهُ * على خيرِ خلقِ اللّهِ في الغدِ والأمسِ

اهـ. وقد سأله العلامة مفتي الجزائر سيدي الحاج محمد المطماطي عن حكم الله في العبيد من المسلمين بقوله :

الحمدُ للّهِ حمداً بالآلاء حـــوى * على الرسولِ صلاةً ما بدا البلـجُ
يا سادتي فقهاؤنا اكشفوا كربـــاً * ثوى سوادَ الفؤادِ مالَهُ فـــرجُ
عمَّ الأقاليمَ أمرُه وليســـسَ لـــهُ * مِنَ الأدلَّةِ ما تصفى له المُهَـــجُ
بأيِّ وجهٍ نرى استخدامَ أعبُدِنـــا * والخيرُ فيهم بدا منهم لنا سُـــرجُ
كيفَ التملُّكُ والرسولُ أخبرنـــا * بعدَ الشهادةِ لا ملكٌ ولا حـــرجُ
[٣٨] إذ قد بدا فيهمُ الإسلامُ قبلُ فمـــا * لملكِهم مِن سبيلٍ لا ولا نهـــجُ
يأتون قد عرفوا الدينَ معالمـــــهُ * على التأسِّي بنهجِ الشَّرعِ قد عرجوا
وإنما لسماعِ جلبِ بعضهـــــم * بعضاً عداوة بينهم لها لجـــجُ
إن كانَ شأنُكم العلمَ فدونَكُـــمُ * نظماً سؤالاً لكم يهدي لنا حجـجُ
فيكم شفاءُ الغليلِ إنْ شكوتُ لكـــم * فمَرْهَمُ النَّصِّ يبري من به سفجُ[1]
وليسَ مِن شرطهِ ردُّ مجانِســـــهِ * فالنظمُ والنثرُ يُشفى بهما الفلـــجُ

(١) هكذا بالأصل .

ثُـمَّ الصلاةُ على المختارِ ما غَرَبَـــتْ * شمسٌ بأبراجِها وصالت الحجـجُ

فأجابه الشيخ سيدي محمد بن علي ابهلول رضي الله عنه وعنا به آمين بقوله :

الحمدُ للّه مبدي الحكم للحكـــم * ومظهرِ الحقِّ والحقُّ لهُ حجـــجُ
ثُمَّ الصلاةُ على مَنْ بشريعتـــــه * يلوحُ نُورُ الهُدى ليبطُلَ الهـــرجُ
وبعدُ فالمنعُ للملكِ محجتُـــــهُ * بسمطِ نثرِكَ مثل الدُّرِّ يبتهـــجُ
فسبقُ إسلامِهم للملكِ يمنعُـــــهُ * وما إليهِ سبيلٌ تَبتغـي المهـــجُ
إذ لا يسوغُ لنا بالرِّقِّ ملكَهُـــــمُ * والقلبُ منهم بالإيمانِ ممتـــزجُ
قد نصَّ مَنْ عُلمَتْ بالحلمِ رُتبتُـــهُ * عليهِ فالقلبُ بالصوابِ مبتهـــجُ
ومَنْ يجيبُ بأنَّ الأصلَ كفرهـــم * فليسَ في ملكِ مسلميهمُ حـــرَجُ
فلتردُ دَنَّه بأنَّ الأصلَ حُجَّتُـــــهُ * قد بطلَتْ بانتهاجِ نهجِ ما لَهجُـوا
إذ حيثُ ما ثبتَ النقلُ عليهِ فـــلا * يعبأ بهِ وبذا اهلُ[1] العلمِ قد لهجوا
ومَنْ يرى حدَثَ التقليد تكذبـــهُ * حلّيةُ الملكِ إذ للكفرقد خرجـوا
فقولُ ذا غيرُ مقبولٍ وحُجَّتُـــــه * ليسَتْ بمرضيةٍ وما لهـــا أرجُ
فكيفَ يُقبلُ قولٌ أو يبـــاح بـــهِ * ملكُ جميعِ عوامِ الناسِ ذا سمجُ
فرُدَّ ذا القولَ يكفي فيه مـا شرحـوا * أهلُ الكلامِ فهُم لجمعنا سُـــرُجُ
أمَّنْ يريدُ الهُدى والرُّشدَ يطلبُـــهُ * ومَنْ يريدُ النجاةَ ما بدت لجـــجُ
فالمنعُ في الدينِ والدنيا النجاةُ وقـــد * دلَّتْ دلائلُهُ وشَهدَتْ حجـــجُ
ولو وجدتُ نصيراً أو يساعدنـــي * قمتُ بنصرتهـم وإنْ بدا الهـــرجُ
أسعى سريعاً بسيفِ النصرِ مجتهـــداً * في فكِّهم مِن رباقِ الرِّقِّ ينزعـــجُ
فليتَ ساعٍ على ذي القصدِ يُسعفنـــي * وليتَ ساعٍ لعلَّ الكربَ ينفـــرِجُ

(١) بهمزة الوصل لضرورة الوزن .

إليه أشكو إلهَ العرشِ من كُـــرَبٍ * إذ ليسَ يُدركني مِن غيرِهِ فـــرجُ
ثُمَّ الصلاةُ على المختارِ سيِّدنـــــا * خيرِ الخلائقِ ما قد انتهى الفلـــجُ

[٣٩] وله أيضاً في ألقاب الإعراب والبناء :

مَن يبتغِ العزَّ يرفعنَّ همتَـــــــهُ * بالضَّـم عَنْ كُلِّ مخلوقٍ يرى عَجَبَا
وبينَ عينيهِ يَنصُبَـنْ منيتَـــــــهُ * بفتحِ بابٍ لليثِ الموتِ قد نُصِبَا
ويُخفضِ النفسَ لا يَبغي لها شرفـــاً * بكسرِ شهوتها ينالُ ما طلبَـــــا
بذا يجُرُّ لها النفعَ مجاهدُهـــــــا * فإنْ عصَتْهُ رمى بسهمه عَطَبَـــا
واجْزِمْ على اللَّهو نفسَكَ إذا اضطربَتْ * وبالسكونِ يكونُ الجزمُ خُذ أدَبَـا
إعرابُ هذا الذي قدرتُ خُذ يا فتـى * لم يُعربَنْهُ كذا مِن نحوه صَعَبَـــا
أعربْ بهِ كلَّ فعلٍ قد بـدا فتـرى * منهُ قبولَ إلهِ العرشِ قد قَرُبَـــا
نظمُ الحقيرِ الذليلِ عند مالكـــــه * مُحمَّدِ بنِ عليٍّ ملجإِ الغُرَبَـــا
ربَّ العبادِ توسَّلتُ بـــأحمـــدَ انْ * تَغفرْ ذنوبي وذنبَ الوالدينِ حَبَـا
صلَّى عليـه إلـهُ العرشِ مـا برزَتْ * دنيا وأخرى لقلبٍ بالحبيبِ صَبَا

اهـ من خط الأخ في الله الشيخ محمد الوانوغي مفتي الأصناب ملتمساً مني إدراجه في ترجمة سيدي محمد بن علي ، وهذة رسالة الالتماس :

العلامة الشيخ الحفناوي بن الشيخ ومن شملته حضرتكم الشريفة السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد : فإن محب الجميع السيد الحاج بوطيبة يطلب من فضلكم أن تصححوا(١) له منظومات لجده الولي الصالح العلامة سيدي محمد بن علي وتلميذه سيدي سعيد قدورة الجزائري وغيرهما ، وبعد أن تحرروها يرجو ا منكم إثبات بعضها في ترجمة جده

(١) التصحيح بدون إذن من الشيخ غير صحيح ، وكثيراً ما تجد إهمال الوزن والكلمات من شأن بعض أكابر العلماء الأشاهر مثل سيدي أحمد بن بابا التنبكي العلامة المعروف وغيره ، فإن أشعارهم تذكر للتبرك بها .

المذكور إن تمكن لكم ، وها هي في هذه الأوراق كما وجدت في الأصل المنقول منه ، ولكم الأجر التام أعانكم الله على مقاصدكم الخيرية والسلام من مُحبِّكم الوانوغي بن أحمد أبي مزراق المقراني والآغا السيد الحاج أبي طيبة.

أقول :من ذرية سيدي محمد بن علي معاصرنا الفاضل الوجيه والأديب النبيه الآغا السيد ابن آمنة الحاج أبو طيبة ، رجل تقلب في المناصب الدولية وترقى فيها إلى رتبة الآغوية ، ونال بصدقه في الوظيفة وسامات الفخر والتشريف من أولها إلى رتبة التطويق ، وله أدب فائق ، وتواضع مطلوب ، وسياسة نافذة عند الحكومة والرعية ، وأولاد صالحون مثله متعه الله بحياتهم ، وأدام وجوده لهم آمين .

وله ابن عم عالم محبوب في الناحية ، كريم الطبع بشوش عليه رونق العلم والمعرفة ، وهو الشيخ محمد بن عشيط ، صاحب محاضرة حسنة وفقه ظاهر ، يستحضر نص خليل بسرعة ، وله مشاركة في الفنون المعهودة ببر الجزائر ، واجتمعنا به مراراً فكنا نستأنس منه بما كان عليه فقهاؤنا من الهيأة الممتازة عن العوام ، ويذكرنا الأوائل بأقواله وأحواله ، كما يذكرنا الآغا السيد الحاج أبو طيبة بزيه المستظرف تواضع الأشراف وترفعَ الكرام ، أحيانا الله وإياهم في عافية وصحة وافية ، وأعاذنا من شر الحساد آمين .

[٤٠] شيخُنا سيدي مُحمَّدٌ الطيبُ ابنُ أبي داود الزواوي

قال ولده سيدي محمد امزيان قيم زاوية النور والبركة الآن خلفاً للشيخ **سيدي محمد العربي بن القطب سيدي أحمد بن أبي داود** : إن نسب والدي رحمه الله هو محمد الطيب بن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن السعيد بن عبد

الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن سليمان ابن أبي داود ، وكان مولده عام ١٢٤٨ ، ووفاته بعد مغرب يوم الأحد لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى عام ١٣٠٩ ، الموافق لثامن ديسمبر سنة ١٨٩١ ميلادية .

وأخذ عنه خلق كثير ، وفتح الله على ٧٢ منهم ، وهو أخذ عن عمه أبي البركات الذي سار صيته واشتهر علمه في الآفاق الشيخ سيدي أحمد بن أبي القاسم المعروف بسيدي أحمد بن بوداود رضي الله عنه (مولده عام ١٢٣٥ ، ووفاته يوم ٦ جمادي الأولى عام ١٢٨٠) ، وتخرج عنه كثيرون فتح الله على ٣٥٣ منهم ، ودرس ٢٥ سنة وتولى التدريس وهو ابن ٢٠ سنة .

ومن تلامذته القطب الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الهاملي ، وكفاه فخراً رضي الله عنهم ، وهو عن أبيه سيدي أبي القاسم المتوفى يوم الجمعة ١٥ جمادى الأولى عام ١٢٥٥ بعد أن أخذ عنه عدد كثير ، وفتح الله في العلم الشريف على ٥٩ منهم ، أشهرهم القطب الشيخ سيدي الشيخ ابن أبي القاسم الديسي ، ودرس ٩ سنوات أكثرها في حياة أبيه ، وهو عن أبيه سيدي السعيد ابن أبي داود قطب زمانه المتوفي يوم السبت لعشر بقيت من محرم الحرام عام ١٢٥٦ ، وأخذ عنه خلق كثيرون فتح الله على نحو ٦٠٠ منهم ، وبقي في التدريس خمسين سنة ، وكانت وفاته على ما قيل سنة ١٢٤٦ ، وهي سنة ١٨٣٠ الميلادية .

ومن أشهر تلامذته الشيخ سيدي محمد المازري الديسي جدي أبو أمي السيدة خديجة رحمها الله تعالى آمين ، وهو عن أبيه سيدي عبد الرحمن ذي الكرامات الباهرة والمكرمات الزاهرة ، ولم يحضرني الآن تاريخ وفاته ، ولا عدد من أخذ عنه ، ولا من فتح عليه على يده في العلم وغيره ، وسيدي السعيد بن أبي داود هو الذي أخذ مختصر الشيخ خليل عن الشيخ ابن أعراب

في نحو ثمانية أيام ، فأجازه في تدريسه وأعطاه نسخة من متنه ونسخة من شرحه للعلامة سيدي محمد الخرشي رضي الله عنهم ، ونفعنا ببركاتهم فشرع [٤١] في تدريسه ببركة شيخه .

أما أبوه سيدي عبد الرحمن بن أبي داود فكان يدرس رسالة ابن أبي زيد القيرواني رضي الله عنه ، أخذها عن أبيه سيدي محمد ، عن أبيه سيدي أحمد ، عن أبيه ، عن أبيه إلى مؤلفها ، لأن أسلافنا كلهم كانوا أهل قدم راسخ في العلم ، وقد دعا صاحب الرسالة لمن يتعطاها ببسطة العلم والجسم والمال ، فكانت وبقيت دارُهم دارَ علم مشهورة بالنفع ، أدام الله عمارتها ببركاتهم ، ولم يحضرني الآن سندهم ، أما الشيخ سيدي محمد بن أعراب فأخذ المختصر عن سيدي محمد الخرشي ، وسيدي الخرشي أخذه بسنده المعلوم .

قال الشيخ سيدي محمد امزيان : ولنرجع إلى الكلام على السيد السعيد ابن أبي داود ، فإنه تركه أبوه سيدي عبد الرحمن صغيراً يتيماً فقيراً ، وبقي يتفقده تلامذة أبيه لعمارة المسجد ، ولم يزالوا يحثونه على التدريس ويرفعون همته إلى أن جذبته عناية خاتمة المربين ، وواسطة عقد العارفين أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن الخلوتي الزواوي الأزهري ، فقدم إليه ، ولما رآه عطف عليه ، ورضي عنه ومنحه أسراراً ربانية ، وأمره بالعمارة ، وضمن له أموراً كثيرة ، ومن يومئذ جعل يعمر القلوب بالعلوم ، وقصده خلق الله من كل جانب ، وحببه الله للعباد وشاع ذكره وفاح عطره ، وظهرت بركة الأستاذ فيه فتنوروَنُوِّر ، وتهذب وهُذِّب ببركة شيخه ودعائه ، وله قصائد في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم أكثرها بلغتنا الزواوية ، ونظم الآجرومية ، وشرح النظم إلى باب الجزم وتوفي رحمه الله (وأتمه شيخنا العارف بالله الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي) واختصر الجزء الأول من كتاب « حياة الحيوان » .

قال : ومن مشايخ الزاوية عمنا الشيخ المدرس سيدي أبو القاسم بن أحمد ابن أبي داود ، ولد ليلة الاثنين ٢٣ شوال عام ١٢٥٨ . درس في حياة أخيه المنعم سيدي محمد الطيب المترجم ، وأخذ عن عمه المرحوم سيدي محمد امزيان بن أبي القاسم ، المولود ليلة السبت ٢٥ ربيع الأنور عام ١٢٤٧ ، المتوفى ليلة الخميس لثلاث بقيت من شهر الله المعظم رمضان المبارك عام ١٢٨٣ (ومن تلامذته الفقيه الصالح سيدي دحمان بن الفضيل الديسي حي الآن) ، وهو درس بعد شقيقه سيدي أحمد بن أبي داود ، وفتح الله على ٣٢ من تلامذته، جعلنا الله من المقتدين بمآثرهم ، ولا حرمنا من بركاتهم أجمعين ، ورزقنا الرضى والهداية إلى أقوم طريق آمين اهـ. عبد ربه محمد امزيان .

أقول كنتُ : أقرأ القرآن في الزاوية صاعداً مبتدئاً وأنا صغير ، وذلك سنة وفاة سيدي محمد امزيان الأول ، وهي سنة ١٢٨٣ هجرية الموافقة لسنة ١٨٦٦ ميلادية ، وكانت وفاته تلك السنة ليلة الخميس لثلاث بقيت من شهر رمضان، ومولده ليلة السبت ٢٥ ربيع الأنور عام ١٢٤٧ ، وقد درس وأفاد بعد وفاة شقيقه سيدي أحمد بن أبي داود، وفتح الله على ٣٢ من تلامذته ، ومن أولاد

[٤٢] سيدي أحمد بن أبي داود الشيخ سيدي أبي القاسم وخلفه مع سيدي محمد الطيب أخوه سيدي العربي ، وكان ذا فهم عميق ونظر دقيق ، وتحصيل كثير في الفنون النقلية والعقلية ، رحمه الله تعالى مولده ليلة الأحد ذي الحجة الحرام سنة ١٢٧٥ ، ووفاته صباح يوم الأحد لست بقيت من ذي القعدة عام ١٣٢٠ ، وخلفه سيدي محمد امزيان الثاني بن سيدي محمد الطيب المترجم هنا ، وأخوه سيدي عبد الرحمن ، وبهما بقيت الزاوية عامرة كعادتها وفوق عادتها ، نسأل الله لهما ولعائلتهما الشريفة عمراً طويلاً وخيراً جزيلاً اللهم آمين .

محمدُ بنُ عبدِ الكريمِ المجاوي التلمساني

أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي الجليلي الحسني .

ولد بتلمسان سنة ١٢٠٨ ، وحفظ القرآن على والده ، وعنه وعن أخيه العلامة الحاج أحمد أخذ مبادئ العلوم ، ثم توجه إلى فاس طلباً للعلم ، وأخذ فيها عن مشايخ جلة ، منهم حمدون بن الحاج السلمي ، وسليمان الحوتي ، والحافظ الحجة الحاج الطيب ابن كيران وعن غيرهم ، ولما تضلع في علوم شتى رجع إلى تلمسان مسقط رأسه ، وتولى قضاءها ما يقرب من خمس وعشرين سنة ، وله مآثر حسنة يشهد له بها أهل بلده ، ولم يمنعه القضاء عن التدريس في مدته كلها ، وتخرج عليه كثير من العلماء الأجلة ، ثم رجع إلى فاس وتولى فيها خطة التدريس بجامع القرويين المعمور .

وأخذ عنه علماء عارفون كالشيخ فنون الشهير ، والشيخ الحاج صالح الشاوي ، والشيخ الحاج محمد بن عبد الواحد بن سودة ، والشيخ محمد العلوي قاضي فاس ، والشيخ جعفر الكتاني وغيرهم ، ثم ولي قضاء طنجة .

وترجم له أحد تلامذته الفقيه العلامة السيد أحمد بن حسون قاضي وازان في تأليف له ، ذكر فيه جملة من مشايخه رحمهم الله بما نصه : ومنهم الشيخ العلامة الحافظ المدقق الفهامة أبو عبد الله سيدي بن محمد المشاوي الحسني التلمساني ، أسكنه الله دار التهاني ، له ذهن يكشف الغامض الذي يخفى ، ويعرف رسم المشكل وإن كان قد عفا ، أبصر الخفيات بفهمه ، وقصر فكره على خاطره ووهمه فجاء بالنادر الذي أعجز ، وتلون في حلل الكلام الطويل والموجز مع جمعه لأوصاف المكارم التي لم ينادمه في تعاطيها منادم ، ولم يوازه

[٤٣] فيها بحر زاخر ولا قمر زاهر ، وهي التي جمعها قول الشاعر :

إنَّ المكارمَ أخـــلاقٌ مطهَّـــرةٌ * فالدينُ أوَّلُها والعقلُ ثانيهـــا
والعلمُ ثالثُها والحلمُ رابعهـــــا * والجودُ خامسُها والعُرفُ ساديهـا
والبِرُّ سابعُهـــا والصبرُ ثامنهـــا * والشكرُ تاسعُها والدين عاشيهـــا

كانت له اليد الطولى في جميع العلوم ، ومهما أخذ في تدريس فن حسبته لا يعرف سواه ، وأنه أفنى عمره فيه ، وما ذلك إلا لتضلعه واطلاعه ، يأتيه الأشياخ في ما يستشكلونه من الغوامض فيزيل ما خالج قلوبهم من العوارض ، فيذهبون ولسان حالهم ينشد قول أبي الطيب :

فإن تَفُقِ الأنـامَ وأنتَ منهـــم * فإن المسكَ بعضُ دمِ الغَـــزالِ

قرأت عليه مختصر خليل من باب الزكاة إلى خيار البيوع ، وكان يطالع له الكتب المتداولة كالخرشي ، وعبد الباقي في حواشي البناني ، والسنهوري ، والشبرخيتي ، ذا اعتناء بالجميع ، وقرأت عليه مختصر السعد بتمامه ، وبعضاً من ختمة أخرى ، وكان يعتمد في ذلك على المطول ، وحواشي الفناري ، وحواشي ياسين على المختصر ، وعروس الأفراح لابن السبكي ، وشرح الولالي على القزويني ، وبعض الشفا للقاضي عياض ، بالشهاب أفندي ، وحاشية ابن التلمساني ، وجمع الجوامع ، بالمَحلي من الحروف إلى النسخ ، وابن أبي شريف عليه ، وحواشي العبادي ، وحواشي البناني المصري ، وهو أول من أظهرها بفاس فاشتهر أمرها ، ونحو الربع من الخلاصة بالتصريح ، وحواشي ياسين عليه ، وحواشي الصبان ، وحواشي شيخه ابن كيران ، وكان يعترض عليه كثيراً قراءة تحقيق وتدقيق في الجميع ، فلقد كان في المطالعة والحفظ فريد عصره وأعجوبة دهره ، سمع منه الثقاة أنه لما ولي خطة القضاء بمدينة تلمسان ، حفظ المعيار في خمس ليال في كل ليلة سفراً ، وهذا غاية العجب ، ومن نظمه

متوسلاً عدا البيت الأول والأخير :

بمحمدٍ وببنتـــــــــهِ وببعلِها * وابنيهما السِّبطينِ أعلامِ الهُـــدى
وبأهلِ بدرٍ والصحابـــــةِ كلِّهـــم * والتابعينَ لهم دواماً سرمـــــدا
وبعبدِك النعمـــانِ ثمَّ بمـــالـــكٍ * والشافعي قطبِ الوجودِ وأحمـدا
وبغوثِنا وبشيخِـــه وابنِ حرزِهـــم * وبجدِّه عبدِ السلامِ الزاهـــدا
وبصاحب التوحيد والعلم والتقـــى * ذاك السنوسي بالمكارم قـــد بـــدا
وبجاهِ أحمد الحبيبِ وشيخـــــهِ * وبسرِّهم يا ربِّ خُذْ جملةَ العِـدَا
وبجاهِ اسمِكَ العظيمِ ومَـــنْ بـــهِ * متخلِّقٌ يا ربِّ يا سامعَ النِّـــــدا
فرِّجْ كروبَ المسلمينَ وحزبِهـــــم * يا خيرَ مَنْ مدَّ العصاةُ لهُ اليـــــدا

ولما ختم السعد قال فيه بعض رفقائنا وأحبابنا من تلامذته بعد أبيات :

لقد عمت دواعي وداد سعـــــدا * عمومَ علومِ مَنْ قد حازَ مجـــدا
أبي الفتحِ المجاوي من أضـــاءتْ * شموسُ علومه فازدادَ حمـــــدا
إمامٌ ماجدٌ شيخٌ جليـــــــلٌ * همامٌ بـــارعٌ فخرٌ معيـــــدا
[٤٤] بليـــغٌ مصقـــعٌ علـــمٌ شهيرٌ * وكعبةُ مَنْ يرومُ الرُّشـــدَ قصدا
سموٌّ باسمـــــهِ سمـــا سمـــاءً * بفجرِ محمدٍ شُكـــراً وحمـدا
ويدعى نجلَ عبدِ الله فـــاعجَـــبْ * بمَنْ جادَتْ تلمسانُ عنـــا جـودا
أصيلٌ لوذعـــيٌّ بحـرُ علـــمٍ * جوادٌ جـلَّ ما أعطـــى وأسدى
منزهٌ مبجلٌ نزيهُ القـــدرِ بَـــرٌّ * حليمٌ ضمَّ حكمـــةً وزُهـدا
لقد أرجت سجايـــاه وطابـت * وفاقَ مآثراً عَمـــراً وزيـــدا
فليسَ له شريكٌ في المعـــالـــي * ولم يُرَ في المعاني سـواهُ جلـدا
لقد وَرثَ المفاخرَ عن أبـــــاء * كرامٍ قـــد قفَوا في ذاكَ جَـــدَّا
هو الفـــذُّ الإمـــامُ بكلِّ فـــنٍّ * ولم تخلف لـهُ الأزمانُ نِـــدَّا

وهي طويلة قرأ على الشيخ سيدي عبد السلام اليازمي مختصر خليل ، وقرأ هذا الشيخ عليه الجمل والسلم كما أخبرنا هو بذلك ، وقرأ المعقول والمنقول على العلامة الشيخ الطيب بن كيران ، وعلى الشيخ الزروالي ، وعلى سيدي حمدون بن الحاج وعلى غيرهم . ولي خطة القضاء بثغر طنجة ، وخرج لها من فاس في الربيع النبوي عام ١٢٦٢ ، وبقي بها قاضياً ومدرساً وخطيباً إلى أن هجم عليه المنون في ثالث وعشري رجب عام ١٢٦٧ اهـ من خط تلميذه المذكور.

وبالجملة فإن الشيخ المذكور كان آية وعليه الفتح الكثير ، يدل لذلك من نبغ عليه من الطلبة ، وكان يميل إلى التصوف كثيراً رحمه الله رحمة واسعة ، وترك ولده الصالح الشيخ عبد القادر ، فسار على قدمه في طلب العلم حتى بلغ شأوه ، وزاد عليه فنوناً ، ورجع إلى أصله ومسقط رأس أبيه ، واستقر في قسنطينة عالماً مفيداً وأخيراً في الجزائر ، وهو الآن فيها .

ولد الشيخ عبد القادر سنة ١٢٦٧ ، وقرأ على الشيخ ڤنون ، وسيدي الحاج صالح الشاوي ، وسيدي الحاج أحمد ابن سودة ، وسيدي جعفر الكتاني وغيرهم.

وألف « إرشاد المتعلمين » في مبادئ العلوم ، و« نصيحة الإخوان » شرح قصيدة سيدي محمد المنزلي التونسي في التصوف ، و« الفريدة السنية في الأعمال الجيبية » و« الدرر النحوية شرح الشبراوية » و« تحفة الأخيار في الجبر والاختيار » و «شرح المجرادية في الجمل » وغير ذلك ، وتولى تدريس جامع سيدي الكتاني في قسنطينة سنة ١٢٩٢ ، وتولى في المدرسة الكتانية سنة [٤٥] ١٢٩٥ ، وتولى خطة التدريس في القسم العالي من المدرسة الثعالبية في الجزائر سنة ١٣١٥ .

وتخرج عليه كثيرون منهم السادة : حمدان الونيسي ، وأحمد الحبيباتي ،

والمولود ابن الموهوب المدرس الآن في الكتانية ، والحاج أحمد البوعني ، ومحمد بوشريط بن عامر ، والسيد عبد الكريم باش تارزي مفتي حنفية قسنطينة ، وحمو ابن الدراجي قاضي حنفية الجزائر ، والشيخ السعيد ابن زكري المدرس في الثعالبية .

سيدي محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأزهري

سيدي محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن علي ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين بن طلحة بن جعفر بن محمد العسكري بن عيسى الرضى بن موسى المرتضى بن جعفر الصادق بن محمد الناطق عبد الله بن حمزة بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن ابن فاطمة بنت رسول الله عليه وسلم (هكذا مكتوب في لوح معلق في محراب ضريحه المقدس قرب حامة الجزائر) .

هو الغوث الأكبر والمربي الأشهر ، جامع الناس على كلمتي الشهادة وداعيهم إلى مقام الإحسان في العبادة ، ولد قدس الله سره وخلد في ألسنة الصدق ذكره ما بين سنتي ١١٢٦ و ١١٣٣ في وطن بني إسماعيل ، وساقته المقادير إلى مجاورة الأزهر الشريف صغيراً ، وتزوج في القاهرة ، وبعد زمن طويل ذهب إليه أخوه الأكبر سيدي مُحمد بالضم ومن غرائب الاتفاق أن أول رجل صادفه في أزقة القاهرة وسأله عن أخيه كان هو المسؤول عنه ، ولطول الغيبة لم يعرفه ، فقال له : ادخل الجامع واسأل عنه الإمام فإنه من خواصه ، وكن في الصف الثاني ، وبعد الصلاة تقدم واطلب منه ما تريد ، ثم إن سيدي محمد أخبر شيخه الآتي ذكره بقدوم أخيه وسؤاله عنه ، فقال له الشيخ : سننظر أمره ولما صلى وسلم وانصرف الناس أشار إليه فدنا منه وتبرك به ، وقال له : هذا أخوك فقام سيدي مُحمد وقبل يد أخيه ، وسأله عن أهله وأحوالهم وعند

الانصراف قال له الشيخ : أقم عند أخيك ضيفاً ، وعلي مؤونتك ما دمت هنا ، وبعد مدة أمر الشيخ سيدي محمد بالرجوع إلى وطنه لبثّ العلم وتربية الخلق ، ودعا له دعوات ظهرت فيه أسرارها وسطعت عليه أنوارها ، فكان هو الشيخ الإمام والأستاذ الهمام واسطة عقد العارفين وكمّل المتصوفين ، الجامع بين الشريعة وطريقتها والولاية وحقيقتها ببركة شيخه علامة الزمان وفريد العصر والأوان ، صاحب التصانيف المنيفة والتقارير الشريفة ، سيدي محمد بن سالم الحفناوي المصري المتوفى يوم السبت ١٧ ربيع الأول سنة ١١٨١ رضي الله عنه ونفعنا ببركاته

وكان وجهه إلى السودان لنشر الأوراد ونفع العباد ، ثم أمره بالرجوع إلى مصر ، فرجع وألبسه الخرقة وصرفه إلى وطنه كما تقدم ، ولما استقر به جدد غرس الإيمان والإحسان في القلوب ، وبدد غياهب النفوس بذكر علام الغيوب ،

[٤٦] وكان الشيخ أذن له في التربية وتعليم خلق الله بما هم مطالبون به ، فأخذ عنه الجم الغفير وسلك على يده الكثير ، وذلك سنة ١١٨٣ فاشتهر أمره وأشرق نوره ، وفاضت مواهبه اللدنية بعلوم الدين ومعارف القوم ، وصار كوثر الوراد وبغية الرواد ، يطهر البواطن بالتهذيب الخلوتي ، ويطيب النفوس بالشريعة السمحاء ، ولا يخاطب الناس إلا بما يفقهون مراعاة للحال والمقام ، فانتفع بإرشاده الخواص فضلاً عن العوام ، وسارت بذكره الركبان في سائر الأوطان ، وانجذب إليه أهل التل والصحراء ، وطلبه عمال المدن الكبرى وبالأخص صاحب الجزائر ، فدخلها واحتفل به علماؤها ، وكانوا قد امتلأت أسماعهم من أخباره وأدهشهم ما بلغهم من أسراره ، ولما اجتمعوا حوله وفي نفوسهم مسائل يريدون بها اختباره سكتوا طويلاً ، وكل منهم يشير بخائنة عينه إلى صاحبه أن ألق سؤالك ، والشيخ مطرق مشتغل بسُبحته ، ولم يتجاسر منهم أحد عليه ، فرفع رأسه قائلاً : أيها السادة ما لي أراكم صامتين ، وهل الجامع إلا للذكر فهلموا إليه أو لطلب العلم ، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ،

وما عداهما لهو ولغو ، فأجابه أحدهم بأدب واحتشام يا سيدي إنما أردنا التبرك بكم ، واقتباس بعض الحقائق منكم ، وكان صاحب الجزائر رئيس هذه الحفلة في المسجد الأعظم من أهل الدين المتين والاعتقاد المكين ، فنطق الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به وحدثهم بما كانت تحوم حوله أرواحهم وتطوف به عقولهم ، ولكن لا تناله إلا بالمشافهة من أضرابه الذين تعلقوا بمَنْ عنده مفاتح الغيب ، وتخلقوا بأخلاق رسوله المحبوب صلى الله عليه وسلم .

وكان الشيخ قدس الله روحه ونوَّر ضريحه يأتي في كلامه بجواب كل مسألة أضمروها له ، ويلتفت إلى صاحبها منهم متبسماً إشارة إلى أن ضميره عند القوم من قبيل الظاهر ، وأن كاتم سره عنهم كأنه مجاهر ، وإذ ذاك بادروا إلى الأخذ عنه وفي مقدمتهم كبيرهم ، فلقنهم ونصبوا الحضرة بذكر كلمة الشهادة عددها المعلوم في الورد الخلوتي ، ودعاه الباشا لمنزله وبقي عنده أياماً لقَّن فيها أهله وبنته وأقاربه ، وعند انصرافه أتاه بحصة من الدنانير فأظهر له البرهان على أنه في غنى عن الدنيا ، ولما أكثر من محاولته على قبولها قال : لا إله إلا الله مرة فسقط من السقف عدد من الذهب ، وثانية فسقط عدد آخر ، فاستسمحه الباشا واعتذر ، فقبل عذره وانصرف إلى محله . [٤٧

واشتهر أمره في القطر الجزائري ، وأتاه رجال كثيرون ، قدم منهم من قدم ، وانتشر ورده بين الناس ، ولم يزل يعمر قلوبهم بالله إلى أن لقي الله تعالى في آيت إسماعيل ، فأقبر بها ونقله أهل الجزائر ذات ليلة خفية إلى ضريحه بقرب الحامة ، ففطن أهله لنقله وعزموا على رده وآل الأمر إلى النزاع ، وانفصلت النازلة بوجوده في قبره عندهم أيضاً ، فسمي من يومئذ بأبي قبرين ، الأول في جرجرة ، والثاني في الجزائر ، وكلاهما مزار متبرك به ، وفي كل سنة تقصده الركبان من العروش عند الحصاد وعند الحرث ، وحوله روضة

كبرى لأهل الجزائر، محاطة بسور محكم له بابان ، وفي القبة ثريات وبسط ، وبداخلها خلواته بابها عند تابوته ، وبئر طيبة الماء جداً وفيها قيِّم وإمام .

توفي قدس الله سره ورحمه الله سنة ١٢٠٨ (٩٣ ـ ١٧٩٤) ، ولم يترك ولداً من صلبه وإنما أولاده مشايخ طريقته الرحمانية الأزهرية الخلوتية ، وكلهم أباً عن جد أقطاب كبار، أكرمهم الله تعالى بما يدل على علو مراتبهم عنده ، ويذل له مريدهم لغير الله ، وهم كثيرون في بر الجزائر وتونس والسودان وغيرها ، منهم سيدي علي بن عيسى ، وتلامذته ، وتلامذتهم الكبار كسيدي محمد امزيان بن الحداد ، وسيدي محمد ابن أبي القاسم البوجليلي ، والشيخ علي وغيرهم نحو الأربعة والعشرين ولياً ، ومنهم سيدي عبد الرحمن باش تارزي شيخ سيدي محمد بن عزوز جدّ الشيخ المكي بن الشيخ سيدي مصطفى بن عزوز ، وتلامذته القطب سيدي علي بن عمر ، وسيدي عبد الحفيظ ، وسيدي مبارك بن قويدر ، والشيخ المختار ، وسيدي الصادق ، وتلامذة سيدي علي ابن عمر سيدي خليفة أستاذ سيدي علي بن الحملاوي ، وسيدي مصطفى ابن عزوز ، وتلميذه سيدي علي بن عثمان ، وتلميذ الشيخ المختار سيدي الشريف بن الأحرش ، والقطب شيخنا سيدي محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي ، وتلامذته سيدي المكي بن عزوز ، وتلميذ الشيخ الصادق سيدي الحاج السعيد بن باش تارزي ، وأخيرهم الشيخ الحاج المختار ، وغيرهم من المشايخ الرحمانيين معروفون في الأقطار عند أهلها نفعنا الله ببركات الجميع .

وللشيخ رضي الله عنه رسائل كثيرة في تعليم الخلق وإرشادهم إلى طريق الخير اعتنى بجمعها أكابر رجال طريقته ، ولم تطبع ولوطبعت لكانت مجلداً كبير الحجم كثير العلم ، ولنقتصر منها على ما يأتي : قال الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الزواوي رضي الله عنه وعنا بن آمين :

وقد أجزت العارف بالله تعالى حبر الوجود ومُحيي ما اندرس من كل علم

مفقود ، أعني القطب المهدي سيدي يحيى نجل سيدي عيسى ، نفعنا الله بالجميع بجاه النبي الشفيع ، أن يعطي أورادنا أي أوراد طريقتنا البركة الخلوتية لسائر المسلمين ، كما أذن لشيخه أن يعطيها أي شيخه الذي هو الكاتب لهذه الإجازة بالبنان محمد بن عبد الرحمن الأزهري مجاورة أوله لا إله إلا الله ، ثم الله ، ثم هو ، ثم حق ، ثم حي ، ثم قيوم ، ثم قهار ، يخدمها تلميذه بالتدريج [٤٨] والترقي حتى يصل إلى العلامات ، ولا ينفع إلا الإكثار من ذكره آناء الليل وأطراف النهار في كل زمان ومكان ، على أية حالة طاهراً أو غير طاهر ، طهارة كبرى أو صغرى أم لا ، مطلقاً يذكر أولا لا إله إلا الله خاصة أولاً من عصر يوم الجمعة إلى عصر يوم الخميس ، ثم يترك لا إله إلا الله ويبدله بالصلاة الشاذلية وهي : اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم من عصر يوم الخميس إلى غد ، وهو عصر يوم الجمعة ، ثم يترك صلاة الشاذلية ويبدلها بصلاة الأميّ وهي : اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد النبي الأميّ وعلى آله وصحبه وسلم ثمانين مرة ، تكفرله ذنب ثمانين سنة وتغفره له ، ثم يترك صلاة الأميّ أيضاً ويبدلها بلا إله إلا الله من عصر يوم الجمعة إلى عصر يوم الخميس ، وهكذا دائماً طول العمر اهـ. ونسأل الله أن ينفعنا وإياه بما علمنا ، وأن يعيننا على ما كلفنا ، وأن ينظر إلينا بعين العناية والهداية ، وأن ينظمنا في سلك أهل الولاية والحماية ، وأن يُسبِل علينا وعلى مشايخنا وجميع أئمتنا وعلى والدينا سجال الغفران ، وأن يجمعنا جميعا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في غرفات الجنان ، والمطلوب من الأخ المذكور أن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته .

وطلب مني الأخ المذكور أن أضع له سلسلة الطريق تبركاً ، وليقف عليها المريد الذي لم يرها ، فنقول : لقَّن ربُّ العزة جبريلَ عليه السلام ، وهو لقن

النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وهو لقنَ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهو لقن ابنَه الحسنَ والحسينَ والحسنَ البصري وكميلَ بن زياد ، والحسنُ البصري لقن حبيباً العجمي ، وهو لقن داود بن نُصير الطائي ، وهو لقن معروف بن فيروز الكرخي ، وهو لقن السريَّ بن المغلس السقطي ، وهو لقن الجنيدي ابن محمد سيد الطائفة البغدادية ، وهو لقن مشاهدَ الدينوري ، وهو لقن محمدَ البكري ، وهو لقن وجيهَ الدينِ القاضي ، وهو لقن عمرَ البكري ، وهو لقن أبا النجيب السهروردي ، وهو لقن قطبَ الدين الأبهري ، وهو لقن ركنَ الدين محمد النجاشي ، وهو لقن شهابَ الدين محمد الشيرازي ، وهو لقن سيدي جمال الدين التبريزي ، وهو لقن إبراهيمَ الزاهدي الكيلاني ، وهو لقن محمد الخلوتي وهو لقن عمر الخلوتي ، وهو لقن محمد امبرام الخلوتي ،

[٤٩] وهو لقن الحاج عز الدين ، وهو لقن صدر الدين الجيلاني ، وهو لقن سيدي يحيى الفاكوي ، وهو لقن محمد بن بهاء الدين الشيرازي ، ويقال له : الارنجاتي ، وهو لقن حلبيي سلطان الأقدس أي الشهير بجمال الخلوتي ، وهو لقن خيز الدين التوقادتي ، وهو لقن الشيخ شعبان القسطوني ، وهو لقن محيي الدين القسطوني ، وهو لقن وأرشد الشيخ إسماعيل الجرمي المدفون بالقرب من مرقد سيدي بلال الحبشي بديار الشام ، وهو لقن وأرشد الشيخ أفندي قارا باشا ، وتخلف عن ولده الشيخ مصطفى أي هو الذي أجازه بالإرشاد ، وهو لقن وأرشد الشيخ عبد اللطيف الخلوتي الحلبي ، وهو لقن وأرشد الشيخ شيخنا العلامة قطب الوجود سيدي مصطفى بن كمال الدين الصديقي ، وهو لقن وأرشد الشيخ العلامة قطب زمانه وفريد عصره وأوانه شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ الحفناوي ، وهو سيدي محمد الحفناوي نفع الله به الأنام بجاه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وهو لقن وأرشد خميل المكان والأوان عز الأقران محب الإخوان محمد بن عبد الرحمن الأزهري

مجاورة ، السماعيلي عرشاً ، القجطولي قبيلة ، الزواوي إقليماً (أولئك آبائي) ، وهو لقن وأرشد العلامة النوراني سراج الهدى سيدي يحيى نجل سيدي عيسى نفعنا الله بالجميع آمين . انتهت السلسلة المباركة على الطريقة ، وستأتي سلسلة الشريعة قريباً هنا ، ثم نذكر كيفية تلقين وردنا لكل من طلبه أو طلب هو غيره :

أن يتعوذ بالله من الشيطان أولا ، ويقبض الإبهام الأيمن من المريد الذي هو تلميذه ، وكلاهما غاض بصره ويأمره بذلك ، ويقول له : اسمع مني لا إله إلا الله ، والمريد ساكت حتى يفرغ الشيخ منها ، ويسكت ثم يذكرها المريد ثلاثاً أيضاً ، والشيخ ساكتٌ ، ثم يقرأ الفاتحة لإصلاح حاله ، ثم يقرأ الفاتحة الثانية لروح النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يقرأ الفاتحة الثالثة لروح شيخه وأهل السلسلة ، ويأمره بالتوبة وإكثار الذكر دائماً ، ولا ينفع إلا الإكثار آناء الليل وأطراف النهار .

وقال بعضهم : من ذكر الله حفظه الله من كل شيء ، ومن خصائص الذكر أنه غير موقت بوقت فما من وقت إلا والعبد مطلوب بالذكر إما وجوباً أو ندباً ، بخلاف غيره من الطاعات ، وأنشد بعضهم قوله :

وذكر الله يحسن كل وقت * فحصل حاجة وارجع اليه
ومن ينفع اخاه بغير خير * مع الأذكار لم ينكر عليه

فينبغي للعبد أن يكثر منه في كل حالة ، ويستغرق فيه جميع أوقاته ، وليس له أن يتركه لوجود غفلة فيه ، فعليه أن يذكر ولو كان غافلاً ، فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه إلى الذكر مع وجود اليقظة ، وهو نعت العقلاء ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه إلى الذكر مع وجود الحضور مع المذكور ، وهذه صفة العلماء ، ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه إلى الذكر مع وجود الغيبة ، كما سوى المذكور وهذه مرتبة العارفين المحققين من الأولياء ،

قال تعالى : ﴿ واذكُرْ ربَّكَ إذا نَسِيْتَ ﴾[1] غير الله ، اذكر الله على حد ، [٥٠] ﴿ وأصبحَ فُؤادُ أمِّ موسى فارِغاً ﴾[2] أي من غير موسى حتى كادت أن تبدي به ، وأشار بعضهم إلى هذا المعنى :

بـذكرِ اللهِ تبتهـــجُ القلـــوبُ * وتتَّضِحُ السرائِرُ والغُيـــوبُ
وتركُ الذكرِ أفضلُ كـــلِّ شيءٍ * فشمسُ الذاتِ ليسَ لهـا غُيوبُ

فترك ذكر الغير أساس كل خير ، فإن نسيت ما سواه به كنت ذاكراً لله حقاً ، وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العيان .

وقال الواسطي مشيراً إلى هذا المقام : الذاكرون الله في ذكره أشد غفلة من الناسين ذكره ، وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وقد وصف الله تعالى قلب أم موسى بمعنى ذلك في قوله : ﴿ فأصبح فُؤادُ أمِّ موسى فارغاً ﴾[2] من كل شيء إلا من ذكر موسى ، فكادت أن تبدى به من غير قصد منها لذكره ولا تدبر ، بل كان تركها للتصريح بذكره صبراً بما ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين .

تنبيه : إذا ذكر الشخص بلسانه ونظر بقلبه إلى الله تعالى ، ودام على هذا الوجه يحدث في أعضائه ومفاصله نوع وجع ، ويأخذ قلبه في الوجع مع قليل حرقة ، اللهم لا تحرم طالبيك من هذا الوجع ، ووفقهم أن يشكروك عليه ، وهذه الأوجاع منشأها أن الذكر يقطع اللذات والحظوظ التي تمكنت في قلبه وأعضائه وجوارحه أيام الغفلة ، فتكون هذه بداية نفوذ الذكر في قلبه ، فإذا زادت مواظبته على الذكر يصل أثر ذلك إلى الروح ، فيذكر الروح ويجلس على سرير القلب بالخلافة ، ويحكم على الحواس الظاهرة والباطنة ،

---

(١) سورة الكهف : الآية ٢٤ .
(٢) سورة القصص : الآية ١٠ .

فتنعزل النفس وتكون من دعايا الروح . انتهت .

هذه الإجازة والسلسلة على الطريقة معاً ، خاصة وهي الإجازة الكبرى ،

ثم نشرع الآن أيضاً في الإجازة والسلسلة على الشريعة معاً ، خاصةً وهي الإجازة الكبرى أيضاً ونقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والرضى على سائر الأئمة المجتهدين ، وعلى تابعهم بإحسان إلى يوم الدين ، قد التمس مني السيد العلامة ، ومعدن الشريعة والحقيقة ، سيد السادات ومصباح الظلمات ، سيدي
[٥١] يحيى بن سيدي عيسى نفعنا الله ببركة الجميع بجاه النبي الشفيع آمين ، بجاه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم إجازة فيما صح لي روايته ، أو ثبتت لي درايته ، فأجبته لذلك لأنه أهل وحقيق بذلك .

قد أخذت الفقه وغيره عن شيخنا العلامة صاحب التصانيف النافعة الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي ، وهو عن جماعة منهم السيد محمد السلموني والشيخ عبد الله المغربي ، كلاهما عن سيدي محمد الخرشي ، وسيدي عبد الباقي الزرقاني ، وهما عن نور الدين سيدي علي الأجهوري ، وبرهان الدين سيدي إبراهيم اللقاني ، وهما عن شيخ المالكية الشيخ سالم السنهوري ، عن الشيخ علي السنهوري شيخ التتائي ، وأبي الحسن الشاذلي شارح الرسالة ، وهو عن العلامة الباسطي ، وهو عن تاج الدين بهرام الدمري ، وهو عن شيخه العلامة خليل بن إسحاق ، وهو عن شيخه قطب الزمان سيدي عبد الله المنوفي بسنده المشهور ، وقد أخذ الشيخ علي السنهوري المذكور أيضاً عن الشيخ طاهر ابن علي بن علي بن محمد النوري ، وهو عن الشيخ حسين بن حلي ، وهو عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر بن هلال الربعي ، وهو عن قاضي القضاة فخر الدين بن المخلطة ، وهو عن أبي حفص عمر بن فراج السكندري ، وهو عن

أبي محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري ، وهو عن أبي بكر محمد بن الوليد بن خلف الطرطوشي ، وهو عن أبي الوليد سليمان خلف الباجي ، وهو عن الإمام مكّي القيسي الأندلسي ، وهو عن الإمام أبي محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني ، وهو عن الإمام أبي بكر محمد بن اللباد الإفريقي ، وهو عن الإمام يحيى الكناني صاحب اختلاف ابن القاسم وأشهب ، وهو عن الإمام سحنون ، والإمام عبد الملك الأندلسي ، وهو عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري ، والإمام أشهب بن عبد العزيز العامري القيسي ، وهما عن إمام الأئمة وحبر الأمة الإمام مالك بن أنس ، وهو عن ربيعة ونافع مولى ابن عمر ، وتفقه ربيعة عن أنس بن مالك خادم نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفقه نافع عن مولاه عبد الله بن عمر ، كلاهما أي أنس وابن عمر عن سيد أهل الدنيا والآخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم ، وهو قد جاءه الوحي عن رب العالمين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام .

قال ذلك وكتبه الفقير الحقير الراجي عفو مولاه ، خميل الزمان والمكان ، أحقر الأقران محب الإخوان في الشان ، محمد بن عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن أحمد بن يوسف الأزهري مجاورة في مصر القاهرة الزواوي إقليماً ، القجطولي قبيلة ، السماعيلي عرشاً ، البوعلاوى قرية ، المالكي مذهباً ، وأما شيخه في الطريقة الذي هو الشيخ الحفناوي فهو شافعي مذهباً ، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه آمين ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وسلم أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً والسلام .

[٥٢] تمت الإجازة والسلسلة على الشريعة وحسن عونه ، ثم نشرع في الوصية أيضاً فنقول لك :

اسمع مني وصيتي إليكَ واعمل بها كما ألزمت نفسك عهد الله وميثاقه

أن تتقي الله في سائر أحوالك ، وتخلص في جميع أعمالك ، ولا تلتفت لنظر الخلق لك بل غِبْ عنهم بنظر الله تعالى لك ، واطلاعه عليك وعلى سرك وعلانيتك ، وعليك باتباع السنة والكتاب ، فإنهما الطريق الموصل إلى الله تعالى ، واعمل متجرداً عن حظوظ نفسك في الدنيا والآخرة ، ولا تعمل لملاحظة الكرامات وخوارق العادات ، ولا خوفاً من عقاب الله ولا طمعاً في ثوابه بل لقصد رضي الله عنك ومحبته إليك والقيام لحقوق العبودية لنصرة الدين وعز الإسلام خاصة ، والثواب لا شك حاصل ، وتحصيل الحاصل عبث ، وعليك بالإحسان إلى الخلق بتوقير الكبير والرحمة للصغير ، وعليك بالزهد في الدنيا إلا ما ستر العورة أو الجثةَ وسد الجوعة ، فإن زدت على ذلك فإياك والغرور ، وعليك بالورع عن كل ما فيه شبهة ، وعليك بكف الأذى وإن أوذيت ، وعليك بالصبر فإنه رأس العبادة ، وعليك بالرضى عن الله في كل شيء ورد عليك منه ، وعليك بكف لسانك عما لا يعنيك ، وعليك بالثقة بالله على كل حال وفي كل حال ، والتوكل على الله والشكر له ، وعليك بذكر الموت فإنه أساس الزهد ، وإياك والمخاصمة والمماراة وإن كنت محقاً ، والبغي وحب الشهرة بالخير والميل إلى المدح ، والتزم الأدب مع كل مخلوق ، ولا تيأس من رحمة الله وفرجه وإن ضاقت عليك الأمور ، فإن الله يقول :﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾[1] ولن يغلب عسر يُسرين ، ولا تشكو الله إلى أحد من خلقه ، فإنه المعافي والمبتلي والقابض والباسط والمضر والنافع ، وتكون في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وتنبذ ما في يدك من مكاسب الحرام ، وتترك ما يقطعك ويلهيك عن عبادة الله عز وجل ، وتلزم قلبك التفكر وتعود عينيك السهر ، وتجعل الذكر أنيسك والحزن جليسك ، والزهد

---

(١) سورة الانشراح : الآية ٥ـ٦ .

شعارك والورد دثارك ، والصمت قرينك ، واقطع نهارك بالجوع والظمأ ، وليلك بالسهر في البكاء والتفكر في ذنوبك السالفة ، ومثل الجنة عن يمينك والنار عن يسارك ، والصراط تحت قدميك والميزان بين يديك ، والرب مطلع عليك ، ويقول لك : ﴿ اقرأ كتابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾[1] واستعمل
[٥٣] ما هو نافع لك وهي الطاعة ودع ما هو مضر لك وهي المعصية ، واعلم أن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَهُ ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾[2] وترك المعصية أولى لك من التوبة من الذنوب ، قال بعضهم :

فرضٌ على النـــاسِ أنْ يتوبـــوا * لكنَّ تركَ الذنـــوبِ أوجـــبْ
والدهرُ تصريفُـــــهُ عجيـــبٌ * وغفلةُ النَّاسِ عنـــهُ أعجـــبْ
والصبرُ في النائباتِ صعـــــــبٌ * لكنَّ فوتَ الثوابِ أصعـــــبْ
وكلُّ مـــا يرتجـــى قريـــبٌ * والموتُ مِن كُـلِّ ذاكَ أقـــربْ

ويأمر تلميذه أن يفدي نفسه من النار ، وكيفية الفدوة أن يذكر لا إله إلا الله خاصة سبعين ألف مرة ، ثم يقول : اللهم إن هذه السبعين ألفاً نويت بها فداء نفسي من النار ، كما صرح بها سيدي محمد السنوسي في شرح صغراه اهـ.

وكذلك ورد أن فيه بين الناس والجن بغضاً كبيراً ، ومن قرأ المسبعات يذكرها صباحاً ومساء أو صباحاً خاصة انقلب ذلك البغض الكائن بينهما حباً بقدرة الله تعالى ، وهي آية الكرسي إلى (العظيم) ثلاثاً ، و (آمن الرسول) إلى (الكافرين) ثلاثاً ، و (قُلِ اللَّهمَّ مالِكَ المُلكِ) إلى (بغير حِسَاب) ثلاثاً و(قُلْ أعوذُ بربِّ النَّاسِ) ثلاثاً أيضاً .

تمت الإجازة المباركة بحمد الله وحسن عونه ، قال بهذا وعمل به كاتبه بالبنان محمد بن عبد الرحمن الأزهري مجاورة ، السماعيلي عرشاً ، القجطولي

(١) سورة الإسراء : الآية ١٤ .
(٢) سورة الزلزال : الآية ٧ـ٨ .

قبيلة ، الزواوي إقليماً ، ونسأل الله تعالى أن يفتح أبواب فضله ، وينشر خزائن رحمته على الجميع بجاه النبي الشفيع ، وعلى من انتمى اليه آمين اهـ كاتبه أفقر الورى وأحوجهم إلى الله دنيا وأخرى محمد بن الزروق ، أدام الله حياته موفقاً مرزوقاً ، غفر الله له ولوالديه ولأشياخه آمين .

أما الإجازة العامة والخاصة أي مثالها فإني سألت أستاذي سيدي محمد بن سالم الحفناوي سبط الإمام حسن وقلت له : هذه الإجازة التي أجزتني بها بلسانك المبارك ، وكتبتها لي ببنانك المباركة ما كيفيتُها يا أستاذي هل هي مقيدة في بعض العلوم دون بعض ، أو عامة في سائر العلوم والأوراد والحركات والسكنات والأقوال والأفعال وسائر الفوائد والدعوات والرياضات في الجلوات والعزلات والخلوات لنفسي ولغيري من سائر تلاميذي وإخواني وغيرهم ؟ فقال لي : أذنتك إذناً عاماً دائماً لك ولغيرك ممن انتمى إليك لا ينفعك إلا الإطلاق طول عمرك في كل زمان ومكان ، الباب مفتوح لك ولمن أصدفك ، وقال لي : خذ كتابي هذا في الأسانيد فانسخه لنفسك لتحمله معك أين ما توجهت ، ثم أخذته منه وحصلته بالنسخ بأجرة من يوثق ويتبرك به ، ثم أعطيته له .

وكتب لي على ظهره إجازة بخط يده المباركة ، وصفتها وكيفتها هي هذه : الحمد لله السند ، والصلاة والسلام على أقوى سند ، وعلى آله المهتدين وصحبه النجوم الهادين ، أما بعد : فقد أجزت الحسيب النسيب الناسك السالك

[٥٤] الأريب ولدنا الفهامة السيد محمد بن عبد الرحمن القجطولي الزواوي الباعليوي الحسني بما تضمنه هذا الثبت ، وبما يجوز لي روايته من معقول نفعه الله ونفع به منظوماً في سلك أهل قربه أفضل صلاة وسلام على أكمل السلام ، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ، كتبه محمد بن سالم الحفناوي سبط الإمام حسن ٢٧ محرم الحرام .

وكتب لي قبل أن يكتب لي هذه الإجازة السابقة بكثير من الزمان الإجازة الآتية وهي قوله : قد أجزتُ المولى الفاضل الحسيب النسيب السيد محمد بن عبد الرحمن الزواوي بأوراد طريقتنا طريق السادات الخلوتية ، وأن يجيزها من طلب منه ، وأن يستعمل أسماء الطريق التي بها السلوك وهي سبعة : لا إله إلا الله . الله ، هوحق ، حي ، قيوم ، قهار ، نفعه الله ونفع به ، وهذا التأليف المنسوب لولدنا العلامة الشيخ محمد بن المنير نافع جداً لمن أراد التخلق بأخلاق الصوفية عاملاً به ، أدام الله النفع به ، كتبه محمد بن سالم الحفني الشافعي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين في غرة صفر الخير من شهور سنة ١١٦٨ ثمان وستين ومئة وألف ، ونزلت مثل خاتم أستاذي هنا الذي يطبع به الإجازات وغيرها من البطائق والكتب التي ينسخها تبركاً وتفاؤلاً بأن يختم الله ولمن انتمى إلينا بصدق بالخير ، إنه قريب مجيب .

ثم نختم هذين السندين السابقين المنسوبين لأستاذي الحفناوي بسنده لي أيضاً بسند المصافحة وهو وضع اليد على اليد وضمها بشدة قليلاً ، يختم لنا بالخير والصفح والمسامحة ، فأقول : قد صافحني شيخ الشيوخ العارف بالله تعالى مسلكي ومنقذي من العدم إلى الوجود أستاذي سيدي محمد بن سالم الحفناوي قال : قد صافحني العارف بالله تعالى سيدي محمد بن محمد البدير ، قال : قد صافحني العارف الرباني النقشبندي شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي الشهير بابن عبد الغني البنا ، قال وقد وصل إلى اليمن : صافحني الشيخ الكبير الفاضل الفقيه أحمد بن عجيل اليمني في منزله ، كما صافحه الكامل المكمل الشيخ تاج الدين النقشبندي السندي ، كما صافحه الإمام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحمن المشتهر بتاج زمرتي ، كما صافحه مولانا الأستاذ الشيخ محمود استقرازي ، كما صافحه أبو سعيد الحبشي الصحابي رضي الله عنه ، كما صافحه سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين سيدنا محمد

[٥٥] ابن عبد الله بن عبد المطلب عليه أفضل الصلاة والسلام من رب العالمين .

قال أستاذي الحفناوي : وقد تلقينا صورة سلسلة المصافحة اليدية بما صورته هكذا . ومن فوائد المصافحة حصول البركة ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ صافحني أو صافحَ مَنْ صافحني إلى يومِ القيامةِ دخلَ الجنَة » اهـ. وهذه ثلاثة أسانيد من أسانيد أستاذي الحفناوي ، والرابع منه أيضا هو سند التلقين للأسماء المتقدم المسلسل أيضا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومع خمسة أسانيد أخرى وإجازات أخر للمشايخ الخمسة ، والمجموع تسعة أسانيد وإجازات خرجت بها من مصر وعاشرها أي عاشر الأسانيد والإجازات حصل لي هنا في بلادنا ، والحمد لله على ذلك ، وهي إجازة الشيخ أحمد الدرديري الصعيدي العدوي المالكي ، كتبها لي بيده المباركة ككتابة أستاذي ، وأستاذه الحفناوي أي هو أستاذنا جميعاً ، وهي الخامسة ، ثم كتب لي أخرى أي السادسة ، كتبها الشيخ على بن أحمد الصعيدي العدوي المالكي ، ثم السابعة كتبها لي أيضا الشيخ علي بن خضر بن أحمد العمرسي ، ثم الثامنة كتبها لي الشيخ حسن بن غالي الجداوي المالكي ، ثم التاسعة كتبها لي أيضاً الشيخ سيدي محمد بن عبد الله ابن أيوب الملقب بالمنير وبالمنور التلمساني مدينة ، المغربي إقليماً ، الإذن العاشر للسيد الحسين بن اعراب صاحب جدي الزواوي ، نفعنا الله بالجميع بجاه النبي الشفيع ، إنما اقتصرت على إجازة خط أستاذي الحفناوي ونزلتها هنا دون إجازات الأشياخ الآخرين للاختصار الذي هو مطلوب هنا .

أقول: وللناس في مدحه والتوسل به إلى الحضرة الإلهية رسائل وقصائد لا تعد ولا تحصى ، منها القصيدة الآتية جاءني بها السائح الصالح الحاج المبروك ابن بوعكاز البوزياني الطولقي في أوبته من الديار التونسية ، فأثبتها هنا أخذاً

بخاطرها لأنها أتتني طالبة مني محلها من هذا المجموع ، وهي :

ثِقْ بالمجيدِ الواحـــــدِ المتعـــالي * ربِّ الورى ذي الطَّوْلِ والإجلالِ
وأنِخ بساحـــةِ جُودهِ سبحانَـــهُ * عمَّ الأنـــام ببرِّهِ المتـــوالي
واسلُكْ مناهجَ رُشدهِ مستمطـــراً * توفيقَهُ في القولِ والأعمـــالِ
واضرَعْ لهُ في كلِّ شأن لائـــذاً * لا تختشي مِنْ سائرِ الأهـــوالِ
وانبُذْ زخارفَ دارِ غيٍّ واحتـــرِسْ * مِن سحرِها وارمُقْ بعينِ القـــالي
كم قد دعَتْكَ إلى مخـــادعِ زلـــةٍ * تصبو لرائقِ حُسن ذاتِ الخـــالِ
تزهو بمنتزهِ الريـاضِ مسامـــراً * لنديمِ كأسِ اللّهوِ والإضـــلالِ
أو ما زهَتْ بالأقدميـــنَ غوايـــةٌ * مِن عهدِ عادٍ في الزمانِ الخـالي
أطغَتْ جبابرة الملوكِ تنعُّمـــاً * ثمَّ انثنَتْ ترميهمُ بنبـــالِ
فايقظْ لحَاظَ النفسِ عَنْ نومِ الهوى * وارحَلْ عَنِ الإغواءِ والإهمـــالِ
فمتى تغالط بالأمـــالِ جهالـــةً * وعنِ افتراسِ يدِ المنيةِ ســـالي
تُبْ وانكفِفْ عَن كلِّ غيٍّ وامتثـــلْ * متوسلاً بالسيِّدِ المفضـــالِ
هو ذاكَ مشهورُ الكرامـــاتِ العُـــلا * مِن صيتها قد شاعَ كالأمثـــالِ
[٥٦] تـاجُ المعـارفِ قطبُ دائرةِ الـــورى * ذو المكرماتِ الخلوتيُّ الحـــالِ
بـدرُ الكمـالِ الأزهريُّ مُحمـــدٌ * غوثُ الورى في شدةِ الأوجـــالِ
مِن دوحةِ الزهرا البتولِ أصولـــهُ * تاهَتْ بذا مجداً عَنِ الأقيـــالِ
بدرٌ تسامى في العُلا حتى ارتقـــى * شأواً عزيزاً ذا مقامٍ عـــالي
في حضرةِ الحضراتِ يَسقي الأصفيا * من راحِ سرِّ الحقِّ بالإكمـــالِ
فتفجَّرتْ أنوارُ هديهِ جهـــرةً * وغدى مبلِّغَ غايةِ الآمـــالِ
بطريقةٍ سمحا يروقُ شرابُهـــا * أشهى وأصفى من لذيذِ زلالِ
ناهيك أنَّ المرتوي مـــن وردهِ * نالَ السعادةَ واكتسى بجمـــالِ
فامدُدْ يديكَ إلى مواثقِ عهـــدِهِ * واخلَعْ وساوسَ حيرةِ الإجمـــالِ

وايقنْ بأنَّكَ قد وثقْتَ بضيغـــــم * حامي الذمارِ بقاطعِ الأوصـــالِ
هيهاتَ لا تخشى الخطوبَ وإن علَتْ * إذ قد حللتَ عرينَ ذي أشبـــالِ
يحمي مِنَ اهوالِ الحسابِ شفاعـــةً * في الاختصار مثبتاً وســـؤالِ
في حيِّ جرجرةٍ مطالعُ شمســـــهِ * أكرِمْ به قد فاقَ عَن أمثـــالِ
وبها مقدَّسُ رمسهِ وبحمّـــــــةٌ * قد صح نقلاً عَن سراةِ رجـــالِ
تلكَ المنازلُ منبعُ الفضل التـــــي * مَنْ جاءها قد فازَ بالإقبـــالِ
تعنو لها زُمرُ الوفودِ لِيُمْنِـــــــهِ * تسعى على الأقدامِ والأحمـــالِ
أعلامهم تيهاً يميلُ بهـــــا الهوى * كتمايُلِ النشوانِ والمختـــــالِ
في كلِّ ثغرٍ أثَّلَ التقـــــوى علـــى * ركنٍ متينٍ دافقٍ بنـــــوالِ
أحيا غروسَ الدينِ حتـــى أينعَتْ * بالذِّكرِ في الأبكارِ والآصـــالِ
وكـذا معالِـمُهُ بنشرِعلومـــــــهِ * بينَ الأنامِ في سائرِ الأعمـــالِ
ربِّـــي أذقنـــي مِن عتيقِ علومـــهِ * كأساً يُخلِّصُ رؤيةَ الأفعـــالِ
وامنُن علينا بالرِّضى واختـــم لنـــا * بسعادةٍ عند احتلالِ أجـــالِ
وأتِحْ لنا والمسلمينَ جميعهـــــــم * عفواً يؤمِّننا مِنَ الأوجـــالِ
وأدِمْ صلاتَكَ للنبـــــيِّ محمـــدٍ * خيرِ البريةِ كلِّهـــــــم والآلِ

هذه القصيدة من إنشاء العالم الجليل الإمام الأصيل العفيف المتنور الشيخ إدريس بن محفوظ الشريف الحسني الدلسي أصلاً. كان هاجر آباؤه لمدينة بنزرت التونسية للاستيطان فولد بها، ولما تمم حفظ القرآن توجه لتونس لجامع الزيتونة الأعظم، فمكث فيه نحو العشرين عاماً بين تعلم وتعليم، حتى أجيز في التدريس بعد الامتحان الرسمي، وصارت له اليد الطولى في الفنون المتداولة بالجامع الأعظم، وكان مصححاً في دار الطباعة الرسمية بتونس، ثم استعفى ورجع إلى بنزرت، ولا زال يشتغل بالعلم، وقد انتفع بعلمه خلق كثيرون، لأن تعليمه سائر فيه على طريقة علماء السلف في نصح المتعلم وقبول [٥٧]

السؤال منه بوجه طلق بلا مكابرة ، وتبجيل الطالب وإظهار الشفقة له والمحبة الخالصة كالابن الفريد ، جزاه الله خيراً .

وله عدة رسائل ، من ذلك : رسالة في الحساب ، ورسالة في التصوف ، ورسالة في أحوال الفعل المضارع ، وله شعر رقيق وقصائد بديعة مختلفة المقاصد ، أغلبها في مدح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وآل البيت وبعض المنتسبين لله ، لأن الشيخ ميال إلى علوم القوم والمتصوفة . وله تفان في حب الطريقة الرحمانية ورجالها ، وقد أخذ العهد عن العارف بالله الرحماني الشيخ سيدي علي بن عيسى صاحب زاوية الكاف بعمالة تونس ، المتوفى في ذي الحجة عام ١٣١٨ .

وأشهر مشايخه في العلم حضرة الشيخ عمر بن الشيخ المفتي المالكي ، والشيخ المكي بن عزوز الشهير ، والشيخ النجار المفتي المالكي ، والشيخ السماتي نزيل طرابلس ، والشيخ سالم بو حاجب المفتي المالكي بارك الله في حياة الجميع آمين اهـ. من خط الشيخ الكامل بن عزوز ، ، أطال الله بقاءه .

محمدُ بنُ رجبٍ الجزائري

أطلعني صاحبنا الصديق السيد علي بن الحداد الجزائري على رسالة بخط المرحوم الشيخ محمود بن الشيخ علي بن الأمين ، جعل لها من عنده مقدمة فيها سبعة فصول وذيلها بخاتمة ، وأول المقدمة : الحمد لله رب الأرباب مسبب الأسباب ، إلى أن قال : أما بعد : فلما وقعت بيدي مبيضة رسالة في تدبير أمر الوباء والطاعون جمعها السيد محمد بن رجب الجزائري سنة ١٢٠٠ من كتب عديدة في الطب وغيره ، جزاه الله خيراً أردت استخراجها وأن أجعل لها مقدمة قبل الشروع فيها تذييلاً بعد تمامها ، ليمكن النفع بها وأبين بعض ألفاظها قدر الوسع والطاقة اهـ.

وأول الرسالة : الحمد لله وحده ، وبعد : فلما وقع الطاعون في شعبان سنة ١٢٠٠ ببلدنا الجزائر صانها الله تعالى من الأكدار ، اشتغلت بمطالعة كتب عديدة في الطب ، منها « القانون » للرئيس ابن سينا ، ومنها « التذكرة » للشيخ داود الأنطاكي وغيرهما من الكتب المعتبرة ، ثم استعنت بالله تعالى في جمع ما لخصته منها في تقييد لطيف ، ووددت أني وجدت من كفاني هذه المؤونة ، وإن كان الحكماء قد أتوا في كتبهم بما لا مزيد لغيرهم عليه ، لكن مجموعها قل أن يتفق لمثلي اجتماعه ، وليس لي في هذا التقييد كبير مزية سوى الجمع ، إلى أن قال : وسميته بـ « الدر المصون في تدبير الوباء والطاعون » [٥٨] اهـ. ما به الحاجة . والشيخ محمود بن الشيخ علي الجزائري كان رحمه الله مدرساً في الجامع الكبير بالجزائر وإمامها في الليسي ، وتوفي يوم ١٧ من شهر فيفري عام ١٨٩٧ ، وكان كتوباً ونساخاً عجيباً ، وله مشاركة في الفنون وأفكار غريبة ونية حسنة ومخالطة أنيسة ، ويرجع نسبه إلى العلامة المحقق والدراكة المدقق الشيخ الحاج علي بن الأمين مفتي مالكية الجزائر في وقته وبعد رجوعه إليها من الأزهر الشريف ، ومن نسله أخونا المرحوم السيد محمد بن الشيخ علي ، كانت له معنا مذاكرات مفيدة ومباحثات عميقة ، لا سيما في المقولات العشر بحاشية العطار على أبيات السجاعي رضي الله عنهما ، وقد ترك ولداً صغيراً يشبهه خَلقاً وأخلاقاً ومن يشابه أَبَهُ فما ظلم ، أحياه الله خياة طيبة ، وأطال عمره في أحسن عمل آمين .

سيدي محمدُ الشريفُ الزهارُ الجزائري

وهو محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن مسعود ابن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبدالكريم بن محمد بن

محمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن رزقي بن عيسى بن سالم بن مروان بن حيدرة بن علي بن محمد بن عبد الله بن داود بن إدريس ابن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولي كبير وقطب شهير ، له كرامات معروفة وزيارات مألوفة ، ونفحات تشتاق إليها قلوب الصادقين ، وروضة في وسط الجزائر ترتاح لعبادة الله فيها نفوس الصالحين ، كيف لا وهو الراوي من بحر الغوث الراشدي سيدي أحمد ابن يوسف دفين مليانة قدس الله سرهما ونفعنا ببركاتهما آمين .

توفي الشيخ سيدي محمد الشريف سنة ٩٤٨ ، ودفن في ضريحه المبارك ، وله ذرية ينتسب إليها في الجزائر عائلة زاويته الآن ، ومنها الأخوان الشريفان السيد قدور والسيد علي ، ولهما أولاد وأحفاد ومصاهرات ، وقد ذكره العلامة الصباغ في كتابه الذي ألفه في مناقب سيدي أحمد بن يوسف ، وأكثر من تحليته بما هو أهل له رضي الله عنه ، وذكر له مناقب كلها براهين قاطعة
[٥٩] على أنه من الأولياء الكبار ، وكرامات عجيبة لا غرابة فيها عند أصحاب المعرفة العالية والعقول المطلقة في فضاء الإمكان ، الذي لا مستحيل فيه ولا مخرج للفكر منه .

هذا ولما كان في الجزائر أولياء وعلماء كثيرون يضيق هذا الكتاب عن ذكر تراجمهم ، أردت ذكر أسمائهم ووفياتهم باختصار من رسالة ألفها فاضل أو رباوي في الجزائر ، كما أفادنيه العلامة شيخ الجماعة وبقية السلف الصالح سيدي علي بن الحاج موسى قيم الروضة الثعالبية رضي الله عن ثاويها ، فنقول وبالله التوفيق إلى أقوم طريق :

العلامة سيدي أبو جمعة كان معاصراً للقطب سيدي عبد الرحمن الثعالبي

رحمهما الله تعالى سيدي هلال من أكابر الصالحين ، وقبره بحومة باب الوادي ، وبه تسمى الآن ، كان حياً أيام قدوم الأتراك إلى الجزائر. الولي الصالح سيدي إبراهيم البحري ، دفين رصيف مرسى الجزائر ، أحد الأولياء الكبار ، كان رضي الله تعالى عنه حياً في عهد المرحوم خير الدين . سيدي محمد الشريف الزهار ، من أكابر الأولياء والعلماء ، توفي سنة ٩٤٨ ، وقبره مزار يُتبرك به . أبو حفص سيدي عمرو التنسي ، كان في قيد الحياة سنة ٩٩٠ تقريباً ، ودفن بحفير باب الوادي . سيدي محمد بن علي ، توفي سنة ١٠٠٩ . الشيخ سيدي ولي داده ، قدم رضي الله تعالى عنه إلى الجزائر من بلدة أزمير أيام قدوم الأتراك إليها ، واشتهر فضله وصلاحه عند الخاص والعام . سيدي محمد ابن قارەمان مفتي الحنفية ، توفي سنة ١٠٣٦ . سيدي عبد الرحمن بن سالم ، من أشهر رجال الجزائر ، توفي سنة ١٠٣٩ . سيدي علي بن مبارك ، توفي سنة ١٠٤٠ ، ودفن بالقليعة ، وقبره مشهور يُزار. سيدي محمد التواتي توفي سنة ١٠٤١ . سيدي يوسف الكواش ، توفي سنة ١٠٥٠ . سيدي منصور توفي سنة ١٠٥٤ . سيدي محي الدين بن سيدي علي بن مبارك ، توفي سنة ١٠٥٨ . العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إبراهيم ، توفي سنة ١٠٥٨ . سيدي محمد أفندي مفتي الحنفية ، توفي سنة ١٠٦٦ . سيدي محمد المهدي ، توفي سنة ١٠٧٢ . سيدي الطيب بن الحصار ، توفي سنة ١٠٧٦ . سيدي علي بن حسون ، توفي سنة ١٠٧٦ . سيدي محمد بن اڤوجيل ، توفي سنة ١٠٧٨ . سيدي علي بن عبد الرحمن ، قاضي المالكية ، توفي سنة ١٠٨١ . سيدي خير ، توفي سنة ١٠٨٥ . سيدي محمد المغربي ، توفي سنة ١٠٨٨ . سيدي حسين أفندي مفتي الحنفية توفي سنة ١٠٨٨ . سيدي محمد بن عبد الله بن يطو الجرومي ، من أكابر العلماء ، توفي سنة ١٠٩٢ . سيدي محمد بن قاراباش ، توفي سنة ١٠٩٢ . الشيخ سيدي جلبي بن سعيد بن غانم ، توفي سنة ١٠٩٢ .

العلامة سيدي محمد بن محمد المهدي ، ويعرف بابن علي ، ممن جمع بين العلم والصلاح ، له رحلة إلى المشرق ، وأجازه أكابر علمائها ، ورجع إلى الجزائر ، وبها توفي في حدود سنة ١٠٩٣ . سيدي محمد الفراصدي ، توفي سنة ١٠٩٥ . العلامة سيدي محمد بن عبد المؤمن قاضي المالكية ، توفي سنة [٦٠] ١٠٠١ . سيدي عمر بن المانجلاتي قاضي المالكية ، توفي سنة ١١٠٤ . سيدي يحيى بن العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إبراهيم المتقدم ذكره ، من مشاهير العلماء ، توفي سنة ١١٠٦ . سيدي عبد الرزاق بن محمد بن أحمدوش ، ولد في رجب سنة ١١٠٧ ، وله تآليف منها القاموس المشهور في حل أسماء الأعشاب ، وكفاه به فخراً . سيدي محمد بن الهادي قاضي المالكية ، توفي سنة ١١٠٨ . سيدي محمد الشريف ابن سيدي محمد المهدي ، توفي سنة ١١٠٩ . سيدي محمد الرحتي قاضي المالكية ، توفي سنة ١١١٢ . سيدي السعدي بن محمد ، صاحب كرامات ، وكان في قيد الحياة نحو سنة ١١١٩ ، ولم أقف على تاريخ وفاته . سيدي أبو زيد بن سيدي محمد بن عبد الرحمن البوسعيدي المتقدم ذكره ، من أكابر العلماء ، توفي ليلة الاثنين ٢٦ محرم سنة ١١٢٦ . العلامة سيدي محمد المصطفى ، من العلماء المشهورين ، توفي يوم الخميس ١٤ من المحرم سنة ١١٣٦ . سيدي محمد بن القاضي ، من العلماء المحققين ، توفي بالمدرسة الحسينية ليلة السبت ٢٧ من ذي الحجة سنة ١١٤٢ ، ودفن خارج باب الوادي بمقبرة الطلبة ، وقبره معروف يُزار . سيدي محمد بن جعدون مفتي المالكية ، دفين مقبرة سيدي أبي النور بجبل أبي زريعة ، كان في قيد الحياة عام ١١٥٩ ، ولم أقف على تاريخ وفاته . سيدي محمد بن مالك ، كان معاصراً لمن قبله . المفتي المالكي سيدي الحاج علي بن عبد القادر ابن الأمين ، من مشاهير العلماء ، وله معاصرة لمن قبله . سيدي أحمد بن عمار من أكابر العلماء ومشاهير الفقهاء ، وكان معاصراً لمن قبله . الشيخ سيدي الحاج

محمد بن الشاهد الفقيه ، صاحب القصايد المولدية رحمه الله تعالى . من مشاهير العلماء ، وله معاصرة مع من قبله . سيدي محمد بن الحفاف رحمه الله تعالى ، من الفقهاء الأجلاء وأكابر العلماء . وله معاصرة مع من قبله . سيدي مَحمد بن عبد الرحمن أبو قبرين رضي الله تعالى عنه ، مشهور بالولاية وعلو المقام لدى الخاص والعام ، توفي سنة ١٢٠٩ . سيدي أحمد الحنفي الخطيب . له تأليف سماه « السلوك » اعتنى بجمعه سنة ١٢٢٠ ، ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى .

[٦١] أما

مفاتي مدينة الجزائر

فهم

من الحنفية

محمد بن يوسف عام ١٠٢٢ ، محمد بن حسين عام ١٠٢٩ ، مصطفى ابن محمد عام ١٠٣٧ ، محمد بن رمضان عام ١٠٤٥ ، حسين بن مصطفى ابن رمضان عام ١٠٦٩ ، مسلم بن علي عام ١٠٩٠ ، محمد بن مسلم عام ١٠٩٠ ، محمد بن حسين عام ١١٠١ ، محمد بن مسلم عام ١١٠١ ، حسين ابن رجب عام ١١٠٢ ، محمد بن مصطفى المدعو ابن المتسي عام ١١١٠ ، حسين بن محمد عام ١١١٨ ، محمد بن مصطفى عام ١١٢٢ أيضاً ، حسين ابن محمد عام ١١٢٢ أيضاً ، محمد بن مصطفى عام ١١٢٢ أيضاً ، حسين ابن محمد عام ١١٢٥ أيضاً ، محمد بن مصطفى عام ١١٢٨ أيضاً ، الحاج علي بن مسلمي عام ١١٣٦ ، حسين بن محمد بن العنابي عام ١١٤٨ ، محمد ابن محمد بن سيدي بن علي عام ١١٥٠ ، حسين بن مصطفى عام ١١٦٩ ،

أيضاً ، حسن بن فضلي عام ١١٧٠ ، محمد بن مصطفى الواني عام ١١٧١ ، حسن بن أحمد التفاحي عام ١١٧٧ ، مصطفى بن عبد الله عام ١١٨٠ ، محمد ابن مصطفى عام ١١٨٠ ، حسن بن أحمد عام ١١٩١ ، محمد بن إسماعيل عام ١٢٠٠ ، محمد بن عبد الرحمن عام ١٢٠٤ ، أحمد بن إبراهيم بن أحمد عام ١٢٢٤ ، محمد بن عبد الرحمن بن حسين عام ١٢٢٤ ، أحمد بن إبراهيم البابوجي عام ١٢٢٦ ، محمد بن عبد الرحمن بن راسيل عام ١٢٣٢ ، أحمد ابن حسين عام ١٢٣٣ ، محمد بن محمود بن محمد بن حسين العنابي عام ١٢٣٤ ، أحمد بن إبراهيم عام ١٢٣٥ ، محمد بن عبد الرحمن عام ١٢٤٤ ، الحاج أحمد بن الحاج عمر بن مصطفى عام ١٢٤٤ ، الحاج محمد بن محمود ، الحاج مصطفى أفندي ، محمد بن شعبان عام ١٢٥١ ، أحمد بن محمد بن رجب عام ١٢٦٠ ، الحاج محمد بن مصطفى غرناوط عام ١٢٦٣ ، الحاج أحمد بن الحاج مصطفى عام ١٢٦٥ ، أحمد بوقندورة عام ١٢٩٥ .

من المالكية

محمد بن بلقاسم بن إسماعيل عام ١٠١٢ ، سيدي عمار عام ١٠٢٢ ، سيدي سعيد قدورة بن الحاج إبراهيم عام ١٠٣٠ ، محمد بن سيدي سعيد قدورة بن الحاج إبراهيم عام ١٠٦٦ ، أحمد بن سيدي سعيد قدورة بن الحاج إبراهيم عام ١١٠٧ ، عبد الرحمن بن أحمد المرتضى عام ١١١٨ ، الحاج سعيد ابن أحمد بن سعيد عام ١١٢٢ ، عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد عام ١١٢٤ ، الحاج سعيد بن أحمد بن سعيد عام ١١٢٥ ، المهدي بن صالح عام ١١٢٧ ، عبد الرحمن بن أحمد المرتضى عام ١١٢٨ ، عمرو بن عبد الرحمن عام ١١٣٥ ، عبد الرحمن بن أحمد المرتضى عام ١١٣٥ ، عمرو بن عبد الرحمن عام ١١٣٥ ،

محمد بن مبارك عام ١١٤٧ ، محمد بن إبراهيم عام ١١٥١ ، الحاج أحمد
[٦٢] الزروق بن محيي الدين بن عبد اللطيف عام ١١٥٣ ، عبد القادر بن محمد البراملي عام ١١٦٩ ، مصطفى بن أحمد المسيسني عام ١١٧٠ ، الطاهر بن محمد عام ١١٧٥ ، عبد الرحمن بن أحمد المرتضى عام ١١٧٦ ، مصطفى ابن محمد المسيسني عام ١١٧٢ ، أحمد بن محمد عام ١١٧٩ ، الحاج أحمد ابن عمرو عام ١١٨٠ ، عبد الرحمن بن أحمد المرتضى عام ١١٨٠ ، الحاج أحمد بن عمرو عام ١١٨٠ ، الحاج محمد بن أحمد بن جعدون عام ١١٨٥ ، محمد بن الشاهد عام ١١٩٢ ، الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين عام ١٦٠٦ ، محمد بن الشاهد عام ١٢٠٦ ، محمد بن محمد الخوجة عام ١٢٠٧ ، محمد ابن الشاهد عام ١٢٠٧ ، الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين عام ١٢٠٧ ، محمد بن محمد بن علي عام ١٢٠٨ ، الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين عام ١٢٠٨ ، الحاج محمد بن أحمد بن مالك عام ١٢١٠ ، الحاج علي بن عبد القادر بن الأمين عام ١٢١٤ ، محمد بن محمد بن علي عام ١٢٢٦ ، الحاج علي ابن عبد القادر بن الأمين عام ١٢٣٠ ، أحمد بن علي بن جعدون عام ١٢٣٣ ، الحاج على بن عبد القادر بن الأمين عام ١٢٣٣ ، محمد بن الحاج إبراهيم ابن موسى عام ١٢٣٥ ، علي بن محمد المانجلاتي عام ١٢٣٩ ، علي بن المانجلاتي ، مصطفى بن الكبابطي ، مصطفى القادري عام ١٢٥٩ ، حميدة العمالي عام ١٢٧٣ ، الحاج علي بن الحفاف عام ١٢٩٠ ، محمد بن مصطفى بن زاكور عام ١٣٠٧ .

مُحمدُ بنُ عزوزٍ البرجي

الولي الأكبر والقطب الأشهر الشيخ سيدي محمد بن عزوز، ولد رضي الله عنه بالبرج من صحراء بسكرة في حدود سنة ١١٧٠ ، وتوفي سنة ١٢٣٣ ، ربي في حجر والده الوالي الصالح سيدي أحمد بن يوسف ، وحفظ القرآن العظيم واشتغل بتحصيل العلم ، فأخذ منه بغيته حتى تضلع في المعقول .

وألف تآليف مفيدة ، منها رسالة عالية في قواطع المريد ، وشرح على التلخيص وغيرهما ، ثم اشتاقت نفسه لعلم الباطن فرحل لزيارة الشيخ الأكبر سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري ، وأخذ عنه الطريقة وأدخله الخلوة ، وفي تلك المدة خفيت عن والدته أخباره حيث لا بوسطه ولا تلغراف ، [٦٣] واشتد شوقها إليه وقلقها عليه ، فصعدت سطح دارها وناداته بثلاثة أصوات فسمع نداءها في الخلوة ، وأخبر شيخه بما سمع فأمره بالرجوع إلى والدته ، وقال له : إن أدركتني المنية من بعدك فعليك بخدمة الشيخ عبد الرحمن باش تارزي تلميذه دفين قسنطينة ، فكان الأمر كما ذكره ، ولازم خدمة الشيخ باش تارزي إلى وفاته ، فكان تمام سلوكه على يده .

وفي سنة ١٢٣٢ سافر صاحب الترجمة لحج بيت الله الحرام مع تلامذته الكاملين سيدي علي بن عمر الطولقي ، وسيدي عبد الحفيظ الخنقي ، وسيدي مبارك بن خويدم ، وكان الركب الذي سافر معه فيه سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن قبل استيلائه على عرش الملك ، فتعرف بالشيخ لما رآه من كماله ولازمه إلى أن أصبح ذات يوم متألماً وتعطل سير الركب ، ولما بلغ خبره مسامع السلطان تحير وعاده حيناً وعالجه فشفاه الله ، وقال له سيدي على بن

عمر على لسان الشيخ : لما شفاني الله على يدك فادع الله بما تريد يستجبْ لك ، فقال : لا أريد الآن إلا ولاية الملك ، وهي بعيدة عني إذ بيني وبينها سبعة رجال ، فقال : ندعو الله أن تكون لك ، وإذا بالمملكة المغربية نزل بها وباء مات فيه السبعة ، ولما آب السلطان من الحج وجد رجال دولته في انتظاره ، فبايعوه وبقيت المكاتبات الودادية جارية بينهما ، ثم إن الشيخ رجع من حجه ووجد الوباء ضارباً أطنابه في الزيبان ، فكان هو آخر من استشهد به رضي الله عنه ، وذلك سنة ١٢٣٢ ودفن بقرية البرج ، وبها الآن ضريحه المقدس ، يأتيه الزوار من كل فج عميق ، وترك ستة أولاد كلهم مرشدون علماء صالحون ، منهم سيدي مصطفى بن عزوز صاحب زاوية نفطة .

كان الشيخ رضي الله عنه آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر محباً للسلم والأمن ، ولذلك كان الناس يدعونه للصلح بينهم في مشكلاتهم ، ويطلب منه أمراء وطنه إخماد الثائرين ، فيسعى في تليينهم بعظيم جاهه ولطف قوله ، وكان حليماً ذا أخلاق مسكية مع ما ألبسه الله من الهيبة والوقار ، وتخرج على يده فحول منهم الشيخ سيدي علي بن عمر صاحب زاوية طولقة ، والشيخ سيدي عبد الحفيظ صاحب زاوية خنقة سيدي ناجي ، والشيخ سيدي المدني التواتي ، وسيدي مبارك بن خويدم وغيرهم ، ولهؤلاء أتباع ومريدون لا يحصون ، حتى إنه قلما يوجد في القطر الجزائري الشرقي والتونسي وطرابلس الغرب وبنغازي من ليس منتسباً لطريقته بواسطة أو وسائط ، بل كادت أن تسمى الرحمانية بالعزوزية ، ولولا الالتزام بالاختصار لأتينا في سيرته ومناقبه بما يكون وحده جزءاً كبيراً ، ولكن شهرته تغني عن التعريف به ، وناهيك أن ولده سيدي مصطفى وحفيده سيدي ألمكّي بن عزوز قاطن الأستانة الآن اهـ من خط الشيخ الكامل بن الشيخ المكي بن عزوز ، نفعنا الله ببركاتهم آمين .

أقول : وللشيخ سيدي محمد بن عزوز أرجوزة سماها « رسالة المريد

في قواطع الطريق وسوالبه وأصوله وأمهاته » وشرحها شرحاً عجيباً مفيداً للغاية ،
[٦٤] وهي وشرحها كافيان في الدلالة على عظم مقامه العلمي والعملي ، وسنذكرها بتمامها حرصاً على الإفادة والاستفادة ، ولأنها في الحقيقة قانون التمدن الكامل ، لأنه عبارة عن تهذيب النفس وقتل حيوانيتها الطبيعية ، لكن قتلها عند الأخرويين في سبيل الله ، وعند الدنيويين في سبيل الإنسانية ، وهذه تختلف باختلاف المعارف والعقائد والأقطار والعوائد ، والحق أنها ما به إدراك الخير وطلبه والشر واجتنابه ، وقد أحببت أن أذكر نبذة من كلام الشيخ في شرح أرجوزته للتبرك به ، قال قدس الله تعالى روحه ، ونور ضريحه ، ونفعنا ببركاته :

واختلف أيضاً هل الحمد والمدح بمعنى واحد أو متغايران ، والذي يقول بالتغاير يُفرّق بينهما بأن الحمد مخصوص بالحي ، والمدح يعم الحي وغيره ، ولذلك يقال : مدحت اللؤلؤة على صفائها ولا يقال : حمدتها ، واختلف في الألف واللام من الحمد لله فقيل : إنها للاستغراق استغراق جميع أفراد الحمد ، إذ في الحقيقة ما حمد الله إلا الله ، لأنه تارة حمد نفسه بنفسه كقوله تعالى : ﴿ الحمدُ لله ﴾[1] و﴿ إنني أنا اللّهُ لا إلهَ إلاَّ أنا فاعبُدني ﴾[2] وتارة حمد نفسه بفعله كحمد العبيد له تعالى ، وتارة حمد فعله بنفسه كقوله ﴿ نِعْمَ العبدُ إنّهُ أوَّابٌ ﴾ وتارة يحمد فعله بفعله كحمد العبيد بعضهم بعضاً ، فالحمد منه بدا وإليه يعود ، وقيل : إنها للجنس ، وهو يستلزم الاستغراق ، وقيل : إنها للعهد ، والمعهود حمد الله لنفسه في الأزل ، كما أجاب به سيدي الشيخ أبو العباس المرسي ابنَ النحاس النحوي حين سأله عن ذلك اهـ.

وأما الأرجوزة المشار إليها أعلاه ، وهي « رسالة المريد في قواطع الطريق وسوالبه وأصوله وأمهاته » للقطب الشهير الشيخ محمد بن عزوز البرجي

---

(١) سورة الفاتحة : الآية ١ .

(٢) سورة طه : الآية ١٤ .

نفعنا الله به آمين فهذا نصها :

الحمدُ للّـــهِ الـــذي ألهمنـــا * نظمَ أصولٍ وقواطعٍ لنـــا
ثم صلاتُـه على سرِّ الوجـــودْ * محمدٍ أكرمِ وافٍ بالعهـــودْ
وآله والصَّحبِ والأتبـــاعِ * وكلِّ قطْبٍ للرَّشـــادِ داعِ
وبعـــدُ إنَّ المرءَ ليسَ يثـــرُفُ * إلا بإحكام الـــذي سيوصفُ
مِن التجنبِ لكـــلِّ قاطـــعِ * والارتدا بكلِّ أصـــلٍ جامـــعِ
وقد نظمتُ ما أفـــادَ شيخُنـــا * مِن أمهاتٍ وسوالـــبِ المنـــى
إذ طالَ ما بالـــغَ في تفصيلهـــا * فعندَ ذا شرعتُ في تحصيلهـــا

[٦٥] سميتُها رسالـــةَ المريـــدِ * فيها لـــهُ مِن كلِّ مـــا مفيـــدِ
فقلتُ طالباً مِـــن الرحمـــانِ * عونـــاً وتبليغاً إلى الإحســـانِ
قواطعُ المريـــدِ فاعلَمْ شـــرَّهْ * رؤيتُه أعمالَـــه معتبـــرَهْ
كذا امتدادُ أمـــلٍ تُحَـــدِّثُ * نفسُـــه أنَّـــهُ ولـــيٌّ وارثُ
قناعـــةٌ بـــوارِدِ الأحـــلامِ مَـــعْ * ركونِه إلى قبولِ الخلـــقِ دعْ
تأنسٌ بـــالوِردِ مَـــعْ تلـــذُّذِ * بوارِدٍ سكونُه الوعـــدِ خُـــذِ
والاكتفـــا بزعمـــه والغرَّهْ * باللّه تمَّتْ هـــذهِ العُشَيرَهْ
وضُفْ لها خمســـاً سوالباً أتَـــتْ * إرسالُه جوارحـــاً قد أودعَـــتْ
لدى معاصـــي اللّهِ والتصنُّـــعِ * بطاعةِ اللهِ لخلـــقٍ يمنـــعِ
مثلُهما طمَعُـــه في الخلـــقِ * وقيعةٌ في عرضِ أهـــلِ الحقِّ
وعدمُ احترامـــه للمسلميـــنْ * على الذي أمَرَ ربُّ العالميـــنْ
وأمهاتُ العشـــرِ قد تقـــرَّرتْ * إنْ حليَتْ نفسٌ بهـــا تطهَّرَتْ
لزومُكَ التقوى بفعـــلِ ما أمَرْ * به وتركِ كلِّ مـــا عنـــهُ زجَـــرْ
وهكذا العمـــلُ بالأسبـــابِ * اللاتي يكملُ لـــذي الألبـــابِ
بهـــا التقـــى ويستـــدامُ واعـــدُدا * تيقظـــاً لهـــا لمـــا قـــد وَردا

ومثـــلُ ذا صحبةُ مَـــنْ يدُلُّـكَ * على الإلـــه ويُريك عيبَـــكَ
وجانبِ الأضدادَ أهـــلَ الغفلَـهْ * والاغترارِ هم أشـــرٌّ فتنَـهْ
كذا التزامُ أدبٍ بحســـــبِ * صاحبِ ذي التجريدِ والتسبُّـب
آدابُ ذي التجريدِ قالوا أربعَـــهْ * أنصافُه مِنْ نفسه لمَنْ مَعَـــهْ
وعدمُ انتصافـــه لهـــا وضِـعْ * لذا احترامَ أكبرٍ منـــهُ عُـرِفْ
ورحمة الأصغر منـــه ثـــم زِدْ * أربعةً للمتسبِّـــبِ تُفِـــدْ
وهي اجتنابهُ مِن اهلِ الظُّلـــمِ * إيثارهُ لعامـــلٍ بالعلـــمِ
كذا مواساةُ ذوي المجـــاعَـــهْ * لزومهُ للخمس في الجماعـــهْ
وسوٍّ بالتُّرابِ لا تعبـــأ بِمَـنْ * عَن هذهِ خلاَ وللضدِّ ضَغَـــنْ
وأعطِ للأوقاتِ حقاً قـــد وَرَدْ * واترُكْ تكلُّفاً وراقبِ الصَّمَـــدْ
وعمِّرِ القلبَ بأربعِ خصـــالِ * بذكرِ غُربتِكَ في دارِ الـــزوالِ
وذكرِ مصرعِكَ حـــالَ مَوتَتِـــكْ * ووحشةٍ ووحـــدةٍ بحُفرتِـــكَ
وذكرِكَ الوقوفَ باديَ الوَجَـــلْ * بينَ يـــدي ربٍّ خبيرٍ بالزَّلَـــلْ
وخمسةٌ هـي الأصولُ الوافيَـــةْ * وهي التُّقى في السرِّ والعلانيَـــةْ
كذا اتباعُ سنَّـــةِ الرســـولِ * في القولِ والفعلِ بِلَا عُـدولِ
اعرِضْ عَنِ الخلقِ سواءٌ أدبـــروا * أو أقبلوا فاللهُ نِعْمَ الناصـــرُ
وارضَ بقسمةِ إلاهِـــكَ الخبيـــرِ * في كلِّ ما أعطى قليلاً أو كثيـــرِ
وارجعْ لهُ في كلِّ حالٍ قـــد أتَـــتْ * سراءَ أو ضراءَ كيفَ مـــا وَفَـــتْ
فذي ثلاثونَ فنصفُهـــا دُرَرْ * حلِّ بها النفسَ يُجانبكَ الضَّـــررْ
[٦٦] ونصفُهـــا الأولُ كالأفـــاعـــي * ففرَّ منهـــا لا تُجِـــبْ لداعـــي
كذا أفادهـــا لنـــا الأستـــاذُ * نِعْمَ المفيـــدُ وهوَ المـــلاذُ
والحمدُ للهِ علـــى التمـــامِ * ونعمـــةِ الإيمـــانِ والإسلامِ

محمدُ بنُ عليٍّ الصّنهاجي الحمزي

أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي الشيخ الأجل ، الفقيه الرئيس الأكمل العالم الأوحد أبو عبد الله ، أصله من قرية تعرف بحمزة من حوز قلعة حماد ، من أهل قلعة بني حماد ، من أجل الأئمة وفضلائهم.

قرأ ببلده بالقلعة ، وكانت حاضرة علم ، وقرأ ببجاية ولقي بها جلة منهم الشيخ أبو مدين رضي الله عنه .

قال في برنامجه : إنه سمع عليه كتاب « المقصد الأسنى على شرح أسماء الله الحسنى » من فاتحته إلى خاتمته قراءة تفقه ، قال : فأول مجلس حضرته عليه أردت أن أقيد ما يقوله على الكتاب ، قال : فمشيت إلى داري وقيدت ما عَلِقَ بخاطري من كلامه ، فلما كان من الغد ووقع الحضور للدرس كان أول ما افتتح به الشيخ كلامه أن قال : أنا لا أريد أن يُقيد عليَّ شيء مما أقوله على هذا الكتاب أو كلاما هذا معناه ، فكانت تلك إحدى كراماته رضي الله عنه التي شاهدتها منه ، فأمسكت عن التقييد ، قال : وكان ذلك بداره ببجاية سنة إحدى وثمانين وخمس مئة .

محمدُ بنُ عليٍّ اليعلاوي

الولي الصالح سيدي محمد بن علي ، إذ كان هو المتصرف في الأوطان بإذن من له الحكم من بجاية ، وهو الذي أمسك جدي في هذه البلدة وزوج ابنته له ، وهو الذي أمر الناس بأن بنوا له وهم بنو يعلى .

لطيفة : فإن قلت : كل ما ذكرته من الأولاد على خير وفضل وعلم

وحال وحلم مع أن في ذلك أموراً لا تليق ، وأكثرهم على المخالفة والبدعة ، وربما زادوا على ذلك قتل النفس بغير حق ، فما وجه صنيعك؟ قلت : الأمر كما ذكرت ، غير أني قصدت أمرين : أحدهما الستر على سبيل الجملة ، [٦٧] لأنك إذا سئلت عن قوم فيما بينهم وبين الله فقل : هم بخير خصوصاً أولاد الصالحين ، أردت زيارتهم بالثناء عليهم ، فهم أحياء في قبورهم ، ومن ذم ولدك وأنت تسمع تغيرت عنه ، وإذا تغيرت لا ينتفع منك من تغيرت عليه أيضاً ، مرادي من كان على طريق الجد المذكور والابن الخارج عن نمط الاب ليس بابن قلب ، لأن ولد القلب يرث الباقي وولد الصلب يرث الفاني ، وإذا كان ولدك على طريقك فإنه يرثهما معاً ، وإن كان ولد الصلب فإنه يرث الفاني فقط اهـ. ورتيلاني .

محمدُ بنُ عليٍّ الطلحي القسنطيني

العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الطلحي ، كان فقيهاً نحوياً أصولياً لغوياً .

أخذ عن الراشدي وأبيه ، وتولى الإمامة بمسجد سيدي مسلم الحراري ، وكان ولوعاً بالتقرير على هوامش الكتب ، وتقاريره لا تخلو عن فائدة ، مات رحمه الله سنة ١٢٣٢ .

محمدُ بنُ عليٍّ العيدلي

ذو العلم والمهابة والحلم والإنابة والسطوة والاستجابة والتحقيق والإصابة ، ذو العلوم الفاخرة والأحوال الصادقة والظاهرة ، والأنوار الباهرة والاسرار

الحاضرة ، الزاهد بالتحقيق بعد التمكن من الدنيا كما يليق ، قد نبذها وراء ظهره جلباً لنفعه ودفعا لضره ، وهو عند جميع الأفاضل مرغوب ، الولي الكامل سيدي الموهوب نجل الشيخ القدوة والدرة الثمينة سيدي محمد بن علي العيدلي كراماته ظاهرة ودعواته قاهرة ، وأسراره ليست مستترة ، مكّنه الله فتمكن ، وبذكره قد اطمأن .

وبالجملة فقد يشرف مقام الشيخ سيدي الموهوب بإشراف حضرة الولي سيدي أحمد عبد العظيم إشرافاً تاماً ، وطلع نجم السعود فيه طلوعاً عاماً وكذا أولاده سيمـا ذو المجد الأنيف والفاضل الشريف ، وهو من النوادر سيدي عبد القادر ، وأولاد الشيخ سيدي الموهوب فيهم الخير والعلم والأدب خصوصاً سيدي عبد الله بن محيي الدين ، وتلميذنا سيدي عبد القادر بن أحمد ، وكذا غيرهم اهـ ورتيلاني .

الإمام أبو عبدِ اللّهِ محمدٌ الخروبي

من « الاستقصاء »

الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي نزيل الجزائر ودفينها تعين للوفادة على مراكش سنة ٩٦١ .

وفي « المرآة » : أن أبا عبد الله الخروبي قدم المغرب الأوسط والمغرب الأقصى مرتين في سبيل السفارة بين ملوك المغرب الأقصى ، وأخذ هو عن
[٦٨] الشيخ زروق رحمه الله ، وفي قَدْمةِ الخروبي هذه إلى مراكش أنكر على الشيخ أبي عمرو القسطلي دفين رياض العروس من مراكش حلق شعر التائب الذي يريد الدخول في طريق القوم ، وقال : إنه بدعة فقالـوا له : إن الشيخ الجزولي كان يفعله ، فقال لهم : لعله بإذن ، والإذن له لا يعمكم ، فإن الإذن

للنبي يعم أتباعه ، والإذن للولي لا يعم أتباعه ، وأنكر عليه مسائل كثيرة ، وبعث إليه رسالة أقذع له فيها ، وقد وقفت عليها رحم الله الجميع بمنه ، وتوفي الخروبي هذا سنة ٩٦٣ ، ودفن خارج الجزائر ، والله أعلم .

وفي « الجذوة » : أنه من أهل الحديث والفقه والتصوف واقف على أغراضهم ، جمع في فن التصوف والأذكار والأوراد كتباً منها « شرح الحكم » لابن عطاء الله ، ورسالة رد فيها على أبي عمر القسطلي المراكشي ، وحدثني بعض الجزائريين أنه رأى تفسيراً له على القرآن العظيم بجزائر مزغنه وغير ذلك ، وكان جماعاً للكتب ، وكان خطيباً بالجزائر ، وكان له وجاهة عند أمراء بني عثمان ، استعملوه في السفارة بينهم وبين أبي عبد الله المهدي الشريف الحسني ، فورد المغرب ودخل مدينة فاس ، عاينت إجازته لشيخنا أبي عبد الله الحضري الوزروالي لما دخلها مؤرخاً لها سنة تسع وخمسين وتسع مئة (٩٥٩) وذهب إلى مراكش وخلف خزانة من كتب العلم .

أخذ عن أبي عبد الله بن عبد الله الزيتوني ، وعن أبي العباس أحمد بن أحمد زروق ، وعن أبي حفص عمر العطاوي الراشدي ، عن عبد الجليل بن محمد الراشدي ، وأبي عبد الله بن مرزوق ، وابن زكرياء المغراوي ، وأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنهم ، وأخذ أيضاً الخروبي عن عمر بن زيان المديوني ، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي ، عن أبي إسحاق إبراهيم التازي صاحب وهران ، عن محمد بن واضح الشبي أجازلي عنه شيخنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الترغي ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الحضري ، وعاينت إجازته الشيخين معاً .

توفي بالجزائر بالوباء الذي كان بعد الستين وتسع مئة لأن الوباء كان في مدينة فاس عام خمس وستين ، وانظر هل سبق من الجزائر أو من مدينة فاس .

محمدُ بنُ عليٍّ الميلي

[٦٩] العلامة الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن سيدي عيسى المعروف بالميلي . كان من التحقيق في آخر طبقة وغزارة الحافظة وسرعة الفهم في أعلى رتبة .

أخذ عن الحفصي ، والونيسي وغيرهما . وليس له مؤلفات . توفي رحمه الله سنة ١٢٥٢ .

محمدُ بنُ عُمرَ المليكشي

محمد بن عمر بن علي بن محمد بن إبراهيم ، عرف بابن عمر المليكشي البجائي ثم التونسي الجزائري ، كذا بخطه نسبة إلى جزائر افريقية لا إلى بلد جزيرة ، لأن النسبة إليها جزيري .

قال الحضرمي في « مشيخته » : كان صدراً في الطلبة والكتاب ، فقيهاً كاتباً أديباً حاجاً راويةً متصوفاً فاضلاً صاحب خطة الإنشاء بتونس ، شهيراً ذا تواضع وإيثار وقبول حسن ، رحل وحج وروى عن جماعة بالحجازومصر والاسكندرية كالرَّضي الطبري ، سمع عليه الكتب الخمسة ، والسراج محمد بن طراد قاضي المدينة وخطيبها ، وأبي محمد الدلاصي ، والنجم الطبري وغيرهم ، وله شعر رائق وكتابة بليغة وتآليف مستظرفة ، توفي بتونس غرة المحرم فاتح أربعين وسبع مئة (٧٤٠) اهـ ملخصاً ، وقد ذكره خالد في رحلته فأثنى عليه فانظره اهـ « نيل الابتهاج » .

محمدُ بنُ عُمرَ القلعي

أبو عبد الله محمد بن عمر بن عثمان الشيخ الفقيه القاضي المحدث المحصل من قلعة حماد ، بها ولد وتوفي أبوه وخلفه صغيراً ، ولما أخذ في سن البلوغ تعلق بالجندية واتخذها حرفة ، فرأى في منامه رؤيا قال له : يا محمد ليس الجندية من شأنك فاشتغل بالقراءة ، فترك الجندية واشتغل بقراءة العلم ، فاجتهد وحصل ، ثم رحل إلى بجاية مستوطناً ، وأخذ عن أبي محمد بن عبد الحق الإشبيلي وغيره .

وكان له علم بالحديث والفقه والوثيقة ، وأكثر تخاطيطه إنما هو التحدث وقضاء بعض البلاد المغربية ، وكان نائباً عن القاضي أبي عبد الله الأصولي في الأنكحة في مدة ولايته ببجاية ، وكان يقرأ عليه السيد أبو الحسن بن عبد المؤمن « الموطأ » قراءة تفهم ، وكان له مجلس دراسة بعلو بسقيف داره ، فيجتمع إليه خواص الطلبة ، وكان له جلال وفضل وعلم وعمل ، وهو أحد المشهورين الذين لا يحتاجون أن يُستكثر من خيرهم لاشتهار أمرهم اهـ « العنوان»

سيدي محَمدُ بنُ عمروٍ الفجيجي

الولي الصالح الشريف البركة الناصح أبو عبد الله سيدي محَمد فتحاً ـ ابن عمرو بن الشريف البركة مولاي الشيخ بن عبد القادر الفجيجي الإدريسي .

كان رحمه الله من الراسخين في العرفان ، وممن له في الطريقة الشأن ، اجتمع بالشيخ سيدي أبي القاسم الوزير ، وأخذ عنه وانتفع به وصاهره بابنته السيدة

زينب . وعقبه منها من ولده سيدي هاشم الذي كان قاطناً بدار جده للأم ، وهو صاحب الترجمة بحومة العيون بالدرب المقوس منها .

توفي رحمه الله بالطاعون عام وفاة شيخه المذكور في شهر واحد (ذي الحجة سنة ١٢١٣) ، ودفن بقبته ليس بينه وبينه إلا قبر واحد ، ترجمه صاحب « الدرة الفائقة » وغيره اهـ « سلوة الأنفاس » .

محمدٌ الونيسي القسنطيني

العلامة الإمام أبو عبد الله محَمدَ فتحاً ابن الشيخ أبي الحسن الونيسي ، نادرة زمانه وخليل أوانه ، ولد عام ثلاثة وثلاثين من القرن الثالث عشر ، ومات وعمره سبع وعشرون سنة .

رأيت له من المؤلفات حاشية على إيساغوجي ، وحاشيته على صغرى الإمام السنوسي ، ومؤلف في أحكام الخنثى ، وشرحاً على البسملة ونظماً في التوحيد ، وشرحه شرحين صغيراً وكبيراً ، ونظماً في التصريف ، وحاشية على مختصر السعد ، ورسائل في مسائل متفرقة ، وتقارير كثيرة على خطب في غالب الكتب المتداولة .

محمدُ بنُ الفتوحِ التلمساني

الفقيه الصالح هو أول من أدخل مدينة فاس مختصر خليل بن إسحاق المالكي ، أخذ بفاس عن أبي مهدي عيسى بن علال المصمودي ، وتوفي بمكناسة الزيتون سنة ٨١٨ .

[٧٠] محمدُ بنُ محرزٍ الوهراني

قال ابن خلِّكان في « وفيات الأعيان » : أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني الملقب ركن الدين وقيل : جمال الدين ، أحد الفضلاء الظرفاء ، قدم من بلاده إلى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى .

وفنه الذي يمت به صناعة الإنشاء ، فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل ، وعماد الدين الأصبهاني الكاتب ، وتلك الحلبة ، علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ، ولا تنفق سلعته مع وجودهم ، فعدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل ، وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه ، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس ، وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته وكمال ظرفه ، ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه ، فإنه أتى فيه بكل حلاوة ، ولولا طوله لذكرته ، ثم إن الوهراني المذكور تنقل في البلاد وأقام بدمشق زماناً ، وتولى الخطابة بداريا ، وهي قرية على باب دمشق في الغوطة .

توفي سنة ٥٧٥ بداريا رحمه الله تعالى ، ودفن على باب تربة الشيخ أبي سليمان الداراني ، نقلت من خط القاضي الفاضل : وردت الأخبار من دمشق في سابع عشر رجب بوفاة الوهراني ، والوَهْراني : بفتح الواو وسكون الهاء وفتح الراء وبعد الألف نون نسبة إلى وهران ، وهي مدينة كبيرة في أرض القيروان ، بينها وبين تلمسان مسافة يومين ، وهي على ساحل البحر الشامي ، وذكر الرشاطي أنها أسست سنة ٢٩٠ على يدي محمد بن أبي عون ومحمد ابن عبدوس وجماعة ، وخرج منها جماعة من العلماء وغيرهم ، وداريا : بالدال المهملة وبعد الألف راء مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة .

محمدٌ الملقب بالمرابطِ المغراوي التلمساني

الفقيه الخطيب العلامة الأريب أبو عبد الله سيدي محمد الملقب بالمرابط المغراوي التلمساني .

[٧١] كان رحمه الله فقيهاً مشاركاً ، أخذ عن أبيه ، وعن أبي القاسم محمد بن إبراهيم الدكالي المشترك وغيرهما ، وولي بعد أبيه الخطابة والإمامة بالقرويين ، وبقي بها نحواً من ستة أشهر ، ثم نقل إلى جامع الأندلس وهو الذي صلى بها على الشيخ سيدي رضوان الجنوي بعد وفاته .

توفي رحمه الله ليلة الأحد عاشر المحرم سنة ثمان وألف (١٠٠٨) . قال في « المطمح » : ودفن بروضة أبيه اهـ. ترجمه فيه ، وكذا في « الصفوة » و« النشر» و« التقاط الدرر » اهـ. من « سلوة الأنفاس » .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ أبي بكرٍ القلعي

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن منصور القلعي الشيخ الفقيه المجيد العدل المسِنّ الموقر من قلعة بني حماد .

كان له علم بالفقه والفرائض عملاً وعلماً ، وكان له علم بالحساب سبق فيه الأوائل ، لو لقيه الحصار أو ابن وهب وغيرهما ما أمكنهم إلا الأخذ عنه والاستماع منه ، وكانت له طرق في الفرائض ملخصة في « نهاية القرب » ، ولم يكن ببجاية في وقته أحد يريد قراءة هذا العلم إلا قرأه عليه ، وكان يقصد من البلاد لقراءة هذا العلم عليه ، وكان أحد العدول المرضيين ، وكان له

مجلس يقرأ عليه فيه التهذيب أحياناً ، وكان عالماً بأحكام الوثائق والشروط وكان من موثقي الوقت ، وكان له في مدة ولاية حجاج القضاء ببجاية ظهور ، وكان له به اعتناء ، وكان كاتبهم والمشهور عندهم ، وكانت وثيقته محكمة مطولة لا يقصد فيها الإيجاز بل يقصد فيها الإتقان والإحكام ، وكان لا يلتفت إلى قول المكتوب له بحيث يبني الشيء على غير أصله بل لا يبني وثيقة إلا على الأصول التي تترتب الإفادة عليها ، ولو رضي المكتوب لهما بالمكتب من غير إحضار ما ينبني عليه صحة الأمر ، فإنه يصرفهما عن نفسه ويقول لهما : سيرا لغيري يكتب لكما .

توفي ببجاية في عشر الستين وست مئة (٦٧٠) اهـ. « عِنوان الدراية » .

محمدُ بنُ محمدٍ الخشني

أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسين الخشني الشيخ الفقيه الجليل المشاور المجيد المحصل ، من أهل بجاية .

كان فقيهاً مدركاً مقدماً ، وكان مشاركاً مشاوراً ، وعليه كان اعتماد الفقيه القاضي أبي عبد الله بن إبراهيم الأصولي ، وكان في صناعة التوثيق إماماً ، وعليه كان أكثر الاعتماد ببجاية في وقته ، وله خط بارع ،وله روايات مقروءات .

واستجاز الفقيه العالم أبا عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني فأجازه ،وكتب إليه بما نصه : بعد البسملة والتصلية يرغب إليَّ فلان الشيخ الأجل الفقيه الزكي العالم الحافظ المفيد المتفنن العلامة الأكمل بقية الجلة الفضلاء الأكابر أهل العلم
[٧٢] أبي عبد الله بن الشيخ الفقيه الزكي الزاهد المرحوم أبي محمد عبد الحق بن سليمان ، أكرمهم الله برضوانه وحرس مجدهم ، وتولاه فعظم مقدارهم

وألزم برهم وتوقيرهم وإيثارهم العارف بحقهم العليم بتقديمهم وسبقهم محمد ابن محمد بن الحسين الخشني في الإنعام عليه بالإجازة هذا البرنامج الذي تضمن ذكر أشياخه الجلة الفضلاء ، رضوان الله عليهم وعليكم أجمعين ، بحيث يحمل ذلك عنكم ويتشرف بأخذه منكم ، وفضلكم بذلك كله كفيل وثوابكم عليه عند الله جزيل ، والله يبقي ببركاتكم الانتفاع بمنه ، وأفضل سلام الله عز وجل وأوفى تحياته وأزكاها وأعطرها عرفاً وأذكاها يخص مكانكم الأعلى ، ورحمة الله وبركاته .

فأجابه بما نصه أجبتك بأحسن تحية ، وامتثالا لما جاء به خير البرية ، نعم وأجبتك إلى ما سألته وطلبته إجابة من يعلم أنك أهل له ، وأذِنَ مَنْ تحقق أنك قائم به لشواهد طلبك وبوارع أدبك إجابة عامة بشرطها ، فتلقاها تلقي أمثالك واعمل بحسابها عمل نظرائك ، والعمل جمال العلم وخادم له ومرتبط به لمن أراد السعادة وسعى لها ، قال الله تعالى :﴿ إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[1] مع شروط الإجازة عند أهلها القائلين بإجازتها ، جعلنا الله وإياكم ممن استمع القول واتبع أحسنه ، وممن خُتم بالحسنى عمله آمين . قاله وكتبه حامداً لله مصلياً على نبيه ، محمد بن عبد الحق بن سليمان في ذي الحجة عام ثلاثة وست مئة ، وكتب السائل عندي أبرع من جواب المجيب .

ولقي القاضي الأزدي ، والقاضي المسيلي ، والشيخ أبا مدين وغير هؤلاء من أهل العلم ، نفع الله بهم اهـ . « عنوان الدراية » .

---

(١) سورة ناطر : الآية ١٩ .

محمدُ بنُ محمدٍ الندرومي

محمد بن محمد بن عبد النور الندرومي أبو عبد الله الفقيه القاضي بمدينة فاس ، وقاضي عسكر أبي الحسن المريني . أخذ عن ابني الإمام ، وتولى أيضاً لأبي الحسن قضاء تلمسان ، وتوفي بتونس بالوفاء الجارف سنة ٧٤٩ ، ودفن بالزلاج .

[٧٣] محمدُ بنُ محمدٍ التلمساني

محمد بن محمد بن هبة الله الوجديجيي ، الملقب شقرون التلمساني الفقيه المفتي المشارك المتفنن .

له شرح على رجز أبي إسحاق التلمساني في الفرائض ، وكان فقيهاً نوازلياً يقوم على ابن الحاجب أتم قيام ، وكان عارفاً بالأصلين والبيان والمنطق ، وكان سكناه بمدينة فاس ومراكش ، وكان مفتي الناس بالبلدين ، توفي بمدينة فاس سنة ثلاث وثمانين وتسع مئة (٩٨٣) .

محمدُ بنُ محمدٍ ابن الجنان

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الجنان الشيخ الفقيه الجليل الخطيب الكاتب البارع الحافل الأديب ، من أهل الرواية والدراية والحفظ والإتقان ، وجودة الخط وحسن الضبط ، هو في الكتابة من نظراء أبي المطرف المخزومي ، وكثيراً ما كانا يتراسلان بما يُعجز علمه الكثير من

الفصحاء ، ولا يصل إليه إلا القليل من البلغاء . ونثره ونظمه كله حسن . أي نوع انتقلت إليه من فرعي أدبه قلت : إنه أحسن ، ونظمه غزير وأدبه كثير ، وهو مشهور بين أيدي الناس . ومن مستحسن نظمه هذه القصيدة الدالية وهي :

يا حاديَ الرَّكبِ قِفْ باللّه يا حادي * وارحَمْ صبابةَ ذي نأي وإبعادِ
ما ينبغي منكَ إلا أنْ تُصيخَ لهُ * سمعاً ليسأل عَنْ مَنْ حلَّ بالوادي
فهَلْ لديكَ عَنِ الأحبابِ مِنْ خبرٍ * وهَلْ نزلتَ بذاكَ الربعِ والنادي
حيثُ اللِّوى يرتقي سامي اللواء بهِ * ويلتقي عندهُ الحاضرُ والبادي
وحيثُ تلكَ القبابُ البيضُ قد رُفعَتْ * يلتاحُ مِن فوقها ذاك السَّنا البادي
باللّهِ إنْ كُنتَ قد خيَّمتَ عندَهمُ * بالمنحنى بينَ أنجادٍ وأجوادِ
هاتِ الحديثَ عنِ المغني وساكنهِ * وارفَعْ إلى سنة العلياء إسنادِ
وروِّني من حديثِ القومِ أعذبَهُ * فإنَّهُ اللذ[1] يشفي غلّةَ الصادي
بينَ الجوانحِ نارٌ للجوى اتَّقَدتْ * فإنْ قدرتَ فأخمِدْ بعضَ إخمادِ
هيهاتَ تسطيعُ إخماداً وذكرُهمُ * يزيدُ بينَ ضلوعي نارَ إيقادِ
وجدي بهم وَجْدَ ذاتِ الظمأ حادَ بها * عَنْ وِرْدِها ضربُ روَّادٍ وورَّادِ
أشتاقهم فإذا رُمتُ الوصولَ بهم * ألقى القواطعَ عن إلفي بمرصادِ
مَنْ لي بهم والنوى تُبدي مناقضتي * وتبذُلُ الوعدَ لي منهم بإيعادِ
هُمْ عِلَّتي ودوائي كيفَ لي بهمُ * أنا العليلُ ولكِنْ أينَ عُوَّادي
مِنْ بعدِ بُعدِهمُ والاسم جد لي بهِ * فهل أرى نشرَهُ مِن بعدِ إلحادِ
للّهِ عهدُهم ما كانَ لي كرمٌ * كم أكرموني باسعافٍ وإسعادِ
وكم معاهد أنسٍ لي بأربُعِهم * وفى مها الحُسنِ والحسنى بميعادِ
رقَّتْ وراقَتْ معانيها فعَنْ قمرٍ * حيا بغُرَّتهِ أو شادنٍ شادي
ياطِيبَ عيشي بهم لَوَ أنَّ ساعتَهُ * تُفدى لكانَ لها عُمري هوَ الفادي

(١) بمعنى اللذيذ .

تلكَ الحياةُ وهُم أرواحنا فإذا * ما فارقونا فلا نفعٌ بأجسادِ

[٧٤] يا ويحَ نفسي لما حُمِّلتُ من مضضٍ * من يومِ بُدِّلتُ من جمعٍ بإفرادِ

البينُ يقتُلُني والصبرُ يخذُلُني * فمَنْ بصبرٍ يرى في الله إنجادِ

مَنْ يطلبُ الثأرَ من دهرٍ فأسهمُهُ * قتلُ قلبي بإصماءٍ وإقصادِ

فانظر إلى أدمعي تنبيك حمرتُها * لأنها رَشْحُ أحشائي وأكبادي

واعجَبْ لحالي واعجَبْ من تسامرِهِ * من سابقٍ لكرامِ العيسِ أوهادِ

واذهَبْ وأُبْ في ضمانِ اللهِ مُكتَنفاً * بحفظهِ بينَ إصدارٍ وإيرادِ

وإنْ مررتَ بدارِ القومِ ثانيةً * فقِفْ وصِفْ مخبراً للرائحِ الغادي

واقرأ سلامي على تلكَ الخيامِ كما * يرضى الوفاءُ بتكرارٍ وترددِ

وقل : غريبُكمُ في القُربِ ثوَّبَ في * يا حادي الركبِ قِفْ باللهِ يا حادِ

وله أيضاً :

تركُ النزاهةِ عندنا * أدنى إلى وصفِ النزاهَهْ

ما ذاكَ إلاَّ أنَّها * تدعو الوقورَ إلى الفكاهَهْ

وإذا امرؤٌ نبذَ الوقا * رَفقد تلبَّس بالسفاهَهْ

محمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ التلمساني

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي التلمساني ، شهر بالمقَّري بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة ، كذا ضبطه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في كتابه « العلوم الفاخرة » ، وكذا الونشريسي وزاد أنها قرية من قرى بلاد الزاب من افريقية ، سكنها سلفه ثم تحولوا لتلمسان ، وبها ولد ونشأ وأقرأ وقرأ ، وضبطه ابن الأحمر في « فهرسته » والشيخ زروق

بفتح الميم وسكون القاف ، الإمام العلامة النظار المحقق القدوة الحجة الجليل ، أحد مجتهدي المذهب ، وأكابر فحوله المتأخرين الأثبات ، قاضي الجماعة بفاس . ذكره ابن فرحون في الأصل وأثنى عليه ، ونزيد هنا ما تيسر.

قال ابن الخطيب في « الإحاطة » : كان مشاراً إليه اجتهاداً ودؤوباً وحفظاً وعناية واطلاعاً ونقلاً ونزاهة ، يقوم أتم قيام على الفقه والتفسير والعربية ، ويحفظ الأخبار والحديث والتاريخ ، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق ، ويكتب ويشعر مصيباً غرض الإجادة ، ويتكلم في طريق الصوفية ، ويعتني بالتدوين فيها ، شرَّق وحج ولقي أجلاء كأبي حيان والشمس الأصبهاني وابن عدلان ، وبمكة الرضي إمام المقام ، وبدمشق ابن قيم الجوزية ، [٧٥] وصنف في الفقه والتصوف اهـ.

قال الخطيب ابن مرزوق الجد : كان قاضياً صاحبنا المقَّري معلوم القدر مشهور الذكر ، ممن وصل إلى الاجتهاد المذهبي ودرجة التخيير والتزييف بين الأقوال ، وتبعه بعد موته من حسن الثناء وصالح الدعاء ما يرجى له النفع به يوم اللقاء ، وعوارفه معروفة عند الفقهاء مشهورة بين الدهماء اهـ.

وقال ابن خلدون في « تاريخه الكبير » : أخذ المقّري العلم بتلمسان عن أبي عبد الله البلوي ، ثم لازم بعده شيخنا الإبلي وابني الإمام ، واستبحر في العلوم وتفنن ، ولما نقض السلطان أبو عنان بيعة أبيه ندبه لكتابة البيعة ، فكتبها وقرأها على الناس في يوم مشهود ، وارتحل معه لفاس ، فعزل قاضيها الشيخ المعمر ابن عبد الرزاق وولاه ، فلم يزل قاضياً بها حتى سخطه لبعض النزعة الملوكية فعزله ، وولى الفقيه أبا عبد الله الفشتالي آخر ست وخمسين ، ثم بعثه سفيراً للأندلس فامتنع من رجوع ، فأنكر السلطان على صاحب الأندلس ابن الاحمر تمسكه به ، وبعث إليه يستقدمه منه فلاذ منه ابن الأحمر بالشفاعة ، واقتضى

كتب أمان له بخط السلطان أبي عنان فأوفده مع الجماعة من شيوخ العلم بغرناطة ، ومنهم القاضيان بغرناطة شيخنا شيخ الدنيا جلالة وعلماً ووقاراً ورياسة أبو القاسم الشريف السبتي ، وشيخنا شيخ المحدثين والفقهاء والأدباء والصوفية والخطباء سيد أهل العلم بإطلاق أبو البركات ابن الحاج البلفيقي ، فوفدوا به على السلطان شافعين على عظيم تشوفه للقائهما ، فقبلت الشفاعة وأنجحت الوسيلة ، وحضرت يوم قدومهما مجلس السلطان سنة سبع وخمسين ، وكان يوماً مشهوداً فاستقر القاضي المقَّري في مكانه بباب السلطان عطلاً من الولاية والجراية ، وامتحنه السلطان بعد ذلك بسبب خصومة وقعت بينه وبين أقاربه امتنع من حضوره معهم عند القاضي الفشتالي ، فتقدم السلطان لبعض أكابر الوزعة ببابه بأن يسحبه لمجلس القاضي حتى أنفذ فيه حكمه ، فكان الناس يعدونها محنة ، ثم ولاه السلطان بعد ذلك قضاء العساكر في دولته عند ارتحاله إلى قسنطينة ، فلما فتحها وعاد إلى ملكه بفاس آخر ثمان وخمسين اعتل القاضي المقَّري في طريقه ومات عند قدومه لفاس اهـ.

قال الونشريسي : لما تولى قضاء فاس قام بأعبائه علماً وعملاً ، وحُمدت سيرته ولم تأخذه في الله لومة لائم ، ولما توفي نقل إلى بلدة تلمسان اهـ.

وأما شيوخه فذكر هو ما ملخصه : ممن أخذت عنه بتلمسان علماها الشامخان وعالماها الراسخان ابنا الإمام وحافظها ومفتيها عمران المشدَّالي ، ومشكاه الأنوار الأستاذ إبراهيم بن حكم السلوي ، وعالم الصلحاء وصالح العلماء أبو محمد المجاصي ، والقاضي الشريف الرحلة أبو على حسين السبتي ، وقاضي الجماعة الكاتب أبو عبد الله بن هدية ومحمد بن حسن الزهري التونسي ، وإمام الحديث والعربية عبد المهيمن الحضرمي ، والفقيه المحقق السطي ، والقاضي أبو إسحاق بن أبي يحيى ، والشقيقان أبو عبد الله محمد وأبو العباس أحمد ابني ولي الله محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي في جماعة آخرين . [٧٦]

قلت : وأبو العباس بن مرزوق هذا والد الخطيب ابن مرزوق الجد ، وأبو عبد الله المذكور عمه فاعلمه . ثم قال : ونسيج وحده أبو عبد الله الإبلي ، وابن المسفر ، وقاضي بجاية محمد بن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزواوي فقيه ابن فقيه ، وإمام المعقولات أبو علي حسن بن حسن ، والخطيب أحمد بن عمران اليانيوسي ، وبتونس ابن عبد السلام ، والاجمي ، وابن هارون ، وابن الحباب ، وابن سلامة ، وابو الحسن المنتصر ، بمصر فذكر من تقدم وكالشيخ الصالح عبد الله المنوفي ، والتاج التبريزي ، وخليل المكي ، وابن تامتيت ، والقاضي شمس الدين ابن سالم ، والفقيه ابن عثمان وغيرهم اه ملخصاً .

وقد أطال في « الإحاطة » في ترجمته ، فلنذكر هنا بعض فوائده ، فمنها قال : تكلم العلامة أبو زيد ابن الإمام في الجلوس على الحرير فقال له الأستاذ ابن حكم : مقتضى حديث أنس المنع ، لقوله : « فقمتُ إلى حصير لنا قد اسودَّ مِن طولِ ما لبس » فقال أبو زيد : لا نسلم أن مرادَه الجلوسُ لاحتمال كون ذلك الحصير يغطى ، وذكر حديثاً فيه تغطية الحصير ، وكان الرجل واعية ، قلت : وللأستاذ أن يقول الغالب خلاف ذلك ، فيجب العمل عليه حتى ينص على غيره بالدليل على أنه روى نصاً في صحيح البخاري وغيره[1] عن الجلوس عليه ومنها شهدت الوقفة سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وكانت جمعة ، فذكر الخطيب بالمسجد الحرام للناس أن جمعة وقفتهم هذه خاتمة مئة جمعة وُقف بها من الجمعة التي وقف بها النبيُّ صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، فشاع في الناس وكان علم ذلك مما تواتر عندهم ، والله أعلم ، وهم يزعمون أن الجمعة تدور على خمس سنين ، وهذا مناف لذلك لكن كثير منهم ينكر اطراد هذا ويقول : إنها قد تنقل إلى أكثر من ذلك .

ومنها قال : كنت عند الإبلي بتلمسان إذ دخل عليه أبو عبد الله المالقي

(١) بياض في الأصل ، وفي هامشه « بياض في نسختين وما وجد سواهما » .

المتطبب ، فكان فيما تكلم به أن قال : استجدى أديب كريماً بهذا الشطر « ثم حبيب فلم ينصف » قال لنا ما أراد ، فجعلنا ندبر الحيلة فيه ، والشيخ ينظر في الهواء ، فسبقنا بفضل ذهنه فقال : تقولون أو نقول ؟ فسألناه التربص علينا ،
[٧٦] ثم كنت أول من عثر عليه ، فقلت : قطيت ملف شحمي .

ومنها قال لي أبو القاسم بن محمد اليماني أحد مدرسي دمشق ونحن يومئذ بها قال : لي شيخ صالح برباط الخليل عليه السلام : نزل بي مغربي فمرض مرضاً طويلاً ، فدعوت الله أن يفرج عني وعنه بموت أو صحة ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي أطعمه الكسكسون ، قال : يقوله هكذا بالنون فصنعت له فكأنما جعلت له فيه الشفاء ، فكان أبو القاسم يقوله بالنون ، يخالف الناس في حذفه من هذا الاسم ، ويقول : لا أعدل عن لفظه عليه السلام ، قال المقَّري : قلت وجه هذا من الطب أن هذا الطعام معتاد المغاربة ، ويشتهونه على كثرة استعمالهم له ، فربما نبه شهوة أو وردَّه إلى عادة ، والله ورسوله أعلم .

ومنها قال : حدثني القاضي الظريف أبو عبد الله ابن الرزاق الجزولي عن الشيخ النخبة ابن قطرال أنه سمعه يقول : سمع يهودي بحديث « نِعْمَ الإدامُ الخلُّ » فأنكر ذلك حتى كاد يُصرِّح بالقدح ، فبلغ بعض العلماء فأشار على الملك بقطع الخَلِّ وأسبابه عن اليهود سنة قال : فما تَّمت سنة حتى ظهر فيهم الجُذام .

ومنها قال : قال صاحبنا عبد الله بن عبد الحق : قال لي أبو عبد الله بن قطرال : كنت بالمدينة إذ أقبل رافضي بفحمة في يده ، فكتب بها في جدار هناك :

مَـــنْ كانَ يعلـــمُ أنَّ اللهَ خالِقُهُ ٭ فلا يُحـــبّ أبـــا بكرٍ ولا عُمـــرا

فانصرف فألقي عليَّ من الفطنة وحسن البديهة ما لم أعهد مثله من نفسي

قبل ، فجعلت مكان يُحِبّ يَسُبّ ، ورجعت لموضعي ، فجاء الرافضي فوجده كما أصلحته ، فالتفت يميناً وشمالاً كأنه يطلب مَنْ صنعه ، ولم يتهمني فأعياه ذلك وانصرف .

ومنها قال : سمعت الإبلي يقول : سمعت أبا عبد الله بن رشيد يقول : إن خطيباً بتلمسان كان يقول في خطبته : من يطع الله ورسوله فقد رَشِد ، بالكسر ، وكان الطلبة ينكرون عليه فلا يرجع ، فلما قفلت من رحلتي تلك دخلت على الأستاذ ابن أبي الربيع بسبتة فهنأني بالقدوم ، وقال لي فيما قال : رَشِدْتَ يا ابن رشيد ورَشَدْتَ لغتان صحيحتان ، حكاهما يعقوب في الإصلاح قال المقري : وهذه كرامة للرجلين أوثلاثة .

ومنها قال من عجائب تفسير الرؤيا أن أبا عبد الله القرقوني كان في سجن السلطان يوسف بن عبد الحق مع غيره من التلمسانيين أيام حصره ، فرأى أبا جمعة على الجرائحي منهم ، كأنه قائم على سانية دائرة ، وجميع أقداحها وأقواسها تُصب في وسطها ، فجاء يشرب فاغترف الماء ، فإذا فيه فرث ودم فأرسله واغترف ، فإذا هو كذلك ثلاثاً أو أكثر ، ثم عدل إلى خُصَّة ماء فجاءها وشرب منها ، ثم استيقظ وهو في النهار فأخبره فقال : إن صدقت الرؤيا فنحن على قليل خارجون من هذا السجن ، قال : كيف ؟ قال : الساقية الزقاق ، والتغير
[٧٧] السلطان ، وأنت الجرائحي تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم ، وهذا الانجاح معه ، فلم يكن إلا ضحوة الغد فإذا النداء عليه ، فخرج فوجد السلطان مطعوناً بخنجر ، فأدخل يده في جوفه فناله الفرث والدم ، فخيط جراحته وخرج فرأى خُصَّة ماء فغسل يده وشرب ، فلم يلبث السلطان أن توفي وسُرِّح المسجونون

ومنها قال : شهدت الشمس ابن قيِّم مقيم الحنابلة بدمشق ، وهو أكبر أصحاب ابن تيمية ، وقد سئل عن حديث « مَنْ ماتَ لهُ ثلاثٌ مِنَ الولدِ كانوا

لهُ حجاباً مِنَ النَّارِ »[1] كيف إن أتى بعدها بكبيرة ؟ فقال : موت الولد حجاب ، والكبيرة خرق لذلك الحجاب ، وإنما يحجب الحجاب إذا لم يخرق ، فإذا خرق لم يكن حجاباً بدليل حديث « الصومُ جُنَّة »[2] ما لم يخرقها .

ومنها : قال : سألني السلطان عمن لزمته يمين على نفي العلم ، فحلف جهلاً على البت هل يعيد أم لا ؟ فأجبته بإعادتها ، وقد أفتاه من حضر من الفقهاء بأن لا تعاد لأنه أتى بأكثر مما أمر به على وجه يتضمنه ، فقلت له : اليمين على وجه الشك غموس ، قال ابن يونس : والغموس الحلف على تعمد الكذب أو على يقين ، ولا شك أن الغموس محرمة منهي عنها ، والنهي يدل على الفساد ، ومعناه في العقود عدم ترتب أثره ، فلا أثر لهذه اليمين ، فوجب أن تعاد ، وقد يكون من هذا خلافهم فيمن إذنُها السكوت فتكلمت ، هل يُجتزأ بذلك ؟ والإجزاء هنا أقرب ، لأنه الأصل ، والصمات رخصة لغلبة الحياء ، فإن قلت : البت أصل ، وإنما يعتبر نفي العلم إذا تعذر ، قلت : ليس من رخصة الصمات .

ومنها قال : سألني بعض الفقراء عن السبب في سوء بخت المسلمين في ملوكهم إذ لم يلِ أمرهم من سلك بهم الجادة ، وحملهم على الواضحة ، بل يغتر في صلاح دنياه غافلاً عن عقباه ، فلا يَرقُب في مؤمن إلاًّ ولا ذمة ، ولا يراعي عهداً ولا حرمة ، فأجبته بأن ذلك لأن الملك ليس في شريعتنا بل كان شرع مَنْ

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٤/٢ في الجنائز : باب ما قيل في أولاد المسلمين ، ومسلم (٢٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم » وأخرجه الترمذي (١٠٦٠) . (ش) .

(٢) أخرجه البخاري ٨٧/٤ في الصوم : باب فضل الصوم ، من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الصيام جنة ، فلا يرفث ولا يجهل ... » الحديث ، وأخرجه مسلم (١١٥١) (١٦٢) في الصوم : باب فضل الصيام ، وأبو داود (٢٣٦٣) في الصوم : باب الغيبة للصائم (ش) .

قبلنا قال تعالى ممتناً على بني إسرائيل ﴿ وجَعَلكُم مُلُوكاً ﴾[1] ولم يقله في هذه الأمة بل جعل لهم خلافة ، قال تعالى ﴿ وَعَدَ اللهُ الذينَ آمَنُوا منكُم ﴾[2] الآية . وقال تعالى ﴿ إنَّ اللهَ قَدْ بعثَ لكُم طالوت ملكاً ﴾[3] وقال سُلَيمانُ ﴿ ربِّ اغفرْ لي وَهَبْ لي مُلْكاً ﴾[4] فجعلهم ملوكاً . ولم يجعل لنا إلا الخلفاء . فأبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما فهمه الناس فهماً وأجمعوا على تسميته بذلك ، ثم استخلف عمر فخرج بها عن سنن الملك الذي يرثه الولد عن والده إلى سنن الخلافة الذي هو النظر والاختيار . ونص في ذلك على عهده ، ثم اتفق أهل الشورى على عثمان فأخرجها عمر عن بنيه إلى الشورى دليلاً على أنها ليست ملكاً ، ثم تعين علي بعدُ إذ لم يبق مثله فبايعه من آثر الحق على الهوى والآخرة على الدنيا ، ثم الحسن كذلك ، ثم كان معاوية أول من حولها ملكاً والخشونة ليناً ، ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، فجعلها ميراثاً ، فلما أُخرجت عن موضعها لم يستقم ملك فيها ألا ترى أن عمر بن عبد العزيز كان خليفة لا ملكاً ، لأن سليمان رغب عن بني أبيه إيثاراً لحق المسلمين ولئلا يتقلدها حياً وميتاً ، وكان يعلم اجتماع الناس عليه فلم يسلك طريقة الاستقامة بالناس قط إلا خليفة ، وأما الملوك فعلى ما ذكرت إلا من قلَّ غالب أحواله غير مرضية اهـ.

[٧٨]

ومنها ما ذكره عنه أنه يحضر مجلس السلطان أبي عنان لبثّ العلم ، وكان مزوار الشرفاء بفاس إذا دخل مجلسَ السلطان قام له السلطان وجميعُ من في مجلسه إجلالاً له إلاَّ الشيخ المقّري فلا يقوم معهم ، فأحسّ المزوار من ذلك وشكاه للسلطان ، فقال له السلطان : هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله حتى ينصرف ، فدخل المزوار يوماً فقام له السلطانُ وغيرُه على العادة ،

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢٠ .
(٢) سورة النور : الآية ٥٥ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢٤٧ .
(٤) سورة ص : الآية ٣٥ .

فنظر المزوار إلى المقَّري فقال له : أيها الفقيه مالك لا تقوم كما يفعل نصره الله وأهلَ مجلسه إكراماً لجدي وشرفي ، ومن أنت حتى لا تقوم لي ، فنظر إليه المقَّري فقال له : أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبثه ولا يرتاب فيه أحد ، وأما شرفك فمظنون ، ومن لنا بصحبته منذ أزيد من سبع مئة عام ، ولو قطعنا بشرفك لأقمنا هذا من هنا وأشار للسلطان أبي عنان وأجلسناك مجلسه ، فسكت المزوار اهـ.

قال العلامة أبو عبد الله بن الأزرق : وعلى اعتذاره ذلك يكون الشرف الآن مظنوناً ، فمن معنى ذلك أيضاً ما يُحكى عنه أنه كان يقرأ بين يدي السلطان أبي عنان « صحيح مسلم » بحضرة أكابر فقهاء فاس وخاصتهم ، فلما وصل إلى أحاديث الأئمة من قريش قال الناس : إن أفصح بذلك استوغر قلب السلطان ، وإن ورَّى وقع في محظور فجعلوا يوقعون ذلك ، فلما وصل إلى الأحاديث قال بحضرة السلطان والجمهور : إن الأئمة من قريش ثلاثاً ، ويقول بعد كل كلمة :وغيرهم مُتغلِّب ، ثم نظر وقال : لا عليك فإن القرشي اليوم مظنون ، أنت أهل للخلافة إذ توفرت فيك بعض الشروط والحمد لله ، فلما انصرف لمنزله بعث له السلطان ألف دينار اهـ.

قال القاضي ابن الأزرق : يلزم من اعتذاره أن قيام السلطان لذي الشرف المحقق بالعلم أولى في المحافظة على حرمات الله ، وقد روي أن بعض الأمراء [٧٩] تكبر عن ذلك ، واستخف بمنزلة من عظم به غيره ، فَسُلب ملكَه وملكَ بنيه بعده اهـ.

قلت : وفوائده ولطائفه وتُحَفه وظرفه لا تحصى ، فلنكتف بما ذكرنا . وله تآليف : ككتاب « القواعد » اشتمل على ألف قاعدة ومئتين قاعدة ، قال الونشريسي : وهو كتاب غزير العلم كثير الفوائد ، لم يُسبق بمثله بيد أنه يفتقر

إلى عالم فتاح ، وكتاب « الحقائق والرقائق » في التصوف ، لطيف الإشارة بديع المنزع ، موجود بأيدي الناس ، شرحه الشيخ زروق ، وكتاب « التحف والطرف » غاية في الحسن والظرف ، قاله الونشريسي ، و« اختصار المحصل » لم يتم و« شرح الخونجي » لم يتم ، وكتاب « عمل من طب لمن حب » مشتمل على فنون فيه أحاديث حكمية كالشهاب ، وعلى كليات فقهية على أبواب الفقه في غاية الإفادة ، وعلى قواعد وأصول ، وعلى اصطلاحات وألفاظ ، قال الونشريسي : رأيته عند الفقيه عبد الله بن عبد الخالق ، فتلطفت في استنساخه فلم يسمح به ، وكتاب « المحاضرات » مشتمل على حكايات وإشارات وفوائد . وقال الونشريسي : ولقد استوفى شيخ شيوخنا المحقق النظار أبو عبد الله بن مرزوق ترجمته في كتاب سماه « النور البدري في التعريف بالفقيه المقَّري اهـ.

وممن أخذ عنه من العلماء الإمام الشاطبي ، وابن الخطيب السلماني ،وابن خلدون ، والكاتب ابن زمرك ، وأبو محمد ابن جزي ، والأستاذ القيجاطي ، والحافظ ابن علاق في خلق .

محمدُ بنُ محمدٍ التنبكتي

محمد بن محمد بن محمود بن أبي بكر الوطري التنبكي المالكي ، عرف ببَغْيُع بباء مفتوحة فغين ساكنة فياء مضمومة فعين مهملة مضمومة .

قال تلميذه العلامة أحمد بابا في كتاب « كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج » مختصر كتاب « الذيل » ذيل به كتاب « الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب » للإمام برهان الدين بن فرحون المسمى « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » : شيخنا وبركتنا الفقيه العالم المتفنن الصالح العابد الناسك ، كان من صالحي خيار عباد الله الصالحين والعلماء العاملين ، مطبوعاً على الخير وحسن

النية وسلامة الطوية والانطباع على الخير ، واعتقاده في الناس حتى كان الناس
[٨٠] يتساوون عنده في حسن ظنه بهم ، وعدم معرفته الشر ، يسعى في حوائجهم ويضر نفسه في نفعهم ، ويتوجع في مكروههم ، ويصلح بينهم وينصحهم إلى محبة العلم ، وملازمة تعليمه وصرف أوقاته فيه ، ومحبة أهله والتواضع التام ، وبذل نفائس الكتب العزيزة الغريبة لهم ، ولا يفتش بعد ذلك عنها كائناً ما كان من جميع الفنون ، فضاع له بذلك جملة من كتبه نفعه الله تعالى بذلك ، وربما يأتي لبابه طالب يطلب كتاباً فيعطيه له من غير معرفة ، فكان العجب العجاب في ذلك إيثاراً لوجهه تعالى ، مع محبته للكتب وتحصيلها شراء ونسخاً ، وقد جئته يوماً أطلب منه شيئاً من كتب النحو ففتش في خزانته فأعطاني كل ما ظفر به منها ، مع صبر عظيم على التعليم وإيصال الفائدة للبليد بلا ملل ولا ضجر ، حتى يمل حاضروه وهو لا يبالي ، حتى سمعت بعض أصحابنا يقول : أظن هذا الفقيه شرب ماء زمزم لئلا يمل من الإقراء تعجباً من ملازمة العبادة ، والتجافي عن رديء الأخلاق ، وإضمار الخير لكل البرية حتى الظلمة ، مقبلاً على ما يعنيه متجنباً الخوض في الفضول ، ارتدى من العفة والمسكنة أزين رداء ، وأخذ بيده من النزاهة أقوى لواء ، مع سكينة ووقار وحسن أخلاق وحياء سهل الورود والإصدار ، فأحبته القلوب كافة ، وأثنوا عليه بلسان واحد ، فلا ترى إلا محباً مادحاً ومثنياً بالخير صادقاً ، مع تشبيه بجوامع العامة وأمور القضاء ، لم يصيبوا عنه بديلاً ولا نالوا له مثيلاً ، طلبه السلطان لتولية القضاء بمحله فأنفَ وامتنع ، وأعرض عنه واستشفع ، فخلصه الله تعالى لازم الإقراء سيما بعد موت سيدي أحمد بن سعيد ، فأدركته أنا يقرىء من صلاة الصبح أول وقته إلى الضحى الكبيرة دولاً مختلفة ، ثم يقوم إلى بيته ويصلي الظهر بالناس ، ويدرس إلى العصر ثم يصليها ، ويخرج لموضع آخر يدرس فيه للاصفرار أو به .

وكان غواصاً على الدقائق ، حاضر الجواب ، سريع الفهم ، منور البصيرة ، ساكناً صامتاً وقوراً ، وربما انبسط مع الناس ويمازحهم ، وكان آية الله في جودة الفهم وسرعة الإدراك ، معروفاً بذلك .

ولد عام ثلاثين وتسع مئة (٩٣٠) على ما سمعت منه ، وأخذ العربية عن الشيخين الصالحين والده وخاله ، ثم قطن مع أخيه الفقيه سيدي أحمد شقيقه بتنبكت فلازما الفقيه أحمد بن سعيد في مختصر خليل ، ثم رحلا للحج فلقيا بمصر اللقاني ، والتاجوري ، والشريف يوسف الارميوني ، والبرهمتوشي الحنفي ، والإمام محمد البكري وغيرهم ، فاستفادا ثَمَّة ، ثم رجعا بعد حجهما وموت خالهما فنزلا بتنبكت ، فأخذا عن ابن سعيد الفقه والحديث ولازماه ، وعن سيدي ووالدي الأصول والبيان والمنطق ، قرأا عليه أصول السبكي ، وتلخيص المفتاح ، وحضر على شيخنا حمل الخونجي ، ولازم مع ذلك الإقراء حتى صار خير شيخ في وقته في الفنون لا نظير له ، ولازمته أكثر من عشر
[٨١] سنين ، وذكر مقرو آنه عليه ، ثم قال : وكانت وفاته يوم الجمعة في شوال سنة اثنتين بعد الألف ، وله تعاليق وحواش ، نبه فيها على ما وقع لشراح خليل وغيره ، وتتبع ما في الشرح الكبير للتنائي من السهو نقلاً وتقريراً في غاية الإفادة ، جمعها في آخر تأليفاته ، والله تعالى أعلم .

الشيخ محمدُ بنُ محمدٍ التنبكتي

قال في « تكميل الديباج » عُرف ببَغْيُع بباء يعني موحدة مفتوحة فغين معجمة ساكنة فياء يعني مثناة تحت مضمومة فعين مهملة ، شيخنا وبركتنا الفقيه العالم المتفن الصالح العابد الناسك ، من صالحي عباد الله والعلماء العاملين ، لا يبعد عندي أن يكون هو العالم المبعوث على رأس هذا القرن ، ثم أطال فيه ، وحاصل

ما قال : إنه كان مجبولاً على الخير والسخاء وحسن الطوية ، ونفع العباد وإيثارهم بنفسه وما له ، وشرب ماء زمزم لئلا يمل من الإقراء ، فكان لا يمل حتى يمل حاضره ، طولب بتولية القضاء فامتنع واستشفع حتى خلصه الله منه ، رحل للحج فلقي الناصر اللقاني ، والتاجوري ، ومحمد البكري وغيرهم ، وأخذ عن ابن سعيد الفقه والحديث ، وعن والدي الأصول ، وتوفي يوم الجمعة في شوال سنة اثنتين وألف (١٠٠٢) اهـ . مختصرا وبعضه بالمعني .

وليس هو الذي قيد عنه التقاييد الموجودة في سفرين على مختصر خليل ، بل هو محمود بن عمر اقيت .

عرف به في «كفاية المحتاج» وقال ، فيه : هائم التكرور صالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها بلا مدافع ، لا يخاف في الله لومة لائم ، هابه السلطان فمن دونه ، ولد سنة ثمان وستين وثمان مئة ، وتوفي ليلة الجمعة سادس عشر رمضان سنة خمس وخمسين يعني وتسع مئة ، انظر تمامه ، ويأتي في عام أربعة وأربعين التعريف بالسوداني شارح الآجرومية ، والعلماء في أهل السودان كثيرون اهـ .

محمدُ بنُ غريون البجائي

أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن غريون الأنصاري البجائي عالمها وخطيبها قال الحضرمي : شيخنا الخطيب الصالح اهـ.

[٨٢] محمدُ بنُ محمودٍ الوانفوي

أبو عبد الله محمد بن محمود الوانفوي بالكاف المعقودة الشهير ببَغْيُع بفتح الباء الموحدة وغين معجمة ساكنة ثم ياء مضمومة بعدها عين مهملة السوداني .

كان رحمه الله من أهل العلم والصلاح مشاركاً في الفنون إماما محققاً غواصاً على الدقائق ، حاضر الجواب سريع الفهم ، لا يكل من التعليم حتى كان بعض أصحابه يقول : أظن هذا الفقيه شرب ماء زمزم لئلا يمل في الإقراء لما رأى من صبره على ذلك ، وكان مُحباً في طلبة العلم حتى إنه إذا جاءه طالب يستعير منه كتاباً يعيره له ، وإن كان لا يعرفه ثم لا يطلبه منه بعدُ ، قال الشيخ سيدي أحمد بابا : ولا يبعد عندي أن يكون هذا المبعوث على رأس هذا القرن العاشر لما اشتمل عليه من العلم والدين ، وفي ذلك قلت مذيلاً لأبيات السيوطي الشهيرة في المجددين :

وعاشرُ القرونِ فيـــهِ قـــد أتـــى * محمدٌ إمامنـــــا وهوَ الفتـــــى

أخذ عن أبيه ، وحج ولقي الناصر اللقاني ،ويوسف الشهير البرهمتشي وغيرهم ، وله حواشٍ على التتائي الكبير ، توفي في تنبكتو سنة ١٠٠٢ .

محمدُ بنُ مزي القلعي

الشيخ العارف بالله تعالى الزاهد في الدنيا راساً المتخلي عنها نفساً سيدي محمد بن مزي .

وقد اعتزل بأهله وسكن القلعة في غيضة عظيمة لا يسكنها إلا الوحوش لعدم الماء فيها ، ومع هذا إنه بني دوره في الأوعار من الجبل مع بعدها من الوادي إلى رأس الجبل ، وبنى فيها مساجد بفضل الله سيما الجامع الكبير ، فقد بناه بناء معتبراً إلا إذا كان مثله في تونس ، وأشار رحمه الله إلى أنها تصير مدينة قاهرة آخر الزمان ، وقد احتمل المشاق العظيمة في مجاهدة نفسه وأهله وأولاده وأصحابه ، وكان لا يفتر عن ذكر الله تعالى ، طريقه صعب لا يسلكه إلا من نبذ نفسه وراء ظهره ، وقد أدركته صغيراً ، وسمعت من بعض الناس

أنه قرأ على شمهروش الطيار من الجن ، وهو قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن أحياه الله أحد عشر قرناً ، وكذا قرأ عليه الشيخ سيدي أحمد الحبيب صاحب السر العظيم والصراط المستقيم الفلالي ، وكذا الشيخ البقال المصري ، وقد سمعت أنه يصلي كل جمعة في جامع الزيتونة في تونس ، فلما مات قال مجاوره : أظن أن الشيخ قد توفي لما لم يعمر محله ، وكان الأمر كذلك والله أعلم .

وأولاده ذكور وإناث ظهر عليهم آثار الأسرار وشوارق الأنوار سيما الولى كأبيه ذو الصدق والوفاء والحلم والنصيحة والصفاء ، المتواضع لكل الخلق ، وقد حاز في كل خير السبق سيدي بركات ، وقد شهدنا منه ما لا يمكن التعبير
[٨٣] عنه ، نفعنا الله به وجعل البركة في أولاده ، وظهر عليهم آثار الفضل بمنه وكرمه ، وقد نجح من لا نظير له أصلاً في زماننا سيدي عبد الرحمن ولده ، وأما سيدي محمد السعيد ففضله على أهل وطننا وكذا علمه وصدقه لا يخفى ، وقد زوجني سيدي بركات بنته ، كما زوج أبو بكر رضي الله عنه بنته النبي صلى الله عليه وسلم عائشة من غير كلفة ولا مشقة ، وقبر الشيخ معلوم في القلعة ، وأما ضريح ابنه سيدي بركات فهو مع ضريح سيدي محمد بن يحيى السابق ، وكذا قبور الفضلاء والصلحاء أولاد مزي اهـ. ورتيلاني .

سيدي محمدٌ المسعودُ بنُ سيدي محمدٍ الحاج

الشيخ الفاضل الكامل سيدي محمد المسعود نجل الشيخ البركة سيدي الموهوب نجل الشيخ البركة الولي الصالح والبدر الواضح سيدي محمد الحاج .

قال سيدي حسن الورتيلاني : وكنا تواعدنا معه من قبل على السفر جميعاً وقد ضرب طنبه في المدينة المحروسة الجزائر عام مشينا لزيارة النبي سيدي خالد

عليه السلام على القول بنبوءته ، وقد شهر غير واحد من المتأخرين رسالته بجبل الرص الملقب الآن أوراس ، وكانت معجزته ناراً ، وكانت رسالته قبل رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمدة قريبة إلا أن رسالته صلى الله عليه وسلم نسخت جميع الرسائل والشرائع إلا ما لم ينسخ ، والذي شهر رسالته صاحب التآليف المشهورة والتصانيف المذكورة المنتفع بها غرباً وشرقاً جوفاً وقبلة سيما بمحروسة مصر في الجامع الأزهر إذا أقبلوا على تلك التأليف إقبالاً كلياً تدريساً وبحثاً وشرحاً وتعليقاً بالحواشي وتطريزاً سيدي عبد الرحمن الأخضري ، نفعنا الله ببركاته وأفاض علينا من بحر أنواره ، رضي الله تعالى عنه ، وسمعنا أنه هو الذي أظهر قبره بعلم التربيع ، وهو مقام عظيم والوفود تأتيه من المشرق والمغرب للزيارة ، وأما على القول بولايته فواضح لأن قبور الأولياء لا تكاد أن تخفى ، وكذا نص على رسالته الخفاجي على الشفا ، فما أحسنها من زيارة وقد اجتمع فيها أكابر الفضلاء وأعظم الصلحاء ، وتلاقينا في تلك الزيارة مع أفاضل الزاب ونجبائه ، ولا شك أن أكثرهم مجاب الدعوة كالشيخ الفاضل الفقيه المدرس في مسائل المختصر للشيخ خليل بشرح القدوة صاحب
[٨٤] الأنوار الشيخ التتائي مع حاشية الشيخ مصطفى سيدي محمد الشريف من أولاد جلال ، وأهله من الأشراف والسيد عبد الباقي والفضلاء من الطلبة ، والفقيه الأديب سيدي عبد الباري ، واجتمعنا أيضاً بالزاهد في الدنيا المتخلي عنها رأساً سيدي المبروك ، وسيدي المبروك هذا تلميذ الولي الصالح الورع الزاهد سيدي أحمد بن إياس ونجليه سيدي المحفوظ وسيدي الطيب ، وسيدي المحفوظ كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويرى الله تعالى أيضاً حسبما تراه في مرائيه ، وكان خالنا نفعنا الله ببركاته آمين .

وقد كان سيدي المبروك رضي الله عنه متبتلاً منقطعاً للعبادة ، وقد رأيته رضي الله عنه كأنه خارج من القبر تعلوه صفرة ، وقد ظهر أثر النزف على

وجهه ، فبتنا عنده في قريته وتكرم علينا غاية ، ودعا لنا ولإخواننا ومن تعلق بنا ، فلما أردنا الانفصال صبيحة تلك الليلة ذهب عائداً لزيارته سيدي أحمد الطيب وكثير من الناس ، فلم أذهب أنا معهم قصداً مني أن لا أمنعه من العبادة في تلك العودة ، وما حصل لنا قبل كاف ، وذلك شأني مع كل مشتغل بالله تعالى ، فإن كنتُ بطالاً فلا أعوِّق الغير عما يعنيه ، وقد دخلنا طولقة فاجتمعنا فيها أيضاً مع أهل الفضل والعلم .

وزرنا أيضاً الشيخ المذكور والولي المشهور سيدي عبد الرحمن الأخضري في قريته المشهورة ، فلما وصلته وجدته كأنه حي في قبره ، وذقت منه أمراً عظيماً يكاد الجاهل أن يُحيله ، وقد زرت والحمد لله النبي سيدي خالد مرة أخرى قبلها مع الجم الغفير والجمع الكثير نحو الألف ، وفيه من الفضلاء ما ما لا يحصى كالسيد الفاضل الشيخ سيدي علي بن المبارك نجل سيدي علي الطيار ، وفي ذلك السفر زرت الشيخ الغوث أبا جملين في المسيلة ، أفاض الله علينا من بركاتهم وأعاد علينا من أنوارهم ، ولما سمع الناس من عمالة الجزائر بحج هؤلاء الفضلاء ونخبة العلماء حركهم ذلك إلى شد الرحال إلى بيت الله الحرام من كل بلد ، ووقع الضجيج من عامة المسلمين وخاصتهم ، وذلك من الحاضرة والبادية حتى ذهب جميعهم بنسائهم وأولادهم ، نعم زاد عزمي وقويت نيتي للمشي ، غير أنه عارضني أمر أوجب السفر مع الأخ في الله سيدي أحمد الطيب إلى ناحية زواوة وقرية دلس لزيارة سيدي أحمد بن عمر فيها اهـ.

سيدي محمدُ بنُ أحمد الموسوم

الشيخ الرباني والقطب الصمداني الأستاذ سيدي محمد الموسوم دفين قصر البخاري ، مات في آخر القرن الثالث عشر ، وقبره مشهور بقصر البخاري يُزار.

له تآليف أكثرها في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . وله شرح على عقيدة السنوسي الصغرى ، وله رحلة ذكر فيها جميع من أخذ عليه ، ونشأ في قبيلة يقال لها : غريب ، من نواحي مليانة . وهو في الأصل من أولاد سيدي

[٨٥] عبد العزيز الحاج .

وكانت وفاته عشية يوم الجمعة ٢٤ ربيع الأول عام ١٣٠٠ الموافق ليوم ٢ فيفريي سنة ١٨٨٣ ، وعمره ٦٣ سنة ، وكنت زرته في شهر رجب عام ١٣٢١ مع أخي الشقيق الفقيه النبيه سيدي المدني بن الشيخ بن أبي القاسم بعد أن بتنا ليلة عند ولده الأكبر المرحوم سيدي أحمد الموسوم ، وعمره إذ ذاك ٣٩ سنة ، وأكرمنا إكراماً مدنياً لم نر مثله من يوم خروجنا من الجزائر إلا عند المحبين السيد أحمد بن الشريف بن الأحرش ، والسيد محمد بن أبي القاسم بن الأحرش . الأول في عين معبد ، والثاني في المعلبة ، وكلاهما بقرب مدينة الجلفة حين مررنا بهما ونحن ذاهبون إلى مدينة أبي سعادة ، وكانت ليلتنا عند سيدي أحمد الموسوم رحمه الله ليلة مذاكرة في مسائل شتى ، وذكر لنا أن إخوته أربعة .

وتآليف أبيه نحو العشرين منها « التحفة المختارة في ثواب الزيارة » والأنوار المضيَّة في الصلاة على خير البريّة » و« الرسالة في اسم الجلالة » و« كشف الغمة في الصلاة على خير الأمة و « تفريج الهموم في الصلاة على النبي كل يوم لعبيد الله محمد المرسوم » و « العقد الثمين في الصلاة على النبي يوم الاثنين » و « المكيال الأوفى في الصلاة على المصطفى » و « حزب الأنوار الجامع لسائر الأدعية والأذكار» وطالعت شرحه على السنوسية فوجدته عجباً عجاباً ، ومن تآليفه أيضا « النور الوقاد في تعزية الأولاد » ألفه لما مات ولد له آخر اسمه سيدي محمد ليلة السبت سنة ١٢٩٧ ، وهو في خمس كراريس ، وله « ترجمان الأشواق إلى رؤية سيد الخلق على الإطلاق » صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما دام ملك الله باق في ٢٨ ورقة بالربعي و« عصا موسى في الرد على من أنكر وأسا »

و« الدرر البوعبدلية في الصلاة على خير البرية » وعلى ظهر كتابه « حزب الأنوار » قصيدة سيدي أبي مدين الغوث ، وهي :

يا مَنْ يُغيثُ الورى مِن بعدِ ما قنطوا * ارحَمْ عبيداً أكُفَّ الفقرِ قَدْ بَسطوا
واستنزلوا جودَكَ المعهودَ فاسقِهِمُ * ريّاً يريهم رضىً لم يُثنه سَخَطُ
وعاملِ الكُلَّ بالفضلِ الذي ألِفوا * يا عادلاً لا يُرى في حكمه شَطَطُ
إنَّ البهائمَ أضحى التُّربَ مرتعُها * والطيرُ تغدو مِن الحصباءِ تلتقطُ
والأرضُ مِن حُلَّةِ الأزهارِ عاريةٌ * كأنَّها ما تحلَّتْ بالنباتِ قَطُ
[٨٦] وأنتَ أكرمُ مفضالٍ تُمَدُّ لَهُ * أيدي العصاةِ وإنْ جاروا وإنْ غلطُوا
ناجَوكَ واللَّيلُ جلَّاهُ الظلامُ سناً * كما يُجَلِّي سوادَ اللِّمّةِ الشمطُ
فشاربٌ بذنوبِ الذنبِ غصَّ بهِ * وآخرونَ كما أخبرتنا خَلَطُوا
ومنهم في لفيفِ العيشِ وهو يُرى * في سلكِ مَنْ حامَ حولَ العرشِ ينخرطُ
ومُلحدٌ يدَّعي ربّاً سواكَ لهُ * حيرانُ في شَرَكِ الأشراكِ يختبطُ
كُلٌّ ينالُ مِنَ المقدورِ قسمتَهُ * قومٌ ترقَّوْا وقومٌ في الهوى سَقَطُوا
حُكمٌ مِنَ اللهِ عدلٌ في بريَّتِهِ * فرضٌ علينا لهُ التسليمُ مشترَطُ
وما ذنوبُ الورى في جنبِ رحمته * وهل يُقاسُ بفيضِ الأبحرِ النقطُ
فما لنا شافعٌ غيرُ الكريمِ ومَنْ * يُلفى على الحوضِ وهو السابقُ الفَرَطُ
هوَ الرسولُ الذي كُلُّ الأنامِ بهِ * يومَ القيامةِ مسرورٌ ومغتبِطُ
صلَّى عليهِ صلاةً لانفادَ لها * مَنِ اسمُه باسمِهِ في الذكرِ مرتبِطُ

وحكى لنا رحمه الله أن أباه سيدي محمد الموسوم له شيخان ، ففي الطريق سيدي عدة ، وفي العلم سيدي الحاج الشفيع من حِذّيفه بكسر الحاء وتشديد الذال . وسيدي عدة أخذ الطريق عن مولاي العربي الطويل . وهو عن مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي صاحب كتاب « شور الطوية في مذهب

الصوفية » ونزيل قبيلة الزروالية ، ألفه لما عرف في مدينة فاس سيدي أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الحسني العمراني عام ١١٨٢ ، وهو سيدي علي الجمل المتوفى سنة ١١٩٣ ، وضريحه بحومة الرملية وأصله من بني عمران شرفاء قبيلة بني حسان ، وكان والده أو جده قد انتقل منها إلى فاس ، رحمهم الله ونفعنا ببركاتهم ، وفي هذه السنة توفي سيدي محمد بن أحمد الموسوم ، رضي الله عنه وقدس روحه آمين .

محمدُ مؤمنِ بنُ محمدٍ قاسم الجزائري

قال الشيخ أحمد بن محمد الأنصاري اليمني الشرواني في كتابه « حديقة الأفراح لإزالة الأتراح » ما نصه : الحكيم محمد مؤمن بن محمد قاسم الجزائري الشيرازي أديب ماهر سيف ذهنه باتر ، حكيم حاذق ثاقب ، فهمه كاشف عن دقائق الحكمة والحقائق ، حاز حظاً وافراً من الكمالات ، وحير الأفكار بما أبداه في صناعة السرقات ، مجاميعه كنوز الفوائد ، ومضامين رسائله فرائد ، فمن جيد شعره ما قاله مادحاً أمير المومنين علي بن ابن أبي طالب سلام الله عليه :

دَعِ الأوطانَ يندُبها الغريبُ * وخلِّ الدمعَ يسكُبُه الكئيبُ
ولاَ تحزَنْ لأطلالٍ ورسمٍ * يهبُّ بها شمالٌ أو جنوبُ
ولا تطرَبْ إذا ناحَتْ حمائمْ * ولاحَتْ ظبيةٌ وبدا كثيبُ
ولا تصبو برنَّاتِ المثاني * وألحانٍ فقد حانَ المشيبُ
[٨٧] ولا تعشَقْ عذارى غانياتٍ * يزينُ بنانَها كفٌّ خضيبُ
ولا تلهو بحبِّ صبيحِ وجهٍ * شبيهُ قوامه غصنٌ رطيبُ
ولا تشرَبْ مِنَ الصَّهباءِ كأساً * يكونُ مديرُها ساقٍ أديبُ
ولا تصحَبْ حميماً أو صديقاً * وذَرْهُم إنَّهُم ضبعٌ وذيبُ

ولا تفرَحْ ولا تحزَنْ بشـــــيءٍ * فلا فرحٌ يدومُ ولا خطـــوبُ
ولا تجزعْ إذا ما نابَ هَـــــمٌّ * فكم يتلو الأسى فرجٌ قريـــبُ
وسكِّنْ لوعةَ القلبِ المُعنَّـــى * وأنشدهُ إذا غلبَ الوجيـــبُ
عسى الهمُّ الذي أمسيت فيـــهِ * يكونُ وراءهُ فرجٌ قريـــبُ
ولا تيأسْ فإنَّ الليالي حبلـــى * فعلَّ ليومها شأنٌ عجيـــبُ
جوادٌ قبل أن يُرجى يُواســـي * غياثٌ قبل أن يدعى يجيـــبُ
تكلمت الظِّبا معـــهُ وشمســـٌ * وثعبانٌ وحيتـــانٌ وذيـــبُ
ورُدَّتْ بعدَ ما غربَتْ وغابَـــتْ * لهُ شمسُ السماءِ ولا عجيـــبُ
كريمٌ يستحي مِن مؤملٍ قـــد[1] * رجاهُ أنْ يماطِلَ أو يخيـــبُ
أميرُ المؤمنينَ أبـــو تُـــراب * عليٌّ المرتضى البَرُّ الحسيـــبُ
عليهِ تحيتـي ما جَنَّ ليـــلٌ * وجنَّ مِنَ النوى دَنِفٌ غريـــبُ

وله في رثاء الحسين سلام الله عليه قصيدة مخمسة ، وهي من غرر قصائده ، أذكر شرذمة منها ، وهي هذه :

جاءَ شهرُ البُكاءِ فلتبكِ عينـــي * بحنيني على مُصابِ الحسيـــنِ
وإمامِ الأنـــامِ من غيرِ ميـــنِ * وابنِ بنتِ الرسولِ قرةِ عينـــي

آهِ واحسرتا لرزءِ الحسينِ

آه فلنبكِ مِن دمٍ قد أراقـــوا * وبدورٍ قدِ اعتراهم محـــاقُ
وسُقوا طعمَ علقمٍ لا يُـــذاقُ * خيرَ رهطٍ على البريَّةِ فاقُـــوا

آه واحسرتا لرزءِ الحسينِ

خَصفَتْهُم بروقُ بيضِ المنايـــا * وأصابَتْهُم سهـــامُ البلايـــا

---

(١) كذا الأصل .

عَنْ قسي القضا فدعنـــي ألا يـــا * لائمي في البُكا لعظمِ الرزايـــا
آه واحسرتا لرزءِ الحسينِ

هـم بدورٌ وغَربُهم كربـــلاءُ * هالهم كربُ أرضِهـا والبـــلاءُ
خسفوا إذ لهم سناً واعتـــلاءُ * ما لهذي البدورِ منهـا انجـلاءُ
آه واحسرتا لرزءِ الحسينِ

كم بها صادَتِ البُغاثُ نُســـورا * كم بها صارتِ السّروجُ قُبـــورا
كم بها استوسدَ الكرامُ صخـــورا * كم بهـا رَضَّتِ الخُيولُ صـــدورا
آه واحسرتا لرزءِ الحسينِ

[٨٨] وردَتْهُ الخطوطُ منهـــم وقالـوا * مِلْ إلينا بسرعةٍ ثُمَّ مالُـــوا
عنهُ إذ حَلَّ في فناهـــم فحالـوا * بينَهُ والفراتِ ثم استطـــالوا
آه واحسرتا لرزءِ الحسينِ

وعدوا النصرَ ثُمَّ خانُوا عهـــودا * أوثقوا عقدَها وصادوا أُســـودا
بذلوا دونَهُ النفوسَ سعـــودا * حيثما شاهدوا الجنانَ شُهـــودا
آه واحسرتا لرزءِ الحسينِ

غابَ فتيانُ أهلِهِ والكهـــولُ * فغدا السبطُ يشتكـــي ويقـــولُ
ولهُ مَدْمَعٌ عليهـــم هَمُـــولُ * هل بقي مَنْ يعينُ يـا قومُ قولـوا
آه واحسرتا لرزءِ الحسينِ

لستُ أنسى الحسينَ فرداً وحيـــدا * ورضيعاً لهُ سعيـــداً مجيـــداً
قصـــدوا بالنضالِ منـــهُ وريدا * وسقوه الرَّدى فأضحـى شهيـــدا
آه واحسرتا لرزءِ الحسينِ

وما ألطف قوله :

معاشرَ إخواني سلامٌ عليكـــــــم * لقد دمعَتْ عيناىَ شوقاً إليكُـــم
ولا غرَو إنْ جسمي ثوى أرضَ غربةٍ * فروحي وقلبي ثاويانَ لديكُـــم

ومن مقاطيعه البديعة قوله :

عـلا هلالي علـــى تـــــلال * فضاءَ منـــــهُ فضاء مَهْمَـــــهْ
فقيل : نورٌ فقلـــــــت : نـــورٌ * وقيل : نجمٌ فقلـت : مَهْ مَـــهْ

اهـ.

محمدُ بنُ أحمد بنِ قاسم بن محمدٍ ساسي البوني

التميمي المسيتي من علماء بونه وصلحائها وأحد فضلائها الأعيان .

أخذ عن أبيه علامة وقته سيدي أحمد بن قاسم البوني ، ولكن لم نقف له على أثر من المؤلفات ، وسيدي قاسم جده قد سارت بعلومه الركبان ، وضربت إليه أكباد إبل الطلب .

ولـولـده أحمـد مؤلفـات حافلة جليلة ، أخـذ عن الإمـام الشاوي ، والعلامة الخرشي ، والشيخ الأجهوري ، والإمام عبد الباقي الزرقاني وغيرهم ، وتخرج عليه كثير من العلماء الأعيان منهم العلامة الشيخ عبد القادر الراشدي القسنطيني صاحب المعقول والمنقول ، وكان إليه المرجع في الفتوى ، وعليه المعول في حل المسائل العويصة ، وتوفي بعد عام ١١١٦ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وقد عنَّ لنا أن نأتي على مؤلفات سيدي أحمد البوني تبركاً بآثاره ، واعتمدنا في أخذها على رسالة « التعريف بما للفقير من التآليف » منها :

شرح المختصر الخليلي ، جمع فيه زبدة الخرشي ، والأجهوري ، والتتائي ، وبهرام ، والمواق ، والحطاب ، والزرقاني ، وغيرهم وانتهى فيه إلى الأذان وسماه : فتح الأغلاق على وجوه مسائل مختصر خليل ابن إسحاق : وشرح آخر أخصر من التتائي الصغير ، يصاحب الفقيه حضراً وسفراً .

[٨٩] ونظم قواعد الإسلام .

وعقيدة صغيرة .

ونظم عقيدة السنوسي السادسة ، وهي عقيدة مجهولة عند الكثير من الناس ، وشرحها صاحبه العلامة سيدي عبد الرحمن الجامعي ، قيل : إن الشيخ السنوسي وضعها للنسوان والصبيان .

ونظم عقائد النسفي .

ونظم الخصائص الكبرى للسيوطي في نحو ثمان مئة بيت .

ونظم أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ذكرها صاحب الدلائل .

ونظم أسمائه أيضا صلى الله عليه وسلم التي شرحها الرصاع .

ونظم السيرة المحمدية .

ونظم شُعب الإيمان .

ونظم تراجم كتاب الشمائل للترمذي .

ونظم كتب البخاري .

ونظم مشتمل على سنده في الفقه .

ونظم أخلاق الصوفية التي حواها كتاب « تنبيه المغترين » للشعراني .

ونظم الأجرومية في تسعين بيتاً . وشرح عليه لم يكمل ، وصل فيه للنائب

عن الفاعل .

وتحفة الأريب بأشرف غريب ، اختصر فيه غريب العزيزي للقرآن العظيم .

وتعجيز التصدير وتصدير التعجيز للبردة . وآخر قريب منه لم يكمل .

ونظم فصول مختصر خليل مما ثلاً به نظم الأجهوري .

ونظمان في الوقت .

وإعلام أرباب القريحة بالأدوية الصحيحة في الطب .

ومختصر في الطب أيضا لتذكرة داود .

وآخر مثله سماه : إتحاف الألبا بأدوية الأطباء .

وإتحاف النجبا بمواعظ الخطباء .

وتنوير الحجا بأسرار الحجا ، جمع فيه أزيد من مئة لغز ، جارى به شيخه
[٩٠] سيدي بركات بن باديس القسنطيني شارح الألفية وغيرها .

ونظم جامع لآداب الدعاء وشروطه وأركانه وأوقاته وغير ذلك .

ورسالة مسماة بقطع النخاع من أهل الابتداع ، لم تكمل .

وإعلام الأحبار بغرائب الأخبار .

ورسالة مسماة : إظهار القوة بأحكام الباب والكوه .

ورسالة مسماة الغوثية بأحكام بعض المسائل اللوثية .

ورسالة رفع الجلباب عن آيتي الارجاب والاغتياب .

ونظم اشتمل على واقع مراد باي التونسي مع عسكر الجزائر ، وما جرى بينهما من الحروب .

ونظم عقيدة الرسالة لابن أبي زند القيرواني .

ونظم آخر في فرائضها .

ونظم فرائض المختصر ، لم يكمل .

ونظم القطر لابن هشام لم يكمل .

والفتح المولوي بشرح ألفاظ حزب النووي ، نظمه في حياة والده ، وبسببه مدحه بقصيدة شيخه العلامة الولي سيدي يوسف بن محمد فكيهات الأندلسى صاحب نظم الشذور.

وكتاب اللمحة البارقة السنية بذكر السيرة المحمدية ، على نمط تنبيه الأنام .

وفتح المعين بذكر مشاهر النحاة واللغويين .

وكتاب روضة الأزهار ونفحة الأسحار في الصلاة على النبي المختار على نمط تنبيه الأنام ، وفيه مقدمة وخاتمه .

وزاد المسير إلى دار المصير .

وأنس النفوس بفوائد القاموس ، فيه أكثر من ألف فائدة في فنون شتى .

وإظهار بعض نفائس ادخاري المهيآت لختم البخاري .

وإكرام من أحبني أو قلاني .

والتحقيق في أصل التعليق ، أي الكائن في البخاري .

وفتح الباري بشرح غريب الإمام البخاري .

والإلهام والانتباه في رفع الإيهام والاشتباه ، أي الكائنين في البخاري .

والثمار المهتصرة في مناقب العشرة .

وفتح الشبيك عن مسألة لبيك .

والإعانة على بعض مسائل الحضانة .

ورفع العنا عن طالب الغنا ، لم يكمل .

وشرح لامية ابن مالك ، لم يكمل .

والرحلة الحجازية ، لم تكمل أيضاً .

واختصار شرح الشهاب الخفاجي على الشفا ، لم يكمل .

وديوان الموارد والمشاهد التي منَّ الله تعالى بها على السيد الوالد لم يكمل .

[٩١] ومجموع في السماع ، لم يكمل .

وشرح عقيدة الوالد ، لم يكمل .

وديوان شعر ، لم يكمل .

واختصار العلوم الفاخرة للثعالبي ، لم يكمل .

وفتح القادر في بيان الطريق للمريد .

وتشنيف الآذان بفضائل الأذان .

ورفع الشأن لأهل الأذان . .

وتأييد أهل الاستقامة بمعنى غريب كتاب الأذان والإقامة .

وإرشاد الزمر لمعنى قوله تعالى : ﴿ لا الشَّمسُ ينبغي لها أنْ تُدرِكَ القَمَرَ ﴾ .

والظل الوريف في الحث على العلم الشريف .

وغبار نعال أهل الله تعالى .

وإلهام السعدا لما يبلغ لمراتب الشهدا .

واتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن .

وحث الوراد على حب الأوراد ، مشتملاً على ثمانية كتب .

أولها : تلقيح الفكر بفضائل الذكر .

وثانيها : ابتهاج الأفكار بمسائل الأذكار .

وثالثها : اليواقيت المنشورة في أسانيد الكتب المأثورة .

ورابعها : رفع الاشتباه عن حديث الانتباه .

وخامساً ملء المعى بأحكام الدعا .

وسادسها : أنفع العطر بذكر الخضر .

وسابعها : مورد الصفا في فضائل الصلاة على المصطفى .

وثامنها : الكنز المختبى في الصلاة على النبي المجتبى .

وكتاب الترياق الفاروق لقراء وظيفة الشيخ زروق ، لم يكمل .

وتنوير السريرة بذكر أعظم سيرة .

وطرز الخمائل في الشمائل .

ونور الشمعة المذهب لظلام أهل الرياء والسمعة في بعض مسائل الحجر والشفعة .

وله نظم يسمى : فتح القريب بأشرف غريب .

[٩٢] وحاشية على كتابه روضة الأزهار سماها : التحرير لمعاني الأحاديث المأخوذة من الجامع الصغير .

وكتاب الجود بجواب أسئلة الوجود .

والدرة المكنونة في علماء بونه .

والياقوتة المصونة في صلحاء بونه ، نحو ألفي بيت ، والاولى ألفية فقط .

ونظم صغرى السنوسي .

وكنز النفوس الشائقات لنظم الورقات .

والياقوتتان الكبرى والصغرى في التوحيد ، ضاهى بهما جوهرة اللقاني ، والدجنة للمقّري .

ونظم تحفة الفكر لابن حجر في المصطلح .

ونظم الذخر الأسنى بذكر أسماء الله الحسنى .

وشذا الروانيد بذكر بعض من لهم الأسانيد .

وفتح الكريم الأكرم بذكر الأقوال في اسم الله الأعظم .

ونظم فتح رب البرية بذكر رجال الرسالة القشيرية .

والتيجان المكلله بدرر فصول التعوذ والبسمله .

ورفع الذيل عن بعض فضائل قيام الليل .

والفتح القدسي بتفسير آية الكرسي ، لم يكمل .

وفتح الرقيب بمدح آثار الصالحين وبعض آداب النقيب .

والسحر الحلال بما استدرك من خصوصيات الجمعة وليلتها عن ابن القيم والجلال .

والكواكب النيرات المعلقة على دلائل الخيرات .

والنكت الزاهرة المجتلبة من تاريخ مصر والقاهرة ، لم يكمل .

ونعم الحركة في اختصار كتاب البركة .

ونهاية الآمال في فضائل الأعمال .

ونظم عقيدة ابن الحاجب .

وفتح القوي المعين بإرشاد المطالعين لشرح الأربعين .

وإعلام القوم بفضائل الصوم .

والفتوحات الكونية بشرح الأربعين البونية ، وهو الشرح الكبير .

والصغير هو الذي سماه : فتح القوي المعين .

وفتح رب السما بذكر فضائل العلماء .

ونظم في التوسل بسور القرآن .

وتخميس على القصيدة المسماة : قرة العينين في مدح الصحيحين للقطب الغوث جده .

ونظم عقيدة الطحاوي يسمى بالنور الضاوي .

[٩٣] والنفحة المسكية في نظم العقيدة السبكية .

وفتح المعيد بنظم عقيدة ابن دقيق العيد .

والمعارف الأنسية بنظم العقيدة القدسية للخمي ،

والفتح المتوالي بنظم عقيدة الغزالي .

والنفحات الصنبرية في نظم السيرة الطبرية .

والسراج بذكر بعض البعض من فضائل صاحب المعراج صلى الله عليه وسلم.

والنعم الكبرى بشرح شرح الصغرى ، لم يكمل .

وتليين القاسي من نظم الإمام الفاسي .

وإنارة الدجا بحسن الظن وأسباب الرجا .

والغرر في شرح الدرر .

وخلاصة العقائد للقاني والتواتي .

والمنهج المصنوع المبلغ للموضوع .

وطل السحابة في الصحابة .

ونظم رفع القدر بالتوسل بأهل بدر .

وإعلام الأقران بفضائل رمضان .

ونظم الجمان في مدح الشيخ سيدي عبد الرحمن .

ونظم عقيدة الإمام محيي الدين بن عربي

وتلقيح الأفكار بتنقيح الأذكار .

واختصار اليواقيت والجواهر للشيخ الشعراني .

ورفع الهوان عن بعض الإخوان المتوسلين بالقطب سيدي أبي مروان ، دفين بونه .

ونظم عقيدة سيدي أبي مدين ، دفين تلمسان .

ونظم صغرى صغرى السنوسي .

والجواهر المنظمة في عقد المقدمة .

واليواقيت المنضدة بنظم المرشد .

وإعانة المعاني بما للفظ العجز من المعاني .

والدر الأسما في التضرع لخالق أهل الأرض والسما .

وإعلام الأعلام بشفاء الآلام في مدح المصطفى عليه السلام .

[٩٤] وإرشاد المغرى لاختصار الصغرى .

ولباب اللباب في ذكر رب الأرباب .

وبدر الدجا في أحاديث الحرجا .

وتبشير القلوب بتكفير بعض الأعمال الصالحة كبار الذنوب .

والزهرات الوردية المنتشقة من القصيدة المولدية .

وتنوير قلوب أولي الصفا بذكر بعض شمائل الحبيب المصطفى .

وفتح المنان بذكر الخصال الموصلة إلى الجنان .

والمواهب القدسية بنظم الوغليسية .

وخير القرى بالياقوتة الكبرى .

وفتح الكريم الحي بنظم عقيدة الإمام ابن جزي .

والمنهج المبسوط في نظم عقيدة السيوطي ، فرغ منه انسلاخ شوال عام ١١٢٨ .

وتخميس أبيات الفرج وهي : يا مَنْ يرى ما في الضمير ويسمع الخ .

وكشف الران عن قلب قارىء قصيدة سور القرآن .

والجوهرة المضيه في نظم الرسالة القدسية ، أبياتها نحو ٧٧٥ .

ونظم المقاصد الدينية للإمام التفتزاني ، في نحو ألفي بيت إلا قليلاً .

وقصيدة أخرى رائية في مدح خير البرية .

ونظم عقيدة أبي منصور الماتريدي .

ونظم العقيدة الوسطى للسنوسي .

ونظم عقيدة سيدي عبد القادر الجيلاني .

ونظم عقيدة صاحب المستطرف المذكورة بأول كتابه .

ونظم عقيدة الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني .

ونظم عقيدة الإمام الراعي الأندلسي .

وكراسة التعريف بما للمؤلف من التآليف .

ورسالة قمع المرائي بنفع المرائي .

ونظم عقيدة سيدي أبي الحسن الشاذلي ، شارح الرسالة .

ونظم كتب الإمام مسلم ، صاحب الصحيح .

وعقيدة الإمام عز الدين ابن عبد السلام .

ونظم في منافع الثوم .

ونظم مختصر الشيخ خليل ، في نحو عشرة آلاف بيت .

ونظم كتاب الجامع للشيخ خليل في نحو ألف بيت .

ونظم التوسل بالقطب الجيلاني .

ونظم ترجمة الشيخ خليل .

ونظم عقيدة العقد .

ونظم يتعلق بالطعام والشراب والضيافة وغير ذلك ، في أكثر من ٢٠٠٠ بيت سماها : تبيين المسارب في ما يتعلق بالأكل والطب والمشارب . [٩٥]

ونظم غريب العزيزي في القرآن العظيم ، في نحو أربعة آلاف بيت .

ونظم عقيدة الإمام أبي عمران الحراني في نحو مئتي بيت .

ونظم عقيدة القطب الشعراني .

والتعريف ببلد سيدي أبي مروان الشريف .

وكتاب في فضائل الرباط سماه : التيسير في فضل الأجر الكثير **بالعمل** اليسير .

وآخر نظماً ونثراً سماه : إعلام الزهدا بعدد الشُّهدا ، ونظم في اسناده لخمسة وعشرين تفسيراً .

ونظم في الاختلاف في البسملة وأنها آية من كل سورة أم لا .

ونظم لغريب القرآن للإمام الجليل ابن عباس .

ونظم غريب القرآن للإمام ابن جزي .

ونظم عقيدتين .

وله غير ذلك من الطرر في علم الكلام والحديث والفقه تناهز الآلاف رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته آمين .

ومن أشهر علماء بونه (عنابة) الشيخ أحمد بن علي البوني صاحب « شمس المعارف ولطائف العوارف » المتوفى سنة ٦٢٢ كما في « كشف الظنون » .

محمد الصالح بنُ سليمان العيسوي الزواوي

العلامة الأستاذ محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن محمد بن أبي القاسم الطالب الرحموني نسبة إلى أولاد رحمون ، من شرفاء العش في بلد امشدالة .

وجد بخطه أنه قرأ وأجيز في جامع الزيتونة بتونس ، ولما رجع منها اشتغل بالتدريس في جبل بني عيسى ، واستدعاه الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري ، وقدم إليه واشتغل عنده في جبل جرجرة بالتدريس ، ونفع الخلق بالعلوم إلى أن توفي سنة ١٢٤٢ عن نحو ٩٠ سنة ، ودفن بداخل الروضة الأزهرية الرحمانية إزاء الشيخ محمد بن عبد الرحمن .

وتآليفه كثيرة منها : « ميزان اللباب في قواعد البناء والإعراب » و« الدليل على الأجرومية» ، وشرح على الأزهرية ، وحاشية على شرح الصغرى لمؤلفها سماها « المحتاج في شرح معاني السراج » للأخضري ، و« رياض السعود في ما لله من العجائب والحدود » وشرح البردة للبوصيري ، وشرح السُّلَّم . [٩٦]

ومن تلامذته ولده الشيخ أحمد الطيب بن محمد الصالح أجازه إجازة عامة مطلقة ، وتآليفه كثيرة أيضاً منها : نظم في عقائد التوحيد سماه « بالدرة المكنونة » كما أشار إليه بقوله :

هذا وإنـــــي لمـــا نظمتُهـا * بدُرَّةٍ مكنـــونةٍ لقَّبتُهـــا

وله شرح على أم البراهين سماه « تكملة الفوائد في تحرير العقائد » ومنظومة في أحكام الفتوى ، تقرب أبياتها من الألفين سماها « مفتاح الأحكام » وشرحها « بتذكرة الحكام » ومنظومة أخرى سماها « نصرة الإخوان في إحجاج الفقهاء بالبرهان » ونظم في علم الفرائض قال فيه :

سمَّيتُه بمنهـــــجِ الوصـــولِ * إلى ما في الارثِ مِنَ الأُصـــولِ

وشرح الأجرومية سماه « مفيد الطلبة » وله تأليف في أحكام الفتوى أيضاً سماه « القرة العصرية » .

وتوفي رحمه الله زوال الثلاثاء سابع شوال سنة ١٢٥١ .

شيخُنا سيدي محمدٌ الصديق الديسي

محمد الصديق بن أحمد بن سليمان بن أبي العدل ..... ابن رحمون ابن بالقاسم بن محمد بن إبراهيم الغول ، الديسي منشأً وداراً ووفاة .

أخذ رحمه الله الفقه على القطب سيدي أحمد بن أبي داود شيخ زاوية تاسلينت في يلولة زواوة بدائرة اقبو، ولازم الشيخ المازري بن يطو بن أبي القاسم جدي لأم ، وأخذ عنه النحو بألفية ابن مالك ، والأصول بمحلي « جمع الجوامع » لابن السبكي ، والحديث بالقسطلاني على البخاري ، والفقه بالشبرخيتي على مختصر خليل ، والتفسير بالبيضاوي وكان الشيخ المازري إمام

جامع قرية الديس . ولما عجز لكبر سنه تولى الشيخ محمد الصديق إمامته إلى أن توفي رحمه الله عام ١٣٠٦ عن ثلاث وستين سنة قضاها في عبادة الله تعالى . وقراءة دلائل الخيرات ، ومطالعة البيضاوي والقسطلاني ، وأخيراً لازم « الإبريز » في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه للقطب سيدي أحمد بن المبارك إمام المعقول والمنقول ، نفعنا الله ببركاتهم . حكى لي سيدي محمد الصديق أنه سمع أباه يقول وقد سأله أحد بعد الصلاة : ما يُضحكك يا سيدي ؟ فأجابه بقوله : إنه لما توفي محمد الصديق الأكبر أتاني آت وقال لي : لا تموت حتى تصلي وراء محمد الصديق ، والان قد صليت وراءه وقرب أجلي ، فلم يزد إلا قليلاً وتوفي رحمه الله .

وحكى لي أنه يبقي في الإمامة أربعين سنة ، لأن سيدي عبد الله بن مرزوق الولي المعروف في الديس أصبح ذات يوم عند الباب متكئاً على عكازه ، وهو شيخ هَرِم وخاطب والدي بقوله : يا أحمد بن سليمان البارحة اجتمع أهل الديوان [٩٧] لنصب إمام في الجامع ، فاتفقوا على ولدك المرسي (هو حي الآن) ، وإذا بأكبرهم منزلة قال لهم : ارفعوا أيديكم وأمِّنوا على ولاية محمد الصديق إمامة جامع أبي القاسم بن محمد بن إبراهيم فأمَّنوا وقُضي الأمر اهـ.

وكان يقول لي : إنني متوسد للموت من منذ عامين ، ولعلني لا أزيد الثالث ، وكان الأمر كذلك .

وكنا ذات يوم بخارج الديس مع جماعة فيها المرحوم إبراهيم بن المسعود وأبوه المسعود بن الفضيل في بيت المغوفل بن ابن عمر لحضور وليمة العقيقة ، وبعد تناول الطعام خرجنا وذهب بي الشيخ ناحية ، ومشينا بعيداً غربي الجبانة الظهراوية ، وصلينا المغرب في بقعة بازائها طيبة ، وبعد السلام والدعاء قال لي : ما أحسن هذا المحل للإقبار ، فسكت ، ولما توفي وكنتُ في الجزائر دفنوه في ذلك المحل نفسه ، برد الله ضريحه وقدس روحه .

مات عن زوجة هي أختي فاطمة وبناتها وولدها منه محمد بن الصديق المتوفى في صيف السنة الماضية سنة ١٣٢٥ في عنفوان شبابه ، وقد حرر العلوم العربية على الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الديسي ، وكان له ذهن وقاد وقريحة في طلب العلم لم تكن لأبناء عصره في بلده ، وله أخ من أبيه هو الموجود اليوم إماماً في جامع الديس اسمه عبد الله بن الصديق ، وهو رجل صالح ذو فقه كاف ومعرفة صالحة ، أطال الله بقاءه آمين .

محمدُ بنُ عبدِ الباقي

أبو محمدُ بنُ الشيخِ بنِ أبي القاسم الديسي

هو الأخ الصالح الألمعي الفقيه الجامع بين حسن الخلق والخَلق ، كان فهامة نبيلاً صموتاً مجانباً لأقرانه ، متنزهاً عن الرذائل ، شغوفا باكتساب الفضائل ، حتى إنه حمله طلب العلم مع ابن عمه محمد الشلالي بن أحمد بن بالقاسم ، قرينه المماثل له في السيرة وطيب السريرة وحفظ الكتاب العزيز على الرحيل إلى زاوية نفطة للتعلم على علمائها عند صهرهما سيدي مصطفى ابن عزوز زوج أختيهما ، وبعد سنوات جاء إلى والديهما خبر وفاتهما معاً رحمهما الله تعالى . وللأخ نثر مستحسن ، ونظم جيد منه أبيات جمع فيها شروط الحضانة ، وجدتُها بخطه أولها : [٩٨]

الحمدُ للّه العزيزِ العـــالـــمِ * سبحانَهُ عزَّ وجـــلَّ الدائـــمِ
ثُمَّ الصلاةُ بعدهـــا خيرُ ســلامْ * على النبيِّ الهاشِمي بدرِ التمـــامْ
والآلِ والصَّحبِ ذوي المناقـــبِ * ما طلعَتْ شمسٌ معَ الكواكـــبِ
وبعدُ هاكَ ضابطـــاً يـا مبتدي * فاعلمه يا أخي وكُنْ بي مقتـــدي

أول ما أتانـــــا في المســـــوغ * حضانةُ الذُّكرانِ للبلـــــوغِ
شروطُهـــــا تسعٌ على الصحيحِ * لا غيرها وقع في الترجيـــــحِ

وآخرها :

هذا الذي نظمَـــــهُ محمـــــدُ * المرتجي مِن ربِّـــهِ ما يحمَـــدُ
نسبتُه الديسيُّ في البـــــلادِ * مِن نسلِ إبراهيمَ ذي الـــــرشادِ
ثُمَّ الصلاةُ والســـــلامُ كلَّ حيـــنْ * على نبيِّ الله تاجِ المرسليـــــن
وآلهِ وصحبـــــهِ ذوي الوفـــــا * الأولياءِ الأكرمينَ الخُلفـــــا

ولد رحمه الله في حدود سنة ١٢٥٥ هجرية ، وتوفي في حدود سنة ١٢٨٥ .

محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الإمام الجزائري

العالم العامل التقي السني العابد الزاهد الورع محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأمين .

كان رضي الله عنه ونفعنا ببركته إماماً في الجامع الكبير بالجزائر ، وانتقل من الإمامة إلى ضريح القطب سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، قدس الله سره ونور ضريحه ، وبقي فيه قيماً صالحاً إلى أن توفي وعمره ٧٣ سنة عام وفاة العلامة المفتي ابن الحفاف ، وهو عام ١٣٠٧ ، وكانت وفاة أبيه سيدي عبد الرحمن الإمام عام ١٢٩٣ بعد وفاة العلامة المفتي حميدة العمالي بثلاث سنوات إمام الجامع الكبير في الوقت الحاضر هو الشيخ قدور ، ولد صاحب الترجمة ، خلفاً لشيخنا البركة سيدي محمد القزادري رحمه الله ، وكان الشيخ القزادري ممن يضرب به المثل في الجزائر بالرزانة والعقل واتباع السلف الصالح ، ولما توفي أسف عليه الغريب والقريب لمكارم أخلاقه ولا سيما تلامذته في المدرسة

الثعالبية قبل تسميتها بهذا الاسم وتجديدها ، ومن تلامذته فيهـا العبد الفقير.

قرأت عليه فيها فقهاً نقياً مأخوذاً عن أطواده في مدينة الجزائر ، كما سمعت فيها من المرحوم سيدي علي العمالي نصيباً من نحو الآجرومية وأوائل الألفية ، لأن مدتي فيها لم تزد على شهرين أو ثلاثة ، وكان يؤنسني في ما يحكيه لي عن المتقدمين والمتأخرين من علماء الجزائر ، ومن جملة ما حكاه لي أن والده كان إماماً بجامع ركروك الذي كان في البازار الموجود الآن ، عند اتصال زقاق شارتر باخير نهج باب عزون ، ولما ختم فيه السنوسية دراية ، كان ممن حضر ختمه شيخاه بالكبابطي ومحمد بن الشاهد الصغير ، وبعد الفراغ من الختم قال له بالكبابطي : إني لفي سرور اليوم بأكلي ثمرة غرسي ودعا له بخير اهـ.

[٩٩] وحكى لي أن والده اجتمع في المدينة بالشيخ محمد بن عبد القادر المدني ، وسمعه يقول : مدحت شريف مكة سيدي محمد بن عون بقولي :

طب ابن عونٍ فلا تبرَحْ معيناً لَمَـــنْ * يرجو الندى منكَ ياذا الجودِ والكرمِ
محمدٌ خاتمٌ للرسلِ قاطبـــــــةً * وأنتَ جئتَ لختمِ الجودِ والكرمِ

هكذا يرويه سيدي علي العمالي ولا يبالى بما فيه ، ويقول قال المادح ، ولما سمعها مني الشيخ العطار المصري قال : الله أكبر إن الشعر أعذبُه أكذبُه ، وأنشد الراوي للشيخ العطار :

ولمّا رشفتُ الرِّيقَ منهـــا تمنَّعَـــتْ * وقالَتْ أما تخشـى وأنتَ إمـــامُ
أتزعُمُ أنَّ الرِّيقَ منِّي محلَّـــــــلٌ * وريقي مُدامٌ والمُدامُ حَـــــــرامُ

وحكى لي سيدي علي العمالي أن والده كان في الجامع الكبير يدرس مختصر السعد ، ولما كان في باب الفصل والوصل حضر الدرس أجنبي وراء القائمة المقابلة للشيخ ، وجعل يتقدم شيئاً فشيئاً إلى أن قرب منه منصتاً إليه باصغاء تام ، وبعد الدرس دخل مقصورة الشيخ إذ ذاك وسأله أن يذكر له المحل

الذي أخذ منه الجمع بين عبد الحكيم وغيره في مسألة من مسائل الباب ، فقال له الشيخ العمالي : هو مذكور قبل المسألة بثلاث أو أربع ورقات ، ولما طالع الرجل بين يديه وجد الجمع سهلاً ، وكان من أصعب ما يكون عليه فقال له : كنت مع شيخي بسمرقند نحاول هذا الجمع ولم نجد له مسلكاً ، وإني أكاتبه اليوم لأخبره بأني وجدته في الجزائر ، وهذا الرجل هو العلامة سيدي عبد الرحمن النابلسي اهـ.

وحكى لي أن والده قرأ القرآن على سيدي عمر تلميذ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري ، وبوصية منه دفنه في عتبة الضريح قائلاً له : لأكون كذلك بين يدي شيخي بن عبد الرحمن بعد موتي .

ومن تلامذة العمالي العظام سيدي محمد بن عيسى مؤلف رسالة « الألماس » وغيرها ، وأحد كتاب الوزارة التونسية في حياته وذكر الثقات أن سيدي محمد ابن عيسى هذا كان ملازماً لثلاثة كتب : المصحف ، و « الإبريز » في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ ، و« دلائل الخيرات » والحق أن رسائله تدل على أنه في طبقة عليا من الفهم والعلم .

ومن تلامذة العمالي سيدي علي بن عبد الرحمن مفتي وهران المتوفى سنة
[١٠٠] ١٣٢٥ الماضية ، وهو من أصحاب « الفتوحات المكية » وجواهر المعاني ، حضرنا مجلسه مراراً فسمعنا منه ما رقَّ وراق ، مما خلت منه الأوراق وتشتاقه الأذواق ، والفضل في ذلك كله للمحب المحبوب سيدي علي بن الحداد ، متعه الله بطيب الحياة وطولها وقر عينه بولده العزيز .

ومن تلامذة العمالي سيدي علي بن الفخار مفتي المدينة ، وسيدي محمد القزادري ، وسيدي حسن بريهمات ، وسيدي محمد بن العطار إمام سيدي رمضان في حياته ، وسيدي محمد بن عبد المؤمن ، وسيدي محمد بن زاكور

قال : وللشيخ العمالي فتاوى مجموعة ومحاورات فقهية تزيد مسائلها على الثلاث مئة ، وقعت بينه وبين سيدي محمد بن سيدي علي مبارك الولي المشهور ، دفين القليعة ، وله رسالة في ترتيب محاكم القضاء وأخرى في أحكام مياه البادية ، وكان يجري على لسانه قبل وفاته بأيام قول القائل :

سيفقِدُني قومي إذا جنَّ ليلُهـــــم * وفي الليلةِ الظَّلماءِ يُفتقَدُ البـــدرُ

كان الشيخ العمالي خلوتي الطريقة رحمانيها ، أخذها عن أبيه عن سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري ، ودفن قرب الخروبة التي كان تحتها مجلس سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، والتقى عندها بصاحب الصغرى سيدي محمد بن يوسف السنوسي ، وأخيه سيدي علي التالوتي ، رضي الله عنهم وجمعنا بهم في دار السلام ، بفضل الله الملك العلام آمين .

ولد الشيخ العمالي سنة ١٢٢٧ ، وتولى الفتوى سنة ١٢٧٣ ، وتوفي سنة ١٢٩٠ ، ولما كانت الترجمة للشيخ محمد بن عبد الرحمن المشهور بالإمام فالأنسب أن نختمها بأبيات له ، نقلتها من خطه مادحاً بها محكمة القضاء المالكي الملاصقة للجامع الكبير في الجزائر ، لما تمَّ بناؤها في ربيع الثاني عام ١٢٦٦ ، وتولى قضاءها الشيخ العمالي ، وهي قوله :

أحسنْ بمحكمـــــة قد راقَ منظرُها * أبدَتْ محاسنَها شُكراً لباريهـــا
يحقُّ حسنُ الثنا للآمرينَ بهـــــا * معَ الذينَ سَعَوا كذا كَ بانيهـــــا
للحُكمِ قد نُصِبَتْ أركانُها رُفعَـــتْ * لِشرْعَةِ المصطفى اللهُ يُبقيهـــا
لا تعجَبَنَّ أما يكفيكَ نسبتُهـــــا * لمالكٍ شُيِّدَتْ لـــهُ نواحيهـــا
وحالُها نطقَتْ في الحينِ مُفصحَـــةً * بالبشْرِ ضاحكةً تزهـــو لرائيهـا
يا قاصداً رَبْعَها لا تخشَ مَضيعَـــةً * اللهُ للحقِّ يهدي كُلَّ مَنْ فيهـــا

محمدُ بنُ عليٍّ الشريفُ الجعدي

الرضي الأرضي العالم العامل الحسيب سيدي محمد بن علي ، بهذا حلاه القطب سيدي محمد بن عبدالله بنِ مؤمن الرماصي (بضم الميم) في إجازته إياه في ما قرأه عليه ، وهو الألفية بالمرادي ، وجمل المجرادي ، والصغرى السنوسية بشرح مؤلفها قراءة بحث وتدقيق ، وحاشية الرماصي عليها ، وبعض من صحيح البخاري .

[١٠١] وقال فيها : أجزته في جميع مروياتي وفي ما أجازني فيه أشياخي ، منهم باللسان ومنهم بالبنان ، من توحيد وفقه وحديث ونحو ولغة وبيان ومعان ومنطق وقراءات ، قال : وأكثر قراءتي في العقائد السنوسية على الشيخ المحقق الولي الصالح سيدي محمد بن علي بن الخروبي القلعي ، وأما البخاري فأخذته عن سيدي محمد بن الشارف المازوني ، وبعضه عن سيدي عبد الرحمن أبي زيد الراشدي الخ .

وفي كتابة أخرى ما نصه : وبعد فيقول عبيد الله سبحانه وتعالى محمد بن عبد الله بن مؤمن الرماصي قد طلب مني ولدي سيدي محمد بن علي الدخول في سلسلتنا في العبادة وأخذ الخرقة ، فأسعفته لذلك وإن كنت لست أهلاً هنالك إسعافاً لرغبته ، وباب الله مفتوح لجميع خلقه ، وإن كان لا يقرع بابه إلا مَن كان أهلا له ، فمن يُرجى سواه وحاشاه أن يحرم راجيه أو يخيب وافيه ، وقد أخذت هذه الطريقة عن الشيخ القطب الرباني سيدي محمد الصحراوي ، نزيل قلعة مأمون ببلاد منداس ، وقد قال لي : أخفيت القطبانية عشرين سنة إلى أن أذن لي في إظهارها ، وقال لي أيضاً النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنت قطب الأقطاب ، وأنت في درجة عبد القادر الجيلاني ، إلا أن عبد القادر فوقك

بنفسين . هكذا سمعت منه مشافهة رضي الله عنه ونفعنا ببركاته ، فعلى ولدنا المذكور إدمان قرع باب مولاه ، ويستعين على ذلك به ويواظب على ذكره باللسان والجنان . ويقول دبر كل صلاة أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه مئة مرة ، ثم يقول : القادر الفتاح الغني الكافي هكذا مئة مرة ، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم خمس مئة مرة بأن يقول : اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، وإن كان في شغل يقضي ورده ، ويواظب على صوم الخميس والاثنين ، ويصلي الضحى أربع ركعات ، ويجعل ورده من الليل ستة أحزاب ، والله المعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقال في موضع آخر : ومما أخذه محمد بن علي الشريف عن الولي الرباني العارف بالله تعالى سيدي محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم أني طلبت منه التلقين فقال لي : اشتغل بالعلم في هذه الساعة ، فاشتكيت له بكثرة الخواطر
[١٠٢] فقال لي : آذن لك في ما يرفع عنك ذلك وهو : اللهم إني أستغفرك يا سيدي مولاي وأتوب إليك من جميع الكبائر والصغائر وهفوات الخواطر. من غير حدّ بعدد ومن غير تقييد بوقت ، سمعته من فيه ، ومما سمعته منه قوله صلى الله عليه وسلم : « لو سَلَكَ المؤمنُ جُحْرَ ضَبٍّ لقيض لهُ مَنْ يُؤذيه فيهِ » ومما سمعته هذه الصفة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي : اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله عدد أنعم الله الكريم وأفضاله ، الواحدة بعشرة الآف ، ومما أخذته عنه لرفع الوسواس . سبحان الملك الخلاق الفعال (إن يشأ يُذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) وقال لي : كذا أخذته عن والدي سيدي عبد الرحمن بن إبراهيم ، نفعنا الله بالجميع آمين ، وذلك عام ١١١٦ اهـ.

وفي مواضع أخر يقول كاتبه محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن ، الشريف نسباً ، الجعدي وطناً ، من عمالة الجزائر حرسها الله : لما ارتحلت إلى فاس بقصد القراءة تفضل الله علي بالاجتماع بالبركة الشاملة العارف بالله تعالى سيدي محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، فطلبت منه الأخذ عنه فأجابني إلى ذلك ، وناولني فهرسته التي سماها « المنح البادية » فقرأتها كلها وحدي ، ثم طلبت منه الإجازة بجميع ما فيها فأجازني بجميع ما فيها ،وأجازني أن أجيز بجميع ما فيها ، ثم تفضل علي بأن سمعت منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية بقراءته هو، وأنا أسمع وسمعت منه حديث الضيافة ، وأضافني على الأسودين ، ولقنني وشابكني وناولني السبحة ، وصافحني وألبسني الخرقة ، ثم ناولني أوائل الكتب الستة ، فقرأتها عليه وهو يسمع ، ثم أول « الموطأ » ، والجل من « جامع الترمذي » والكثير من « سنن ابن ماجة » و« مسند الدارمي » و« مفتاح الشفا » لوالده حاذى به « الشفا » للقاضي عياض ، وهو كتاب جليل احتوى على علم غزير وفوائد كثيرة من تاريخ وحديث وتصوف وفقه وأدب ومن نحو وبيان وأصول ومنطق ، وكذا قرأت عليه أيضا المقالة المنسوبة لسيدي عبد الرحمن الثعالبي إلى أن قال : وكتب عند ضريحي الشيخين العارفين بالله سيدي يوسف وأخيه سيدي عبد الرحمن الفاسيين ، وذلك يوم الأربعاء ١٢ من شوال عام ١١٣٣ ، عرفنا الله خيره ووقانا ضيره آمين ، والحمد لله رب العالمين اهـ. من خطه رحمه الله ونفعنا به آمين اهـ. من أوراق قديمة بعثها لي الشيخ المختار ابن محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي .

ومن جملة المذكورين فيها بالخط المذكور الفقيه أبو عبد الله محمد العيد ابن محمد الغجالي منشأ ، القسنطيني وطناً ، المالكي مذهباً ، الأشعري اعتقاداً ، القادري خرقة ، الشاذلي طريقة ، أبقاه الله ، ورد على الجزائر أواخر شوال من عام ١١٤٣ برسم زيارة علمائها وصلحائها وقضاء بعض مآربه الدنيوية ،

وقد اجتمعت به فألفيته أخذ من الفقه طرفاً ، وتبوأ من التوحيد غرفاً ، وحاز في مكنون طباعه نباهة وظرفاً ، ونال بعلو همته وصيانته شرفاً ، حلو
[١٠٣] المحادثة والسمر ، طرفة الجماعات والزمر ، مصفى السريرة ، موصوف بالانبساط والعين القريرة ، أخبرني أنه لم يقرأ غير ذينك العلمين ، وحاله يشهد بذلك من غير شك ولامَيْن ، رحل برسم الحج إلى مصر ، فاجتمع فيها مع بعض من أهل الإغاثة والنصر ، فأجازوه في الفقه المالكي وفي الأحزاب الشاذلية ودلائل الخيرات ، وممن أجازه في بعض ذلك شيخ بعض شيوخنا القطب الرباني سيدي محمد العربي التلمساني نزيل مصر لهذا العهد ، أبقاه الله وأفاض علينا من شوارق أنواره آمين اهـ.

وبعدها إجازته لسيدي محمد العيد المذكور قال فيها حاكياً عن نفسه : وقد تلقى العبد الفقير المعترف بغاية العجز والتقصير محمد العربي التلمساني دلائل الخيرات عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهذه نعمة عظيمة من أكبر النعم ، فوجب لله علينا الحمد والشكر ، ونسأله سبحانه أن يتمـــم اهـ. وفي أخيرها وكتب عن إذن الشيخ المجيز بتاريخ أوائل ربيع الأول من سنة ١١٣٢ من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، وعلى آله وصحبه أفضل البرية .

محمدُ بنُ عليٍّ الشريفُ الزواوي
صاحب شلاطة

الفاضل المحترم الظريف السيد محمد السعيد بن علي الشريف .

ولد رحمه الله عام ١٢٣٨ (سنة ١٨٢٠ مسيحية) في يلولة من بلاد زواوة ، وهو من نسل الصالحين الذين جاءوا من المغرب واستوطنوا بلاد القبائل ما بين

القرن السادس والقرن الثاني عشر، وجده الأعلى الشريف سيدي موسى (أو علي) ، وينتهى نسبه إلى سيدي أبي محمد عبد السلام بن مشيش بن منصور ابن إبراهيم الحسني .

وكان الشريف سيدي موسى فارق مسقط رأسه في صغره ، وأقام في يلولة وتزوج فيها بصالحة ابنة صالح هناك ، وبعد مدة أحدث زاوية شلاطة المعروفة حتى الآن بهذا الاسم ، وهي زاوية مقصودة لقراءكتاب الله عز وجل ، يأتونها من كل فج عميق ، كما أن طلاب الفقه يقصدون زاوية ابن أبي داود
[١٠٤] في تاسلينت ، والذي في علمي أن من لم يقرأ القرآن في شلاطة . ولم يتعلم الفقه في تاسلينت ، ولو قرأ وتعلم في غيرهما يُعتبر عند المحبين ناقصَ السر . والدليل على هذا أن الناس إذا أرادوا تعظيم طالب أو فقيه نسبوه إلى إحدى الزاويتين ، أما زاوية تاسلينت فقد تقدم الكلام عليها ، وأما زاوية شلاطة فيكفي من الكلام عليها أنها زاوية ابن علي الشريف الذي ورثه في الظاهر والباطن ولده سيدي محمد السعيد رحمه الله ، المتوفى يوم ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣١٤ .

وكانت له محبة في الوالد رضي الله عنه ، وبينهما مخالطات ومكاتبات ، يلتمسان فيها من بعضهما الدعاء الصالح ، وكان الشيخ سيدي محمد السعيد من أصحاب النفوذ البليغ والجاه العظيم في قبائل زواوة وما يليها ، ومن أهل الاحترام والاعتبار عند الدولة الفرنسوية ، وله محبة في العلماء والطلبة وخلف ولداً مشتغلاً وخصوصاً بعمارة زاوية آبائه ، وهو السيد الشريف بن علي الشريف ، أطال الله عمره في ما يرضيه آمين . هذا ما تيسر لي العلم به بعد أن تمسكت بكثير من ذوي المعرفة بالزاوية وأصهارها ، فلم أستفد منهم إلا الوعد ولم أجد بداً من الرجوع إلى ما أعلم .

سيدي محمد العمالي

العمالي نسبة إلى جبل عمال من قرية فيه ، بينها وبين الجزائر مسافة قليلة ، وكان من الصالحين وله محبة شديدة في الشيخ الأكبر سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري ، رضي الله عنه ، وكان من النفر الذين حملوه خفية في ليلة واحدة من زاويته إلى مقامه في الجزائر بعد أن دفن فيها ، قدس الله سره ، وكفى أنه من خواص هذا القطب الأعظم ، ومن مقاديمه المحبوبين الذين عمتهم بركته ، فكان من أولاده الشيخ حميدة العمالي ، وولد ولده سيدي علي العمالي رحمهم الله ، وقد ترجمتهما معاً جريدة « كوكب افريقية » الغراء التي مديرها الشيخ فونتانة صاحب المطبعة الكبرى في افريقية ، ومحلها الجزائر ، ومحررها العلامة محمود كحول القسنطيني ، أدام الله وجوده بقولها :

هو الباقي

فالموتُ نقَّـــــادٌ على كفِّـــــهِ ٭ جواهرُ يَختارُ منهـــــا الحســـان

استأثرت رحمة الله منذ أسبوع بالشيخ الفقيه المشارك أبي الحسن السيد علي العمالي المدرس بالمدرسة الثعالبية في الجزائر ، والإمام بالجامع الأعظم بعد أن أمضى معظم عمره في الانكباب على العلوم والإقراء والإفادة والاستفادة .

كان رحمه الله لطيف المسامرة حلو المحاضرة ، عاكفاً على تدريس التصريف بشرح الزنجي ، وعلم الكلام بمتن الجوهرة ، والعقائد السنوسية ، ولد كما [١٠٥] وجد بخط والده عليه رحمة الله ضحوة يوم الاثنين بالساعة الحادية عشر من شهر رجب ، وهو اليوم الحادي عشر من الشهر المذكور من سنة ١٢٦٦ ، وفي

يوم الأربعاء الحادي عشر من ذي القعدة سنة ١٢٧٤ ختم البقرة ، وفي محرم سنة اثنتين وثمانين حفظ القرآن واشتغل بقراءة العلم ، وتوفي صيف هذه السنة (١٣٢٦) .

أسف لنعيه سكان الجزائر عموماً ، فهرعوا لتشييع جنازته زرافات ووحداناً ، وكان مشهده مهيباً جداً مشى فيه أهل العلم ورجال الفضل والمجد ، وأعيان الجزائر ، وأساتذة المدرسة الثعالبية ، وحضره مديرها من منزله بحسين داي إلى مقبرة ضريح الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، فدفن بمقبرة أسلافه الأكرمين ، ورجع المشيعون يذكرون مآثره ويثنون على غُرِّ شمائله ، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته ، ورزق أولاده وآله عظيمَ الصبر والأجر.

وله ولد طيب السيرة والسريرة ، جميل الخلق والخلق ، ملازم للجامع الأعظم في الجزائر اسمه محمد ، ولولده هذا أولاد أحيا الله ذكر والديهم ، وحفظهم من صروف الزمان وظروفه آمين .

وإفادة للعموم نأتي على ترجمة والده بتصرف نقلاً عن الرحلة المسماة « ذخيرة الأواخر والأول» تأليف الشيخ أبي محمد سيدي العربي بن علي المشرفي الحسني في حال مروره بالجزائر سنة ١٢٩٤ فنقول : السيد الجليل العالم النبيل ، فريد العصر ووحيد المصر في علم المعقول والمنقول ، الشيخ حميدة ابن محمد العمالي ، جمع أشتات العلوم وأجاز وأجيز ، ونال ذلك بدعوة والده أيضاً ، لشهرة صلاحه وكونه من خاصة قطب الصلاح والفلاح ، سيدي محمد ابن عبد الرحمن الجرجري الأزهري .

ومن شيوخه العلامة مفتي الجزائر وشيخ جماعتها الشيخ سيدي محمد بن الشاهد ، والفقيه المحدث إمام الجامع الأعظم الشيخ سيدي العربي ، والشيخ

سيدي محمد بن الكاهية والشيخ سيدي مصطفى ابن الكبابطي ، والشيخ سيدي واعزيز القاضي .

ومن تلامذته العلامة الشيخ المدرس بمدرسة التعليم الرسمية السيد محمد
[١٠٦] القزادري ، وسيدي أحمد حفيد سيدي سعيد قدورة ، والسيد حسن ابريهمات شيخ المدرسة النظامية ، وسيدي محمد بن حمدان بن العطار ، وسيدي محمد ابن عيسى كاتب دار الإمارة بتونس ، وحصل له اجتماع في رحلته بحجة الإسلام سيدي عبد القادر بن يوسف القادري ، وله القلم البارع الذي يرعف الدرر ، ويواقيت الكلام والرسوخ في الفتاوى والأحكام ، واشتهر بالفتوى فكان إليه المفزع فيها .

ولديه إجازات من شيوخه في عدة علوم ولا سيما في علم الحديث ، وصحاح الكتب الستة ، و« موطأ » الإمام مالك ، فإجازة الصحاح الستة و« موطأ » مالك بسند مسلسل وقراءة بحث وتحقيق ، كل ذلك السند سماع ، وكل رجاله مالكيون وفقهاء مشهورون مصنفون قرطبيون ، أخذ هذه الإجازة من العلامة الشيخ القطب الواضح سيدي محمد صالح البخاري في وفوده للجزائر من مدينة فاس ، وله إجازة في الحديث عن شيخه العلامة الإمام القدوة سيدي مصطفى بن محمد عرف بالكبابطي ، عن الشيخ علي بن عبد القادر بن الأمين مفتي الجزائر المتوفى سنة ١٢٣٦ ، رواية في البعض وإجازة في الباقي ، بالإجازة الخاصة والعامة ، والمطلقة والمقيدة ، وله إجازة أخرى في علم الحديث عن خاتمة الحفاظ المحققين الشيخ الحاج حمودة بن محمد المقايسي ، عن الشيخ الصعيدي ، وإجازة في قراءة الرواية عن الشيخ الصالح سيدي أحمد بن الكاهية الجزائري .

وكان المذكور من العلماء العاملين ، استفاد منه خلق كثير ، وانتفع ونفع

وأجاز وأجيز، وألف وصنف، ومن أهم تآليفه مؤلفه في القضاء، وتتبع فصوله وأنواعه، وحلية القاضي وشروط القضاء.

محمدٌ المازري الديسي

العالم العامل الأصولي النحوي الفقيه البياني المنطقي المحدث المفسر المحقق المدقق المفتي الإمام الشيخ سيدي محمد المازري بن « محمد بن يطو »بن بالقاسم ابن محمد بن بالقاسم بن « محمد بن مرزرق »بن محمد بن إبراهيم الغول. هكذا وجدت نسبه بخط أبيه سيدي محمد بن يطوفي أخير ورقة من وصية لم أجد أولها، ونصها:

يا بني أقمِ الصلاة، وامرُ بالمعروف، وانهَ عن المنكر، واصبر على ما أصابكَ إنَّ ذلك من عزمِ الأمور، ولا تُصعِّر خدَّكَ للناسِ ولا تمشِ في الأرض مرحاً، إن اللهَ لا يُحِب كل مختال فخور، واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير، وإني أوصيكما، واعلما أني لن أغني عنكما من الله شيئاً، إنِ الحكم إلا لله، وعليه فليتوكل المتوكلون، وهو حسبنا ونعم الوكيل، كملت الوصية والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً لتاريخ سنة ١٢٠٨ على يد أحوج
[١٠٧ عبيده إليه محمد بن يطو الخ.

وللشيخ ابن يطو تقارير ونقول جيدة في الفقه كتبها رضي الله عنه في هوامش كتبه، ولولده الشيخ المازري كتابات على محلى « جمع الجوامع » لابن السبكي، وقصائد في رثاء ومدح السادة مشايخ زاوية ابن أبي داود لشغفه بهم، وتمسكه بأذيالهم واعتقاده أن الخير مقرون برضاهم، لأنه تلميذهم والتلميذ ابن الروح،

فهو أقرب إليها من ابن الصلب غير أنه لو نثر قصائده لكان نشرها أحسن من نظمها بكثير ، لاشتمالها على عبارات عالية وأفكار نبيلة ، ولكثرة ولوعه بمختصر الشيخ خليل انحصرت همته النظمية في ترتيب الأبيات على ترتيب أبوابه مشيراً إليها بألفاظها ، جازاه الله خيراً على نيته .

وقد رأيت في أخير قصيدة منها ما نصه : وكاتبها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق من إملاء قائلها سنة ١٢٨١ وعمره أي القائل ٨٥ سنة ، وزاد من إملائه أيضا :فهذه هدية سقتها أمامي ، وسأقدم إليكم بعدها لزيارتكم إن يسر الله والتمتع بمقامكم ، والتفكر في رسوم من مضى من مشايخي ، رحم الله الجميع والسلام من السيد المازري اهـ.

أقول :وتوفي عام ١٢٨٦ وعمره نحو ٩٠ سنة عن أخوالي الثلاثة وخالتي الذهبية وأمي خديجة ، فالأخوال محمد بن عبد القادر ، وعبد القادر الجيلاني ، وأحمد ، والثلاثة من حاملي كتاب الله العزيز ، أما الأول فمات عن غير عقب ، وأما الاثنان بعده فتوفيا عن بنين وبنات ، مات بعضهم وبقي بعضهم ، رحم الله أمواتهم وأصلح أحياءهم بمنه وكرمه آمين .

أبو عبدِ الله محمدُ بنُ محمدٍ الجزائري

الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر العطار الجزائري ، من جزائر مزغنة ، وهي المشهورة الآن بالجزائر. صاحب كتاب « نظم الدرر في مدح سيد البشر» و« الورد العذب المعين في مولد سيد الخلق أجمعين » .

قال المقّري في « نفح الطيب » : وليس هو بابن العطار المشرقي الذي كان معاصراً لابن حِجَّة الحموي ، فإن ذلك متأخر عن هذا ، وهذا مغربي وذلك [١٠٨]

مشرقي ، فلم يتفقا لا في زمان ولا في مكان ، غير أنهما اشتركا في الشهرة بابن العطار ، ووجدت على ظهر أول ورقة من بعد تسميته السابقة ما صورته : مما أنشأه الشيخ الفقيه القاضي العدل الأديب البارع أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف العطار ، رواية العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد بن الأمين الأقشهري .

قرأت هذا الكتاب وقصائده على حروف المعجم وقصيدتين غيرها على ناظمها القاضي المذكور ، قراءة ضبط وتصحيح ، ورواية مقابلة بأصله ، بموضع الحكم في مدينة الجزائر من أقصى افريقية حرست في دول متفرقة ، وآخرها يوم الثلاثاء لليلة بقيت من ذي القعدة وأواخر عام سبع وسبع مئة ، ونص ما كتب على نص قراءتي عليه صحيح ، ذلك وكتبه محمد بن عبد الله بن محمد ابن العطار والحمد لله رب العالمين انتهى .

ورأيت أثر ما تقدم بخط الأقشهري ما صورته : سمع من لفظي جميع « نظم الدرر في نسب سيد البشر» لجامعه القاضي المذكور أعلاه القاضي شمس الدين محمد بن المرحوم عبد المنعم الشيبي ، وولده أبو محمد عبد الدائم ، وابن أخيه أبو محمد عبد الباقي بن تاج الدين بن حفص بن أبي بكر البوري وغيرهم نحو سماعي قراءة مني على مؤلفه أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر العطار سنة سبع وسبع مئة ، قاله راسمه الاقشهري انتهى .

وثبت في آخر هذا الكتاب ما صورته : قال محمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي بكر بن يوسف بن العطار نفعه الله تعالى بالعلم : كان الفراغ من إكمال هذا الفضل وإتمامه حسب نثره ونظامه ضحوة يوم الجمعة الثاني من شعبان المكرم سنة ست وتسعين وست مئة ، ما عدا أربع قصائد اشتمل عليها ، فإنها تقدمت على إنشائه أودعتها فيه ، والله سبحانه المستعان ، وذلك بمدينة الجزائر

جزائر بني مزغنة من أقصى افريقية من أرض متيجة ، صانها الله تعالى انتهى .

وثبت في آخره بخط بعض الأكابر ما نصه : تأليف الفقيه العالم الأديب البارع أبي عبد الله محمد بن العطار الجزائري انتهى .

وهو كتاب نفيس جمع فيه بين حسن النظم والنثر ، فالله تعالى يجزي صاحبه أفضل الجزاء بمنه وكرمه ، ومن نظمه في كتابه هذا التسديس (على حروف الهجاء) :

أنوارُ أحمـــــدَ حسنُهـــا يتلالأ * المصطفى مجلى الكمال يجـــلأ
الشمسُ تخجَلُ وهو منهـــا أضـوأ * النورُ منـــهُ مُقسَّمٌ ومجـــزَّأ
قد زانَ ذاكَ النور إبراهيمـــــا * صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمـــــا

* * *

صلُّوا على المسكِ الفتيقِ الأطيـــبِ * صلُّوا على الوردِ المعينِ الأعـــذبِ
صلُّوا على نورٍ ثوى في يثـــــربِ * صلُّوا عليهِ بمشرقٍ وبمغـــربِ
[١٠٩] ما زالَ في الرسلِ الكرامِ كريمـــا * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــــا

* * *

صلُّوا على زهرِ الكمالِ النابـــتِ * صلُّوا على طودِ البهـــاءِ الثابـــتِ
صلُّوا على مَن فاقَ نعتَ الناعـــتِ * خيرِ الورى من ناطق أوصامـــتِ
وأعزّهم نفســاً وأطهر خيمـــــا * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــــا

* * *

صلُّوا على طِيبٍ يَفوحُ ويمكُـــثُ * صلُّوا على مَن عهدُهُ لا يُنكَـــثُ
صلُّوا على مَن بالهدى يتحـــدَّثُ * عنه المعارفُ والحقائقُ تُـــورَثُ
أضحى يُعلِّمُنـــا الهـــدى تعليمـــا * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــــا

* * *

صلُّوا على مَن نورهُ يتبلَّـــــجُ * صلُّوا على مَن عَرْفُه يتـــأرَّجُ

للحضرةِ العليـــاءِ ليلاً يعـــــرُجُ * صلُّوا على مَن حازَ مجداً يبهـــــجُ
وبها على العرشِ المجيـــدِ مُقيمـــا * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــــا

* * *

صلُّوا على البدرِ المنيرِ اللائـــــحِ * صلُّوا على صُبحِ الرشادِ الواضـــحِ
صلُّواعلى المسكِ الذكيِّ الفائـــحِ * صلُّوا على الهادي النبيِّ الناصـــحِ
الرُشدَ فهَّمَ والهُدى تفهيمـــــا * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــــا

صلُّوا على مَن شَرعُه لا يُنسَـــــخُ * صلُوا على مَن عهدُه لا يُفسَـــــخُ
صلُّوا على مَن بالثناءِ يُضمـــــخُ * علياؤهُ عليا الكمالِ تُـــــؤرخُ
نالَ المفاخرَ والكمالَ قديمـــــا * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــــا

* * *

صلُّوا على الهادي لأعذبِ مـــوردِ * صلُّوا على خيرِ الأنامِ الأوحـــدِ
صلُّوا على بدرِ التّمامِ الأسعـــدِ * بمحمدٍ فُزنا ومَن كمحمَّـــدِ
اللهُ عظَّم قدرَهُ تعظيمـــــا * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــــا

* * *

صلُّوا على مَن بالنبوةِ ينفـــــذُ * صلُّوا عليه فللسعادةِ يجبـــــذُ
صلُّوا على مَن حبُّه لا يُنبـــــذُ * أبصارُنا طُرّاً بأحمدَ لُـــــوَّذُ
في موقفٍ ينشي الحميمَ حميمـــا * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــــا

* * *

صلُّوا على البدرِ المنيرِ الزاهـــــرِ * صلُّوا على الروضِ البهيِّ الناضـــرِ
صلُّوا على مزنِ العلومِ الماطـــــرِ * صلُّوا على المسكِ الفتيقِ العاطـــرِ
وتنَّعموا بصلاتِكـــــم تنعيمـــــا * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــــا

صلُّوا على نورٍ يلوحُ ويبـــــــرزُ * صلُّوا على مسكٍ يفوحُ ويحـــرزُ
بمحمدٍ حُلَلُ الكمالِ تُطـــــرَّزُ * ولمجدِهِ دُرَرُ السيادةِ تُفـــــرَزُ
قد نظِّمَتْ لكمالِهِ تنظيمـــــا * صلُّوا عليهِ وسلموا تسليمـــــا

* * *

[١١٠] صلُّوا على الدرِّ النفيسِ الأنفســـِ * صلُّوا عليهِ فَهْوَ روضُ الأنفســِ
صلُّوا عليهِ فهو زينُ المجلســـِ * ومُنى الجليسِ ونُزهةُ المتأنِّســِ
راقَ النفوسَ شذاً وطابَ شميمـــا * صلوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــا

* * *

صلُّوا على المختارِ أفضلُ منَ مشـــى * صلُّوا على النورِ الذي قد أدهشـــا
بمحمدٍ عرفُ القرنفلِ قد فشـــا * وردٌ لظمآنٍ إليهِ تعطُّشـــا
يبري الضنى أبداً ويبري الهيمـــا * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــا

* * *

صلُّوا على مَن بالكمالِ يُخصَّصُ * صلُّوا على مَن نورُهُ لا يَنقُصُ
صلُّوا عليهِ على الدوامِ وأخلِصُوا * ظلٌّ ضفا بالأمنِ لا يتقلَّصُ
شملَ الورى طُرّاً وطابَ عميمـــا * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــا

* * *

صلُّوا على صبحٍ تبلَّجَ بالرِّضـــا * وقضى على ليلِ الضلالةِ فانقضـــى
صلُّوا على مَن بالنجاةِ تعرضـــا * صبحٌ تذهَّب نورهُ وتفضَّضـــا
وعلا وخيَّمَ ضوؤه تخييمـــا * صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمـــا

* * *

صلُّوا على مَن بالبهاءِ يُخطـــطُ * صلُّوا على ورد بمسكٍ يُخلَـــطُ
للمصطفى بُسُطُ الكرامـــة تُبسَـــطُ * ولهُ يواقيتُ السَّناء تقسَّـــطُ
وبنورِهِ أضحى الزمانُ وسيمـــا * صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمـــا

* * *

صلُّوا على مَن بالمهابةِ يُلحَظُ * صلُّوا على من بالنُّبوةِ يُلحَظُ
صلُّوا على مَن بالهدايةِ يُلفَظُ * لعُصاتِهِ نارُ الجحيمِ تغيَّظُ
ورضاهُ هبَّ لنا وطابَ نسيما * صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما

* * *

صلُّوا على البدرِ المنيرِ الساطعِ * صلُّوا على الروضِ الأنيقِ اليانعِ
صلُّوا على الصُّبحِ المنيرِ اللامعِ * صلُّوا على المسكِ الفتيقِ الذائعِ
ووقاه في وهجِ الهجيرِ مغيما * صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما

* * *

صلُّوا على النورِ الأعمِّ السابغِ * صلُّوا على البدرِ الأتمِّ البازغِ
صلُّوا على المسكِ الذكيِّ البالغِ * صلُّوا على الوردِ المعينِ السائغِ
للواردينَ بهِ غداً تتميما * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليما

صلُّوا على مَن بالتقرُّبِ يُوصفُ * صلُّوا على مَن بالمحبَّةِ يُعرفُ
صلُّوا على مَن بالعُلا يتشرَّفُ * صلُّوا عليهِ بهِ الكمالُ يزخرفُ
المجدُ فخَّمَ ذِكرَهُ تفخيما * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليما

* * *

صلُّوا على مسكٍ يطيبُ لناشقِ * صلُّوا على الروضِ الأنيقِ الرائقِ
إشراقه بمغاربٍ ومشارقِ * صلُّوا على البدرِ الأتمِّ الفائقِ
بدرٌ تنسَّمَ حُسنُه تنسيما * صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما

صلُّوا على من قدره لا يُدركُ * صلُّوا على مَن باسمهِ يُتبرَّكُ
صلُّوا على مَن جسمُه لا يُترَكُ * صلُّوا على مَن للهُدى يتحرَّكُ
وبهِ تحلَّ ظاعِناً ومقيما * صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما

* * *

٥٥٥

صلُّوا على البدرِ المنيرِ الأكمـــــلِ * صلُّوا على البدرِ البهي الأجمـــــلِ
[١١١] صلُّوا على الهادي النبيِّ الأحفـــــلِ * المصطفى الأرقى لأ نزهِ مَحفـــلِ
فيه تقدَّمَ وحدَهُ تقديمـــــــا * صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمـــــا

* * *

صلُّوا على زهرٍ أنيقِ باســـــمِ * صلُّوا على عَرفٍ ذكيٍّ ناســـمِ
صلُّوا عليه فهوَ بدرُ مواســـمِ * مِن جودِهِ نلنا بخيرِ مقاسِـــمِ
أنوارُه قد تَمَّمت تتميمـــــــا * صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمـــــا

* * *

صلُّوا على مَن بالنبوةِ زُيِّنـــــا * صلُّوا على مَن بالكمال تمكَّنـــا
صلُّوا على هادٍ أبانَ وبيَّنـــــا * بمحمدٍ فُزنا بإدراكِ المُنـــى
للخلقِ أُرسلَ رحمـــــةً ورحيما * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــا

* * *

صلُّوا على الهادي النبـــيِّ الأنـزهِ * بدرِ التمامِ وروضةِ المتنـــزَّهِ
في فضله كلُّ الشهادةِ تنتهـــــي * ابداً بلثمِ ثراهُ فخرَ الأوجـــهِ
في حبِّه أضحى الغرامُ غريمـــــا * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــا

* * *

صلُّوا على نورٍ بطيبـــةَ قد ثـــوى * فعلا وفاضَ على البسيطـــةِ واحتوى
صلُّوا عليه فليسَ ينطقُ عَن هـــوى * صلُّوا عليهِ فهو يُنجي مَن هـــوى
في موقفٍ يَذَرُ السليمَ سليمـــــا * صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمـــا

* * *

صلُّوا على نورٍ تلألأ واعتلـــــى * صلُّوا على صبحٍ مبينٍ يُجتلـــى
صلُّوا على مسكٍ يُخالطُ منـــدلا * صلُّوا على دُرٍ تُزانُ بهِ الحُلـــى
وبهِ المعالي خيَّمَتْ تخييمـــــا * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــا

* * *

صلُّوا على مَن نالَ مجداً عاليـــــا * وسما وحازَ مفاخراً ومعاليـــــا
صلُّوا على نورٍ تبدَّى حاليـــــا * وبمدحِهِ الرَّحمنُ زيَّنَ حاليـــــا
وإذا سما المخدومُ زانَ خديمـــــا * صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليمـــــا

* * *

أقول وقد ذكر الكتاب وصاحبه وقصيدتاه ولي الله تعالى في هذا العصر البعيد الإمام الهمام العلامة على التحقيق سيدي يوسف النبهاني رئيس محكمة الحقوق ببيروت في كتابه « سعادة الدارين » فالله تعالى يجازيه بخير الدارين ، ويجعلنا من الباقين على محبته ، ويجمعنا وإياه ببركته في دار النعيم المقيم آمين آمين آمين .

محمدُ بنُ المشري السائحي الأغواطي

[١١٢] نصه : في رسالة بخط الشيخ أحمد بن طالب مفتي مدينة الأغواط في التاريخ ما مشاهير فقهاء الأغواط هم محمد بن المشري من عرش أولاد السائح ، له ثلاثة تآليف هي « الجامع » و « مواهب المنان » و « نصرة الشرفاء » وكانت وفاته سنة ١٢٢٤ في عين ماضي محل إقامته ، وسحنون ابن الحاج أحمد توفي سنة ١٢٣٣ ، وعبد الرحمن ابن محمد المتوفى سنة ١١٨٣ ، وإسماعيل بن الحاج عبد الرحمن المتوفى سنة ١٢٢١ ، وبالقاسم بن أحمد المتوفى سنة ١٢٣٦ ، والحاج محمد بن التومي المتوفى سنة ١٢٣٧ ، وأحمد بن سحنون المتوفى سنة ١٢٥٣ ، والنوى بن قرين المتوفى سنة ١٢٦١ ، والحاج عبد القادر بن الحاج محمد المتوفى سنة ١٢٦٨ ، وسليمان بن سعد المتوفى سنة ١٢٦٨ ، ومحمد ابن إسماعيل المتوفى سنة ١٢٦٩ ، وبالخير بن المبروك المتوفى سنة ١٢٦٩ ، والشيخ زين الدين المتوفى سنة ١٣١٤ ، قال : وهؤلاء كلهم ليس منهم من له

تأليف كبير أو صغير في فن من الفنون رحمهم الله أجمعين اهـ.

أقول وفي « الرحلة الناصرية » : أن من فقهاء الأغواط في تاريخها محمد ابن كسيمة أو كسمية ، وأحمد بن إدريس ، ومحمد بن خليفة وعبد الرحمن الفجيجي ، وإسماعيل العينماضي ، وإن كبير عين ماضي في تاريخ الرحلة هو سيدي أحمد الدهصاء ، وأولاده عبد الرحمن ، ومحمد ، والزروق ، وفقيهها أبو حفص ، ومحمد بن عيسى صنو أبي القاسم ، وعبد الرحمن بن دلس ، وعيسى بن يحيى ، وعيسى أبو عكاز مؤدب الأطفال ، وفي تاجموت أحمد ابن بركة ، وكذلك كان في الأغواط محمد بن أحمد بن يحيى ، ومحمد ، وأحمد ابنا بوزيان .

(فائدة) : كنت طالعت الرحلة المذكورة ، وأخذت منها طريق مؤلفها في بَرِّ الجزائر ذهاباً وإياباً ، فرأيت أن أدرج ذلك هنا معتقداً أنه لا يخلو من فائدة فنقول :

كان الشيخ أبا العباس أحمد بن القطب محمد بن ناصر الدرعي قد مرَّ في سفره إلى الحج بفجيج ، واجتمع فيه بأحمد بن أبي القاسم البوجدوري ، وعلي بن محمد بن أحمد الراشدي ، وبعبد الجبار في مقام الولي الصالح بوسمغون ومرَّ بوادي الرمل وبورزق ووادي القصب ، واجتمع في أم القرار بمحمد ابن أبي نوة من أولاد سيدي منصور ، وفي أهل تيت بسيدي بودخيل في العين الصفراء ، وبالحاج الشيخ بن المرابط ، وفي عين مصباح بأولاد سيدي محمد ابن عيسى ، ومرَّ بعين لاحق ووادي العرباوات والكراكرة والغاسول ، وفيه سيدي عبد الكريم التواتي ، وعبد الله بن سحنون الغريسي ، وابنه الهاشمي ، وبأولاد سيدي الشيخ والأغواط ، والغاسلون ، ومخيلف ، وعين ماضي ، وتاجموت ، والعسافة ، ودمت (إمامها محمد بن المغرد) ، والبرج ، وأولاد

ابن حرز الله (منهم محمد بن عيسى بن يحيى بن حرز الله وأخوه الطيب) والغيران . وعبد المجيد . وقرية أهل عمورة قريبة من عبد المجيد ، ووادي
[١١٣] التوميات . والعيفك . وسيدي خالد . وأولاد جلال (منهم سيدي محمد بن الحاج . وسيدي عبد الباقي ، وسيدي محمد بن عيسى ، وسيدي محمد السعيد) والعرق . وخلوة سيدي عبد الرحمن الأخضري ، ومليلة ، وبسكرة (منها سيدي بوطيب نصير) ، ومدينة عقبة (منها سيدي محمد الصالح ، وسيدي عبد الواحد الرماني ، وابنه سيدي محمد) .

قال صاحب الرحلة : وزرنا مسجد سيدي أبي الفضل ، وسيدي محمد بن علي ، وأولاد سيدي محمد الصالح ، وأخرج ولده سيدي علي لنا تمراً ، وزرنا سيدي قاسم ، وسيدي عبد الرحمن ، وسيدي أبا الفضل ، وسيدي محمد الموفق ، والصحابي ، وسيدي محمد بن علي ، وسيدي علي الأرداشي ، ومررنا بالزرايب ، والحقف ، وزيبة الوادي (منها سيدي حسن الكوفي) وأولاد سيدي ناجي (منهم سيدي أبو القاسم بن محمد بن المبارك ، وسيدي محمد ابن الهاني ، وسيدي الهاني بن الحفيان ، وسيدي عبد الحفيظ بن الطيب ، وشقيقه سيدي ناجي ، وسيدي محمد بن الطيب ، وسيدي المبروك ، وسيدي مسعود ، وإمامهم ومدرسهم سيدي أحمد بن عمر ، والأخ سيدي رمضان) ، ومررنا بالمنصف ، ووادى الرتم ، وغسران ، والشبيكة ، والحاملة ، وتوزر. اهـ هذه طريق الذهاب .

وأما طريق الإياب فمن توزر إلى الرجم ، الطرفا ، الشبيكة ، وادي غسران ، قرقان ، المفيضة ، زريبة حامد ، أولاد نابت ، أولاد سيدي ناجي منهم : سيدي هاني بن الحفيان ، وسيدي عبد الحفيظ (كان حياً وزارهم) ، واجتمع بهم في الطريق أبو الضياف رأس أولاد صولة وشكره كثيراً ، ثم زريبة الوادي ،

إلهي مضَتْ للعمرِ سبعونَ حجَّـــةً * جنيتُ بها مما جنيتُ الدواهيـــا
وعبدُكَ قد أمسى رهينَ ذنوبِـــــهِ * فجُدْ لي برحمةٍ تعمُّ الدواهيـــا

وفيه يقول ابن حماد من شعراء تلمسان :

لما رأَوكَ هديَّةً مِـــــن ربِّهـــم * سمَّوكَ بابنِ هديَّةٍ فأجـــــادوا

وتولى القضاء بعده ولده أبو علي منصور فقام به خير قيام ، وخطب بالجامع الأعظم من أقادير ، وكان من أهل العلم والدين رحمه الله ، ولولده هذا أخ هو الفقيه أبو الحسن علي خطيب الجامع الأعظم الآن على هدي سلفه الصالح من الدين والعلم والفضل ونزاهة الهمة ، صدر من صدور الدراية والتدريس والخلق العظيم ، حفظه الله اهـ. بتغيير قليل .

محمدُ بنُ الناصرِ المنصوري

كتب لي أخونا الفاضل الفقيه الأديب محمد أرزقي بن ناصر المنصوري ، ترجمة جده بخط يده ، ونصها : محمد بن الناصر بن محمد بن علي بن محمد ابن رابح بن أبي زيد بن أحمد بن محمد بن علي بن سليمان بن أحمد بن مالك ابن عبدالعزيز بن عبد الحق بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن أحمد بن يحيى ابن محمد بن إسماعيل بن سعد الدين بن سليمان بن يلمان بن محمد ابن يوسف بن علي بن الحسن بن عبد العزيز بن خالد بن أحمد بن أبي عنان بن علي بن يحيى بن إبراهيم بن محمد بن إسحاق بن محمد بن محمد بن علي بن إدريس بن أحمد بن أبي القاسم بن عبد الحق بن عمر بن جعفر بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين اهـ.

وبعث لي ورقة قديمة كتبها عام ١١٨٩ محمد بن أحمد ابن سيدي علي الطيار قال في أخيرها : وأنا وجدت السلسلة قد بلي رقها وخشيت ضياعها فنقلتها هنا ، وأشهدت على النقل الولي الصالح محمد بن أحمد بن سيدي علي الطيار ، وابنه محمد الصغير ، وأحمد بن أبي عبيدة ، ومحمد بن جبل الله ، وعبد
[١١٦] العزيز بن امغار ، والواضح ، وأحمد بن عبد القادر ، ومحمد المبارك الملقب المصيتي ، وأحمد بن يوسف ، وأبو القاسم بن عبد الرحمن كلهم أولاد سيدي علي الطيار ، وأبو التقى بن الولي الصالح سيدي أحمد بن خليف ، وعلي بن يونس القصوري ، وأحمد بن سلامة ، والمرابط جمعة الخلوفي ، ومحمد بن جرير المسيلي ، وجماعة أخرى سماها في نقله .

وذكر لي الأخ المذكور أن سيدي محمد بن الناصر جاء من بسكرة عام ١٠٦٠ ، ومر على قرية مدوكال إلى وطن أولاد دراج في الحضنة إلى قلعة بني حماد إلى تيحمامين ، ونزل في قرية واراسن على مسافة ١٢ ميلاً من برج أبي عريريج ، وفيها توفي ، وقبره هناك مزار ، وسكن ولده محمد في قرية ودرض من قصور أولاد سيدي علي الطيار على مسافة ٣ أميال من واراسن ، وكان عالما يدرس الفقه بالرسالة والتوحيد والنحو ، وأفتى ، وتوفي عن ولد عالم اسمه الناصر ، وكان يعلم تلك الفنون أيضاً ، وتوفي عن ولد اسمه محمد ، ولد سنة ١٠٧٣ بعد أن زوجه بالسيدة عائشة بنت السعيد ، وتوفي عن أربعة أولاد أحمد والناصر ومحمد وتوفيت أمهم عام ١١١٠ ، كان الشيخ محمد بن الناصر الدريعي الشريف الحسني عالماً صالحاً مدرساً مفيداً ، وانتهت إليه الفتوى في وقته .

وكانت المنصورة مدينة قاهرة ، ولكن قامت فيها بين أهلها فتنة طحنتهم رحاها طحناً لعدم العالِم بينهم ، ولما تفطنوا ذهبوا إلى سيدي محمد بن الناصر وتضرعوا له طالبين منه السكنى عندهم ، ليرتفع بوجوده البلاء عنهم ، فأخذ

بخاطرهم وبنوا له داراً للسكنى بموضع يسمى الآن ازذع نايت ناصر، وزاوية لطلبته تسمى اليوم رصفة الطلبة ، وبنى لهم عام ١١١٤ جامعاً وهو المسمى جامع سيدي ناصر ، ومن يوم حلوله بينهم اصطلحوا وفارقتهم الفتنة وصاروا مقبلين على الدنيا والآخرة في تلك الناحية ، ولم يزل أولاده على قدمه في الصلاح وطلب العلم ، وزاويتهم التي يفتح الله عليهم فيها هي زاوية الشيخ ابن أبي داود ، ومثلهم فيها أولاد سيدي إبراهيم حتى إن شيخنا سيدي محمد الطيب كان يقول : عمدة زاويتنا على الديس والمنصورة من حيث عمارتها بالمتعلمين المعتقدين . ولم يبق من أولاد سيدي محمد بن الناصر إلا سيدي الناصر، وكان أولاد مقران لا يصبرون على وجود واحد من أولاد سيدي الناصر عندهم للكتابة والتعليم والإمامة والقضاء بقصد التبرك بنسله ، وكان سيدي السعيد بن أبي داود دعا لهم بالخير كما دعا لهم به أبوه سيدي عبد الرحمن ابن أبي داود .

(فائدة) : نسخ سيدي محمد بن الناصر كتباً كثيرة في فنون مختلفة ويقول في أخيرها : تم على يد ناسخه لنفسه ثم لمن شاء الله بعده محمد بن الناصر بن محمد بن اليلمان البوعناني ، القصوري وطناً ، الدراجي نسباً ، وكتب في أخير الصغرى السنوسية : تم عام ١١١٣ ، وولد الفقير محمد بن الناصر عام ١٠٧٣ ، وبعده ولد ابننا أحمد عام ١١٠٥ ، والناصر ١١٠٤ ، ومحمد عام ١١٠٧ ، ومحمد عام ١١١٠ اهـ . ماكتبه الشيخ محمد أرزقي كاتب دائرة البيبان من عمالة
[١١٧] قسنطينة ، جازاه الله خيراً على عنايته ، بتخليد ذكر جده .

محمدُ بنُ النجارِ التلمساني

شيخ التعاليم . أخذ عن أبي عبد الله الإبلي ، وارتحل إلى المغرب فلقي بمدينة فاس جماعة كإمام التعاليم أبي عبد الله محمد بن هلال شارح المجسطي ،

وأخذ بمراكش عن أبي العباس بن البنا ، وكان إماماً في النجوم وأحكامها ، واستاقه السلطان بن تاشفين لحضرته ، فلما ملك أبو الحسن نظمه في جملته ، وحضر معه افريقية ، وهلك في الطاعون سنة ٧٤٩ .

محمدُ بنُ يحيى اليعلاوي

الزاهد الورع المتخلي عن الدنيا الذ اكر لله كثيراً سيدي محمد بن يحيى من القرن الحادي عشر ، وقد قيل إنه التقط حب البلوط من كل شجرة في وطن الخميس إلا أنه ذكر الله عند كل حبة ، وأنه أول أمره يواجر نفسه ويقتات من ذلك ، حتى منعه بعض الناس من أداء الصلاة فسلم في الأجرة وذهب ، ولم يرجع ففهم أن الله لم يقمه في الأسباب وإنما أراد به التجريد ، وهو واجب عند تعذر الأسباب الشرعية ، انظر ابن عباد عند قول ابن عطاء الله : إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية ، فرجع للتجريد .

وهومن أولاد الشيخ سيدي مالك ، وجده هذا كان صاحب حال عظيم فقيل إنه صبغ تسعة وتسعين رجلاً من جملتهم سيدي موسى الوغليسي ، ولم يجد ما يزيده فزاد شجرة الزان ، والله أعلم ، ومعنى صبغها محتمل يحتمل أن الله جعل فيها إدراكاً كما جعله في الذي نطق للنبي صلى الله عليه وسلم حتى ذاقت حلاوة الإيمان ، وشهدت مشاهد الخير والبركة ثم تصير بركة للناس بعده ، ويحتمل أنها محل بركة إلى قيام الساعة فتصير آثارها لغيرها من العقلاء رحمة لأهل بلده ومن يمر عليها ، وسيدي محمد هذا مجاب الدعوة ، وهو في جبل بني يعلى ضريحه مشهور يزار ، ومن أراد قصم عدوه الظالم فليسأل الله بجاهه ، وقد جربت ذلك مرارا فوجدته كذلك ، أحيا الله قلوبنا بجاهه آمين اه ورتيلاني .

محمدُ بنُ يحيى الباهليّ المسفر

[١١٨] الشيخ الإمام العالم المحقق المدرس المفتي الصالح الشهير قاضي الجماعة ببجاية أبو عبد الله كان مستعملاً في السفارة ، دخل مدينة فاس ولقي بها أبا الحسن الصغير المعروف عند أهل افريقية بالمغربي ، صاحب التقييد على « المدونة » ، وتحدث معه في الفقه ورد عليه كلمة ملحونة ، أعني على أبي الحسن ، فلما فارقه أبو الحسن قال لأصحابه : وبم يدرك هذا ؟ فقالوا : بمعرفة كتاب الفصيح لثعلب ، فحفظه الشيخ أبو الحسن في ليلة واحدة .

أخذ صاحب الترجمة عن أبي علي ناصر الدين المَشدَّالي ، وله إملاء عجيب على بعض مختصر ابن الحاجب ، وله قصيدة سماها « نظم فرائد الجواهر في معجزات سيد الأوائل والأواخر » مطلعها :

تبدَّتْ فغابَتْ واختفَتْ فتجلَّـــــتِ * فشاهدتها حالي حضوري وغيبتـــي

وله شرح على أسماء الله الحسنى ، وله كلام عجيب في التصوف ، وله تقييد في أنواع فنون العلم ، وله شعر فائق ، وكان فصيحاً ، وكان يتوجه في الرسائل السلطانية ، وكان كثير التواضع حسن الملاقاة ، وهو في الجملة ممن يحصل الفخر بلقائه .

قال أبو إسحاق الشاطبي في إنشاداته : حدثنا شيخنا الأستاذ العالم النظار أبو عبد الله الزواوي أكرمه الله قال : قدم شيخنا الإمام الشهير أبو عبد الله المسفر على مدينة فاس في بعض المسائل ، فلما خرج بقصد الإياب شيعه جماعة من فقهائها وأدبائها ، وسألوا أن ينشدهم شيئاً من شعره ، فارتجل هذا البيت الفذ :

شَرِّقْ لتجلوَ عَنْ فؤادِكَ ظُلمـــــةً * فالشَّمسُ يذهبُ نورُها بالمغـــرِبِ

توفي سنة ٧٤٤ .

وناصر الدين المَشدَّالي يروي عن ابن الحاجب ، روى عنه أنه قال : لما كنت مشتغلاً بوضع كتابي هذا كنت أجمع الأمهات ، ثم أجمع ما اشتملت عليه تلك الأمهات في كلام موجز ، ثم أضعه في هذا الكتاب حتى كَمُل ، ثم إني بعد ربما أحتاج في فهم بعض ما وضعته فيه إلى فكر وتأمل . ويعني بالكتاب مختصره الفقهي ، نقل ، هذا أبو إسحاق الشاطبي ، عن شيخنا أبي عبد الله الزواوي ، عن أبي عبد الله محمد بن يحيى المسفر صاحب الترجمة ، عن ناصر الدين المَشدَّالي ، عن ابن الحاجب ، رحمة الله عليهم أجمعين.

محمدُ بنُ يحيى الشريف الأغريسي

هو محمد بن يحيى، من أولاد يعقوب بن محمد المغراوي ، من أبناء سليمان بن عبد الله .

ذكره الشيخ العلامة سيدي عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن محمد في كتابه « عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس » قال : تفقه على الشيخ محمد السنوسي وغيره من علماء تلمسان ، وأخذ الطريقة عن الشيخ المذكور، وألبسه الخرقة ، وشرح أرجوزة الرفعي ، وله عقب اهـ.

[١١٩] أقول : وقد بحثت عن هذا الكتاب فلم يفدني به أحد إلا شيخنا الفقيه البركة عالم تلمسان وقاضيها المتمكن الأعدل العلامة المشهور سيدي أبو مدين شعيب بن علي بن عبد الله ، أبقى الله وجوده وجمعنا وإياه في دار السلام والسعادة .

وكم له من أياد بيضاء في هذا الكتاب ، رضي الله عنه ، وإشارات علي وتنبيهات في رسائل بعثها لي أثناء الطبع منها ما نصه : (بعد تحلية أعتبرها من

مثله دعاء صالحاً مرجو القبول ، وتحية سنية أشهى إلى الفقير مثلي من أخلاق المشمول) ، وبعد : فإني بعد صلاة المغرب ليلة يوم التاريخ ٢٠ شعبان (١٢٣٥) كنت بالمسجد أذكر وردي ، فخطر ببالي خاطر خير ، وهو : هل سيدي الشيخ الحفناوي حلىَّ كتابه « تعريف الخلف برجال السلف » بذكر من قيل فيه : إنه أول من شرح « صحيح البخاري » وسماه النصيحة ، وهو الإمام أبو جعفر سيدي أحمد بن نصر الداودي دفين شرقي باب العقبة من تلمسان ، وبذكر الإمام الجليل الشريف الإدريسى أبو السعادات سيدي عبد الجليل الطيار صاحب « تنبيه الأنام » دفين تربة وزغت من أرض الراشدية ، حيث إنهما معاً من علماء القطر بل ومن علماء تلمسان ، والأول توفي سنة ٤٤٢ كما ذكره الشريف العلمي في نوازله بقوله : وأما السؤال الثاني فجوابه أن الداودي المذكور هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المالكي ، كان بطرابلس ثم انتقل إلى تلمسان ، وبها ألف كتباً كثيرة منها « النصيحة في شرح كتاب البخاري » .

كان إماماً متفنناً ، توفي بتلمسان سنة ٤٤٢ ، وقبره معروف بتلمسان يُزار ، زرته رضي الله عنه في ذهابي إلى المشرق وفي رجوعي منه .

وقد حكى الجزولي التلمساني في شرحه المسمى « بكعبة الطائفين » على أرجوزة مدح بها شيخه الشريف سيدي موسى بن علي دفين شرقي أنس الوحيد الإمام السنوسي صاحب التوحيد أن شيخ الشيوخ ولي نعمتنا وخفير بلدتنا سيدي أبا مدين ، رضي الله عنه ، مشى إلى قبره زائراً مرحلة تامة ، أعني من وادي يسر إلى قبره ، والمقول فيه أن تلمسان كثيرة الأحزان ملطوف بها بضريح الوادي .

والثاني أعني سيدي عبد الجليل كان في المئة السابعة قاضي القيروان ، ولما توفي السلطان أبو دبوس آخر ملوك الموحدين أثناء عشرة السبعين (٦٦٧) وجد

[١٢٠] الفرصة إلى الفرار من القضاء ، كما نص على ذلك ابن جزيّ في « مختصر البيان ». فسار مغرباً من القيروان مصحوباً بخادميه السيد قيس العفناوي والسيد عبد الله البرطيطي إلى أن وصل تربة تاسالة من ضواحي تلمسان الشرقية ، فنزل بها وبنى مدينة الشهدة الباقية آثارها إلى اليوم ، قرب مدفن أولاده الشهداء السبعة كما ذكره الشيخ العشماوي في كتابه في الأنساب الشريفة ، ثم انتقل إلى الراشدية ، وبها توفي كما ذكره سيدي أبو راس في تأليف نشأته المسمى « بفتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمه » ، وكونه هو صاحب تنبيه « الأنام نص عليه سيدي عبد الرحمن الفاسي في « إثمد الأبصار بذكر الشرفاء الأخيار» وصاحب « كشف الظنون » أيضاً ، والله ولي المتقين ، وهو القوي المعين . عبد ربه شعيب ابن علي بن محمد فضل الله بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله الجليلي وفقه الله اهـ.

ووجدت بخط الشيخ عبد القادر المجاوي الجليلي ما نصه : ذكر ابن جزي أن أولاد سيدي عبد الجليل بتلمسان هم : أولاد يخلف ، وأولاد سعيد ، وأولاد أبي بكر ، وأولاد عطية ، وأولاد سيدي عبد الله بن منصور بن محمد بن عبد الجليل الحسني ، ومن نسله سيدي شعيب بن علي قاضي تلمسان في الوقت . اهـ.

وللشيخ شعيب تآليف ورسائل منها « رجزة الكفيل بعقائد أهل الدليل » أوله :

يقـــــولُ راجي رحمـــــةِ الجليلِ * عُبَيْدُهُ شُعيـــــــبٌ الجليلـــــي

وشرحها شيخنا سيدي محمد بن عبد الرحمن الديسي شرحاً عزيزاً ، وقرظه المرحوم مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده تقريظاً دالاً على مقدار الرجز ومنزلة الراجز في العلم النافع ، رضي الله عن الجميع .

(فائدة) « عقد الجمان النفيس » اسم لأربع ورقات كبار(من الجرم النصفي)

قال فيه مؤلفه : ولا نذكر إن شاء الله في هذا الديوان إلا من ثبت شرفه عند أهل القرن الحادي عشر ، فمن ثبت له في هذا الأمر نسبه ، وصفا له منه مشربه السيد الفاضل المولى الكامل أبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق ، أخذ عن ابن غازي محشّي المختصر وغيره ، من علماء فاس ، وأخذ عنه كثيرون ، وأجازهم ، وذكر له كرامات إلى أن قال :

ومنهم ذو المزايا الجميلة والمناقب الجليلة السيد أبو الحسن علي بن عبد الجبار الفجيجي ، من أبناء عبد الجبار بن عمرو بن سالم بن عبد الجبار بن فرج بن محمد بن أحمد بن عبيد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ورضي عنه .

ومنهم العالم الجليل الرئيس النبيل النحوي اللغوي الحيسوبي الفرضي الموحد المحدث الإمام السيد أبو محمد عبد القادر بن أحمد أي المعروف بابن خده بن محمد من أبناء عبد القوي ، وانظر هل هو عبد القوي بن علي بن أحمد بن
[١٢١] عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن أحمد بن محمد بن مسعود ابن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن إدريس ، أو هو عبد القوي بن عبد الرحمن بن إدريس بن إسماعيل بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين بن علي كرم الله وجهه ، والذي يظهر الأول ولكليهما عقب ، وللأول تلامذة ، الكثير منهم ألف في التوحيد وغيره ، ويعتمدون على ما في حاشيته على الصغرى ، ويعبرون عنه بشيخنا أبو محمد عبد القادر بن خده الراشدي ، وقبره معروف رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل دار السلام مأواه اهـ.

أقول : وإليه ينتهي نسب الأمير عبد القادر وعائلته وأقاربه ، إذ هو عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن

أحمد بن عبد القادر بن محمد بن عبد القوي ، كما مرَّ في ترجمته فاعرفه .

ومنهم عبد الرحمن بن عيسى بن عثمان بن عيسى بن عقيل بن أحمد بن محمد بن أحمد من أبناء أحمد بن راشد بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون ابن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن ، تفقه على الشيخ عبد القادر بن خده ، والشيخ أبي علي ، والشيخ محمد بن علي ابهلول (المجاجي) ، وعنه أخذ الطريقة .

قال : وأخبرني أن يحيى أبا راشد هذا مات قتيلاً ، وترك الحسن وإدريس وعلياً ويوسف وعامراً ، وراشداً في بطن أمه ، فلما وضعته بقرب موته وكبر ، قسم المال مع أخوته ، وانتقل هو وأخوه عامر إلى غريس ، فسكن عامر مع البرابرة في كرسوط ، وبه توفي عن أبناء يُسمون الآن أبناء عامر ، ونحا راشداً نحو هوارة وتزوج منهم بامرأة ولدت له أحمد وإبراهيم ، وانتقل إبراهيم إلى طنجة ، وبها أولاده أولاد سيدي إبراهيم الراشدي وبقي أحمد في موضعه إلى أن مات عن اثني عشر ولداً ، هم أصول بني راشد ، وبهم سميت معسكر وضواحيها الراشدية ، وقد وقفت على النسب المذكور والخبر المتصل به بخط العالم الشهير الولي الكبير سيدي عثمان بن عيسى جد الشيخ عبد الرحمن ، وله رحمه الله تلامذة منهم السيد عبد الرحمن الدرعي ، والسيد محمد بن حسناء وقبره برأس الماء معروف ، ومعه تلميذه الدرعي وهو أول من دفن معه .

ومنهم صدر الأصفياء وزبدة الأولياء الولي الكبير شيخنا سيدي أبو الحسن
[١٢٢] علي المشهور بالشريف ، سكن قرية معسكر ، وكان إماماً بمسجدها المعروف بمسجد سيدي علي الشريف ، جمع الله له بين الشريعة والحقيقة ، مجاب الدعوة ، وكان بينه وبين شيخنا عبد الرحمن بن زرفة مودة عظيمة ، وسمعته يقول لابن زرفة : أنت شريف الأصلين ، وقرأت عليه ما وجدته بخط سيدي عثمان بن

عيسى جده ، وفيه نسبه والخبر المتصل به ، وقال لي : هو أعرف من غيره بنسبه ونسب غيره لكثرة اطلاعه ، وكنت أعتقد أنهم من أبناء محمد بن إدريس. انتهى . وأخبرني أنه وقف على ذلك في كتاب الشيخ محمد بن أحمد النفراوي اهـ. وله ذرية ، وقبره بناحية وادي الحمام من أحواز معسكر.

ومنهم الشيخ أبو يعقوب يوسف بن علي من أبناء يوسف بن علي بن عامر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن علي بن يحيى بن محمد بن القاسم بن حمود بن ميمون بن علي بن عبد الله ، هكذا في أصل صحيح يعتمد عليه .

تفقه فيما يكفيه على الشيخ محمد بن علي ابهلول ، وعنه أخذ الطريقة ، وكان فاضلاً عابداً ورعاً زاهداً كثير الصوم قليل النوم ، وكان بينه وبين السيد أحمد بن جلال المشرفي (من ذرية سيدي يوسف بن عيسى الشريف الحسني على ما وقفت عليه من الوثائق للعلماء) ما يسوءه ثم أصلح بينهما .

ومنهم السيد أبو عمرو عثمان بن عمر من أبناء مسعود بن عبد الله بن سعيد ابن أبي القاسم بن عبد الجبار بن عثمان بن عمر بن سالم بن عبد الجبار بن فرج ، مشهور بالزهد والورع ، كان يرعى معزه بنفسه مخافة وقوعه في زرع الغير ، وعند موته بكت أمه فقال لها : أنفعُك بعد موتي كما كنت أنفعُك في حياتي ، تأتي إلى قبري وتحدثيني فأحدثك ، ففرحت وبعد مدة جاءته شاكية فكلمته فلم يجبها ، ورجعت إليه مراراً نحو الأحد عشر يوماً ، ثم كلمها يا أمي لا تقولي وعد وأخلف ، فإني لما أوقفني الله بين يديه ألهمني حسن الجواب ، ولم يكن عليَّ ذنب لمخلوق بحفظه سبحانه سوى أني كنت مجتازاً ذات يوم فتعلق بي شيء من الزرب ببحيرة فلان سماه لها ، فرميته ببحيرة فلان سماه أيضاً ، فشدد علي بعدله تشديد الملوك على وزرائهم ، ثم عفا عني بمحض

فضله . له عقب ، وقبره قريب من قرية أولاد علي بن صناج .

ومنهم أبو عمرو عثمان بن زيان المشهور بالصنهاجي ، ذكره سيدي عيسى ابن موسى بقوله :

وللشيخِ عثمانَ بنِ زيانَ والـــــذي * يُلقَّبُ بفداراً لأعلى المراكـــــبِ

أتحفه الله بنسل صالح مؤلفين في النحو والتوحيد والفقه ، وقبره بقرية أولاد علي بن صناج .

ومنهم السيد أبو موسى رضي الله عنه ، طود عظيم في الزهد والورع ، بدأ بذكره السيد عيسى بن موسى في نظمه ، ولا عقب له ، قال : وعليه يكون الاقتصار روماً للاختصار ، وقد نظم من ذكرته من الأشياخ في هذا الديوان
[١٢٣] السيد محمد بن يوسف الوقماري نظماً بديعاً جمع فيه بين شيخنا عبد الرحمن والسيد يوسف بن علي بن حمود ، وذكر فيه أن من توسل بهؤلاء الأشياخ إلى ربه في حاجة تقضى له ، ولم أجده الآن ومن وجده فليجعله بين النسب وخاتمه الكتاب ، وله الأجر من المولى الوهاب اهـ. ما في «عقد الجمان النفيس » باختصاروقد نظمهم الشيخ شعيب المذكورهنا وأول نظمه :

يقولُ عبد ربِّـــهِ شعيـــــــبُ * وفَّقَهُ اللهُ العظيـــــمُ الـــربُّ

رضي الله عن الجميع وعنّا بهم آمين .

محمدُ بنُ النجارِ التلمساني

محمد بن يحيى بن علي بن النجار التلمساني نادرة الأعصار قال العلامة الإبلي : ما قرأ علي أحد حتى قلت له : لم يبق عندي ما أقول لك غير ابن النجار.

قال المقَّري : ذكرت يوماً ما حكاه ابن رشد في الخمر أنها إذا تخللت بنفسها طهرت ، واعترضته بما في الإكمال عن ابن وضاح : لا تطهر ، فقال لي :

لا تغتر بقول ابن وضاح فإنه يلزم عليه تحريم الخل ، لأن العنب لا يصير خلا حتى يكون خمراً .

وذكرت يوماً قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة : وهي أصوله وفصوله وفصول أول أصوله وأول فصل من كل أصل وإن علا ، فقال : إنْ تركَّب لفظ النسبة العرفية من الطرفين حلت وإلاَّ حرمت ، فتأملته فوجدته كما قال ، لأن أقسام هذا الضابط أربعة : التركيب من الطرفين كابن العم وابنة العم ، ومقابله كالأب والبنت ، والتركيب من قبل الرجل كابنة الأخ والعم ، ومقابله كابن الأخ والخالة اهـ. بنقل ابن الخطيب في « تاريخ غرناطة » ونقله الونشريسي في فوائد المقَّري أيضاً ، ولما أوقفت شيخنا الفهامة محمد بن محمود بَغَيْغ على هذه الفائدة أعني قوله : إن تركب الخ تأملها وعجب بها كثيراً وصار ينقلها في دروسه رحمه الله .

قال المقري : لم يكن ابن النجار بصيراً بالفقه وإنما عنده ذكاء زائد اهـ.

قلت : وإنما ذكرته في هذا الذيل لهذه الفائدة اهـ. « نيل الابتهاج » .

سيدي محمدُ بنُ يعقوبَ الفجيجي

[١٢٤] الشريف الفاضل العارف الكامل أبو عبد الله سيدي محمد بن الحاج محمد ابن يعقوب بالقاف المعقودة بن القاسم الفجيجي السليماني الفراري الدرقاوي طريقة .

كان رحمه الله من خاصة أصحاب الشيخ الأكبر مولاي العربي الدرقاوي وفضلائهم ، وله تلامذة وأتباع ، وأخذ عن غير واحد من الشيوخ وانتفاع ، وكان يخبر بالاجتماع بالمصطفى صلى الله عليه وسلم يقظة ومناماً ، ويشير كثيراً

إلى ما أنعم الله به عليه من ذلك ويتحدث به ، ورأيت له تأليفاً سماه « مرتع القلوب من حضرة علام الغيوب » أخبر فيه بأشياء مما منَّ اللهُ به عليه .

منها قوله : شاهدته عليه السلام وهو يبكي ويمرغ وجهه في التراب ويقول : يا حسرتي على أمتي ثلاث مرات ، جهلوا مولاهم وتركوا سنتي واتبعوا أهواءهم.

محمدُ بنُ يعقوبَ البجائي

محمد بن يعقوب بن يوسف المنجلاتي الزواوي البجائي أبو عبد الله ، يُعرف بالزواوي .

كان حافظاً فقيهاً مستبحراً في حفظ المسائل والفروع ، ولي قضاء بجاية ، ثم أخر عنه ، وكان صديقاً للناصر المَشدَّالي .

قال الحضرمي في « فهرسته » : أخبرنا ولده صاحبنا الفقيه الخير أبو يوسف يعقوب قال : لما صرف والدي عن قضاء بجاية لقيه شيخنا الإمام ناصر الدين المشدَّالي ،وكان صديقه ، وسأله عن حاله واعتذر له ، وأعلمه أن صرفه عن القضاء شق عليه ، وأنشد في الحال وحفظه والدي بين يده :

يعزُّ علينا أن نرى ربعَكُـــم يَبْلَـــى * وكانَتْ بهِ آيات حُكْمِكُمُ تُتلـــى

فشكره والدي وأثنى عليه خيراً .

ورد علينا أبو عبد الله المذكور المرية رسولاً وأقرأ فرائض مختصر بن الحاجب بحضرة جماعة من شيوخنا كأبي عثمان بن أيدن ، والقاضي أبي الحسن البلدي ، والكاتب المتفنن أبي عبد الله بن عمر وغيرهم ، وكان القاضي أبو عبد الله المذكور فقيهاً ابن فقيه ، مليح البحث حسن النظر حافظاً مستبحراً في علم المسائل والفروع ، مشاركاً في فنون العلم ، فاضلاً عنده حظ من الأدب .

أخذ عن والده وعن الشيخ المحدث أبي محمد عبد العزيز بن مخلوف بن كحيلا وغيرهما .

توفي يوم الجمعة ثاني شوال عام ثلاثين وسبع مئة (٧٣٠) ، والزواوي نسبة لقبيلة كبيرة من البربر بفتح الزاء وكسرها ، وولده صاحبنا أبو يوسف المذكور ، كان فقيهاً معظماً خيراً فاضلاً اهـ. « فهرسة الحضرمي » .

[١٢٥] الشيخُ المختارُ الجلالي

صاحب الفتح الطالع والكشف اللامع والبصيرة الخارقة والسريرة المشرقة والكرامات الباهرة والأحوال الفاخرة والمقامات الجليلة والحقائق النفيسة والمعارف السنية والمنازل الرفيعة من مراتب القرب والتصدر المتعالي في مجالس القدس ، وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود ، وصرفه في أحكام الأحوال ، وقلب له الأعيان ، وخرق له العادات ، وأظهر على يده العجائب ، اشتاقت نفسه في حال بدايته إلى شيء من الأكل ، فعاقبها بصيام ثلاث عشرة سنة بصيام نهارها وقيام ليلها ، وكان كثير الإنشاد في مدح شيخ شيخه سيدي محمد ابن عزوز ، وله كلام في الحقائق والوعظ ، وكان يربى بالهمة والحال ، جماله أكثر من جلاله ، ظريفاً لطيفاً نظيفاً طويل القامة قليل شعر اللحية ، وقد أرخ وفاته سيدي محمد المكي بن عزوز أبقاه الله وأعزه آمين بقوله :

فقدَ الهداةُ من الورى ليـــــل دجـــا * من صدمه الإسلامُ أصبحَ مُزعجا
لا سيَّما شيخٌ جليـــــلُ بـــاذخٌ * بذرَ الرشاد ومنهُ شادَ الأبرجـــــا
كالسيد المختارِ منشور الهـــــدى * كم من رجال في الطريقة درَّجـــا
سَعِدَتْ بتُربته بنو جلال قَـــــدْ * أضحت مناراً في البلاد مُزَبرجـــا
أمسى مجاورَ خالدَ بن سنـــــانِ الـ * عبسي نبـــيِّ اللهِ مفتاحِ النجـــا

نِعمَ الجوارُ اختارَ لكن ذاتُـــــــه * حُجبت كشمسٍ بعدها ليلٌ دجـــا
فجعَتْ بذاكَ أواسط الغربِ التـــي * أحيا بذكرِ اللهِ فيها المنهجـــــا
لولا خليفتُـــــهُ محمدٌ الـــذي * بعلومِهِ كرب المصيبةِ فرَّجـــــا
لكنَّ حضرةَ ذا الشريفِ القاسمـــي * أطفا حريقاً في القلوبِ توهَّجـــا
مُتِّعتَ يا مختارُ في دارِ البقـــــا * بزيادةِ الحُسنى ونِلتَ المُرتجـــى
يومَ الرحيلِ أتتْ ملائكةُ الرضـــى * تسعـــى ووجهُ البشرِ ثَمَّ تبلَّجـــا
زفُّوا بروحِك كالعروسِ عزيـــزةً * لك رافعونَ على الأكفِّ متوَّجـــا
جناتِ عدنٍ زُخرفَتْ وبابِهـــــا * رضوانُ مأموراً بها مُستبهجـــــا
والحورُ رافلةٌ صفوفاً كالظِّبـــا * مقصورةٌ بخيامِهنَّ على رَجَـــــا
ولو انهنَّ سُئِلْنَ عن تلكَ الحُـــــلا * لأجبنَ وهي تُؤرِّخُ : المختارُ جـــا

عام ١٢٧٦

[١٢٦] وخليفته الآن في زاويته بأولاد جلال الشيخ سيدي محمد الصغير ، الرجل الصالح ذو الفيض الطافح بالعوارف والمعارف ، أطال الله عمره ونفعنا ببركته آمين .

مروانُ بنُ عمَّارٍ البجائي

أبو الحكم مروان بن عمار بن يحيى الشيخ الفقيه الأديب النحوي اللغوي .

من أهل بجاية سمع أبا محمد عبد الحق الاشبيلي ، ودخل الأندلس فسمع أبا محمد عبد المنعم بن الفرس ، وأبا القاسم بن حبيش ، وأبا عبد الله بن حميد فأخذ عنه بعض سيرته ، وكان من الأدباء النبهاء مشاركاً في أبواب من العلم ، حسن الخط جيد الضبط ، كتب للولاة ، ثم ولي القضاء بالمرية ، ثم أخِّر عن ذلك رحمه الله .

سيدي مصطفى الرماصي

العلامة المتفنن المحقق والجهبذ النقاد المدقق ، من أذعنت له في وقته الأقران ، ولم يختلف في فضله وسعة علمه اثنان ، وتزاحم على بنات فكره وعرائس سره الداني من أهل العلم والقاصي ، الشيخ الإمام القدوة سيدي مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي ، نسبة إلى رماصة ، قرية صغيرة من قرى مستغانم ، هذا هو الأشهر في عنوانه ، وقد يدعى عند بعضهم بأبي عبد الله محمد بدل مصطفى ، لكنه خلاف الجاري على ألسن العلماء وعملهم في الرمز إليه كما في البناني وغيره .

كان رحمه الله تعالى ممن اشتهر بالتحقيق والتحرير والمتانة في الدين ، وسمع الكلمة عند السوقة والأمير ، مع لين جانب وتوءدة وتسليم وسريرة صافية وقلب سليم ، ومع ذلك ربما يقول في بعض فتاويه لمن يتخيل منه إباية أو تساهلاً فيما يلقي عليه : فإن امتثلت وإلاَّ فسهام الشريعة صائبة مسمومة ، وعادة الله بهتك من أعرض عنها واضحة معلومة ، ورحل رحمه الله إلى مصر في طلب العلم واكتساب الآداب ، واقتنى النفائس واجتلى العرائس عن أكابر أهلها من الأصحاب ، ورحل قبل إلى بلد مازونة ، وأخذ عن أكابر أهلها من أسلاف السادات الراسيين ، وموضع درسه من مسجدهم إلى الأن مشار إليه ومتبرك به ، ويتنافس الطلبة على الجلوس فيه .

ومما يناسب هنا ما حكاه لي العلامة سيدي محمد أبو راس مفتي الديار المازونية الآن أنه سمع من جده سيدي أحمد بن سيدي هني أن الشيخ مصطفى الرماصي ، وسيدي عمر بن دوبة ، وسيدي العربي بن الحطاب كانوا مسافرين بمازونة لقراءة الفقه على أحد الشيوخ من أسلافهم الأقدمين يعني أسلاف سيدي أحمد بن سيدي هني المذكور. فذات يوم أذن لهم الشيخ في الأنصراف ، وأمركلا

بالرجوع إلى وطنه ، وقال للشيخ مصطفى : أنت المذهب ، وللشيخ عمر أنت
[١٢٧] الولي ، وللشيخ العربي أنت البندير ، ففرح الأولان واهتم الثالث واغتاظ ، ووقع في قلبه شيء من مقالة البندير ، وحكى لوالديه ذلك ، فسألاه هل قال لك الشيخ ذلك في حالة رضى منه أم سخط ؟ فقال : بل في حالة رضى ، فقالا :

إذا لا بأس عليك ، فلم يطمئن قلبه حتى انطلقا به إلى شيخه متضرعين طالبين العفو والرجوع عن كلمة البندير ، فأجابهما الشيخ بأن هذه قسمة وقعت من سيد الوجود صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فإن كرهتموها فقد كرهتم قاسمها ، ففرحوا حينئذ بذلك وكان من أمره أن صار يمدح النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويذكر شمائله بحضرته ، ومدحه يماثل مدح سيدي الأخضر مما هو محفوظ عند أولاده مقرراه .

وتآليفه رضي الله عنه بديعة عزيزة المنال ، لا زال الأفاضل يقتنونها مستصغرين فيها نفائس الأموال ، منها شرحه على متن السنوسية ، ذكر أنه أشبع فيه الكلام على ما يتعلق بالبسملة والحمدلة ، ومنها وهو أشهرها حاشيته على شرح شمس الدين عامر بن ضرب العدواني التتائي على متن أبي الضياء سيدي خليل في فقه مذهب مالك بن أنس رضي الله عن الجميع ، قال في طالعتها بعد البسملة والصلاة وتعريفه بنفسه : لما كان علم الفقه أفضل العلوم بعد كتاب الله وسنة رسول الله إذ به تُعرف الأحكام ، ويتميز الحلال من الحرام ، وقد صنف فيه الأئمة الأعلام دواوين لا تحصى الخ . ولم نقف أيضاً على تعيين مولده ووفاته ، غير أنه كان في حدود أوائل القرن الثاني عشر بيقين بمستندات لا شبهة فيها ولا مين ، هذا ما يسره الله تعالى من ذلك المطلوب ، وصلى الله على الحبيب المحبوب ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

مصطفى بنُ الشاوشِ القسنطيني

العلامة الشيخ أبو الوفا مصطفى بن الشاوش أديب زمانه وفريد أوانه ، ذو العلم الجليل والفضل الشهير ، كان متعلقاً بمذهب أبي حنيفة متبحراً في العربية بفنونها .

أخذ عن الشيخ صالح بتونس ، ورجع لقسنطينة فدرس وأقرأ ، وخطب بالجامع الأخضر وأفتى على المذهب النعماني ، وعرضت عليه الفتوى بعد موت الشيخ مصطفى باش تارزي فرفض ، ومات سنة ١٢٥٢ .

[١٢٨] مصطفى العجمي القسنطيني

العلامة الشيخ مصطفى العجمي فريد الوقت والزمان كان يشار إليه في الفقه المالكي وحله لمعضلاته ، أكمل شرحَ الشيخ سالم السنهوري على مختصر خليل ، وتولى الإمامة بجامع سوق الغزل ، حتى مات في حدود سنة ١٢٤٠ .

مصطفى بنُ عبدِ الرَّحمنِ القسنطيني

الشيخ مصطفى بن الولي الشهير سيدي عبد الرحمن باش تارزي . كان أعجوبة أوانه علماً وحفظاً وورعاً وديانة ، حاملاً لواء المذهب الحنفي ، ممتلئاً من علمي المعقول والمنقول ، عارفاً بالفلك لا يشاركه فيه غيره ، شاعراً مجيداً ، ولي الفتوي الحنفية ، ثم القضاء ، ثم الخطابة بجامع سوق الغزل ، ثم بجامع القصبة ، ثم بسيدي للكتاني .

وله مؤلفات عزيزة منها :« تحرير المقال في جواز الانتقال » ورسالة في الوقف على مذهبه ، وشرح منظومة الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن في الحساب ، مقتصراً على العمل دون التبيين لكلامه .

توفي عام ثمانين وتسع مئة (٩٨٠) انتهى من « منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية » للشيخ البركة سيدي عبد الكريم الفكون القسنطيني.

منصورُ بنُ عبدِ الحقِّ المَشدَّالي البجائي

قال الغبريني :

أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدَّالي الشيخ الفقيه المحصل المتقن المجيد المتفنن من أصحابنا ومعاصرينا في الوقت ، رحل إلى المشرق ولقي أفاضل منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ صدر الدين سليمان الحفني ، وشرف الدين بن السبكي ، وشمس الدين الأصبهاني ، وأفاضل غير هؤلاء .

قرأ وحصل له علم بالفقه وأصول الفقه والدين ، وله مشاركة في علم المنطق وعلم العربية ، وكل هذه تقرأ عليه ودروسه حسنة منقحة ، وله عبارة جيدة ، وهو كثير البحث ، ومحبته في البحث أكثر من محبته في النقل ، ويتكلم على تفسير كتاب الله تعالى وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجيد ، وهو من أهل الشورى وأهل الفتيا ، وله شرح على رسالة أبي محمد بن أبي زيد ، ولم يستكمله ، وهو لا بأس به ، وتحصيله لأصول الفقه وأصول الدين على طريقة الأقدمين وعلى طريقة المتأخرين ، وهو ممن ينفع بالأخذ عنه والسماع منه .

[١٢٩] سيدي معزوزٌ البحري المستغانمي

أوحد زمانه وسراج أوانه ، حامل لواء كل فن ، وواصل ما ظهر من العلوم بما بطن ، المشار إليه عند الكل بالمقام السامي ، العلامة الناصح والولي الصالح سيدي معزوز البحري المستغانمي ، لم يعرف عندنا بغير هذا من قديم ، غير أن ما أشهر الله من أمره وأظهر عليه من حلل فضله أغنى المعرف عن التعريف ، وطرزه بطراز التكريم والتشريف ، واشتهر بما ذكر لكون متعبده ومدفنه وما بني عليه كان على جبل بشاطىء البحر بمستغانم ، إلى أن أحدث بناء المرسى في البحر من ناحيته ، فاحتيج للجبل الذي هو فيه فأمر بنقله فنقل إلى مقبرة البلد ، ودفن بطرفها الموالي للبحر ، وكان نقله في يوم الأحد سادس عشر شعبان سنة سبعة وثلاث مئة وألف (١٣٠٧) موافقاً ٦ ابريل سنة ١٨٩٠ ، واجتمع لنقله ودفنه خلائق لا تحصى ، وأظهر الله في ذلك المشهد مما يؤذن بجلالة قدره ، ويحق أن يُسطر في مناقبه ما لا يستقصى .

وله رحمه الله ورضي عنه تآليف مفيدة معتبرة بعبارات مبسوطة محررة ، وله قوة في الاستظهار وعلى ما يستظهره لوائح القبول والاعتبار ، وقفتُ من تآليفه على شرحه على متن السنوسية ، قال في خطبته : الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلاله ، ويوافي ما تزايد علينا من نعمه وأفضاله ، لا أحصي ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه الخ ، وله في هذا الشرح فوائد حسنة رائقة ، وتنبيهات مفيدة فائقة ، منها قوله في مباحث الحمد :

ننبيه : صيغة الحمد في الحديث يُحتمل أن تكون معينة ، ويُحتمل أن يكون المراد منها مادة الحمد ، وإن كانت بلفظ الفعل كأحمد ، وأن يكون المراد معنى الحمد ، وإن لم يكن بلفظه حتى لو بدأ بالبسملة ونحوها كفاه ، ولأجل هذه

الاحتمالات توسع الغالب في ذلك اهـ. ثم قال : وعدل المصنف عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية لفوائد الخ فذكر لذلك ستة فوائد ، تُعلم بالوقوف عليه .

ومنها نظمه لمتن السنوسية ، وهو في غاية البسط والبيان والتحرير والاتقان ، ومنها شرحه على متن السلم ، أخبرني به من أثق به ممن وقف عليه ، ونقل لي بعض عبارته فيه ، كقوله باللفظ أو بالمعنى في مبحث تقديم التصور على الحكم ، وذلك باعتبار الأصل والغالب ، وقد يعكس كما في قول المختصر : جاز الخلع وهو الطلاق بعوض اهـ . إلى نظائر من هذا القبيل يمثل فيها بالمختصر ، ثم إنا لم نقف على تاريخ وفاته غير أنه كان في حدود أواسط القرن الثاني عشر [١٣٠] بيقين ، أو ما في قوته أخذاً من القرائن الدالة على ذلك من كلامه وغيره ، والله تعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً اهـ. من خط النحرير مفتي مستغانم الحالي .

موسى بنُ عيسى المازوني

أبو عمران موسى بن عيسى المازوني عالم جليل وعامل أصيل ، تمكن في السنة حتى لم يدع للبدعة مدخلاً إلا سده ولا لأهلها مقتلاً إلا قدَّه ، فهو في الدين طود شامخ ذو مجد باذخ على أولياء الله مناضل ، وفي سبيل الذب عن حماهم مقاتل .

وقفت له على تأليف عظيم القدر كبير الفائدة ، لخصه من كتاب له في مناقبهم سماه « ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار» واقتصر في ملخصه على مناقب المشيخة المشتهرة بالصلاح في أوطان شلف (الوادي المعروف) ، وذكر فيه علماً كثيراً نافعاً يغسل أدران القلوب ، ويعذب اطلاعه لكل معتقد

أديب ، ولكنه لم يزد على مناقب سيدي واضح الشلفي ، وسيدي أبي يعقوب ، وسيدي أبي عبد الله الهواري التنسي ، وسيدي فاتح بن يوسف ، وسيدي أبي يحيى ، وسيدي يحيى بن امهبول .

أما المؤلف نفسه فلم أجده مترجماً إلاَّ بما قل في « نيل الابتهاج » لسيدي أحمد بن بابا التنبكتي ونصه : موسى بن يحيى[1] بن عيسى المازوني المغيلي قاضي مازونة .

وصفه بعضهم : بالفقيه الأجل المدرس المحقق القاضي الأكمل ، وهو والد صاحب النوازل ، ولصاحب الترجمة تأليف في الوثائق سماه « الرائق في تدريب الناشىء من القضاة وأهل الوثائق » في مجلد ، وذكر فيه عن أبيه ، عن شيخه القاضي أبي محمد عبد الحق المليانى ، وهو ممن يعول على قوله لمعرفته ودينه : إن ملك اليتيم أمره وطلب محاسبة وليه ، أو طلبه الوصي بفور إطلاق الوصي له يستحب تأخير المحاسبة بينهما سنة من وقت إطلاقه ، بخلاف محجور ولي القاضي ، فإن له محاسبته إن أحب بفور إطلاقه ، إذ لا تهمة عنه لأنه إنما يطلقه بظهور رشده . اهـ . ما تيسر من ترجمة هذا السيد ، رضي الله عنه ونفعنا ببركاته آمين .

سيدي ناجي

الشيخ سيدي ناجي له أولاد حازوا المعالي من قدم الزمان ، وقد وجدت كثيراً من الفضلاء منهم في محلهم ، منهم سيدي محمد بن الطيب ، وسيدي أحمد بن ناصر ، وفقهاء وقراء ، وفيها الولي الصالح تلميذ الشيخ سيدي أحمد ابن ناصر ، وهو السيد عبد الحفيظ أعني أولاده ، وأما هو فقد وجدته ميتاً قبلي

(١) هذا زائد عليه في ترجمته أخير « نيل الابتهاج » ومخالف لما في كتابه الذي نقلت منه ما تقدم فتأمل .

[١٣١] بنحو شهرين ، ولم آخذ عنه مباشرة ، وإنما أدركت الذي أخذ طريقه وهو سيدي بركات ، وإخوانه ، وأولاده ، وسيدي السعيد ، ومدرس المسجد ، وغيرهم من طلبة العلم وفضلاء الوقت ، فإن النحو عندهم يعتني به الصغير والكبير حتى إنهم اشتهروا به اشتهاراً بيناً ، وبالجملة فمحلهم مشهور بالفضل والعلم والهمة غير أنهم يتحاسدون في تولية الرئاسة ، كانت بأمر رباني والآن صارت بالضد والعياذ بالله ، أصلح الله حالهم ووفق كلهم ، ونفعنا ببركة أسلافهم آمين .

وفي تلك الحجة وهي سنة ثلاث وخمسين ومئة وألف (١١٥٣) ذهب معنا العلامة الفاضل والمنور الكامل سيدي أحمد التليلي تلميذ سيدي عبد الحفيظ المذكور ، كان كريماً فاضلاً بحيث لا صبر له عن إطعام الطعام في الطريق ، وكان يعرف السنن كثيراً على أني زرت معه في بدر ومكة والمدينة المشرفة ، فكأنه هو الذي وضعهم في التراب ، وله يد في العلوم كلها من غير تخصيص أي العلوم الظاهرة ، فقد كان واحد عصره وفريد زمانه ، وكذا علوم الحقائق ، ومثله علم الأوفاق بأنه لا نظير له فيما علمت ، ومع ذلك إنه موفق غاية التوفيق ، وأقبل على الله بكله بالتحقيق ، وقد طلبني لعلم الأوفاق لآخذه عنه فامتنعت لكون قلبي متعلقا بالله ، بحيث لم يترك لي سواه غلبت علي سطوة الوارد .

وكان رضي الله عنه يكتب المعارف يسمعها مني حين يتعدى علي سلطان الوجد ، وكان بديع الخط سريع اليد فيه ، وكان ينسخ في برقة كراساً ، وأظنه من القالب الكبير من رحلة الشيخ سيدي أحمد بن ناصر ونحن مسافرون ، وأما يوم الإقامة فكان ينسخ أكثر من ذلك ، وقد زبر في برقة رحلة الشيخ سيدي أحمد بن ناصر ، وزاد كتاب الصباغ في كرامات الشيخ سيدي أحمد ابن يوسف ، وقدر الجميع بما يقرب من ستين كراساً ، ورجعنا جميعاً إلى

أن نزلنا توزر ونفطة ، وزرنا جميعا الولي الصالح والقطب الواضح سيدي عبد الحق فيها ، ولم تكن له طريق وإنما طريقه من فاس إلى قفصة ، ثم إلى محله ، فرأيناه وهو بين قفصه وتبسة ، وقد زرت محله والحمد لله ، وانفصلنا عنه حين ارتحالنا من نفطة ، وعند الافتراق أزال جبة صوف عن جسده فألبسها لي ، فعلمت أن الله تفضل علي بذلك اهـ. ورتيلاني .

[١٣٢] سيِّدي الهادي

كان رضي الله عنه مقبلاً على الله ، وله بسطة في الدنيا ، وأقبلت عليه الناس ، ثم بعد ذلك امتحن بأن تعدى عليه طلبة الشيخ سيدي أحمد بن إدريس ، فنجاه الله وسلم ، ثم إني رأيت له قصيدة كبيرة في شأن هؤلاء الطلبة المعتدين ، وإن خصها ببعض أوزان الشعر فإن مذهب المتقدمين لا يشترطون ذلك ، وإنما هو مذهب المتأخرين على أنه إن استقامت حالة الإنسان ، وكانت همته عالية متعلقة بالله تعالى لا يضره مخالفة القوانين الأدبية ولا غلبة العجمة ولا قلة العلم ، وقد ذكر فيها أنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له : سيهلكهم الله وكان الأمر كما ذكر بأن شتت الله جموعهم ، وفرق أمرهم تفريق يد سبأ ، وإن بقيت منهم حثالة فقد رق حالهم وضعف أمرهم غير أنه إن بقي منهم ولد واحد لا يخلو من التعدي والظلم .

نعم بركة الشيخ سيدي أحمد بن إدريس تعمهم فيتوبون ، ولعل الله يهديهم أو يهلكهم إن لم يعلم ذلك منهم ، وبركة الشيخ سيدي الهادي هذا ظاهرة على ذريته أرشدهم الله تعالى ، وزيارة هذا الشيخ بعد أن زرنا مقام الشرفاء في بو جليل ، فإنهم أهل فضل وبركة وعناية ، وقد اجتمعنا معهم في الجد الأعلى وفي الشرف على ماكنا نسمعه من أعالي أسلافنا اهـ. ورتيلاني .

سيِّدي واضحٌ الشلفي

قال العلامة أبو عمران موسى المازوني في ملخص كتابه « ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار » : كان الشيخ سيدي أبو البيان واضح فيما حدث عنه الثقات ، قاهراً لأحواله مجتهداً في العبادة ، دائم التوجه إلى الله ، قامعاً لشهوته ، خرج في مبدأ نهايته عن أكل هذه المألوفات لا سيما ما جرى منها على ملك احد ، كان رحمه الله كشيبان الراعي عاملاً صواماً قواماً إلى أن صار لا يفطر إلا على رأس أربعين يوماً بشيء من الخبيز وحب الجودر ، ونبه على ذلك حفيده الشيخ المبارك عبد الله بن يوسف في قصيدته التي جمع فيها ما صح لديه من كراماته ، ثم انتهى حاله في أخير عمره إلى أن كان من الروحانيين إلى أن قال :

قد ماتَ قومٌ وما ماتت فضائلُهم * وعاشَ قومٌ وهم في الناس أمواتُ

واعجباً لاحياء تموت برؤيتهم القلوب ، وأموات تحيا بذكرهم القلوب .

كان إمام فريضته الشيخ الفقيه الصالح سيدي عزوز ، وكانت كهوف سيدي واضح في جبل وافرشان .

كان اشتهار أمر الشيخ سيدي واضح في أواسط القرن السابع . قال حفيده : واشتهر حاله في أوائل الستين منه ، وخضع لأمره بعد الامتحان أبو يحيى يغمراسن ابن زيان لما نزل عليه بجيوشه ومحلاته بأعلى خنق رهيو بالموضع المعروف الآن بوزاني ، وكان أبو يحيى أحد حذاق وقته ، وهو إذ ذاك رئيس عبد الوادي وخليفتها وذروة سنامها ، وكذلك قصده لذلك أمير تجّين محمد عبد القوي ، وتوفي يغمراسن بعد الثمانين بعامين أوثلاثة من القرن السابع ا هـ .

وذكر في هذا الكتاب القاضي عثمان وأبا مهدي عيسى بن فكرون الحاج الصالح فقال : كان أبو مهدي فاضلاً متخلقاً عابداً مجتهداً حج البيت خمساً

وعشرين مرة ، وقبره بمقبرة من جبل وانشريس مشهور معروف يُزار اهـ .

وقال بحثت على تاريخ مولد الشيخ سيدي واضح وعام وفاته فلم أجد علم ذلك عند أحد ، وكذلك ذكر حفيده أبو محمد في قصيدته إلا أنه توفي عن تحقيق في أواخر القرن السابع ، وزعموا أنه تلميذ الشيخ الصالح العابد المتبرك به سيدي أبي يعقوب ابن السيد العالم القدوة أبي عبد الله محمد بن محيو الهواري الشهير بالأبرش .

قال لي شيخنا أبوزكرياء : قرأ بالشرق طويلاً حتى تفقه ، وكان ابنه عبد الله من الفضلاء الأخيار ، شهد له أبوه بالسبق في خدمة الحق ، مشى معه يوماً في الخندق المعروف الآن بتيسكريون فقال لأبيه : انظر إلى بيت الله الحرام فرآها ، وللشيخ أبي يعقوب خديم اسمه يوسف قال له : ما بال وجهه معوجاً ! فقال له الخديم : بل رأيت وجهك في وجهي ، فسأل الشيخ فوجده كذلك ، ولما بحث وجد نفسه أكل تيناً من غرس غرسه في بقعة والبقعة مغصوبة اهـ .

وقال في موضع آخر : وقد ذكرنا جملة من صلحاء البوادي في مختتم تأليفنا « حلية المسافر وآدابه وشروط المسافر في ذهابه وإيابه » وعقدنا فيه فصلاً جيداً تضمن فوائد تنبسط لها خواطر طالبي هذه الطريقة إلى أن قال : ومناقب الشيخ سيدي أبي يعقوب كثيرة ، لكنا لم نثبت منها ها هنا إلا ما صح عندي على ألسنة الأخيار الفضلاء ، وقبره ببني حلوان بساحل مازونة مشهور متبرك به ، فلا يرى من استند لحرمه سوءاً ببركته وبركة سلفه الصالح ، ويذكر أهل هذا الجيل من عشرة السبعين من القرن الثامن أنه شريف وحفدته يذكرون ذلك ، وتحقق ذلك عند شيخنا الأستاذ أبي زكرياء ، وفي قلب والدي من ذلك شك ، لكن عقبه أخلاف لم يصونوا حرمته ولا اتبعوا طريقته ، ولم أعرف له

وقت مولد ولا وفاة ، والناس إلى اليوم يعظمون قدره ويلمون بقدره ، وزعموا أنه تلميذ الشيخ الصالح أبي زكرياء المغيلي ا هـ .

وذكر بعد ذلك مناقب الشيخ أبي زكرياء المغيلي ، وحلاه بأوصاف عالية وقال : هكذا وصفه الشيخ الصالح الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي في كتاب « التشوف إلى رجال التصوف » وأخبرني الأستاذ أبو زكرياء يحيى بن علي أن رجلاً من أهل تنس صدرت منه يمين بالطلاق ثلاثاً ليحجنّ هذه السنة ، فأبطأ حتى دخل شهر ذي الحجة فاقتضى نظر القاضي إذ ذاك أبو علي حسين بن محمد بن إدريس المازوني عزل زوجته عنه ، فذهب الحالف للشيخ سيدي أبي يعقوب فأعلمه بقصته ، فأمر بطبخ ثلاث دجاجات ورغائف ، ولف الجميع في منديل وعمد إلى الرجل وشده على ظهره ، وجعل المنديل بينهما وقال له :
[١] أثبت ، فطار به حتى بلغ مكة ، قال : فلا أدري أوصل به في ليلته أم بعدها ، وأمره بقضاء مناسك الحج ، وانه إذا فرغ كتب وثيقة عند قاضي مكة بحجه هذه السنة ، ففعل ولما انصرف للمدينة لزيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم خاطب له أيضاً قاضيها ثم رجع لبلده ، فجعل لا يمر ببلد إلا ويخاطب له قاضيه على وثيقة ، حتى وصل تنس واستظهر بذلك عند أبي علي حسين ، وأثبتها لديه كما يجب ، فاستكشفه عن كيفية وصوله فقص عليه نبأه فاعتبر ، وأطال الإعجاب وقال له : انصرف لأهلك هذا لا يستغرب في حق أولياء الله تعالى .

وكان والدي رحمه الله والأستاذ أبو زكرياء يقولان عنه أي عن أبي زكرياء المغيلي : إنه آية من آيات الله في العلوم ، فقيه حافظ محقق ، له قدم عالية في معرفة الحديث ، قالا : حدث عنه من أدركنا من الفضلاء أنه يحفظ سبعة وعشرين ألف حديث بإسنادها ، وغير ما مرة قال لي أبي : إذا حدث عنه كان أبي يحدثني عنه هو وغيره من أسلافنا أنه كان إماماً ثبتاً محققاً مشاركاً في فنون العلم ، يستحضر نحواً من أربعين ألف حديث بإسنادها ، وناظره مرة بهذا

المسجد يعني مسجد حومتنا عالم قدم من بلاد المصامدة في غير ما فنّ فوجده ثبتاً في كلّ ما ناظره فيه ، فلما أعياه أمره أخذ معه في طرق الحديث فتبسم ، وقال يا فقيه : الآن بلغت فني وبضاعتي فتعجب منه اهـ .

وذكر بعده سيدي أبي زكرياء يحيى بن محمد الجراري ووصفه بالورع ، وذكر حكاية تدل على ورعه ، وهي أن زوج أخته بعث إليه سمناً من ماشيته ليأكله الصالحون ، فرده واعتذر له بأنه لا احتياج إليه ، فلم يقبل عذره وظن أنه أساء الظن في مكسبه ، فقال له : أنت تترك ماشيتك ترعى في أراضي المسلمين وأنا أطعم سمنها للصالحين؟اهـ ثم قال : قال لي الأستاذ أبو زكرياء إن الشيخ أبا زكرياء المغيلي ليس من مغيلة جبل وانشريس ، وإنما هو سفياني أو خلطي من عرب المغرب ومغيلة جماعة من تلك القبيلة ، وذكروا أنه تلميذ سيدنا الشيخ العالم العامل القدوة أبي عبد الله محمد بن محيو الهواري الشهير بالأبرش الذي ذكر أبو يعقوب التادلي في تأليفه أنه من أهل بلد تنس ، كبير الشان من أهل العلم والعمل ، وسبب برشه أنه كان جميل الصورة فغطن لنظر النسوة إليه ، فسأل الله تغيير صورته ،فانتفض عليه طائر ورشه بماء ، فبرش منه :

ذَرِ الدنيا وإنْ زانتكَ حُسنـــــا * ولا تغرُرْكَ ربَّـــاتُ الحِجـــالِ
فليسَتْ فتنـــةٌ في الأرض تُخشـى * أضرَّ مِن النســاء عـلى الـرجـــالِ

قال : أتيت في ابتداء أمري عبدالسلام التونسي فقلت له : دلني على أمر ، فقال لي : اذهب لسوق الكتب فأول كتاب تجده في يد الدلال فادفع إليه ثمنه ولا تفتحه حتى تأتيني به ، فجئته به فقال لي : هذا سفر من الإحياء وقد أرشدك مولاك لما تنظر فيه ، فنسخت كتاب الإحياء حتى حفظته اهـ .

قال وكراماته أي أبو زكرياء المغيلي أعاد الله علينا من بركاته مشهورة ،وما قيدته منها هو الذي تحققته على ألسنة الفضلاء ، وقبره مشهور متبرك به في جبل

بيسة ، بينه وبين بلد تنس أميال ، ولا أعلم له عقباً ا هـ .

وذكر بعده سيدي فاتح بن يوسف قال : ومن الأولياء المعدودين بهذه البلاد الشيخ الصالح سيدي فاتح بن يوسف ، كان عابداً ناسكاً فاضلاً ذاكراً داعياً مبتهلاً ، حدثوا عن أخيه سيدي يعقوب عنه أنه كان جالساً بموضع يسمى بوحوي مختلياً بنفسه للدعاء والذكر ، فصار يكثر من الصلاة على الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام ، فخطر به ومسح عليه بجناحيه ، ويحكى عنه أن خديمه فقد كبشاً من كبشين اشتراهما للعيد ، فقيل : إنه أكله أسد قرب العمارة ، فذهب إليه وفتح فاه وقال : لم أجد في أسنانه أثراً من الكبش ، ظلمتم هذا المشوم ، وأمره بأن يتعشى بشاة من غنم بخيل من بني ميحة ، فذهب الأسد وفعل ما أمره به الشيخ ا هـ .

وذكر بعد ذلك بورقات أن سيدي فاتح رأى في منامه أن الشيخ سيدي واضح جعل في عنقه حبلاً وجره إليه ، فلما استيقظ قال : وجبت علي زيارته ، وذهب إليه ولما قرب منه قال سيدي واضح : قوموا بنا نتلقى الزائر ، فلما رآه تبسم وقال له : يا فاتح لم لا تجيء حتى جعل الحبل في عنقك ا هـ . قال وعلى اسم الشيخ سيدي فاتح تسمى والد الفقيه الصالح أبي عبد الله محمد بن فاتح بن يعقوب ، لأنه ولد ليلة مات ، وهذا الفقيه بقيد الحياة الآن مشهور بالخير والدين ا هـ .

قال : ومن الرجال المشهورين بالصلاح ببلدنا سيدي أبو يحيى ، ذكروا أنه من أشراف ساحل تدلس ، ومن حفدته الشيخ سيدي علي بن عبوفاضل ، دين معه صلابة في قول الحق ، دائم الذكر ، رأيته مراراً وتبركت به ودعا لي . والصالح الزكي الورع أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي يحيى المذكوركان في زمن السلطان أبي حمو موسى بن عثمان ا هـ .

وذكر بعده الصالح سيدي يحيى الشهير بامهبول ، فقال : معروف في ناحيتنا بالصلاح مرفوع الصيت ، وكذلك سيدي مسعود بن عريف ، ما وجدت

من ينقل لي آثاره ا هـ .

وبه ختم كتابه الذي نقلنا منه هذه النبذة ، نفعنا الله ببركة الجميع بجاه النبي الشفيع صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً

يحيى بنُ زكرياء القريشي السطيفي

من « عنوان الدراية »

يحيى بن زكرياء بن محجوبة القريشي . شيخنا الشيخ الفقيه الصالح المبارك أبو زكرياء السطيفي تلميذ شيخ شيوخنا الشيخ أبي الحسن الحرالي رضي الله عنه .

كان من المتعبدين الزهاد الأولياء رحل إلى المشرق ، ولقي مشايخ ، واقتصر على أبي الحسن الحرالي ، واستفاد منه علم الظاهر والباطن ، وحصل من هديه الجلي والكامن ، لقيه بالديار المصرية وصحبه هناك مدة طويلة ، وهناك ظهرت له حقائق وانقطعت عنه عوارض العلائق ، وكان الشيخ رضي الله عنه وأصحابه قد أدركوا المدارك ، وجاوزوا سبل المهالك ، وكانوا يريدون ترقي الشيخ أبي زكرياء إلى بعض مداركهم والانتظام في سلكهم ، وما زالوا به إلى أن ظهر له بعض التحقيق ، واعتد جادة الطريق ، فأنهوا ذلك إلى الشيخ أبي الحسن رحمه الله فأنشده في معنى ما ظهر له :

[٢] جَلَتْ لكَ ليلى مِن مثنى نقابها * طريقاً وأبدت لمعةً مِن جمالها

فطِبتَ بها عيشاً وتِهتَ لذاذةً * وفأكَ الإلماعُ بردَ ظِلالها

فكيفَ ترى ليلى إذا هي أسفرت * ضحاء أوابدت سالفاً مِن دلالها

وكيف بها إن لم يَغِبْ عنكَ شخصُها * ولم تخلُ وقتاً مِن منالِ وصالِها

وكنتَ بكونِ الأمرِ إنْ أنتَ كنتها * وكانتكَ تحقيقاً فحلَّت محالها

وكان رحمه الله ممن تخلى عن الدنيا وتركها ، وكان صاحب كرامات مستجاب الدعوة ، سمعت عن الشيخ أبي الحسن الحرالي رضي الله عنه أنه عين أصحابه بعده ، فقيل : إنه قال أصحابي ثمانية وعشرون ، منهم أربعة تستجاب دعوتهم ، وعيّن من الأربعة الشيخ أبي زكرياء رضي الله عنه ، وربما زاد الناقلون في العدد أو نقصوا منه ، وروح المسألة أن الشيخ أبا زكرياء أحد الأربعة الذين تستجاب دعوتهم ، وسمعت أن منهم الشيخ أبا محمد بن عبد الطرابلسي رحمه الله .

وكان في علم التصوف مقدماً ، وكانت له أخلاق حسنة ومن فضائله وزهده أنه عرض عليه في مدة الأمير أبي يحيى برد الله ضريحه أن يجعل له مرتباً من أعشار الديوان في كل شهر ، فامتنع من ذلك فقال : إن اسمي في ديوان الوجود المطلق ، فلا أجعله في الديوان المقيد لأن الإطلاق أوسع من التقييد ، وهو في ديوان الخلق ، ورأيت له تأليفاً حسناً في شرح أسماء الله الحسنى ، وله في التصوف تقاييد كثيرة ، وله نظم حسن وقطع مستحسنة ، كلها في المعاني الصوفية ، وكنت في زمان الشباب نظمت القصيدة التصوفية الهمزية التي مطلعها :

واحيرةِ العشَّاقِ بالرقبـــــاء * حُرِموا الوصولَ لطيبةِ الوسعـــاء

وهي نحو أربعين بيتاً فحملتها إليه وأنشدتها بين يديه ، ففرح وجعل يدعو
[٣] ويقول : بصرك الله بمعانيها وأطلعك الله على ما فيها ، لأن الحال كان حال شبيبة ، فاعتقد الشيخ رحمه الله أن ما أتيت به فيها إنما هو على سبيل الصناعة لا على سبيل الاطلاع والشهرة ، والله يؤتي فضله من يشاء .

توفي رحمه الله ببجاية في غرة ذي القعدة عام سبعة وسبعين وست مئة (٨٧٧) ، ومن شعره رحمه الله :

أتَتْ والليـــلُ ممـــدودُ الجنـــاحِ * تعـودُ مسهَّـداً رطـبَ الجـــراحِ
فقـالَتْ كيفَ أنتَ ولا جنـــاحٌ * فقلتُ : العَـودُ يذهبُ بالجنـــاحِ

فـوالهفـي على الشكـوى لسـارٍ * وواجزعـي لإعجـالِ الصبَّـاحِ

يحيى بنُ أبي علي الزواوي

الشيخ الفقيه الصالح العابد على التحقيق ، المتوجه إلى الله بكل وجهة وطريق أبو زكرياء يحيى بن أبي علي المشتهر بالزواوي ، وهو عندما يكتب اسمه يكتب الحسني منسوب إلى بني حسن من أقطار بجاية ، والناس ينسبون فيه الحسناوي .

ولد في بني عيسى من قبائل زواوة ، وقرأ رضي الله عنه أول أمره بقلعة بني حماد على الشيخ الصالح أبي عبد الله بن الخراط وغيره ، ثم ارتحل إلى المشرق ، ولقي الفضلاء والأخيار والمشايخ من الفقهاء والمتصوفة وأهل طريق الحق ، وكان رحمه الله منذ ظهر بانياً على ترك الدنيا والانقطاع إلى الدار الآخرة ، استوطن بجاية بعد رجوعه من المشرق ، وجلس بها لنشر العلم وبثه والدعاء إلى الله تعالى ، فانتفع به الخلق الأعظم ومات صحيحاً سوياً دون مرض ولا ألم ، قدس الله روحه وبرد ضريحه ونفع به وبصالح دعائه ، وفشا الخبر في الناس فتسابقوا إليه وحشروا من كل ناحية عليه ، وارتفع صراخهم واشتبكت أصواتهم ، ونما ذلك إلى من كان له الأمر ببجاية حينئذٍ ، فتوجهوا نقباً لصيانة جثته الطاهرة الزكية عن ابتذال من يلي بها ، ويقتحم للتبرك بما بين ثوبها ، فلما جن الليل أمروا بحمله إلى روضته ، وكلفوا أمناء بجهازه ، ثم بادروا بأنفسهم وشهدوا الصلاة عليه على شفير قبره ضحى يوم السبت ، ووقفوا حتى واروه وعزى الناس عن مصابهم بعضهم بعضاً رحمة الله عليه اهـ كلامه رحمه الله .

ومن أشياخه الفقيه أبو طاهر إسماعيل بن مكي ابن عوف الزهري روى عنه « الموطأ » القاضي أبو سعيد مخلوف بن جاره ، وروى عنه المصابيح وكتباً عدة إجازة وسماعاً الإمام أبو طالب أحمد بن رجاء اللخمي ، قرأ عليه وأخذ عنه

الأصلين حفظاً واتقاناً ، والحافظ أبو طاهر السِّلَفي صحبه وأخذ عنه إعجاز
[٤] القرآن للخطابي ، ومن شعر أبي طاهر :

مـا لي لـدى ربي جزيـلُ وسيلـةٍ * إلاَّ اتبـاعَ دينِـهِ ويقينـي
والـديـنُ حِصنُ للفتـى وعقيدتـي * إن القليـلَ من اليقـينِ يقيـني

ومن أشياخه رضي الله عنه أيضاً الإمام أبو عبد الله بن بكرة الكركني ، قرأ عليه المذهب رواية ودراية ، وأبو القاسم بن فيرة الشاطبي الضرير ، والفقيهان أبو عبد الله وأبو العباس الحضرميان ، روى عنهما الشهاب القاضي ، والفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن سلامة ، والزاهد أبو عبد الله المغاور ، والشيخ أبو عبد الله السلاوي .

سيدي يحيى العيدلي

الشيخ الولي الصالح والقطب الواضح رحمة بلدنا وغيث وطننا سيدي يحيى العيدلي ، نفعنا الله به آمين .

شهد بقطبانيته الشيخ الولي الصالح ذو التصانيف المفيدة سيدي عبد الرحمن الصباغ شارح الوغليسية ، وكذا البردة ، بأن اختصر شرح الإمام ابن مرزوق التلمساني عليها بعلوم سبعة ، ورثاه عند موته بقصيدة عظيمة ، وشهد له أيضاً بالعلم الظاهر والباطن ، وإن له من الكرامات شيء عظيم ، وشهد له أيضاً بذلك بحر الولاية والعلم سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، ومثله في العلم والولاية سيدي التواتي البجائي وكان حكمه وفتواه لا يردان من بجاية إلى توزر.

أما سيدي عبد الرحمن الثعالبي فوردت رسالته للشيخ سيدي يحيى ، وكان سأله ثلاثة أمور : أحدها من أزوج بنتي ؟ والثاني : من يكون وصياً على أولادي ؟ والثالث : تجعل تأليفاً لأصحابي ، فأجابه الشيخ الثعالبي عنها بأن

بنتك زوجها من تلميذك فلان ، وأما الوصية فأنت الوصي عليهم حياً وميتاً ، وأما التآليف فقد ألفت ما فيه كفاية ، والآن قد كبر سني ووهن عظمي فلا أقدر على التصنيف ، وهؤلاء كلهم في القرن التاسع رضي الله عنهم وأرضاهم .

وأما سيدي التواتي فقد عظمه غاية التعظيم بأن كتب للشيخ سيدي يحيى بعد السلام والرحمة والبركة : إنك ذكرت شيئاً من أحوالنا في الصلاة متقدماً أو قادحاً فيها ، فأجابه رضي الله عنه بأن قال له بعد تعظيمه بما يستحق من التعظيم : والله ما ذكرنا أحوالك إلا تبركاً بها فقط ، وكيف لا وإنك أحييت أموراً درست وطرقاً ذهبت ، وأنت المحقق الفاضل صاحب الوقت . أو كلاماً يقرب منه .

وأما الشيخ زروق فقد ذكر في كناشه أنه ألف بعض تآليفه في مسجده المعلوم في تمغزا رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

ذكره الشيخ زروق وعظمه غاية التعظيم بحيث أخذ عنه العلم الباطن ، وقال بعض العلماء : هو الذي ملك الشيخ زروق أقطاراً من البلدان ، وإلى ذلك أشار بقوله :

وملَّكَنيها بعضُ مَنْ كان مالِكا

وقد سمعت ممن يوثق به أيضاً أنهما اختلفا في لفظ الجبروت ، هل هو بهمز أو بغير همز؟ فقال الشيخ سيدي يحيى : إنما هو بهمز ، فلما أصاب الشيخ زروق الريب ، قال له الشيخ سيدي يحيى : انظر في اللوح المحفوظ بأن مسح وجه الشيخ زروق فأزال الله الحجاب فرآه كذلك .

ومن كرامات الشيخ سيدي يحيى أنه لما بنى مسجده المعلوم اختلفوا في القبلة ، فلما اختلفوا فيها قال الشيخ سيدي يحيى لجبل فوق قريته : انخفض ، فانخفض ، فتبينت الكعبة ورآها كل من كان هناك ، وهذا والله أعلم وإن لم يُرَ

في الكتب فقد تواتر عنه ذلك ، ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه أن الشيخ سيدي
[٥] التواتي بعث بعض طلبته لسيدي يحيى ليرسل له شيئاً من الزيت لأن بلد الشيخ
بلد الزيتون إلى الآن ، فبعث الشيخ سيدي يحيى للطلبة معزا أي عدداً منه ، وقال
لهم : سوقوا المعز من غير كلام لأحد حتى تصلوا للشيخ ، فلما وصلوا أثناء
الطريق بأن وصلوا سوق الثلاثاء ببني هارون ، وجدوا بعض إخوانهم من الطلبة
فسألوهم عن الخبر ، وقالوا بعث معنا عدداً من المعز ، وغفلوا عن وصية الشيخ
رضي الله عنه فلما ذهبوا بذلك المغز وجدوها جلوداً من زيت ، فسقطت عليهم
الكلفة وحملوها جلوداً كذلك إلى أن وصلوا إلى بجاية إلى الشيخ فأخبروه القصة ،
وقال لهم : لوسكتم لوصلوا كذلك ثم يرجعون زيتاً ، فلما خالفتم وقع بكم ما
وقع من الكلفة ، وبالجملة من كتم سر الأولياء وكذا سر الله انتفع به ودام له ذلك .
وكراماته رضي الله عنه كثيرة ، وكتبنا منها نبذة في شرحنا الوظيفة عند ختمته ،
ولم أذكر فيه كرامة عظيمة ، لم أرها مسطرة غير أنها تواتر أمرها واشتهر ، وهو
أنه لما رجع من سياحته ، وقد مكث فيها مختفياً عن الناس نحواً من عشر سنين ،
وأمه في حال حياتها وجد أهل قريته أخذوا ثوراً لحماً فقسموه ، ولم يجعلوا
نصيباً لأمه من غير اكتراث بها ، فلما علم بذلك تغير من أمرهم حيث لم يسهموا
لها شيئاً ، والحالة أن اللحم لم يبق منه شيء بل جعلوه في القدور ، ولم يجد شيئاً
باقياً إلا الجلد والرأس ، فعند ذلك ورد حال عظيم بأن أمسك الجلد من الذيل
وقال له : قم بإذن الله فقام الثور يمشي كما كان أول مرة ، فلما شاهدوا منه ذلك
خضعوا له وتواضعوا وذلوا واستكانوا ، وظهر أمر الشيخ ظهوراً بيناً بحيث أن
من تعدى عليه هلك بغتة ، وقد كان له زرع في إهمال ، وبات فيه جماعة من
الناس بخيلهم من غير علم أن الزرع للشيخ ، فلما أصبح الله بخير الصباح مات
جميع خيلهم ، وحملوا سروجهم على أعناقهم ، ثم إن ذلك في آخر عمره ارتفع ،
وسئل الشيخ عن ذلك فقال : فعل الله ذلك ابتداء ليعلم الخلق وليظهرني ،

فلما حصل المقصود من الظهور والنفع للخلق ، وظهرت الخصوصية وثبتت ارتفع ذلك والله أعلم .

زرنا قبر الشيخ وسألنا الله بجاهه أن يمنَّ بما فيه رضاه من السفر ، وأن ييسر علينا أمره ، وأن يجعله مقبولاً مع الأخـذ في الاستخارة الشرعية ، وذهبنا لبني عباس وبتنا عند الفضلاء الأشراف المحبين لنا جميعهم الصغير والكبير والذكر والأنثى ، وتكرموا وفرحوا بنا فرحاً شديداً ، ثم بعد ذلك لقرية المحب كل المحب ، من داره يد أهل الخير فيها يد واحدة ، الفقيه الفاضل الصالح الكامل سيدي محمد السعيد بن الطالب وفرح بنا أيضاً فرحاً شديداً اهـ ورتيلاني .

[٦] يحيى بنُ عبدِ المعطي الزواوي
(ابن معطي صاحبُ الألفية النحوية)

أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي الملقب زين الدين النحوي الحنفي .

كان أحد أئمة عصره في النحو واللغة ، وسكن دمشق زماناً طويلاً ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ، وصنف تصانيف مفيدة ، ثم إن الملك الكامل أرغبه ، في الانتقال إلى مصر ، فسافر إليها وتصدر بالجامع العتيق بمصر لإقراء الأدب ، وقرر له على ذلك جارياً ، ولم يزل إلى أن توفي في سلخ ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وست مئة (٦٢٨) بالقاهرة ، ودفن من الغد على شفير الخندق بقرب تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وقبره هناك ظاهر ، ومولده سنة أربع وستين وخمس مئة (٥٦٤) رحمه الله تعالى ، والزواوي بفتح الزاي وبين الواوين ألف هذه النسبة إلى زواوة ، وهي قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من أعمال افريقية

ذات بطون وأفخاذ ، والله أعلم ا هـ من « وفيات الأعيان » .

يحيى بنُ محمدٍ التلمساني

قال في « نيل الابتهاج » : يحيى بن محمد التلمساني ، سمع من أبي الحسن البطرني ، وأبي عبد الله بن مرزوق ، وأبي القاسم الغبريني ، وشارك في الفقه ومهر في العربية ، مات سنة سبع وثمان مئة (٨٠٧) عن خمس وستين سنة ، وكان أضر قبل ذلك ا هـ من « أنباء الغمر » ا هـ .

سيدي يحيى بنُ موسى الزواوي

الولي الصالح والبدر الواضح سيدي يحيى بن موسى ، ظهر أمره ظهوراً فاشياً ، يُزار دائماً ، وسيفه ماض لمن يتعدى على أولاده ، وذلك مجرب صحيح لا يكاد يخفى على أوباش العامة فضلاً عن الخاصة ، وقد علمت من أهل بلدنا أن دعاء سيدي يحيى بن موسى هوسبب الشرالذي أصابهم حتى افتتنوا وهلكوا ، ومات من جميعهم نحوالثلاث مئة (٣٠٠) من غير حق ، وإنما هوأمر الشيخ جار عليهم .

وهومن تلامذة الشيخ سيدي يحيى العيدلي ، وسببه أنه ذهب للشيخ ليسرقه فدخل موضعاً مخفياً وأظنه موضع الدواب ظناً منه أن دار سيدي يحيى مملوءة بالأمانات ، ولعله يتصل بشيء منها ، وهوممن سبقت له السعادة والعناية فلا تضره حينئذ الجناية ، فبعد العشاء اجتمع الأولياء عند الشيخ على واحد من الأولياء مات لينظروا من يرجع في محله ومقامه ، فلما استقربهم المجلس وقربهم الأنس سألوا الشيخ سيدي يحيى عمن يصلح ، فقال : ائتوني بذلك الذي كان مختفياً

فأطلعوه ، وعقد له ذلك فوصل من حينه ، لأن الولي إذا أراد أغنى ، وقالوا أيضاً : عزم الولي أقطع من السيف وقال الشاذلي : نعم الرجل أبوالعباس المرسي يأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمر عليه يومه حتى يبلغه لله ، فذلك عمل الشيخ سيدي يحيى لهذا الشيخ .

قيل : إنه لما رجع صبيحة تلك الليلة كان كل من لقيه من الرعاة أوغيرهم قبَّل يده ، وطلب منه دعوة الخير بعد أن كانوا اليوم الذي قبل هذا يتحاذرون منه ويتبادرون من أجله « بالك سى يحيى بن موسى » والله يفعل ما يشاء ، نفعنا الله به آمين .

وهو من القرن التاسع وأولاده على القراءة وإطعام الضيف والطاعة والفضل سيما العالم الفاضل الولي الكامل سيدي يحيى بن حمودي ، وقد قيل : إنه يجتمع مع رجال الغيب ، وإنه يشتري لهم قدراً معلوماً من الثياب ، وهو تلميذ سيدي علي بن الطالب ، وسيدي علي بن الطالب طامة كبرى ، وكذا أولاد سيدي يحيى بن حمودي ، منهم سيدي أبوالقاسم وسيدي أحمد ، كلاهما على العلم والفضل والكرم والنصيحة والأخلاق السنية ، نفعنا الله بهم اهـ ورتيلاني

يديرُ بنُ صالحٍ الجمهوري

الولي الصالح الفاضل الناجح صاحب البركة قوي الحجة سيدي يدير بن صالح الجمهوري أصلاً ، العيدلي مسكناً ، والتمغروي مدفناً ، تلميذ الشيخ سيدي يحيى العيدلي ، وقد دفن معه في روضته ، نفعنا الله به ، فإنه معظَّم غاية التعظيم ، وحبه ظاهر .

وأولاده ذوو بركة قوية وخيرهم مشهور ،وصلاحهم منثوروأمرهم مذكور ، فإن الناس ينتفعون بهم ويعتقدونهم إلى الآن ، ولا يخلو البعض منهم عن الوجد

الصحيح والحب الصريح ، فتجده يتواجد حقاً ويحب صدقاً ، وإنهم أهل السماع دائماً على كل حال ، فمن طلبهم وافقوه وساعدوه على أي وجه فيه الرجال والنساء ، غير أن سماعهم في الغالب أولى من غيرهم ، والناس يأمنون شرهم ويعتقدونهم ، وإن دلائل الشرخالية منهم غالباً إلا من قلَّ منهم وندر ، وإنهم لا يفرون من العلم وأهله بخلاف غيرهم ، فهم أسعد حالاً ممن سواهم كما شاهدنا ذلك منهم ، وإن كان الكل مخالفاً للسنة النبوية ، وإنه ليس بشروطه غير أن غيرهم يقصد البعض منهم التوصل إلى الأغراض الفاسدة ، وهم والله أعلم سالمون من تلك المفاسد ، وإن كان على غير الشروط ، نفعنا الله بهم ، حاصله جمعهم لا يخلو من أهل الخير والبركة تحقيقاً وبركة جدهم وشيخه القطب تنوب عنهم .

[٨] لطيفة : لو أنهم انسلخوا عن ذلك رأساً أولى بهم وأجدر وأنور وأستر وأفخر وأخصر وأشعر وأذكر وأكثر وأشهر وأقدر وأنصر وأعمر وأحذر ، ولو أنهم فعلوه بشروطه مع أهله ومن أهله غير حضور الشبان والنساء ، ومن لا بلاء له بذلك ، لوصلوا إلى الحضرة القدسية والأنوار الإلهية نور الله قلوب الجميع ، فما كدَّر القلب إلا مخالفةُ السنة ، وكون الشيء على غير شروطه وعلى غير بابه ، والله يقول (وأْتوا البيوتَ مِنْ أبوابِها) اهـ ورتيلاني .

يعقوب بن يوسف الزواوي

أبو يوسف يعقوب بن يوسف الزواوي المنقلاتي الشيخ الفقيه الصالح المتعبد الوجيه المبارك ، له معرفة بالفقه وأصوله ، وله مشاركة في علم العقائد .

قرأ ببجاية ورحل إلى حاضرة افريقية ، ولقي بها المشايخ ، ولازم الشيخ الإمام أبا عبد الله بن شعيب رحمه الله ، وقرأ على الفقيه أبي العباس بن عجلان ، وحضر مجلس الشيخ أبي محمد عبد العزيز رحمه الله قبل رحلته إلى تونس ، ثم

رجع إلى بجاية وأقرأ بها . وظهر واشتهر . وكان مجلسه من المجالس المعتبرة ، وكانت تقرأ عليه الكتب المذهبية . وكان يقوم عليها قياماً حسناً ، وكان نظره في التهذيب نظراً جيداً .

وكان أحد المفتين المشاورين في وقته ، وكان منقبضاً عن الناس منقطعاً عنهم ومشرفاً ومكرماً فيهم . وزاده بعض ملوك وقته في منزله ، وانقطع في آخر عمره انقطاعاً كلياً حقيقياً . وانزوى عن الناس إلى أن توفي بمنفلات في الثلث الأخير من ليلة يوم السبت الحادي عشر من جمادى الأولى عام تسعين وست مئة (٦٩٠) ودفن بالموضع المذكور وقت الضحى من اليوم المذكور .

انتهـــى الكتـــاب

وتم بفضل الله الملك الوهاب وحسن عونه . وأختمه بختم سيدي أبي عمران موسى بن عيسى المازوني تبركاً به وتوسلاً بدعائه المستجاب إن شاء الله فأقول : وهذا آخر ما قصدنا إليه يعني من الرجال نفعنا الله بجميعهم ، وأعاد علينا وعلى ذريتنا من بركتهم ، وألهمنا رشد أنفسنا بفضله وجوده وكرمه وحرمة أوليائه وخدام بابه آمين آمين آمين يا رب العالمين ، ونسأله جل وعلا أن يسلك بنا مسلك أهل اليقين ، ولا يجعلنا من الغافلين ، اللهم علمنا ما جهلنا وأعنا إذا استقمْنا ، وخذ بأيدينا إذا عثرنا ، واغفر اللهم بفضلك العظيم لنا ولآبائنا ولأمهاتنا ولمشيختنا ولإخواننا ، وعامل الجميع بما أنت له أهل من الرحمة يا رب العالمين ، وانفعنا بما علمتنا ، واجعله يا رب لنا حجة ننجو بها ، ولا تجعله علينا حجة نهلك بها ، فمنك نطلب الوصول إليك ، وبك نستدل عليك ، فاهدنا بنورك إليك ، واجعلنا من فقرائك ، وأغننا بحلالك عن حرامك ، وارزقنا يا مولانا الصبر والقناعة ، وأمتنا على السنة والجماعة ، والصلاة والسلام الأكملان على سيدنا

ومولانا محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إليك استندنا وعليك في كل الأمور اعتمدنا ، فأمدنا بالتوفيق ، واهدنا إلى سواء الطريق ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

سنـــة ١٣٢٦ .

من هجرة مولانا محمد بن عبد الله رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه أفضل الصلاة
وأزكى السلام

انتهى كتاب تعريف الخلف

فهرس الأعلام

القسم الأول

الصفحة

إبراهيم بن أبي بكر التلمساني ١٣
أبو القاسم بن أبي عبدالله الفيجيجي ١٥
أحمد بابا التنبكتي ١٦
أحمد الغبريني ٢٥
أحمد بن أحمد الندرومي ٣١
أحمد بن حسين القسنطيني ٣٢
أحمد السوداني ٣٧
أحمد بن عبدالله الجزائري ٣٨
أحمد بن عثمان ٤١
أحمد بن محمد ... ابن زاغد ٤٦
أحمد بن محمد المقري ٤٨
أحمد بن يحيى الونشريسي ٦٢
حسن بن علي المسيلي ٦٣
سعيد بن إبراهيم قدورة ٦٦
عبد الحق بن علي ٦٧

الصفحة

عبد الرحمن الأخضري ٦٧
عبد الرحمن بن محمد الثعالبي ٦٨
عبد الرحمن الوغليسي ٧٢
علي الأنصاري ٧٣
علي بن عثمان المنقلاتي ٧٧
عمران بن موسى المشوالي ٧٨
عمر بن محمد الكماء ٨١
عيسى الثعالبي ٨٢
قاسم بن سعيد التلمساني ٩٠
قاسم بن عيسى بن ناجي ٩٢
محمد بن إبراهيم العبدري ٩٣
محمد بن أبي القاسم المشدالي ١٠٩
الشريف التلمساني ١١٠
محمد الجلاب التلمساني ١٢٧
محمد بن مرزوق الحفيد ١٢٨
ابن مرزوق الخطيب جدّ الحفيد ١٤١
ابن مرزوق حفيد الحفيد ١٤٩
ابن مرزوق الكفيف ١٤٩
ابن صعد التلمساني ١٥١
محمد بن أحمد ابن مريم المديوني ١٥١
محمد بن عبد الجليل التنسي ١٦٤
محمد بن عبد الكريم الفكون ١٦٦

الصفحة

محمد بن عبد الكريم بن محمد المفيلي التلمساني التواني ١٧٠
محمد بن عمر الهواري ١٧٤
محمد بن المسبح القسنطيني ١٧٦
محمد بن عمر المليكشي ١٧٦
محمد السنوسي التوحيدي ١٧٩
يحيى المازوني ١٨٩
يحيى الشاوي ١٩٠
يحيى التدلسي ١٩٤
يوسف أبو الفضل بن النحوي ١٩٥
إبراهيم ابن فرحون ٢٠٠
أحمد ابن القاضي ٢٠١
محمد أمين المحبي ٢٠٢
محمد بن الطيب القادري ٢٠٢

القسم الثاني

الصفحة

إبراهيم بن أحمد الفجيجي ٧
إبراهيم بن عبد الرحمن التلمساني ٩
إبراهيم بن فائد القسنطيني ٩
إبراهيم بن قاسم التلمساني ١٠
إبراهيم بن محمد التازي ١١
إبراهيم بن موسى المصمودي التلمساني ١٦
إبراهيم بن ميمون الزواوي ١٨
إبراهيم بن يخلف المطماطي التنسي ١٨
إبراهيم بن يوسف الوهراني ٢٠
إبراهيم الحنيني ٢١
إبراهيم بن عمار ٢٢
إبراهيم الغول ابن سيدي إبراهيم السلامي ٢٢
ابن الأمين التواتي ٢٧
أبو اسحاق ابن العرافة البجائي ٢٧
أبو البركات التلمساني ٢٨
أبو بكر بن أحمد التنبكتي ٢٨
أبو تمام الواعظ الوهراني ٢٩
أبو الحجاج الجزائري ٢٩
أبو العباس الجزائري ٣٠
أبو عزي التلمساني ٣١
أبو علي المجاجي ابن سيدي علي ابهلول ٣٢
أبو القاسم بن محمد البجائي ٣٢

الصفحة

أبو القاسم الفجيجي ٣٣
أبو القاسم الكناشي البجائي ٣٣
أبو القاسم المجاجي ٣٣
أبو القاسم بن محمد بن عيسى ٣٤
أحمد بن أحمد التلمساني ٣٤
أحمد بن إدريس البجائي ٣٤
أحمد ابن الأستاذ الندرومي ٣٦
أحمد اقيت التنبكتي ٣٦
أحمد التارفي اللمتوني ٣٧
أحمد التجاني ٣٨
أحمد بن جيدة المديوني ٤٢
أحمد بن الحاج البيدري ٤٣
أحمد بن أبي حجلة التلمساني ٤٦
أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني ٥٧
أحمد بن الحسن الغماري التلمساني ٥٧
أحمد بن سعيد التنبكتي ٥٨
أحمد بن سعيد العفيفي ٥٨
أحمد الشريف الورتيلاني ٦١
احمدالعباسي أبو العباس ٦٣
أحمد بن عثمان التلمساني أبو العباس ٦٤
أحمد بن عبد الرحمن العباسي جد أولاد مقران ٦٤
أحمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني ٦٥

الصفحة

أحمد بن عبد السلام المسيلي ٦٥
أحمد بن عبد الصمد البجائي ٦٦
أحمد العلمي أبو العباس ٦٦
أحمد بن علي البسكري ٦٦
أحمد بن علي المليانى أبو العباس ٦٨
أحمد بن عمر الدلسي ٦٩
أحمد بن عمر التنبكتي ٧١
أحمد بن عيسى أبركان الورنيدي ٧٣
أحمد بن عيسى البجائي ٧٣
أحمد بن عيسى البطيوي ٧٤
أحمد بن عيسى الغماري البجائي ٧٤
أحمد الغبريني أبو القاسم ٧٦
أحمد الفجيجي ٧٦
أحمد بن أبي قاسم البجائي أبو العباس ٧٧
أحمد بن قاسم العقباني ٧٧
أحمد بن القاضي المعسكري ٧٧
أحمد بن محمد بن ذافال الجزائري ٧٨
أحمد بن محمد المبارك القسنطيني ٧٨
أحمد بن محمد بن المسيلي ٧٨
أحمد بن محمد العبادي ٧٩
أحمد بن محمد العقباني ٧٩
أحمد بن محمد المعافري القلعي ٨٠

الصفحة

أحمد بن محمد الوهراني ٨١
أحمد بن البشير المختاري ٨١
أحمد بن مزيان الورجي ٨٢
أحمد بن مسعود القسنطيني ٨٣
أحمد المسبح أبو العباس القسنطيني ٨٣
أحمد بن معمر البجائي ٨٣
أحمد بن عمار الجزائري ٨٩
أحمد بن محمد الاغريسي أبو طالب ٩٣
أحمد بن محيي الدين الاغريسي ٩٨
أحمد بن مقداش ١٠١
أحمد بن موسى الإدريسي ١٠١
أحمد بن نصر الداودي التلمساني ١٠١
أحمد النقاوسي البجائي ١٠٢
أحمد بن يعقوب العباري ١٠٢
أحمد بن أبي يحيى التلمساني ١٠٢
أحمد بن يوسف المليانى ١٠٣
أحمد بن يونس القسنطيني ١٠٦
إسماعيل الفلاي ١٠٧
بركات الباروني الجزائري ١٠٧
بركات القسنطيني أبو محمد ١٠٨
الفقيه البغدادي المستفاغي ١٠٩
بهلول بن عاصم ١١٠

الصفحة

الجودي بن الحاج ١١١
الجودي العلمي ١١٣
الحاج الداودي التلمساني ١١٣
الحاج عاشور الفجيجي ١١٤
الحاج قاسم التواتي ١١٥
الحاج قاسم التواتي ١١٥
الحاج محمد التواتي ١١٥
الحاج محمد التواتي أبو عبدالله ١١٥
الحاج محمد الرامي التواتي ١١٦
جبي التواتي ١١٨
الجيب الحمياني ١١٨
حسن بن إبراهيم التلمساني ١١٩
حسن بريهمات الجزائري ١١٩
حسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني ١٢٥
حسن بن أبي القاسم بن باديس أبو علي ١٢٦
الحسن بن حجاج الهواري البجائي ١٢٦
حسن بن حسين البجائي ١٢٧
حسن بن خلف الله القسنطيني ١٢٧
الحسن بن ست الآفاق البسكري ١٢٨
الحسن بن عثمان الوانشريسي ١٢٨
الحسن بن عطية التجاني الونشريسي..... ١٣٠
حسن بن علي القسنطيني ١٣٠

الصفحة

حسين بن عبدالله الجزائري ١٣٧
الحسن أبركان التلمساني ١٣٨
الحسين الورتيلاني ١٣٩
حمزة بن محمد المغربي ١٤٧
حمودة المقايسي الجزائري ١٤٨
حميدة العمالي ١٥٤
الفقيه الخبزاوي ١٥٥
الفقيه الزقاي ١٥٥
سحنون بن عثمان المداوي ١٥٦
سعادة الرحماني ١٥٦
سعيد الصفراوي ١٦٠
سعيد العلمي ١٦٠
سعيد بن محمد التلمساني ١٦١
سعيد المقرّي ١٦٢
سليمان بن الحسن التلمساني ١٧٧
سليمان الحسناوي البجائي ١٧٧
سليمان بن عبد الرحمن التلمساني ١٧٨
سليمان الورنيدي ١٧٩
سليمان الوهراني ١٧٩
سيدي أبو مدين الغوث التلمساني ١٨٠
الشيخ بن أبي القاسم الديسي المعروف بابن عروس ١٨٧
سيدي الصادق ١٩٧

الصفحة

صالح بن محمد الزواوي ١٩٧
أبو طالب الاغريسي ١٩٨
الطاهر المختاري ١٩٨
الطاهر القسنطيني ١٩٩
العاقب بن عبدالله التنبكتي ١٩٩
العاقب بن محمد بن عمر التنبكتي ٢٠٠
عبد الحق الأنصاري البجائي ٢٠١
عبد الرحمن باش تارزي القسنطيني ٢٠٥
عبد الرحمن بن محمد الجزائري ٢٠٦
عبد الرحمن بن محمد التلمساني المعروف بابن الوقّاد ٢٠٧
عبد الرحمن بن محمد التلمساني أبو يحيى ٢٠٨
عبد الرحمن وعيسى ابنا الإمام الشريف التلمساني ٢٠٩
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ٢٢١
عبد الرحمن بن موسى البجائي ٢٢٣
عبد الرحمن المجاجي ٢٢٤
عبد السلام التواتي ٢٢٤
عبد العزيز بن مخلوف العيسي ٢٢٨
عبد القادر الراشدي ٢٢٨
عبد الكريم القلعي أبو محمد ٢٣٠
عبد الكريم بن عبد الواحد الحسني أبو محمد ٢٣١
عبد اللطيف المسبّح ٢٣٢
عبدالله أحمد بن عيسى البجائي ٢٣٣

الصفحة

عبدالله الباجي القلشاني ٢٣٣
عبدالله البرناوي ٢٣٤
عبدالله البسكري أبو محمد ٢٤٠
عبدالله التواتي ٢٤١
عبدالله بن حجّاج بن يوسف الجزائري ٢٤١
عبدالله بن عمر السوفي ٢٤٣
عبدالله بن غانم الدراجي ٢٤٣
عبدالله بن محمد العباسي ٢٤٥
عبدالله بن محمد التلمساني ٢٤٥
عبدالله بن محمد التلمساني ٢٤٩
عبدالله بن محمد القلعي ٢٤٩
عبدالله بن محمد المسيلي ٢٥٠
عبدالله بن محمد بن موسى البجائي ٢٥١
عبدالله بن محمود بن عمر التنبكتي ٢٥٢
عبد الملك الراشدي أبو محمد ٢٥٢
عبد الملك بن زيادة الله الطبني ٢٥٢
عبد المنعم الجزائري أبو محمد ٢٥٦
عبد الواحد بن أحمد التلمساني ٢٥٨
عبد الواحد الونشريسي ٢٥٨
عبد الوهاب بن يوسف البجائي ٢٥٩
عثمان السوداني ٢٦٠
عطية الله اليراتني أبو محمد ٢٦٠

الصفحة

عفيف الدين التلمساني ٢٦١
علي بن أبي القاسم التلمساني ٢٦٣
علي التواتي ٢٦٨
علي بن ثابت التلمساني ٢٦٨
علي بن الحفاف الجزائري ٢٦٩
علي بن ذي الوزارتين التلمساني ٢٧٠
علي الزيات البجائي ٢٧١
علي بن سليمان البربني ٢٧١
علي الصافي ٢٧٢
علي بن عبد الرحمن بن أحمد القبائلي ٢٧٢
علي بن عمران المليانى أبو الحسن ٢٧٣
علي بن عبد العزيز الدوسني ٢٧٤
علي القرباني ٢٧٥
علي بن عيسى الراشدي التلمساني ٢٧٥
علي الفجيجي ٢٧٥
علي بن محمد بن أحمد بن محمد التنسي ٢٧٦
علي بن قاسم الشهير بالحدّاد الوهراني ٢٧٦
علي بن محمد التالوتي الأنصاري التلمساني ٢٧٦
علي بن محمد الزواوي أبو الحسن ٢٧٨
علي بن محمد الجزائري ٢٧٩
علي بن محمد بن منصور الغماري التلمساني ٢٨٠
علي بن محمد بن منصور الصنهاجي التلمساني ٢٨٠

الصفحة

علي بن محمد الحلبي الجزائري ٢٨٠
علي بن موسى ٢٨١
علي بن موسى البجائي ٢٨٢
علي التماسيني ٢٨٢
العبدلاوي أحمد ٢٨٦
علي بن موسى بن علي بن هارون ٢٩٠
علي بن مكي الملياني ٢٩١
علي بن أبي نصر ٢٩٢
علي الونيسي أبو الحسن ٢٩٤
عمار بن شريط القسنطيني أبو منصور ٢٩٥
عمار الغربي القسنطيني أبو راشد ٢٩٥
عمار الشريف القسنطيني أبو منصور ٢٩٦
عمارة الشريف أبو الطاهر ٢٩٦
عمر الأشهب ٢٩٩
علي الطيار ٢٩٩
عمر بن أحمد العمري البجائي أبو علي ٣٠٠
عمر الشريف ٣٠٠
عمر بن عبد المحسن الوجهاني الصواف ٣٠١
عمر بن عثمان الوانشريسي ٣٠٢
عمر بن عزوز السلمي ٣٠٣
عمر بن محمد صالح الوفرتي ٣٠٣
عمر بن محمد المانفلاتي الجزائري ٣٠٤

الصفحة

عمر بن موسى ٣٠٨
عمر الواصلي ٣٠٩
عيسى بن أحمد الهنديسي ابن الشاط ٣٠٩
عيسى بن محمد التلمساني ٣١٠
الأمير عبد القادر الجزائري ٣١٦
الغزالي ٣٢٢
أحمد الغزال الجزائري ٣٢٤
فتح الله ٣٢٩
قاسم بن محمد القسنطيني ٣٣٠
قدور بن محمد بن سليمان المستغانمي ٣٣٠
صالح بن محمد الزواوي ٣٣٣
الصادق ٣٣٣
الطاهر بن حسن المختاري ٣٣٤
محسن بن أبي بكر البجائي ٣٣٤
محمد بن إبراهيم البجائي ٣٣٥
محمد بن إبراهيم المشتهر بالأصولي ٣٣٥
محمد بن إبراهيم التلمساني ٣٣٨
محمد بن إبراهيم التلمساني المشهور بابن الإمام ٣٣٨
محمد بن إبراهيم الغسّاني ٣٤١
محمد أبو راس ٣٤١
محمد بن أبي زيد الخزرجي ٣٤٢
محمد بن أبي سيف البحيري ٣٤٤

الصفحة

محمد بن أبي القاسم الهاملي ٣٤٥
محمد بن أحمد الشريف الحسني أبو عبدالله ٣٥٢
محمد بن أحمد بوتشنت ٣٥٢
محمد بن أحمد القسنطيني ٣٥٣
محمد بن عبدالله الأريسي الجزائري ٣٥٦
محمد بن أحمد التلمساني ٣٥٩
محمد بن أحمد بن محمد التلمساني ٣٦١
محمد بن أحمد القرشي التلمساني ٣٦٢
محمد بن أحمد التلمساني ٣٦٢
محمد بن أحمد التلمساني ٣٦٣
محمد بن أحمد الوهراني المليانى ٣٦٤
محمد امزيان ٣٦٤
محمد أمقران ٣٦٥
محمد ابن الأمير الجزائري ٣٦٥
محمد التواتي ٣٦٥
محمد التواتي ٣٦٦
محمد بن الجيب القسنطيني ٣٦٧
محمد الحرشاوي الندرومي ٣٦٧
محمد بن حسن الجزائري ٣٦٨
محمد بن الحسن القلعي ٣٦٩
محمد بن حسن التلمساني ٣٧٢
محمد بن حواء المستغانمي ٣٧٣

الصفحة

محمد الحفصي القسنطيني ٣٧٥
محمد بن الخضر الإغريسي ٣٧٥
محمد بن خميس التلمساني ٣٧٥
محمد بن سيدي سعيد قدورة ٣٩٠
محمد بن خليفة الجزائري ٣٩١
محمد الزادي ٣٩٣
محمد بن سالم المعروف بابن الطبّال ٣٩٣
محمد بن سعيد المغربي ٣٩٤
محمد الشاذلي القسنطيني ٣٩٤
محمد الشريف التلمساني ٣٩٥
محمد صالح الورتيلاني ٣٩٥
محمد الصالح بن سالم الأعرج السوفي ٣٩٩
محمد بن الحق البطيوي ٤٠٣
محمد بن عبد الرحمن الحوضي ٤٠٤
محمد بن عبد الرحمن ٤٠٧
محمد ابن سيدي بن علي ٤١٧
محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني ٤٢١
محمد بن عبد الرحمن البوني ٤٢٣
محمد بن عبد الرحمن الأنصاري ٤٢٥
محمد بن عبد الكريم التواتي ٤٢٦
أبو محمد المسبح القسنطيني ٤٢٧
محمد بن عبد الكريم الجزائري ٤٢٨

الصفحة

محمد القلعي أبو عبدالله ٤٢٩
محمد بن عبدالله التدرومي ٤٣٢
محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري ٤٣٢
محمد العربي ٤٣٦
محمد العربي القسنطيني ٤٣٧
محمد بن عفيف الدين الظريف التلمساني ٤٣٧
محمد بن عطية التلمساني ٤٣٩
محمد بن علي ابهلول المجاجي ٤٤٠
محمد الطيب ابن أبي داود الزواوي ٤٤٩
محمد بن عبد الكريم المجاوي التلمساني ٤٥٣
محمد بن عبد الرحمن الأزهري ٤٥٧
محمد بن رجب الجزائري ٤٧٤
محمد الشريف الزهار الجزائري ٤٧٥
محمد بن عزوز البرجي ٤٨٢
محمد بن علي الصنهاجي الحمزي ٤٨٧
محمد بن علي اليعلاوي ٤٨٧
محمد بن علي الطلحي القسنطيني ٤٨٨
محمد بن علي العيدلي ٤٨٨
محمد الخروبي أبو عبد الله ٤٨٩
محمد بن علي الميلي ٤٩١
محمد بن عمر المليكشي ٤٩١
محمد بن عمر القلعي ٤٩٢

الصفحة

محمد بن عمرو الفجيجي ٤٩٢
محمد الونيسي القسنطيني ٤٩٣
محمد بن الفتوح التلمساني ٤٩٣
محمد بن محرز الوهراني ٤٩٤
محمد الملقب بالمرابط المغراوي التلمساني ٤٩٥
محمد بن محمد بن أبي بكر القلعي ٤٩٥
محمد بن محمد الخشني ٤٩٦
محمد بن محمد الندرومي ٤٩٨
محمد بن محمد التلمساني ٤٩٨
محمد بن محمد ابن الجنان ٤٩٨
محمد بن محمد بن أحمد التلمساني ٥٠٠
محمد بن محمد التنبكتي ٥٠٩
محمد بن محمد التنبكتي المعروف ببغيغ ٥١١
محمد بن غريون البجائي ٥١٢
محمد بن محمود الوانفوي ٥١٢
محمد بن مزي القلعي ٥١٣
محمد المسعود بن سيدي محمد الحاج ٥١٤
محمد بن أحمد الموسوم ٥١٦
محمد مؤمن بن محمد قاسم الجزائري ٥١٩
محمد بن أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني ٥٢٢
محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي ٥٣٣
محمد الصديق الديسي ٥٣٤

الصفحة

محمد بن عبد الباقي أو محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي ٥٣٦
محمد بن عبد الرحمن الإمام الجزائري ٥٣٧
محمد بن علي الشريف الجعدي ٥٤١
محمد بن علي الشريف الزواوي صاحب شلاطة ٥٤٤
محمد العمالي ٥٤٦
محمد المازري الديسي ٥٤٩
محمد بن محمد الجزائري أبو عبدالله ٥٥٠
محمد بن المشري السائحي الأغواطي ٥٥٧
محمد بن المقدم الخوان التلمساني ٥٦١
محمد بن منصور بن علي القريشي ٥٦١
محمد بن الناصر المنصوري ٥٦٢
محمد بن النجار التلمساني ٥٦٤
محمد بن يحيى اليعلاوي ٥٦٥
محمد بن يحيى الباهلي المسفر ٥٦٦
محمد بن يحيى الشريف الأغريسي ٥٦٧
محمد بن النجار التلمساني ٥٧٣
محمد بن يعقوب الفجيجي ٥٧٤
محمد بن يعقوب البجائي ٥٧٥
المختار الجلالي ٥٧٦
مروان بن عمار البجائي ٥٧٧
مصطفى الرماحي ٥٧٨
مصطفى بن الشاوش القسنطيني ٥٨٠

الصفحة

مصطفى العجمي القسنطيني ٥٨٠
مصطفى بن عبد الرحمن القسنطيني ٥٨٠
منصور بن عبد الحق المشدّالي البجائي ٥٨١
معزوز البحري المستفانمي ٥٨٢
موسى بن عيسى المازوني ٥٨٣
ناجي ٥٨٤
الهادي ٥٨٦
واضح الشلفي ٥٨٧
يحيى بن زكرياء القريشي السطيفي ٥٩٢
يحيى بن أبي علي الزواوي ٥٩٤
يحيى العيدلي ٥٩٥
يحيى بن عبد المعطي الزواوي ٥٩٨
يحيى بن محمد التلمساني ٥٩٩
يحيى بن موسى الزواوي ٥٩٩
يدير بن صالح الجمهوري ٦٠٠
يعقوب بن يوسف الزواوي ٦٠١